

جامعة المنصورة
كليـة الآداب
قسـم التاريـخ

دور العلماء في الحياة السياسية والاقتصادية في العصر العباسي الأول

رسالة مقدمة من الطالب

عبد الحكيم عبد الحق محمد سيف الدين

لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي

إشـــراف

الأستاذ الدكتور

محمـد عيسى الحـريـري
أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية
وعميد كلية الآداب (سابقاً) - جامعة المنصورة

٢٠٠٤م

كلمة شكر

لعل عبارات الشكر لا توفيه حقه والذي يوفيه حقه أن يرى ثمار غرسه يانعة بين يديه ، ومع ذلك فإني أتقدم بالشكر الجزيل لأستاذي القدير الأستاذ الدكتور محمد عيسى الحريري أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، الذي شملني سيادته بالإشراف على هذه الرسالة ، وأحاطني بعنايته فكان الأستاذ والأب في أن واحد ، وقد كان للمساته الأبوية الحانية، ولتعامله الراقي معي، ما خفف عني آلام مفارقة الأهل والوطن، فوجدت لديه من دفأ المعاملة الطيبة ما أذاب ثلوج الغربة وذلل لي ما صعب وتوعر، وأعترف أني قد أفدت من علمه ما وعته ووسعته أوعيتي الفكرية المحدودة ، وأنا هنا لا امتدحه ، وإنما أوفيه حقه، حق الأستاذ على التلميذ ، فله مني جزيل الشكر وبالغ الثناء .

كما أتقدم بالشكر الجزيل لأستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور عبد الشافي محمد عبد اللطيف أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر، الذي شرفني سيادته بالموافقة على مناقشة هذه الرسالة متكبدا عناء السفر ومشقته، فله جل الشكر وبالغ التقدير.

والشكر موصول أيضا لأستاذي القدير الأستاذ الدكتور حسن علي حسن أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية بكلية دار العلوم جامعة القاهرة ، والذي شملني سيادته بالموافقة على مناقشة هذه الرسالة، متحملا عناء السفر، فله مني الشكر الجزيل .

كما أتقدم بالشكر للأستاذ الدكتور عميد الكلية ، وللأستاذ الدكتور وسام عبد العزيز فرج رئيس قسم التاريخ ، وللأستاذة الفاضلة مديرة مكتبة كلية الآداب ، وللأخوة في الدراسات العليا على ما قدموه لي من عون ومساعدة .

وإن فاتني شيئ فلا يفوتني أن أتقدم بالشكر والامتنان لأستاذي القدير الأستاذ الدكتور عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية بقسم التاريخ جامعة صنعاء الذي وإن غاب في هذا اليوم فهو كثير الحضور في خاطري فله الفضل بعد الله تعالى في وضع اللبنات الأولى لمعرفتي المتواضعة فله مني التقدير والوفاء .

كما أتقدم بالشكر والوفاء إلى أبي وأمي الذين ربياني منذ الصغر وحرصا على تعليمي وفي تربيتي، وتحملا مشقة ذلك ، كما أشكر زوجتي وأولادي عزام وعرفات وإيمان على مشاركتي رحلة الكفاح والمعاناة، ولا شك أن هذا العمل قد أخذ من حقهم علي الكثير فلهم شكري واعتذاري .

كما أشكر كل من أسهم لإخراج هذا العمل من قريب أم من بعيد،بالتوجيه،ام بإسداء نصيحة .

المحتويات

الفصـل الثـالث

"منهج العلماء في المشاركة في الحياة السياسية في العصر العباسي الأول"

الفصل الرابع

"دور العلماء في الأحداث والقضايا السياسية في العصر العباسي الأول"

(الفصل الخامس)

دور العلماء في الجهاد

(الفصل السادس)

"دور العلماء في الحياة الاقتصادية في العصر العباسي الأول "

بسم الله الرحمن الرحيم

أغفلت كثير من الدراسات التي تصدت للتاريخ الإسلامي دور شريحة واسعة ممن شاركوا في صناعة هذا التاريخ ، وأسهموا في تحريك أحداثه ، خصوصا تلك التي نسجت لنا صورة مشرقة للتاريخ الإسلامي ، أعني بذلك علماء الأمة وفقهاءها ، أولئك الذين ظلوا في كثير من الأحيان يمثلون الضابط الذي يضبط سياسة الدولة وحياة المجتمع ، سواء من خلال ما يقدمونه من تخريجات فقهية تكيف حياة الأمة مع تعاليم الإسلام وقيمه ، أو بما يقومون به من جهد لإصلاح مؤسسات الدولة من خلال مشاركتهم بالعمل فيها ، أو من خلال ما يسدونه من نصائح ومواعظ للخلفاء والأمراء ، ولأفراد المجتمع ، وهو ما يؤدي في كثير من الأحيان إلى تصويب مسار سياسة الدولة وحياة المجتمع .

وقصرت كثير من هذه الدراسات اهتمامها على الأدوار التي قام بها كلّ من الخلفاء والأمراء والولاة في تحريك عجلة التاريخ وإدارة أحداثه ، وهو تناول - على أهميته - قاصر ، إذ يعجز عن الإطلال على المرحلة التاريخية ، لأنه يتناول التاريخ من زاوية واحدة ، فتنتج عنه صورة مجتزأة للمرحلة التاريخية ، ولذلك - على سبيل المثال - قدم العصر العباسي الثاني على أنه عصر الضعف والانحطاط ، عصر الضمور والتراجع و الانحسار في التاريخ الإسلامي ، وارتبط ذلك العصر بهذه السمات في أذهان الكثيرين ، بالرغم من أنه كان عصر النهضة العلمية ، إذ أن جل العلماء المسلمين في مختلف الميادين لم يظهروا ويؤثروا ويتأثروا إلا في العصر العباسي الثاني ، وأن كثير من العلوم لم تظهر وتتخلّق إلا في رحم العصر العباسي الثاني ، وأن معالم الحضارة الإسلامية لم تتبلور وتنضج وتتألق إلا في العصر العباسي الثاني ، ذلك لأن كثيرا من المؤرخين نظروا إلى هذا العصر من زاوية واحدة هي الزاوية السياسية ، وأهملوا سائر زواياه وجوانبه الأخرى ، فكانت النظرة جزئية فأتت الصورة مجتزأة .

من هنا تأتي هذه الدراسة للوقوف على الأدوار التي قام بها العلماء في الأحداث السياسية ، وفي مجريات الحياة الاقتصادية في العصر العباسي الأول لاستجلاء - ما أمكن ذلك - هذه الأدوار .

وهو موضوع لم تطرقه الدراسات الحديثة التي تصدت للتاريخ العباسي – على كثرتها وتنوعها إلا يسيرا ، ولجوانب معينة ، وفي أماكن محدودة – فقد نجد دراسات للأحداث السياسية في العصر العباسي الأول ،إلا أنها تتناولها من حيث دور الخلفاء والوزراء والأمراء فيها ، كما تصادفنا دراسات للأنظمة السياسية كالخلافة والوزارة والولاية ، لكنها تتناولها من حيث تأثير الخلفاء فيها ، أو من حيث تأثرها بالظروف المفروضة عليها من الخارج ، وقد نجد دراسات تعرض لحركة الجهاد الإسلامي في العصر العباسي الأول ، إلا أن هذا العرض يقتصر على عرض المواقع العسكرية ، وبيان أسبابها وأحداثها ، وقوام الجيوش الإسلامية وإعدادها ، وما ينتج عنها من فتوح وتدافع ... وغنائم ، ففي هذا السياق تصادفنا عدة دراسات منها :

- دراسة قدمها الدكتور / طه عبد المقصود عبد الحميد ، وهي عبارة عن رسالة ماجستير ، بعنوان : الأوضاع السياسية والحياة الاجتماعية في مدينتي البصرة والكوفة في العصر العباسي الأول .

- دراسة للدكتور / أحمد إبراهيم الشريف ، بعنوان : دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني الهجريين .

- دراسة للدكتورة أمينة محمد علي بيطار ، وهي عبارة عن رسالة دكتوراه بعنوان : الحياة السياسية وأهم مظاهر الحضارة في بلاد الشام منذ قيام الخلافة العباسية وحتى الفتح الفاطمي .

- دراسة للدكتور / علي محمد علي البتنوني ، بعنوان : هارون الرشيد وقضية العصر الذهبي للخلافة العباسية .

- دراسة للدكتور حسن فاضل ، وهي عبارة عن رسالة دكتوراه بعنوان : سياسة المنصور الداخلية والخارجية .

- دراسة للدكتور / أنس هارون ، وهي عبارة عن رسالة دكتوراه بعنوان : الآثار الحضارية لحركات الخارجين على الدولة في العصر العباسي الأول .

- دراسة للدكتور عبد المجيد أبوالفتوح ، بعنوان : التاريخ السياسي والحضاري للخلافة العباسية .

- دراسة للدكتور / محمد فتحي محمد عثمان ، وهي عبارة عن رسالة ماجستير بعنوان : الثغور الجزرية والثغور الشامية إلى نهاية عهد المتوكل .

كما صادفتنا عشرات الدراسات في الحياة الاقتصادية ، إلا أنها تنصرف في مجملها لدراسة الـنظم الاقتصادية التي نشأت في المراحل الإسلامية السابقة ، وتبلورت بعد ذلك في العصر العباسي الأول، مثل الخراج والعطاء والعشور والزكاة والحسبة وبيت المال وولاية المظالم وسائر الولايات الأخرى ، وما نشأ عنها من علاقات تجارية وما نتج عن ذلك من تدفق للثروة على مركـز الخلافـة ، وأقـاليم الدولة ، وعن مستوى المعيشة ، وثروات الخلفاء والوزراء والأمراء ، وحياة البلاط والقـصور فـي العصر العباسي الأول ، فضلا عن عشرات الدراسات الإقليمية التـي عرضـت للحيـاة الـسياسية و الاقتصادية في بعض الأمصار الإسلامية في هذه المرحلة ، لكنها في تناولها لم تبتعد عن مثيلاتها من الدراسات السابقة التي أشرنا إليها ، نذكر منها في هذا السياق :

- دراسة للدكتور / عبد الله جمعان السعدي ، وهي عبارة عن رسالة دكتوراه بعنوان : النظام المـالي الإسلامي في العصر العباسي الأول .

- دراسة للدكتور / محمد توفيق أحمد خفاجي ، وهي عبارة عن رسالة دكتوراه بعنوان : تطور النظم الإدارية والمالية في بلاد العراق والفرس من مستهل العصر العباسي إلى نهاية القرن الرابع الهجري .

كما تعترضنا بعض الدراسات عن أدوارٍ للعلماء في فعاليات الحياة العامة ، إلا أن بعضها يتجاوز حدود العصر العباسي ، ويتسم بعضها الآخر بالجزئية سواء من حيث المجالات التي تتناولها ، أم من حيث المساحات الجغرافية التي تغطيها ، فضلا عن كونها في كثيرٍ من الأحيان خارج السيادة العباسية ، ومن هذه الدراسات :

- دراسة للدكتور / عبد العزيز البدري بعنوان " الإسلام بين العلماء والحكام ، والدراسة تبين تعامـل العلماء مع الحكام عبر التاريخ الإسلامي ، فهي تبدأ من القرن الأول وتنتهي بالقرن الخـامس عـشر الهجري ، كما يسيطر على الدراسة إتجاه عام بأن العلاقة بين العلماء والحكام غير سـوية ، فنجـده لذلك يسوق الروايات التي تدعم هذه الفكرة ، ولا يعرض الروايات التي تبين صور التعاون والتكامـل بين العلماء والحكام ، ومع ذلك فقد أفدت منها في مناقشاتها لبعض القضايا الـسياسية فـي العـصر العباسي الأول .

كما تصادفنا في هذا المجال دراسات عرضت للعلماء في العصر العباسي الأول ، وفي غيره مـن عصور التاريخ الإسلامي ، إلا أنها ركّزت على حياتهم العلمية ، فأبرزت جهودهم في تحصيل العلوم

الدينية ، مثل الحديث ، والفقه ، والمغازي والسير ، والتفسير ، وعلوم اللغة ، فتحدثت عن أسـفارهم بين البلدان لتحصيل هذه العلوم بالتتلمذ على من بقي من الـصحابة والتـابعين ، وكـذا اجتهـاداتهم وتخريجاتهـم الفقهية ، ومصنفاتهم في هذه العلـوم، لكن دراسة واحـدة – حسب علمي – لم تفـرد لبيان دور علماء الأمة ممن عاصروا العصر العباسي الأول في الحياة الـسياسية والاقتـصادية بكـل فعالياتها .

وقد ثارت في ذهني تساؤلات عدة حول هذه الشريحة الفاعلة من الأمة في العصر العباسي الأول ، هل كان للعلماء حضور في مجريات الحياة السياسية في العصر العباسي الأول ؟ مـا مـوقفهم إزاء الأحداث الكبيرة التي هزت العصر العباسي الأول ؟ ما موقفهم من حركات المعارضة التي خرجـت على العباسيين ؟ ثم هل كان لهم من معارضة للحكم العباسي ، وكيفية وطرائق معارضتهم للعباسيين ؟ هل كان لهم من أدوار في حركة الجهاد ، وما طبيعة هذه الأدوار ؟ ثم مـا هـي مـواقفهم إزاء السياسة الاقتصادية للخلفاء العباسيين ؟ وهل كان لهم من أدوار في مجريات الحياة الاقتـصادية فـي العصر العباسي الأول ؟ وغيرها من التساؤلات التي بذل الباحث جهدا للإجابة عليها في ثنايا فـصول هذه الدراسة .

لكل هذه الأسباب من محاولة إبراز دور علماء الأمة في تحريك أحداث التاريخ ، وإسهاماتها فـي بناء الحضارة الإسلامية ، ومن ثم الإنسانية ، ورغبة في إلقاء الضوء أكثر على الجوانب الحـضارية في التاريخ الإسلامي والتي لم تمتد إليها يد الباحث المنصف المدقق إلا يسيرا ، في حين توجهت جل الدراسات إلى الميادين السياسية والعسكرية ، فغدا التاريخ الإسلامي لا يعدو أن يكون تاريخ صراعات ومؤامرات وخيانات ومعارك ودماء ، فأعطانا صورة قاتمة قانية لهذا التاريخ ، وإن أعطيت مـساحة لحياة المجتمع الإسلامي فهي مساحة تتحرك خلالها الجواري والقيان والكؤوس ، فيبدوا مجتمعا ماجنا منحلا ، خلافا للواقع ، وإن عرض دور لرجال الفكر والعلم فيه ، فيعرض عرضا سطحيا خاليا مـن دلالات الاستخلاف ، ولا يخلوا من الهمز واللمز والتعريض بهؤلاء العلماء ، لكل هذا توجهت إلى هذا الميدان من الدراسات التاريخية .

وقد قسمت هذه الدراسة إلى مقدمة وتمهيد وستة فصول وخاتمة .

المقدمة : تناولت فيها أهمية الموضوع ، وموقعه بين الدراسات التي عرضت للتاريخ الإسلامي ، و العصر العباسي الأول .

التمهيد : خصصته للتعريف بعنصري العنوان ، وهما العلماء والعصر العباسي الأول .

الفصل الأول : موقف العلماء من الثورة العباسية ، وقد تناولت فيه أسباب سقوط الدولـة الأمويـة ، وأحداث الثورة العباسية ، وموقف العلماء منها ، ومن شرعية الدعوة والثورة العباسية .

الفصل الثاني : نظرة العلماء إلى السلطة ونظرة السلطة إلى العلماء ، بيّنت فيه دور العلماء في بيـان أهمية الخلافة بوصفها مؤسسة سياسية لا غنى للأمة عنها ، وأهمية القائمين عليها ، ووجوب طاعتهم وحدود هذه الطاعة ، وكذا مكانة العلماء لدى الخلفاء .

الفصل الثالث : منهج العلماء في المشاركة في الحياة السياسية في العصر العباسي الأول ، ويعالج هذا الفصل الطرائق التي اتبعها العلماء في العصر العباسي الأول في المشاركة في الحياة السياسية .

الفصل الرابع : موقف العلماء من القضايا والأحداث السياسية التي شهدها العـصر العباسـي الأول ، ويتتبع هذا الفصل مواقف العلماء من القضايا السياسية ، وأدوارهم في الأحداث التي هـزت العـصر العباسي الأول ، ويتناول موقفهم من أساليب تداول السلطة ، ومن الحركات الخارجة على العباسيين ، وموقفهم من فتنة القول بخلق القرآن ، ومن السياسة الخارجية للدولة ، ومن استعمال أهل الذمـة فـي وظائف الدولة ، وكذا مواقفهم من نكبات الخلفاء لبعض وزرائهم ، ومن العادات والتقاليد التي ابتدعها العباسيون .

الفصل الخامس : دور العلماء في الجهاد ، تناول هذا الفصل إسهام العلمـاء فـي حركـة الفتـوح الإسلامية ، سواء بالوعظ والتأليف ، أم بالدفع والتحريض ، أم بالرباط في الثغور ، والمشاركة فـي المعارك .

الفصل السادس : دور العلماء في الحياة الاقتصادية في العصر العباسـي الأول ، ويتنـاول نظـرة العلماء إلى المال، وموقفهم من الموارد والمصارف في العصر العباسي الأول ، ومن أساليب جبايـة المال وتوزيعه ، وجهودهم في تنمية الحياة الاقتصادية .

عرض لأهم مصادر الرسالة ومراجعها

اعتمدت هذه الدراسة على عدد من المصادر والمراجع أهمها مصنفة حسب موضوعها ، ومرتبـة وفق أهميتها ، ودرجة الإفادة منها ، وهي :

كـتب التراجـم والسـير :

تزودنا كتب التراجم بمعلومات تفصيلية عن حياة الصحابة والتابعين وتابعي التابعين ، ومن تبعهم من أجيال الأمة ، لأنها تقدم رصدا لحياة صاحب الترجمة بكل فعالياتها ،وقد وضعت فـي الأسـاس لتنقية الحديث الشريف من الوضاعين والكذابين ، وتمييز رواته بحسب ثقتهم وضبطهم ، فهي تتنـاول نقد رجال الحديث ، ولذلك فقد سميت بكتب الرجال ، والجرح والتعديل ،والطبقات لأنها ترصد الأجيال الإسلامية المتتالية ،وتكتسب معلوماتها قيمة كبيرة لأنها لم ترد لغرض التاريخ ، وبالتالي فهي ليـست موجهة كما في بعض كتب التاريخ، وقد أفدت منها كثيرا فيما يتعلق بحياة العلماء العامة والخاصة في العصر العباسي الأول ،بما في ذلك أدوارهم في الحياة السياسية والاقتصادية ، وهي مع ذلك تتفـاوت في أهميتها وفي درجة استغراقها لحياة العلماء ، وأهمها حسب إفادة البحث منها :

سير أعلام النبلاء . لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي تـ (٧٤٨ هـ - / ١٣٤٧م) : حققه شعيب الأرنؤوط ، ونشرته مؤسسة الرسالة في بيروت سنة (١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م) ، الكتـاب تراجم أجيال الأمة إبتداء من جيل الصحابة فالتابعين فتابعي التابعين ، ثم يستمر في ذكر أعلام الإسلام حتى وفاة المؤلف ، ويتميز الكتاب بإيراد أدق التفاصيل عن حياة أصحاب هذه التراجم ، وقـد رتبهـا المؤلف ترتيبا زمنيا وفق تاريخ الوفاة ، ثم أضيف للكتاب فهرسة أخرى لأصـحاب التـراجم حـسب الترتيب الهجائي ، سهلت على الباحثين مهمة الوصول إلى من يريدون الترجمة لهم ، كما يقسم العلماء حسب الأمصار التي ينتسبون اليها ، وقد أفدت منه كثيرا ، فهو يشتمل كغيره من كتب الطبقات علـى مادة تاريخية غنية ، وقد كرر كثيرا من المعلومات التي ذكرها عن العلماء في كتابه تاريخ الإسلام .

تاريخ بغداد للخطيب . أبو بكر أحمد بن علي بن الخطيب البغدادي تـ ٤٦٣ هـ / ١٠٧١ م :

نشرته دار الكتب العلمية ببيروت ، وبالرغم مما يبدو من عنوانه الذي يدل على اقتـصاره علـى تراجم لأهل بغـداد إلا أنه يترجم لكل من زار بغداد من العلماء حتى وإن لم يستقر بها ، والكتـاب

يقدم رصدا لقضاة بغداد ولغيرهم ممن شاركوا في أعمال الدولة خصوصا من العلماء، وقد أفدت منه كثيرا فيما يتعلق بموضوع مشاركة العلماء في وظائف الدولة .

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء .لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني ت ـ ٤٣٠هـ/١٠٣٩م

حققـه مـصطفى عبـد القـادر عطـا ، ونـشرته دار الكتـب العلميـة ببيـروت ، سـنة ١٤١٨هـ/١٩٩٧م،يشتمل الكتاب على تراجم أعلام الإسلام ابتداء من جيل التابعين ثم تابعي التابعين ، فمن يليهم إلى زمن المؤلف ،النصف الأول من القرن الخامس الهجري ، مرتبة بحسب الأمصار التي ينتمون اليها ، وإن كان الكتاب لا يذكر تاريخ الوفاة في كثير من الأحيان ،وتغلب على الكتاب النزعة الصوفية ، كما أن المادة التاريخية فيه أقل من المصدرين السابقين، ولأن الكتاب أساسا وضع لتمحيص سيرة العلماء من رواة الحديث فإن المؤلف يسترسل في إيـراد الأحاديـث التـي رواهـا صـاحب الترجمة،فيطغى ذلك على مساحة المعلومات التي يقدمها الكتاب عن صاحب الترجمة ، ومع ذلك فقـد أفدت منه إفادة عظيمة في رصد أدوار عدد من العلماء في الحياة السياسية والاقتصادية ،ومـشاركتهم في فعليات الحياة العامة في العصر العباسي الأول .

تاريخ مدينة دمشق . لابن عساكر علي بن الحسين بن هبة الله ت ـ ٥٧١ هـ / ١١٧٥ م :

حققه سكينة الشهابي ، عبد الغني الدقر ، نشره مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م ، لعل هذا الكتاب بطبعته الأخيرة التي أتيح لي الإطلاع عليها من أشـمل كتـب التـراجم وأكثرها وفرة بالمادة التاريخية عن العلماء ، فهو يأتي في سبعين جزء ، وبالرغم مما يتبـادر إلـى الذهن من قراءة العنوان أن الكتاب يقتصر على تاريخ مدينة دمشق ، الأ أنه بمجرد فحـص الكتـاب يتبين أنه يشتمل على رصد مكثف للسير الذاتية لمن قطن من العلماء والأعلام في دمشق ولكـل مـن قدمها ومكث بها ولو لمدة يسيرة ، وقد أطلعني على الكثير من الفعاليات اليومية للعلماء ممن ترجم لهم فيه ، وربما أتاح لمؤلفه ابن عساكر تأخره نسبيا جمع كثيرا مما اشتملت عليه كتب التراجم التي أتت قبله، وما يميزه إلى جانب كثافة المادة التاريخية دقتها ومصداقيتها ، فهي لا تقدم في سياق تـاريخي، الأمر الذي يزيد في أهمية وثقة المادة التاريخية التي اشتمل عليها الكتاب عن حياة العلماء في العـصر العباسي الأول .

الطبقات الكبرى . لابن سعد. محمد بن سعد بن منيع ، ت ـ ٢٣٠ هـ / ٨٤٥ م :

حققه إحسان عباس ، ونشرته دار صادر ببيروت ، وهو من المصادر المعاصرة للعصر العباسي الأول إلا أن المادة التي يقدمها الكتاب عن العلماء في العصر العباسي الأول ، تتسم بالشحة والندرة ، والكتاب يقسم أجيال الأمة إلى طبقات متتالية ، تبدا بالصحابة ، ثم التابعين ، ويقسم التابعين إلى أربـع طبقات بحسب تاريخ الوفاة ، تبدأ بالطبقة الأولى وحتى الطبقة الرابعة ، ثم يـأتي تـابعو التـابعين ، ويبدأون من الطبقة الخامسة وحتى الطبقة الثامنة ، ومن الملاحظ أن الكتاب يعطينا إنطباعا أن العلماء كانوا يقلون بمرور الزمن في الأقاليم ويزيدون في مركز الدولة بغداد ، حتى أن الطبقات الأخيرة مـن تابعي التابعين تكاد تختفي في مدن مثل المدينة ومكة ، والتي كانت تحفل بالصحابة وبالتابعين ، وقـد أفدت منه في تصنيف العلماء في العصر العباسي الأول ، الذين عرفوا أيضا بتـابعي التـابعين، إلـى خمسة طبقات متمايزة تبدأ بالطبقة الخامسة وتنتهي بالطبقة الثامنة حسب تصنيف الكتاب .

صفة الصفوة . لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي تـ (٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م) :

حققه إبراهيم رمضان وسعيد اللحام ، ونشرته دار الكتب العلمية ببيروت ، سنة ١٤٠٩/ ١٩٣٩ م ، والكتاب إلى جانب كونه أحد كتب التراجم ، إلا أنه أيضا، من كتب الرقائق والمـواعظ ،إذ أنـه أورد سير العلماء وغيرهم من الأخيار لتقتدي بهم أجيال الأمة المتعاقبة ، وقد قسم العلمـاء إلـى طبقـات متتالية، وصنف كل طبقة بحسب الأمصار التي تنتمي إليها ، وقد زودني الكتاب بمعلومات قيمة عـن حياة العلماء الشخصية ، وعن دور البعض منهم في الحياة السياسية والاقتصادية في العصر العباسـي الأول .

وفيات الأعيان . لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد المعروف بابن خلكان تـ ٦٨١هـ /١٢٨٢م.

حققه إحسان عباس ، ونشرته دار الثقافة ، ببيروت .

تهذيب الكمال في أسماء الرجال . لجمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي تـ ٧٤٢ هـ / ١٣٤١ م :

حققه بشار عواد معروف ، ونشرته مؤسسة الرسالة بيروت في سنة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨ م .

مشاهير علماء الأمصار . لمحمد بن حبان البستي تـ سنة ٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م :

نشرته دار الكتب العلمية ببيروت ، يعرض الكتاب تراجم لأعلام الإسلام منذ جيل الصحابة وحتى عصر المؤلف ، مصنفة حسب الأمصار ، وإن اتسمت مادته بالشح ، فهو يقدم نبذا مختـصرة لحيـاة المترجم لهم لا تكاد تشبع نهم الباحث ، ومع ذلك فالكتاب لا يخلوا من فائدة .

مناقب الإمام أحمد بن حنبل . لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ت- ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م .

حققه سعد كريم الفقي ، نشرته دار ابن خلدون ، بالإسكندرية ، يقدم الكتاب ترجمة شاملة للإمام أحمد ابن حنبل ، وقد أفدت منه كثيرا لاسيما في موضوع دور الإمام أحمد في مواجهة القول بخلق القرآن ، وفي تعامله مع الخلفاء العباسيين .

مناقب الإمامين الليثي والشافعي . لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت- ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨م .

حققه محمد منير عبد اللطيف ، نشرته مكتبة فيصل ، بالقاهرة ، يتناول الكتاب كما هو واضح من عنوانه ترجمة لعلمين من أعلام العلماء في العصر العباسي الأول ، يبدأ فيه بالحديث عن نشأتهما وطلبهما للعلم ، ومكانتهما بين العلماء في عصرهما ، وجهودهما العملية والنظرية في تعميق مجرى الفقه الإسلامي ، كما يقدم صورا من حياتهما الشخصية .

مناقب الشافعي . لأحمد بن الحسين البيهقي ت- ٤٥٨ هـ / ١٠٦٦ م .

حققه السيد أحمد صقر ، نشرته دار التراث ، بالقاهرة ، سنة ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م .

مناقب الإمام الشافعي . لأبي عبد الله فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين ت- ٦٠٦هـ / ١٢٠٩ م.

كتب التاريخ العام :

تاريخ الأمم والملوك . لمحمد بن جرير الطبري ت- ٣٢٠ هـ / ٩٢٢ م :

حققه نخبة من العلماء الأجلاء ، ونشرته مكتبة الاستقامة بالقاهرة ، سنة ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩ م . وهو مصدر تاريخي غني عن التعريف، فهو عمدة مصادر التاريخ الإسلامي ، وما يميزه في هذا الصدد أنه المصدر القريب من الأحداث ، وقد أفادت الدراسة منه في تتبع جل أحداث العصر العباسي الأول خصوصا فيما يتعلق بالخلفاء ، وما يميز طريقته الحولية في إيراد أحداث التاريخ ،أنه يضعها في إطارها الزمني ، وإن كان يخل بالوحدة الموضوعية للحدث .

تاريخ خليفة بن خياط . لخليفة بن خياط بن هبيرة العصفري ت- ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م .

حققه مصطفى نجيب فؤاد ، ونشرته دار الكتب العلمية ، ببيروت ، سنة ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م .

لعل أهمية الكتاب هنا تأتي من كون مؤلفه معاصر لكثير مـن أحـداث العـصر العباسـي الأول ، والكتاب يقدم قوائم بأسماء القضاة لعدد من خلفاء العصر العباسي الأول ، ولذلك فقد أفدت منـه فـي موضوع معالجة مشاركة العلماء في أجهزة الدولة في العصر العباسي الأول .

الإمامة والسيا سة . لعبد الله بن مسلم المعروف بابن قتيبة الدينوري ت ـ ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م ،

حققه علي شيري ، ونشرته دار الأضواء ببيروت ، سنة ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م .

وبالرغم مما يقال في نسبة الكتاب إلى ابن قتيبة ، فقد أفدت منه فيما يتعلق بمواعظ العلماء للخلفاء، إذ يشتمل الكتاب على حشد كبير من الروايات التي ترصد لقاءات العلماء بالخلفاء وما كان يحدث فيها، كما أفدت منه في تتبع مراحل الثورة العباسية وما دار فيها من أحداث،وإن كان يبالغ في بعضها .

مقدمة ابن خلدون . لعبد الرحمن بن محمد الحضرمي ت ـ ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م .

نشرته دار إحياء التراث العربي ، ببيروت ، وقد أفدت من الكتاب فيما يتعلـق بمعالجـة مواقـف العلماء من الفتن ، ومشاركتهم في إخماد بعض التمردات ، وفي مناقشاته للعوامل المؤثرة في تبـادل السلطة ، وعلى ما يعتري المجتمع من تبدلات .

البـداية والنهـايـة . لأبن كثير . عماد الدين إسماعيل بن عمر أبو الفداء ت ـ ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م .

نشرته مكتبة المعارف ببيروت ، سنة ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م .

وهو مصدر تاريخي معروف ، وقد أفدت منه في تقصي بعض الروايات التي تتحدث عـن مواقـف للعلماء مع الخلفاء ، سواء في وعظهم أم في الإنكار عليهم بعض سياساتهم .

مـروج الذهـب . لأبي الحسن علي بن الحسين المسعودي ت ـ ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م .

حققه محمد محي الدين عبد الحميد ، نشرته المكتبة العصرية ببيروت ، سنة ١٤٠٨ هـ /١٩٨٨ م .

من المصادر التاريخية التي أفدت منها في الحديث عن مواجهة الدولة العباسية للخارجين عليهـا مـن العلويين ، بالإضافة إلى أحداث الثورة العباسية ،وأساليب تعامل العباسيين مع الأمويين .

العيون والحدائق في الأخبار والحقائق . لمؤلف مجهول، نسخه حسن الفارقي ،وهو مخطوط بمعهـد المخطوطات العربية بالقاهرة برقم ١١٤٧ تاريخ ،كما عثرت على نسخة مطبوعة منه فـي المكتبـة المركزية بجامعة القاهرة، دون تحقيق ،فضلا عن أنها في حالة رديئة،وقد أفدت منه كثيرا فيما أورده من معلومات عن العلماء في العصر العباسي الأول .

كتب الفكر السياسي الإسلامي :

السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية. لأبي العباس أحمد بن تيمية ت- ٧٢٨هـ- /١٣٢٨م . حققه محمد إبراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور ، ونشرته دار الشعب بالقاهرة ، ١٣٩١هـ-/١٩٧١م ، يتحدث الكتاب عن الولايات السياسية والمالية في الإسلام، مبينا ، أهميتها وشروطها ، كما يشتمل على نماذج من تعامل العلماء مع الحكام ، وقد عرض الكتاب صورا من تعامل العلماء مـع الخلفـاء فـي العصر العباسي الأول .

نهج السلوك إلى معرفة سير الخلفاء والملوك . لمحمد بن النعمان الكناني ت- ١٠٤٤هـ- / ١٦٣٤م. وهو مخطوط بمكتبة الأوقاف بالجامع الكبير في صنعاء ، برقم ٢١٦٠ ، تاريخ .

والمخطوط عبارة عن مواعظ مجموعة لعدد من العلماء توجهوا بها للخلفاء والأمـراء ، ابتـدا مـن عصر الخلفاء الراشدين وحتى عصر المؤلف وإن كان يركز أكثر على مواعظ العلماء للخلفـاء فـي القرون الثلاثة القرون الأولى ، وقد أفدت منه في رصد أدوار بعض العلماء في توجيه سياسة الخلفـاء في العصر العباسي الأول .

تنوير بصائر المقلدين بـذكر مناقـب الأئمـة المجتهـدين . لمرعـي بـن يوسـف الحنبلـي ت- ١٠٣٣هـ-/١٦٢٣ م ، وهو مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٢٣٩٨ ، تـاريخ ، رقـم ميكـروفيلم ٣٥٧٨٢ ، والكتاب عبارة عن مواعظ ونصائح من العلماء للخلفاء جمعها المؤلف ، وربما كان يسديها لأحد معاصريه من الملوك ، وقد أفدت منه كثيرا في تقصي مواقف العلماء من سياسة الخلفـاء فـي العصر العباسي الأول ، ودورهم في توجيهها .

رسالة في تبعيد العلماء عن أبواب الأمراء الظلماء . لملا علي بن سلطان بن محمد القاري ت- سـنة ١٠١٤ هـ- / ١٦٠٦ م ، وهو عبارة عن مخطوط مصور بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة ، برقم ١٨٥ ، تصوف ، جمع فيه مؤلفه توجيهات العلماء لأقرانهم منذ القرن الأول الهجري ، حتى عـصر المؤلف باعتزال الحكام ، وقد أفدت منه في معالجة موضوع موقف العلماء في العصر العباسي الأول من إتيان الخلفاء والقدوم عليهم .

العسجد المسبوك فيمن تولى اليمن من الملوك . لعلي بن حسن الخزرجي ت ٨١٣ هـ - /١٤١٠م ، مخطوط بمكتبة الجامع الكبير في صنعاء (المكتبة الغربية) برقم ٢٥٨٤ ، ويتناول الكتاب سير ولاة اليمن في ظل الإسلام منذ القرن الأول الهجري ، وقد أفدت منه في بيان موقف العلماء في اليمن من بعض المخالفات التي وقع فيها بعض الولاة في العصر العباسي الأول .

كتاب النصح في الدين ومأرب القاصدين في مواعظ الملوك والسلاطين . لمحمد بن أبي بكر المعروف بابن المبارك ت ٦٠٥ هـ / ١٢٠٨ م ، وهو عبارة عن مواعظ ونصائح من العلماء للخلفاء والأمراء .

حسن السلوك الحافظ لدولة الملوك . لمحمد بن محمد بن عبد الكريم الموصلي الشافعي ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م ، حققه الدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد ، ونشرته مؤسسة شباب الجامعة ، بالإسكندرية ، والكتاب يبدأ ببيان أهمية الحكام ووجوب تنصيب السلطان ، كما يتناول الشروط الواجبة لاختيار الخلفاء ، كما يشتمل على توجيهات العلماء للخلفاء والأمراء ، وقد أفدت منه في معالجة مجمل هذه الموضوعات في العصر العباسي الأول .

كتب الفقه :

الأحكام السلطانية . لأبي الحسن بن محمد بن حبيب الماوردي البصري ت ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م . حققه عماد زكي البارودي ، ونشرته المكتبة التوفيقية ، بالقاهرة .

وقد أفدت من الكتاب فيما يخص الولايات السياسية والإدارية ، في منشأها وأهميتها والشروط الواجب توفرها لدى القائمين بها ، مثل الإمامة والوزارة والولاية والقضاء ، فضلا عن مناقشة الكتاب لأحكام الخراج والوظائف المالية الأخرى ، موضحا أراء العلماء ، وتخريجاتهم الفقهية ، فيها ، وإن كان يتبنى وجهة النظر الشافعية في ذلك .

الأحكام السلطانية . لمحمد بن الحسين الفراء المكنى والمعروف بأبي يعلى ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٦م . حققه محمد حامد الفقي ، نشرته دار الكتب العلمية ببيروت ، سنة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

لأيختلف كثيرا عن كتاب الماوردي ، وإن كان مؤلفه يميل إلى المذهب الحنبلي ، ويركز على أراء الإمام أحمد بن حنبل .

الأم . لمحمد بن إدريس الشافعي المتوفى سنة ٢٠٤ هـ / ٨١٩ م .
نشرته دار الكتب المصرية ، بالقاهرة ، سنة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م ، وهو كتاب جامع لأراء الإمـام الشافعي وتخريجاته الفقهية ، وقد أفدت منه في تقصي مواقف الشافعي من متغيرات الحياة الـسياسية والإقتصادية ، بوصفه أحد كبار العلماء في العصر العباسي الأول .
موطأ الإمام مالك . لمالك بن أنس بن أبي عامر الأصبحي ت ١٧٩ هـ / ٧٩٥ م .
حققه عبد الوهاب عبد اللطيف ، ونشرته دار القلم ، ببيروت . أفدت من الكتاب في رصد أراء الإمـام مالك من القضايا السياسية والإقتصادية ، مثل الخروج على الدولة ، والجهاد ، والزكاة فـضلا عـن التعاملات المالية مع أهل الذمة من جزية وخراج .
كتاب الخراج . ليعقوب بن إبراهيم المعروف بأبي يوسف القاضي ت ١٨٢هـ /٧٩٨ م .
نشرته المطبعة السلفية (قصي محب الدين الخطيب) ، القاهرة ، سنة ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م .
تأتي أهمية هذا الكتاب من أكثر من ناحية ، فهو أولا مصدر معاصر للعصر العباسي الأول ، ومؤلفه أبو يوسف أحد كبار العلماء ، إذ يطلعنا على موقفه من الأحداث السياسية والمتغيـرات الاقتـصادية ، فضلا عن أن الكتاب أتى استجابة من أبي يوسف لطلب هارون الرشيد ليضع له إطارا نظريا لسياسته إزاء المتغيرات السياسية والإقتصادية ، ولذلك فقد استفدت منه كثيرا ، وهو يتبنى اراء أبي حنيفـة إذ كان أبويوسف أحد تلاميذه .
كتاب الأموال . لأبي عبيد القاسم بن سلام ت ٢٢٤هـ / ٨٣٩ م .
حققه عبد الأمير مهنّا ، نشرته دار الحداثة ، ببيروت ، أحد المصادر المعاصـرة للعـصر العباسـي الأول ، وهومع ذلك لأحد العلماء المعدودين في العصر العباسي الأول ، فقد أفدت منـه فـي رصـد مواقف أبي عبيد من القضايا السياسية والإقتصادية في عصره ، واستفدت منه أكثر في معالجـة أدوار العلماء في الحياة الإقتصادية .

كتب الفتـوح :

فتوح البلدان . لأبي العباس أحمد بن يحيى بن جابر البلاذرى ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢ م .

حققه عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع ، نشرته مؤسسة الرسالة ، ببيروت ، سنة ١٤٠٧ هـ /١٩٨٧م ، وهو من المصادر القريبة من أحداث العصر العباسي الأول يختص بفتوح البلدان ، وما يترتب عليها من أحكام وتعاملات سياسية واقتصادية، وتصنيفات للأرض إلى أرض صلح وأرض عنوة ، وأرض عشر .

كتاب الفتوح لإبي محمد أحمد بن أعثم الكوفي ت ٣١٤ هـ / ٩٢٦ م .

نشرته دار الندوة الجديدة ، ببيروت ، يتتبع الكتاب فتوح الأمصار الإسلامية وما ترتب على طرائق الفتح من تعاملات مالية لهذه الأمصار كما يشتمل على أحداث الفتح ، فضلا عن رصده لأحداث الفتن الداخلية ، وقد أفدت منه في تحديد المعاهدات والمعاملات المالية للبلدان، وكذا فيما يخص أحداث الثورة العباسية .

فتوح مصر . لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أعين المعروف بإبن عبد الحكم المصري ت ٢١٤هـ / ٨٢٩ م .

نشرته مكتبة مدبولي ، بالقاهرة ، سنة ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م ، يعالج الكتاب طريقة فتح مصر ، كما يقدم تراجم لبعض تابعي التابعين من أهل مصر ممن عملوا في أجهزة الدولة وغيرهم، إلى جانب إيراد بعض الأحداث التاريخية التي شهدتها مصر في العصر العباسي الأول ، وقد أفدت منه في تتبع أدوار علماء مصر من تابعي التابعين في الحياة السياسية والإقتصادية في مصر .

كتب المواعظ والرقائق :

وهي الكتب التي اشتملت على المواعظ والنصائح التي كان يقدمها العلماء للحكام ، أولعامة الناس ، وكانوا يقومون بها ضمن دورهم في تصويب إنحرافات الحكام والمجتمع ، جمعها بعض العلماء المتأخرين ، وقد أفدت منها كثيرا في استقصاء أدوار العلماء في الحياة السياسية والاقتصادية في العصر العباسي الأول ، ومنها :

تلبيس إبليس.لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن البغدادي المعروف بابن الجوزي ت ٥٩٧هـ / ١٢٠١ م .

نشرته مؤسسة الكتب الثقافية ، ببيروت ، سنة ١٢١٧ هـ / ١٩٩٧ م .

إحياء علوم الدين . لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي ت ـ ٥٠٥هـ / ١١١١ م .
حققه محمد عبد الملك الزغبي ، نشرته مكتبة فياض ، بالمنصورة .
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. لأبي بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال ت ـ ٣١١هـ/٩٢٣م.
حققه عبد القادر أحمد عطا ، ونشرته دار الإعتصام ، بالقاهرة ، سنة ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٤م .
روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار. لمحي الدين محمد بن القاسم بن يعقوب بن الخطيب ت ـ ٩٤٠ هـ / ١٥٣٤م.
نشرته المطبعة المصرية ببولاق ، القاهرة ، سنة ١٢٠٨ هـ / ١٨٦٣ م .
المحاسن والمساوئ . إبراهيم بن محمد كان يعيش زمن المقتدر العباسي .
حققه محمد أبو الفضل إبراهيم ، نشرته دار المعارف ، بالقاهرة .

كتب الملل والنحل :

الملل والنحل . لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني ت ـ ٥٤٨هـ / ١١٥٣ م .
ويشتمل الكتاب على معلومات عن نشأة الفرق الإسلامية ، وغير الإسلامية ، وقد أفدت منه في التعريف بالفرق الأسلامية وبالإتجاهات الفكرية التي ظهرت في العصر العباسي الأول وفيما قبله ، في إطار الحديث عن تقييم العلماء لهذه الفرق والإتجاهات الفكرية .
الفصل في الملل والنحل . لأبي محمد علي بن أحمد الظاهري المعروف بابن حزم ت ـ ٤٥٦هـ / ١٠٦٤ م .حققه محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة ، ونشرته دار الجيل ، ببيروت .
الرد على الزنادقة والجهمية . لأحمد بن حنبل الشيباني ت ـ ٢٤١ هـ / ٨٥٥ م .
حققه محمد حسن راشد ، ونشرته المطبعة السلفية ، بالقاهرة ، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م . وهو جهد قام به أحمد بن حنبل لتبيين منشأ الزندقة وحقيقتها وأبعادها ، وخطورتها ، فبين أنها امتداد للديانات الفارسية القديمة ومحاولة لخلطها بقيم الإسلام ، وهي لذلك خروج عن الإسلام ، وأنها تستهدف المجتمع المسلم في عقيدته وشريعته وقيمه ، وقد أفدت منه في معالجة موضوع موقف العلماء من حركة الزندقة ، والمعتزلة ، ويزيد من أهمية المصدر أن مؤلفه كان أبرز العلماء الذين تناولتهم الدراسة ، وأكثرهم مواجهة لكل من الزنادقة والمعتزلة .

كتب الحديث :

صحيح البخاري . لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي البخاري ت. ٢٥٦ هـ / ٨٧٠ م .

حققه مصطفى ديب البغا ، ونشرته دار ابن كثير ، ببيروت ، سنة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧ م ، وصحيح البخاري غني عن التعريف فهو أصح كتاب بعد كتاب الله ، وافاد منه الباحث في تخريج عدد من الأحاديث النبوية التي استشهد بها العلماء في العصر العباسي الأول إزاء ما كان يواجههم من أحداث وقضايا سياسية وإقتصادية أو التي استشهد بها الباحث في أتون هذه الدراسة .

صحيح مسلم . لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ت. ٢٦١ هـ / ٨٧٥ م .

حققه محمد فؤاد عبد الباقي ، ونشرته دار إحياء التراث العربي ، ببيروت . وهو أحد الصحيحين في الحديث ، وقد أفاد منه البحث في تخريج الأحاديث النبوية ، وكذا في الاستشهاد ببعض الأحاديث في القضايا السياسية والاقتصادية التي تناولتها الدراسة .

كتب الجغرافيا والرحلات :

معجم البلدان . لأبي عبد الله شهاب الدين ياقوت الحموي ت. ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م .

حققه فريد عبد العزيز الجندي ، ونشرته دار الكتب العلمية ، ببيروت ، سنة ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠م .وقد أفدت من الكتاب في التعريف بالمدن والمواقع التي وردت في الدراسة .

نشرته مؤسسة ناصر للثقافة ، بيروت ، سنة ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم . لمحمد بن أحمد المقدسي ت. ٣٩٠هـ / ١٠٠٠م .

حققه غازي طليمان ، ونشرته وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، بدمشق ، سنة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠ م. وهو من معاجم البلدان، أفدت منه في التعريف ببعض المدن والقرى والمواقع التي اشتملت عليه الدراسة .

كتب اللغة :

لسان العرب . لمحمد بن مكرم بن منظور ت. ٧١١هـ/ ١٣١١م .

حققه عبد الله علي الكبير وآخرين ، نشرته دار المعارف ، بالقاهرة ، سنة ١٣٠٠ هـ / ١٨٨٢ م ، أفدت منه في التعريف بكثير من الألفاظ والمصطلحات التي وردت في الدراسة .

كما أفاد البحث من عدد من المراجع الحديثة :

وصايا ومواعظ العلماء للأمراء . لخالد سيد علي ، نشرته مكتبة دار التراث بيـروت ، سـنة ١٢١٠ هـ / ١٩٩٠ م ، والكتاب يجمع عددا كبيرا من مواعظ العلماء وتوجيهاتهم للخلفاء وللأمـراء ، وقـد أفدت منه في أنه وجهني إلى المصادر الأصلية حيث تتبعت الروايات التي أوردتها .

الإمام الأوزاعي فقيه أهل الشام . لعبد العزيز سيد الأهل ، نشره المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، سنة ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م ، يتناول الكتاب سيرة الإمام الأوزاعي عالم الشام ، وقد أتاح لي الإطلاع عليه تكوين صورة أولية عن هذا العالم ، ووجهني إلى المصادر التي اشتملت علـى تـراجم للأوزاعي .

السلم في العلاقات العباسية البيزنطية في العصر العباسي الأول . لنادية حسين صقر ، نشرته المكتبة الفيصلية بمكة المكرمة ، سنة ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م ، وهي عبارة عن رسالة ماجستير تناولت فترات السلم التي كانت تعقب توقيع المعاهدات بين المسلمين والبيزنطيين ، وقد أفدت منه فـي مناقـشة دور العلماء في السياسة الخارجية للدولة العباسية في عصرها الأول ، ودورهم في التخريجات الفقهية التي تعتمد عليها الدولة في تعاملها مع غيرها في أوقات الحرب والسلم .

الصلات الدبلوماطيقية بين هارون الرشيد وشارلمان . لمجيد خدوري ، نشرته مكتبة التفيض الأهلية ببغداد . وهو عبارة عن كتيب صغير يتحدث عن العلاقات الدبلوماسية بين الرشيد وشـارلمان ، وقـد أفدت منه في مناقشة ما ذكر عن هذه العلاقة .

دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثـاني الهجـريين . لأحمـد إبـراهيم الشريف ، نشرته دار الفكر العربي ، في القاهرة سنة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨ م . ويتناول الكتاب الحركات الخارجة في الحجاز على كل من الأمويين والعباسيين ، وقد أفدت منه في مناقشاته لحركة محمد النفس الزكية ، وعن موقف العلماء منها .

النزاع بين أفراد البيت الأموي ودوره في سقوط الخلافة الأموية . لريـاض عيـسى ، نـشرته دار حسان ،دمشق ، سنة ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م . يتناول الكتاب أثر النزاع بين الأمراء الأمـويين علـى الخلافة في سقوط الدولة الأموية ، وقد أفدت منه في معالجة العوامل التـي مكّنـت للعباسـيين مـن الأمويين وساعدت على نجاحهم .

مفهوم العلماء:

من المهم قبل الخوض في هذه الدراسة التعريف بالمصطلحين اللذين كونا عنوانها، وبيان دلالتهما وأبعادهما، وهما العلماء، والعصر العباسي الأول.

فالعلماء[١] جمع عالم، وعالم من لا يقول إلا علما وعلماء كحلماء، لأن العلم محلمة لصاحبه فهو ضد الجهل ونقيضه، ونقول علاّم وعلاّمة إذا بالغنا في وصفه بالعلم، وعلمت الشيء أعلمه علما إذا عرفته، وعلم وفقه إذا تعلم وتفقه[٢].

وقد بين القرآن الكريم أهمية العلم والعلماء، في كثير من آياته، فأثنى على المتصفين به في غير آية من القرآن الكريم، ووصف أولئك الذين كرسوا حياتهم لتحصيل العلوم الدينية، الذين جهدوا أنفسهم في تحصيلها بحثا وتمحيصا وتدقيقا وتحرياً بالعلماء، مشيرا إلى أنهم أكثر من

---

(١) سمى الإسلام الذين تخصصوا في العلوم الدينية بالعلماء ، وهو مصطلح له أبعاده ودلالاته التي يفهمها المسلم، وهو يختلف تماما عن اصطلاح رجال الدين ، الذي أطلقه الغربيون في ظروف تاريخية خاصة بهم ، على القساوسة والأساقفة والرهبان ، وصفا لهم وتقريرا لواقعهم ، إبان عصر النهضة الأوربية ، وتحت تأثير الثورة الفكرية التي اجتاحت أوربا تطالب بالاصطلاح الديني والتحرر من سيطرة الكنيسة ورجالها ، بعد أن استخدموا الدين مطية لأطماعهم وأغراضهم ، وأصبح الدين محصورا في الكنيسة ، ومختزلا في جماعة من الناس عرفوا برجال الدين ، أما الإسلام فليس فيه رجال دين ، ولا رجال دنيا ، فكل مسلم هو رجل من رجال الإسلام ، ومن يعتقد الإسلام سمي مسلماً، ومطالب بكل الالتزامات الدينية، والجميع أمام الإسلام سواء في التكليف، لا كما يحلو للبعض من وسم العلماء برجال الدين – جريا وراء المصطلحات الغربية ، لما فيه من خلط وإسقاطات.

(٢) ابن منظور: لسان العرب، تقديم: عبد الله على الكبير وآخرين، دار المعارف، القاهرة (د.ت)، جـ٤، ص٣٨٣.

سواهم أهلية، بما علموا، لفهم الدين وخشية الله تعالى حق خشيته، فقال تعالى : "إنما يخشى الله من عباده العلماء"[١]، وقال تعالى:"شهد الله أنه لا إله إلاهو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط"[٢]، وقال عز وجل: "وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا"[٣].

بل أن مصطلح العلمـاء تردد كثيرا على لسـان النبي صلى الله عليه وسلم: وهو يتحدث عمن يأتون من بعده ، ممن يحملون الدين إلى أجيال الأمة، ويقومون به، وينافحون عنه، أولئك الذين سخَّروا حياتهم وذللوا أنفسهم للعلم، رفعوه فرفع شأنهم، فقال صلى الله عليه وسلم: "إن العلماء هم ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورّثوا دينارا ولا درهما، إنما ورَّثوا العلم فمن أخذه، أخذ بحظ وافر"[٤]، وورد لفظ العلماء، كذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: "إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء"[٥]، بل وأشار إلى تابعي التابعين من العلماء الذين عاصروا العصر العباسي الأول بجلاء حينما قال صلى الله عليه وسلم: "يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل فلا يجدون أحدا أعلم من عالم المدينة "[٦]، في إشارة إلى "مالك بن

(١) فاطر: الآية ٢٨.

(٢) آل عمران: الآية ١٨.

(٣) آل عمران: الآية ٧.

(٤) رواه ابن ماجة في سننه : كتاب العلم ، باب الحث على طلب العلـم ، حديث رقم (٣٦٤١) ، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد ، المطبعة العصرية ، بيروت ، جـ ٣ ، ص ٣١٧.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن آخر الزمان، دار إحيـاء التراث العربي، بيروت، ط٣، (د.ت)، جـ١٦، ص ٢٢٣؛ ابن ماجه في سننه: المقدمة، باب اجتناب الـرأي والقياس، حديث رقم (٥٢)، جـ ١، ص٢٠.

(٦) رواه الترمذي في سننه : كتـاب العلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في عـالم المدينـة، حديث رقم (٢٦٨٠) ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرين ، دار إحياء التـراث العربي ، بيروت ، جـ ٥ ، ص ٤٧ .

أنس"[١]، فقد تأول التابعون وتابعو التابعين أن " الإمام مالك " هو المقصود بهذا الحديث، فقال سفيان بن عيينة [٢]: "كانوا يرونه (يقصد مالك) عالم المدينة"[٣].

وكان مصطلح العلماء متداولا في العصر العباسي الأول يوصف به المشتغلون بالعلوم الدينية مثل الحديث والفقه والتفسير المغازي والسير واللغة ، المتعمقون فيها ، وصفهم به معاصروهم وأقرانهم، فهذا المثنى بن الصباح [٤] يصف سفيان

---

(١) مالك بن أنس بن مالك الأصبيحى، نسبة إلى ذي أصبح، من حمير، وهي قبيلة كبيرة باليمن، أحد كبار تابعي التابعين، وواسطة عقد العلماء في العصر العباسي الأول، فهو إمام العلماء ومفتي مدينة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، كان أبوه من صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ومن أشهر رواة حديثه، له مصنفات عدة، لعل أهمها الموطأ، توفى بالمدينة سنة (١٧٩هـ / ٧٩٥م) ، خليفة بن خياط: الطبقات، حققه: د. أكرم ضيا العمري، دار طيبة، الرياض، ط٢، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م؛ أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م ، جـ ٦، ص ص ٣٤٥-٣٩٢؛ ابن الجوزي، صفة الصفوة ، تحقيق : إبراهيم رمضان وسعيد اللحام ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م ، جـ٢، ص ص ١٢٠-١٢١؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، (د.ت)، جـ٤، ص ص ١٢٧،١٢٨.

(٢) سفيان بن عيينة بن أبي عمران، يكنى بأبي محمد، كوفي الأصل، مكي الموطن والمسكن، أحد كبار تابعي التابعين، ومن أجل العلماء، التقى بعدد من التابعين، أمثال الزهيرى وأبى إسحاق السبيعى، وكان سبب انتقاله إلى مكة، أن أباه عيينة كان من عمال بنى أمية، الذين طلبوا من العباسيين، فتوارى عنهم في مكة، توفى سفيان سنة (١٩٨هـ / ٨١٤م)، وقد جاوز التسعين ، ابن الجوزى: صفة الصفوة، جـ ٢، ص ص ١٥٤-١٥٨؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٢، ص ص ٣٩١ ، ٣٩٣، الجندي:السلوك في طبقات العلماء والملوك، تحقيق: محمد بن علي بن الحسين الأكوع، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء، (د.ت)، جـ١، ص ص ١٨١،١٨٢.

(٣) مالك بن أنس، موطأ الإمام مالك، رواية: محمد بن الحسن الشيباني، حققه: عبد الوهاب عبد اللطيف، دار العلم، بيروت، ط١، (د.ت)، ص ١١.

(٤) المثنى بن الصباح، اليماني ثم المكي، من الأبناء باليمن، من جل العلماء غلب عليه الحديث، كان من العباد، توفي بمكة، الزركلي: الأعلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٧، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، جـ٥، ص ٢٧٦.

الثـوري[1] بالعالم في قوله: "سفيان عالم الأمة وعابدها"[2]، وقال عبد الله بن المبارك[3]، وهو من أقران سفيان الثوري، وأحد كبار العلماء "أعلمهم بالعلم سفيان"[4] ، بل لقد عده أعلم أهل عصره ، حيث قال: "ما أعلم على الأرض أعلم من سفيان الثوري"[5].

وكانت حياة هؤلاء العلماء عبارة عن بحث دائم وترحال مستمر وعمل دائب لجمع العلوم الدينية وتحقيقها، وأعمال الفكر والجهد فيها لاستنباط منها ما يوافق الزمان والمكان وجزئيات

---

(١) سفيان بن سعيد الثوري، يكنى بأبي عبد الله، من تابعي تابعي أهل الكوفة، وأحد كبار العلمـاء فـي العـصر العباسي الأول، كان له مواقف مناوئة لبنى العباس، فرفض العمل لهم، واستخفى عن المنصور وعن المهدي، حتى توفي مستخفيا عن المهدي بالبصرة سنة (١٦١هـ/ ٧٧٨م) ، ابن حبان: مـشاهير علمـاء الأمـصار، صححه: م. فلايشهمر، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، ص١٦٩ ، ١٧٠، إحياء علـوم الـدين، تحقيـق: محمد عبد الملك الزغبي، مكتبة فياض، المنصورة،(د.ت)، جـ٢، ص ص ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، الكناني محمد بـن عراف: نهج السلوك إلى معرفة سير الخلفاء والملوك ، مخطوط بمكتبة الأوقاف بالجامع الكبيـر، صـنعاء، برقم (٢١٦٠) مجاميع، ص ٢٥٢، أبو نعيم: حلية الأولياء، جـ٦، ص ص ٣٩٥ ، ٤١١، ابن خلكان، وفيات الأعيان، جـ٢، ص ٣٩١.

(٢) أبو نعيم، حلية الأولياء، جـ٦، ص٣٩٤.

(٣) عبد الله بن المبارك المروذي ، من مرو بخراسان ، أحد كبار تابعي التابعين ، وأحد أئمـة العلمـاء ، أثنـى عليه معاصروه ، كان إلى جانب اهتماماته العلمية، كثير التردد على الثغور، ومشاركا في الجهـاد ، بلـسانه وسيفه ، وكان حظيا لدى الرشيد حتى أن الرشيد استقبل العزاء فيه عند وفاته ، بالرغم مـن جفوتـه إيـاه ، توفي منصرفا من الغزو بهيت على الفرات شمال العراق سنة (١٨١هـ/ ٧٩٦م) ، ابن سـعد : الطبقـات الكبرى ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر، بيروت ، (د.ت) ، جـ٧، ص٣٧٢ ، ابن حبان : مـشاهير علماء الأمصار ، ص ١٩٥ ، أبو نعيم، حلية الأولياء ، جـ ٨ ، ص ١٧٢ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق : سكينة الشهابي و عبد الغني الدقر ، مجمع اللغة العربية، دمشق ، (د.ت) ، جـ٣٨ ، ص ٣٠٧ ، عبد المجيد المحتسب: عبد الله بن المبارك، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، عمـان، ط١، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م ص٧.

(٤) أبو نعيم، حلية الأولياء، جـ٦، ص ٣٩٨.

(٥) المصدر نفسه، ص ٣٩٥.

الحياة وكلياتها، من أحكام واجتهادات، وهم الذين يقرأون ويعون قوله تعالى : "فإذا فرغت فانصب"(١).

وكان بينهم كبار العلماء أئمة المذاهب الفقهية المعروفة، وغيرهم من كبار العلماء ممن لا يقلون شأنا ودورا عنهم، وقد مثلوا القنطرة التي انتقل عبرها دين الأمة، بعقيدته وشريعته وقيمه وآدابه من جيل التابعين إلى أجيال الأمة المتعاقبة، بعد أن أشبعوها باجتهاداتهم وتخريجاتهم.

إذا فتناولنا للعلماء هنا تناول وفق مدلول المصطلح في عصر الدراسة، العصر العباسي الأول، إذ إن كل ما وقع في أيدينا من معطيات وقرائن تاريخية يشير إلى أن المقصود بالعلماء في العصر العباسي الأول،على الأقل، هم المشتغلون بالعلوم الدينية، الذين أفنوا حياتهم في تحصيل هذه العلوم، حتى بلغوا مرتبة الاجتهاد فيها، ثم جهدوا أنفسهم في استقصائها وتمحيصها واستنباط الأحكام الفقهية منها، وتكييفها مع مُتغيرات الزمان والمكان، وليس بأبعاد المصطلح المعاصر للعلماء الذي ينسحب أيضا على المشتغلين بشتى العلوم الطبيعية والاجتماعية، وغيرها، فلم يطلق على المشتغلين بالطب مثلا في العصر العباسي الأول علماء وإنما عُرفوا بالأطباء، كما لم يطلق مصطلح العلماء على أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم، وإنما عُرفوا بأهل الأهواء، وأهل الكلام، كما لم يطلق على الرافضة، فمصطلح العلماء في العصر العباسي الأول قصر على المشتغلين بالعلوم الدينية خصوصا الذين بلغوا درجة الاجتهاد فيها، ورجع الناس إليهم في شئون دينهم ودنياهم التي كانت تدار بالدين.

كما أننا في تناولنا للعلماء في العصر العباسي الأول سوف نتدرج في هذا التناول بحسب كثافة هؤلاء العلماء في الأمصار الإسلامية، وتبعا لمدى تأثيرهم في الحياة السياسية والاقتصادية، وحضورهم في مجرياتهما، ولذلك فمن المسلم به أن تكون المشاركة أكبر والحضور أكثر كثافة في بغداد، ثم في المدينة، فالبصرة والكوفة، ثم في مكة وخراسان فالشام فمصر، فاليمن، ثم تقل

---

(١) الشرح ، الآية : ٧ .

المشاركة في المغرب، وعليه فمعايير التناول لأدوار العلماء في الأمصار الإسلامية تبعا للدور السياسي والديني لهذه لأمصارهم، ووفقا لأهميتها بالنسبة للدولة ، وبحسب درجة الاحتكاك بين الدولة وبين هذه الأمصار.

وإذا ما اتبعنا منهج كتب الطبقات في تصنيف العلماء في العصر العباسي الأول ، فإننا سنجد أنفسنا إزاء أربع طبقات تبدأ بالطبقة الخامسة ، وتنتهي بالطبقة الثامنة ، وفق هذا التصنيف ،رغم التداخلات بين أفراد هذه الطبقات، والناشئة عن امتداد أعمار بعض أفراد الطبقة إلى الثمانين والتسعين سنة ، فيبدو أنه متأخر إذا ما نظرنا إلى تاريخ الوفاة، أو وفاة البعض في سن مبكرة ، فيترآى للباحث أنه من طبقة أسبق وهكذا ...، وهو ما حَرَمَنا من استخدام فواصل زمنية محددة للفصل بين أفراد كل طبقة (جيل) من هذه الطبقات .

وتشتمل الطبقة الأولى من تابعي التابعين على عدد من العلماء، كان منهم في بغداد، (هشام ابن عروة ت ١٤٦هـ/٧٦٣م)[١]،ومحمد بن إسحاق بن يسار ت(١٥١هـ/٧٦٨م)[٢]،ومحمدبن عبد الله بن المهاجر، ت (١٥٤هـ / ٧٧١م) [٣] ، وأبو معاوية النحوي، ت (١٦٤هـ /

---

(١) هشام بن عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد ، يكنى بأبي المنذر، كان أحد كبار العلماء ، أخذ عن بعض الصحابة أمثال عمه عبد الله بن الزبير، وفد على أبي جعفر المنصور ، فطابت له الإقامة بها ، فظل بها حتى توفي سنة (١٤٦هـ / ٧٦٣م) ، ودفن في مقابر الخيرزان ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ٧ ، ص ٣٢١.

(٢) ابن إسحاق ، يكنى بأبي عبد الله ، من الموالي ، من أهل المدينة ، لكنه استقر آخر أيامه ببغداد ، أحد كبار العلماء ، فقد روى عنه كبار العلماء أمثال الثوري وشعبة وغيرهما... ، وهو صاحب كتاب السيرة النبوية ، توفي ببغداد سنة (١٥١هـ / ٧٦٨ م) ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ٧ ، ص ٣٢١ .

(٣) محمد بن عبد الله بن المهاجر النصري،عُرف بالشعيثي أحد تابعي التابعين من أهل دمشق،لكنه قدم بغداد واستقر بها، وحدَّث فيها،وقد ولاه المنصور بيت المال، فأحسن الولاية، توفي بعد سنة(١٥٤هـ/٧٧١م)، بيسير، الخطيب : تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية،بيروت،(د.ت)، جـ٥،ص٣٨٨ .

٧٨١م)[١] ، وعبد العزيز بن عبد الله الماجشون، ت (١٦٤هـ/٧٨١م)[٢]، وعبد الملك بن محمد[٣].

وتضم هذه الطبقة في المدينة من العلماء ، جعفر الصادق ، ت(١٤٨هـ / ٧٦٥م) [٤] ، وابن أبى ذئب ت(١٥٩هـ / ٧٧٦م) [٥] ، و مصعب بن ثابت ت (١٥٧هـ / ٧٧٤م) [٦].

---

(١) اسمه شيبان بن عبد الرحمن ، من الموالي ، كان مؤدبا لأولاد داود بن علي العباسي ، أحد تابعي التـابعين و من العلماء الثقات توفي ببغداد سنة (١٦٤هـ / ٧٨١م) ، ابن سعد : الطبقات الكبـرى ، جـ ٧ ، ص ٣٢٢ .

(٢) عبد العزيز بن عبد الله بن أبى سلمة الماجشون، يكنى بأبي عبد الله، من الموالى ، أحد علماء العراق، غلـب الحديث على اهتماماته، توفي سنة (١٦٤هـ / ٧٨١م) ، في خلافة المهدي، ابن سعد ، الطبقـات الكبـرى، جـ٧، ص ٣٢٣.

(٣) عبد الملـك بن محمد بن علي بن الحسيـن بن علي بن أبي طالـب ، مـن أهـل المدينـة ، كـان يتـردد على المنصور ولا يخالفه ، حتى أنه قال لسفيان الثوري ، ذات مرة عندما أتاه : يا سفيان إنك رجـل يطلبـك السلـطان ، وأنا اتقى السـلطان ، قم فأخرج غير مطرود ، وهو معدود من العلماء ، فقد أسند عن عدد من التابعين ، توفي بالمدينة سنة (١٤٨هـ / ٧٦٥م)، ابن الجوزي : صفة الصفوة ، جـ ٢ ، ص ص ١١٤ ، ١١٥، ١٧٧.

(٤) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، حققه : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسـالة ، بيـروت ، ط٢ ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، جـ٦ ، ص ٢٦٩.

(٥) محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبى ذئـب ، أحد كبار تابعي التابعيـن بالمدينـة ومن جل العلماء في العصـر العبـاسي الأول ، كان يواجه الخلفـاء بعيـوبهم ، وكان يأمر بالمعروف وينهـى عـن المنكر ، قدم بغداد تلبيـة لدعوة المهدي ، فحدَث بها ثم توفي بالكوفة في طريق عودته إلى المدينـة سـنة (١٥٩هـ / ٧٦٦م) ، ابن الجوزي : صفة الصفوة ، جـ٢، ص ١١٨ ، الـذهبي : سـير إعـلام النـبلاء ، جـ ٦، ص ٣١٥.

(٦) مصعب بن ثابت بن عبد الله الزبير الزبيري الأسدي ، يكنى بأبي عبد الله ، كان من العلماء الأجلاء المتقنين العباد، توفي بالمدينة سنة (١٥٧هـ / ٧٧٤م) ، ابن حبان : مشاهير علمـاء الأمـصار ، ص ١٣٨ ، ابـن الجوزى: صفة الصفوة، جـ٢، ص ١١٩.

وفي مكة، ابن جريج، ت (١٥٠هـ / ٧٦٧م)[١]، وسفيان بن عيينة، ت (١٩٨هـ / ٨١٤م)[٢]، والفضيل بن عياض، ت ١٨٧هـ / ٧٦٧م)[٣]، ووهيب بن الورد، ت (١٥٣هـ / ٧٧٠م)[٤].

(١) ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز، يكنى بأبي الوليد الرومي، أحد كبار العلماء ومن متأخري التابعين، فقد لقي بعض الصحابة، له مصنفات عدة، توفى سنة ١٥٠(هـ / ٧٦٧م)، ابن سعد: الطبقات الكبرى،جـ ٥ ،ص ٤٩١ ، ٤٩٢ ، الذهبي : تذكرة الحفاظ ، مجلس دائرة المعارف النظامية ، الهند، ١٣٥٢ هـ/١٩٣٣م ، ج١، ص ص١٦٠، ١٦١.

(٢) ابن الجـوزي : صفة الصفـوة ، جـ٢ ، ص ص ١٥٤، ١٥٨ ، ابن خلكان : وفيـات الأعيـان ، جـ ٢ ، ص ص ٣٩١ ، ٣٩٣ ، الذهبـي : سيـر أعلام النبلاء ، جـ ٦ ، ص ص ٤٥٤ ، ٤٧٤ ، العبر في خبر من غبَر ، تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول ، دار الكتـب العلميـة ، بيـروت ، (د . ت) ، جـ ١ ، ص ص ٢٥٠ ، ٢٥١ ، الجنـدي : السـلوك في طبقـات العلمـاء والملـوك ، جـ ١ ، ص ص ١٨١ ، ١٨٢.

(٣) الفضيل بن عياض بن مسعـود بن بشـر التميمي ، من الموالي فقد كان مولى لتميم ، يكنى بـأبي علـي ، ولد بخراسـان في مرو ، بقرية فندين ، وكان شاطرا (قاطع طريق) ، وسبب توبته (كما يقال) أنه أحـب جارية ، فبينما هو يتسلق الجدار إليها سمع قارئ يقرأ قوله تعالى "ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لـذكر الله وما نزل من الحق " (الحديد: ١٦) ، فقال بلى والله يارب، فتاب ، وأصبح من كبار العلماء بعد أن انتقل إلى الكوفة ثم مكة طالبا للحديث ، ضمه السلمي ضمن طبقات الصوفية ، وهو تصنيف لاحق وفيه شئ مـن التجاوز والإسقاط والتأصيل للصوفية ، توفي بمكة سنة (١٨٧هـ / ٧٦٧م) ، السلمي : طبقـات الـصوفية ، حققه : نور الدين شربيه ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٣ ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ص ٦ ، ابن الجـوزي : صفة الصفوة ، جـ ٢ ، ص ص ١٥٩ ، ١٦٤.

(٤) وهيب بن الورد بن أبي الورد المكي ، كان اسمه عبد الوهاب فصغّر فقيل وهيب ، يكنى بأبي أميـة ، مـن الموالي ، فقد كان مولى لبني مخزوم ، أحد تابعي التابعين ، فقد أدرك عدد من التابعين أمثال عطاء بن أبـي رباح ومنصور بن زادان ، وابن أبي عياش وروى عنهم ، وهو من كبار العلماء الزهاد ، فقد كان منقطعـا للعبادة محبذا العزلة ، معرضا عن ملذات الحياة ، أثنى عليه معاصروه ، توفي بمكة سنة (١٥٣هـ/٧٧٠م) ، ابن حبان : مشاهر علماء الأمصار، ص ١٤٨ ، ابن الجوزي : صفة الـصفوة ، جـ ٢ ، ص ص ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٢.

وفي الكوفة ابن أبى ليلى ، ت (١٤٨هـ/ ٧٦٥م)[١]، ومسعر بن كدام، ت (١٥٢هـ / ٧٦٩م)[٢]، وأبو حنيفة، ت (١٥٠هـ / ٧٦٧م)[٣]، والحجاج بن أرطأة، ت (١٥١هـ/ ٧٦٨م)[٤]، وداود الطائى، ت (١٦٥هـ / ٧٨٢م)[٥]، والسرى بن إسماعيل[٦].

---

(١) محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى الأنصاري ، من كبار الفقهاء، شارك في أجهزة الدولة لبني أمية ولبني العباس، فكان على قضاء الكوفة، توفي بالكوفة سنة(١٤٨هـ / ٧٦٥م)، ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ ٦، ص ٥٨.

(٢) مسْعَر بن كدام بن ظهير بن عبيد الله بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة، يكنى بأبي سلمة ، أحد كبار تابعي التابعين بالكوفة ، ومن العلماء المشهود لهم بالفضل ، وإن غلب عليه الحديث ، أثنى عليه معاصروه ثناء طيبا فقال عنه سفيان الثوري : لم يكن في زماننا مثله ، وقال عنه سفيان بن عيينة : أنه أفضل مارأت عيناه ، وقال هشام بن عروة : ما قدم علينا من أهل العراق أحد أفضل من مسعر ، التقى بأعلام التابعين وأخذ عنهم ، توفي بالكوفة سنة (١٥٢هـ / ٧٦٩م) ، ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ٦، ص ٣٦٤ ، ابن حبان : مشاهير علماء الأمصار ، ص ١٦٩ ، أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٧ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ابن الجوزي : صفة الصفوة، جـ ٣، ص ص ٨٥ ، ٨٦ .

(٣) أبو حنيفة النعمان بن ثابت، إمام الأئمة وكبير العلماء ، فهو غني عن التعريف ، إذ هو أحد أئمة المذاهب الأربعة المشهورة ، وكان يغلب عليه الرأي من أهل الكوفة، لكنه توفي ببغداد سنة (١٥٠هـ / ٧٦٧م)، في خلافة المنصور، ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ٦، ص ص ٣٦٨ ، ٣٦٩.

(٤) الحجاج بن أرطأة بن ثور بن هبيرة بن شراحيل بن كعب المذجحى، من جل العلماء، ومن صحابة أبى جعفر المنصور، عمل مؤدبا للمهدي فكان يرافقه في حلة وترحاله، حتى توفي معه بالري في خلافة المنصور، ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ٦، ص٣٥٩.

(٥) داود بن نصير الطائي، يكنى بأبي سليمان، اهتم بالحديث والفقه والنحو وأيام الناس، وكان كثير التعبد، وكان يجالس أبا حنيفة، كما جالس بعض التابعين وأسند الحديث عنهم، توفي سنة(١٦٥هـ / ٧٨٢م) ، في خلافة المهدي ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ٦ ، ص٣٦٧؛ ابن الجوزي : صفة الصفوة، جـ٣، ص ص ٨٦ ، ٩٦.

(٦) السري بن إسماعيل الهمداني ، من كبار العلماء ، شارك في جهاز الدولة ، تولى قضاء الكوفة ، وكان كاتبا للشعبي ، فأخذ عنه علم الفرائض ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ٦ ، ص ٣٦٩ .

وفي البصرةسعيد بن أبي عروبة،ت(١٥٦هـ/٧٧٣م)[1] و(المبارك بن فضالة،ت(١٦٥هـ/٧٨٢م)[2]،والربيع بن صبيح ت(١٦٠هـ/٧٧٧م)[3]،وسـوار بن عبد الله ت١٥٧هـ/٧٧٤م)[4] ،

---

(١) سعيـد بـن أبي عـروبـة مهـران ، يكنى بأبي النظـر، أحد تابعي التابعيـن ومن كبـار علماء البصرة ، غلب عليه التفسير ، وكـان من أحفـظ الناس ، توفي سنة (١٥٦هـ / ٧٧٣م) ، في خلافة المنصـور، ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ٧ ، ص٢٧٣، ابن حبّـان : مشاهيـر علماء الأمصار ، ص ١٥٨.

(٢) المبـارك بن فضـالة بن أبي أمية القرشي ، من المـوالي ومن قراء البصرة ، توفي سنة(١٦٥هـ/ ٧٨٢م) بالبصرة ، ابن سعد: الطبقات الكبرى ، جـ٧ ، ص ٢٧٧ ، ابن حبَّان : مشاهير علماء الأمصار ، ص ١٥٨.

(٣) الـربيـع بن صبيـح ، يكـنى بـأبي حفص ، من المـوالي ، وهو أحد تابعي التابعيـن ومـن علمـاء البصرة ، كان كثيـر الغـزو حتى أنه توفي بالبحر غازيـا إلى الهنـد ، فدفـن في إحدى جـزر البحـر (المحيط الهندي) في خلافـة المهـدي سنة (١٦٠هـ/ ٧٧٧م)، ابن سعد : الطبقات الكرى، جـ ٧ ، ص ٢٧٧.

(٤) سـوار بن عبد الله بن قدامـة العنبـري التيمـي ، يكنى بأبـي عبـد الله ، أحد تابعي التابعين في البصرة ، ومن كبار العلماء ، ولي القضـاء بالبصرة فكان لا يخشى في الله لومـة لائم ، وكان لا يقبـل تدخـل الخليفـة في أقضيتـه فكان يرد أوامر المنصور إذا تعـارضت مع الحق ، تـوفي سنة (١٥٧هـ / ٧٧٤م) ، الطبري : تاريخ الأمـم والملوك ، راجعه وصححه وضبطـه : نخبـة من العلماء الأجـلاء ، مطبعـة الاستقامة ، القـاهرة ، ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م ، جـ٦، ص٣٠١ ، ابن حبّـان : مشـاهير علماء الأمـصار ، ص ١٥٨.

وشعبـة بن الحجاج ت (١٦٠هـ / ٧٧٧م)[١]، و صـالح بن بشـر المـري ت (١٧٦هـ / ٧٩٢م)[٢].

وفي الشام، الأوزاعي ت (١٥٧هـ / ٧٧٤م)[٣]، وأبو بكر عبد الله بن أبى مريم الغسانـي[٤]، وإبراهيم بن أدهم ت (١٦١هـ / ٧٧٨م)[٥].

---

(١) شعبة بن الحجاج بن ورد ، من موالي الأزد، من تابعي التابعين وأحدعلماء البصرة في الحـديث، حتـى أن سفيان الثوري وصفه بأنه أمير المؤمنين فيه ، وكان زاهدا متقشفا، التقى بعدد من التـابعين أمثـال الحـسن البصري ومحمد بن سيرين وقتادة وآخرين ، أثنى عليه معاصروه فقال يحيى بن سعيد : كان شعبة أرق الناس ، توفي بالبصرة سنة (١٦٠هـ / ٧٧٧م)، ابن سعد : الطبقات الكبرى، جـ٧ ، ص ص ٢٨٠ ، ٢٨١، أبـو نعيم: حلية الأولياء، جـ٧، ص ١٦٦ ، ١٦٧ ،١٦٩ ، ابن الجوزي: صفة الـصفوة، جـ ٣، ص ص ١٣٥ ،٢٣٦، عبد الرحمن بن سنبط الإربلي: خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سيرة الملوك، مطبعـة القـديس جاورجيوس، ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٥م، ص ٦٩.

(٢) صالح بن بشير أبو بشر المُرّي، من موالي مُرة، حاز مكانة كبيرة بين علماء عصره، فأثنى عليه الثـوري، وعفان بن مسلم وغيرهما، وكان يستخدم في الوعظ منهج القصَّاص، أسند الحديث عن الحسن البصري وابـن سيرين وتوفى سنة (١٧٦هـ / ٧٩٢م) ، ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ٧، ص ٢٨١، ابن الجوزي: صـفة الصفوة، جـ٣، ص ص ٢٣٦ ، ٢٣٧.

(٣) عبد الرحمن بن عمرو بن يُحمد الأوزاعي، يكنى بأبي عمرو، والأوزاعي نسبة إلى الأوزاع وهى بطن من قبيلة همدان اليمنية، وأصبحت تطلق بعد ذلك على قرية بدمشق خارج باب الفراديس، أحد كبار العلماء الذين كان لهم أدوار فاعلة في الحياة السياسية في العصر العباسي الأول فهو إمام أهل الشام، توفي مرابطا في ثغر، بيروت سنة (١٥٧هـ / ٧٧٤م) ،ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ٧، ص ٤٨٨، ابن حبَّان: مـشاهير علمـاء الأمصار، ص ١٨٠؛ ابن الجوزي: صفة الـصفوة، جـ ٣، ص ص ٢١٥ ، ٢١٩، ابـن وادران: تـاريخ العباسيين، حققه: المنجى الكعبي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، المنجى الكعبي، ط١، ١٩٩٣م، ص ١٩٣.

(٤) أبو بكر بن عبد الله بن أبى مريم الغساني، شيخ أهل الشام، التقى ببعض التابعين وأسند عـنهم، كـان كثيـر العبادة يجهد نفسه، لم أقف له على تاريخ وفاة ، ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ٧، ص ٤٦٧، ابن الجـوزي: صفة الصفوة، جـ٤، ص ١٨٧.

(٥) إبراهيم بن أدهم بن منصور بن إسحاق، ولد ببلخ، ثم انتقل إلى بغداد، ثم استقر بالشام، كان مرابطا، وكـان يغزو مع المسلمين إذ أخرجوا للقتال، أحد كبار العلماء الزهاد، توفي غازيا في بلاد الروم سـنة (١٦١هـ / ٧٧٨م)،ابن حبَّان: مشاهير علماء الأمصار، ص ١٨٣،السلمي: طبقات الصوفية، ص ٢٧،ابن الجوزي: صفة الصفوة ، جـ٤ ، ص ص ١٣٤ ، ١٣٨.

وفي مصر، عبد الله بن لهيعة، ت (١٧٤هـ/ ٧٩٠م)[١]، والليث بن سعد، ت (١٧٥هـ/ ٧٩١م)[٢]، والمفضل بن فضالة القِتبَاني، ت (١٨١هـ / ٧٩٦م)[٣].

وفي اليمن، معمر بن راشد، ت (١٥٢هـ / ٧٩٦م)[٤]، وعبد الرازق الصنعانى، ت (٢١١هـ/ ٨٢٦م)[٥].

---

(١) عبد الله بن عقبة بن لهيعة بن فرعان بن ربيعة بن ثوبان الحضرمي، يكنى بأبي عبد الرحمن، من كبار تابعي التابعين ومن أعيان العلماء عمل بالقضاء، وله مصنفات منها ما هو مخطوط على أوراق البردي مثل صحيفة عبد الله بن لهيعة فى مكتبة هيدبرج (Heidelberg) فى ألمانيا، توفي فى مصر سنة (١٧٤هـ / ٧٩٠م)، ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ٧، ص ٥١٦، الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ٨، ص ص ١١، ١٢، ١٣، ٣٠، Khoury Raief George, Abd Allah Ibn Lahia (Keptin Heidelberg University.

(٢) الليث بن سعد ، الفهمي، من الموالي من أصبهان، كنيته: أبو الحارث، عالم أهل مصر، ومفتيهم، كان حظيا لدى الخلفاء، لا يحيد عمال مصر عن رأيه، وكان ذا سعة في المال، توفى سنة (١٧٥هـ / ٧٩١م)، ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ٥، ص ٥١٧؛ الفسوي: المعرفة والتاريخ، حققه: أكرم ضياء العُمري، مطبعة الإرشـاد، بغداد، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م، ص ١٤٤، ابن حبَّان: مشاهير علماء الأمصار، ص ١٩١، أبـو نعـيم: حليـة الأولياء، جـ٧، ص ٣٧٥؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٤، ص ١٢٨؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ٨، ص ١٦١، اليافعي: مرآة الجنان وعبرة ليقظان في أحداث الزمان، حققه: عبد الله الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ / ١٩٩٤م، جـ١، ص ٣٨٣.

(٣) المفضل بن فضالة القِتبَاني: وقِتبان اسم لإحدى الدويلات اليمنية القديمة التي كانت تخرج عن دولة سبأ (الأم) في فترات ضعفها، وهى في الجنوب من اليمن وعاصمتها (تمْنع)، وقد أتى المفضل ضمن الهجرات العربيـة التي استقرت في مصر، وعمل في القضاء بمصر للرشيد، توفي سنة (١٨١هـ / ٧٩٦م)، ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ٧، ص ٥١٧؛ ابن الجوزي: صفة الصفوة، جـ٤، ص ٢٥٩؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ٨، ص ص ١٧١ - ١٧٢.

(٤) معمر بن راشد بن أبي عمرو أبو عروة الأزدي: من الموالي، نزل اليمن، وكان من جل العلماء، حوى علوم كثيرة وإن غلب عليه الحديث، فكانت اليمن محجا للعلماء الذين يبحثون عن الحديث، أمثال الثوري والشافعي، وأحمد بن حنبل، توفي باليمن سنة (١٥٢هـ/ ٧٦٩م)، ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ ـ٥، ص ٥٤٦؛ ابـن حبَّان: مشاهير علماء الأمصار، ص ١٩٢؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ٧، ص ص ٥، ٦، ٨، ١٤؛ ابـن سمرة الجعدي: طبقات فقهاء اليمن، حققه: فؤاد سيد، دار القلم، بيروت، (د.ت)، ص ٦٦.

(٥) عبد الرازق بن همام بن نافع الحميري الصنعاني: يكنى بأبي بكر من علماء اليمن وفقهائهـا، غلـب عليـه الحديث، ورحل إليه لسماع الحديث كبار العلماء، فكان يحفظ أكثر من ١٧ ألف حديث، توفي سنة (٢١١هـ / ٨٢٦م)، ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ٥، ص ٥٤٩، ابن خلكان: وفيـات الأعيـان، جـ ـ١، ص ٣٠٣=

وفي خراسان، عبد الله بن المبارك، ت (١٨١هـ / ٧٩٦م)[١]، ومقاتل بن سليمان[٢]، وفي الجزيرة، محمد بن عبد الله بن علاثة، ت (١٦٨هـ / ٧٨٤م)[٣].

وضمت الطبقة الثانية: من تابعي التابعين (السادسة) عددا من العلماء، كان منهم في بغداد إبراهيم بن سعد، ت (١٨٥هـ/ ٨٠١م)[٤]، وهُشيم بن بشير، ت (١٨٣هـ / ٧٩٩م)[٥]،

=الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ٩ ، ص ص ٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٨٠ ، ابن قيم الجوزية : أعلام الموقعين عن رب العالمين ، تحقيق : عبد الرحمن الوكيل ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، (د.ت) ، جـ١، ص٢٨.

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ٧، ص ٣٧٢ ، ابن حبان : مشاهير علماء الأمصار ، ١٩٥ ، أبو نعَيمْ: حلية الأولياء، جـ٨، ص ١٧٢.

(٢) مقاتل بن سليمان البلخي: يكنى بأبي الحسن، أحد كبار المفسرين، أثنى عليه في ذلك كبار العلماء، فقال عبد الله بن المبارك: "ما أحسن تفسيره لو كان ثقة، فكان أهل الحديث يذموه، ومن ذلك قول البخاري: "مقاتل لا شيء البتة"، الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ٧، ص ص ٢٠١ ، ٢٠٢.

(٣) محمد بن عبد الله بن عُلاثة الكلابي: يكنى بأبي اليسر العقيلي، من العلماء الثقاة، عمل بالقضاء للمهدي على الجانب الشرقي لبغداد (الرصافة) وهو في الأصل من أهل حران، أحد العلماء المعروفين غلب عليه الحديث، فقد رواه عن هشام بن حسان والأوزاعي، وروى عنه عبد الله بن المبارك ووكيع، توفي سنة (١٦٨هـ / ٧٨٤م)، ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ٧، ص ص ٣٢٣، ٤٨٣، خليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ص ٢٩١، الخطيب: تاريخ بغداد، جـ٥، ص ص ٣٨٨ ، ٣٩٠.

(٤) إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري: يكنى بأبي إسحاق، من أهل المدينة، ثم استقر ببغداد، التقى بعدد من التابعين أمثال الزهري، وهو من جل العلماء، غلب الحديث على اهتماماته، عمل في القضاء، فقد ولي قضاء المدينة للرشيد، توفي سنة (١٨٥هـ / ٨٠١م)، الخطيب: تاريخ بغداد، جـ٦، ص ص ٨١ ، ٨٦، الذهبي: العبر في خبر من غبر، جـ١، ص ٢٢٢.

(٥) هُشيم بن بشر بن القاسم السلمي: يكنى بأبي معاوية، واسطي الأصل لكنه استقر ببغداد، وهو من كبار العلماء، غلب الحديث عليه، توفي ببغداد سنة (١٨٣هـ / ٧٩٩م)، فى خلافة هارون الرشيد، ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ٧، ص ٣١٣، ابن حبَّان : مشاهير علماء الأمصار، ص ١٧٧، الدار قطني : ذكر أسماء التابعين ومن بعدهم، حققه: بورَان الضناوي وكمال يوسف الحوت، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م، جـ ١، ص ٣٩٤.

وإسماعيل بن مقسم، ت(١٩٣هـ / ٨٠٩م)[١]، وعنبسة بن عبد الواحد [٢]، والفرج بن فضالة، ت (١٧٦هـ/ ٧٩٢م)[٣]، و أبو سعيد المؤدب، ت (١٥١هـ / ١٥٥م)[٤]، و مروان بن شجاع، ت (١٥٥هـ/ ٧٩٢م)[٥]، وأبو يوسف، ت (١٨٢هـ/ ٧٩٨م)[٦]، ومحمد بن الحسن الشيباني، ت (١٨٩هـ / ٨٠٥م)[٧].

---

(١) إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم: من الموالي، فهو مولى عبد الرحمن بن قطبة الأسدي، من علماء الكوفة في الحديث، فقد كان ثبتا حجة فيه، ولي صدقات البصرة، والمظالم ببغداد للرشيد، وقد استقر لذلك ببغداد، ومات بها سنة (١٩٣هـ / ٨٠٩م)، ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ ٧، ص ص ٣٢٥ ، ٣٢٦.

(٢) عنبسة بن عبد الواحد القرشي: كنّي وعرف بأبي سعيد المؤدب، وذلك لتأديبه أبناء الخلفاء والأمراء، فأدّب المهدي في ولاية أبيه المنصور الجزيرة، ثم قدم معه بغداد، ث ضمه المهدي إلى ابنه علي بن المهدي، وظل يؤدبه حتى مات أبو سعيد في خلافة الهادي، فدفن ببغداد في مقابر الخيرزان، ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ ٧، ص ٣٢٦.

(٣) الفرج بن فضالة، أبو فضالة: كان من أهل حمص في الشام، ثم استقر ببغداد، أحد العلماء، ولي بيت المال لهارون الرشيد، توفي ببغداد سنة (١٧٦هـ / ٧٩٢م)، ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ ٧، ص ٣٢٧؛ خليفة بن خياط: الطبقات، جـ ١، ص ٣١٦.

(٤) محمد بن مسلم بن أبي الوضاح: المكنى والمعروف بأبي سعيد المؤدب، أصله من الجزيرة، ضمه المنصور إلى إبنه المهدي، ليؤدبه، وأخذه معه إلى بغداد، وظل بها يؤدب المهدي ثم أبنائه حتى توفي بها في خلافة الهادي، ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ ٧، ص ص ٣٢٦ ، ٣٢٧.

(٥) مروان بن شجاع الخصيفي: من أهل حران، رواية للحديثة، استقدم إلى بغداد، مؤدبا لأبناء موسى الهادي، وظل يؤدبهم حتى مات، ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ ٧، ص ٣٢٨.

(٦) يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن بجير بن معاوية بن قحافة بن نفيل بن سدوس ، من بجيلة من كندة إحدى قبائل اليمن، يكنى ويعرف بأبي يوسف أحد كبار العلماء، وقاضي القضاة ومؤدب أولاد المهدي، تتلمذ على يد أبي حنيفة، وأخذ عنه الرأي، التقى ببعض التابعين، أمثال الأعمش ومطرف، توفي في خلافة الرشيد(١٨٢هـ / ٧٩٨م)، ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ ٧، ص ص ٣٣٠ ، ٣٣١.

(٧) محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني : يكنى بأبي عبد الله ، الكوفي الأصل ، كان من تلاميذ أبي حنيفة ، وعدَّه معاصروه عالم العراق ، شارك بفاعلية في جهاز الدولة العباسية ، فكان وزيرا للرشيد ، ومصاحبا له في حله وترحاله ، كما عمل بالقضاء ، وتوفي بالري سنة (١٨٩هـ / ٨٠٥م) ، في إحدى خرجاته مع الرشيد ، ابن حبَّان : مشاهير علماء الأمصار ، ص ١٤٠ ، الذهبي: سير أعلام النبلاء ، جـ ٩ ، ص ص ١٣٤ ، ١٣٦.

وكان منهم بالمدينة، مالك بن أنس، ت (١٧٩هـ / ٧٩٥م)[١]، وعبد الرحمن بن أبي الزناد، ت (١٧٤هـ / ٧٩٠م)[٢]، وأبو معشر نجيح، ت(١٧٠هـ / ٧٨٦م)[٣]،ومحمد بن مسلم، ت ١٧٠هـ / ٧٨٦م)[٤]، و عبد الله بن عبد العزيز العُمري، ت(١٨٤هـ / ٨٠٠م)[٥].

وفي مكة، مسلم بن خالد الزنجي، ت (١٨٠هـ / ٧٩٦م)[٦]، ومحمد بن أدريس الشافعي، ت(٢٠٤هـ / ٨١٩م)[٧].

---

(١) خليفة بن خياط: الطبقات حلية الأولياء، جـ٦، ص ص ٣٤٥، ٣٩٢، ابن الجوزي: صفة الصفوة، جـ ٢، ص ص ١٢٠ ، ١٢١، ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ ٤، ص ص ١٣٧ ، ١٣٨، الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ ٨، ص ص ١٣٠ ، ١٣١، مرعي بن يوسف الحنبلي: تنوير بصائر المقلدين في مناقب الأئمة المجتهدين، مخطوط بدار الكتب المصرية، برقم ٢١٢٠، ميكروفيلم (٣٥٧٨٢) ، ص ٤١ .

(٢) عبد الرحمن بن أبي الزناد: من الموالي يكنى بأبي محمد، ولد ونشأ بالمدينة، وولي للعباسيين بها بعض الوظائف المالية فاستعان بأهل الخير، كان من كبار العلماء وقد غلب على علمه الحديث، انتقل بعد ذلك إلى بغداد وحَدَّث فيها، ثم توفي بها، سنة (١٧٤هـ / ٧٩٠م)، ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ ٥، ص ص ٤١٥ – ٤١٦؛ ابن حبَّان: مشاهير علماء الأمصار، ص ١٣٥.

(٣) أبو معشر نجيح بن عبد الرحمن: السندي الأصل المدني المنشأ، من موالي حِمْيَر، من علماء تابعي التابعين، غلبت المغازي على اهتماماته، توفى ببغداد سنة (١٧٠هـ / ٧٨٦م) ، ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ ٥، ص ٤١٨؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ ٧، ص ص ٤٣٥، ٤٤٠.

(٤) محمد بن مسلم بن جماز: يكنى بأبي عبد الله، من الموالي، فهو مولى لبني تميم بن مُرَّة، أحد فقهاء المدينة وعبادهًا، كان بزازا، يعالج البَز، توفي سنة (١٨٠هـ / ٧٦٩م)، ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ ٥، ص ص ٤١٩ ، ٤٢٠.

(٥) عبد الله بن عبد العزيز العمري: يكنى بأبي عبد الرحمن، من كبار علماء المدينة وعبادها، وكان كثيرا ما يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى مع الخلفاء، وكان شديدا في ذلك، التقى بعدد من التابعين وأسند عن بعضهم، توفي بالمدينة سنة (١٨٤هـ / ٨٠٠م)، ابن الجوزي: صفة الصفوة، جـ ٢، ص ص ١٢٢ ، ١٢٤.

(٦) مسلم بن خالد بن سعيد بن جُرْحه الزنجي: أصله من الشام، من موالي سفيان بن عبد الاسد المخزومي، ولم يكن أسودا كما يدل اللقب،وانما نسبة إلى زنجان ببلاد فارس ، كان فقيها عالما عابدا، وإن غلب الحديث على اهتمامه، توفي سنة (١٨٠هـ / ٧٩٦م)، في خلافة الرشيد، ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ ٥، ص ٤٩٩.

(٧) محمد بن أدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف القرشي المطلبي الشافعي: يكنى بأبي عبد الله أحد أئمة المذاهب الأربعة المعروفة، ومن كبار العلماء، تتلمذ في البداية على يد مالك بن أنس بالمدينة، ثم رحل إلى اليمن واليا على بعض جهاتها،ثم عاد إلى بغداد والتقى بالرشيد، ثم عاد إلى مكة، ومنها مرة أخرى إلى بغداد، ثم انتهى الطواف به إلى مصر،حيث توفي بها

وكان في الكوفة منهم سفيان الثـوري[1]،و شريك بن عبـد الله،ت (١٧٧هـ / ٧٩٣م)[2]،

و القاسم بن معن، ت (١٧٥هـ / ٧٩١م)[3]، وابن السمَّاك، ت (١٨٣هـ / ٧٩٩م)[4]، و أبو بكر

=سنة (٢٠٤هـ / ٨١٩م)، له مؤلفات عديدة في الفقه والحديث، فقد أثرى المكتبة الإسلامية، وقد شغف بالعلم منذ الصغر، فكان يذهب إلى الديوان، وستوهب الظهور، وغيرها مما يُكتب عليه، فيكتب عليه، أبـو نعـيم: حلية الأولياء، جـ ٩، ص ص ٧١، ١٧٢؛ ابن خلكان: وفيات الأعيـان، جـ ـ ٤، ص ١٦٣، الحريفيـشي: الروض الفائق في المواعظ والرقائق، حققه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيـروت، ط ١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م، ص ٢٤٤؛ ابن حجر: سيرة الإمامين الليثي والشافعي، مكتبة الآداب، القـاهرة، ط١، ١٤١٥هـ ـ / ١٩٩٤م، ص ١٨٩؛ مرعي بن يوسف الحنبلي: تنوير بصائر المقلدين في ذكر مناقـب الأئمـة المجتهـدين، مخطوط بار الكتب المصرية برقم (٢٣٩٨)، تاريخ، ميكروفيلم (٣٥٧٨٢)، ص ٧٥.

(١) ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار، ص ص ١٦٩،١٧٠.

(٢) شريك بن عبد الله بن الحارث بن إوس بن الحارث بن الأذهل بن مالك بن النخع: من مَذحج (أحدى قبائل اليمن)، ولـد في بخاري، وكان جده قد شهد القادسية، أحد كبار العلماء، ولي القضاء لبني العباس في عهود المنصور والمهدي، على الكوفة، توفي سنة (١٧٧هـ / ٧٩٣م)، ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ٦، ص ص ٣٧٨، ٣٧٩؛ ابن حبـان: مـشاهير علماء الأمصار، ص ١٧٠؛ الأربلي: خلاصة الذهاب المسبوك مختصر سيرة الملوك، ص ٨٨.

(٣) القاسم بن مَعْن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود الهُذلي: يكنى بأبي عبد الله، من تلاميذ أبى حنيفة، وكـان مـن أفضل أهل زمانه علما وفقها وفضلا وأدبا، ولى القضاء للمهدي على الكوفة، ولم يأخذ رزقا عليه، ثم تولى قضاء الكوفة أيضا للرشيد، توفي سنة (١٧٥هـ/٧٩١م)، ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ٦، ص ٣٨٤، خليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ص ٤٦٤، ابن النديم: الفهرست، حققه: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، ط٢،١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص ص٩٤، ٩٥، الذهبي:العبر في خبر من غبر،جـ١،ص ٢٠٧.

(٤) محمد بن صبيح يكنى بأبي العباس، ويعرف بابن السمَّاك، من كبار علماء العـصر العباسـي الأول، عـرف بمواعظة للخلفاء وللأمراء، خصوصا للرشيد، التقى ببعض التابعين وأسند عـنهم، أمثـال الأعمـش، وابـن السماك، أصله من الكوفة، قدم بغداد فمكث بها يعظ الخلفاء والناس، ثم عاد إلى الكوفة، وتوفي بهـا سـنة(١٨٣هـ / ٧٧٩م)، الخطيب: تاريخ بغداد، جـ٥، ص ص ٣٦٨، ٣٦٩، ابن الجوزي: صفة الصفوة، جـ٣،

ابن عياش ت (١٩٣هـ / ٨٠٩)[1].

وكان في البصرة مـن العلماءضمن الطبقة السادسة من تابعي التابعين حمادبن سلمة ت١٦٨هـ/٨٠٢م)[2]و(حمادبن زيد(١٧٩هـ/٧٩٥م)[3]،ويحيى بن سعيدالقطان١٩٨هـ/٨١٤م)[4]

=ص ص ١١٥، ١١٦؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ٥، ص ص ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، الأربلي: خلاصـة الذهب المسبوك، ص ٩٧.

(١) أبو بكر بن عياش: اختلف في اسمه، فقيل شعبة، وقيل محمد، وقيل مطرف، إلا أنه يعرف بكنيته، أصله من الموالي، إذ كان من موالي بنى أسد، من الطبقة السابعة من تابعي التابعين بالكوفة، ومن علماءهـا الأجـلاء، التقى ببعض التابعين مثل الأعمشي، توفي بالكوفة سنة (١٩٣هـ / ٨٠٩م)، ابن الجوزي: صـفة الـصفوة، جـ٣، ص ص ١٠٨- ١٠٩.

(٢) حماد بن سلمة بن دينار الخـزاز ، يكنى بأبي سلمة ، من الموالي فقد كان مولى لحُمَيْر بن كراثة التيمي من علماء البصرة وعبادهـا ، كان يكتسـب من عمله بتجـارة الخـز، التـقى بعـدد كبيـر مـن التـابعين ، وأخـذ عنهـم ، تـوفي سنـة (١٦٨هـ / ٨٠٢م) ، ابـن سعـد : الطبقـات الكبرى ، جـ٧ ، ص ٢٨٢ ، ابـن حبان : مشـاهيـر علماء الأمصار ، ص ١٥٧ ، ابن الجـوزي: صفة الصفوة ، جـ٣ ، ص ٢٤٤.

(٣) حماد بن زيد بن درهم الأزرق يكنى بأبي إسماعيل، من الموالي ، فقد كان مولى جرير بـن حـازم وهـو معدود في أئمة أهل البصرة، أثنى عليه كبار العلماء، فقال عبد الرحمن بن مهدي، ما رأيت أعرف منه بالسنة، التقى بعدد من التابعين، وأسند عن بعضهم، توفي سنة (١٩٧هـ / ٧٩٥م)، ابن سـعد: الطبقـات الكبـرى، جـ٧، ص٢٨٦، ابن حبان : مشاهير علماء الأمصار ، ص ١٥٧ ، ابن الجوزي : صفة الـصفوة، جـ٣، ص٢٤٦.

(٤) يحيى بن سعيد القطـان ، يكنى بأبي سعيـد ، أحد علماء البصـرة ، أسند عن بعـض التـابعين ، أمثـال الأعمشي، وأثنى عليه كبار العلماء، فقال: أحمد بـن حنبـل: مـا رأت عينـاي مثلـه ، تـوفي بالبـصرة (١٩٨هـ/٨١٤م) ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ٧، ص ٢٩٣، ابن الجوزي : صفة الصفوة ، جـ٣، ص ٢٤٧.

ويزيد بن زريع ت (١٨٢هـ / ٧٩٨م)[١]، و معاذ بن معاذ ت ١٩٦(هـ/٨١٣م)[٢].

وكان بالشام من هذه الطبقـة من العلماء سعيـد بن عبد العزيـز ت (١٦٧هـ / ٧٨٤م)[٣]، وبـقية ابن الوليـد ت (١٩٧هـ / ٨١٣م)[١] ، و الـوليد بن مسلـم ت (١٩٤هـ م/ ٨١٠)[٢].

---

(١) يزيد بن زريع ، يكنى بأبي معاوية العيشي ، من بني عائش من بكر بن وائل ، كان من المحدثين الثقـاة ، ، كان يرى أن مال الدولة فيه بعض الحرام ، ولذلك فقد كان لا يأكل من رزق أبيه ، الذي كان واليا للبـصرة ، وإنما يقتات من عمله في صناعة الخوص ، توفي بالبصرة سنة (١٨٢هـ / ٧٩٨م)، ابـن سـعد: الطبقـات الكبرى، جـ٧، ص ٢٨٩،ابن حبان : مشاهير علماء الأمصار ، ص ١٦٢ ، ابن الجوزي: صفة الـصفوة، جـ٣، ص ص ٢٤٦ ، ٢٤٧.

(٢) معاذ بن نصر بن حسان بن الحر بن مالك بن الخشخاش بـن جذ ـات بـن الحـ ـارث التميمـي، يكنـى بأبي المثني ، أحد فقهـاء البصـرة ، ولي قضـاءها لهارون الرشيد ، ثم عُـزل ، وتـوفي بهـا سـنة (١٩٦هـ / ٨١٢م)، ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ٧، ص ٢٩٣؛ ابن حبَّان: مشاهير علماء الأمـصار، ص ١٦٠.

(٣) سعيد بن عبد العزيز ، يكنى بأبي محمد من الموالي ، أحد علماء الشام عرف بالحفظ فعد من الحفاظ ، وكان كثير العبادة ، ولي القضاء فأنكر عليه بعض معاصريه ذلك ، فقال داود بن أبي شيبان الدمشقي : يا أبا محمد بعد العلم والحديث وليت القضاء فقال له : نعم ، والله ما هذا الطيلسات الذي تراه عليّ لي ، وإنـه لعاريـة ، أفلا ألي القضاء بعد هذا ؟ ثم قال : والله لو ولوني بيت المال وأنه لشر من القضاء لوليتـه ، تـوفي سـنة (١٦٧هـ / ٧٨٤م) ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ٧ ، ص ٤٧٠ ، ابن حبان : مشاهير علماء الأمصار ، ص ١٨٤ .

(٤) بقيـة بن الوليـد الحمصي : يكنى بأبي يُحمـد ، من العلمـاء الثقـاة ، وقـد غلـب الحديـث علـى اهتمامـه ، توفي في سنة (١٩٧هـ / ٨١٣م) ، في خلافة الأمين ، ابن سعد: الطبقات الكبرى ، جـ ٧ ، ص ٤٦٩.

وفي مصر عبد الله بن وهيب ت (١٩٧هـ / ٨١٣م)[٣]، و نعيم بن حماد ت (٢٢٨هـ / ٨٤٣م)[٤].

وضمت الطبقة الثالثة من تابعي التابعين (السابعة)، من العلماء في بغداد، معروف الكرخي ت (٢٠٤هـ / ٨٣٩م)[٥]، و أبو البختري القاضي ت (٢٠٠هـ / ٨١٦م)[٦]، و يزيد بن هارون ت (٢٠٥هـ / ٨٢٠م)[٧]، و أبو عبيد القاسم بن سلام ت(٢٢٤هـ / ٨٣٩م)[١].

---

(٥) الوليد بن مسلم : يكنى بأبي العباس ، أحد علماء الشام ، فقد غلب الحديث على اهتمامه ، وكان موثوقا، مات منصرفا من الحج سنة (١٩٤هـ / ٨١٠م) ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ٧ ، ص ص ٤٧٠ ، ٤٧١.

(١) عبد الله بن وهيب: من الموالي، أحد كبار العلماء في مصر، ومن ثقاتهم، أسند عن بعض العلماء أمثال سفيان الثوري ومالك وشعبه، توفي بمصر سنة (١٩٧هـ / ٨١٣م)، ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ ٧، ص ٥١٨؛ ابن الجوزي: صفة الصفوة، جـ٤، ص ٢٥٩.

(٢) نعيم بن حماد: أحد تابعي التابعين، ومن جلة العلماء في مصر، أصله من أهل مرو بخراسان انتقل بين الأمصار الإسلامية طلبا للعلم، خصوصا الحديث، فطاف بالعراق، فالحجاز ثم استقر به المقام بمصر، امتحنه المعتصم في القول بخلاف القرآن فثبت فحمل إلى سامراء حيث سجن بها حتى مات (٢٢٨هـ / ٨٤٣م)، ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ٧، ص ٥١٩.

(٣) معروف بن فيروز الكرخي: يكنى بأبي محفوظ، ونسبته إلى الكرخ، الجانب الغربي لبغداد على دجلة، وكان في الأساس سوق استحدثه أبو جعفر المنصور، بعد ما كاد الراوندية يقتلوه يوم الهاشمية، ومعروف أحد كبار علماء بغداد الذين عُرفوا بالزهد، وكان يحث عليه، وفي الوقت ذاته يدعو إلى العمل والإنتاج، وكان بعض معاصريه يدعونه بحبر الأمة في عصره، توفي ببغداد سنة (٢٠٤هـ / ٨٣٩م)، أبو نعيم: حلية الأولياء، جـ٨، ص ص ٤٠٤، ٤٠٨، ٤١٠، الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ٩، ص ص ٣٣٩ ، ٤٠٠.

(٤) وهيب بن وهب بن كثير بن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب: كنيَّ وعُرف بأبي البختري القاضي، من أهل المدينة، نزل بالشام، ثم استقر ببغداد، وكان من فقهاء عصره، توفي ببغداد سنة (٢٠٠هـ / ٨١٦م)، ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ٧، ص ٣٣٢.

(٥) يزيد بن هارون: يكنى بأبي خالد، من الموالي، فهو مولي لبني سليم، أحد العلماء المعدودين، كان حظيا لدى الخلفاء، ومن ذلك أن المأمون كان يؤجل الجهر بالقول بخلق القرآن خشية يزيد بن هارون، لئلا يقوم بتفنيد ذلك القول، توفي سنة (٢٠٥هـ / ٨٢٠م)، ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ٧، ص ٣١٤.

وفي المدينة،عبد العزيز بن أبي حازم ت (١٨٤هـ/٨٠٠م)[٢]، والواقدي(٢٠٧هـ/ ٨٢٢م)[٣]،

و عبد الله بن نافع ت (٢٠٦هـ / ٨٢١م)[٤]، و معن بن عيسى ت (١٩٨هـ ٨١٤)[٥]، و محمد بن إسماعيل ت ١٩٩هـ / ٨١٥)[٦] ، وفي مكة عثمان بن اليمان ت (٢١٢هـ / ٨٢٧م)[١]، و أبو عبد الرحمن المنقري ت (٢١٣هـ / ٨٢٨م)[٢].

---

(٦) أبو عبيد القاسم بن سلام ، يعرف بكنيته، أصله من خراسان، نزل ببغداد، ففسر غريب الحديث، وكان يؤدب أبناء الأمراء، كما ولي طرسوس، اهتم بالعلم غاية الاهتمام خصوصا الحديث والفقه، والعربية، وكانت له مصنفات فيها ومن أهم كتبه التي وصلت إلينا كتاب الأموال، توفي بمكة حاجا سنة (٢٢٤هـ / ٨٣٩م)، ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ٧، ص ٣٥٥.

(١) عبد العزيز بن أبي حازم (سلمة بن دينار) ، من الموالي ، يكنى بابي تمام ، من الطبقة الثالثة من تابعي التابعين (السابعة) ، كان من علماء الحديث ، ومن أفضل أهل المدينة علما وفضلا ، توفي سنة (١٨٤هـ / ٨٠٠م) ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ٥ ، ص ٤٢٤ ، ابن حبَّان : مشاهير الأمصار، ص ص ١٤١ ، ١٤٢.

(٢) محمد بن عمر بن أبي واقد: يكنى بأبي عبد الله، ويعرف بالواقدي، من الموالي، فهو مولي لبني سهم من أسلم من كبار العلماء بالمغازي والسير والفتوح وباختلاف الناس في الحديث والأحكام واجتماعهم، وله بعض المصنفات في ذلك، نزل ببغداد وولي فيها القضاء للرشيد، توفي سنة (٢٠٧هـ / ٨٢٢م)، وهو قاضيا على الجانب الغربي من بغداد (الكرخ)، ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ٥، ص ص ٣٢٥، ٤٣٣، الخطيب: تاريخ بغداد، جـ٣، ص ص ٣،٢.

(٣) عبد الله بن نافع الصائغ: يكنى بأبي محمد، من الموالى ، فهو مولى لمخزوم من تلاميذ مالك بن أنس، فقد كان كثير الملازمة له، توفي بالمدينة سنة(٢٠٦هـ / ٨٢١م)، ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ٥، ص ٤٣٨.

(٤) معن بن عيسى بن معن: يكنى بأبي يحيى ويلقب بالأشجعي، من الموالي ومن ثقاة أهل المدينة في الحديث، وكان إلى جانب ذلك قزازا، يعالج القز بالمدينة، وله غلمان يعلمون فيه، توفي بالمدينة سنة (١٩٨هـ / ٨١٤م)، ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ٥، ص ٤٣٧.

(٥) محمد بن إسماعيل بن مسلم بن أبي فديك: يكنى بأبي إسماعيل، من الموالي، ومن علمائهم في الحديث، توفي بالمدينة سنة (١٩٩هـ / ٨١٥م)، ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ٥، ص٣٧.

وفـي هـذه الطبقـة مـن العلمـاء بالكـوفـة عبـد الله بـن إدريـس ت (١٩٢هـ / ٨١٠م) [٣]، و حفـص بن غيـاث ت (١٩٤هـ / ٨٠١م) [٤] ، ووكيـع بن الجراح ت (١٩٧هـ ٨١٣م)[٥].

وكان بالبصرة من الطبقة الثالثة (السابعـة) مـن تابعي التابعين، من العلمـاء عبد الرحمن ابن مهدى ت (١٩٨هـ / ٨١٤م)[٦]، وأبو داود الطيالسي ت(٢٠٠٣هـ / ٨١٨)[١]، وسليمان بن

---

(٦) عثمان بن اليمان بن هارون: يكنى بأبي عمرو، كان مهتما بالحديث، توفي بمكة سنة (٢١٢هـ / ٨٢٧م)، ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ٥، ص ٤٥٠١.

(٧) عبد الله بن يزيد المنقري، يكنى بأبي عبد الرحمن، أصله من البصرة، لكنه نزل مكـة، وكـان مـن كبـار المحدثين، وتوفي بها سنة(٢١٣هـ / ٨٢٨م)، ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ٥، ص ٥٠١.

(١) عبد الله بن إدريس بن يزيد بن عبد الرحمن بن محمد الأودي: يكنى بأبي محمد، أصله من اليمن، من قبيلـة مَذحج، من كبار علماء الكوفة، وقد غلب الحديث على اهتمامه، وكان زاهدا في متاع الدنيا، ورفـض لـذلك العمل في أعمال الدولة، التقى بعدد من التابعين أمثال الأعمش وأبي إسحاق الشيباني، وآخرين، تـوفي آخـر خلافة الرشيد سنة (١٩٢هـ / ٨١٠م)، ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ٦، ص ٣٨٩، ابن الجـوزي: صـفة الصفوة، جـ٣، ص ص ١١٠ ، ١١٢.

(٢) حفص بن غياث بن طلق بن معاوية بن مالك بن الحارث: يكنى بأبي عمر المذحجي، اليمنى الأصل والكوفي المسكن، أحد العلماء الثقاة، قدم بغداد فولاه الرشيد القضاء ببغداد الشرقية، ثم ولاه قضاء الكوفة، وظل عليهـا حتى توفي سنة (١٩٤هـ/٨٠١) في خلافة الأمين، ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ٦، ص ص ٣٨٩ ، ٣٩٠.

(٣) وكيع بن الجراح بن فليح بن عدى بن الفرس بن سفيان بن الحارث بن كلاب بن ربيعـة بـن عـامر بـن صعصعة: يكنى بأبي سفيان، أحد كبار العلماء، فقد أثنى عليه كثير من معاصريه، أمثال أحمـد بـن حنبـل، ويحيى بن أكثم ويحيى بن أيوب، وغيرهم، حتى أنهم دعوه خليفة سفيان الثوري، رحل في طلـب العلـم ، ، وكانت له مصنفات كثيرة، توفي بفيد في الطريق بين مكة والكوفة بالكوفة سنة (١٩٧هـ / ٨١٣م)، ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ٦، ص ٣٩٤،ابن حبان : مشاهير علماء الأمصار ،ص ١٧٣ ، ابن الجـوزي: صـفة الصفوة، جـ٣، ص ص ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤.

(٤) عبد الرحمن بن مهدى بن حسان بن عبد الرحمن العنبري : يكن بأبي سعيد ، مـن مـوالى الأزد ، ومـن علماء الحديث، كان زاهدا متحريا للحلال ، أدرك عدد من التابعين ، وأسند عنهم وعن عدد من العلماء ممـن عاصروه ، توفي بالبصرة سنة (١٩٨هـ / ٨١٤م) ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ـ٧، ص ص ٢٩٧ ،

حرب ت ٢٤٤هـ / ٨٣٩م)[٢]، و الحجاج بن المنهال ت (٢١٧هـ / ٨٣٢م)[٣]، وأبو الوليد الطيالسي ت (٢٧٧هـ / ٨٤٢م)[٤].

وكان بمصر من هذه الطبقة أبو يعقوب البويطي ت (٢٣٢هـ / ٨٤٧م)[٥]، وابن عبد الحكم ت (٢١٤هـ / ٨٢٩م)[٦].

وتشتمل الطبقة الثامنة من تابعي التابعين على عدد من العلماء، منهم في بغداد بشر الحافي ت (٢٢٧هـ / ٨٤٢)[١]، وأحمد بن نصر الخزاعي ت (٢٣١هـ / ٨٤٩م)[٢]، و بشر بن

---

٢٩٨ ، ابن الجوزي : صفة الصفوة، جـ ٤ ، ص ص ٤،٣ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٩، ص ص ١٩٢، ١٩٣ ، ٢٠٦.

(٥) سليمان بن داود الطيالسي: يكنى بأبي داود من علماء البصرة في الحديث، توفي (٢٠٣هـ / ٨١٨م)، ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ٧، ص ٢٩٨.

(١) سليمان بن حرب الواشحي: يكنى بأبي أيوب، من الأزد، من كبار تابعي التابعين بالبصرة، وأحد علماء الحديث، ولي قضاء مكة، ثم عُزل عنها فعاد إلى البصرة، وتوفي بها سنة (٢٢٤هـ / ٨٣٩م)، ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ٧، ص ٣٠٠.

(٢) الحجاج بن المنهال الأنماطي: يكنى بأبي محمد، من تابعي، وعلماء الحديث بالبصرة، توفي بها سنة ٢١٧هـ/ ٨٣٢م، ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ٧، ص ٣٠١.

(٣) هشام بن عبد الملك: يكنى بأبي الوليد، ويعرف بالطيالسي، وربما كان ذلك لأنه كان يبيع الطيالس، من علماء البصرة في الحديث، فقد كان حجة فيه، توفي سنة (٢٢٧هـ / ٨٤٢م)، ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ ٧، ص ٣٠٠.

(٤) يوسف بن يحيى البويطي: يكن بأبي يعقوب، أحد تلاميذ الشافعي النجباء، وخليفته في حلقته بمسجد مصر، رفض القول بخلق القرآن، فحُمل مقيدا إلى العراق، فامتحنه الواثق فأبى أن يقول أن القرآن مخلوق فسجن ببغداد حتى توفي في السجن سنة (٢٣٢هـ / ٨٤٧م)، ابن الجوزي صفة الصفوة، جـ٤، ص ٢٦٠.

(٥) عبد الله بن عبد الحكم: يكنى بأبي محمد، المصري، أحد كبار علماء مصر، ومن مشهوري تابعي التابعين، وهو أحد تلاميذ مالك بن أنس، حتى أفضت إليه رئاسة المذهب المالكي بمصر بعد أشهب، له بعض المصنفات، مثل سيرة عمر بن عبد العزيز، وهو غير عبد الرحمن بن عبد الحكم صاحب كتاب فتوح مصر الذي توفي (٢٥٧هـ / ١٥٠م)، توفي عبد الله بن عبد الحكم سنة (٢١٤هـ / ٨٢٩م)، ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ٧، ص ٥١٨، الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ١٠، ص ٢٢٢.

الوليد[٣]، و أحمد بن حنبل ت (٢٤١هـ / ٨٥٥م)[٤]، و السري السقطي ت (٢٥٦ هـ / ٨٧٠م)[٥]، و الحارث المحاسبي ت (٢٤٣هـ / ٨٥٧م)[١]، ولا تورد المصادر، خصوصا كتب

---

(٦) بشر بن الحارث الحافي: يكنى بأبي نصر من أهل مرو، نزل بغداد وطلب الحديث، وسمعه من كبار العلماء، أمثال حماد بن زيد وشريك بن عبد الله، وعبد الله بن المبارك وهُشيم، رفض القول بخلق القرآن فحبس علـى ذلك، توفي ببغداد سنة (٢٢٧هـ / ٨٤٢م)، ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ٧، ص ٣٤٢، الطبـري: تـاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٣١٤.

(٧) أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم بن عوف بن وهب بن عميرة، الخز اعي: كان جده مالك بن الهيـثم أحـد نقباء بني العباس في مرحلة الدعوة السرية، وأحمد من كبار العلماء، فكان يأمر بـالمعروف وينهـى عـن= =المنكر، ومن ذلك نهيه عن منكر القول بخلق القرآن، حتى دفع حياته ثمنا لذلك، فقتله الواثق فـي سـامراء، وصلبه في بغداد سنة (٢٣١هـ / ٨٤٩م)، الخطيب: تاريخ بغداد، جـ٥، ص ص ١٧٣، ١٧٤، ١٧٦.

(١) بشر بن الوليد الكندي: روى عن الطبقة الأولى والثانية من تابعي التابعين، أمثال: مالك بن أنس وأبي يوسف القاضي، كان عالما بالحديث، وكان يفتي ببغداد، كما شارك في جهاز الدولة فكان علـى قـضاء بغـداد فـي الجانبين الشرقي والغربي، رفض القول بخلق القرآن، فعزل، وحبسه المعتصم في داره ومنعه من الفتيا لم تعلم وفاته، ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ٧، ص ٣٥٥.

(٢) أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن أدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بـن مازن بن نهل بن سفيان: يكنى بأبي عبد الله، أحد أئمة المذاهب الأربعة المعروفة، فهو أحد كبار العلماء فـي العصر العباسي الأول ، فكان فقيها محدثا ، غير أن أهم أدواره في الحياة الـسياسية والدينيـة فـي العـصر العباسي الأول ، وقوفه إزاء فتنة القول بخلق القرآن حتى التف الناس حوله وبطل القـول بخلـق القـرآن ، توفي سنة (٢٤١هـ / ٨٥٥م)، ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ٧، ص ص ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٩ ، ١٧٣ ، ابن الجوزي : مناقب الإمام أحمد بن حنبل ، حققه : سعد كريم الفقـي ، دار ابـن خلدون ، الإسكندرية ، (د.ت) ، ص ص ٣٤٩، ٣٥٥ ، أبو يعلى : طبقات الحنابلة ، حققه : محمـد حامـد الفقي ، دار إحياء التراث العربي ، فيصل البابي الحلبي، جـ١، ص٤ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ١، ص ٦٤.

(٣) سري بن المغلس السقطي، المعروف بالسري السقطي: يكنى بابي الحسن، كان من كبار المتصوفة ومن كبار العلماء في علوم التوحيد، وقد كان تلميذا لمعروف الكرخي، اسند الحديث عن عدد من تابعي التـابعين أمثـال هُشيم وأبي بكر بن عياش، ويزيد بن هارون، توفي سنة (١٥٦هـ / ٨٧٠م)، ببغداد، ابن الجـوزي: صـفة الصفوة، جـ٢، ص٢٥٠، ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٢، ص ص ٢٥٧ ، ٢٥٩.

الطبقات أسماء أيا من العلماء في المدينة ومكة من تابعي التابعين بعد الطبقة (الثالثة) السابعة حسب تصنيف هذه المصادر، وقد كان ذلك بسبب أن المدن الجديدة، خصوصا بغداد اجتذبت إليها العلماء من هذه المدن رغم أهميتها الدينية فأصابها بعض التراجع فقل العلماء بها، أما في الكوفة

فقد اشتملت الطبقة الرابعة من تابعي التابعين كلا من يحيى بن آدم ت (٢٠٣هـ / ٨١٨م)[٢]، و عنبسة بن سعيد ت (١٠٣هـ / ١٥٩م)[٣]، و عبد العزيز بن إبان ت (٢٠٧هـ / ٨٢٢م)[٤]، و الحسن بن الربيع ت (٢٢١هـ / ٨٣٦م)[٥]، و يحيى بن بشر ت (٢٢٩هـ / ٨٤٤م)[٦]، وكان بالبصرة منهم محمد بن عبيد الله ت (٢٢٨هـ / ٨٤٣م)[٧]، و (ابن نجيح ت ٢٣٤هـ / ٨٤٩م)[٨]، وفي الشام أحمد بن الحواري ت (٢٤٦هـ / ٨٦٠م)[٩]، وكان في مصر من هذه الطبقة ذا النون المصري[١] ت (٢٤٦هـ / ٨٦٠م)[٢].

---

(٤) الحارث بن أسد المحاسبي: من جلة العلماء الزهاد، له مصنفات عديدة، أسند عن بعض تابعي التابعين، توفي سنة (٢٤٣هـ / ٨٥٧م) ، ابن الجوزي : صفة الصفوة ، جـ ٢ ، ص ٢٤٠.

(١) يحيى بن آدم بن سليمان: يكنى بأبي زكريا، من الموالي من متأخري تابعي التابعين، توفي بفم الصلح سنة (٢٠٣هـ / ٨١٨م)، ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ ٦، ص ٤٠٢.

(٢) عنبسة بن سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص: يكنى بأبي خالد من العلماء الثقاف، فقد روى الحديث عن عبد الله ابن المبارك وغيره، ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ ٦، ص ٤٠٧.

(٣) عبد العزيز بن أبان القرشي: يكنى بأبي خالد، وهو من نسل سعيد بن العاص من علماء الكوفة في الحديث، ولي قضاء واسط، ثم عُزل، فنزل بغداد حتى توفي بها سنة (٢٠٧هـ / ٨٢٢م)، ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ ٦، ص ٤٠٤.

(٤) الحسن بن الربيع : يكنى بأبي علي ، من علماء الكوفة ، هو من أصحاب عبد الله بن المبارك، كان يغزو معه، وشهد وفاته، توفي الحسن بالكوفة سنة (٢٢١هـ / ٨٣٦م) ، ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ ٦، ص ٤٠٩.

(٥) يحيى بن بشر بن كثير الأسدي الحريري: يكنى بأبي زكريا، أحد علماء الكوفة، كان له تجارة ينتقل بها بين الأمصار فيسمع من العلماء فيها، فقدم دمشق وسمع من سعيد بن عبد العزيز وسعيد بن بشر وغيرهما، توفي بالكوفة سنة (٢٢٩هـ / ٨٤٤م)، ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ ٦، ص ص ٤١١ ، ٤١٢.

(٦) محمد بن عبيد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان الأموي: من علماء البصرة، توفي سنة ٢٢٨ هـ / ٨٤٣م، الخطيب: تاريخ بغداد، جـ ٢، ص ص ٣٢٤ ، ٣٢٦.

(٧) علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيح المدني: يكنى بأبي الحسن، أحد علماء البصرة، توفي في معسكر المتوكل بسر من رأى (سامراء) سنة (٢٣٤هـ / ٨٤٩م)، ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ ٧، ص ٣٠٨.

(٨) أحمد بن أبي الحواري، (وأبي الحواري هو عبد الله بن ميمون)، يكنى بأبي الحسن، ويلقب بالثعلبي الدمشقي، شيخ وعالم أهل الشام، عُرف بالزهد والورع، وسمع من كبار العلماء أمثال "سفيان بن عيينة، وعبد الله بن

وقد عُرف هؤلاء العلماء في القاموس الإسلامي أيضا بتابعي التابعين، وتأتي التسمية هنا من تبعيتهم لجيل التابعين، ليس التبعية الزمنية وحسب، بل والأهم من ذلك تبعية المنهج والأسلوب والدور، خصوصا وقد وصفهم الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالخيرية في قوله: "خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم"(٣)؛ فاشتمل الحديث على الصحابة والتابعين وتابعي التابعين وربما كان منشأ التسمية من هذا التقسيم النبوي.

وكما أن الصحابي هو الذي التقى بالرسول (صلى الله عليه وسلم) وأخذ ونقل عنه ، والتابعي هو الذي التقى بصحابي وأخذ عنه ، فإن تابع التابعي هو الذي التقى بتابعي وأخذ عنه،الدين بعلومه وشرائعه وآدابه، فبذلك يكون تابعو التابعين هم الجيل الذي أتى بعد جيل التابعين، والتقى بهم وأخذ عنهم، فيروي ابن عساكر(٤)، أن عبد الله بن لهيعة لقي اثنين وسبعين تابعيا، وأدرك سفيان بن عيينة ستة وثمانين من أعلام التابعين، وأخذ عن جُلهم، أمثال الأعمش(٥)، وأيوب السختياني (٦)،و أبي حازم (٧)، و الزهري (١)، وعمرو بن دينار(٢)، ومحمد بن المنكدر(٣)، وأسند

إدريس والكسائي ووكيع"، توفي سنة(٢٤٦هـ / ٨٦٠م)، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ١٢، ص ص ٨٥، ٨٦، ٩٤.

(٩) ذو النون بن إبراهيم أبو الفيض المصري: أصله من النوبة، نزل إحدى قرى صعيد مصر تدعى أخميم، أحد كبار علماء الأمة، وعالم مصر في عصره، أسند الحديث عن كبار العلماء قبله، توفي بالجيزة، ونقل إلى الفسطاط، فدفن في مقابر أهل المعافر سنة (٢٤٦هـ / ٨٦٠م)، وقد عده السلمي في المتصوفة، السلمي: طبقات الصوفية، ص ١٥، ابن الجوزي: صفة الصفوة، جـ ٤، ص ص ٢٦١، ١٦٥.

(١٠) ابن الجوزي: صفة الصفوة، جـ ٤، ص ٢٦٥.

(١) أخرجه أبو داود في سُننه، كتاب السنة، باب فضل أصحاب الرسول (صلى الله عليه وسلم)، حديث رقم (٤٦٥٧)، حققه: محمد محيى الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ت)، جـ ٤، ص ٢١٤.

(٢) تاريخ مدينة دمشق، جـ٣٨، ص ٣٩.

(٣) سليمان بن مِهْران الأسدي: يكنَّى بأبي محمد، ويعرف الأعمش، من الموالي، وأحد كبار التابعين بالكوفة، توفي سنة(١٤٧هـ / ٧٦٤م)، ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ ٦، ص ص ٣٤٢ ، ٣٤٤.

(٤) أيوب بن أبي تميمة كيسان السختياني: يكنى بأبي بكر، من الموالي، أحد كبار التابعين بالبصرة، توفي بالطاعون سنة (١٣١هـ / ٧٤٩م)، ابن الجوزي: صفة الصفوة، جـ ٣، ص ص ١٩٧ ، ٢٠٠، أبو نعيم: حلية الأولياء، جـ ٣، ص ص ٣ ، ٤.

(٥) سلمة بن دينار الأعرج: يكنى بأبي حازم، ويشتهر به، من الموالي، أحد كبار التابعين من الطبقة الرابعة من أهل المدينة، كان كثير الوعظ للخلفاء خصوصا سليمان بن عبد الملك، توفي بعد سنة (١٤٠هـ / ٧٥٧م)، في خلافة المنصور، ابن حبَّان : مشاهير علماء الأمصار، ص ٧٩، ابن الجوزي : صفة الصفوة ، جـ ٢، ص ص ١٠٧، ١١٣.

وأسند حماد بن سلمة – كما يذكر ابن الجوزي[٤] – عما لا يحصى من التابعين ولقي الليث بن سعد اثني عشر تابعيا[٥]، وروى مالك عن عدد كبير من التابعين، كان منهم نافع[٦]، كما التقى بالتابعين من العلماء، إبراهيم بن أدهم[٧]، و سفيان الثوري[٨]، و ابن السماك[٩]، و عبد الله بن إدريس[١٠]، و عبد الله بن المبارك[١١]، و عبد الرحمن بن مهدي[١٢]، و الفضيل بن عياض[١]، و أبو يوسف يعقوب[٢]، وسواهم مما لا يتسع المجال لحصرهم.

---

(٦) محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، نسبة إلى قبيلة زهرة: يكنى بأبي بكر، من الطبقة الرابعة من تابعي المدينة، وكان فقيها محدثا، يفد على الخلفاء الأمويين في دمشق فيعظهم، أثنى عليه معاصروه، توفي سنة ١٢٤هـ / ٧٤٢م، ابن الجوزي: صفة الصفوة، جـ٢، ص ص ٩٥ ، ٩٧.

(٧) عمرو بن دينار: من الموالي، فهو مولى بأذان من الأبناء باليمن، سكن مكة، فهو من الطبقة الثالثة من التابعين بها، حظي بمكانة مرموقة بين أقرانه، توفي سنة (١٢٦هـ / ٧٤٤م) ، ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ٥، ص ص ٤٧٩ ، ٤٨٠.

(٨) ابن الجوزي : صفة الصفوة ، جـ ٢ ، ص ١٥٨ ، محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير بن محرز بن عبد العزيز بن عامر بن الحارث بن حارثة بن سعد بن تيم بن مرة ، يكنى بأبي عبد الله، من =الطبقة الرابعة من تابعي المدينة ، من كبار الزهاد والعباد والقراء ، توفي سنة (١٣٠هـ / ٧٤٨م) ، ابن حبان : مشاهير علماء الأمصار ، ص ٦٥ ، ابن الجوزي : صفة الصفوة ، جـ ٢، ص ص ٩٧ ، ٩٨.

(١) المصدر نفسه: جـ٣، ص ٢٤٤.

(٢) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، جـ٣٨، ص ٣٩.

(٣) أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ٢ ، ص ١٦٨ ، نافع مولى عبد الله بن عمر، يكنى بأبي عبد الله ، من الموالي ، لكن العلم رفع شأنه ، فقد حاز علم عبد الله بن عمر ، فروى عنه جل أحاديثه ، قدم على عمر ابن عبد العزيز ، وهو من جل التابعين ، وتعد أسانيده من أصح الأسانيد، توفي سنة (١١٣هـ / ٧٣١م) ، ابن منظور : مختصر تاريخ مدينة دمشق، جـ ٢٦ ، ص ص ١٠٩ ، ١١٢.

(٤) المصدر نفسه: جـ٨، ص ص ٤٥، ٥٤، ٥٨.

(٥) أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٩ ، ص ٣٠ ، ابن الجوزي : صفة الصفوة ، جـ ٣ ، ص ١٠٠.

(٦) ابن الجوزي: صفة الصفوة، جـ٣، ص ١١٦.

(٧) المصدر نفسه: ص ١١٢.

(٨) أبو نعيم: حلية الأولياء، جـ٨، ص ص ١٨٢ ، ١٨٣.

(٩) ابن الجوزي: صفة الصفوة، جـ٤، ص ٤.

فكان لهذا الالتقاء، أكبر الأثر في تلقي تابعي التابعين عن التابعين، الجيل الذي سبقهم، العلوم الدينية، وإثرائها باجتهاداتهم، وتكييفها مع البيئات المختلفة، فبرز من هذا الجيل كبار العلماء وأئمة المذاهب والمدارس الفقهية، وظهرت المصنفات والتخصصات في شتى مجالات العلوم، بعد أن تخطّى العلماء عقدة التدوين، وزالت التحفظات حوله، واشتدت الحاجة إليه[٣]، وبالرغم من موسوعية هؤلاء العلماء إلا أنه غلب على اهتماماتهم مجال بعينه، فغلب الفقه على اهتمام كل من أبي حنيفة[٤]، و أبي يوسف[٥]، و الشافعي[٦]، و أبي عبيد[٧].

وغلب الحديث على اهتمام مالك بن أنس[٨]، و سفيان الثوري[٩]،وأحمد بن حنبل[١]، واستأثر التفسير على اهتمام مقاتل بن سليمان[٢]، وغلبت المغازي والسير على اهتمام كل من، الأوزاعي[٣]، و محمد بن إسحاق[٤].

---

(١٠) أبو نعيم: حلية الأولياء، جـ٨، ص ١٢٦.

(١١) الاربلي : خلاصة الذهب المسبوك مختصر سيرة الملوك، ص ٩٣.

(١) روى مالك أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى أبي بكر بن عمر بن حزم أن انظر ما كان من حديث رسـول صلى الله عليه وسلم أو سننه، أو حديث عمر أو نحوه فاكتبه لي، فإني قد خفت دُروس (زوال) العلم وذهـاب العلماء، وقد أخذ العلماء في العصر العباسي الأول بذلك، فكانوا لا يرون بأسا بكتابة العلم، إلا أن التدوين لـم يظهر كحركة علمية نشطة إلا في العصر العباسي الأول وابتداء من سنة (١٤٣هـ / ٧٦٠م)، مالك بن أنس: موطأ الإمام مالك، ص ٣٣٠، الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ ٧، ص ٢٤٩؛ مرعي بن يوسف: تنوير بصائر المقلدين، ص ٤٦.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، ط ١، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م، جـ ١٠، ص ١٠٧.

(٣) ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ ٦، ص ٣٨٢.

(٤) ابن الجوزي: مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ص ١٧٧؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء: جـ ١٠، ص ٤٤؛ ابـن حجر: العسقلاني: سيرة الإمامين الليثي والشافعي، ص ص ١٧٥ ، ١٧٦.

(٥) ابن الجوزي : صفة الصفوة ، جـ ٤، ص ١١٨ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ١٠، ص ص ٤٩١ ، ٤٩٢، ٥٠٢.

(٦) البهيقي: مناقب الشافعي، حققه: السيد أحمد الصقر، دار التراث، القاهرة، ط ١، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م، جـ١، ص ١٦٦؛ ابن كثير: البداية والنهاية، جـ ١٠، ص ١٠٧.

(٧) قال الفضل بن محمد الشعراني: كان سفيان رأسا في الحديث، الخطيب: تاريخ بغداد، جـ ٥، ص ٢٨٣؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، جـ ٣٨، ص ٣٢٨.

وهكذا فقد كان العصر العباسي الأول الرحم الذي تخلقت فيه العلوم الإسلامية المختلفة، بما في ذلك المناهج التي وضعت لتحصيلها، فكانت سنة (١٤٣هـ / ٧٦٠م) نقطة التحول الأولى في تدوين العلوم الإسلامية إذ شرع علماء الإسلام في تدوين العلوم الإسلامية مثل الحديث والفقه والتفسير، فصنف ابن جريج[٥]، بمكة، فكان أول من صنَّف في الإسلام[٦]، وصنف مالك الموطأ في المدينة، فكان أول من صنف في الفقه[٧]، وكان أبو يوسف أول من صنف في أصول الفقه على مذهب أبي حنيفة[٨]، غير أن أشهر مؤلفاته كتاب الخراج، وألفَّ الشافعي عددا من الكتب، مثل الرسالة[٩] ، والجزية ، والأم ، والسنن ، والسير[١٠] ، وكان للواقدي مصنفات كثيرة في

---

(٨) ابن الجوزي: مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ص ص ١٩١، ٢٤٥، ٢٤٦.

(٩) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ ١٠، ص ١٠٧.

(١٠) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ ١٠، ص ١١٦.

(١١) الخطيب: تاريخ بغداد، جـ ١، ص ٢١٩ ، جـ ٣، ص ص ٣، ٤، ٥، ٦، ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الخلفاء والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلميـة، بيـروت، ط١، ١٤١٢هـ ـ/ ١٩٩٢م، جـ٨، ص ص ١٤٠ ، ١٤٣.

(١) السيوطي : تاريخ الخلفاء ، حققه : قاسم الـشماخي الرفـاعي ، محمـد عثمـان ، دار القلـم ، بيـروت ، ط١، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، ص ٣٠١ ، مرعي يـوسف : تنوير بصائر المقلدين في مناقب الأئمة المجتهدين ، ص ٤٦.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، جـ ٨، ص ١٢٤، ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ ـ٣، ص ص ٦٦٣ ، ٦٦٤، الذهبي: العبر في خبر من غبر، جـ ١، ص ١٩٣، شهاب الدين أحمد بن محمد الحنبلـي: محاسن المساعي في مناقب الإمام أبي عمر والأوزاعي، تحقيق: إبراهيم مهدي، مؤسسة المـوارد الثقافيـة، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، ص ٣٣.

(٣)العسكري: كتاب الأوائل، تحقيق: محمد السيد الوكيل، (د. د. م. ت)، جـ٧، ص ٢٩٨.

(٤) ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٦، ص ٣٨٢.

(٥) كتبه الشافعي، وهو شاب تلبية لطلب عبد الرحمن بن مهدي، عندما طلب منه أن يضع له كتابا فـي معـاني القرآن، وقبول الأخبار، وحجة الإجماع، وبيان الناسخ والمنسوخ، فوضع كتاب الرسالة، الذهبي: سير أعـلام النبلاء، جـ ١٠، ص ٤٤.

(٦) ابن حجر العسقلاني: سيرة الإمامين الليثي والشافعي، ص ص ١٧٥، ١٧٦، ١٧٨، ١٧٩.

المغازي والسير، والطبقـات ، والفقه والحديث، وفي أخبار الناس[١] ، إلا أن المغازي غلبت على اهتمامه، وقد اتخذ لنفسه منهجا خاصا به ، فكان عندما يكتب عن أي غزوة، أو موقعة، ينتقل إلى المكان الذي دارت عليه، فيعاينه، ويستوحي منه، وكأنه يدرس تضـاريس وظـروف المعركة التي دارت فيه، فذهب إلى المُريسيع[٢]، وإلى حنين[٣] وصنَّف أبو عبيد في أصناف مختلفة من العلوم، مثل علوم القرآن والفقه والعربية والأخبار[٤]، ومن مصنفاته كتاب الأموال، وكتاب الغريب، وكتاب فضائل القرآن وكتاب الطهور وكتاب الناسخ والمنسوخ، وكتاب المواعظ، وكتاب الغريب المصنف في علم اللسان[٥]، ومن مصنفات أحمد بن حنبل، المسند، والتفسير، والناسخ والمنسوخ، والتاريخ وحديث شعبة، والمقدم والمؤخر في القرآن، وجوابات القرآن، والمناسك الكبير والصغير[٦]، ولا ريب أن تشجيع الخلفاء للعلماء قد أسهم في زيادة إنتاجهم العلمي، خصوصا وقد فرّغ بعضهم للعلم[٧].

---

(٧) الخطيب: تاريخ بغداد، جـ٣، ص ص ٣ ، ٤.

(١) المُريسيع بضم الميم، تصغير المرسوع وهو الذي انسلقت عيناه من السهر، وهو اسم ماء في ناحية قديد إلـى الساحل، سار إليه النبي (صلى الله عليه وسلم) سنة خمس هجرية إلى بني المصطلق من خزاعة، لمـا بلغـه أنهم يجمعون لحربه، وفي هذه الغزوة كان حديث الأفك، ياقوت: معجم البلدان، تحقيق: فريـد عبـد العزيـز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠، جـ٥، ص ١٣٩.

(٢) الخطيب: تاريخ بغداد، جـ٣، ص ٦، حنين: اسم وادي بين مكة والطائف، دارت عليه وقعة بين المـسلمين، وبين هوازن وثقيف، هي غزوة حنين، وقد ذكرها الله تعالى في محكم التنزيل "ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم " انهزم المسلمون في أول المعركة، وانتصروا في نهايتها، وقد قال سنان بن ثابت في وصف ذلك:

نصروا نبيهم وشدوا أزره بحنين يوم تواكل الأبطال ،

(٣) ابن الجوزي: صفة الصفوة، جـ٤، ص ١١٨.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ١٠، ص ص ٤٩١، ٤٩٢، ٥٠٢.

(٥) ابن الجوزي: مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ص ١٩١.

(٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ١٠، ص ص ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٠، ص ٢٩١، محمد بن أبي بكر المبارك : كتاب النصح في الدين ومـآرب القاصـدين فـي مـواعظ الملـوك والسلاطين، مخطوط مصور بمعهد المخطوطات العربية، القاهرة، ميكروفيلم (٥٥)، ص ٧٧.

وبالرغم من طغيان الاهتمامات العلمية على مساحة كبيرة من حياة العلماء في العصر العباسي الأول، إلا أنهم قد أولوا الحياة السياسية مساحة كبيرة من اهتمامهم، بل ولعبوا أدوارا أثرت في مجرياتها.

فهم منذ البداية، يَقرِنُون السياسة بالكياسة والحكمة، والقدرة على الترويض، وحسن تقدير الأمور، ووضع كل شيء في موضعه، وبأنها تدبير شئون الناس ومعاشهم وفق شرع الله، وحملهم على الاستقامة بمنهج الله، والتمكين لدين الله وشرعه في الأرض، وسيلتها في ذلك الترغيب والترهيب، وهما الأصلان اللذان تقوم عليهما السياسة الدينية والدنيوية[١]، وتتحقق بهما حضارية الأمة بالمفهوم الإسلامي الذي لا يعدو تحقيق الإنسان لغاية وجوده على الأرض، العبادة والعمارة، خلافا لما تذهب إليه بعض المناهج المعاصرة من أن السياسة قرينة الكذب والخداع والمراوغة بعيدا عن الأخلاق، وفق مبدأ أن الغاية تبرر الوسيلة.

وكان للعلماء في العصر العباسي الأول أدوار في الحياة السياسية، منطلقين من مبدأ النصح للأمة وللإمام، وضمن قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعدم التواني في تقديم أي جهد يملكونه لإصلاح أحوال الأمـة بعد أن استشعروا خطورة الدور المنوط بهم، بوصفهم قادة الفكر في الأمة وحملة مشاعل العلم والنور في المجتمع، وقد بيَّن ذلك الرسول (صلى الله عليه وسلم) في قوله: "إن مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم في السماء يُهتدي بها في ظلمات البر والبحر، فإذا طمست النجوم أوشك أن تضل الهداة"[٢]، كما عبر العلماء، أنفسهم، عن هذا الاستشعار لذلك الدور، فقال الأوزاعي: "كنّا قبل اليوم نمزح ونضحك أما إذ صرنا أئمة يقتدى بنا، فلا نرى أن

(١) الجاحظ: رسائل الجاحظ (الرسائل السياسية) قدمه وشرحه: علي أبـو ملحـم، دار الهـلال، بيـروت، ط١، ١٩٨٧م، ص ٥، ابن قيم الجوزية: أعلام الموقعين عن رب العالمين، جـ٤، ص ص ٤٦٠ ، ٤٦١.

(٢) رواه أحمد بن حنبل في مسنده، حديث رقم (١٢٦٢١)، مؤسسة قرطبة، مصر،(د.ت)، جـ٢، ص ١٥٧.

يسعنا التبسم، وينبغي أن نتحفظ"[1]، ورأى ابن لهيعة أن زوال العلماء من البلاء[2]، وأكد ذلك أحمد بن حنبل حيث قال: "الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى"[3]، خصوصا وقد رأوا ضمور بعض سمات الخلافة الراشدة في حياة معاصريهم من خلفاء بني العباس، وبدرجات متفاوتة، فاستوحشوا لهذه التبدلات خوفا على قوام المجتمع ومقومات الدولة، لئلا تقع في مجال السنن الماضية التي لا تجامل أحدا، فسعوا إلى إصلاح ما اختل في الحياة السياسية، كلٌ وفق رؤيته ومنهجه، فتباينت صور الأدوار التي قاموا بها بين المشاركة المباشرة، والإصلاح من داخل السلطة، من خلال العمل في أجهزة الدولة، وبين النصح والوعظ والتوجيه من خارج السلطة، وبين السكوت والانصراف إلى طلب العلم، والانقطاع إلى العبادة وهو نوع من المواقف المعارضة وإن اتسم بالسلبية، وبالرغم من تباين صور هذه الأدوار إلا أنها تتفق في مضمونها وغايتها.

- **العصر العباسي الأول:**

أما العصر العباسي الأول، فإن من نافلة القول التعريف به، فقد تناولته دراسات عديدة[4]، وبالتالي لن نعيد ما سبق ذكره من نسبة الدولة إلى العباس بن عبد المطلب، وما إلى ذلك، وما

---

(٣) ابن الجوزي: صفة الصفوة، جـ ٤، ص ٢١٦؛ ابن كثير: البداية والنهاية، جـ ١٠، ص ١١٩.

(٤) عبد الله بن لهيعة : صحيفة عبد الله بن لهيعة، نشرها البروفسير Raif Georg : محفوظة في معهد البرديات بجامعة هيدلبرج، ألمانيا، ص ص ٢٥٩ ، ٢٦٠.

(١) ابن الجوزي: مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ص ١٦٧، ابن قيم الجوزية : أعلام الموقعين عن رب العـالمين، جـ ١، ص ٩.

(٢) حسن أحمد محمود: العالم الإسلامي في العصر العباسي، مطبعة الاستقلال الكبرى، القاهرة، (د.ت)؛ شـاكر مصطفى: دولة بني العباس، وكالة المطبوعات، الكويت، ط١، ١٩٧٣م، العش: تاريخ عصر الخلافة العباسية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، عبد المجيد أبو الفتوح: التاريخ السياسي والحضاري للخلافة العباسية، مكتبة حمدي، دمياط، (د.ت).

تميز به هذا العصر من القوة والازدهار، ولكن ما سوف نقف عنده هو تقسيم الحكم العباسي إلى عصرين متميزين، عصر أول تميز بالقوة والازدهار، وآخر وَسم بالضعف والانحطاط .

وهو تقسيم يعتمد على نظرة جزئية أحادية للتاريخ، إذ اعتمد المؤرخون أصحاب هذه النظرة، جانبا واحدا من جوانب التاريخ المتعددة للحكم على عصور التاريخ العباسي، هو الجانب السياسي، فاعتمدوا ما حدث من ضعف سياسي وتفكك بعض أوصال الدولة العباسية وضعف بعض خلفاء المرحلة المتأخرة، وفقدانهم السيطرة على مقاليد الأمور، وما صاحب ذلك من مظاهر، اعتمدوها أساسا لتقسيم الحكم العباسي إلى عصرين متميزين، عصر عباسي أول يتسم بالقوة، وعصر عباسي ثاني يتصف بالضعف والضمور.

فأغفلت هذه النظرة جوانب أخرى من التاريخ لا تقل أهمية عن الجوانب السياسية إن لم تفقها، أعني بذلك الجوانب الحضارية والعلمية، خصوصا وأنا نعلم أنَّ من غايات التاريخ السامية، رصد تطور الحضارة الإنسانية، ومدى إسهام الشعوب والأمم فيها، فالمرحلة المتأخرة من عمر الدولة العباسية، وإن عانت من الضعف السياسي، وانفرط عقدها، إلاَّ أنه لا يستطيع أحد أن ينكر أن جل العلوم الدينية والطبيعية، وإن كان بعضها قد نشأ في العصر العباسي الأول، لم تتم وتترعرع، ولم تزدهر، إلا في العصر العباسي الثاني، فكان بمثابة الرحم الذي تخلّقت فيه الحضارة الإسلامية، وإن ذلك الضعف السياسي أتاح تنوع المنتج الحضاري في شكله، وإن كان متوحدا في جوهره، فظهرت ثلاثة مراكز حضارية في بغداد والقاهرة، وقرطبة.

ومع ذلك، وإن وافقنا هؤلاء المؤرخين في اعتماد المعيار السياسي أساسا للتمييز بين مرحلتين مختلفتين من عمر الدولة العباسية، فإننا نأخذ عليه أن الحدود الفاصلة بين هاتين المرحلتين (العصرين) فيها بعض التجاوز.

إذ اتخذت جل الدراسات التي عرضت للتاريخ العباسي[1]، من سنة (٢٣٢هـ / ٨٤٧م)، نهاية للعصر العباسي الأول وبداية للعصر العباسي الثاني، وهي المرحلة الفاصلة بين عهدي الواثق بالله، والمتوكل على الله، وتبعا لهذه النظرة، وذلك التقسيم، صُنِّف عهد الخليفة المتوكل على الله (٢٣٢-٢٤٧هـ / ٨٤٧-٨٦١م) على أنه بداية عصر الضعف والانحطاط .

وقد كان لهذا التصنيف أثره الواضح في رسم صورة باهتة – خلافا للواقع – لهذا الخليفة، ولعهده، فالانطباع الأول الذي يخرج به المطالع لمعظم الدراسات المحدثة عن التاريخ العباسي، هو أن المتوكل خليفة ضعيف ليس له حول ولا قوة، وأنه كان ألعوبة بأيدي قوّاد جيشه من الأتراك، خلافا لما يخرج به الباحث من خلال المصادر المعاصرة والقريبة من عهد المتوكل، إذ يجد الباحث نفسه إزاء واحد من خلفاء بني العباس الأقوياء، وعهده من أكثر العهود، إصلاحا.

وإذا ما انفككنا من أسر هذه الدراسات التي اعتمدت قوالب جاهزة لحقب التاريخ الإسلامي، وبالارتداد صوب المرحلة التي تخلقت فيها أحداث التاريخ العباسي، وحاولنا الإطلال عليها من خلال المصادر الأصلية، والمنابع الصافية للتاريخ الإسلامي، يجد المرء نفسه أمام خليفة لا يقل عن أسلافه من الخلفاء العباسيين إن لم يفق بعضهم، وهو ما أكده أحد معاصريه من العلماء[2]، حيث قال: " الخلفاء ثلاثة أبو بكر الصديق قاتل أهل الردة، وعمر بن عبد العزيز رد مظالم بني

---

(١) أحمد الحفناوي: الحضارة الإسلامية في ظل الخلافة العباسية، الجهاز المركزي للكتب الجامعية، المنصورة، ط١، ١٩٧٩م، ص ٣٩، حسن أحمد محمود: العالم الإسلامي في العصر العباسي، ص ٨٢، حسين محمد سليمان: الدولة الإسلامية في العصر العباسي، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ص ٢١، شاكر مصطفى: دولة بني العباس جـ١، ص ٤؛ نادية صقر: السلم في العلاقات العباسية البيزنطية في العصر العباسي الأول، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م، ص ٢٥.

(١) إبراهيم بن محمد التيمي: قاضي البصرة، أحد علماء الحديث، وإن ضعَّفه بعضهم، لم أقف له على تاريخ وفاة، الطبراني: المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، جـ٤، ص ١٣٠، ابن الجوزي: العلل المتناهية، تحقيق: خليل أنيس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، جـ١، ص ٢٩٧ .

أمية، والمتوكل محا البدع وأظهر السنن "[١]، وقال آخر: " لما استخلف المتوكل على الله، نظر في إصلاح العامة، والتفت إلى المظالم والمسجونين، والجبر لقلوبهم "[٢]، وانتهج سياسة تأليف الناس بعد أن قلاهم وأعنتهم الخلفاء من قبله، فقال المتوكل معبرا عن ذلك: " إن الخلفاء كانت تتصعب على الناس ليطيعوهم، وأنا ألين لهم ليحبوني ويطيعوني "[٣]، فقرب التجار والفلاحين والصناع وأغدق عليهم الأموال، وأراد إصلاح الأرض وإجراء الأقنية، وأجَّل أخذ الخراج المفروض على المزروعات إلى ما بعد نضج الثمر[٤]، وهو ليس خليفة ضعيفا كما يصوره بعض المؤرخين، إذ تمكن طوال عهده من تصويب الأخطاء السياسية والانحرافات الفكرية والمخالفات الإدارية، التي غرقت فيها الدولة، أو كادت، وأصابت بالخلل أجهزتها في عهد أسلافه، وهو شيء لا يتصدى له إلا خليفة قوي.

مواجهة النفوذ التركي:

جاء المتوكل إلى الخلافة فوجد الأمر قد استبدت به القيادات التركية التي نمت وترعرعت في عهد المعتصم، ثم سيطرت وتحكمت في عهد الواثق، فاستبدت بالسلطة واستأثرت بالمال، وزاد نفوذها في البلاط العباسي، وكان هؤلاء يستجلبون أبناء جلدتهم، لتدعيم مراكزهم السياسية والعسكرية، فحاول المتوكل الحد من هذه السيطرة، والكبح من ذلك النفوذ والاستبداد لهذه القيادات التركية المتسلطة، فجرد بعضهم من مراكزهم السياسية والعسكرية، وحاسبهم فيما حازوه من

---

(٢) ابن الجوزي: مناقب الإمام أحمد، ص ص ٣١٢ ، ٣١٣، مرعي بن يوسف: تنوير بصائر المقلدين في مناقب الأئمة المجتهدين، ص ١٢٣.

(٣) ابن وادران: تاريخ العباسيين، تحقيق: المنجي الكعبي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص ٥٧١.

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ، جـ ١٢ ، ص ٣٢ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٣٩٨ .

(٢) يوسف العش : تاريخ عصر الخلافة العباسية ، ص ١٠٥ .

أموال بطرائق غير شرعية فصادر بعضها[1]، بل إنه عزم على اتخاذ عاصمة جديدة للدولة تكون بعيدة عن سامراء[2]، والعراق، حيث تركز العناصر التركية، فوقع اختياره على دمشق وسار إليها سنة (٢٤٤هـ / ٨٥٨م)، إلا أنه كما تقول الروايات، استثقل ماءها، فعاد إلى سامراء بعد شهرين من المقام بدمشق[3].

وقد أوغرت هذه الإجراءات صدور القادة الترك ضد المتوكل وظلوا يتربصون به حتى قتلوه[4]، ثم استبدوا بعد ذلك بالخلافة وسيطروا على الخلفاء، فأصبح الخلفاء بعد ذلك يسيرون حسب إرادتهم، ولذلك فبموت المتوكل ابتدأ نفوذ الأتراك واستمر، ومعه ابتداء عصر الضعف السياسي للدولة العباسية، المعروف بالعصر العباسي الثاني[5].

---

(٣) يقول الذهبي: انحرفت الأتراك عن المتوكل لمصادرته وصيفا وبُغا حتى اغتالوه ، سـير أعـلام النـبلاء ، جـ١٢ ، ص ٣٨ .

(٤) هي في الأصـل : سُرَّ من رأى بنـاهـا المعتصـم لتكـون مقـرا لجنـده الأتـراك بعد أن ،عثـوا فـي بغداد فسادا وشكا منهم أهلها للمعتصم ، وتقع بين بغداد وتكريت شرقي نهر دجلة، ياقوت : معجـم البلـدان، جـ٣ ، ص ٩٥.

(١) عز على أهل العراق أن تنتقل عاصمة الخلافة عنهم، إلى الشام، فتلطف شاعرهم يزيد بن محمـد المهبلـي لدى المتوكل لثنيه عن الانتقال إلى دمشق قائلا:

أظن الشام يشمت بالعراق ... إذا عزم الإمام على انطـلاق

فإن تدع العراق وساكنيه ... فقد تبكي المليحـة بالطـلاق ،

(٢) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، (د.ت)، جـ٢، ص ٤٩٢، الذهبي: سـير أعـلام النـبلاء، جـ١٢، ص ٣٨.

(٣) ومن نتائج دراسة أجراها أحمد سعود أحمد الحسن ، خلص إلى أن تحول منصب الخلافة من الهيبة والقـوة إلى الضعف والإضمحلال ، تم بصورة سريعة، وليس تدريجيا حيث كان منصب الخليفة العباسي منذ نـشأة الدولة العباسية(١٣٢هـ / ٧٤٧م)، وحتى مقتل المتوكل سنة (٢٤٧هـ / ٨٦١م)، يتميز بالقوة، وأن الخليفـة هو الشخص المباشر التصرف في إدارة شئون الخلافة، دور العامة في الأحداث السياسية في العصر العباسي

وربما أغرى تدخل القيادات التركية في تولية الخليفة المتوكل على الله، بعد أن ترك أخوه الواثق الأمر دون أن يعهد إلى خليفة بعينه، ثم قُتِلُ المتوكل بعد ذلك بأيديهم، ربما أغرى ذلك بعض المؤرخين[١]، بتصور أن المتوكل كان خليفة ضعيفا، جاء بأيدي الأتراك ثم ذهب على أيديهم، إلا أن ثمة سؤال يستوقف الباحث المدقق المنصف، ما الذي حدث على مدى خمسة عشر عاما، بين تولية المتوكل (٢٣٢هـ / ٨٤٧م)، وقتله سنة (٢٤٧هـ / ٨٦١م)؟ ألم يجِّرد هؤلاء الأتراك وغيرهم من المتسلطين المسيئين استخدام السلطة، من سلطاتهم ونفوذهم؟ ألم يحاسبهم فيما انتهبوا من أموال الدولة، وفيما اغتصبوه من أموال الناس؟ ثم ألم يكن ذلك سببا في حقدهم عليه وتخلصهم منه؟

كما أعاد المتوكل على الله التوازن المختل في علاقة أهل الذمة بالمسلمين، بعد أن أفرط الخلفاء قبله في التسامح مع أهل الذمة، على نحو من الغفلة، ألحق الضرر بالمسلمين، وتجاوز الحدود التي وضعها الله للتعامل معهم، حتى استحوذوا على الوظائف المالية والإدارية في الدولة، وتحكَّموا في المسلمين وساموهم ألوان العسف .

فتدخل العلماء لدى المنصور لمنع ظلم موظفيه من أهل الذمة للناس[٢]، وقويت شوكتهم أيام المهدي، فأنكر عليه العلماء تسليمه الأمانة التي خصه الله بها لأهل الذمة دون المسلمين[٣]، وتظلم

من(٢٤٧هـ/٨٦١م، إلى ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)، بحث منشور في مجلة كلية الآداب ، جامعة المنصورة، العدد ٢٢، يناير سنة ١٩٩٨م.

(٤) يقول صابر محمد دياب: والحق أن تاريخ وفاة الخليفة الواثق بن المعتصم (٢٣٢هـ / ٨٤٧م)، هو البداية الحقيقية لتدخل النفوذ التركي، وتغلغله في شئون الدولة، فالواثق لم يعهد بعده بولاية الأمر، مما دفع الترك =

= لتجاوز ابنه وتولية أخيه المتوكل على الله الذي مات مقتولا بأيدي الأتراك أنفسهم، (٢٤٧هـ / ٨٦١م)، الخلافة ونظم الحكم في الدولة الإسلامية، دار الأنصار، القاهرة، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، ص ٦٨.

(١) ابن قيم الجوزية: أحكام أهل الذمة، تحقيق: صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، جـ١، ص ص ١٦٧ ، ١٦٨.

(٢) المصدر نفسه: ص ص ١٦٨ ، ١٦٩.

أهل مصر لدى المأمون لما قدم مصر، ممن استخدم عليهم من النصارى[١]، وعندما ولي المتوكل الخلافة كان قد استفحل خطر موظفي الدولة من أهل الذمة، وأخذوا يغصبون الناس ضياعهم ودورهم، فلامه العلماء في تركهم يعبثون بالمسلمين، وأفتوه بعدم جواز استعمال أهل الذمة في أعمال الدولة وتقديمهم على المسلمين[٢]، فضلا عن أنه اكتشف، غشهم للمسلمين، ونصحهم لأعدائهم[٣]، ومحاولة الإيقاع بين الخليفة وكبار معاونيه، فقد دخل سلمة بن سعيد النصراني[٤]، على المتوكل، وكان يأنس به، فقال: " يا أمير المؤمنين أنت في الصحاري والصيد، وخلفك معادن الذهب والفضة ومن يشرب في آنية الذهب والفضة ويملؤها ذهبا عوضا عن الفاكهة "[٥]، ثم لما عرف المتوكل، حقيقة الأمر، أمر بعزل أهل الذمة من وظائف الدولة[٦]، ونهاهم عن التشبه بالمسلمين في ملبسهم ومركبهم[٧]، مسترشدا في ذلك بتوجيهات العلماء[٨].

غير أن هذه الإجراءات التي اتخذها المتوكل ضد أهل الذمة لم تصل إلى حد الاضطهاد، كما رأى بعض المستشرقين[٩]، إذ أن ما فعله هو تجريدهم من المكاسب غير الشرعية التي

---

(٣) ابن قيم الجوزية: أحكام أهل الذمة، جـ١، ص ص ١٧٠ ، ١٧١.

(٤) الخلال: أحكام أهل الملل، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ص ص ٥١ ، ٥٤.

(١) ابن قيم الجوزية: أحكام أهل الذمة، جـ١، ص ص ١٧١، ١٨٧.

(٢) سلمة بن سعيد النصراني: أحد كتّاب المتوكل، كان يختان الأموال العامة، ويعبث بها، ولم يكتف بـذلك، بـل حاول الإيقاع بين الخليفة وبين المخلصين من أعوانه ليخلوا له المجال، فيستحوذ على الخليفة، إلا أن الخليفـة تنبه لما يريد فعزله وصادر أمواله، الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٥، ص ٣٥٨.

(٣) ابن قيم الجوزية: أحكام أهل الذمة، جـ١، ص ص ١٧١ ، ١٧٢.

(٤) المصدر نفسه: ص ص ١٧٢ ، ١٧٤.

(٥) ابن قيم الجوزية: أحكام أهل الذمة، جـ٢، ص ص ١٨٣، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٤١، ٧٤٢؛ الذهبي: سير أعـلام النبلاء، جـ١٢، ص ٣٤؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٣٩٢.

(٦) المصدر السابق: ص ص ٧٦٠، ٧٦١.

(٧) يقول " أرنولد " في كتابه الدعوة إلى الإسلام: لكن حال المسيحيين لم تكن قائمة على هذا التسامح الذي كـان في خلفاء صدر الإسلام، فقد كانت تفرض أحيانا في سبيل خدمة المؤمنين المخلصين بعـض الحـالات التـي

حازوها، في ظل تفريط بعض الخلفاء، وعدم التزامهم بحكم الله تعالى فيهم، إذ أراد لهم الصغار حيث تكبروا على دينه ورسوله، وحيث نهى عن الاستعانة بهم في كثير من الآيات، قال تعالى "يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر"(١)، كما أنها لم تمنع الخليفة من الوفاء بالتزام الدولة إزاءهم، بل وإعفائهم من بعض الالتزامات المفروضة عليهم لدى عجزهم عن الوفاء بها، فانقص عن يهود نابلس(٢)، دينارين من الخراج عندما شكوا إليه ضعفهم وعجزهم عن أدائه(٣).

والأهم من هذا وذاك أن المتوكل وضع حدا للانحرافات الفكرية التي أغرقت المسلمين في بحر من الجدل والحيرة، وكادت تعصف بالمجتمع، وتأتي على بنيانه من القواعد، فأوقف فتنة القول بخلق القرآن، وتتبع مروجيها من المعتزلة بعد أن جرَّدهم من السلطات الواسعة التي تمتعوا بها في عهود أسلافه من لدن المأمون وحتى الواثق(٤)، وواجه سائر البدع التي ظهرت في عصره(١).

تضايق الأهالي من غير المسلمين (أو أهل الذمة) بحجة ضمان المزايا الاجتماعية السامية للمؤمنين، وقد قـام بعض الخلفاء بمحاولات غير مجدية لإقصائهم عن الوظائف العامة، فأصـدر المنـصور (١٣٦-١٥٨هـ/ ٧٥٤- ٧٧٥م) والمتوكل (٢٣٢-٢٤٧هـ/ ٨٤٧ - ٨٦١م) مراسيم بهذا الصدد، أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ترجمة: حسن إبراهيم حسن وآخرين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص ٧٠ ، انظر كذلك أحمـد أمـين: ضحى الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (د.ت)، جـ٢، ص ٤٨.

(١) آل عمران: الآية ١١٧.

(٢) نابُلسُ: مدينة مشهورة بأرض فلسطين، بين جبلين، وفيرة المياه بينهما وبين القدس عشرة فراسخ، وبظـاهر نابلس جبل ذكَرَ أن آدم عليه السلام سجد فيه، وذهب البعض في تفسير اسمها إلى أنها كانت في الأساس وادٍ فيه حية عظيمة تسمى لس، متغلبة على الوادي، فاحتالوا عليها حتى قتلوها، ونزعوا نابهـا، فـسمي المكـان بنابلس أي ناب لس، ياقوت: معجم البلدان، جـ٥، ص ٢٨٨.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع وعمر الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص ٢١٦.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ١٢، ص ص ٣٥ ، ٣٦.

وفي المقابل مال إلى العلماء وقربهم إليه، وألحَّ على من أبى منهم لإتيانه، فالتمس أحمد بن حنبل[٢]، واستجلب ذا النون المصري[٣].

وقد كانت هذه الإجراءات الإصلاحية التي قام بها المتوكل موضع إعجاب وتقدير العلماء والشعراء والمؤرخين، فقال أحمد بن حنبل: " كان الناس في خوض من الباطل واختلاف شديد يغتمسون فيه، حتى أفضت الخلافة إلى أمير المؤمنين – يعني المتوكل – فنفى الله به كل بدعة، وانجلى عن الناس ما كانوا فيه من الذل وضيق المحابس، ووقع ذلك من المسلمين موقعا عظيما"[٤].

وعبرَّ عن ذلك أيضا علي بن إسماعيل[٥]، حيث قال: " أطفأ المتوكل نيران البدعة، وأوقد مصابيح السنة "[٦]، وهو تعبير عن ارتياح العلماء ورضاهم عن عهد المتوكل، إذ كان رأيهم هو المعيار الذي تقاس عليه المراحل التاريخية استقامة وسقوطا قوة وضعفا، فهم لا يحابون ولا

---

(٥) واجه المتوكل البدع التي ظهرت في عهده، مثل التبرك بالقبور والأشجار، وسب الصحابة، وغيرها، من ذلك تبرك بعض أهل قزوين بشجرة بجوار مسجد الربيع بن خثيم، واجتماع بعض الرافضة على سب الـصحابة، البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٥١، ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ١، ص ٣٥١.

(٦) ابن الجوزي: مناقب الإمام أحمد، ص ص ٣١٩، ٣٢٢، الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ١٢، ص ٣٦.

(٧) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٣٩٥.

(١) ابن الجوزي: مناقب الإمام أحمد، ص ٣٣٠.

(٢) علي بن إسماعيل بن أبي بشر – إسحاق – بن سالم بن إسماعيل، ينتهي نسبه إلى أبي موسى الأشعري، لـه مصنفات كثيرة في الرد على الملحدة والمعتزلة والرافضة والجهمية، وهو بصري سكن بغداد وتوفي بها سـنة (٣٣٢هـ/ ٩٤٤م) ، الخطيب: تاريخ بغداد، جـ١١، ص ص ٣٤٦،٣٤٧.

(٣) ابن الجوزي: مناقب الإمام أحمد، ص ص ٣١٣،٣١٤.

يداهنون، ولا يخافون في الله لومة لائم، وأثنى عليه الشعراء لإنهائه فتنة القول بخلق القرآن فقال البحتري[1]:

ردوت الديـن فذا بعد أن قد   أراه فرقتيـن تخاصمـان

قصمت الظالمين بكل أرض   فأضحى الظلم مجهول المكان[2]

وأكد ذلك المؤرخون سواء المعاصرون أو المتأخرون، فعدوا عهده امتداد لعصر القوة والازدهار، فقال اليعقوبي[3]: "نهى ا

من أهل البلدان، ومن أُخذ في خلافة الواثق "، وقال خليفة بن خياط[4]: " استخلف المتوكل فأظهر السنة وتكلم بها في مجلسه، وكتب إلى الآفاق برفع المحنة، وبسط السنة، ونصر أهلها "[5]، وأكد ذلك المؤرخون المتأخرون فقال ابن الجوزي[6]: " ولي المتوكل فأظهر الله به السنة وكشف تلك الغمة فشكره الناس على ما فعل " وزاد على ذلك الذهبي[7]، فقال: " في سنة (٢٣٤هـ / ٨٤٩م)، أظهر المتوكل السنة، وزجر عن القول بخلق القرآن، واستقدم المحدثين ".

---

(٤) البحتري: اسمه الوليد بن عبيد بن يحيى بن عبيد الطائي البحتري المنبجي، يكنى بأبي عُبادة شاعر عـصره، مدح الخلفاء والوزراء، وقد أثنى على شعره معاصروه من الشعراء أمثال أبـي تمـام بمنـبج تـوفي سـنة (٢٨٣هـ/ ٨٦٩م)، الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ١٣، ص ص ٤٨٦،٤٨٧.

(٥) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٣٩٩.

(١) تاريخ اليعقوبي: جـ٢، ص ص ٤٨٤،٤٨٥.

(٢) خليفة بن خياط العصفري: يكنى بأبي عمرو، من تابعي التابعين في البصرة، أحد علماء الطبقات والتـاريخ، ومع ذلك فقد اهتم بالحديث فرواه عن عدد من العلماء، أهم كتبه تاريخ خليفة بن خياط والطبقات، توفي سـنة ٢٤٠هـ / ٨٥٧م، الذهبي : سير أعلام النبلاء، جـ١١، ص ص ٤٧٣،٤٧٤.

(٣) الذهبي : سير أعلام النبلاء، جـ١٢، ص ٣١.

(٤) ابن الجوزي: مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ص ٣١٢.

(٥) الذهبي : سير أعلام النبلاء، جـ١٢، ص ٣٤.

وعلى مستوى العلاقات الخارجية، استعادت الدولة العباسية في عهد المتوكل هيبتها، وقوي مركزها في مقابل القوى المحيطة بها، فأعاد المتوكل تنشيط الجهاد بعد أن توقف تماما في عهد الواثق[١]، فافتتح مدينة بارة[٢]، في المغرب في مستهل خلافته[٣]، وأخضع إقليم البُجة[٤]، سنة(٢٤١هـ/ ٨٥٥م)[٥]، وانتصر على الروم سنة (٢٤٦هـ / ٨٦٠م)[٦]، وبلغ من اهتمام المتوكل بالجهاد أن حدَّث الأسطول البحري الإسلامي، فزاد في عدد سفنه وشحنها بالجنود[٧]، وحصَّن العواصم[٨]، و الثغور[٩].

---

(٦) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ص ٣٢٤، ٣٣١، ٣٣٢، ابن شـداد: الأعـلاق الخطيـرة، ص ص٢٦٥،٢٦٦.

(٧) بارة: مدينة بالمغرب على شاطئ البحر، في أرض تعرف بالأرض الكبيرة بينها وبين برقة مـسيرة خمـسة عشر يوما، كان أهلها نصارى من غير الروم، غزاها جبلة مولى الأغلب فلم يقدر عليها، ثم غزاهـا خلفـون البربري، ففتحها أول خلافة المتوكل على الله، البلاذري: فتوح البلدان، ص ٣٢٨.

(٨) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٣٢٨.

(٩) البُجة: نسبة إلى البجاوة، وهم أمم عظيمة تقطن النوبة، وهي تفصل بين العرب والحبش، ومدينتهم يقال لهـا هجر، يأتيها المسلمون للتجارة، وأهل البجة ليس لهم بيوت، إنما ينزلزن خياما من الجلود، ذكر اليعقوبي أنهم= =لا دين لهم، يأكلون الذرة، وينتفون لحاهم، ويحاربون على الجمال، اليعقوبي: كتاب البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، ص ٩٥؛ ياقوت: معجم البلدان، جـ١، ص ٤٠٣.

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص ص ٣٣٤ ، ٣٣٥.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ١٢، ص ٣٤.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٢٣.

(٤) العواصم: من عَصَمَ يعصم عصما، فهي مفرد عاصمة بمعنى مانعة، والعواصم التي نحن بـصدد الحـديث عنها، بلاد بين المسلمين والروم قصبتها أنطاكية، وهي مدن حصينة، سميت بذلك لأنها تعصم المسلمين مـن عدوهم، ابن منظور: لسان العرب، جـ٤، ص ٢٩٧٩.

(٥) البلاذري: فتوح البلدان، ص ص ٢٣٣، ٤٦٢، الثغور: جمع ثغر وهو في اللغة كل فرجة في جبل أو بطـن واد أو طريق مسلوك، ويوصف به الفم، وبالذات ما تقدم من ألاسنان، ويقصد به هنا أطـراف البلـدان التـي يخشى عليها خطر الغزو، برا وبحرا، فهو على ذلك ما يلي دار الحرب، ويفـصلها عـن بـلاد المـسلمين،

وإذا كان البعض قد اتخذ من بداية التفكك السياسي مبررا للتقسيم إلى عصرين متميزين، عصر قوة، اتسمت فيه الدولة بالتماسك، وعصر ضعف بدأت أوصال الدولة تتفكك، حتى أفضى إلى انفراط عقدها، وتناثر الدويلات المستقلة هنا وهناك، فإن هذا لم يحدث ابتداء من عهد المتوكل بل بدأ مع ظهور الدولة، وفي عصر الخلفاء الأوائل الذين وصفوا بالقوة، ووصف عصرهم بالعصر الذهبي للدولة العباسية، فالأمويون استقلوا بالأندلس سنة (١٣٨هـ / ٧٥٥م)، في عهد المنصور، وبنوا مدراراستقلوا في سجلماسة بالمغرب الأقصى سنة(١٤٠هـ/٧٥٧م)، أيضا في عهد المنصور، وفي خلافة المهدي استقل الخوارج الأباضية بالمغرب الأوسط (١٦٠هـ/ ٧٧م)،

وأسسوا الدولة الرستمية[١]،وأسس الأدارسة لهم دولة في المغرب الأقصى ابتداء من سنة(١٧٢-٣٦٤هـ/٧٨٩-٩٧٥م)، في خلافة الرشيد[٢]،ومثلهم الأغالبة،(١٨٤-٢٩٦هـ/٨٠٠-٩٠٩م)[٣]، وهكذا فإن حركات الاستقلال عن الدولة العباسية قد بدأت مع ظهورالدولة،ولم تبدأ في عهد المتوكل.

ثم إن امتداد خلافة المتوكل على مدى خمسة عشرة عاما، ما كانت لتستمر لو أن فيه شيئا من الضعف، ثم لنا أن نتساءل، إذا كانت هذه صفات المتوكل، وذلك نهجه وسياسته، وتلك مجريات الأحداث في عهده، وذلك رأي معاصريه، والمؤرخين بعد ذلك فيه، فلماذا يوضع عهده ضمن العصر العباسي الثاني الذي وسم بالضعف؟ ثم من الذي وضع هذا التقسيم وتلك الحدود الفاصلة بين عصور التاريخ، ومعايير تقسيم الحكم العباسي إلى عصرين؟ أليس بشرا يصيب ويخطئ؟ وهل هذه التقسيمات مقدسة بحيث يُحظر على الباحث الاقتراب منها والتعاطي معها، واستقراء مبرراتها؟ ثم لماذا نلزم أنفسنا بهذه التقسيمات ما دامت مبرراتها غير مقنعة؟ وغير ذلك من الأسئلة التي تجول في ذهن الباحث لهذه المرحلة من التاريخ الإسلامي، وعليه فقد يسمح لنا

ابن منظور: لسان العرب، جـ١، ص ٤٤٨٦؛ أحمد عطية: القاموس الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط١، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م، جـ١، ص ٥٣٨.

العرض السابق لتحديد نهاية العصر العباسي الأول بتجاوز الفترة الزمنية التي اصطلح على أنها نهاية للعصر العباسي الأول وهي سنة (٢٣٢هـ/ ٨٤٧ م)، إلى الدخول في عصر المتوكل، وعده امتدادا للعصر العباسي الأول، عصر قوة الخلفاء والدولة، وعليه فسنة (٢٤٧هـ/ ٨٦١م) هي التاريخ الفاصل بين العصرين العباسيين الأول والثاني.

(١) الحريري: مقدمات البناء السياسي للمغرب العربي " الدولة الرستمية "، مكتبة الشباب، القاهرة، ط١، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، ص ص ١٩١، ٢٠٠.

(٢) انظر حسن علي حسن : تاريخ المغرب العربي (عصر الولاة) ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، ط١ ، د.ت ، ص ١٧٧ .

(٣) انظر حسن علي حسن : تاريخ المغرب العربي (عصر الولاة) ، ص ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ .

الفصل الأول

موقف العلماء من الدعوة والثورة العباسية

موقف العلماء من الدعوة والثورة العباسية

١ - مبتدأ الدعوة العباسية .

أ- وصية الإمام أبي هاشم .

٢ - عوامل نجاح الدعوة والثورة العباسية :

أ – استفادة العباسيين من أخطاء الحركات التي قادها العلويون ضد الأمويين .

ب- أستثمار العباسيين أخطاء الأمويين :

*- النزاع بين أفراد البيت الأموي .

*- إقحام الأمويين أنفسهم في النزاع بين اليمانية والقيسية .

جـ - اشتداد معارضة الخوارج .

٣ - موقف العلماء من شرعية الدعوة والثورة العباسية :

أ- موقف العلماء من شرعية ومبررات العباسيين في الخلافة :

ب- مبررات العباسيين للثورة على الأمويين :

*- تصوير الأمويين علىأنهم مغتصبين للخلافة ، وتشويه صورتهم لدى الناس .

*-إثبات أحقية العباسيين بالخلافة .

*- رأي العلماء في شرعية الدعوة والثورة العباسية :

٤ - مشاركة العلماء في الدعوة والثورة العباسية .

٥ - موقف العلماء من تعامل العباسيين مع الأمويين إبان الثورة ، وبعدها :

أ- موقف العلماء من قتل بني أمية :

*- درو شيعة العباسيين في تحريضهم على قتل الأمويين .

ب- موقف العلماء من مصادرة أموال بني أمية .

٦ - موقف العلماء من تعامل الدولة مع رجال الدعوة والثورة العباسية .

أ- أبو سلمة الخلال .

ب-أبو مسلم الخراساني .

١

موقف العلماء من الدعوة والثورة العباسية

١ ـ مبتدأ الدعوة العباسية:

استثمر العباسيون الظروف التي مرت بالدولة الأموية، خصوصا في الثلث الأخير من عهدها، ليبثوا دعاتهم ويبدأوا الدعوة ، بعد أن أحاطوها بالسرية والكتمان، مستفيدين من أخطاء وإخفاقات كل الحركات الخارجة على الأمويين لاسيما تلك الحركات التي تزعمها آل البيت وساندتها ثم خذلتها – في الوقت نفسه – شيعة آل البيت.

وترجع جل المصادر التاريخية مبتدأ الدعوة العباسية إلى خلافة "عمر بن عبد العزيز" وتحديدا سنة (١٠٠هـ / ٧١٩م) في كل من الكوفة وخراسان[١].

وقد يشير هذا التوقيت إلى أن الدولة الأموية قد خففت من قبضتها، ومن أساليب مواجهتها للخارجين، فالخوارج فضلوا التفاوض مع الخليفة عمر بن عبد العزيز وقالوا: "ما ينبغي لنا أن نقاتل هذا الرجل"[٢]، كما أن رسائل عمر بن عبد العزيز تتابعت إلى الولاة محذرة إياهم من الظلم والأخذ بالظنة والريب،وهي ظروف مناسبة لإنهاء أي تمرد أو رغبة في تغيير نظام الحكم لأولئك الذين يخرجون لتغيير المنكر وللأمر بالمعروف لا للتغيير في ذاته، وليس للاستئثار بالسلطة، كما

---

(١) الدينورى: الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، جمال الدين الشيال، دار إحياء الكتب العربية، عـ-يسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م، ص ٣٣٢، الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٥ ص ٣١٦؛ المسعودي: التنبيه والإشراف، دار صعب، بيروت، د.ت، ص ٣٣٨.

(٢) ابن الجوزي: سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز، دار المنار، القاهرة، ط١، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م، ص٤٥.

أنها في الوقت ذاته فرصة مواتية لأولئك الطامحين في الحكم المتحفزين له، للتحرك دون الخوف من العقاب والتنكيل، بغض النظر عن مدى صلاح الخليفة وعدله.

وقد كانت هذه التهدئة سبيلا إلى دفع العباسيين في سبيل دعوتهم حيث رأوا أنهم أحق بالخلافة من بني أمية، وأن الأمويين ما هم إلا مغتصبون لذلك الحق منهم، ولذلك سعوا إلى إعادة الحق إلى نصابه.

أ- وصية أبي هاشم :

وجد بنو العباس الفرصة مهيأة لتحقيق طموحهم في الخلافة عندما توفي أبو هاشم[1]، الذي عده الكيسانية[2] إماما لهم، كأهم شخصية يجتمع عليها الشيعة، فذكروا أن أبا هاشم قد تنازل عن حقه في الإمامة بموجب وصية أوصى بها إلى محمد بن علي[3] جاء فيها: "أنت صاحب هذا الأمر

(١) هو عبد الله بن محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب: يكنى بأبي هاشم، كان صاحب علم ثقة، وكان الشيعة قد اتخذوه إماما، لكنه أوصى قبل موته بالإمامة إلى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، قائلا: أنت صاحب هذا الأمر وهو في ولدك، وصرف الشيعة إليه ودفع إليه كتبه وراياته، وعلى هذا يبني العباسيون إحدى دعائم دولتهم، ثم مات بالحميمة في خلافة سليمان بن عبد الملك، ابن سعد: الطبقات الكبرى ، جـ٥ ، ص ٣٢٨.

(٢) الكيسانية نسبة إلى كيسان مولى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب "رضي الله عنه"، كمأنه كان تلميذا لمحمد ابن الحنفية، يعتقد بإمامته وإحاطته بالعلوم كلها بما في ذلك علم التأويل والباطن والآفاق والأنفس، وقـد قـال الكيسانية بتناسخ الأرواح والرجعة بعد الموت ثم اعتقدوا بعده بابنه أبي هاشم عبد الله، ثم من بعده محمد بـن علي بن عبد الله بن عباس بوصيته، ثم من بعده إلى ابنه إبراهيم الإمام ابن محمد بن علي، ثم من بعـده إلـى أخيه أبي العباس السفاح عبد الله ابن الحارثية، الشهرستاني: الملل والنحل، تحقيق: محمد سـيد كيلانـي، دار الجيل، بيروت ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، جـ١، ص ١٤٧، ابن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبـر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١٤١٣ هـ / ١٩٩٢م، جـ٣، ص ٢١٢.

(٣) محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، أحدعباد قريش وقراء التابعين، وهو إمام الدعوة العباسية وصـاحبها، فقد توافدت إليه الشيعة بالشام ابتداء من سنة (١٠٠هـ / ٧١٩م)، فأرسل من أصطفى منهم نقبـاء ودعـاة،= =توفي سنة (١٢٤هـ / ٧٤٢م)، وإن كان ابن حبان قدم تـاريخ وفاتـه إلـى سـنة (١١٣هـ / ٧٣١م)، الدنيوري: الأخبار الطوال، ص ص ١٣٢،١٣٨، الطبرى: تاريخ الأمم والملوك، جـ٥، ص ٥١٣، ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار، ص ٧٢، الذهبي: تاريخ الإسلام، حققه: عمر عبـد الـسلام تـدمري، دار الكتـاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤١١هـ / ١٩٩١م، جـ٨، ص ٢٢٥.

وهو في ولدك"[1]، وصرف الشيعة إليه في خلافة "سليمان بن عبد الملك"[2]، ثم انتقلت الوصية إلى إبراهيم بن محمد "الأمام"[3]، ومن بعده إلى أخيه أبي العباس[4].

بهذا بّرر العباسيون حقهم في الخلافة، كما يرون، ومهما كانت هذه الطرائق متوافقة أو غيرمتوافقة مع الأساس الشرعي لاختيار الحاكم في الإسلام، ومهما كان فيها من الغموض، ومهما شابها من ظلم وقتل وتشريد، فإن العباسيين قد وثبوا على الخلافة، وفق مبدأ التغلب، وهو أمر لم يبتدعوه، إذ تكرر وصول أكثر من خليفة إلى منصب الخلافة قبل العباسيين ابتداء بمعاوية بن أبي سفيان، ثم عبد الله بن الزبير، وعبد الملك بن مروان، ويزيد بن الوليد، ثم مروان بن محمد[5]، ثم جرت طبيعة التغلب إلى غايتها في العصر العباسي[6].

وبالرغم من أن اتخاذ القوة وسيلة للوصول إلى السلطة لا ينسجم مع القيم السياسية في الإسلام، إلا أن بعض العلماء في العصر العباسي الأول كانوا لا يرون بها بأسا، إذا كان سيترتب عليها حقن الدماء وإشاعة الأمن والطمأنينة، وإرساء قواعد الاستقرار، والعدل، بشرط أن يجمع الناس عليه، وهو إجماع إقرار، فقد أجاز ذلك الشافعي ، حيث قال: " كل من غلب على الخلافة بالسيف حتى سمى خليفة ويجمع الناس عليه فهو خليفة "[7].

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ٥، ص ٣٢٨، ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، جـ٣٨، ص ١٧٣ وذكـرت الوصية بصيغة أخرى لدى ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ط٦، ١٤١٥هـ - / ١٩٩٥م، جـ٥، ص ٤٠٨ .

(٢) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، جـ٣٨، ص ١٧٣.

(٣) إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي (الإمام) : يكنى بأبي إسـحاق ، انتقلت إليه الإمامة بوصية من أبيه محمد بن علي ، الذي بدوره حازها بوصية من أبي هـاشم بـن محمـد ابن الحنيفـة ، كان بالحميمـة يسيـر الدعـاة والنقبـاء ، دون أن يعلم اسمه ، إلى أن ظهـر أمـره فقتلـه مروان بن محمد، فعهـد بالأمر بعده إلى أخيه السفاح ، الذهبي : سيـر أعلام النـبلاء ، جـ ٥ ، ص ص ٣٧٩ ، ٣٨٠.

(٤) ابن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، جـ٣، ص ٢١٢.

(٥) الدنيوري: الأخبار الطوال، ص ٣٥١.

(٦) ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص ٢٠٨.

(١) البيهقي: مناقب الشافعي ، جـ١ ، ص ٤٤٨.

أما الوصية التي ادعاها العباسيون، فهي حتى وإن صحت، فإنها لا تسوغ لهم حكم المسلمين لأنها وصية ممن لا يملك حق تعيين الخليفة، إذ أن هذا الحق للأمة وليس حكرا لفرد، أو لبيت ما.

٢- عوامل نجاح الدعوة والثورة العباسية:

تجمعت عوامل عدة في أواخر الثلث الأخير من العهد الأموي، وساعدت على نجاح الدعوة العباسية، كان منها استفادة العباسيين من مجمل تجارب حركات الخروج على الأمويين التي سبقتهم، خصوصا تلك التي قادها أفراد من آل البيت، كما أحسنوا استثمار الأخطاء الكثيرة التي وقع فيها الأمويون، في العقد الأخير من عمر دولتهم، فضلا عن التزامهم منهج السرية والكتمان، وغير ذلك .

أ- استفادة العباسيين من أخطاء الحركات التي قادها العلويون ضد العباسيين:

كانت الحركات العلوية التي خرجت على الأمويين في مجملها، حركات فردية، متسرعة يعوزها الإعداد والتنظيم الجيد، وتفتقر إلى السرية اللازمة لأي حركة تطمح إلى السلطة في ظل نظام قوي قائم ومسيطر، فضلا عن كونها جاءت استجابة لرغبات وأهواء الشيعة، الذين كانوا دائما ما ينصبون الأئمة من آل البيت، ثم يدعونهم للخروج، ويدعون الناس للخروج تحت لوائهم، ثم ينكصون على أعقابهم، تاركين من أغروه بالخروج يواجه بمفرده، مصيرا قاسيا أمام جيوش دولة قائمة ممكّن لها، دون أن يأخذ قادة هذه الحركات من آل البيت عبرة من التجارب السابقة لأسلافهم، لذلك كان مآل هذه الحركات إلى الفشل، مخلفة وراءها، إلى جانب إراقة دماء أئمة آل البيت وإعطاء صورة قاتمة عن العصر الأموي، الضغائن والإحن والكراهية والفرقة والتصدع في كيان الأمة[١].

(١) شهد العصرالأموي عددا من المحاولات، العلوية، للخروج على الخلافة الأموية، بتحـريض مـن شـيعتهم، خصوصا أهل الكوفة،إلا أنها في مجملها لم يكتب لها التوفيق،ابتدأت بخروج الحسين بن علي على يزيـد بـن معاوية،سنة(٦١هـ/٦٨١م)،وخروج زيد بن علي بن الحسين على هشام بن عبد الملك سنة(١٢٢هـ/ ٧٤٠م)،

لذلك كله استفاد العباسيون من هذه التجارب التي مر بها آل البيت، فاتخذوا في دعوتهم منهج السرية والكتمان، واحكموا تنظيمها، واختيار المكان المناسب لبثها وإخراجها[1]، مستغلين عواطف شيعة آل البيت، فدعوا إلى الرضا من آل محمد واستفادوا من تركيز الأمويين على آل البيت الذين وضعتهم الدولة الأموية تحت المجهر، بينما كان العباسيون إلى حد ما بعيدين عن ظنونهم غير متَّهمين على دولتهم، فأتاح ذلك لهم حرية الحركة والدعوة .

ب- استثمار العباسيين أخطاء الأمويين:

أحسن العباسيون استثمار الأخطاء التي وقع فيها الأمويون، تلك التي أدت إلى إضعاف دولتهم ومكنت لأعدائهم منهم، ثم أدت في نهاية الأمر إلى زوالهم.

وبنظرة عامة للعصر الأموي، وللثلث الأخير منه بالذات، نجد أن هناك عوامل تجمعت وأسهمت في إفلات الأمر من بني أمية، ووضعت نهاية لدولتهم، تمثلت في تفاقم النزاع بين أفراد البيت الأموي، وتزايد حدة الصراع القبلي، واشتداد ضراوة الحركات المعارضة خصوصا الخوارج، إلى جانب إهمال الأمويين استقصاء شئون الدولة ومعرفة أخبار أعدائهم، فضلا عن انصرافهم، أو الكثير منهم، إلى حياة الترف والدعة، وتخاذل أنصارهم عنهم .

- **النزاع بين أفراد البيت الأموي :**

شهد الثلث الأخير من العصـر الأموي نزاعا مريرا وتنـاقضـات حـادة بين أفـراد البيـت الأمـوي ، وبـالرغم مـن أن هـذه التنـاقضات كانت مـوجـودة منذ البداية، كما

فتمكن الأمويون منه فقتلوه،الدينوري: الأخبار الطوال،ص٢٥٣،الطبري:تاريخ الأمم والملوك،جـ٥، ص٤٩٨، انظر عبد الشافي عبد اللطيف:دراسات في تاريخ الدولة الأموية،الجريسي، القاهرة، د.ت، ص ص١٥٣،١٤١ .

(٢) ولي العباسيون الخلافة بمساندة مسلمي الفرس خاصة، (ونحن لا نوافق المؤلف في قصره مـساندة الثـورة على مسلمي الفرس ، وأظنه يعني أهل خراسان ، التي كانت المعمل الذي تفاعلت فيه الـدعوة وبـدات منـه الثورة ،لان المقصود بأهل خراسان كل من استقر فيها من العرب والفرس) ، جرنيباوم: حـضارة العـرب، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد وعبد الحميد العبادي، مكتبة مصر بالفجالة، القاهرة، (د.ت)، ص ٢٠٠.

هي في أي دولة، أو أسرة حاكمة إلا أنها لم تطف على السطح إلا في الثلث الأخير من عهد الدولة .

وكان منشأ هذا النزاع، في الغالب، يعود إلى أساليب تداول السلطة، فقد جرت سياسة الأمويين على تولية العهد لأكثر من شخص، فكان ولي العهد الأول عندما تؤول إليه الخلافة، يعمد إلى عزل ولي عهده، ثم يعقد ولاية العهد لابنه، وكان هذا يوغر صدر ولي العهد المخلوع على الخليفة، ويزيد حدة التباينات بين أفراد البيت الأموي، ويؤجج نار النقمة المكبوتة ونوازع الانتقام والانتقاض متى ما لاحت الفرصة، فعقب موت هشام بن عبد الملك سرعان ما انفرط عقد بني أمية، واستشرت الخلافات فيما بينهم، وأصبحت الخلافة مطمحا لكل متطلّع يأنس في نفسه القوة والقدرة على منازعتها[1]، فكثر المتغلبون، وأُخذت الخلافة بالتغلب، لاسيما في العشر سنين الأخيرة من عمر الدولة، فخرج يزيد بن الوليد بدمشق على الخليفة الأموي الشرعي الوليد ابن يزيد (١٢٥ - ١٢٦هـ / ٧٤٣ – ٧٤٤م)[2]، وكان هذا أول تحدٍ لفكرة شرعية الخلافة، بوصفها مؤسسة سياسية دينية من المفروض أن يكون لها هيبتها وقدسيتها في العصر الأموي، ولأن الذي قتِلَ كان خليفة له بيعة في الأعناق ومستخلف من خليفة مبايع، ولأن قتلة الخليفة كانوا أمويين، فقد بذر هذا الحادث بذور الخلاف والشقاق والتصدع في البيت الأموي، فافتراق البيت الواحد إلى فرق وأحزاب متنافسة متناحرة .

وتحفزمروان بن محمد (١٢٧-١٣٢هـ/٧٤٥-٧٥٠م)للانقضاض علىالخلافة[3]،وإزاحة الخليفة المغتصب يزيد بن الوليد سنة(١٢٧هـ/٧٤٥م)، فدخل دمشق متغلبا،وقتل خليفته إبراهيم

---

(١) انظر: حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل، بيروت، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، جـ٢، ص ١٢؛ عمر أبو النصر: الأيام الأخيرة للدولة الأموية، المكتبة الأهلية، بيروت، ط١، ١٣٥١هـ / ١٩٦٢م، ص ص ٣٣٤ ، ٣٣٥.

(١) المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، حققه: محمد محيى الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، جـ٣، ص ٢٣٩، انظر كذلك الثعالبي : سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية، حققه: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ص ٥٠ .

(٢) وقد كتب إليه الخليفة يحذره من ذلك قائلا: " أما بعد فإني أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى فإذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيهما شئت؟ "، الجاحظ: البيان والتبيين، دار التراث العربي، بيروت، (د.ت)، جـ١، ص ٢٠٣.

بن الوليد سنة (١٢٧هـ/٧٤٥م)[1]،ومن والاه من أهل بيته وقواده[2]،ورغم أن أهل الشام قد أجمعواعلى مروان بن محمد وبايعوا له إلا أن بعض أفراد البيت الأموي امتنعواعنالبيعة ونازعوه الأمر[3]، كما توارى عنه بعض العلماء،خوفامن بطشه فهرب محمدبن راشدالخزاعي[4]إلى العراق

وظل متخفيا بها حتى قامت الثورة العباسية وقتل مروان بن محمد سنة (١٣٢هـ / ٧٥٠م)، وسقطت الدولة الأموية[5] .

- **إقحام الأمويين أنفسهم في الصراع القبلي بين اليمانية والقيسية :**

كما جنت الدولة الأموية ثمرة الاتفاق والانسجام والانضباط الذي كان سمة جند الشام، المكون أصلا من اليمانية [6]، و القيسية [7]، في أول عهد الدولة، عندما أحسن خلفاؤها التعامل مع هاتين القوتين على أساس من العدل والتوازن، والقوة المفضية إلى حسن التحكم بها والسيطرة

---

(٣) إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك: يكنى بأبي إسحاق، القرشي الأموي بويع بالخلافة بدمشق عند مـوت أخيـه يزيد بن الوليد، فمكث خليفة سبعين ليلة، ثم خلع ووليها مروان بن محمد، فأخذه وأودعه السجن وظل فيه حتى سنة ١٣٢(هـ / ٧٥٠م) ، ثم قتل يوم الزاب ، الذهبي: سير أعلام النبلاء ، جـ٥، ص ٣٧٧ .

(٤) المسعودي : مروج الذهب ، جـ٣، ص ٢٣٩.

(٥) المصدر نفسه ، جـ٣، ص ٢٤٧.

(٦) محمد بن راشد الخزاعي المكحولي، يكنى بأبي يحيى، أصله من دمشق لكنه سكن البصرة، أحد كبار العلماء، ومن تابعي التابعين، فقد روى عن مكحول وعن غيره من التابعين، وروى عنـه سـفيان الثـوري وشـعبة وعبد الله بن المبارك، وعبد الرازق الصنعاني، وغيرهم ، وقد اثنوا عليه ثناء طيبا، توفي محمد بن راشد بعد سنة (١٦١هـ / ٧٧٨م) ، ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ، جـ٥٣ ، ص ص ٤ ، ٦ ، ١٦ .

(١) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، جـ٥، ص ٢٧٢.

(٢) اليمانية: نسبة إلى اليمن واشتقاقا منها، والمقصود باليمانية هنا، مجمل القبائل المنتسبة إلـى الـيمن والتـي استقرت بالشام وساندت معاوية في تثبيت أركان دولته، وكانت قوام الجيش الإسلامي في العـصر الأمـوي، وكانت في الغالب من قبيلة كلب، ابن منظور: لسان العرب، جـ٦، ص ٤٩٧١.

(٣) القيسية: نسبة إلى قيس، ومعنى القيس الشدة ومنها أمرؤ القيس، أي الرجل الشديد، أو رجل الشدة، والنـسبة القيسية إلى قيس عِلان بن مضر بن نزار، ولذلك فالقيسية يدعوا بالمضرية والنزارية، وفي العهـد الأمـوي، أطلق على قبائل الشمال القيسية، مقابل قبائل الجنوب اليمانية، وكانت القيسية واليمانية قوام الجيش الأمـوي، ابن منظور: لسان العرب، جـ٥، ص ٣٧٩٤.

عليها، حيث تمكنت من توجيه هذه القوة التي مثلت عصب الجيش الأموي لإرساء دعائم الدولة، ولخدمة أهداف الإسلام، أصبحت هاتان القوتان (اليمانية والقيسية) عبئا ثقيلا ينوء به كاهل الدولة، عندما أسيء التعامل معها، وفقدت الدولة السيطرة عليها، والقدرة على توجيهها، لخدمة مصالحها، وعندما أقحمت الدولة نفسها في صراعاتها ومنافساتها، فدعمت فريقا على الفريق الآخر فاستعدته.

وكان الأمر في ذلك يختلف من خليفة إلى آخر، فكان كل خليفة ينحاز إلى أحد الفريقين فيدني رجاله، ويؤثرهم بالمناصب، ويغدق عليهم الأموال، فانحازت اليمانية إلى مروان بن الحكم في صراعه مع عبد الله بن الزبير، في حين ساندت القيسية ابن الزبير[1]، وخمدت نار هذا الصراع بين القيسية واليمانية بعد ذلك

سرعان ما عاد من جديد عندما انحاز يزيد بن عبد الملك مع القيسية ضد اليمانية، فخرج عليه يزيد بن المهلب [2]، في اليمانية، فتغلب على البصرة[3]، إلا أن الدولة الأموية في عهده كانت ما تزال قوية فتغلب الخليفة على هذا التمرد، واستمر الأمر كذلك في خلافة هشام بن عبد الملك إذ سرعان ما تأججت نار العصبية من جديد في عهد خليفته الوليد بن يزيد الذي، أفسد على نفسه اليمانية، فاستعداهم، وهم كما يقول الطبري [4]:" عظم جند أهل الشام "، فهاجمته اليمانية وقتلوه[5]،

---

(٤) علي حبيبة: العباسيون في التاريخ، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠م، ص ١٢.

(١) يـزيد بن المهلب بن أبي صفـرة يكنى بأبـي خالـد، من قبيلـة الأزد اليمانيـة، ولي المشـرق بعـد أبيه المهلـب، ثـم ولي البصـرة لسليمان بن عبـد المـلك، حتى عزلـه عمـر بن عبد العزيـز، بعـدي بن أرطـاة، وطلبـه وسجنـه، وكان الحجاج قد عـزله قبل ذلك وعذبـه، ثم عفا عنـه، وقيـل هـرب، من حبسـه، وهو مشهود له بالسخاء ، قتل في مواجهة مع مسلمة بن عبد الملك ، عندما تـزعم القحطانيـة في تمرد ضد يزيد بن عبد الملك سنة (١٠٢هـ / ٧٢٠م)، الذهبي: سير أعلام النـبلاء، جـ ٤، ص ص ٥٠٣ ، ٥٠٦.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٥، ص ص ٣٣٥ ، ٣٣٦.

(٣) المصدر نفسه، ص ٥٣٨.

(٤) المصدر نفسه، ص ٥٥٤.

ونصبوا مكانه ابن عمه يزيد بن الوليد، الذي أدناهم منه(١)، واستعدى القيسية حتى أنه قال: "لولا أنه ليس من شأني سفك الدماء لعاجلت قيسا، فو الله ما عزت إلا ذل الإسلام "(٢)، ثم وثب اليمانية يدافعون عنه ضد ثورة قادها ابن عمه مروان بن محمد (٣)، تدفعها رياح الانتقام وتساندها القيسية، إلا أن يزيد بن الوليد توفي(٤)، قبل أن يتم لمروان ما دبر له فوثب على خليفته إبراهيم بن الوليد، وقتله سنة (١٢٦هـ / ٧٤٤م)(٥)، ثم بويع بالخلافة سنة (١٢٧هـ / ٧٤٥م)، وقرب القيسية، وأبعد اليمانية(٦).

وكان يزيد من حدة هذا الصراع ويلهبه الشعراء والخطباء ، فقد كان لقصائدهم وخطبهم تأثير النار في الهشيم(٧).

وفي نهاية عهد الدولة انتقل النزاع بين اليمانية والقيسية في الجيش الأموي إلى خراسان ، فكان من أهم العوامل التي أدت إلى الانهيار السريع والتمزق للدولة(١)، وقد استغل دعاة بني

---

(٥) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ٥، ص ص ٥٤٣ ، ٥٤٤، انظر عبد الشافي عبد اللطيف ، محمد جبر أبو سعدة : التاريخ الإسلامي من ظهور الإسلام حتى سقوط الدولة الأموية (١٣٢هـ / ٧٧٥م) ، الجريسي ، القاهرة ، ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٤ م ، ص ص ٢٢٠ ، ٢٢١

(٦) الطبري : تاريخ الأمم والملوك جـ ٥ ، ص ٥٧٢.

(٧) المصدر نفسه، ص ٥٩٣.

(٨) المصدر نفسه، ص ٥٩٥.

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٥ ، ص ٥٩٥.

(٢) المصدر نفسه ، جـ ٥ ، ص ٥٩٥ ، جـ٦، ص ٩.

(٣) قال الكميت في ذكر مناقب قومه من مضر بن نزار، وفي تفضيلهم على قحطان، وفي ذكر مثالب اليمانية:

إلا حييت عنا يا مدينا　　　وهل ناس نقول مسلميذ ـا

لنا قمر السماء وكل نجم　　　تشير إليه أيدي المهتدينا

وما وجدت نساء بني نزار　　　حلائل، أسودين، وأحمرينا

وقد رد عليه دعبل الخزاعي فذكر مناقب اليمن وفضائلها في قصيدته التي قال فيها:

أحيي الغر من سروات قومي　　　لقد حييت عنا يا مدينا

فإن يك آل إسرائيـل منكـم　　　وكنتم بالأعاجم فاخرينا

لقد علمـت نزار أن قومـي　　　إلى نصر النبوة فاخرينا

، المسعودي: مروج الذهب، جـ٣، ص ص ٢٤٤ ، ٢٤٥.

العباس ، هذه التباينات فأذكوا نارها[٢]، وجردوا بذلك الجيش الأموي من أهم ركائزه، بل واجتذبوا إلى صف الدعوة العباسية بعض هذه الزعامات القبلية .

جـ- اشتداد معارضة الخوارج:

كان لحركات المعارضة التي تكالبت على الدولة الأموية، خصوصا في العشر سنوات الأخيرة من عمرها- بالرغم من أنها ولدت مع هذه الدولة - أثر كبير في إضعافها، واستنفاد طاقاتها، وتبديد قواها، وكان أهم هذه الحركات وأكثرها استمرارا حركة الخوارج[٣].

كان الخوارج يدعون أن علة خروجهم على الخلفاء ليست الرغبة في الخلافة، ولا بطرا من عند أنفسهم، وإنما لإصلاح ما فسد من أحوال الدولة والمجتمع[٤]، ولأن الأمر ليس في أهله، وللطرائق التي اتبعها الأمويون في تداول السلطة، وللفكرة التي قامت عليها الدولة الأموية، من قصر الخلافة على قريش، وفي بيت معين من بيوتها[٥]، وقد نرى ذلك بوضوح في خطبة أبي حمزة الخارجي[٦]، في أهل المدينة، بعدما تغلّب عليها[١]، فقال: " يا أهل المدينة إنا لم نخرج من

---

(٤) عمر أبو النصر: الأيام الأخيرة للدولة الأموية ، ص ٢٤٣.

(٥) استغل أبو مسلم: بخبث ودهاء نيران العصبية القبلية التي اشتعلت بين القبائل العربية في خراسان، فأذكاها وأضرم لهيبها، وشغل هؤلاء بأنفسهم عن أبي مسلم وما يدبر له، عبد الرحمن أحمد محمد سالم : التاريخ السياسي للمعتزلةحتى نهاية القرن الثالث الهجري ، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، ص ١٤٠.

(١) يأتي اسم الخوارج من الخروج على الخلفاء، وهي إحدى الفرق الإسلامية، كان منشأها سياسيا، وذلك عندما خرجوا عن جيش الإمام علي لأنه رضي بالتحكيم، فأطلق عليهم الخوارج، واستمرت معارضتهم له حتى قتلوه غيلة، ثم عارضوا الدولة الأموية حتى كانوا أحد أسباب سقوطها، وهم يرون الإمامة عامة غير منحصرة في قريش، ويبيحون دم المخالفين لهم، وينقسم الخوارج إلى اثنتي عشرة فرقة، الإزارقة، الأباضية والثعلبية والحازمية، والخلفية، والمكرمية، والكنزية، والشمراخية، والأخشية، والمحكمية، والميمونية، خليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ص ٤٨٥، ابن الجوزي: تلبيس إبليس، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط٤، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ص ص ١٩، ٢٠.

(٢) الاصفهاني: الأغاني، حققه: إبراهيم الأبيار، دار الشعب، القاهرة، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م، جـ٢٧، ص ص٩٣٩٣ - ٩٣٩٧.

(٣) روي الفضيل بن عياض حديث معاوية أن رسول (صلى الله عليه وسلم) قال: " الأئمة من قريش "، أبو نعيم الأصفهاني: حلية الأولياء، جـ٨، ص ١٢٧.

(٤) أبو حمزة الخارجي: هو المختار بن عوف بن سليمان الأزدي من بني سليمة الخارجي أعتنق مذهب الأباضية، كان يحج إلى مكة كل عام لإثارة المسلمين على مروان بن محمد، وبايع عبد الله بن يحيى المعروف بطالب الحق على الخلافة، وفي العام التالي وافي الموسم بجيش كبير تمكن من هزيمة عبد الواحد بن سليمان،

ديارنا أشرا ولا بطرا ولا عبثا، ولا لدولة ملك نريد أن نخوض فيه، ولا لثأر قديم نيل منا، ولكنا لما رأينا مصابيح الحق عطّلت، وعنّف القائل بالحق وقتل القائم بالقسط، ضاقت علينا الأرض بما رحبت، وسمعنا داعيا يدعو إلى طاعة الرحمن وحكم القرآن، فأجبنا داعي الله "[٢].

وأيا كانت الأسباب التي أخرجتهم، والأهداف التي قاتلوا تحتها، فإن ما يهمنا هنا، هو أنهم بخروجهم على الدولة ومناصبتها العداء، قد أنهكوها، وأجهزوا عليها في الوقت الذي كانت فيه في أمس الحاجة لالتقاط أنفاسها ولتجميع قواها لمواجهة العباسيين، ففي الوقت الذي كانت فيه الرايات السود تتجه من خراسان إلى العراق كان الجيش الأموي تحت قيادة الخليفة في منازلة مع الخوارج، إذ لم يصغ مروان بن محمد للاستغاثات التي كان يطلقها واليه على خراسان نصر بن سيار[٣]، محذرا من تفاقم أمر الدعوة العباسية، لأنه كان منشغلا بحرب الخوارج في الجزيرة.

وعبثا حاول نصر بن سيار إيقاف الدعوة العباسية، ومواجهة جيوش العباسيين لأن اليمانية – عصب الجيش الأموي في خراسان – قد انفضوا من حوله، وانضموا إلى أعدائه، ولأن الدولة

أمير الحجاز لمروان بن محمد، ودخل المدينة سنة (١٣٠هـ / ٧٤٧م)، ثم سار إلى الشام لإسقاط الحكم الأموي إلا أنه هزم عند وادي القرى وقتل، فتفرق أتباعه، ويعد هذا العمل الذي قام به أبو حمزة آخر عمل قام به الخوارج ضد الدولة الأموية وهم مع ذلك قد أنهكوها وسهلوا مهمة إسقاطها، أحمد عطية: القاموس الإسلامي، جـ٢، ص ص ١٥٧ ، ١٥٨.

(٥) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٠، ص ص ٣٤ ، ٣٥.

(١) المسعودي: مروج الذهب، جـ٣، ص ص ٢٥٧ ، ٢٥٨، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٥، ص ص ٣٨٩ ، ٣٩٠.

(٢) كتب نصر بن سيار والي خراسان إلى الخليفة ومروان بن محمد يستحثه لنجدته بعد أن ظهرت الدعوة العباسية بخراسان قائلا:

أرى بين الرماد وميض جمر	ويوشك أن يكون له ضرام
فإن النار بالعودين تذكى	وإن الحرب أولها كلام
فإن لم تطفؤها تجن حربا	مشمرة يشيب لها الغلام
أقول من التعجب ليت شعري	أأيقاظ أمية أم نيام

فرد عليه الخليفة، وكان منشغلا بحرب الخوارج، أن الشاهد يرى ما لا يراه الغائب، فاحفظ ناحيتك، فلما رد على نصر الجواب قال لخواصه: " أما صاحبكم فقد أعلمكم أن لا نصر عنده "، المسعودي: مروج الذهب، جـ٣، ص ص ٢٥٥ ، ٢٥٦.

قد أقحمت نفسها في معمعة ذلك الصراع القبلي المرير بين اليمانية والقيسية، بل ولأن الخلاف والنزاع كان قد تسرب إلى داخل البيت الأموي فانقلب الإخوة وبنو العم إلى خصماء وأعداء متناحرين، وإذا ما أضفنا إلى ذلك، الإغراق في حياة الترف وإشباع هوى النفس والوقوع في أسر الشهوات والملذات التي انغمس فيها كثير من أفراد البيت الأموي في العقد الأخير من عمرها، منصرفين عن شئون الدولة، تاركين أمر ذلك لأعوانهم، وولاتهم فآثروا مصالحهم على مرافق الدولة، وظلموا الرعية وأفسدوا ما بينهم وما بين الأمويين، ويقع نظر الباحث هنا على مقالة أبي جعفر المنصور لبعض بني العباس يحذرهم المصير الذي آل إليه الأمويون، حيث قال: "ما زال أمر بني أمية مستقيما حتى أفضى إلى أبنائهم المترفين، فكانت همتهم من عظم شأن الملك وجلال قدره قصد الشهوات، وإيثار اللذات "[١]، ويزيد الأمر وضوحا أحد شيوخ بني أمية عندما سئل عن سبب زوال دولتهم فقال: " شغلنا بلذاتنا عن تفقد ما كان تفقده يلزمنا، فظلمنا أهل خراجنا، فتخلوا عنا وخربت ضياعنا، فخلت بيوت أموالنا، ووثقنا بوزرائنا، فأثروا مرافقهم على منافعنا، وأمضوا أمورا دوننا، أخفوا علمها عنا، وتأخر عطاء جندنا، فزالت طاعتهم لنا، واستدعاهم أعادينا، فتظافروا معهم على حربنا، وطلبنا أعداءنا فعجزنا عنهم لقلة أنصارنا، وكان استتار الأخبار عنا من أوكد أسباب زوال ملكنا "[٢].

وهكذا فإن هذه الأخطاء المتراكمة قد أربكت آخر خلفاء بني أمية، بالرغم من حنكته السياسية وقدراته العسكرية، وبرغم الكثرة العددية في جيشه، ولكن ما تغني الكثرة المتخاذلة المنهزمة، فقد كان في ١٢٠,٠٠٠ مقاتل في الزآب [٣]، في حين كان العباسيون في أقل من هذا

---

(١) المسعودي: مروج الذهب، جـ٣، ص ٢٩٦؛ ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص ٢٠٧.

(٢) المسعودي: مروج الذهب، جـ٣، ص ٢٤١، التبريزي: كتاب النصيحة للراعي والرعية، مخطوط بدار الكتب المصرية، ٣٤٦ حديث، ميكروفيلم(١١٧٩٥)، ص ٥٣، ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص ٢٠٧؛ ورد بصيغة أخرى لدى الماوردي: التحفة الملوكية في الآداب السياسية، حققه : فؤاد عبد المنعم، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ط٢، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، ص ١٠١.

(٣) الزآب: من زاب، أي هرب وجرى وانسل، والزاب مفرد زواب، وهي الأنهار، وينقسم الزاب إلى قسمين: الزاب الأعلى وهو سريع الجريان وهو بين الموصل وأربل، ولذلك سمي بالمجنون لشدة جريانه، والزاب الأسفل، عليه قتل عبيد الله بن زياد، وعلى الزاب الأعلى جرت الموقعة المعروفة بين مروان بن محمد= =وجيوش الثورة العباسية، وسميت بيوم الزاب، وهناك زابان بين بغداد وواسط يسميان كذلك بالزاب الأعلى والأدنى، ياقوت: معجم البلدان، جـ٣، ص ص ١٩٨ ، ١٩٩.

العدد[1]، ولكن الدولة كانت قد استنفدت أسباب بقائها كما قال هذا الخليفة المخذول " إذا انقضت المدة لم تنفع العدة "[2]، فكان لا يدبر شيئا إلا كان فيه الخلل والفساد[3]، فأصيب بهزيمة نفسية أفقدته القدرة على التفكير الجيد والإدارة السليمة للمعركة، وقد لاحظ ذلك أهل حمص[4]، عندما مر بهم فقالوا: " مرعوب مهزوم "[5]، ثم واصل طريقه إلى مصر[6]، والعباسيون في إثره، فأتبعوه في بوصير[7]، من صعيد مصر، فقتلوه في ذي الحجة (١٣٢هـ / ٧٥٠م)[8].

وهكذا وضع ألأمويون بأخطائهم المميتة، نهاية لدولتهم، وضعوا أنفسهم في محك سنة ماضية، وهي أن الذين يستنفدون أسباب البقاء يكونون عرضة للزوال.

٣ - موقف العلماء من شرعية الدعوة والثورة العباسية:

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٦، ص ٩٢؛ مجهول: العيون والحدائق في الإخبار والحقائق نسخه القاضي الفارقي، معهد المخطوطات العربية، ميكروفيلم (١١٤٧)، ص ص ١٤٧ ، ١٤٨.

(٢) الشيرازي: تهذيب الرياسة وترتيب السياسة، مخطوط بدار الكتب المصرية، برقم ٩٩٠٧، ميكروفيلم (٣٢٧٨٣)، أدب، ص٢٩٥.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٦، ص ٩٠.

(٤) حمص: مدينة بالشام، واسمها أعجمي نسبة إلى رجل من العماليق يسمى حمص، ويقال من عاملة وهي بين دمشق وحلب، فتحت صالحا بقيادة أبي عبيدة، وهناك حمص بالأندلس يطلق عليها أشبيلية، ياقوت: معجم البلدان، جـ٢، ص ص ٣٤٧ ، ٣٥٠، البكري: معجم ما استعجم، تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، (د.ت)، جـ١، ص ٤٦٨.

(٥) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٦، ص ٩٣، ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٠، ص ٤٤.

(٦) الذهبي: العبر في خبر من غبر، جـ١، ص ١٣٤.

(٧) بوصير: أما الاسم (بوصير)، فلعله محرف من الاسم المصري القديم الذي عرف في النصوص المصرية القديمة باسم (بروسير) أي (مكان الإله أوزيريس) وحرفه الإغريق إلى (بوزيريس)، وعرف في الآشورية (بوسيري) وفي القبطية (بوسير Pousir) وربما كان تحول الاسم إلى بوصير في العهد الإسلامي لأن المصادر الإسلامية منذ أن ذكرت هذا البلد، ذكر باسم (بوصير) ولم يذكر باسم (بو أوزير)، أما إضافة الألف إلى الاسم أول الاسم فقد تم في العهد العثماني عام(٩٣٣هـ / ١٥٢٦م)، ولهذا صار الاسم (أبو صير) هو الاسم المشهور اليوم، ويتكرر اسم بوصير في أكثر من موضع في مصر، فهناك بوصير المقابلة لاشمونين في الصعيد وهي بوصير الملف الموجودة في الواسطي في بني سويف حاليا، قرية من قرى جنوب الصعيد، عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع : بوصير ونهاية الدولة الأموية، بحث مقدم في مؤتمر بني سويف على مر العصور، كلية الآداب – جامعة القاهرة فرع بني سويف ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، ص ص ٧٨ ، ٨٢.

(٨) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٦، ص ص ٩٤ ، ٩٧؛ المسعودي: مروج الذهب، جـ٣، ص ٢٤٧؛ مجهول: العيون والحدائق، ص ص ١٤٧ ،١٤٨.

أ- موقف العلماء من شرعية ومبررات العباسيين في الخلافة:

إذا ما أردنا معرفة رأي العلماء في شرعية الثورة العباسية كان علينا بداية أن نتعرف على المسوغات والمبررات التي رآها وساقها العباسيون للخروج على الأمويين، وكذا الشعارات التي رفعوها لاجتذاب الناس إلى دعوتهم، أو على الأقل لإقناعهم بها، كما يستوجب علينا إلقاء الضوء على الأساليب التي اتبعها العباسيون في ثورتهم تلك.

ب- مبررات العباسيين للثورة على الأمويين:

لابد أن نسلم بداية بأن الدعاة العباسيين قد نجحوا في استثمار أخطاء الأمويين، بل وعملوا على فضح وتضخيم بعض الإنحرافات التي شابت الحكم الأموي، فكان ذلك أحد منطلقات الدعوة، الذي ترتب عليه عملهم على انتزاع الخلافة من البيت الأموي لهذا السبب، ولظنهم بأنهم أحق بها من سواهم، لقرابتهم من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولوصية ساقوها، وأنهم بمقتضاها خصوا بالخلافة، أو بالأصح، تنازل بموجبها آل علي عن حقهم في الخلافة للعباسيين .

*- تصوير الأمويين على أنهم مغتصبون للخلافة وتشويه صورتهم لدى الناس :

ساق العباسيون الأخبار المختلفة لتشويه الأمويين، وتبرير الخروج عليهم، وضمنوها خطبهم التي استهلوا بها دولتهم كنوع من الدعاية الفكرية وتهيئة أذهان الناس لتقبل الوضع الجديد، فقال أبو العباس في أول خطبة له عقب مبايعته بالخلافة وانتهاء أمر الدولة الأموية: " ثم وثب بنو حرب ومروان على الخلافة، فابتزوها لأنفسهم، وتداولوها، فجاروا فيها واستأثروا بها، وظلموا أهلها، فأملى الله لهم حينا، فانتزع منهم ما بأيديهم، بأيدينا "[(١)].

*- إثبات أحقية العباسيين بالخلافة :

وفي المقابل راح العباسيون ينتهجون كل طريق ويسلكون كل مسلك لتأكيد حقهم في الخلافة، وأنهم عندما خرجوا على الأمويين إنما هم بذلك يستعيدون ذلك الحق ويعيدون الأمور إلى نصابها، وأن الأمويين ليسوا سوى مغتصبين للخلافة، ونتبين ذلك من خطبة أبي العباس،

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١، ص ٤١.

حيث قال: " ورد الله علينا حقنا، وتدارك بنا أمتنا، وتولى أمرنا والقيام بنصرنا ليمن بنا على الذين استضعفوا في الأرض، وختم بنا كما أفتتح بنا "[١].

وقد سار العباسيون على هذا النهج طوال العصر العباسي الأول، إذ يورد الطبري في أحداث سنة (١٥٨هـ / ٧٧٥م)، خطبة لأبي جعفر المنصور في مكة جاء فيها: " ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون "[٢]، ملمحا إلى العباسيين، ثم ما لبثنا أن سمعنا ذلك على لسان المأمون حيث قال: "وهم – يعني بني أمية – الذين اغتصبونا حقنا "[٣].

كما أدعى العباسيون لسحب البساط من تحت أقدام آل علي أن أبا هاشم قد أوصى بالإمامة من بعده لمحمد بن علي العباسي، وبرروا بذلك شرعية حكمهم، وعدم شرعية الحركات العلوية الخارجة عليهم بعد ذلك[٤] .

لا يجـد الباحث بين الروايـات التاريخيـة ما يدل على أن العلماء في العصـر العباسي الأول قـد أكدوا مسألـة الوصية ، التي ادعاهـا العباسيون ، بل إن هذه الروايات تشير إلى أن العلماء لم يتـداولوا على ألسنتهـم موضوع الوصية ، بل ولم يعولوا عليهـا في شرعية الخلافة العباسية .

وهكذا فقد ساق العباسيون ما استطاعوا من حجج وبراهين ومبررات تسوغ لهم الخلافة، ثم إنهم تشبثوا بها أيما تشبث، فقد قال داود بن علي[٥]، في خطبته في أهل الكوفة لدى مبايعة

---

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١، ص ٤١، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ ـ٥، ص ص ٤١١ ، ٤١٣؛ مجهول: العيون والحدائق، ص ص ١٤٤ ، ١٤٥، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٢٩٦.

(٣) الأنبياء: الآية ١٠٥، الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٦، ص ٣٣٢ .

(٤) ابن أعثم: كتاب الفتوح، حققه: محمد عبد المعيد خان، دار النـدوة الجديـدة، بيـروت، ط١، ١٣٩١هـ ـ / ١٩٧١م، جـ٨، ص ٣٣٥.

(٥) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، جـ٣٨، ص ١٧٣، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٥، ص ٤٠٨.

(١) داود بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم ، يكنى بأبي سليمان ، كان بالحميمة مع إبراهيم الإمام، ولي أمرة الكوفة ثم مكة والمدينة واليمن واليمامة والموسم في خلافة السفاح ، وهو عم الخليفة السفاح وأحد أركان دولة بني العباس ، وكان له اهتمامات علمية ، فروى الحديث عن أبيه علي بن عبد الله بن العباس ، توفي سنة (١٣٣هـ / ٧٥١م) ، الأزدي : تاريخ الموصل ، حققه : علي حبيبة ، نـشره محمـد توفيـق

السفاح، " اعلموا أن هذا الأمر فينا ليس بخارج منا حتى نسلمه لعيسى بن مريم "[1]، مشيرا إلى تمسكهم بالخلافة إلى قيام الساعة.

*** - رأي العلماء في شرعية الدعوة والثورة العباسية :**

أتـى العباسيـون إلى الخلافـة بعـد إعـداد طويـل ، ودعـوة منظّمـة ، انتهت بمعـارك ضاريـة مـع الأمويـن قتـل فيهـا آلاف المسلميـن ، وشـرد فيها كثير من الأمويين، وانتهبت أموالهم، وكان العلماء يرقبون كل ذلك، ثـم رأوا العباسيين يكررون ذات التجربة الأموية في الحكم ، والتي قاموا وأتوا تحت مبررات تغييرها، ولا ريب أنه قد وصلت إلى مسامع العلماء مسوغات العباسيين لشرعيتهـم في الخلافة ، ومن ذلك الوصية ، والقرابة... وغيرها.

كان العلماء يرون مواصفات محددة للخليفة لم تكن خيالية ولا مستحيلة التطبيق، إذ تكررت قبل ذلك فلم تكن سيرة كل من أبي بكر، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وعمر بن عبد العزيز، بالبعيدة عنهم، فكانت أعين العلماء مشدودة إلى هذه النماذج، يقيسون عليها وهم يقارنون بين ما كان عليه الخلفاء الراشدون من صفات، بدأت تضمر وتنحسر في حياة معاصريهم من الخلفاء، خصوصا وازع الدين، وما أصبح عليه الخلفاء من استخدام الحيل والأساليب السياسية للوصول إلى غاياتهم، وكيف انقلبت الخلافة إلى الملك، وكيف كان الخلفاء قبل ذلك يؤثرون الالتزام بقيم الدين على مصالحهم الشخصية، وإن أفضى ذلك إلى هلاكهم وحدهم دون الكافة، فهذا عثمان بن عفان لما حوصر في الدار أتاه الحسن والحسين، وعبد الله بن عمر، وعبدالله بن جعفر [2]، وأمثالهم[1]، وأتاه بعض أهل المدينة يعرضون عليه الحماية والقتال

عويضة ، القاهرة ، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م، ص ١٤١ ، ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ، جـ ١٧ ، ص ص ١٥٦ ، ١٥٧.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٥، ص ٤١٥، مجهول: العيون والحدائق، ص ١٤٦.

(١) عبد الله بن جعفر بن أبي طالب: يكنى بأبي جعفر، ولد بالحبشة حيث كان أبواه مهاجرين، أمه أسـماء بنـت عميس، سكن المدينة، وكان يتردد على الخلفاء الأمويين ويأخذ عطاياهم، توفي سنة (٨٦هـ / ٧٠٥م)، ابـن

دونه،إلا أنه رفض ذلك[٢]، ثم رفض عرضا قدمه واليه على الشام معاوية ، بأن يرسل إليه جيشا من جند الشام يرابطون معه لحمايته، أو أن يخرج إلى الشام أو إلى مكة، لكنه رفض كل هذه العروض[٣] خشية أن يؤدي ذلك إلى الفرقة بين المسلمين، وحفظا للألفة التي بها اجتماع الكلمة، وأشفق أن تراق قطرة دم مسلم يكون هو السبب فيها[٤]، أبى أن يكون أول ثلمة في جسد الأمة ولو أدى ذلك إلى هلاكه.

وهذا علي بن أبي طالب أشار عليه المغيرة بن شعبة[٥]، لأول ولايته باستبقاء كل من الزبير ومعاوية وطلحة على أعمالهم حتى يجتمع الناس على بيعته وتتفق الكلمة، وله بعد ذلك ما شاء من أمره إذا ما بويع واجتمع الناس عليه، وكان ذلك من سياسة الملك ، فأبى علي فرارا من الغش الذي ينافيه الإسلام، فغدا عليه المغيرة من الغداة فقال: " لقد أشرت عليك بالأمس بما أشرت ثم عدت إلى نظري فعلمت أنه ليس من الحق والنصيحة، وأن الحق فيما رأيته أنت، فقال علي: " لا والله بل أعلم أنك نصحتني بالأمس وغششتني اليوم، ولكن منعني مما أشرت به زائد الحق"[٦].

وهكذا كان العلماء يقارنون بين ما فعله كل من عثمان وعلي عندما أريدا على ترك الخلافة، وبوسعهما استخدام وسائل دنيوية ليست محرمة، لكنها تتعارض مع ما تربوا عليه في

منظور: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، تحقيق: إبراهيم صالح، دار الفكر، دمـشق، ط١، ١٤٠٨هـ ـ/ ١٩٨٨م، جـ ١٢، ص ص ٧٢، ٩١.

(٢) ابن خلـدون: مقدمة ابن خلدون، ص ص ٢٠٧ ، ٢٠٨، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ١٧٧.

(٣) سيـف بن عمر: الفتنة ووقعة الجمـل ، تحقيـق : أحمـد راتـب عرمـوش ، دار النفـائس، بيـروت ، ط١ ، ١٣٩١هـ / ١٩٧١ م ، جـ١ ، ص ٦٥ ، ابن قتيبة : الإمامة والسياسـة ، جـ ١ ، ص ص ٥٧، ٥٨.

(٤) سيف بن عمر: الفتنة ووقعة الجمل، جـ١، ص ٦٣، ابن قتيبة : الإمامة والسياسة، جـ١، ص ٥٨.

(٥) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ، جـ١، ص ٥٨ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ١٧٩.

(١) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف: يكنى بأبي عبد الله، أول مشاهده الحديبية، ولاه عمر بن الخطاب البصرة ثم عزلـه ثـم ولاه الكوفـة فعزلـه عثمان، ثم ولاه إياها معاوية بن أبي سفيان فبقى عليها إلى أن مات بها في شعبان سنة (٥٠هـ / ٦٧٠م) ، ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ٦، ص ٢٠.

(٢) ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص ص ٢٠٧، ٢٠٨، وورد بصيغة أخرى لدى الدينوري: الأخبار الطـوال، ص ١٤٢.

مدرسة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من تسنُّم معالي الأمور واختيار أفضلها وأنفعها للأمة، ولهم في معادهم، وبين ما اتخذه العباسيون من وسائل في سبيل الوصول إلى الخلافة، منها ما كان مشروعا ومنها ما كان غير مشروع.

ولذلك فلم ير العلماء أن العباسيين قد أتوا بجديد، أو أنهم أعادوا التوازن المفقود للحياة السياسية، بل كرروا ذات التجربة الأموية، وكانوا أشد وأقسى، وقد عبر عن ذلك أعرابي بالشام عندما قال له أبو جعفر المنصور: " إحمد الله يا أعرابي الذي رفع عنكم الطاعون بولايتنا – أهل البيت – فقال الأعرابي: إن الله لا يجمع علينا حشفا وسوء كيل، ولايتكم والطاعون "[١]، ومهما كان هذا الأعرابي مبالغ، فإن العلماء قد عبروا في غير مقام عن رؤيتهم لشرعية الثورة العباسية.

ولنستمع إلى جواب الأوزاعي عندما سأله عبد الله بن علي[٢]،عقب إزالة حكم بني أمية، عما أحدثه العباسيون في الثورة، ضد الأمويين، قائلا:"يا أبا عمرو:"ما تقول في الذي صنعنا ؟"[٣]، هل يدخل في دائرة الجهاد والرباط في سبيل الله ؟، ما تقول في مخرجنا وما نحن فيه؟ [٤]، فأجابه عن السؤال بحديث النبي (صلى الله عليه وسلم):"إنما الأعمال بالنيات"[٥]، ولم يزد على ذلك وكأنه أراد أن لا يتسرع في تقييم دولة العباسيين، لأنه غير متأكد من حسن نواياهم، أفعلوا ما فعلوا للدنيا أم للآخرة، إلا أنه حدد تماما بطلان القول بالوصية، التي أدعتها الشيعة لعلي، ثم تابعهم في ذلك العباسيون[٦]،بعد أن أتبعوها بوصية أخرى، تتحول بموجبها الخلافة إلى البيت العباسي، وروجوا لها إعلاميا، فقال الأوزاعي:"مجيبا على عبد الله بن علي عندما سأله قائلا: " لتخبرني

---

(٣) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ، جـ ٣٨ ، ص ٢٢١.

(١) عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي، عم أبي العباس وأبي جعفر المنصور، ولاه أبو العباس منازلة مروان فنازله في الزاب حتى هزمه، ثم تبعه إلى الشام، وأرسل في إثره إلى مـصر حتـى قتله، خرج على المنصور، وأعلن نفسه خليفة بالشام، بناء على وعد أعطاه إياه أبو العباس، إذا قتل مـروان، لكن المنصور أمكن منه، واستصفى أمواله، وحبسه في بيت من اللبن إنهار عليـه، فمـات سـنة (١٤٧هـ ـ /٧٦٤م) ، الخطيب : تاريخ بغداد ، جـ ١٠، ص ص ٨ ، ٩.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ ١٠، ص ٤٥ .

(٣) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٧ ، ص ص ١٢٤ ، ١٢٥.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ ١٠، ص ٤٥؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ ٧، ص ص ١٢٤ ، ١٢٥.

(٥) انظر: أنس هارون عبد المجيد نصر: أساليب المواجهة السياسية للعباسيين تجاه الخارجين في العصر العباسي الأول، رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ص ١٢.

عن الخلافة أهي وصية من رسول الله فما كان من الأوزاعي إلا أن قال:"لو كانت وصية من النبي(صلى الله عليه وسلم) ما ترك علي كرم الله وجهه أحدا يتقدمه، ولما رضي بالحكمين[1]،ثم إن الأوزاعي كره لبس السواد، شعارالعباسيين واستأذن المنصور في ذلك فأذن له[2].

وكان مالك بن أنس ينظر بقلق إلى الدولة العباسية في بدايتها خصوصا وأن الأمور لم تستقم لها فكان يخشى أن يصير أمر الأمة إلى زوال وتفانٍ، وهو الذي ينزع إلى الأمن والاستقرار والاطمئنان، ويرى فيه صلاحا للأمة لذلك فقد كان مالك غير راضٍ عما يحدث، لا لأنه يبغض بني العباس ويؤثر بني أمية، بل لأنه قد ذهب الاستقرار الذي كان ينعم به[3]، ولأن ذلك كان ينهك الأمة ويستنفد طاقاتها، ولم يكن يهمه من يحكم المسلمين بقدر ما يهمه أن يؤدي هذا الحاكم دوره في الحفاظ على قوام الأمة، ودواعي استمراريتها واستطالتها، والدفاع عن بيضتها إزاء أعدائها المتحفزين لها.

كان مالك ينظر إلى الأساليب التي يتخذها العباسيون لتأكيد شرعية حكمهم للمسلمين بأخذهم الناس بالبيعة لهم، وتوثيق تلك البيعة بالعهود والمواثيق، بعدم رضا، ويرى أنها لا تتفق مع قيم الإسلام ولا مع موروث الأمة وسيرة السلف فأنكرها، وأفتى بعدم شرعيتها، وببطلان البيعة إذا أُجبر الناس عليها، وقد ألمح إلى ذلك في حديث بطلان يمين المكره في الطلاق، فقال: "ليس على مستكره طلاق"[4]، وفي رواية أخرى " ليس على مستكره يمين "[5]، وكان الخلفاء يستحلفون على العهد، ويستوعبون الأيمان كلها، فسمي هذا الاستيعاب أيمان البيعة، وكان الإكراه فيه كثير[6]، فقيل لوالي المدينة (جعفر بن سليمان)[7]: " إنه (مالك) لا يرى أيمان بيعتكم هذه شيء "[1].

---

(٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ٧، ص ص ١٢٣ ، ١٢٤، تذكرة الحفاظ ، جـ ـ ١، ص ص ١٧٠ ، ١٧١؛ انظر: عبد العزيز سيد الأهل: الإمام الأوزاعي فقيه أهل الشام، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القـاهرة، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م، ص ١٥٧.

(٧) الحنبلي: محاسن المساعي في مناقب الإمام أبي عمرو الأوزاعي، ص ص ٤٤ ، ٤٥

(١) أبو زهرة : مالك حياته ، وعصره ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، (د.ت) ، ص ١١٨.

(٢) أبو نعيم: حلية الأولياء، جـ٦، ص ٣٤٥، الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ٨، ص ص ٧٩، ٨٠.

(٣) ابن الجوزي: مناقب الإمام أحمد، ص ص ٣٠١ ، ٣٠٢.

(٤) ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص ٢٠٩.

(٥) جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس، ابن عم المنصور وواليه على المدينة، أخذ مالكا في يمـين المكره عندما بلغه، أنه يقول: " ليس على مكره يمين " فجرده وضربه بالسياط، وقد عزلـه المنـصور لـذلك

وهكذا تناول مالك بهذا الحديث، وبتلك الفتيا قضية هامة تتعلق بشرعية الخلافة العباسية، وفتح الطريق أمام الطامحين في السلطة من البيت العلوي للخروج على العباسيين، وقد أدرك العباسيون ما ينطوي عليه ترويج عالم في حجم مالك لهذا الحديث وفتياه به، من تسويغ لخروج الخارجين على الدولة والتنصل عن بيعتهم للخلفاء، ولم ينظروا إليها بوصفها مسألة فقهية تتعلق بقضية اجتماعية، وحتى يقفل الطريق على كل من يعرض أمن الدولة للخلل والاضطراب، أو حتى يعرض بشرعية الحكم العباسي، أنزل به العباسيون الأذى، فضربه والي المدينة جعفر بن سليمان، سبعين سوطا حتى انخلعت كتفه[٢]، وإن كان المنصور قد لام واليه على ما فعله بالإمام مالك، بل وعزله عن المدينة لاسترضاء كل من مالك وأهل المدينة[٣].

أما ما يذكر من أن أبا حنيفة استقبل عهد العباسيين بالترحيب والارتياح، وأنه ألقى خطبة في حضرة أبي العباس لدى انعقاد بيعته، فالرواية يفهم منها أن أبا حنيفة كان بالكوفة أثناء انعقاد البيعة لأبي العباس سنة (١٣٢هـ / ٧٥٠م)[٤]، وأنه دعا الناس إلى بيعة أبي العباس، حيث تقول الرواية: " لما نزل أبو العباس بالكوفة توجه إلى العلماء وبين لهم فضل آل البيت، ودعاهم إلى بيعته فتكلم أبو حنيفة، فقال: " الحمد لله الذي بلغ الحق من قرابة نبيه ، وأمات عنا جور الظلمة وبسط ألسنتنا بالحق، قد بايعنا على أمر الله ، والوفاء لك بعهدك إلى قيام الساعة، فلا أخلى الله

إرضاء للإمام مالك، عندما تبين له أن مالكا لم يحرض على مساندة محمد النفس الزكية، ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٤، ص ١٣٧.

(٦) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٦، ص ١٩٠، العسكري: كتاب الأوائل، جـ٧، ص ٢٩٨، ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٤، ص ١٣٧، ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٠، ص ٨٤، مجهول: العيون والحدائق، ص ص ٢١٣ ، ٢١٤.

(١) أبو نعيم: حلية الأولياء، جـ٦، ص ٣٤٥؛ العسكري: كتاب الأوائل، جـ٧، ص ٢٩٨، ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٤، ص ١٣٧؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ٨، ص ص ٧٩ ، ٨٠؛ مجهول: العيون والحدائق، ص ص ٢١٣ ، ٢١٤.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ٨، ص ١١٣.

(٣) الطبري: جـ٦، ص ٨٤.

هذا الأمر من قرابة نبيه [1]، والرواية كما نرى تدل على أمرين، أولهما: أن أبا حنيفة كان بالكوفة ساعة نزول السفاح بها وأخذ البيعة لنفسه من أهلها، وكان ذلك في (٣ ربيع الأول سنة ١٣٢هـ / ٧٤٩م)[2]، قبل سنة (١٣٦هـ / ٧٥٣م)، يقينا، وهي بذلك تناقض ظاهر الرواية التي تقول أنه لم يعد إلى الكوفة إلا بعد سنة (١٣٦هـ / ٧٥٣م)، ثم يقول: " وعندي أن التوفيق بين الروايتين ممكن، ذلك أن أبا حنيفة فر إلى مكة من وجه ابن هبيرة وأقام بها إلى أن ذهب ابن هبيرة ودولته من العراق، فجاء بعدئذ إلى الكوفة لعله يستقر بها، وقابل في ذلك الوقت أبا العباس، فأعطاه البيعة على النحو السابق، ولكن لبقاء الفتنة بالعراق وما حوله وعدم استقرار الأمور عاد إلى مكة، ولعله كان يتردد بين المدينتين حتى إذا استقامت الأمور في عهد المنصور حضر إلى الكوفة واستقر بها، وأعاد حلقته في المسجد كما كانت، فهو لم يستقر في الكوفة إلا في خلافة المنصور، وثانيهما: أن العلماء لم يكونوا مرتاحين لمبايعة أبي العباس، خصوصا وأن من أولئك العلماء من عمل لبني أمية، بينما لم تكن لبني أمية في عنق أبي حنيفة بيعه ولا عهد ولا ذمة.

تقودنا الشواهد والقرائن التاريخية، إلى رد هذه الرواية لأكثر من سبب، فالرواية فيها من الإطراء والثناء على بني العباس ما لا يتفق مع شخصية أبي حنيفة الذي لم يكن يستهويه المديح والتزلف والثناء، خصوصا إذا كان للحكام، وهو المعاصر للأحداث وما أسفرت عنه من التقاء السيوف الإسلامية، وقتل الآلاف للاستئثار بالسلطة، ثم مواقفه بعد ذلك من الحكم العباسي، فضرب على أيدي العباسيين، لاتهامه بممالاة محمد النفس الزكية، فإذا كان قد بايع ووجبت البيعة في عنقه لهم فلماذا خرج عليهم، ألم يضربه المنصور على القضاء؟ ثم ألم يمت أبو حنيفة بعد ذلك في سجن العباسيين؟[3]، ثم أن بيعة أبي العباس كما تقول الرواية، قد تمت في رجب من سنة (١٣٢هـ / ٧٥٠م)[4]، وفي هذا الوقت كان ابن هبيرة ما يزال متغلبا على واسط وظل حتى

---

(٤) محمد أبو زهرة : أبو حنيفة حياته وعصره وآراءه الفقيه ، دار الفكـر العربـي ، القـاهرة، ١٣٦٦هـ / ١٩٤٧م، ص ص ٣٤ ، ٣٦.

(١) خليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٣٠، الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ٨، ص ٣٣٥؛ المقدسي: كتاب البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ت)، جـ٦، ص ص ٦٩ ، ٧٠.

(٢) السيوطي: تاريخ الخلفاء ، ص ٢٩٩.

(٣) الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٣٧٠.

أواخر سنة (١٣٢هـ / ٧٥٠م)[١]، ثم وجه أبو العباس أخاه أبا جعفر – بعد ذلك – لقتال ابن هبيرة[٢]، أي بعد أن أصبح خليفة، وقد طال ذلك القتال الذي سبقه حصار وتلته مفاوضات[٣]، فلم يكن بإمكان أبي حنيفة وهو المتواري عن ابن هبيرة في مكة، والأوضاع كما هي مضطربة في العراق، أن يجازف بالمجيء لمبايعة السفاح، أو لأي سبب من الأسباب، ثم هل كان الانتقال بين مكة والكوفة من السهولة عليه بحيث يصل من مكة إلى الكوفة، قبل مبايعة السفاح؟، خصوصا وأن الرواية أكدت أنه لم يأت إلى العراق قبل سنة (١٣٦هـ / ٧٥٣م)، أي في مطلع خلافة المنصور، وإذا ما أضفنا إلى ذلك أن المسافة بين مكة والكوفة تبلغ حوالي ٧٨٩ ميلا[٤]، تمتد عبر صحاري مقفرة، يتم الانتقال فيها بوسائل بدائية، فكم من الوقت سيستغرق أبو حنيفة للانتقال من مكة إلى الكوفة، ليشهد مبايعة الخليفة الذي بويع عقب سقوط الأمويين؟ وكم من الوقت استغرق وصول هذا الخبر إلى مكة؟

وهل كان أبو حنيفة مهتما بهذا الأمر إلى هذا الحد الذي يجعله يحرص على الانتقال من مكة إلى الكوفة في مثل هذه الظروف لمبايعة الخليفة الذي لم يستقر له الأمر بعد؟.

وبعد فإن كل هذه المعطيات تدعونا إلى التشكك في صحة هذه الرواية، وفي أن تكون تلك الخطبة قد صدرت عن أبي حنيفة، وفي أن يكون قد بايع للسفاح عقب توليه الخلافة في رجب (١٣٢هـ / ٧٥٠م)[٥].

---

(٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٦ ، ص ١٠٤.

(١) الدينوري: الأخبار الطوال، ص ص ٣٧٠ ، ٣٧١، الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ ٦، ص ص ١٠٨ ، ١٠٩.

(٢) الدينوري: الأخبار الطوال، ص ص ٣٧١ ، ٣٧٣.

(٣) يورد ابن رستة تفصيلا للمسافة وللمراحل التي يقطعها المسافرون من الكوفة إلى مكة، على النحو التالي، حيث يقول: من الكوفة إلى القادسية خمسة عشر ميلا، ومن القادسية إلى العذيب ستة أميال، ومن العذيب إلى المغيثة ثلاثون ميلا، ومن المغيثة إلى الفرعاء اثنان وثلاثون ميلا، ومن الفرعاء إلى الواقصة اربعة وعشرون ميلا، ومن الواقصة إلى العقبة تسع وعشرون ميلا، ومن العقبة إلى القاع أربعة وعشرون ميلا، ومن القاع إلى زبالة أربعة وعشرون ميلا، ومن زبالة إلى الثشوق واحد وعشرون ميلا، ومن الثشوق إلى البطانية تسع وعشرون ميلا، ومنها إلى الثعلبية تسع وعشرون ميلا، وهو ثلث الطريق إلى مكة، الأعلاق النفيسة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، جـ ٧، ص ص ١٥٩ ، ١٦٠.

(٤) الدينوري: الأخبار الطوال ، ص ٣٧٠.

وكان المنصور يدرك رأي العلماء في مدى شرعية الثورة، وفي خلفاء بني العباس، ويتضح ذلك من حديثه لسفيان الثوري، منكرا عليه موقفه من الدعوة العباسية عندما قال له: "تبغضنا وتبغض هذه الدعوة وتبغض عترة رسول الله(صلى الله عليه وسلم)[1] ؟، فأجابه سفيان بقوله تعالى: " ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذي الأوتاد الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب إن ربك لبالمرصاد "[2]، في إشارة إلى ما حدث في الثورة من إراقة لدماء المسلمين في سبيل الوصول إلى السلطة، وعندما طلبه المهدي في مكة لم يخاطبه بإمرة المؤمنين وإنما قال له يا حسن الوجه[3]، وقد تنبه لذلك وزراء المهدي فقالوا: " لم يقل لك يا أمير المؤمنين"[4]، وقد قال ذلك لأنه كان يرى أن الخلفاء خمسة فقط حيث قال " الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز، وأن من قال بغيرهم فقد اعتدى"[5].

وعتب عبد الله بن المبارك على عبد الله بن إدريس ارتدائه السواد، إبان الدعوة العباسية، فقال منكرا " ابتليت بالسواد ؟ "[6]، فاعتذر عبد الله بن إدريس بالصغر حينذاك، وبإكراه قادة بني العباس الناس على لبس السواد[7].

وهكذا رأى العلماء أن العباسيين قد نالوا الخلافة بالقوة وبالتغلب، والحيل واكتنف دعوتهم وثورتهم القتل والعنف، مما ألحق الضرر بالمسلمين، ثم آل الأمر إلى غير أهله، من ذوي التقوى والورع[8]، فضلا عن أن هذه الثورة قد استنفدت طاقة الأمة وأهدرت كثيرا من إمكاناتها المادية والبشرية، وأغرت بها أعداءها المتربصين بها.

٤ـ مشاركة العلماء في الدعوة والثورة العباسية:

---

(١) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، جـ٣٨، ص ٢٢٣.

(٢) الفجر: الآيات من ٦ – ١٤.

(٣) الغزالي: إحياء علوم الدين، جـ٢، ص ٤٧٢.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) ابن الجوزي: سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز، ص ٤٩.

(٦) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، جـ٣٨، ص ٣٠٥.

(٧) المصدر نفسه.

(٨) المقريزي: تقي الدين أبو محمد، النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم، مكتبة الأهـرام، القـاهرة، (د.ت)، ص ٦٦.

لم يسع العلماء لإسقاط الحكم الأموي عندما شابته بعض التبدلات، التي كانوا يرونها لا تنسجم وقيم الإسلام ومصلحة الأمة – خصوصا في المرحلة الأخيرة منه، حيث تنازعته الصراعات والأهواء، - بقدر ما كان يهمهم إصلاحه وتقويمه، وإنما قصروا دورهم على النصح والوعظ، والإرشاد والتقويم، ولذلك عندما جهر العباسيون بدعوتهم، لم يؤازر العلماء هذه الدعوة، مثل كل الطامحين إلى السلطة المتطلعين إلى المناصب والمكاسب المنتهزين للفرص، ممن طغى بريق السلطة والمال على نور الإيمان لديهم، الذين إذا ما استقر الأمر لأحد المتصارعين، انحازوا له وتزلفوا إليه رغبة فيما عنده، وتملقوه، ثم إذا ما انحرف ذلك الخليفة أو الأمير، سوغوا له ذلك وبرروا وحسنوا له كل ما يفعله، ووافقوا عليه.

فالعلماء كانوا يتعاملون مع الحاكم القائم، إذا آنسوا فيه التقوى والعدل فيعاونونه على ما رأوه بلاء قد نزل به، بكل ما يملكون، من إمكانات، وفي المقابل إذا تنكب عن جادة الصواب فإنهم يقومونه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، ولكل منهم منهجه وطريقته في تقويم ذلك الحاكم.

لذلك اعتزل العلماء الدعوة العباسية، إذ تكاد قوائم الدعاة والنقباء تخلوا من العلماء، لأنهم نظروا إلى هذه الأحداث على أنها ضربا من الفتن، لا تجني الأمة منها سوى الدمار والفرقة والشتات، وهم دعاة إصلاح .

ثم إن الدعوة قد أحيطت بالسرية والكتمان، واقتصر معرفة أمرها على أشخاص محدودين، هم في الغالب من شيعة العباسيين المخلصين، فلم يكن أحد من العلماء يعلم بأمرها، فضلا عن أن يكون قد شارك فيها، حتى بعد أن جهر بها.

ومن قوائم النقباء والدعاة، نجد أن العباسيين قد اختاروا، النقباء والدعاة على أساس قبلـي، فكـان مـن النقبـاء مـن خـزاعة [(١)]، سليمان بن كثير [(١)]، ومالـك بن الهيثـم [(٢)]، وزياد

---

(١) خزاعة بن عمرو: قبيلة من عرب الجنوب، وهي فرع من قبيلـة الأزد اليمانيـة الكبيـرة، كـانوا الـسادة المسيطرون على مكة وما حولها، وقد تغلبت عليها قبيلة قريش فحكمت مكة وأجلت خزاعة خارجهـا، قبيـل ظهور الإسلام، محمد شفيق غربال وآخرين: الموسوعة العربيـة الميـسرة، دار نهـضة لبنـان، بيـروت، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، جـ١، ص ٧٥٥.

ابن صالح [٣]، وطلحة بن رزيـق [٤]، وعمر بن أعيـن [٥]، ومن طيئ [٦] ، قحطبـة بن شبيـب [٧]، ومن تميم [٨]، موسى بن كعـب [١]، ولآهـز بـن قريـض [٢]، والقـاسـم

---

(٢) سليمان بن كثير الخزاعي: أحد دعاة بني العباس، خرج إلى مكة سنة (١٠٦هـ / ٧٤٧م)، وهو الذي استقبل أبا مسلم الخراساني عندما قدم خرسان على رأس الدعاة سنة (١٢٩هـ / ٧٤٧م)، وكان لدخول سليمان فـي الدعوة العباسية أثر كبير في اجتذاب قومه من خزاعة إليها، قتله أبو مسلم بعد ذلك، مدعيا أنه انحرف عن بني العباس، للتنافس فيما بينهما، الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٤، ص ص ٣٠٧ ، ٣٠٨، ابن حبان: صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، جـ١٥، ص ٤٩.

(٣) مالك بن الهيثم الخزاعي: كان أحد نقباء بني العباس، وهو جد أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم، الخزاعـي، أحد العلماء الذين ثبتوا في فتنة القول بخلق القرآن حتى قتل صبرا على يد الواثق وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، السمعاني: الأنساب، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، مكتبة محمـد أمـين دمـج، بيروت، ط٢، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، جـ٥، ص ص ١٠٦ ، ١٠٧.

(٤) زياد بن صالح: الخزاعي، أحد كبار الدعاة العباسيين، ثم أصبح من قادة جيوش الثورة العباسية، تحت امـرة أبي مسلم الخراساني، بعثه إلى بخارى لإنهاء تمرد شريك بن شـيخ المهـري، فقاتلـه حتـى قتلـه سـنة(١٣٥هـ/٧٥٢م)، إلا أن نهايته كانت على يد أبي مسلم إذ قتله غيلة سنة (١٣٦هـ / ٧٥٣م)، الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ ٤، ص ٣٦٦، الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ٦، ص ٦٠.

(٥) طلحة بن رزيق: يكنى بأبي منصور، أحد النقباء الأثنى عشر، كان فصيحا مفوها، عالما بحجج بني هاشم في الخلافة، أخذ البيعة على الجند للعباسيين بعد دخول أبي مسلم مرو، الطبري: تاريخ الأمم والملـوك، جـ ٦، ص٤٥.

(٦) عمر بن أعين: (لم أقف له على ترجمة)

(٧) طيئ قبيلة عربية على وزن فيعل، والنسبة إليها طائي، وهم بطن من قبيلة كهلان القحطانية فهم بنو طيئ بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان وإليهم ينسب حاتم الطائي كانت منازلهم باليمن، فخرجـوا منها على أثر الأزد، بعد تهدم سد مأرب، إلى الحجاز في جوار بني أسد ثم غلبوهم على أرضهم، ابن منظور: لسان العرب، جـ٤، ص ٢٧٣١؛ القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، حققه: إبراهيم الابيـار، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، جـ٤، ص ٣٢٦.

(١) قحطبة بن شبيب بن خالد بن معدان بن شمس بن قيس الطائي، نسبة إلى طيئ واسم قحطبة هذا زياد، وإنمـا لقب بقحطبة، يكنى بأبي الحسن، أحد أبرز رجال الدعوة والثورة العباسية، وفد علـى إبـراهيم الإمـام فـي الحميمة، فوجهه إلى أبي مسلم بخراسان، فكان أحد النقباء الاثنى عشر، وقائد جيوش العباسيين التي زحفـت من خراسان إلى الكوفة، فغرق أثناء عبوره الفرات في إثر ابن هبيرة، سنة (١٣٢هـ / ٧٥٠م)، الطبـري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٦، ص ص ٥٢ ، ٥٧، ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، جـ ٢١، ص ص ٧٥ ، ٧٦ .

(٢) تميم: من طابخة، وطابخة من عدنان، وهم بنوا تميم بن مرة، والتميم في اللغة الشديد ومنازل تمـيم بـأرض نجد، إلا أنهم تفرقوا بعد ذلك في الحواضر، ومن بطون تميم بنو الحارث، وبنو العنبـر، القلقـشندى: نهايـة الأرب في معرفة أنساب العرب، ص ١٨٨.

ابـن مجـاشـع [٣]، كلهـم مـن بنـي أمـرئ القيـس [٤]، ومـن بكـر بن وائل[٥]، وأبو داود خالد بن إبراهيم[٦]، ومن بني عمرو بن شيبان [٧]، أبو علي الهروي[٨].

---

(٣) موسى بن كعب بن عيينة بن عائشة بن عمرو بن عادية بن الحارث بن امرئ القيس التميمي، يكنـى بـأبي عيينة، أحد نقباء بني العباس الذين اختارهم محمد بن علي بن عبد الله، من أهل خراسان، فكان يـدعو لبنـي العباس في خراسان، فاتهمه والي خراسان أسد بن عبد الله البجلي، فدق أسنانه، فلما صار الأمـر للعباسـيين، ولي إمرة مصر للمنصور، واغدق عليه العباسيون فكان يقول: كان لنا أسنان وليس عندنا خبـز، فلمـا جـاء الخبز ذهبت الاسنان، توفي سنة (١٤١هـ / ٧٥٨م)، ابن منظور: مختصر تاريخ دمـشق، لابـن عـساكر، جـ٢٦، ص ص ٨ ، ٩.

(٤) لآهز بن قريظ بن تميم، أحد نقباء بني العباس أبان دعوتهم السرية، وأحد قاداتهم في الثورة، فكان على ميمنة أبي مسلم لأنه عد ذلك خيانة (١٣٠هـ / ٧٤٨م)، ، الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ ٤، ص ٣٢٣؛ ابـن حجر: الإصابة، تحقيق: علي محمد البجاوي: ط١، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، دار الجبل، بيـروت، جـ ١، ص ٥٦.

(٥) القاسم بن مجاشع بن تميم بن حبيب بن عبيد بن عامر بن مالك بن عرعر بن أمرئ القيس بن زيد بن منـاة: من قبيلة بني أمرئ القيس، بن تميم، أحد دعاة بني العباس، بل أنه عد قاضي أهل الدعوة العباسية، ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٥، (د.ت)، دار المعارف، القـاهرة، جـ ٢، ص ٢١٤.

(٦) بني أمرئ القيس: بطن من قبيلة كندة اليمانية، والمنسوب إليها مرئي، أو مرقسي من القحطانيـة وهـم بنـو امرئ القيس بن الحارث الأصغر بن معاوية بن الحارث الأكبر بن معاوية بن ثور مرتع بن معاوية بن كنـدة، ابن حبيب: مختلف القبائل ومؤتلفها، تحقيق: إبراهيم الأبيار، دار الكتب المصري، القاهرة، الـدار اللبنـاني، بيروت ص ٣٢، القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص ٨١.

(٧) بكر بن وائل: قبيلة كبيرة من قبائل الشمال (العدنانية) تنسب إلى بكر بن وائل بن قاسط بن هتب بن أفص بن دعمي بن جديلة بن أسد بن نزار بن معد بن عدنان، وتمتد هذه القبيلة على مساحة كبيرة مـن اليمامـة إلـى البحرين إلى أطراف سواد العراق، فالأبلة فهيت، وقد تزحزحت شيئا فشيئا تجاه العراق فقطنت على دجلة في المنطقة المسماة - حتى الآن - ديار بكر، باسم هذه القبيلة، وهي قبيلة محاربة، فقد خاضت حروبا كثيرة مع= = جيرانها، لا سيما قبيلة تميم، كما غزت تخوم الإمبراطورية الفارسية ٣٣٠م، وحاربت تغلب سنة ٤٩٠م في الحرب التي عرفت بالبسوس استمرت لمدة أربعين سنة، وفي سنة (٩هـ /٦٣٠م)، اعتنق قسم كبير من بكـر بن وائل الإسلام، وخرج بعضهم في الردة، واشترك أفرادها في الفتنة فانضم بعضهم إلى علي وانضم بعضهم الآخر إلى عائشة وطلحة والزبير، وكانت طرفا في النزاع القبلي بين القيسية واليمانية، التـي أودت بالدولـة الأموية، عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٥، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، جـ ١، ص ص ٩٣ ، ٩٧.

(١) أبو داود خالد بن إبراهيم: من بكر بن وائل، وكان أحد النقباء الاثنى عشر الذين اختارهم محمد بن علي مـن بين السبعين الذين استجابوا له حين بعث برسله إلى خراسان سنة (١٠٣هـ / ٧٢١م)، الطبري: تاريخ الأمـم والملوك، جـ٦، ص ٤٥.

(٢) بني عمرو بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة، بطن من ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل من القبائل العدنانية، ومنهم دغفل النسابة، استقر بعض بني عمرو بن شيبان بالدقهلية والمرتاحية مـن أرض مصر، القلقشندى: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص ص ٣٧٣ ، ٣٧٤.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٦، ص ٤٥، أبو علي الهروي: من أهل خراسان، وأحد النقبـاء الاثنـى عشر الذين اختارهم محمد بن علي من بين الذين استجابوا للدعوة من أهل خراسان عندما أرسل رسـله إلـى خراسان سنة (١٠٣هـ / ٧٢١م)، الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٦، ص ٤٥.

أما الدعاة، فتورد المصادر أسماء بعضا منهم مثل إبراهيم بن الحر بن زعلان [١]، وأسيد ابن عبد الرحمن[٢]، و يزيد بن مزيد[٣]، و العكي[٤]، و عمر بن غزوان[٥]، و أبو الجهم بن عطية[٦]، و محمد بن عبد الله الشعيثي [٧]، وهم في الغالب من الزعامات القبلية العربية في خراسان، ومن الموالي الناقمين على الحكم الأموي. [illegible] الموالي وأكثرهم فاعلية في الدعوة إلى بني العباس، أبو مسلم الخراساني[٨]، فكان مشرفا على

---

(٤) إبراهيم بن الحر بن زعلان العامري: من أهل نسا بخراسان، وأحد دعاة بني العباس، ثم خرج مع أسيد بـن عبد الرحمن الذي خرج بنسا ، ولبس السواد ، وهو والد الحسين بن إبراهيم أحد علماء الحديث، لم أقف لـه على تاريخ وفاة، ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ٧، ص ٣٤٨؛ الخطيب: تاريخ بغداد، جـ٢، ص ٢٢٣.

(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ٧، ص ٣٤٨، أسيد بن عبد الرحمن: عبد الله الخزاعي، أحد دعاة بني العباس بخراسان، كان ذا رأي وشجاعة، أقام في مدينة نسا بخراسان، وصحب أبا مسلم أبان الدعوة العباسية، وكـان أول من لبس السواد شعار العباسيين، وكان على مقدمة جيش أبي مسلم الذي دخل مرو، ثم ولي خراسان بعـد ذلك وتوفي بها سنة (١٥١هـ / ١٥٠م)، الزركلي: الإعلام، جـ١، ص ٣٣١.

(٦) الجاحظ: البيان والتبيين، جـ١، ص ٢٨٨، يزيد بن مزيد الشيباني بن زائدة: يكني بأبي خالد، الشيباني، وهو ابن أخ الأمير معن بن زائدة، كان من رجال الدولة العباسية، فولي اليمن، ثم أذربيجان وأرمينية للرشيد وهـو الذي قتل رأس الخوارج الوليد بن طريف الشاري، بعد أن بارزه بنفسه وتصاولا نحو سـاعتين، وكـان مـع شجاعته وكرمه شديد الدهاء، توفي ببردغة سنة (١٨٥هـ / ٨٠١م)، الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ٩، ص ص ٧١- ٧٣.

(٧) العكي: مقاتل بن حكيم بن غزوان: أول من سود مع أسيد بن عبد الله في نسا، فسود معه أهل ابيودر وأهـل مرو الروذ، وقرى مرو، وأصله من قبيلة عك اليمانية، سكن الشام، وهو من النقبـاء، وكـان مخرجـه فـي خراسان، وله قطيعة ببغداد، الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٤، ص ٣١٤؛ ياقوت: معجم البلدان، جـ٤، ص ٥.

(٨) عمر بن غزوان (لم أقف له على ترجمة)، ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، تحقيق: علي شيري، دار الأضواء، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ/ ٨٨٩م، جـ٢، ص ١٥٨.

(١) السيوطي: النزاع والتخاصم، ص ٧٦، أبو الجهم، واسمه أبي الجهم الفضل بن عطية بن عمـرو بـن خالـد المروزي مولى بني العباس ، ابن حجر: لسان الميزان ، حققته دائرة المعـارف النظاميـة بالهنـد، مؤسـسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٣، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، جـ٧، ص ٣٣٦.

(٢) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، جـ٥، ص ٣٨٨، محمد بن عبد الله بن مهاجر الشعيثي النصري، يكنى بأبي عبد الله، من الطبقة الرابعة من تابعي الشام، من أهل دمشق، قدم بغداد وحدث بها، وكان من أنصار العباسيين أبان دعوتهم، وقد كافأه أبو جعفر المنصور بأن ولاه بيت المال، وعندما، سئل عن ذلك قال: إنه كان ولينا في زمن بني أمية، فأحسن الولاية، توفي سنة (١٥٥هـ / ٧٧٢م)، ابن منظور: مختصر تـاريخ دمـشق لابـن عساكر، جـ٢٢، ص ص ٣٣٣،٣٣٢.

(٣) أبو مسلم الخراساني، واسمه عبد الرحمن، من الموالي، أصله من خراسان، آنس فيه إبراهيم الإمـام النباهـة والذكاء المتقد، فأرسله إلى خراسان وجعله على رأس الدعاة فيها، فكان له دور كبير في الـدعوة إلـى بنـي العباس، كما استخدمه الخلفاء العباسيون بعد ذلك في التخلص من مناوئيهم، وقد أدى كل هذا إلى ارتفاع شأنه،

الدعاة بخراسان[١]، محفزا لهم، وملهبا حماسهم[٢]، كما استطاع بذكائه المتقد استثمار ما بين عرب خراسان (القيسة واليمانية) من خلافات، فأذكاها، وأضرم نارها[٣].

مما سبق نلاحظ أن قوائم دعاة بني العباس تكاد تخلو من العلماء، وأنها اقتصرت على أصحاب الطموح السياسي والاجتماعي من زعماء القبائل، ومن الموالي بل أننا نرى بعض العلماء قد تعرضوا للأذى إبان الدعوة والثورة العباسية لمواقفهم منها، فشُرد بعضهم وضرب بعضهم الآخر، بل لاقى بعضهم نحبه في هذه الثورة على أيدي دعاة بني العباس، فقتل قحطبة من علماء خراسان ممن لم يؤيدوا الدعوة أبا كامل[٤]، و حاتم بن الحارث بن سريج [٥]، و البختري[٦]، و سالم الأفطس [٧]، و معروف بن أبي معروف[٨]،و إبراهيم الصائغ[٩]، واختفى

وكان بينه وبين المنصور في خلافة السفاح تنافس، وملاحاة، فخشي المنصور منه على سلطان بني العباس، فقتله سنة (١٣٧هـ / ٧٥٤م)، الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٦، ص ص ٢٢، ٢٣، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٧.

(٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٦، ص ص ١٥، ٣٢، ٥٠، ١٠٢، ١١٩، ١٢٧.

(٥) ابن عبد ربه: العقد الفريد، تحقيق عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، جـ١، ص ١٢٠.

(٦) المسعودي: مروج الذهب، جـ٣، ص ٢٥٥.

(١) أبا كامل مظفر بن مدرك ، أحد تابعي التابعين بخراسان، ومن علمائها ، غلب عليه الحديث ، عده أهل الحديث من الثقاة ، روى عن حماد بن سلمة وغيره ، لم أقف له على تاريخ وفاة ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ٧ ، ص ٣٣٧.

(٢) حاتم بن الحارث بن سريج، أحد علماء خراسان، من طوسان رفض الانضمام إلى أبي مسلم الخراساني إبان الثورة العباسية، فطلبه أبو مسلم لكنه اختفى عنه، في خرق من الأرض إلا أنه عثر عليه وقتله، سنة (١٣٢هـ/ ٧٥٠م)، الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٤، ص ٣١٣.

(٣) البختري: قرشي من أحفاد عمر بن الخطاب، سكن خراسان، قتله قحطبة بن شبيب الطائي لعدم موافقته، سنة ١٣١هـ / ٧٤٩م، الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٦، ص ٦٧.

(٤) الذهبي : العبر في خبر من غبر ، جـ١ ، ص ١٣٥ ، سالم الأفطس بن عجلان : من الموالي أحد كبار العلماء، غلب عليه الحديث، فكان من الثقاة فيه، من أهل حران، قتله عبد الله بن علي عقب سقوط دولة أمية بالشام سنة ١٣٢هـ / ٧٥٠م، ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ٧، ص ٤٨١.

(٥) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٥، ص ٤٤٤، معروف بن أبي معروف البلخي، من صلحاء أهل بلخ، فكان ينتقل بين الأمصار ويحدث بها، فحدث في دمشق وفي نصيبين، لم تعلم وفاته، ابن عساكر: جـ٥٩، ص ص ٣٥٢ ، ٣٥٣.

(٦) ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ٧، ص ٣٧٠، إبراهيم بن ميمون الصائغ: من أهل خراسان، كان صديقا لأبي مسلم، فأنكر عليه الإسراف في القتل عند ظهور الدعوة، وكلمه بكلام شديد، فأمر بقتله، ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ٧، ص ٣٧٠.

عدد منهم عن العباسيين، فهرب عالم خراسان مقاتل بن حيان[١]، إلى كابل[٢]،وكان قد طلبه أبو مسلم، واختفى الربيع بن أنس[٣]، حين ظهرت الدعوة العباسية في خراسان[٤]، وعندما وطأ العباسيون بلاد الشام هرب الأوزاعي من طريقهم[٥].

٥- موقف العلماء من تعامل العباسيين مع الأمويين أبان الثورة وبعدها:

أسرف العباسيون في الانتقام من خصومهم الأمويين تحت تأثير الإحن والأحقاد القديمة ، خصوصا وأن ذلك تم بعد أن آل الأمر إليهم وسلم الأمويون بالخلافة لهم، فمارسوا ألوانا من العنف ضد الأحياء من بني أمية قتلا وتشريدا وسجنا، كما استصفيت أموالهم وضياعهم، وأعطيت لأفراد البيت العباسي ولغيرهم من قادة العباسيين .

كان على العباسيين وقد أنعم الله عليهم بالنصر والتمكن، وآلت إليهم الخلافة بكل تبعاتها ومسؤولياتها، وقد أصبحوا قادرين، وهم الذين يدعون الحق في الخلافة لا لشيء سوى لقرابتهم من رسول الله(صلىالله عليه سلم)، وأنهم أحق الناس به، كان عليهم أن يكونوا أكثر الناس التزاما

---

(٧) مقاتل بن حيان بن دوال : يكنى بأبي بسطام ، النبطي البلخي الخزار، أحد كبار العلماء الثقاة في الحـديث ، فقد حدث عن شعبة وسالم بن عبد الله بن هيصم ، وعمر بـن عبـد العزيـز ، وروى عنـه عبـد الله بـن المبارك وإبراهيم بن أدهم ، هرب من خراسان أيام أبي مسلم إلى كابل ، فدعا أهلها إلـى الإسـلام ، فأسـلم على يديه خلق كثيرون ، توفي سنة (١٥٠هـ / ٧٦٧م) ، الذهبي : سير أعلام النـبلاء ، جـ ٦ ، ص ص ٣٤٠ ، ٣٤١ .

(٨) الذهبي : تذكرة الحفاظ، جـ١، ص ص ١٦٤،١٦٥، كابل : بضم الباء بـين الهنـد وسجـستان ، افتتحهـا المسلمون في عهد الدولة الأموية ، وهو إقليم كبير لا يقتصر على المدينة المسماة الآن كابل ، بل يضم عـدة مدن مثل وأذان وخواش وخشك وجزة ، وينتسب إليه عدد من العلماء المرموقين، أمثال : أبو الحسن محمد بن الحسين الكابلي ، روى عن يزيد بن هارون وعن ابن عيينة ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ٤ ، ص ص ٤٨٣، ٤٨٤.

(١) الربيع بن أنس: من بكر بن وائل، كان من أهل البصرة، لكنه تركها إلى مرو فرارا من الحجاج، ثم طلبه بنو العباس حين ظهرت دعوتهم بخراسان، فتغيب عنهم، حتى توفي في خلافة المنصور، ابـن سـعد: الطبقـات الكبرى، جـ٧، ص ص ٣٦٩،٣٧٠.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ٧، ص ص ٣٦٩،٣٧٠، انظر عبد المجيد المحتسب: عبد الله بـن المبـارك المروزي، ص ١٠.

(٣) عبد العزيز سيد الأهل : الإمام الأوزاعي فقيه أهل الشام، المجلس الأعلـى للـشئون الإسـلامية، القـاهرة، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م، ص ١٥٥.

بسيرته، وبالقيم التي أتى بها، وأن ينهجوا نهجه في تعامله مع خصومه عند التمكين والقدرة، وهو الذي عفا عن قريش، وهم المشركون، يوم أن مكنَّه الله منهم فقال: " أذهبوا فأنتم الطلقاء "[١].

كان على العباسيين أن ينهجوا نهجه، ويستنوا سنته في ذلك مع الأمويين وهم المسلمون، ولهم عليهم حق الدين والرحم، كان عليهم أن يعفوا عن بني أمية مرة أخرى كما عفا عنهم النبي(صلىالله عليه وسلم)، كانوا حينها سيثبتون أنهم أولى الناس برسول الله، قولا وفعلا، لكن بريق السلطة تغلب على نور الإيمان، وطغت الإحن والأحقاد على مساحة العفو والتسامح في قلوبهم.

فتورد الروايات التاريخية العديد من الأمثلة على ما لاقاه الأمويون من قتل وتنكيل على أيدي العباسيين، فيذكر ابن سعد[٢]، أنه " لما تغلب المسودة على دمشق، دخلوا مسجدها فقتلوا من وجدوا فيه سنة (١٣٢هـ / ٧٥٠م)، وتتبع عبد الله بن علي بني أمية من أولاد الخلفاء وغيرهم، بالقتل، يقول: " فلم يفلت منه غير رضيع أو من هرب "[٣]، حتى أولئك الذين لاذوا بالبيت الحرام، لعل العباسيين يرعون حرمته، تتبعهم داود بن علي فقتل من وجده به منهم سنة (١٣٣هـ/ ٧٥١م)[٤]، ولاقى المصير ذاته قادة بني أمية رغم أن الحرب قد وضعت أوزارها ، ومع ما أعطى لهم من عهود ومواثيق بالأمان، فقتل يزيد بن هبيرة صبرا أواخر سنة (١٣٢هـ / ٧٥٠م)[٥]، بعد أن أمنه أبو جعفر وبعدما بايع لأبي العباس السفاح[٦]، وسلَّم واسطا للعباسيين[٧]، وكان متغلبا عليها، وكان كل ما يصدر عنه يطمئن العباسيين أنه قد أخلص لهم، حتى أنه في

---

(٤) وفي رواية أخرى، كما يذكر (البلاذري) قال لهم: " لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين"، فتوح البلدان ، ص ٥٧ .

(١) الطبقات الكبرى، جـ٧، ص ص ٤٦٦،٤٦٧.

(٢) أبو الفداء عماد الدين : المختصر في أخبار البشر ، دار المعرفة ، بيروت ، (د.ت) ، جـ١، ص ٢١٣.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٦، ص ١١١، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٥، ص ٤٤٨؛ مجهول: العيون والحدائق، ص ص ١٥٢،١٥٣.

(٤) الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٣٧٥؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد، جـ٢، ص ٣٢؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ٦، ص ٢٠٨.

(٥) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص ٣٥٣.

(٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء ، جـ ٦ ، ص ٢٠٨ ، شاكر مصطفى : دولة بني العباس ، جـ ١ ، ص ١٥٨.

إحدى زياراته لأبي جعفر أهداه خلاصة تجربته في الحكم والسياسة، فقال له: " إمارتكم هذه جديدة فأذيقوا الناس حلاوتها وجنبوهم مرارتها "[١].

وتـوارى بعض بني أميـة، ممن طلبهـم العباسيـون، عن أعينهم، وظلوا يتنقلون من مكان لآخر هربا مما يمكن أن يلحقهم من أذى، فهرب ابنا مروان بن محمـد عبد الله[٢]، و عبيـد الله[٣] إلى بلاد النوبة بعد ما قتـل مروان ، فقتل عبيد الله هناك وعـاش عبـد الله مستخفيـا مدة[٤]، ثم رجع إلى الشـام، فأخـذ في أيـام المهـدي سنة (١٦١هـ / ٧٧٨م)، فحبـس إلى أن تـوفي سنة (١٧٠هـ / ١٥٩م)[٥]، وممـن اختفـى مـن بنـي أمية عمرو بن معاوية[٦]، فكان - كما يروى – لا يأتي مكانا إلا عرف فيه، فضاقت عليه الأرض، ثم استجار بسليمان بن علي فأجاره، وأخذ له أمانا من أبي العباس[٧]، وفر عبد الرحمن بن معاوية[٨]، من

---

(٧) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص ٣٥٣.

(١) عبد الله بن مروان بن محمد بن مروان بن الحكم الأموي: ابن مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، وكـان أبوه جعله ولي العهد بعده، فلما قتل مروان بمصر، خرج عبد الله إلى أرض النوبة، فأقام بها مدة، ثـم أجبـر على تركها، ورجع إلى الشام، فظل متخفيا بها حتى أخذ أيام المهدي فحبس ببغداد حتى مات أيـام الرشـيد، الخطيب: تاريخ بغداد، جـ١٠، ص ص ١٥١،١٥٠.

(٢) عبيد الله بن مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي: ابن الخليفة مروان بن محمد آخـر خلفاء بني أمية وولي عهده، فر مع أبيه إلى مصر، فلما قتل أبوه ببوصير، توجه هاربا إلى بلاد النوبـة مـع أخيه عبد الله، فقاتلهم بعض أهل النوبة، فقتل عبيد الله، سنة (١٣٢هـ / ٧٥٠م)، ونجا عبد الله فعاد إلى الشام، ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، جـ٣٨، ص ص ١١٧-١٢٠.

(٣) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، جـ٣٣، ص ٣٦، جـ٣٦، ص ١٢٠؛ مجهـول: العيـون والحـدائق، ص١٤٩.

(٤) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، جـ٣٣، ص ٣٧.

(٥) المسعودي: التنبيه والإشراف، ص ٣٣٠، الدواداري: كنز الدرر وجامع الغرر، حققه: دوروتياكرا فولـسكي، نيوتايب الكترونيك، بيروت ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م، جـ٥، ص ص ٢٥،٢٤، مجهول: العيـون والحـدائق، ص١٤٩، عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان بن حرب الأموي العتبي، من تاسة، اختفى عـن أعين العباسيين فنزل البصرة، وهو جد محمد بن عبيد بن عمرو الإخباري والمحدث المعـروف، الخطيـب: تاريخ بغداد، جـ٢، ص ٣٢٤، الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ١١، ص ٩٦.

(٦) ابن عبد ربه: العقد الفريد، جـ٢، ص ٢٧، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٥، ص ص ٤٣٢،٤٣١.

(٧) عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان: المعروف بالداخل، فر من أمام العباسـيين إلـى مصر ثم إلى برقة فأقام فيها خمس سنين، ثم رحل إلى الأندلس فدخلها سنة (١٣٨هـ / ٧٥٥م)، فـي خلافـة المنصور، فتغلب على واليها يوسف الفهري، وكان المنصور يثني عليه ويقول: ذلك صقر قريش، توفي سـنة (١٧٢هـ / ٧٨٨م)، ابن منظور: لسان العرب، جـ١٥، ص ص ٥٣،٥١.

أمام العباسيين باتجـاه المغرب إلى الأنـدلس، وتمكن من إقامـة دولة أموية هناك، فكان بذلك أول خارج عن سلطان بني العبـاس[١]، واختفى معـن بـن زائـدة[٢]، عـن أعيـن المنصـور، وكـان المنصـور طلبـه لبلائـه مع الأمـويين في واسـط[٣] ، ولم يظهـر إلا سنـة (١٤١هـ / ٧٥٨م) يـوم الهاشميـة [٤]، عندما أحاطت الراوندية[٥] بالمنصورة فقاتل دونه [٦]، عندئذ عفا عنه المنصور وقربه، وأصبح من صحابته[٧].

أ- موقف العلماء من قتل بني أمية:

(١) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٣٠٠.

(٢) معن بن زائدة الشيباني: يكنى بأبي الوليد، كان من أمراء يزيد بن هبيرة، توارى عن بني العباس بعد قـتلهم ابن هبيرة وهم جادون في طلبه، حتى خرجت الراوندية على المنصور يوم الهاشمية، وكادوا يـصلون إلـى الخليفة، تدخل معن ودافع عن الخليفة دفاع المستميت وهو مقنَّع، فعرف له المنصور الجميل وعفا عنـه، ثـم ولاه اليمن، توفي سنة (١٥٢هـ / ٨٦٦م)، الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ٧، ص ص ٩٨،٩٧.

(٣) طلب المنصور معن بن زائدة، وألح في طلبه، وعد عليه بمال جزيل، حتى أن معن اضطر لشدة الطلـب أن تعرض للشمس حتى لوحت وجهه ثم خفف عارضيه ولبس مرقعا وخرج إلى البادية، وسبب ذلك أنه أبلى مع يزيد بن المهلب في حرب بني العباس، فأغاظ المنصور فطلبه، اليافعي: مرآة الجنان وعبـرة اليقظـان فـي معرفة أحوال الزمان، جـ١، ص ٣٣٥؛ الكتاني: نهج السلوك إلى معرفة دول الملوك، ص ٢٨٠؛ الأربلـي: خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سيرة الملوك، مطبعة القديس جاورجيوس، د.م، ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٥م، ص ٤٩.

(٤) يوم الهاشمية: الهشمية هي هاشمية العراق بناها السفاح إلى جوار الأنبار، بعد أن تحول مـن الحيـرة إلـى الأنبار، سنة (١٣٤هـ / ٧٥١م)، ويوم الهاشمية هو اليوم الذي هاجمت فيه الراوندية قصر المنصور، وأرادوا قتله، وكانت الجيوش قد خرجت إلى الثغور، وكاد الراوندية أن يقتلوا المنصور لولا تدخل معـن بـن زائـدة الشيباني؛ الذي دافع عنه دفاع المستميت، فشكر له المنصور ذلك، المقدسي: البدء والتاريخ، جـ٦، ص ٨٤؛ اليافعي: مرآة الجنان، جـ١، ص ٢٣٥، مجهول: العيون والحدائق ، ص ١٥٣.

(٥) الراوندية: نسبة إلى عبد الله بن الراوندي: وهم جماعة من الروافض قالوا إن عبد الله بن الحنفية أوصى إلـى محمد بن علي بن عبد الله العباسي ، بالإمامة، فمحمد هذا هو الإمام في نظرهم، ثم ساقوها إلى المنصور ابنه، وبالغوا في وصف المنصور، فقالوا هو الله العالم بكل شيء يحييهم ويميتهم ويطعمهم ويسقيهم، وقالوا بتناسـخ الأرواح، فلما بلغ المنصور ذلك أخذهم واستتابهم فلم يرجعوا فأمر بقتلهم، ثم أن إخـوانهم أحـاطوا بقـصر المنصور بالهاشمية وأرادوا قتله، ومنهم الراوندية الهريرية نسبة إلى أبي هريرة الرواندي وهـم العباسـية الخلّص، ومن الراوندية خرجت فرقة تدعو إلى الثأر لأبي مسلم الخراساني سميت الأبومسلمية، قالوا بإمامته، وادعوا أنه لم يمت، ودعوا إلى الإباحية وترك الفرائض، وهم غير الراوندية المعتزلة المنسوبة لابن الراوندي التي ظهرت في القرن الثالث الهجري، أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، جـ٢، ص ص ٤٨١،٤٨٠، عبد المنعم الحفني: موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب والأحزاب والحركات الإسلامية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٢، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، ص ص ٢٥٩،٢٥٨.

(٦) المقدسي: البدء والتاريخ، جـ٦، ص ٨٤.

(٧) اليافعي: مرآة الجنان، جـ١، ص ٣٣٥.

قابل العلماء العنف الشديد الذي عامل به العباسيون الأمويين في خضم أحداث الثورة العباسية، وبعيدها، بالاعتراض والإنكار، ورأوا في ذلك مخالفة لروح الإسلام ولمقتضاه ولنصوصه، بالرغم من اعتزالهم تلك الأحداث، وعدم ميلهم مع أحد الفريقين، خصوصا وقد سعى خلفاء بني العباس وقاداتهم لكسب ودهم وتأييدهم، ولمس العلماء من ذلك رغبة العباسيين في أن يبرر العلماء لهم ما فعلوه ويفعلونه ببني أمية، وسائر خصومهم السياسيين فرفضوا الانصياع لهم وممالاتهم إبان سطوتهم، رغم ما يمكن أن يمسونهم به من عذاب، فأنكر الأوزاعي على عبد الله ابن علي قتله الأمويين، وكان قد قتل يومئذٍ اثنين وسبعين رجلا[١]، مبينا أن ذلك مخالف لسنة رسول(صلى الله عليه وسلم)، ولنستمع إلى عالمنا الجليل وهو يروي ذلك ،حيث قال: " لما فرغ عبد الله بن علي من قتل بني أمية بعث إلي فقال ما تقول في دماء بني أمية ؟ قلت كان لهم عليك عهودا، قال اجعلني وإياهم ولا عهد بيننا، ما تقول في دمائهم ؟ قلت حرام، لقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) " لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه "[٢]، وحاول عبد الله بن الحسن بن الحسن[٣] التدخل لمنع داود بن علي من قتل بعض بني أمية بمكة سنة (١٣٣هـ / ٧٥١م)، قائلا: " يا أخي إذا قتلت هؤلاء فمن تباهى بملكك؟ أما يكفيك أن يروك غاديا ورائحا فيما يذلهم ويسوءهم"[٤] ؟ إلا أن داود أمضى فيهم أمره فقتلهم[٥].

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٦، ص ٩٧.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب ما يباح به دم المسلم، حديث رقم (١٦٧٦)، جـ٣، ص ١٣٠٢، الذهبي: تذكرة الحفاظ، جـ١، ص ص ١٧٠،١٧١، سير أعلام النبلاء: جـ٧، ص ص ١٢٣،١٢٤.

(٣) عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، يكنى بأبي محمد، من تابعي التابعين بالمدينة، كان يتردد على أبي العباس، وقد عمل على تهيئة ابنه محمد للخلافة، وتهيئة الخلافة له، فأخذه لذلك المنصور فأودعه السجن حتى مات فيه بالكوفة، يوم الأضحى سنة (١٤٥هـ / ٧٦٢م) ، الخطيب : تاريخ بغداد، جـ٩، ص ص٤٣١ ، ٤٣٤ .

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٥ ، ص ٤٤٨ .

(٥) المصدر نفسه.

ولم يكن العلماء وحدهم الذين أنكروا على خلفاء بني العباس الشدة في العقوبة بل أنكر عليهم ذلك بعض بني العباس، فيذكر أن عبد الصمد بن علي[١] قال للمنصور: " يا أمير المؤمنين لقد هجمت بالعقوبة حتى كأنك لم تسمع بالعفو "[٢]، فبرر المنصور ذلك لضرورة سياسية ولتثبيت هيبة الدولة في النفوس، فقال: " لأن بني أمية لم تبل رممهم، وآل أبي طالب لم تغمد سيوفهم، ونحن بين قوم قد رأونا أمس سوقة ، واليوم خلفاء ، فليس تتمهد هيبتنا في صدورهم إلا بنسيان العفو واستعمال العقوبة "[٣].

وفي سنة (١٣٣هـ / ٧٥١م) خرج شريك بن شيخ المهري[٤] ببخارى[٥] على أبي مسلم الخراساني منكرا عليه الإسراف في القتل، فقال: " ما على هذا بايعنا آل محمد، على سفك الدماء؟ وقتل الأنفس؟[٦]، وخرجت أكثر مدن الشام على العباسيين بسبب سياسة البطش والعنف[٧]، ولن نخوض في تفاصيل هذا الأمر لأنه ليس مجال بحثنا .

***ـ أثر شيعة العباسيين في تحريضهم على قتل الأمويين:**

---

(١) عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب : يكنى بأبي محمد عم السفاح والمنصور وأحد كبار قادة العباسيين، خرج مع أخيه عبد الله بن علي على المنصور بالشام، ولي أمرة دمشق، والبصرة،ومات بالبصرة سنة (١٨٥هـ/٨٠١م)، وقد بلغ الثمانين،الذهبي: سير أعلام النبلاء،جـ٩، ص ص ١٢٩، ١٣١.

(٢) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، جـ٣٨، ص ٢٣٣.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) شريك بن شيخ المهري: من مهرة باليمن مما يلي عمان، كان من مناصري الدعوة العباسية، إلا أنه خرج على أبي مسلم، ونقم عليه كثرة القتل، وتبعه عدد كبير من الناس على رأيه في خراسان حتى بلغوا ثلاثين ألفا، فوجه إليه أبو مسلم زياد بن صالح الخزاعي، فقتله سنة (١٣٣هـ / ٧٥١م)، الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٤، ص ٣٦٦.

(٥) بخارى: بالضم من أعظم بلاد ما وراء النهر، كثيرة البساتين، وصفها الرحالة بالجمال والحسن، فتحت أيام الدولة الأموية سنة (٨٧هـ / ٧٠٦م) على يد قتيبة بن مسلم الباهلي، وقد أنجبت بخاري عددا من العلماء المعروفين، لعل أشهرهم البخاري، ثم أصبحت عاصمة الدولة السامانية، إحدى الدويلات المنشقة عن الدولة العباسية، ياقوت : معجم البلدان، جـ١، ص ص ٤١٩، ٤٢٢، ٤٢٣.

(٦) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٠، ص ٥٦، ابن خلدون: العبر، جـ٣، ص ٢١٨.

(٧) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٦، ص ص ٩٧، ٩٩، ابن عبد ربه: العقد الفريد، جـ٤، ص ١٨٥؛ ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٠، ص ص ٥٢ ، ٥٣ ، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، جـ٥ ، ص ص ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٥.

كان لشيعة العباسيين دور كبير في حمل الخلفاء على عدم التسامح مع الأمويين، وفي تحريضهم على قتل من أمكنوا منه، ومن ذلك ما فعله أبو مسلم الخراساني من تحريض السفاح على قتل يزيد بن هبيرة، رغم أن الخليفة كان قد وقَّع له أمانا، لأن الأمر على حد زعمه لا يستقيم للعباسيين ما دام ابن هبيرة حيا، وأنه ممن لا يصلح للاستبقاء[1]، فكتب إليه: " إن الطريق السهل إذا ألقيت فيه الحجارة فسد، ولا والله لا يصلح ملك فيه ابن هبيرة "[2]، ويبدو أن أبا العباس اقتنع بهذا التحذير فكتب إلى أبي جعفر يأمره بقتل ابن هبيرة[3].

لم يكن المنصور مقتنعا بكل ما أثير حول ابن هبيرة وبالتالي لم يكن متحمسا لقتله،ويبدو أنه حاول تعطيل هذه الأوامر أو تأخيرها بقدر ما يستطيع لعل الخليفة يرجع عن رأيه، وكان يقول: "عجبا لكل من يأمر بقتل هذا "[4]، بل إن المنصور راجع فيه أبا العباس أكثر من مرة[5] لكن أبا العباس كان قد اقتنع بتحذير أبي مسلم، فكتب إلى المنصور مؤنبا: "إن حلمك أفسد علمك وتراخيك أثر في طاعتك، ولست منك ولست مني إن لم تقتله "[6]،ودخل سديف[7] على أبي العباس سنة (١٣٣هـ / ٧٥١م)، وفي مجلسه سليمان بن هشام[8]، قد أمنّه وأجلسه بجواره، فأنشد معرضا به ومحرضا عليه:

---

(١) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، جـ ٢، ص ٣٥٤.

(٢) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، جـ ٢، ص ١٧٦، مجهول: العيون والحدائق، ص ص ١٥١،١٥٢.

(٣) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، جـ ٢، ص ص٣٥٣،٣٥٤، مجهول العيون والحدائق، ص١٥٢.

(٤) ابن عبد ربه: العقد الفريد، جـ ٢، ص٣٢.

(٥) المصدر نفسه: جـ ٤، ص ٢٩٣.

(٦) ابن عبد ربه: العقد الفريد، جـ ٤، ص ٢٩٣.

(٧) سديف بن ميمون المكي : الشاعر، مولى آل أبي لهب، شديد السواد، كان كثير التحريض على بني أمية بعد زوال دولتهم يثير بشعره الخلفاء عليهم، كانت له ميول شيعية، فقد روى أحاديث كثيرة في فضل آل البيت، وكان هواه في محمد النفس الزكية فأتت أشعاره مبشرة بإمامته ومن ذلك قوله للمنصور:

أسرفت في قتل البرية جاهدا   فاكفف يديك أطلها مهديا

فلتأتيـك غـارة حسنيـة   جـرارة يحتثهـا حسنيهـا ،

فأمر المنصور بقتله، فقتل، ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، جـ ٩، ص ص ٢١٠،٢١٣.

(١) سليمان بن هشام بن عبد الملك بن مروان: يكنى بأبي أيوب، سجنه الوليد بن يزيد بعد مـوت أبيـه هـشام، بعمان، ثم خرج من السجن ولحق بيزيد بن الوليد، فولاه بعض حروبه إلى أن تغلب عليه مروان بـن محمـد

لا يغرنك ما ترى من أنـاس   إن بين الضلـوع داء دويا

فضع السيف وارفع السوط حتى   لا ترى فوق ظهرها أمويا[1]

فأمر أبو العباس بقتل سليمان، فقال سليمان لسديف قتلتني قتلك الله[2]، وأغرى أبو سلمة الخلال أبا العباس بجماعة من بني أمية، عندما هم بالعفو عنهم، فقال: " العفو مقرب من الله مباعد من النار إذا قصد طريقه وأصيب به أهله، فأما هؤلاء الذين تضمر قلوبهم غدرا ويوارى رمادهم جمرا؛ فالقتل لهم أشفى والراحة منهم أعفى، فقتلهم أبو العباس "[3].

وهكذا فقد كان لشيعة العباسيين دور كبير في إغرائهم بالأمويين، وحثهم على التخلص ممن بقي منهم، كما أن معظم من قتل من الأمويين كان على أيدي كبار القادة العباسيين أمثال عبد الله ابن علي، وداود بن علي، وأبي مسلم الخراساني، رغم أن أبا العباس أمرهم ألا يتصرفوا في الدماء إلا بعد مراجعته، وإن كان هذا لا يعفي الخليفة من مسئوليته .

بـ – موقف العلماء من مصادرة أموال بني أمية:

لم يكتف العباسيون بإسقاط حكم بني أمية فحسب بل عمدوا إلى مصادرة أموالهم، وممتلكاتهم، فاستصفوا من طاب منها لأنفسهم، ووهبوا منها لقاداتهم وللمقربين منهم، فحوى صالح

بعين الجر (في البقاع بين بعلبك ودمشق)، ثم استأمن مروان فأمنه، ثم خرج عليه طمعا في الخلافـة فـأمكن مروان منه، ثم قتله المسودة (العباسيين)، ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق لابـن عـساكر، جـ ـ ١٠، ص ص١٩١،١٩٢.

(٢) الدواداري : كنز الدرر وجامع الغرر ، جـ ٥ ، ص ١١ ، ابن تغـري بردي : مـورد اللطـافة فيمـن ولي السلطـة والخـلافة، مخطـوط بـدار الكتـب المصـرية ، بـرقم ميكروفيلـم (١٤٦٨٥) تـاريخ ، ص ٣٨.

(٣) الدواداري : كنز الدرر وجامع الغرر ، جـ ٥ ، ص ١١.

(٤) العسكري : كتاب الأوائل ، جـ ٦ ، ص ٢٧٨ .

ابن علي[1] بعد أن قتل مروان بن محمد خزائنه وأمواله[2]، فبلغ ذلك اثني عشر ألفا عدل خز[3]، وقبض عبد الله بن علي ما كان لبني أمية بالشام من أموال[4].

وصودرت كثير من ضياع بني أمية، وأقطعت للأمراء العباسيين، فقبضت رصافة[5] هشام بن عبد الملك وصارت لزبيدة[6]، وأخذت بالس[7] وقراها من ورثة مسلمة بن عبد الملك[8]، كما قبضت ضيعة لعائشة بنت هشام بن عبد الملك[9]. قبضت وأقطعت صاحب الطاقات ببغداد[10]، وأخذت دار أم خالد بن يزيد، وأصبحت في حيازة العباسيين[11]؛ كما قبض العباسيون

---

(1) صالح بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب: يكنى بأبي عبد الملك، عم السفاح والمنصور، وأحد كبار قادة العباسيين، فهو الذي تتبع مروان بن محمد حتى قتله في مصر، بقرية بوصير، ثم ولي نيابة دمشق، فقاتل الروم وهزمهم، وأنشأ مدينة أذنة على ثغر الشام، توفي (١٥١هـ / ٧٦٨م)، الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ٧، ص ص ١٨، ١٩.

(2) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي، جـ ٢، ص ٣٥١ .

(3) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ٧، ص ٤٠٢.

(4) ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ٧، ص ص ٤٧٠-٤٧١.

(5) رصافة هشام الرصافة من الرصف وهو ضم الشيء بعضه إلى بعض كرصف الأحجار للبناء، والرصافة اسم لأكثر من مدينة، فهناك رصافة الشام التي نحن بصدد الحديث عنها، ورصافة بغداد على الضفة الشرقية لدجلة، ورصافة البصرة، ورصافة الحجاز، ورصافة أبي العباس بالأنبار بالعراق، ورصافة الشام هي رصافة هشام بن عبد الملك غربي الرقة بناها لما أصاب الطاعون الشام، فكان يسكنها في الصيف، ياقوت: معجم البلدان، جـ٣، ص ص ٥٢،٥٤.

(6) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٤٧، زبيدة بنت جعفر بن المنصور العباسية، زوج الرشيد، وأم الأمين، كانت عظيمة الجاه والشأن لدى الرشيد، توفيت سنة (٢٢٦هـ / ٨٤١م) ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ١٠، ص٢٤١.

(7) باليس: مدينة على ضفة الفرات الغربية بين حلب والرقة، نسبها البعض إلى بالس بن الروم بن اليسقن بن سام بن نوح، افتتحها أبو عبيدة بن الجراح صلحا، ياقوت: معجم البلدان، جـ١، ص ص ٣٩٠،٣٩١.

(1) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٠٦.

(2) المصدر نفسه، ص ص ٢٤٨-٢٤٩.

(3) المصدر نفسه، ص ٢٤٨.

(4) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، جـ٣٨، ص ٣٩٠.

ما طـاب لهم من رقيق بني أمية، فصـار رقيق الوليد بن مسلم[1]، لصالح بن علي، وإن كان أعتقهم بعد ذلك ابنه الفضل بن صالح [2].

ولسنا هنا بصدد الحصر لما صودر من أموال بني أمية، ولكن نعطي في هذا السياق بعض الإشارات إلى ما حدث من استحواذ العباسيين على أموال بني أمية.

وعبثا حاول العباسيون إيجاد المسوغات الشرعية، لما غصبوه وحازوه من أموال بني أمية، لدى العلماء، فطلبوا منهم الفتيا بتجويز ذلك، لكن العلماء وقفوا بصلابة إزاء هذا الأمر، لأنهم استشعروا مسئوليتهم تجاه الأمة وأمام الله، ولأنه يقتدى بهم، فإن أي مداهنة أو تفريط أو تراخي، معناه تضليلا للأمة وخيانة للأمانة، وتكثف لنا الرؤية أكثر وتزيدها وضوحا، الرواية التي أوردها الذهبي عن أحد العلماء المخضرمين، الذين عاشوا في العصرين الأموي والعباسي وشهدوا أحداث الثورة العباسية، ذلك هو الأوزاعي، حيث يقول: " بعث إلي عبد الله بن علي عقب انتصاره على الأمويين بالشام – فاشتد ذلك علي، فقال: ما تقول في أموال بني أمية – يعني هل تطيب له قلت إن كانت لهم حلالا فهي عليك حرام، وإن كانت عليهم حراما، فهي عليك أحرم "[3]؛ فكانت الإجابة قاطعة حاسمة لا تحتمل التورية ولا التأويل، وأكد هذا المعنى، وزاده جلاء ووضوحا "

---

(٥) الوليد بن مسلم: يكنى بأبي العباس، من الموالي، إذ كان مولى لبني أمية، من علماء الحديث، فقـد رواه عـن كبار التابعين، فهو أحد أعلام الشام، وهو صاحب الأوزاعي، له مصنفات عدة مثـل كتـاب الـسنن وكتـاب المغازي، توفي سنة ١٩٤هـ / ٧٦٦م، ابن النديم: الفهرست، ص ٣١٨؛ الذهبي: ميزان الاعتدال فـي نقـد الرجال، حققه: علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيـروت، ط١، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، الـسيوطي: الديباج، حققه: أبو إسحاق الحويني الأثري، دار ابن عفان، الخبر ، السعودية، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، جـ١، ص ٣٩.

(٦) ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ٧، ص ص ٤٧١-٤٧١، الفضل بن صالح بن عبد الله بن العباس الهاشـمي: أحد أمراء البيت العباسي، روى بعض حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ولي بعض ولايـات الدولـة، فاستعمله المنصور على الموسم سنة ١٣٨هـ / ٧٥٥م، ثم ولي الجزيرة للمهدي سنة ١٥٩هـ / ٧٧٦م، إلـى أن عزله عنها سنة ١٦١هـ / ٧٧٨م، ثم ولي مصر للهادي، الطبري: تاريخ الأمـم والملـوك، جـ٤، ص ٤٠٤، ٥٤٨، ٥٦٣، البيهقي: شعب الإيمان، تحقيق محمد السعيد بسيوني، دار الكتب العلمية، بيـروت، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م ، جـ٢، ص٤٤٣.

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ٧، ص ص ١٢٤-١٢، انظر: عبد العزيز سيد الأهل: الإمام الأوزاعي فقيه أهل الشام، ص ١٥٧.

عباد بن كثير "[١]. لأنه رآها لا تسوغ له، فقال: " حدثني عن الأموال التي اصطفيتموها من بني أمية؟ ثم يجيب هو قائلا: " فلئن صارت إليهم ظلما وغصبا فما رددتموها إلى أهلها الذين ظلموا، ولئن كانت لبني أمية لقد أخذتم ما لا يحل لكم "[٢]، ولما تناما إلى المنصور أن لدى أحد العلماء ودايع لبني أمية، أحضره وسأله إياها، فقال للمنصور: " يا أمير المؤمنين أنت وارث بني أمية؟! قال: لا، قال: فوصي لهم على أموالهم؟ قال: لا، قال: فما سؤالك عما في يدي من ذلك، فقال: المنصور إن بني أمية ظلموا المسلمين فيها وأنا والي المسلمين، آخذ ذلك واجعله في بيت المال، قال: تحتاج يا أمير المؤمنين إلى بينة عادلة أن ما في يدي لبني أمية مما خانوه وظلموه، فإن بني أمية كانت لهم أموالا غير أموال المسلمين، فقال: المنصور ما أرى الشيخ إلا قد صدق "[٣].

وهكذا فقد كان للعلماء دور في تبصير الخلفاء والأمراء العباسيين بمواطن الحق وفي إعادتهم إلى جادة الصواب غير هيابين لهم في أوج سطوتهم وسيوفهم ما زالت مسلولة، فنهوهم عن أخذ أموال بني أمية، ووقفوا دون ذلك بكل ما يملكون من قوة

وإذا كنَّا في السياق السابق قد سلمنا بإسراف العباسيين في القتل والانتقام من الأمويين، فإننا لا نوافق تلك الروايات التي بالغت في تصوير ما حدث مبالغة شديدة، ونحسب أنها من نسج خيال أعداء العباسيين والأمويين على السواء الذين هدفوا إلى تشويه الحكم العباسي، والتشفي بالأمويين فخلطت الحقيقة بالخيال والصدق والكذب، ومن ذلك ما روي من أن عبد الله بن علي قتل في يوم واحد أكثر من ثمانين ألفا من بني أمية وبطريقة بشعة، ثم بسط على جثثهم الأنطاع فأكل الطعام عليها وهو يسمع أنين بعضهم حتى ماتوا جميعا وهو يقول والله ما أكلت طعاما أشهى من هذا[٤]،

---

(٢) عبـاد بن كثيـر: الثقفـي ، البصري ، المكي ، من العلماء العبـاد ، غلب عليـه الحديـث ، وإن ضـعفه أهل الحديث ، من أقران سفيان الثوري ، المزي : تهذيـب الكمـال في أسماء الرجـال، حققـه : بـشار عواد معـروف ، مؤسسة الرسالـة ، بيـروت، ط٣ ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م ، جـ١٤، ص ص ١٤٥، ١٤٨.

(٣) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، جـ٣٨، ص ٢٢٢، الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ٧، ص ص ٨٧،٨٨.

(٤) المبارك: كتاب النصح في الدين ومآرب القاصدين في مواعظ الملـوك والـسلاطين، ص ٧٥؛ الـشيرازي: تهذيب الرياسة وترتيب السياسة، ص ص ٣٠٨، ٣٠٩؛ الكناني: نهج السلوك إلى معرفة سير الخلفاء والملوك، ص ص ٢٤٩،٢٥٠.

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٥، ص ٤٣٠، ابن كثير: البداية والنهاية ، جـ١٠، ص ٤٥ .

وأنه نبش قبور بني أمية، واستخرج جثث من بقى منهم[1]، فجلد بالسياط وأحرق وذرى في الريح[2].

وهو ما لا يقبله منطق، ولم تذكره المصادر التاريخية المعاصرة والقريبة من الأحداث، والتي لم تترك شيئا صغر أم كبر دون ذكر، فما كان لها أن تغفل مثل هذه الفظائع إن كانت قد حدثت، ولم تذكره إلا بعض المصادر المتأخرة[3]، وبصيغ توحي بالشك في الرواية فهي تصدر بكلمة (قيل)، وروي حتى أن ابن خلدون[4] ذيـّل روايته بالتشكـك فيها قائلا: " والله أعلم بصحة ذلك ".

ولعل ما نسب إلى عبد الله بن علي من بطش وقسوة في الشام، كان تصرفا فرديا لا يعبر عن توجه عام في الدولة، ولذلك فقد ووجه بامتعاض وعدم قبول من الخليفة، فيذكر أن أبا العباس أنكر على عبد الله بن علي قتله عبد الواحد بن سليمان[5]، قائلا: " لولا أن عبد الله عمي وذمامه ورعاية حقه علي واجب، لأقدت منه، ولكن الله طالبه "[6]، ثم كتب إليه ينهاه أن يقتل أحدا من بني

---

(٢) أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، جـ١، ص ٢١٢.

(٣) ابن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، جـ٣، ص ص ١٣٢، ١٣٣.

(٤) يبدو أن هذا الخبر كان من نسج خيال بعض المؤرخين المتأخرين ، إذ يظهر لـدى مـؤرخين متعاصـرين همـا أبو الفداء الذي توفي سنة (٧٣٢هـ / ١٣٣٢م) ، في كتابه المختصر في أخبار البشر، والـدواداري ، الذي توفي سنة (٧٣٧هـ / ١٣٣٧م)، في كتابـه كنـز الـدرر وجـامع الغـرر، والروايـة بـصيغة المبني للمجهول، (روي) ، ثم ذكر الرواية المؤرخ ابن خلدون الذي تـوفي سـنة (٨٠٨هـ / ١٤٠٥م) ، وصدرها بعبارة (قيل)، وهي توحي بعدم ثقته من صحة الرواية ، ثم ذيلها بعبارة " والله أعلم بصحة ذلك " ، أبو الفداء : المختصر في أخبار البـشر، جـ ١ ، ص ص ٢١٢،٢١٣ ، الـدواداري : كنـز الـدرر وجامع الغرر ، جـ٥ ، ص ص ١٢ ، ١٣، ابن خلدون : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ ٣ ، ص ص ١٣٢ ، ١٣٣ .

(١) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، جـ٣، ص ص ١٣٢،١٣٣.

(٢) عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، يكنى بأبي عثمان، ويقـال أبو خالد الأموي، ابن الخليفة سليمان بن عبد الملك، من تابعي التابعين بالشام، فقد روى بعض حديث رسـول الله (صلى الله عليه وسلم)، كان على المدينة لمروان بن محمد، ثم مكة، وقد تركها عندما هاجمهـا الخـوارج بقيادة أبي حمزة الخارجي، ثم عاد بعد ذلك إلى السلطة، فولاه مروان الموسم سنة (١٢٩هـ / ٧٤٧م)، توفي سنة (١٣٢هـ/٧٥٠م)، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، جـ ٣٧ ، ص ص ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٢٤ .

(٣) ابن قتيبة : الإمامية والسياسة، جـ٢، ص ١٦٨.

أمية حتى يراجعه فيه[١]، ولام عامر بن إسماعيل[٢]، لأنه بعد أن قتل مروان قعد على فراشه وأكل من طعامه، فكتب إليه: " أما كان في أدب الله عز وجل ما يزجرك عن أن تأكل من طعام مروان وتقعد على مهاده وتتمكن من وساده، أما والله لولا أن أمير المؤمنين تأول ما فعلته على غير اعتقاد منك لذلك ولا شهوة، لمسك من غضبه واليم أدبه ما يكون لك زاجرا ولغيرك واعظا "[٣]، بل إن صالح بن علي عرض على ابنتي مروان، بعد أن قتل أبيهما، وعفا عنهما، الزواج من ولديه، فأجابته أحداهما بقبول العفو والاعتذار عن قبول الزواج لأن الوقت لم يكن مناسبا لذلك، قائلة: "وأي أوان عرس هذا ؟ "[٤]، ثم حملهما إلى حران حيث اختارتا الإقامة[٥]، ولجأ بعض بني أمية إلى سليمان بن علي فأخذ لهم الأمان من أبي العباس[٦]، ووفدت مزنة بنت مروان[٧] على الخيزران[٨] في عهد المهدي فأكرمتها ولما علم المهدي بموضعها بالغ في إكرامها[٩]، وعندما رفع إلى الرشيد أن رجلا بدمشق من بقايا بني أمية عظيم الجاه كثير المال، أمر بإحضاره، فلما

---

(٤) المصدر نفسه، جـ٢، ص ١٦٩.

(٥) عامر بن إسماعيل بن عامر بن نافع بن عبد الرحمن بن نافع بن محمية بن حذيفة بن عوف بن صبيح، أحـد رجال وقادة الثورة العباسية، شهد حصار دمشق، وهو الذي أدرك مروان بن محمد ببوصير من مصر، فقتـل بعض أصحابه مروان، بالرغم من أن عامر كان في عدد قليل، توفي سنة (١٥٧هـ / ٧٧٤م)، ابن عـساكر: تاريخ مدينة دمشق ، جـ١٤، ص ص ١٠٥ ، ١٠٦.

(٦) المسعودي: مروج الذهب، جـ٣، ص ٣٧١.

(١) المسعودي: مروج الذهب، جـ٣، ص ص ١٦٣،١٦٢، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، جـ٥، ص ٤٢٨.

(٢) المسعودي: مروج الذهب، جـ٣، ص ١٦٣.

(٣) ابن عبد ربه: العقد الفريد، جـ٢، ص ص ٢٧،٢٦.

(٤) مزنة بنت مروان بن محمد بن عبد الملك بن مروان الأموي ، من فضليات نساء عصرها كانت ممن تـشرد من بني أمية بعد زوال دولتهم، ألجأتها الحاجة والرغبة في الأمان إلى الخيزران ، فدخلت عليها وهـي فـي حالة رثة ، فأحسنت إليها الخيزران ، وزاد المهدي في الإحسان إليها عندما علم بموقعها ، وبالغ في إكرامهـا ، توفيت في خلافة الرشيد ، تقي الدين الحموي : ثمرات الأوراق في المحاضـرات ، حققـه : محمـد أبـو الفضل إبراهيم ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط١، (د.ت) ، ص ص ٢٥٤،٢٥٣، عمر رضا كحالة : أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام ، مؤسسة الرسـالة ، بيـروت ، ط٥ ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ص ص ٥٢،٥٠.

(٥) الخيزران ، زوج المهدي ، وهي أم ولد، ولدت له المهادي والرشيد، روت بعض الأحاديث عـن المهـدي، الخطيب: تاريخ بغداد، جـ١٤، ص ٤٣٠ .

(٦) الشيرازي: تهذيب الرياسة وترتيب السياسة ، ص ص ٣١٣،٣١٠.

تبين له أنه لا يمثل خطرا على الخلافة، أعاده إلى دمشق معززا مكرما[١] ، ومما يعاضد ذلك أن بعض قادة بني أمية انضم إلى العباسيين، مادام قد أعطاهم الولاء ودخل في طاعتهم، مثل معن بن زائدة الذي أبلى بلاء حسنا مع ابن هبيرة ضد العباسيين، ثم دافع عن المنصور دفاع المستميت يوم الهاشمية فقربه الخليفة، وأصبح من صحابته والمقربين إليه[٢].

كل هذه المؤشرات تدل على أن هناك مبالغة في بعض الأخبار التي نقلت عن مجريات الثورة العباسية وما تلاها من أحداث، ثم إذا كان قد حدث مثل ذلك، أكان بوسع العلماء السكوت عنه ؟.

فمن المؤكد إذا أن السياسة المتبعة للخلفاء العباسيين لم تقم على استئصال بني أمية وتصفيتهم، بمعنى أنه ليس كل أموي محكوم عليه بالقتل، وهو في الوقت ذاته لا يعني أن بني أمية كانوا بمنجاة من بطش العباسيين ، بل على العكس من ذلك، " فقد كان العنف والقسوة والبطش هي السياسة النافذة للعباسيين خصوصا في مبتدأ دولتهم ، ولكن ليس بمنهـج الاستئصال والإجتثاث "[٣].

٦- موقف العلماء من تعامل الدولة مع رجال الدعوة:

شهد العقد الأول من عمر الدولة العباسية تخلص الخلفاء العباسيين من بعض الشخصيات البارزة التي قامت بالدعوة، وشاركت في إدارة أحداث الثورة، بعد أن ساورتهم فيهم الظنون ، وبعد أن رأى الخلفاء اختلال التوازن في مبدأ المشاركة في السلطة لصالح هذه الشخصيات، وكأن العباسيين وضعوا خطا أحمرا للمشاركين معهم في السلطة من خارج البيت العباسي إذا ما

(٧) التنوخي: الفرج بعد الشدة، تحقيق: عبود الشالجي ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٨هـ ـ / ١٩٧٨م ، جـ ـ٢، ص ص ٣٤، ٤٢ .

(٨) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ٦ ، ص ٣١٠ ، اليافعي : مرآة الجنان ، جـ١، ص ٣٣٥ ، الكنـاني: نهج السلوك إلى معرفة سير الخلفاء والملوك ، ص ٢٨٠، الأربلي: خلاصة الذهب المسبوك مختصر سـيرة الملوك ، ص ٥٩.

(١) انظر عبد الرحمن الشجاع: بوصير ونهاية الدولة الأموية ، ص ١٢ .

تجاوزوه واستشعر الخلفاء الخطر من قبلهم تخلصوا منهم، وكان من هؤلاء المشاركين أبو سلمة الخلال[1]، وأبو مسلم الخراساني، و أيوب المورياني[2]، وغيرهم .

أ- أبو سلمة الخلال :

هو أحمد بن سليمان، كني وعرف بأبي سلمة الخلال، كان أول وزير للعباسيين، وكبير دعاتهم، وعرف في المصادر بوزير آل محمد، وقد بذل جهده وماله في سبيل الدعوة العباسية، إلا أنه – كما تشير جل المصادر – تغير على العباسيين، وأضمر تحويل الأمر إلى غيرهم، خصوصا بعد موت إبراهيم الإمام[3]، وتحُّول الأمر إلى أبي العباس، الذي لم يكن يروق له، فنصح أبا العباس بعدم الخروج، بعد انتصار جيوش العباسيين، بحجة أن الأمر لم يتم بعد[4]، وهو يدبر تحويل الأمر إلى العلويين إلا أن أبا العباس تنبه إلى ذلك، وغادر تلك النصائح، وأدرك مراد الخلال منها، فخرج وأعلن نفسه خليفة، فتسابق الدعاة إلى مبايعته بالخلافة[5]، فلم يكن بوسع أبي سلمة إلا أن بايع مع من بايع، لكن أبا العباس لم ينس له ذلك الموقف، وظل ينظر إليه بعين الريبة

---

(٢) أبو سلمة الخلال ، واسمه أحمد بن سليمان ، أول من سمي وزيرا وهو أول وزراء العباسيين ، سمي خـلالا لأنه كان يجلس عند الخلالين ، وزر لأبي العباس السفاح ستة أشهر ثم قتله لأنه استشعر منه رغبة في تحويل الخلافة إلى العلويين، الطبري : تاريخ الأمم والملوك، جـ٦، ص ٨٥ ، المـسعودي : التنبيـه والإشـراف ، ص٣٣٩.

(٣) أبو أيوب المورياني: واسمه سليمان بن أبي سليمان الخوزي، كان كاتبا للأمير سليمان بن حبيب بن المهلب، فتعرف عليه المنصور، ومازال يتقرب إلى المنصور حتى تمكن منه، فاستوزره، إلا أنـه أضـمر غـشا = =للمنصور وعبثا بالأموال العامة، واعتمد في أعمال الدولة على أهله، فعزله المنصور، وصادر أمواله وعذبه حتى توفي سنة (١٥٤هـ / ٧٧١م)، الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ٧، ص ٨٥.

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٦، ص ٨٥.

(٢) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص ٣٤٩؛ ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، جـ٢، ص ص ١٦٢، ١٦٥.

(٣) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، جـ٢، ص ١٦٥؛ ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٠، ص ٤٠.

والشك، إلى أن تخلص منه بعد ستة أشهر من خلافته[1]، وبعد مشاورة كبار رجال الدولة، ومنهم أبو مسلم الخراساني[2].

ب –أبو مسلم الخراساني :

لعل من نافلة القول في هذا السياق التعريف بأبي مسلم الخراساني، أو الحديث عن الدور الذي قام به في الدعوة والثورة العباسية، فهو من الشهرة بحيث يغنينا عن التعريف به وبدوره في الدعوة والثورة العباسية، كما أنه ليس
التي أدت إلى استعداء المنصور لهذا الداعية الذي لا يمكن نجاهل دوره في قيام الدولة العباسية.

تجاوز أبو مسلم كل الخطوط الحمراء التي وضعت لأمثاله ممن استعان بهم العباسيون، وشاركوهم في السلطة، وهو ما جعل المنصور ينظر إليه بقلق وارتياب حتى قبل أن يلي الخلافة، ولذلك فقد حذر منه أخاه السفاح فقال له: " يا أمير المؤمنين أطعني واقتل أبا مسلم، فوالله إن في رأسه لغدرة "[3]، لكن أبا العباس رفض ذلك وأمره أن يكتم الأمر[4]، إلا أن المنصور ظل ينتظر الوقت المناسب للتخلص من أبي مسلم، ولذلك فقد كان أول عمل قام به بعد توليه الخلافة وبعد إخضاع تمرد عمه عبد الله بن علي ، هو إستدراجه أبا مسلم وقتله "[5].

ولنا هنا أن نتساءل عن مبررات المنصور لقتل أبي مسلم ؟ لعل أهم هذه المبررات إحساس أبي مسلم بأنه المؤسس الحقيقي لدولة بني العباس، وأنه مهد لهم الطريق إلى الخلافة، فضلا عن

---

(٤) العسكري: كتاب الأوائل، جـ ٦، ص ٢٧٨.

(٥) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، جـ ٢، ص ٣٥٢، ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، جـ ٢، ص ١٦٧، الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ ٦، ص ٨، ابن كثير: البداية والنهاية، جـ ١٠، ص ٤٠، مجهول: العيون والحدائق، ص ص ١٥٣،١٥٤.

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ ٦، ص ١١٩، الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية، حققه: محمود توفيق الكتبي، المكتبة الرحمانية، القاهرة، (د.ت)، ص ص ١٢٢،١٢٣.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٦، ص ١١٩.

(٣) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٣٠٠.

ولاء الخراسانية له، وإئتمارهم بأمره، يدفعانه إلى البحث عن مكانة متميزة في الدولة ولدى الخلفاء، وإلى الدلال عليهم، وهو ما لا تقبله الخلفاء.

فإذا ما أضفنا إلى ذلك أنه كان بين الرجلين قبل أن يلي المنصور الخلافة تنافس وتباغض، أورثا في قلب المنصور حزازات على أبي مسلم، جعلت العلاقة بينهما تأخذ طابعا عدائيا، ابتدأت عندما طلب أبو مسلم من الخليفة أبي العباس أن يوليه إمارة الحج، فاعتذر إليه بأن أبا جعفر سوف يحج، ولولا ذلك لأمره على الحج[١]، ثم إن أبا مسلم تعمد ألا يسير تحت إمرة أبي جعفر في الطريق إلى مكة[٢]، وكان يتجاهل أبا جعفر، فيروى أنه دخل مجلس أبي العباس وفيه أبو جعفر فلم يسلم عليه وهو ولي العهد[٣]، ثم أنه حاول تحويل الأمر عنه عندما توفي أبو العباس إلى عيسى بن موسى[٤]، وزاد في هشاشة هذه العلاقة أن بعث المنصور أمناء يقبضون أموال عبد الله بن علي من معسكر أبي مسلم – وكان المنصور استعان به لإخضاع عبد الله بن علي الذي خلع طاعة أبي جعفر وأعلن نفسه خليفة بالشام[٥] – فغضب أبو مسلم، وقال: " أمين على الدماء، خائن في الأموال "[٦]، وعزم على الخلاف فتوجه إلى خراسان، لكن المنصور استدرجه فقتله[٧]، بعد أن استشار فيه بعض خاصته فأيدوه وعدوه من لوازم الملك والتمكين، فقال سالم بن قتيبة: " لو كان

---

(٤) الطبري: تاريخ الأمـم والملـوك، جـ ـ٦، ص ص ١٢٧، ١٢٨، مجهـول: العيـون والحـدائق، ص ص ١٥٤،١٥٥.

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٦، ص ١٢٨.

(٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، جـ١، ص ١٧، الكناني: نهج السلوك إلى معرفـة سـير الخلفـاء والملـوك، ص٢٧١.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم، جـ٨، ص ٥.

(٤) الدينوري : الأخبار الطوال ، ص ٣٧٩ ، حمزة الأصفهـاني : تاريخ سـني ملـوك الأرض والأنبيـاء ، حققـه : يوسف يعقوب المسكوني ، مكتبة الحيـاة ، بيـروت ، ط٣ ، ١٣٨٠هـ / ١٩٦١م ، ص ص ١٦١ ،١٦٢.

(٥) الطقطقي: الفخري فى الآداب السلطانية، ص ص ١٢٢،١٢٣.

(٦) الطقطقي: الفخري فى الآداب السلطانية، ص ١٢٣، حمزة الأصفهاني: تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبيـاء، ص ص ١٦١،١٦٢.

فيهما الهة إلا الله لفسدتا "[1]، وفي المقابل انتقد بعض بني العباس المنصور لقتله أبا مسلم، مع بلائه وأثره في الدعوة، وكان ممن لام المنصور فيه عيسى بن موسى، حيث قال: " قد عرفت يا أمير المؤمنين طاعته ونصيحته ورأي الإمام إبراهيم فيه"[2]،إلا أن أبا جعفر دافع عن فعله بأن أبا مسلم كان ينازعه الأمر مبينا الأسباب الحقيقية للتخلص من أبي مسلم، فقال: " وهل كان لكم ملك أو سلطان أو أمر أو نهي مع أبي مسلم "[3].

وإذا كان العلماء قد شهدوا هذه الأحداث، وعاينوها فما موقفهم منها ؟ تكاد تجمع المصادر التاريخية المعاصرة للأحداث والمتأخرة ، على أنهم اعتزلوا الدعوة والثورة العباسية وأنهم لم يخوضوا في الحديث عن مسألة تخلص الخلفاء من بعض الدعاة وكبار رجال الدولة ، إذ لم ترصد هذه المصادر أي انتقاد من العلماء للخلفاء في هذا الشأن .

ويتوافق هذا مع موقفهم من الثورة العباسية، فهم منذ البداية قد اعتزلوها، ولم يرضوا عن كثير من رجالها، خصوصا أولئك الذين أسرفوا في دماء المسلمين، ولم يرعوا فيهم إلا ولا ذمة، ولذلك لم يتدخل العلماء لدى الخلفاء لطلب العفو لأحد من أولئك الدعاة في الوقت الذي تدخلوا فيه لأكثر من مرة للإنكار على العباسيين إسرافهم في البطش بالأمويين، ويتضح الأمر أكثر عندما نستمع لرأي أحد هؤلاء العلماء في كبير دعاة بني العباس.

فعندما سئل عبد الله بن المبارك عن أبي مسلم أهو خير أم الحجاج ؟ قال: " لا أقول أن أبا مسلم كان خيرا من أحد، ولكن كان الحجاج شرا منه "[4]، فالعلماء يرون أن هؤلاء قد سفكوا دماء

---

(٧) المسعودي: مروج الذهب، جـ٣، ص ٣٠١؛ الدواداري: كنز الدرر وجامع الغرر، جـ٥، ص ص ١٨، ٢٠؛ ابن الحداد: الجوهر النفيس في سياسة الرئيس، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، القاهرة، برقم(١٨)، مصور عن مكتبة أبا صوفيا، تركيا (سياسة واجتماع)، ص ٥٤.

(٨) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٦، ص ١٣٨؛ المسعودي: مروج الذهب، جـ٣، ص ٣٠٤، الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية، ص ١٢٤.

(١) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٦ ، ص ١٣٨، الطقطقي : الفخري في الآداب السلطانية ، ص ١٢٤.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٠، ص ٧١.

المسلمين، وأنهم قد ذاقوا من ذات الكأس وأن ما نزل بهم إنما هو العقاب الذي يستحقونه وفق السنن الماضية، ولذلك سكتوا عن الإنكار على الخلفاء فيهم .

ونخلص مما سبق إلى أن العلماء نظروا إلى الثورة العباسية على أنها مجرد تحويل الخلافة من أسرة إلى أسرة أخرى دون أن تحدث أي إصلاح في نظام الحكم ، فوصل العباسيون إلىالسلطة بالتغلب ، وكرروا ذات التجربة الأموية التي قاموا على مبررات تغييرها ، ولذلك اعتزل العلماء هذه الثورة ، ورفضوا الإفتاء بشرعيتها ، وانتقدوا ما اكتنفها من قتل وتشريد ونهب للأمويين .

الفصل الثاني

نظرة العلماء إلى السلطة ونظرة السلطة إلى العلماء

نظرة العلماء إلى السلطة ونظرة السلطة إلى العلماء في العصر العباسي الأول

أولا: نظرة العلماء إلى السلطة :

١ - مدلول الخلافة .

٢ - أهمية الخلافة .

٣ - شروط العلماء فيمن يلي الخلافة .

٤ - رؤية العلماء للخلافة أنها بلاء ومسئولية .

٥ - تزهيد الخلفاء والأمراء في السلطان .

٦ - رؤية العلماء الى ما يعانون من إقلال إزاء ما فيه الخلفاء والأمراء من سعة الحال .

٧ - استشعار العلماء لواجبهم في النصح للأئمة .

٨ - تأكيد العلماء على أهمية صلاح الخلفاء لصلاح الأمة .

٩ - مكانة الخلفاء لدى العلماء .

١٠ -رأي العلماء في طاعة الخلفاء والأمراء .

أ- حدود طاعة الخلفاء والأمراء .

١١ - مصاحبة العلماء للخلفاء .

ثانيا : نظرة الخلفاء(السلطة) إلى العلماء .

١ - تدين خلفاء بني العباس .

٢ - إعجاب الخلفاء بالعلماء .

٣ - مهابة الخلفاء للعلماء .

٤ - رغبة الخلفاء في الاستعانة بالعلماء .

٥ - حدود سماح الخلفاء للعلماء بالتدخل في الحياة السياسية .

٦ - مكانة العلماء لدى الخلفاء والأمراء .

أ- استقدام العلماء إلى بغداد للإستفادة منهم .

ب- إتيان العلماء في بيوتهم .

٧- طاعة الأمراء والولاة للعلماء .

٨- تشجيع الخلفاء العلماء على التأليف والتصنيف .

أ

نظرة العلماء إلى السلطة ونظرة السلطة إلى العلماء

١- رؤية العلماء لمدلول كلمة الخلافة:

الخلافة لغة من خلف، وخلف فلانا إذا حل مكانه، وخلفه إذا جاء بعده، واستخلفه إذا جعله خليفته، والخليفة هو الذي يستخلف ممن قبله، والجمع خلائف وخلفاء، والخليفة، هو السلطان الأعظم، ومنها الخلافة وهي الإمارة[١].

وشرعا نيابة عن صاحب الشريعة في حفظ الدين وسياسة الدنيا به، وتسمى خلافة وإمامة، والقائم بها خليفة وإماما، فأما تسمية إمامة فتشبيها بإمامة الصلاة في إتباعه والإقتداء به،ولهذا يقال الإمامة الكبرى، وأما تسمية خليفة فلأنه يخلف النبي (صلىالله عليه وسلم) في أمته فيقال خليفة بإطلاق وخليفةرسول الله (صلىالله عليه وسلم)[٢]،واختلف العلماء في تسميته خليفة الله، فأجاز بعضهم اقتباسامن الخلافة العامة التي للآدميين في قوله تعالى"إني جاعلٌ في الأرض خليفة"[٣]،وقوله تعالى"وهو الذي جعلكم خلائف الأرض"[٤]،وقوله تعالى" ياداوود إنا جعلناك خليفة في الأرض"[٥]،

(١) ابن منظور: لسان العرب، جـ٢، ص ١٢٣٥، انظر كذلك : الخضري: اتمام الوفاء في سيرة الخلفـاء، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م، ص ١٣.

(٢) الحسن بن عبد الله بن محمد بن عمر بن محاسن من عبد الكريم العباسي، ت (٧٠٨هـ / ١٣٠٨م)، آثـار الأول في ترتيب الدول، دار الكتب، القاهرة، (د.ت)، ص ١٦.

(٣) البقرة ، الآية : ٣ ، ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون، ص ١٩١.

(٤) الأنعام، الآية : ٢٦.

(٥) (ص) ، الآية : ٢٦.

ومنع منه الجمهور[1] لأن معنى الآيات ليس على الإمارة ، واستشهدوا بما فعله أبو بكر الصديق لما دعي به، فقال لست خليفة الله، ولكن خليفة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)[2]، ولأن الاستخلاف إنما يكون نيابة عن الغائب أو الميت، والله لا يغيب ولا يموت[3].

وتنعقد الإمامة من وجهين، إما باختيار أهل الحل والعقد، أو بعهد من الإمام من قبل[4]، وقد أجاز بعض العلماء انعقادها بالتغلب، ولكن بشرط إقرار أهل الحل والعقد للخليفة المتغلب قياسا على رأي ابن عمر[5]، زمن الحرة، حيث قال: " نحن مع من تغلب "[6].

وقد فَّرق ابن خلدون بين الخلافة والملك، فبيَّن أن الخلافة تقتضي حمل الكافة على الأحكام الشرعية في أحوال دنياهم وأخرتهم وكان هذا الحكم لأهل الشريعة وهم الأنبياء، ومن قام فيه

---

(١) ابن منظور: لسان العرب، جـ ٢، ص ١٢٣٥.

(٢) الماوردي: الأحكام السلطانية والولايات الدينية، حققه: عماد زكي البارودي، المكتبـة التوفيقيـة، القـاهرة، (د.ت)، ص ٣٨، ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص ١٩١.

(٣) الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ٣٨ ، انظر كذلك صابر محمد دياب : الخلافة ونظم الحكم في الدولـة الإسلامية ، دار الأنصار ، القاهرة ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م ، ص ١٧ ، حققه : محمد حامد الفقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ص ٢٧ .

(٤) الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ٢٧ ، أبو يعلى : الأحكام السلطانية ، ص ٢٣ .

(٥) عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن عبد الله بن قرط بن عدي: يكنى بأبي عبد الـرحمن أسلم بمكة مع أبيه عمر بن الخطاب، قبل البلوغ، ثم هاجر معه إلى المدينة، كان متقد الذكاء متطلعا إلى معالي الأمور فقد عرض نفسه على النبي (صلى الله عليه وسلم) للمشاركة في غزوة بدر وكان عمره ثلاثـة عـشر سنة فرده، ثم عرض نفسه يوم أحد وعمره أربعة عشر سنة، فرده، ثم عرض نفسه يوم الخندق وعمره خمس عشرة سنة فقبله، كان ملازما للرسول (صلى الله عليه وسلم) يقتفي أثره، ولذلك فقد سمع كثيرا مـن حديثـه ورواه عنه، شارك في كثير من الأحداث التي مرت بها الأمة، الا أنه كان يعتزل الفتن ، ويلوذ بالبيت ، توفي بمكةحاجا سنة (٧٤هـ / ٦٩٣م)، ابن سعد، الطبقات الكبرى، جـ ٤، ص ص١٤٢، ١٤٣، ١٨٨ ، ابن حبان : مشاهير علماء الأمصار ، ص ص ١٦ ، ١٧ .

(٦) أبو يعلي: الأحكام السلطانية ، ص٢٣.

مقامهم وهم الخلفاء "[١]، أما الملك الطبيعي، فهو حمل الكافة على مقتضى الغرض والشهوة، وبالتالي فرّق بين الخليفة والملك، أو السياسي كما أسماه، أي الذي يتبع السياسة ويلتزم بمقتضياتها والتي تجافي أحيانا قيم الدين، ومقتضياته فقال: " والسياسي هو من يحمل الكافة على النظر العقلي في جلب المصالح الدنيوية، ودفع المضار والخليفة هو الذي يحمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية، والدنيوية الراجعة إليها، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة[٢].

وقد كان العلماء في العصر العباسي الأول لا يعدون خلفاء بني العباس ضمن الخلفاء الذين تتوفر فيهم شروط الخلافة الكاملة، وقد يبدو ذلك من أكثر من موقف للعلماء، فقد قال الشافعي صراحة: "الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز"[٣]، مستبعدا من ذلك بقية خلفاء بني أمية، والخلفاء العباسيين.

ويزيد هذا المعنى وضوحا "ابن أبي ذئب" عندما سأله المنصور عن نفسه، وهو يود معرفة كيف ينظر إليه العلماء، وما هي تصوراتهم عنه، وهل يرونه أهلا للخلافة، وهل تتوافر فيه صفات الخليفة المسلم، فقال لجماعة من العلماء كان منهم مالك بن أنس، وأبو حنيفة، وابن أبي ذئب: " كيف ترون هذا الأمر الذي أعطاني الله تعالى " فأجابه ابن أبي ذئب، مستخدما مصطلح الملك لا الخلافة: " ملك الدنيا يؤتيه الله من يشاء، وملك الآخرة يؤتيه الله من وفقه له، وإن الخلافة تكون بإجماع أهل التقوى عليها، وأنت أعوانك خارجون من التقوى، عالين على الخلق"[٤] وزاد

---

(١) ابن خلدون : مقدمة أبن خلدون ، ص ١٩١ ، انظر توماس أرنولد: الخلافة، ترجمة : جميـل معلـى، دار اليقظة العربية، بيروت، (د.ت)، ص ٢.

(٢) ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص ١٩١.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ ١٠، ص ٢٠.

(٤) الشيرازي: تهذيب الرياسة وترتيب السياسة ، ص ص ٣٠٧،٣٠٨.

على هذا أبو حنيفة فقال له: "ووليت الخلافة وما اجتمعت عليك نفسان من أهل التقوى"[١]، وأما مالك بن أنس فدعا له بالعون والتوفيق على ما ولاه الله من أمر الأمة[٢].

وهكذا فقد رأى العلماء أن صفات الخلفاء الراشدين ومعاني الخلافة الكاملة بدأت بالضمور في الخلفاء الذين أتوا من بعدهم، ومع ذلك فهم ينادونهم بإمرة المؤمنين، وبالخلفاء أحيانا لأنهم في نظرهم ما يزالون يمثلون المسلمين ولهم عليهم الطاعة، فبايعوهم ودخلوا في طاعتهم حفظا لوحدة الأمة ودرءا للفتن المترتبة على المخالفة والخروج، وهم الذين شاهدوها وسمعوا عن ويلاتها وأثرها في الأمة.

٣- رؤية العلماء لأهمية الخلافة:

نظر العلماء إلى الخلافة على أنها قوام دولة الإسلام، فهي واجبة شرعا وعقلا، شرعا لأن الخليفة يقوم بتفويض من المسلمين لإقامة الدين وحكم الناس به، كما استنبط العلماء وجوب الخلافة شرعا وأهميتها من قوله تعالى "إني جاعلٌ في الأرض خليفة "[٣]، وقوله عز وجل "جعلكم خلائف الأرض"[٤]، وإن كان البعض قد رأوا أن المقصود بالآيتين الخلافة العامة للآدميين لا الخاصة، واقتبس العلماء كذلك أهمية الخلافة ولزومها من قوله تعالى: " يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وألي الأمر منكم "[٥]، فوجوب الطاعة تستوجب وجود المطاع، لذلك فإن عقدها لمن يقوم بها واجب بإجماع الأمة[٦].

(١) الشيرازي: تهذيب الرياسة وترتيب السياسة، ص ٣٠٨.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) البقرة، الآية : ٣٠.
(٤) الأنعام، الآية : ١٦٥.
(٥) النساء ، الآية : ٥٩.
(٦) أجمع علماء الأمة على وجوب الخلافة، ولم يشذ عن ذلك سوى بعض الروافض، والاهم مـن المعتزلـة وإن اختلفوا في كيفية الاختيار، فقد ذهب بعض الزيدية إلى أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) ما نص على معـيَّن

وعقلا، لما في طبائع الناس من التسليم لزعيم يمنعهم من التظالم ويفصل بينهم في التنازع والتخاصم، ولولا الولاة لكان الناس فوضى مهملين وهمجا مضاعين[1].

وقد استدل العلماء على ذلك مما حدث بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم) من اجتماع الصحابة في سقيفة بني ساعدة لاختيار خليفة للنبي (صلى الله عليه وسلم) بعد أن تركوه مسجًّى على فراشه[2]، فكأنهم كرهوا أن يبيتوا يوما واحدا بلى إمام.

وقد ظل الخليفة على مر العصور الإسلامية، واختلافها بين القوة والضعف يمثل رمزا، وملاذا للمسلمين يتوحدون تحت لوائه، ويلوذون به عند الملمات، حتى أسقط أوائل القرن العشرين.

والعلماء في العصر العباسي الأول لم تختلف نظرتهم إلى هذا المنصب عن نظرة المسلمين جميعا، فعدوه واجبا شرعيا، لأن الخليفة نائبا عن صاحب الشرع في حفظ الدين وسياسة الدنيا به[3]، فعدَّ أحمد بن حنبل بقاء الناس بغير إمام فتنة، وسببا في زوال الأمة، واستئصالها، فقال:

=في الخلافة، ولكنه ذكر عليه الصلاة والسلام بالمرامز والملامح والمعاريض وبالصفات التي يستوجب توفرها في الخليفة، فكانت مستوفية (متوفرة) في علي رضي الله عنه دون سواه، وأن الأمة ضلت عندما وضعت الإمامة فيمن لم يتصف بتلك الصفات، وذهبت السنة إلى تواتر الإشارات النبوية على فضل أبي بكر الصديق، خصوصا تقديمه في الصلاة وهي الإمامة الصغرى ولهذا الأمر دلالته في بيان أهمية أبي بكر ومكانته، وذهب فريق ثالث عرفوا بالعباسية إلى أنه عليه الصلاة والسلام نص على عمه العباس، وخصصه بالإمامة من بين سائر الناس، نصا يزيل الريب ويزيح الالتباس، ورأى الخوارج غير هذا كله، وأنه لا فضل لهؤلاء جميعا، وإنما الحق للأمة في اختيار الخليفة وإن كانوا قد انقسموا وذهبوا مذاهب شتى، الماوردي: الأحكام السلطانية، ص ١٥، أبو يعلي: الأحكام السلطانية، ص ١٩، الجويني: غياث الأمم والتياث الظلم، حققه: مصطفى حلمي، وفؤاد عبد المنعم، دار الدعوة، الإسكندرية، ١٩٧٩م، ص ص ١٥، ١٧، ٢١.

(١) الماوردي: الأحكام السلطانية، ص ص١٥،١٦، أبو يعلي: الأحكام السلطانية، ص ١٩.

(٢) الماوردي: الأحكام السلطانية، ص ١٥، الجويني : غياث الأمم ، ص ١٦.

(٣) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ص ٢١٨.

"الفتنة إذا لم يكن إمام يقوم بأمر الناس"[1]، بل كانت نظرتهم أصلا لرؤية المسلمين فيما بعد، لأهمية الخليفة والخلافة، خصوصا وأن هذا العصر اشتمل على كبار علماء الأمة ومجتهديها، وحَفِل بالفعاليات العلمية المختلفة، وكان الرحم الذي تخلقت فيه العلوم الشرعية على أيدي هؤلاء العلماء.

٣- شروط العلماء فيمن يلي أمر المسلمين:

صَدَّرت المصادر التاريخية خصوصا تلك التي عنيت بالحديث عن الولايات والنظم السياسية الإسلامية مثل الخلافة، وولاية القضاء.... وغيرها، حديثها باستعراض للشروط الواجب توافرها في خليفة المسلمين، وقد أوردت في هذا السياق جملة من الشروط، وهي كثيرة التداول في المصادر القديمة والحديثة، ولا داعي لتكرارها هنا[2]، ولكن ما يهمنا في هذا السياق هو تصوُّر العلماء في العصر العباسي الأول لما يجب أن يكون عليه الخليفة من سمات وصفات تؤهله للدور الخطير الذي ينتظره، والحمل الثقيل الذي سينوبه كاهله، فكانت أولى هذه السمات،

(١) أبو يعلى: الأحكام السلطانية، ص ١٩.

(٢) هناك سبعة شروط، استلزم توفرها فيمن يلي الخلافة وهي:

أ- العدالة على شروطها الجامعة.

ب- العلم المؤدي إلى الاجتهاد في النوازل والأحكام.

جـ- سلامة الحواس من السمع والبصر واللسان ليصبح معها مباشرة ما يدرك بها.

د- سلامة الأعضاء من نقص يمنع عن استيفاء الحركة وسرعة النهوض.

هـ- الرأي المفضي إلى سياسة الرعية، وتدبير المصالح.

و- الشجاعة والنجدة المؤدية إلى حماية البيضة وجهاد العدو.

ز- النسب وهو أن يكون من قريش لورود النص فيه وانعقاد الإجماع عليه ،

الماوردي: الأحكام السلطانية، ص ١٨؛ أبو يعلي: الأحكام السلطانية، ص ص ٢٠،٢٧ ، ابن الربيع: سلوك المالك في تدبير الممالك، حققه: حامد عبد الله ربيع، مكتبة دار الشعب، القاهرة، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، ص١١؛ انظر: البدري : الإسلام بين العلماء والحكام، دار الشباب، بيروت، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، ص ص٣٦،٣٥.

صلاح الخليفة في نفسه، وهو ما نستشفه من الروايات التاريخية التي عرضت لرؤية العلماء لما يجب أن يكون عليه الخلفاء من صفات وسمات، فقد روي عن الإمام مالك قوله: " إذا لم يكن للإنسان في نفسه خير لم يكن للناس فيه خير"[1]، مشيرا إلى أهمية صلاح الخليفة في نفسه لصلاحه في عمله، وأكد هذا المعنى وزاد في توضيحه سفيان الثوري مشيرا إلى أن الخلفاء هم المعنيون بذلك، وكما أن الفضل لهم في قيادة الأمم إلى مكامن الخير، وسببا لما يصيبها من رخاء واستقامة، فإليهم أيضا يعزي ما يصيبها من نكبات، وما يحدث لها من انحرافات، حيث قال: "صنفان إذا صلحا، صلح الناس، السلطان والقراء"[2]، بل أنه زاد المعنى وضوحا ودلالة وعمقا حينما وجه الخطاب إلى الخليفة المنصور نفسه، مبينا أنه منبع الداء ومكمن الدواء، فخاطب الخليفة قائلا: "إني لأعلم رجلا إن صلح صلحت الأمة ؟! ،وعندما سأله الخليفة، من هو ؟ قال له، أنت"[3]، ودعا عبد الله بن عبد العزيز العمري للرشيد قائلا: "اللهم إصلحه لنفسه ولنا"[4]، لإدراكه أن صلاح الخليفة في نفسه سيؤدي إلى حسن سيرته في رعيته .

كما اشترط العلماء في الخليفة الفقه في الدين، ولين الجانب[5]، وحسن اختيار بطانته وأعوانه[6]، والتنزه والترفع عن صغائر الأمور، وعدم الانسياق مع الشهوات والأهواء[7]، وحسن الاختيار للأمة في جميع شئونها، وكتمان السر والوفاء بالعهد، وغير ذلك، فقد روى سفيان بن

---

(١) ابن وادران: تاريخ العباسيين، ص ٨٥.

(٢) أبو نعيم: حلية الأولياء، جـ٧، ص ٥.

(٣) الموصلي: حسن السلوك الحافظ لدولة المملوك، حققه: فؤاد عبد المنعم أحمد، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، ص ٤٩.

(٤) أبو نعيم الأصفهاني: حلية الأولياء، جـ٨، ص ٣١٦.

(٥) الطرطوشي : سراج الملوك ، نشره : حسين باشا كامل ، القاهرة ، (د . ت) ، ص ٥٠ .

(٦) ابن وادران : تاريخ العباسيين ص ص ١٧١ ، ١٧٢.

(٧) الطرطوشي : سراج الملوك ، ص ص ١١٦، ١١٧ .

عيينية أن عمر بن الخطاب قال: "تفقهوا قبل أن تسودوا"[١]، وقال الشافعي: "ألآت الرياسة خمسة، صدق اللهجة وكتمان السر، والوفاء بالعهد، وابتداء النصيحة، وأداء الأمانة"[٢]، وبيَّن أحد العلماء للمعتصم ما يجب أن يكون عليه الخليفة من العلم وجودة الفهم والإدراك لما يدور حوله، محبا للصدق والعدل وأهلهما، سريع الإنصاف ولو من نفسه، عزيز على الكافرين ذليل على المؤمنين، جيد التصرف بما خوله الله من أموال الأمة[٣].

٤ - رؤية العلماء للخلافة أنها بلاء ومسئولية:

نظر العلماء في العصر العباسي الأول إلى الخلافة على أنها بلاء تصيب من يتصدى لها، لأنها مسئولية عن الأمة كافة، والتفريط فيها تفريط في حق الأمة، وتبديدا لإمكاناتها، ومن ثم عجزها عن تأدية دورها ورسالتها في الحياة ، بوصفها خير أمة أخرجت للناس، وشاهدة على الأمم، وكان العلماء يعتمدون في رؤيتهم هذه على ما كانت عليه تصورات الصحابة والتابعين، بما فيهم الخلفاء الراشدون عن الخلافة .

وقد أراد العلماء أن يفهم معاصروهم من خلفاء بني العباس الخلافة هذا الفهم، لأنهم إن فعلوا ذلك، حينئذ سيأخذونها بحقها، ويقومون بها خير قيام، كما أراد الله لهم، ولذلك فلم يتردد العلماء في بذل ما بوسعهم من جهد لبيان هذا المعنى لخلفاء بني العباس، رغبة منهم في إعادة الأمور إلى نصابها، والعودة بالخلافة إلى معناها الأول، فهاهو الإمام الأوزاعي فقيه أهل الشام، الذي عاش حقبة من العصر الأموي وأخرى في العصر العباسي، ينبه أبا جعفر المنصور بعد أن ولي الخلافة إلى خطورة دوره وعظم المسئولية التي تحمَّلها قائلا: "اعلم يا أمير المؤمنين أنك قد

(١) ابن الجوزي: صفة الصفوة، جـ٢، ص ١٥٨.

(٢) الماوردي: قوانين الوزارة، حققه : فؤاد عبد المنعم أحمد ، محمد سليمان داود، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ط٣، ١٤١١هـ / ١٩٩١م، ص ص ٢٥، ٢٩، الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ١٠، ص ٤٢؛ المبارك: كتاب النصح في الدين ومآرب القاصدين في مواعظ الملوك والسلاطين، ص ص ٨٧، ٨٨ .

(٣) ابن الربيع : سلوك المالك في تدبير الممالك ، ص ١١.

ابتليت بأمر عظيم عرض على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنه واشفقن منه"[1]، وعندما مر أحد جنود العباسيين بمجلس سفيان الثوري وفيه تلاميذه، بَيَّنَ لهم أن هذا الجندي مبتلى لأنه شارك في حمل المسئولية بعمله للخليفة، فقال لهم: "يمر بكم المبتلى والمكفوف والزمنى[2] الذين يؤجرون على بلائهم فتسألون الله لهم العافية، ويمر بكم هؤلاء (يعني جنود العباسيين) فلا تسألون لهم العافية؟!"[3].

وعندما أتى الرشيد الفضيل بن عياض في داره، مستأنسا برأيه مصغيا لنصحه طالبا موعظته، قال له مسترشدا بأحوال الصحابة والتابعين، وبتصوراتهم عن الخلافة: "إن عمر بن عبد العزيز دعا سالم بن عبد الله[4] و محمد بن كعب القرضي[5] و رجاء بن حيوة[6]، فقال

(١) ابن قتيبة: عيون الأخبار، تحقيق: يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، جـ٢، ص ٣٦٧؛ الشيزري : المنهج المسلوك في سياسة الملوك، مخطوط بالمكتبة الغربية بالجامع الكبير، بصنعاء، برقم (٢٨٨٦)، ص ٦١.

(٢) الزمنى : جمع زَمِن، ومنها الزمانة وهي البلاء والأمراض التي لا يرجى شفاؤها والتي تقعد صاحبها عن الحركة والكسب والجهاد، ابن منظور: لسان العرب، جـ٣، ص ١٨٦٧.

(٣) أبو نعيم: حلية الأولياء، جـ٦، ص ٤٢٩.

(٤) سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب: أحد كبار التابعين، من أهل المدينة، كان يتردد على خلفاء بني أمية مبايعا لهم، روى كثيرا من أحاديث أبيه عبد الله بن عمر، عارض سياسة الحجاج في البطش، وكان عونا لعمر بن عبد العزيز على أمر الأمة، توفي سنة (١٠٦هـ / ٧٢٤م)، ابن سعد: الطبقات، جـ٥، ص ٢٠١، ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، جـ٩، ص ص ١٩٠،١٩١.

(٥) محمد بن كعب بن سليم القرظي: من تابعي المدينة، وعبَّادها ومن علمائها بالقرآن، يكنى بأبي حمزة، أسند الحديث عن عدد من الصحابة أمثال زيد بن أرقم وعبد الله بن عباس وأبي هريرة وأنس بن مالك، توفي سنة(١٠٨هـ/٧٢٦م)، ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار، ص ٦٥، أبو نعيم: حلية الأولياء، جـ٣، ص ٢٥٢.

(٦) رجاء بن حيوة الكندي: يكنى بأبي المقدام، أحد كبار تابعي الشام من الطبقة الثانية، ومن المعدودين في الزهد والورع والعلم، مقرب لدى خلفاء بني أمية، وقد مكنه ذلك من العمل لدى سليمان بن عبد الملك لنقل الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز بعدما آنس منه رشدا وظل يشير عليه، توفي سنة (١١٢هـ / ٧٣٠م)، ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ٧، ص٤٥٤، ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار، ص ١١٧.

لهم: "أني قد ابتليت بهذا الأمر (يعني الخلافة) فأشيروا عليَّ، فعد الخلافة بلاء، وعددتها أنت وأصحابك نعمة"[١]، وحثه على القيام بأمر الأمة لأنه مسئول عنها، فقال: "أنت المسئول عن هذه الأمة"[٢].

فنظر العلماء للخلافة على أنها بلاء، وللخلفاء وكل من عاونهم، على أنهم مبتلون، وقد حاولوا مساعدتهم على ما ابتلوا به من خلال الوعظ والنصح، وإعطائهم صورا من حياة السلف الصالح، وكيف تعاملوا مع الخلافة فأخذوها بحقها.

٥ – تزهيد الخلفاء والأمراء في السلطان:

ولأن العلماء نظروا إلى الخلافة والإمارة على أنها بلاء وتبعة، ومسئولية قلّما ينجو منها المبتلون بها، فقد حذروا الناس من أن يَغرَّهم بريقها، فتزيغ أبصارهم، ومن ثم قلوبهم فيتدافعون ويتنافسون ويتصارعون عليها، وكانوا في ذلك يعطون لمحات من حياة الخلفاء والأمراء من قبلهم الذين تحملوا مسئولية الأمة، والذين أن نجا أحدهم فلم ينج إلا كفافا.

لذلك فقد زَهِد العلماء في الخلافة، وزهَّدوا فيها الناس، وبيَّنوا أن الزهد الحقيقي هو في الامتناع عنها، لما فيها من الجاه والسلطان والمنعة والقدرة واللذات والمتاع، وهي أمور تستهويها النفوس وترغب فيها، فكانوا يرون أن الزاهدين فيها قليلون، وأن الزاهد فيها هو الزاهد الحقيقي، فيروى عن سفيان الثوري أنه قال: "ما رأيت الزهد في شيء أقل منه في الرياسة، ترى الرجل يزهد في المطعم والمشرب والمال والثياب، فإن نوزع الرئاسة حامى عليها وعادى"[٣]، وقال

---

(١) ابن الجوزي، صفة الصفوة، جـ٢، ص ص ١٦١،١٦٢.

(٢) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٣٢٧.

(٣) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٧ ، ص ٢٦٢ ، ابن أبي الدنيا : كتاب العزلة والإنفراد ، مخطوط في معهد المخطوطات العربية ، القاهرة ، برقم ميكروفيلم(٣٨٧) ، تصوف ، ص ٥٨.

يوسف بن أسباط [1]: "الزهد في الرياسة أشد من الزهد في الدنيا"[2]، لأنهم عدوها متاع زائل شأن كل ما في الدنيا، وقد عبر عن ذلك عمرو بن عبيد حينما لمس نهَم المنصور للسلطان وحرصه عليه وتمسكه به، فقال له: "إن هذا الأمر الذي أصبح في يدك لو بقي في يد غيرك لم يصل إليك"[3]، وألمح له الأوزاعي إلى أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قد منع "العباس بن عبد المطلب، جد المنصور، من الإمارة لما فيها من التبعات إشفاقا عليه، فقال: "يا أمير المؤمنين إن جدك العباس سأل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إمارة مكة والطائف[4]، واليمن فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "يا عباس، يا عم النبي، نفس تحييها خير لك من إمارة تحصيها"[5]، وقد كرر العلماء هذا الحديث المزهّد في السلطان للخلفاء بعد المنصور، لئلا يغتروا بما هم فيه من بهرج السلطان، فيلهيهم عما خلقوا له، وما تحملوه من أوزار إلى أوزارهم، فوعظ به الفضيل بن عياض الرشيد عندما أتاه لسماع الموعظة، فروى أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)حذَّر من

(١) يوسف بن أسباط ، يكنى بأبـي يعقوب ، أحد كبـار تابعي التابعيـن بالشـام ، ومن العلماء المعدودين وإن كان أصله من العراق ، إلا أنه استقر في ثغور الشام مرابطـا ومجاهدا ، وهو إلى جانب ذلـك مـن العبـاد الزهاد ، عرف بذلك بين معاصريه فكان يقول : لي أربعون سنة ما ملكت قميصين ،ولم يكتف بذلك بل كـان يدعو الناس عن الزهد خصوصا في الرياسة ، أثنى عليه معاصروه ، توفي سنة (١٩٥هـ / ٨١١م) ، ابـن حبان: مشاهير علماء الأمصار ، ص ص ١٨٦، ١٨٧ ، أبو نعيم : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، جـ ٨ ، ص ص ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ابن الجوزي : صفة الصفوة ، جـ ٤ ، ص ص ٢١٩ ، ٢٢٠، ٢٢٢.

(٢) أبو نعيم : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، جـ ٨ ، ص ص ٢٦١ ، ابن الجوزي: صفة الصفوة، جـ ٤، ص ٢٢٠.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم، جـ٨، ص ص ٥٨، ٦١.

(٤) الطـائف بـلاد ثقيـف إلى الجنـوب من مكـة ، بينهـا وبيـن مكـة اثنـا عشـر فرسخـا وفيـها جبـال مرتفعـة ، ذات مـزارع ونخيل وعنب وفواكـه مختلفـة، وميـاه وفيـرة ، وأكثـر أهـل الطـائف ثقيـف وحميـَر وقوم من قريـش، وهي على ظهر جبل غزوان ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ١٠.

(٥) رواه أبو نعيم : في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، جـ٦، ص ١٣٨ ، ألشيزري : المنهج المسلوك فـي سياسة الملوك ، ص ص ٦١ ، ٦٢ .

السعي في طلب الإمارة بقوله:"إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة، فإن استطعت أن لا تكون أميرا فافعل"[١]، بل إن ابن السماك رآها لا تساوي شربة ماء، وأنها لا تستحق المنافسة[٢].

ولم يقتصر تزهيد العلماء في السلطان على الخلفاء، بل تعدى ذلك إلى الولاة والعمال وإلى كافة الناس، فنهوا عن طلب الإمارة، وغيرها من أعمال الدولة، لأن من طلبها لم يعن عليها، وإنما توكل إليه[٣]، بل إنه قد لا ينالها، ويؤكد ذلك تيار كثيف من الروايات التاريخية، فكان الشافعي يقول: "من طلب الرياسة فرت منه"[٤]، وقال: يحيى بن معاذ[٥]: "لا يفلح من شمتَّ منه رائحة الرياسة"[٦].

ومع ذلك فالعلماء لم يزهِّدوا الناس في السلطان في ذاته، وإنما لما قد يترتب عليه من المفاسد الناشئة عن القهر والظلم، والإلتهاء باللذات، وهي كما يقول ابن خلدون[٧]، من توابع الملك والسلطان.

---

(١) رواه البيهقي: في سننه، كتاب القضاء، باب كراهة الولاية جملة، حديث رقم ٥٩٢٧، جـ٣، ص ٤٦٣.

(٢) دخل ابن السماك ذات مرة على هارون الرشيد وبيده شربة ماء يريد أن يشربها، فقال له ابن السماك ماذا يـا أمير المؤمنين لو منعت هذه الشربة؟ أكنت تفتديها بنصف ملكك؟ فقال نعم، قال: ابن السماك "فماذا لو منعـت إخراجها أكنت تفتديها بملكك؟ قال نعم، فقال: فما قيمة ملكٍ لا يساوي شربة ماء وإخراجها؟، الخطيب: تـاريخ بغداد، جـ٥، ص ٣٧٢.

(٣) أبو نعيم: حلية الأولياء، جـ٨، ص ٤٣٤، جـ٩، ص ١٩؛ التبريزي: كتاب النصيحة للراعي والرعية، ص ص ١٧،١٨؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ١٢، ص ٩٤.

(٤) ابن الجوزي: صفة الصفوة، جـ٢، ص ١٦٧؛ الرقي: إحاسن المحاسن، تحقيق محمد علوي المالكي، مطبعة دار التأليف، القاهرة، ط١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م، ص ١٦٧؛ ابن حجر: سيرة الإمامين الليثي والـشافعي، ص ١٦٨؛ مرعي بن يوسف: تنوير بصائر المقلدين، ص ٦٩.

(٥) يحيى بن معاذ الرازي: يكنى بأبي زكريا، ويعرف بالواعظ، من تابعي التابعين بنيسابور، انتقل إليهـا مـن الريّ، ثم قدم بغداد، له كثير من الحكم والمواعظ، توفي بنيسابور سنة (٢٥٨هـ / ٨٧٢م) ، الخطيب: تـاريخ بغداد، جـ١٤، ص ص ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٢.

(٦) أبو نعيم: حلية الأولياء، جـ١٠، ص ٥٥؛ ابن الجوزي: صفة الصفوة، جـ٤، ص ٨٦.

(٧) مقدمة ابن خلدون: ص ١٩٢.

وهكذا فإن ما شهده العلماء من تكالب وتناحر، وإراقة لدماء المسلمين بين بني العباس وبني أمية، وبين الدولة والخارجين عليها من آل البيت، قد دفعهم إلى تزهيد الناس في السلطان والإمارة.

٦- نظرة العلماء إلى ما يعانونه من إقلال مقابل ما فيه الخلفاء والأمراء من سعة الحال:

كان العلماء في العصر العباسي الأول ينظرون ببصائرهم إلى أبعد مما تدركه أبصارهم من متاع الحياة وملذاتها وبهرجها وزينتها، فلم ينظروا بعين الحسرة إلى ما فاتهم منها، أو إلى ما فيه السلطان من رغد العيش، وأنيق الملبس والمطعم والمسكن، والمركب، بل على العكس من ذلك، فقد كانوا – إلا قليل – ينظرون بإشفاق إلى أولئك المنهمكين في تحصيل هذا المتاع الزائل – خصوصا إذا ما انطوى ذلك على الظلم والقهر والغصب – المنكبين على الاستمتاع به، وليس معنى ذلك أنهم اتخذوا في حياتهم خطا انعزاليا رهبانيا، فتركوا الحياة، أو حتى ارتأوا أن المسلم ينبغي أن لا ينال من الدنيا إلا ما يقيم أوده، فيعيش على هامش الحياة، بل على العكس من ذلك، فهم يرون أن الله سبحانه وتعالى أراد للمسلم أن يعيش سيدا على الأرض، لا أن يعيش مسودا، فاعلا للأشياء، لا منفعلا بها، مؤثرا فيها، لا في وضعية المتأثر المستكين الخانع، لأنه خليفة الله في الأرض، وشاهده على الأمم، أراد له أن يكون مستعل بدينه، فعمل كثير من هؤلاء العلماء في عدة أنشطة اقتصادية كان أهمها التجارة، ليستكفوا عما في أيدي الخلفاء والأمراء حتى لا يضطروا لاستجداء الخلفاء والأمراء، فيفقدوا عند ذلك دورهم ومهمتهم في تقويم أي انحراف في حياة الخلفاء والأمراء، فقد كان سفيان الثوري يدعو الناس إلى الاستغناء عما في أيدي السلطان، متمثلا قول الشاعر:

فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما   استغنى الملوك بدنياهم عن الدين[١]

---

(١) أبو نعيم: حلية الأولياء، جـ ٦، ص ٤١٦.

ولذلك، فلم يكن يفرّق في تعامله بين السلطان، وغيره، أو بين الأغنياء والفقراء، يقول محمد بن عبد الوهاب [١]: "ما رأيت الأمير والغني أذل منه في مجلس سفيان"[٢]. ولم يميز حمزة ابن حبيب[٣]، بين أبناء الأمراء والخلفاء وغيرهم لدى تعليمهم القرآن، وعندما عوتب في ذلك قال: "ما ذاك لهم عندي، فليرسلوا مواليهم ليأخذوا لهم موضعها"[٤].

وكان الفضيل بن عياض يرى ما فيه العلماء من إقلال مقابل ما فيه الخلفاء والأمراء من سعة هو من إيثار الله العلماء على من سواهم، فقال: "ألا ترى كيف يزوي الله الدنيا عمن يحب من خلقه، يمررها عليه مرة بالجوع ومرة بالعري ومرة بالحاجة كما تصنع الأم الشفيقة بولدها، تفطمه بالصَّبر مرة ومرة بالحضض، وإنما يريد بذلك ما هو خير له"[٥]، بل أنهم كانوا يشفقون على ذوي السلطان لأنهم سيغادرون ما هم فيه من نعيم زائل إلى من يحاسبهم على ما اجترحوا وخالفوا فيه، فروي عن مالك أنه قال: "يا حسرة على الملوك، لا هم تركوا في نعيم دنياهم، وماتوا

---

(١) محمد بن عبد الوهاب القنـاد السكري : يكنى بأبي يحيى ، أحد تابعي التابعين بالكوفة ، أصله من أصبهان ، وهو من موالي بني قيـس بن ثعلبـة من غطفان ، روى عن سفيان الثوري ومسعر بن كدام وأبي حنيفـة ووهيب بن الورد المكي ، توفي سنة (٢١٢هـ / ٨٢٧م)، المزي : تهذيب الكمـال فـي أسـماء الرجـال ، جـ٢٦، ص ص ٣٤،٣٦.

(٢) أبو نعيم : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، جـ٦، ص ٤٠٣ ، الذهبي : سير أعلام النـبلاء ، جـ٧، ص ٢٧٥.

(٣) حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل التميمي الزيات: يكني بأبي عمارة من علماء الكوفة، غلبـت عليـه القراءة، فكان شيخ القراء، ومع ذلك كان يتكسب من عمله بتجارة الزيت والجبن والجوز، فكان يجلب الزيـت من الكوفة إلى حلوان، ثم يجلب منها الجبن والجوز، توفي سنة (١٥٦هـ / ٧٧٣م)، الـذهبي: سـير أعـلام النبلاء، جـ٧، ص ص ٩٠، ٩٢.

(٤) الخازني: أحسان الأخبار في محاسن السبعة الأخيار، أئمة الأمصار، مخطوط بدار الكتب المـصرية، رقـم ٢٩٤٧، ميكروفيلم (١٠٩١٦)، تاريخ، ص ٣٧.

(٥) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، جـ٣، ص ١٥٤.

قبل أن يموتوا حزنا على ما خلفوا وجزعا مما استقبلوا"[1]. وقال إبراهيم بن أدهم: "طلب الملوك الراحة فأخطئوا الطريق"[2].

فالعلماء لم ينظروا إلى ما في أيدي السلطان بالغبطة والرغبة، وإنما بالشفقة، لأن ما في أيديهم متاع يزول وتبقى تبعاته، وأن الله آثر العلماء بما هو خير وأبقى.

٧ – استشعار العلماء لواجبهم في النصح للأئمة:

كان العلماء في العصر العباسي الأول يحملون على كواهلهم هموم الأمة، وهم يعتقدون أنه لن يفت في عضدها شيء كما أكثر من المنكرات والمخالفات، خصوصا تلك التي يأتيها المتقلدون لأمرها، الآخذين بأزمتها، لأهمية الدور الذي يقومون به، فهم إن فسدوا، كانوا أخطر عليها من أعدائها.

ولأن العلماء مصابيح الهداية للأمة ومرجعيتها، والمسئولون عن إعادة التوازن المختل في حياتها إلى وضعه الطبيعي، ولأن الخلفاء مهما كانوا على تقوى وورع، ومهما تحروا الحق والإنصاف، فأنهم لا يستطيعون بمفردهم القيام بشئون الدولة[3]، فإن مشاغلها ينسي بعضه بعضا، ولذلك فهم بحاجة إلى الأعوان، وكيفما كان هؤلاء الأعوان كانت أحوال الخليفة والخلافة، فيروى عن سفيان الثوري قوله: "خير الملوك من جالس أهل العلم"[4]، ولأن الله تعالى قد أشار إلى ذلك في كتابه العزيز في قوله تعالى: "شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وألوا العلم قائما بالقسط"[5]،

---

(١) المصدر نفسه: ص ١٥٣.

(٢) أبو نعيم: حلية الأولياء، جـ٨، ص ٢٩.

(٣) الطرطوشي: سراج الملوك، ص ٦.

(٤) الصفي الميموني: التبر المسبوك في صفات الملوك، مخطوط بمكتبة الأوقاف بالجامع الكبير، صنعاء، اليمن، برقم ٢٢٣٣، ص ٦٧.

(٥) آل عمران: الآية ١٨.

كما روى الشافعي عن الحسن البصري[١]، أن النبي (صلى الله عليه وسلم)، كان يستشير أصحابه، وهو غني عن المشاورة، ليستن بذلك الحكام بعده[٢].

لم يكتف العلماء بانتظار المبادرة من الخلفاء والأمراء إلى طلب معونتهم، أو مواعظهم وتوجيهاتهم، لأنهم يعلمون أن من حقهم وواجبهم القيام بهذه الأدوار، التي هي ميراث الأنبياء للعلماء، ولأنهم يدركون خطورة هذه الأدوار وما تتبعه من مسئولية تجاه الأمة فقد قاموا بواجبهم في هذا السبيل غير مبالين، أكان ما يقدمونه من نصح ووعظ يسخِط السلطان عنهم أم يرضيه، غير هيابين لما قد يصيبهم من بطش بني العباس إبان سطوتهم، فهم يعلمون أنهم معنيون أكثر من غيرهم بالنصح للأئمة في قوله (صلى الله عليه وسلم): "الدين النصيحة"[٣]، وأن النصيحة أكثر لزوما على العلماء للخلفاء والأمراء، فكان الأوزاعي لا يصحب واليا، ولا أميرا إلاعلى شروط عمر بن عبد العزيز [٤]، وهو أن يصغي الوالي لنصحه، ويلزم به نفسه، وعندما لام الثوري عبَّاد ابن كثير لقدومه على المنصور، وعرضه عليه معاونة العلماء له إذا صدق في إصلاح مااختل في سياسته، قال عباد: "والله ما أردت إلا النصيحة للمسلمين"[٥]، بل أن الثوري نفسه في موضع

---

(١) الحسن بن أبي الحسن (يسار) من الموالي ، وأحد كبار التابعين المعروفين ، وعالم البصرة ومفتيها ، ولـد سنة (٢٢هـ / ٦٤٣م) ، رفض العمل لبني أمية وكان يكتفي بوعظهم ووعظ عمالهم ، توفي سنة (١١٠هـ / ٧٢٨م)، ابن حبان : مشاهير علماء الأمصار ، ص ٨٨ ، ابن الجوزي : صفة الـصفوة ، جـ ٣ ، ص ص ١٥٥، ١٥٧ .

(٢) قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، رواه البخـاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب قول النبي (صلى الله عليه وسلم)، الدين النصيحة، حديث رقم ٥٦ ، تحقيـق مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير، اليمامة ، ط٣ ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، جـ ١، ص ٣٠.

(٣) الشافعي: الأم، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، جـ٥، ص ٤٠٧؛ الموصـلي: حـسن السلوك الحافظ لدولة الملوك، ص ٥٧.

(٤) عبد العزيز سيد الأهل: الإمام الأوزاعي فقيه أهل الشام، ص ١٥٠.

(٥) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، جـ٣٨، ص ٢٢٢.

آخر طلب من أحد أقرانه [١] "أن يدخل معه على المنصور فيأمرانه بالحق وينهانه عن الباطل، لعل ذلك يصلحه فينتفع بذلك المسلمون"[٢]، وكان ابن زنجويه[٣] يدعو الناس إلى نصح الخلفاء وتقويم اعوجاجهم[٤]، وخصص في كتابه الأموال بابا لبيان ما يجب على الإمام من النصيحة لرعيته وعلى الرعية لإمامهم، وأن هؤلاء تزيد مراتبهم على مراتب القوام والصوام في الآخرة.

٨- تأكيد العلماء على أهمية صلاح الخلفاء لصلاح الأمة:

إذا كنّا قد لاحظنا في السياق السابق كيف نظر العلماء إلى السلطان، وكيف بَيَّنوا أهميته لحياة الأمة، فإن هؤلاء العلماء قد نظروا إلى السلطان على أنه بما أعطاه الله من سلطان وتمكين، في الأرض وفي نفوس رعيته، إما أن يكون عادلا، فيكون سببا في صلاح رعيته، وفي استدرار الخير عليهم، وإشاعة الطمأنينة فيما بينهم، وإما أن يكون جائرا غاشما مفرِّطا، فيما تولى من أمانة الأمة، فيؤدي ذلك، إلى استشراء الفساد بين رعيته وقبل ذلك بين ولاته وعماله.

---

(١) سليمان الخواص: يكنى بأبي أيوب من عبَّاد أهل الشام، فقد كان أكثر مقامه ببيت المقدس، عـرف بالزهـد، وشدة الورع وكان ذلك محل ثناء أقرانه عليه، وكان له منهج في الوعظ يتسم بالرفق ومراعاة نفسيات الناس، فكان يقول من نصح أخاه سرا فقد زانه، ومن نصحه علنا فقد شانه، غلبت عليه العبادة، ابن الجوزي: صـفة الصفوة، جـ٤، ص ص ٢٢٨،٢٢٩؛ ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق لابن عـساكر، جـ١٠، ص ص ١٩٤،١٩٦.

(٢) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، جـ٢، ص ص ١٩٣،١٩٤.

(٣) ابن زنجويه: اسمه حميد الأزدي النسائي، يكنى بأبي أحمد، من الطبقة الثامنة من تـابعي التـابعين، وأحـد العلماء، تلقى العلم عمن سبقه من العلماء أمثال النضر بن شميل ويزيد بن هارون، وحدث عنه كبـار علمـاء الحديث أمثال النسائي وأبو داود، له مصنفات عدة، لعل أهمها وأشهرها كتاب الأمـوال، وكتـاب الترغيـب والترهيب، أثنى عليه معاصروه وعدوه من كبار الأئمة، توفي سنة (٢٥١هـ / ٨٦٥م)، الـذهبي: تـذكرة الحفاظ، جـ٢، ص ص ٥٥٠،٥٥١.

(٤) ابن زنجويه: الأموال، حققه شاكر ذيب فياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الريـاض، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، جـ١، ص ٦١.

لذلك فقد رأى العلماء أهمية صلاح الخليفة لصلاح الرعية، وبَّينوا ذلك للخلفاء ليدرك الخلفاء أهمية الأدوار التي يقومون بها، فقال سفيان الثوري للمنصور "إني لأعلم رجلا إن صلح صلحت الأمة " ؟! وعندما سأله المنصور من هو ؟! قال: "أنت"[١]، وكان يقول "صنفان إذا صلحا صلح الناس، السلطان والعلماء"[٢]، وأكد ذلك عدد من العلماء أمثال عبد الله بن المبارك[٣]، وشقيق البلخي[٤]، وعندما سأل الرشيد الليث بن سعد عما يصلح ولايته مصر، حدده : بإجراء النيل، وإصلاح أميرها، قائلا: "ومن رأس العين يأتي الكدر، فإذا صفت العين صفت السواقي"[٥]، بل إن حماد بن سلمة رأى أن الأرض تتزين في أعين الناس إذا كان عليهم إمام عادل، وأنها لتزكوا في زمن الإمام العادل مالا تزكو في زمن الإمام الجائر[٦]، وكان الفضيل بن عياض يقول: "لو أن لي دعوة مستجابة ما صيرتها إلا في الإمام فصلاح الإمام صلاح العباد"[٧].

٩- مكانة الخلفاء لدى العلماء:

كان العلماء ينظرون باهتمام إلى الخلفاء ويدركون أهمية الدور الذي يقومون به في حياة الأمة، فقد حاز الخلفاء مكانة كبيرة في نفوس العلماء، ليس ذلك وحسب بل عمل العلماء من خلال

---

(١) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، جـ٣٨، ص ٢٢٣.

(٢)ابن الجوزي:الشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء،تحقيق فؤاد عبدالمنعم،دارالحرمين،قطر،١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص٣.

(٣) قال عبد الله بن المبارك: "صنفان إذا صلحا صلح الناس، وإذا فسدا فسد الناس، قيل من هم؟ قال: الملوك والعلماء"، وهو القائل: "وهل أفسد الدين إلا الملوك... وأحبار سوء ورهبانها"، ابن قيم الجوزية: أعلام الموقعين عن رب العالمين، جـ١، ص ص ١٠، ١١.

(٤) قال شقيق البلخي لهارون الرشيد: "إن مثلك مثل عين الماء ومثل العمال في العالم كمثل السواقي، فإن صفت العين صفت السواقي"، المبارك : أدب السياسة بالعدل، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، القاهرة، برقم ميكروفيلم (١)، ص ١٠٢.

(٥) الذهبي : سير أعلام النبلاء، جـ٨ ، ص ١٥٨.

(٦) التبريزي : كتاب النصيحة للراعي والرعية ، ص ٧.

(٧) أبو نعيم: حلية الأولياء، جـ٨، ص ٩٤.

المواعظ والخطب وحلق العلم والمصنفات التي أخرجوها، على تعميق مكانة الخلفاء في نفوس الناس، وحثهم على توقيرهم واحترامهم فروى ابن لهيعة عن معاذ بن جبل[1] أن النبي (صلى الله عليه وسلم) عهد إلينا في خمس من فعل منهن واحدة كان ضامنا على الله – ذكر منها – من دخل على إمامه يريد تعزيزه وتوقيره[2]، وأوصى أبو حنيفة تلميذه أبا يوسف بتوقير السلطان، وتعظيم منزلته[3]، ونهى ابن المبارك عن الاستخفاف بالسلطان، وعده من دواعي الشقاء[4]، وكان الإمام أحمد بن حنبل يدعو المعتصم بأمير المؤمنين بالرغم مما لاقاه على يده من تعذيب وعنت[5].

١٠ – رأي العلماء في طاعة الخلفاء والأمراء:

ينبغي قبل الخوض في تقصي أراء العلماء في العصر العباسي الأول حول طاعة الخلفاء والأمراء، ومدى التزامهم لاجتهاداتهم النظرية، في هذا الأمر، وقبل ذلك لما ورد في الكتاب والسنة، في تحديد العلاقة بين الخلفاء والأمراء من جهة وبينهم وبين رعيتهم من جهة أخرى بما فيهم العلماء.

---

(١) معاذ بن جبل بن عمرو الأنصاري، يكنى بأبي عبد الرحمن، أحد كبار الصحابة، ورسول الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى اليمن، وبها بنا جامع الجند، توفي بالطاعون في الأردن سنة (١٨هـ / ١١١م) ، ابن حبـان: مشاهير علماء الأمصار، ص ٥٠.

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير، حديث رقم ٥٤، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكـم، الموصل، ط٢، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م، جـ٢٠، ص ٣٧؛ بدل التبريزي: كتاب النصيحة للراعـي والرعيـة، ص٤٨.

(٣) محمد بن زاهد الكوثري: حسن التقاضي في سير الإمام أبـي يوسـف القاضـي، دار الأنـوار، القـاهرة، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م، ص ٧٧.

(٤) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، جـ ٣٨ ، ص ٣٥٠ ، التبريزي : كتاب النصيحة للراعـي والرعيـة ، ص٤٩.

(٥) أبو يعلى: الأحكام السلطانية، ص ٢٠.

وإذا كانت الإمامة واجبة، وتنصيب الإمام ملزم لبقاء الأمة، والحفاظ على قوام الدين، فإن طاعة الأئمة تكون واجبة، فطاعتهم فرع وجودهم، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، قال تعالى: "يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وألي الأمر منكم"[1]، فأصبحت طاعة الأمراء واجبة بنص القرآن الكريم.

وقد اختلف الصحابة والتابعين، في تأويل "أولي الأمر"، فذهب فريق منهم، أمثال ابن عباس[2]، وأحمد بن حنبل إلى أنَّ المقصود بأولي الأمر في الآية الأئمة[3]، وذهب الفريق الآخر وهم جابر بن عبد الله[4]، والحسن البصري، و عطاء بن أبي رباح[5]، إلى أن المعني في الآية هم العلماء[6].

والذي نرجحه أن المقصود بأولي الأمر في الآية هم الخلفاء والأمراء، لأن الأمر في الآية هو الإمارة والسلطان، وأولي الأمر هم الأمراء، ففرضَ الله على الناس طاعة أولي الأمر المتأمِّرون عليهم[7]، ويؤكد هذا المذهب أبو هريرة [8]، حيث يقول: "لما نزلت هذه الآية أمرنا

---

(١) النساء: الآية ٥٩.

(٢) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب: يكنّى بأبي عباس، ولد قبل الهجرة بأربع سنين، أحد كبار الصحابة، فقد كان يصحب النبي – صلى الله عليه وسلم – ويقتفي أثره، وقد روى لذلك كثير من حديثه، توفي سنة (٦٨هـ / ٦٨٨م) ، ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار، ص ٩.

(٣) الماوردي: الأحكام السلطانية، ص ٩٤؛ ابن قيم الجوزية: أعلام الموقعين عن رب العالمين، جـ١، ص ١٠.

(٤) جابر بن عبد الله بن عمرو من بني جشم: من الخزرج، أحد كبار الصحابة، فقد شهد العقبتين مع أبيه، وشهد بدر وغيرها من المشاهد، روى عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) توفي بالمدينة بعد أن عمي، سنة(٧٨هـ / ٦٩٧م) ، ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار، ص ١١.

(٥) عطاء بن أبي رباح: واسم أبي رباح (أسلم)، من الموالي بالجند، (أحد مخاليف اليمن)، نشأ بمكة، وهو من الطبقة الثانية من التابعين، وفقيه مكة، فكان من أعلم الناس بالمناسك، وبالبيوع، انتهت إليه فتوى أهل مكة، وتوفي بها سنة(١١٥هـ / ٧٣٣م)، ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ٥، ص ص ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٧٠.

(٦) الماوردي: الأحكام السلطانية، ص ٩٤.

(٧) المصدر نفسه ، ص ١٦.

(٨) أبو هريرة عبد الرحمن بن عامر بن عبد ذي الشَّرى بن طريف بن عتاب بن أبي صعب بن منبه بن سعد بن ثعلبه بن سليم بن فهم الدوسي: كان اسمه عبد شمس في الجاهلية، فسماه النبي (صلى الله عليه وسلم) عبد

بطاعة الأئمة"[1]، وهو الصحابي الشاهد للأحداث التي كانت سببا للنزول، ويزيد من تأكيد ذلك ما رواه مالك بن أنس من حديث عبادة بن الصامت حيث قال: "بايعنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره، وأن لا ننازع الأمر أهله"[2]، وقد أراد بالأمر هنا السلطان .

كما حَفِلت المصادر التاريخية والفقهية بالكثير من الآثار الدالة على وجوب طاعة الأئمة، من السنة النبوية، وكان يزيد من دلالة هذه الآثار في نفوس الناس رواية كبار العلماء لها، في حِلَق العلم، وغيرها من مقامات الحديث، فحدَّث عبد الرازق أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصا الله، ومن أطاع الأمير فقد أطاعني، ومن عصا الأمير فقد عصاني"[3].

وروى أحمد بن حنبل أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: "اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة"[4]، وحذَّر النبي (صلى الله عليه وسلم) من عصيان الإمام، ومفارقة الجماعة، لأن ذلك قد يفضي إلى المروق من الدين حيث قال: (صلى الله عليه

=الرحمن، وأما أبو هريرة ، فلأنه وجد هـرة فحملها في كمه ، فقيل له أبا هريرة، من كبار الصحابة ومن أكثرهم رواية لحديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وحفظا له لملازمته له ، توفي سنة (٥٧ هـ / ٦٧٧م) ، بالمدينة ، ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ، جـ٧ ، ص ص ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥.

(١) ابن عبد ربه: العقد الفريد، جـ١، ص ١١.

(٢) التبريزي: كتاب النصيحة للراعي والرعية، ص ٢٩.

(٣) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الطاعة للإمام ، باب يقاتل من وراء الإمام ويتقى به ، حديث رقم (٢٧٩٧) ، جـ ٣ ، ص ١٠٨٠ ، التبريزي : كتاب النصيحة للراعي والرعية، ص ٣٧.

(٤) رواه البخاري في صحيحه: كتاب الأحكام، باب الطاعة للإمام ما لم تكن معصية، حديث رقم (٦٧٢٣)، جـ٦، ص ٢٦١٢ ، ورواه مسلم في صحيحه: كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين، حديث رقم (١٨٥١١)، جـ٣، ص ١٤٧٨.

وسلم) "من خلع يدأ من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية"[1].

وقد أتى رأي العلماء في طاعة الخلفاء منسجما مع التوجيهات القرآنية والنبوية، الحاضة على طاعة أولي الأمر، ولم يلتزموا بهذه التوجيهات في أنفسهم فحسب، بل دعوا إليها كافة أفراد الأمة، لما رأوا فيها من اجتماع الكلمة ومساعدة الأئمة على القيام بدورهم دون عوائق، ولما يترتب على العصيان والخروج على السلطان من فتن واضطرابات، فقد عدَّ الأوزاعي طاعة الأئمة ولزوم الجماعة من علامات السير على هدي الصحابة والتابعين[2]، وكان الليث بن سعد يدعو الناس إلى طاعة الأمراء حتى لو لم يوافق ذلك أهواءهم ورغباتهم[3]، ولم يفرّق الشافعي بين طاعة الأئمـة وبين الفرائـض الدينيـة الأخـرى، فقـال: " وطاعتهـم مفترضـة "[4]، وعندمـا خـرج زيد بن موسـى[5]، العلـوي علـى المـأمون بالبصـرة، لامـه أخـوه علي الرضا [6] ، على ذلك وبيَّن له لزوم الطاعة للإمام، وتبعات العصيان والشقاق، قائلا: "ويلك يا

(١) ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب الإمام جنَّة يقاتل به ومن ورائه ويتقى به، حديث رقم (١٨٤٩)، جـ٣، ص ١٤٧٨؛ ابن زنجويه: كتاب الأموال، جـ١، ص ص ٨٣،٨٢.

(٢) الذهبي: تذكرة الحفاظ، جـ١، ص ١٧٠.

(٣) ابن زنجويه: كتاب الأموال، جـ١، ص ٧١.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ١٠، ص ٩٤؛ جوستاف جرونيباوم: حضارة الإسلام، ترجمه عبـد العزيـز توفيق جاويد وعبد الحميد العبادي، مكتبة مصر بالفجالة، القاهرة، (د.ت)، ص ص ١٩٦،١٩٥.

(٥) زيد بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، خـرج على المأمون سنة (٢٠٠هـ / ٨١٦م)، فأمكن منه المأمون، وأرسله إلى أخيه علي الرضا، فأنبه على الخروج وشق عصا الطاعة وتفريق كلمة المسلمين وإراقة دمائهم، الطبري: تاريخ الأمم والملـوك، جـ٥، ص ص ١٢٦، ١٣٢؛ المناوي: فيض القدير، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ط١، ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م، جـ٢، ص٤٦٢.

(٦) علي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين الهاشمي العلوي: ولد بالمدينـة سنة (١٤٨هـ/٧٦٥م)، روى عن أبيه وأعمامه وسواهم من التابعين، وكان جليل المكانة بين علماء عصره، =

زيد، فعلت بالمسلمين بالبصرة ما فعلت وتزعم أنك ابن فاطمة بنت رسول الله، والله لأشد الناس عليك رسول الله يا زيد ينبغي لمن أخذ برسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن يعطى به[١]في إشارة إلى وجوب إعطاء الطاعة للإمام امتثالا لما أوجبه الله لأئمة المسلمين على الخاصة والعامة.

استمر هذا النهج لدى العلماء على مختلف طبقاتهم ومذاهبهم، في التعامل مع الخلفاء، وكانوا يفرقون بين ما يلقونه من أذى على أيدي بعض هؤلاء الخلفاء، وبين ما هو منوط بهم من تبيين أصول الدين وفروعه، بعد أن أشبعوها بإجتهاداتهم، بما يوافق الزمان والمكان، فهذا أحمد ابن حنبل يدعو الناس إلى طاعة الأئمة بالرغم مما ناله على أيديهم من أذى، فكان يقول: "السمع والطاعة للأئمة" وأن الغزو ماضٍ مع الأمراء البر والفاجر، وأجاز الصلاة خلفهم مهما كانوا، وأن من خالف ذلك فهو مبتدع، تارك للآثار مخالف للسلف[٢]، وعندما اجتمع فقهاء بغداد إليه للخروج على الواثق، لاشتداده في امتحان الناس في القرآن، فقالوا: "إنا لسنا نرضى بإمرته ولا سلطانه"[٣]، نهاهم عن ذلك قائلا: "عليكم بالنكرة بقلوبكم، ولا تخلعوا يدا من طاعة، ولا تشقوا عصا المسلمين"[٤].

أ- حدود طاعة السلطان:

بالرغم من إجماع العلماء على وجوب طاعة الأئمة، وحثهم الناس على ذلك وعظا وتأليفا، إلا أنهم، وضعوا لها شروطا وحدودا تنتهي عندها، هذه الحدود تتفق مع مدلول الإمامة ذاتها،

= وكان ذا دين وعلم، فقد افتى في صغره أيام مالك بن أنس، استدعاه المأمون إليه في خراسان، فزوجه ابنته، وعهد إليه بولاية العهد بعده، إلا أن المنية وافته قبل إتمام ذلك حيث توفي سنة (٢٠٢هـ / ٨١٨م)، فضلا عن معارضة بني العباس لولايته ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ٩، ص ص ٣٨٧، ٣٨٨.

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ٣، ص ٢٧١.

(٢) ابن الجوزي : مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ص ١٧٥.

(٣) أبو يعلي : الأحكام السلطانية ، ص ٢١.

(٤) المصدر نفسه.

ومعناها والغاية منها والتي لا تعدو إعزاز الدين وحكم الدنيا به، فمتى ما التزم الأئمة بها، وجبت طاعتهم في أعناق الرعية، وهو ما يمكن تسميته بالعقد الاجتماعي الذي حدده الإسلام، قبل ظهور النظريات السياسية الحديثة بمئات السنين، فالنبي (صلى الله عليه وسلم) حينما أمر الناس بطاعة الأمراء المتولين عليهم، لم يطلق هذه الطاعة، وإنما حددها بمدى التزام هؤلاء الأمراء بطاعة الله في الناس، وما داموا لا يحملونهم على معصية الله بما خولهم من سلطانه تبارك وتعالى حيث قال: (صلى الله عليه وسلم) "الطاعة حق ما لم يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة"[1]، وفي رواية أخرى: "من أمركم منهم بمعصية فلا تطيعوه"[2].

وعندما ولي أبو بكر الصديق أمرَ المسلمين بيَّن لهم شروط الطاعة، له ولغيره ممن سيأتون من بعده من الأمراء، في الخطبة التي استهل بها خلافته، فقال فيما قال: "يا أيها الناس إنما أنا متبع ولست مبتدعا، فإن أحسنت فأعينوني، وإن زغت فقوموني"[3].

اتبع الخلفاء الراشدون بعد أبي بكر هذا المنهج في التعامل مع رعيتهم ومع عمالهم، فهذا عمر بن الخطاب ينبه أحد عماله[4] إلى هذا المعنى قائلا: "إن الأعمال مؤداة إلى الأمير ما أدى

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب الطاعة للإمام، حـديث رقـم (٢٧٩٦)، جـ ـ٣، ص ١٠٨٠.

(٢) رواه ابن ماجة في سننه، كتاب الجهاد، باب لا طاعة في معصية الله، حديث رقم (٢٨٦٣)، جـ٢، ص٩٥٥.

(٣) أبو عبيد: الأموال، ص ٨؛ ابن الجوزي: الشفاء في مواعظ الخلفاء، ص ٨؛ صـفة الـصفوة، جـ ـ١، ص ص١٣٥-١٣٦؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٨٣.

(٤) أبو موسى الأشعري: عبد الله بن قيس بن حصار بن حرب بن عامر بن غنيم بن بكر بن عامر بن عدي بـن وائل بن الجماهر وهو الأشعر، اليماني، من تهامة، أحد كبار الصحابة وأحد الحكمين، روى عن النبي (صلى الله عليه وسلم) وروى عنه ابنه أبي بردة، وإلى أحد أحفاده تنتسب فرقة الأشاعرة وهي أكثر فرق أهل الكـلام اعتدالا وقربا إلى السنة، أسلم أبو موسى بمكة، ثم بعثه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى قومه، فوافى بهم النبي (صلى الله عليه وسلم) وهو بخيبر، ولما استخلف عمر بن الخطاب ولاه البصرة، وظل عليها إلى صدر من خلافة عثمان فولاه الكوفة، توفي سنة (٥٢هـ / ٦٧٢م)، ابن قانع: معجم الصحابة، جـ٢، تحقيق: صلاح بن سالم المصراتي،ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ص١٢٤،ابن عبدالبر:=

الأمير إلى الله عز وجل"[١] أي ما التزم الأمير طاعة الله فيهم، ويقول علي بن أبي طالب: "يحق على الإمام أن يحكم بما أنزل الله، وأن يؤدي الأمانة، فإذا فعل ذلك، فحق على الناس أن يسمعوا له، ويطيعوا له، ويجيبوا له إذا دعا[٢]، وروى سليمان بن داود الخولاني[٣] أن رجلا بايع عمر بن عبد العزيز، فقال له عمر: "بايعني بلا عهد ولا ميثاق تطيعني ما أطعت الله، فإن عصيت الله فلا طاعة لي عليك"[٤].

وإذا ما انتقلنا إلى العصر العباسي الأول، فسنجد أنفسنا إزاء مواقف من هذا النوع حددها العلماء لتنظيم العلاقة بين الأمة والرعية، فبالرغم من دأبهم على طاعة الأئمة إلا أنهم وضعوا شروطا لها لا تنفك عن الآثار التي تلقوها عن الصحابة والتابعين، من سيرة الخلفاء الراشدين، فطالبوا خلفاء بني العباس بها، فهذا الليث بن سعد إزاء فتنة القول بخلق القرآن يقول: "من أرادكم على معصية الله فلا تطيعوه"[٥]، وكان يروي الأحاديث الدالة على ذلك[٦].

وكما أن الشافعي شدَّد على طاعة الخلفاء والأمراء، وعلى لزوم الجماعة[٧]، إلا أنه يحدد معنى هذه الطاعة وحدودها، ببيانه لمدلول الجماعة، فيقول: "فلم يكن للزوم جماعتهم معنى إلا ما

=الاستيعاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط١، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، دار الجيل، بيروت، جـ ٤، ص ص ١٧٦٣،١٧٦٥.

(١) أبو عبيد: الأموال، ص ٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٩.

(٣) سليمان بن داود الخولاني: يكنى بأبي داود، كان راوية لحديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من كبار التابعين كان ملازما لعمر بن عبد العزيز، وقد ضعَّفه البعض، ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، جـ ١٠، ص ص ١٥٨، ١٦٠.

(٤) ابن الجوزي: سيرة مناقب عمر بن عبد العزيز، ص٤٥ ، الشفاء في مواعظ الخلفاء، ص ٨.

(٥) ابن الجوزي: مناقب الإمام أحمد، ص ٣١٨.

(٦) روى الليث بن سعد: أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: "على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره 'إلا أن يؤمر بمعصية فمن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة، ابن زنجويه: الأموال، جـ ١، ص٧١.

(٧) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ ١٠، ص ٩٤.

عليه جماعتهم من التحليل والتحريم والطاعة فيهما، ومن قال ما تقول جماعة المسلمين فقد لزم جماعتهم، ومن خالف ما تقول به جماعة المسلمين فقد خالف جماعتهم التي أمر بلزومها"[(١)].

فالعلماء لا يرون طاعة الأئمة إذا أفضت إلى معصية الله لأنهم إنما يحكمون عباد الله بدين الله وبسلطانه وفي سلطانه.

١١- مصاحبة العلماء للخلفاء:

ظهر في العصر العباسي الأول مصطلح الصحابة أو صحابة الخليفة، ويقصد بهم خاصة الخليفة ومستشاروه المقربون إليه[(٢)]، وكان من أهم الأعمال التي يقومون بها مرافقة الخليفة في حله وترحاله، وإبداء الرأي والمشورة، إذا طلب ذلك منهم.

كان بين صحابة الخليفة بعض العلماء، ممن استجابوا للعروض التي كان الخلفاء عادة ما يقدمونها للعلماء لمصاحبتهم، فكان الحجاج بن أرطأة من صحابة أبي جعفر، ثم ضمه بعد ذلك إلى المهدي فلم يزل معه، حتى توفي بمعيته بالرَّي[(٣)] في خلافة أبيه [(٤)]، ودخل عبد الله بن

---

(١) جرونيباوم: حضارة الإسلام، ص ص ١٩٥، ١٩٦، عن الشافعي: الرسالة، ص ٦٥.

(٢) فاروق عمر: التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين، مكتبة النهضة، بغداد، ط٢، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ص٦٢.

(٣) البلاذري : فتوح البلدان، ص ٤٤٨ ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ٦ ، ص ٣٥٦ ، الرَّي : اختلف في أصل الفظ مهناك من قال عربي وهناك من قال فارسي ، فمن قال عربي، أرجعها إلى الري فقال أصلها من رَوَيت أروى ريا، فأنا راو، وهي مدينة مشهورة من مدن الجبال، كثيرة البساتين، والبنيان، فتحت في خلافة عمر بن الخطاب، بواسطة واليه على الكوفة، عمار بن ياسر سنة (٢٠هـ / ٦٤١م) ، وأعاد بناءها المهدي بعد ما خربت في الأحداث التي رافقت الثورة العباسية ، في خلافة أبيه المنصور ، (١٥٨هـ / ٧٧٥م) ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٣ ، ص ص ١٣٢، ١٣٤، المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق : غازي طليمات ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، ص ص ٦١،٦٢.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ٦، ص ٣٥٩.

مصعب[1] في صحابة المهدي[2]، بعد أن قبل الانتقال معه من المدينة إلى بغداد[3]، واعتمد المهدي على المغيرة بن حبيب في توزيع عطاء أهل المدينة بعد أن أصبح في صحابته[4]، كما دخل في صحابته من العلماء أبو مشعر السندي[5] و إسحاق بن عبد الرحمن[6].

وفي عهد الرشيد تزايد صحابة الخليفة من العلماء، وكان من بينهم بعض كبار العلماء، أمثال الكسائي [7] و أبو يوسف [8] و محمد بن الحسن الشيباني[9]، وكان لهؤلاء دور كبير في معاونة الخليفة وتوجيه سياسته.

---

(١) عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام، الأسدي: يكنى بأبي بكر، وهو أحد بنيه، ولـي المدينة لهارون الرشيد، توفي عبد الله بن مصعب بالرقة سنة (١٨٤هـ / ٨٠٠م) ، وعمره تسع وستين سنة ، ابن سعد: الطبقات الكبرى ، جـ٥، ص ص ٤٣٤ ، ٤٣٥.

(٢) الزبير بن بكار : جمهرة نسب قريش وأخبارها ، حققه : محمود محمد شـاكر، مكتبـة خيـاط، بيـروت، ١٣٨١هـ/١٩٦١م، ص ١٢٤.

(٣) الزبير بن بكار: جمهرة نسب قريش ، ص ص ١٢٥،١٢٦.

(٤) المصدر نفسه ، ص ص ١٠٧، ١٠٩.

(٥) الذهبي: العبر في خبر من غبر، جـ١، ص ص ١٩٩،٢٠٠.

(٦) الخطيب: تاريخ بغداد، جـ٦، ص ص ٣١٦،٣١٧، إسحاق بن عبد الرحمن بن المغيرة بن حميد بـن عبـد الرحمن بن عوف الزهري، من تابعي التابعين بالمدينة، إلا أنه انتقل إلى بغداد، وكان حظيا لدى الخلفاء مـن بني العباس، فكان في صحبة المهدي والهادي والرشيد، توفي في خلافة الرشيد، الخطيب: تاريخ بغداد، جـ٦، ص ص ٣١٦،٣١٧.

(٧) كان الكسائي كثير الخروج مع هارون الرشيد في أسفاره، وقد توفي في صحبة الرشيد في الري، وهـم فـي طريقهم طوس، ودفن بها سنة (١٨١هـ / ٧٩٧م)، البلاذري: فتوح البلـدان، ص ص ٤٤٧،٤٤٨، الرقـي: إحسان المحاسن، ص٦٧، ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٣، ص ٢٩٦، العبر في خبر من غبـر، جـ١، ص١٣٤.

(٨) كان أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم، قاض القضاة، ووزير الرشيد وزميله وصاحبه حيث ذهب، وكان الرشـيد يبالغ في إجلاله، الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ٨، ص ٥٣٨؛ الكوثري: حسن التقاضي في سيرة الإمام أبي يوسف القاضي، ص ص ٣٩،٤٠.

(٩) كان أبو عبد الله محمد بن الحسن الشيباني ، قاض قضاة الرشيد، ملازما له حيث ذهب ، وقـد تـوفي سـنة (١٨٩هـ / ٨٠٥م)، بالري عندما خرج في صحبـة الرشيـد في الخرجـة الأولى سنة(١٨٩هـ/٨٠٥م)، =

إلا أن صحابة الخلفاء هؤلاء ووجهوا بانتقادات من بعض أقرانهم من العلماء تباينت بين التأنيب والتقريع ، فعندما أتى أبو يوسف الإمام مالك وأراد أن يجلس إليه، أعرض عنه، ثم قال: معرضا به: "إذا رأيتني جلست لأهل الباطل فتعال أجبك معهم[1]، وعدهم ابن المبارك في بلاء ما داموا في صحبة الخلفاء حيث قال: "من بخل بالعلم ابتلي بثلاث إما أن يصحب السلطان فيذهب علمه، أو يكذب في الحديث، أو يموت"[2].

• نظرة الخلفاء إلى العلماء:

١- تديّن خلفاء بني العباس:

كان التدين هو السمة الغالبة على خلفاء بني العباس في عصرهم الأول[3]، فهم منذ البداية يدركون أنهم ينتسبون إلى البيت النبوي الشريف ويعتزون بهذا الانتساب، وكانوا لذلك يرون أنهم معنيون أكثر من غيرهم بالتزام تعاليم الدين وقيمه، وأكثر قدرة وأهلية لتفسيرها، وهو ما صرحوا به وألمحوا إليه مرارا في خطبهم العامة، من ذلك ما قاله أبو العباس بعد مبايعته بالخلافة في الكوفة: "الحمد لله الذي اصطفى الإسلام لنفسه وشرفه وعظمه واختاره لنا وأيده بنا، وجعلنا أهله وكهفه، وحصنه والقوام به والذابين عنه والناصرين له وألزمنا كلمة التقوى وجعلنا أحق بها وأهلها (إلى أن يقول): وبنا هدى الله الناس بعد ضلالتهم وبصرهم بعد جهالتهم، وأصلح بنا منهم ما كان فسد.."[4].

= ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ٧، ص ص ٢٢٦، ٣٣٧ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ٤ ، ص ١٨٥ ، الذهبي: العبر في خبر من غبر، جـ١، ص ١٣٤.

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ٨، ص ٦٤.

(٢) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، جـ ٣٨ ، ص ٣٤٧ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٨ ، ص ٣٩٨.

(٣) ستيفن رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، جـ١، ص ٤٨.

(٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٦، ص ص ٨١،٨٢، انظر كذلك: محمد يوسف موسى: أبو حنيفة، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م، ص ص ١٩،٣٢، وثام محمد سيد أحمد أدريس: الخطابة =

وهذا لا يعني أنهم مثلوا الوضع المثالي للحاكم المسلم، فالتزموا بمقتضيات هذا الانتماء وتلك العاطفة على طول الخط، بل تخلل عصرهم الاستقامة والسقوط، الالتزام والتفريط، شأن كل التجارب الإنسانية والجهد البشري، خلافا لما ذهب إليه البعض[1] من أن خلفاء بني العباس إنما أظهروا التدين وشجعوا حركات التصوف لأغراض سياسية، فحواها سحب البساط من تحت أقدام العلماء، وأن ثمة صراع بين العلماء وبين الخلفاء، وإن كنا لا نستبعد أن شيئا من هذا قد حدث، في مراحل متأخرة، وبصورة فردية وإن كان قد حدث فهو لا ينسحب على العصر عموما، أو على الأقل أن هذا لم يحدث في العصر العباسي الأول ، بل إن المصادر التاريخية تمدنا بتيارٍ كثيفٍ من الروايات التي تبين مدى ما حظي به العلماء في العصر العباسي الأول من تقدير الخلفاء والأمراء واحترامهم واستدرار رضاهم، والاستئناس بآرائهم واجتهاداتهم لتسيير دفة الحكم، وهو ما يتفق مع الصورة العامة والسمة الغالبة للعصر، ومع شخصيات هؤلاء الخلفاء، فكان المنصور مغرم بالحديث[2]، ومما يدل على تدين المهدي أنه تتبع المتهكمين على الدين المستهترين بتعاليمه، حتى أنه عرف بقصاب الزنادقة[3]، ولم يكن الهادي أقل تدينا منه فتتبع الزنادقة فقتل عددا منهم[4]، وكان هارون الرشيد كما تصوره الروايات مهتما بأمر دينه، يحج عاما ويغزو عام[5]، محبا للعلم والعلماء[6]، مولع بالفقهاء، مدنيا لهم[7]، مبغضا للمراء في الدين،

=السياسية في العصر العباسي الأول ومظاهر التجديد فيها، رسالة ماجستير، بكلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص ص ٢٩، ٤١.

(١) أنس هارون: أساليب المواجهة السياسية، ص ٢٦.

(٢) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، جـ٣٨ ، ص ٢٣٢، ابن كثير: البداية والنهاية ، جـ ١٠، ص ١٢٦.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٦، ص ص ٣٩٠، ٦٣٣؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ٧، ص ٤٠١؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٣١٣.

(٤) بدل التبريزي: خلاصة الذهب المسبوك، ص ٧٧.

(٥) محمود شاكر : التاريخ الإسلامي ، دار الكتاب العربي، بيروت ، ط٢، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، جـ٥ ، ص ٩٥.

(٦) السيوطي: تاريخ الخلفاء ، ص ٣٢٦ ، أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ٩ ، ص ٩٥ .

(٧) الماوردي : نصيحة الملوك ، تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد ، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص ١٠٤.

والكلام في معارضة النص كثير التردد على مجالس العلماء، وإن كان يخفي شخصيته حتى لا يعرف بين الناس[١].

٢ - إعجاب الخلفاء بالعلماء:

نظر كثير من خلفاء العصر العباسي الأول إلى العلماء نظرة ملؤها الغبطة والإعجاب، ولم يكن بهرج الخلافة وعزها ومهابتها بالذي يمنعهم من إبداء ذلك الارتياح للعلماء كلما أتت مناسبة، أو سنحت فرصة، وكانوا يعدون أولئك العلماء بعقولهم الفذة، المستنيرة واجتهاداتهم التي تعمق مجرى الفكر والحضارة الإسلامية، مكسبا لهم خصوصا، وللأمة عموما، فلم يخفِ المنصور إعجابه برجاحة عقل الليث بن سعد، وحمد الله الذي جعل في رعيته أمثاله[٢]، وأمر المهدي وزيره[٣] بلزومه والاستفادة منه[٤]، ولما سمع الرشيد كلام الشافعي لم يخفِ إعجابه به قائلا: "أكثر الله في أهلي مثلك"[٥]، ووصف المأمون الشافعي باكتمال العقل[٦].

---

(١) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة، جـ٢، ص ٢١٠.

(٢) الفسوي : المعرفة والتاريخ ، ص ٤٤١؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ٨، ص ١٥١، ابن حجر : مناقب الإمام، الليث بن سعد: تبويب محمد منير عبد اللطيف، مكتبة فيصل الإسلامية، القاهرة، ط١، (د.ت)، ص ٢١، المزي: تهذيب الكمال، جـ٢٤، ص ٢٦٥.

(٣) يعقوب بن داود بن عمر بن طهمان : يكنى بأبي عبد الله ، من الموالي ، فهو مولى عبد الله بن حازم السلمي ، استوزره المهدي ، وقربه ، ثم نكبه وأودعه السجن ، وظل فيه حتى أطلقه الرشيد في خلافته ، وسبب غضب المهدي عليه أنه أعطاه أحد العلويين ليحبسه، فأطلقه ، توفي بمكة سنة (١٨٢هـ / ٧٩٨م) ، الخطيب : تاريخ بغداد، جـ١٤، ص ص ٢٦٢، ٢٦٥.

(٤) المزي : تهذيب الكمال ، جـ ٢٤ ، ص ٢٦٩ ، ابن حجر : مناقب الإمام الليث بن سعد ، ص ٢١.

(٥) الرازي: مناقب الشافعي، مطبعة الانبابي، القاهرة، ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢م، جـ١، ص ١٥٣، مرعي بن يوسف: تنوير بصائر المقلدين، ص ٣١.

(٦) مرعي بن يوسف: تنوير بصائر المقلدين ، ص ٦١.

وكان الخلفاء يغبطون العلماء على المكانة المرموقة التي يتفردون بها في نفوس الناس، فقد سئل المنصور ذات مرة: "هل بقي شيء من اللذات لم تنله؟ فقال شيء واحد وهو قول المحدث للشيخ من ذكرت رحمك الله"[١]. وقد حاول وزراؤه القيام بدور العلماء لتحقيق تلك الأمنية، فاجتمعوا إليه وقالوا: "ليمل علينا أمير المؤمنين شيئا، فقال لستم بهم، إنما هم رواد الأفاق وقطاع المسافات تارة بالعراق وتارة بالحجاز وتارة بالشام وتارة باليمن"[٢]، مشيرا إلى علماء الحديث.

وعندما قدم هارون الرشيد الرقة[٣] وانجفل الناس خلف عبد الله بن مبارك – كما يذكر ابن الجوزي[٤] – وتقطعت النعال وارتفعت الغبرة أشرفت أم ولد الرشيد عليهم وقالت من هذا؟ فقالوا عالم أهل خراسان عبد الله بن المبارك، فقالت: هذا والله الملك لا ملك هارون الذي لا يجمع الناس إلا بشرط وأعوان.

ويذكر الذهبي[٥] أن المأمون أراد أن يحدث كما يحدث العلماء، فأمرهم أن ينصبوا له منبرا، ثم حدث، ولكنه قال بعد الانتهاء من حديثه قال: "ما رأيت له حلاوة إنما المجلس لأصحاب الحلقات والمحابر".

---

(١) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، جـ ٣٨ ، ص ٢٣٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٠، ص ١٢٦.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٠، ص ١٢٦.

(٣) الرقة : هي في الأصل كل أرض إلى جنب واد ينبسط عليها الماء ، وجمعها رقاقا ، وقيل بل هي الأرض اللينة التراب والرقة التي نحن بصددها ، مدينة مشهورة على الفرات بينها وبين حران ثلاثة أيام ، من بلاد الجزيرة ، شرق الفرات ، افتتحها عياض بن غنم ، أحد قادة سعد بن أبي وقاص سنة (١٧هـ / ٦٣٨م) ، وقد اتخذها خلفاء بني العباس قاعدة ، لانطلاق جيوشهم إلى بلاد الروم ، ياقوت: معجم البلدان ، جـ٣ ، ص ٦٧.

(٤) ابن الجوزي : صفة الصفوة ، جـ ٤ ، ص ١٢٣ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٨ ، ص ٣٨٤ .

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ٨، ص ٢٧٥.

٣- مهابة الخلفاء والأمراء للعلماء:

إذا كان الخلفاء والأمراء بحكم ولايتهم قد تمتعوا بسلطات واسعة، في العصر العباسي الأول، فإن العلماء، ومن بينهم الأئمة الكبار كانت لديهم سلطات أدبية غير محددة في نفوس الناس، ولدى الخلفاء والأمراء، لدرجة أنها كانت في كثير من الأحيان، تفوق سلطات الخليفة وتطغى عليها، وكانت هذه المهابة تترسخ في نفوس الناس عامة، والخلفاء والأمراء أكثر كلما تنزه العلماء عما في أيديهم وليس أدل على ذلك مما قاله المنصور لسفيان الثوري، عندما سأله عن غلام يأتي ثم يرجع، فقال المنصور: "هذا ابني، وإنما يفزع من هيبتك"[١]، وكان هارون الرشيد يتحاشى بعض هؤلاء العلماء في مجامع الناس لشدة مهابتهم في نفسه، حتى أنه كان – كما يروي هو – يتخلى عن رغبته في الحج خشية أن يجمعه الموسم ببعضهم، حيث قال: "والله إني لأحب أن أحج كل سنة وما يمنعني إلا رجل من ولد عمر – يعني – (عبد الله بن عبد العزيز العمري) – يسمعني ما أكره"[٢]،وعندما أراد العمري زيارة بغداد كره الرشيد مصيره إليها، وجمع العمريين ليحولوا بينه وبين ذلك، فقال لهم: "مالي ولابن عمكم، احتملته بالحجاز، فشخص إلى دار مملكتي، يريد أن يفسد علي أوليائي، ردوه عني"[٣]، وعندما اعتذروا وابدوا عجزهم عن رده، كتب الرشيد إلى والي المدينة موسى بن عيسى[٤] أن يرفق به حتى يرده[٥].

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ ٨ ، ص ص ٦١،٦٢.

(٢) الطرطوشي: سراج الملوك، ص ٤٧.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٦، ص ٥٣٨.

(٤) موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، وهو ابن عيسى بـن موسـى:الأميـر العباسي الذي كان ولي عهد المنصور،فقدم عليه المنصور ابنه المهدي، ثم خلعه المهدي من ولاية العهد تحت التهديد والإغراء بالمال، فقبل، موسى بن عيسى، ولي كثيرامن المناصب في الدولة العباسية وللرشيد بالـذات، فولي له الموسم ومكة والمدينة واليمن والكوفة ودمشق ومصر، وتوفي في خلافته سنة (١٨٣هـ/٧٩٩م)،ابـن عساكر:تاريخ مدينة دمشق،جـ٦١،ص ص١٩٢،١٩٠،١٩٣،الأزدي:تاريخ الموصل، ص ٢٣٨.

(٥) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٦، ص ٥٣٩.

وإذا كانت هذه مهابة العلماء في نفوس الخلفاء، فقد كانت كذلك لدى ولاتهم وعمالهم، فقد جلس أحد ولاة الشام على قبر الأوزاعي وهو يحاوره، قائلا: "رحمك الله، فوالله لقد كنت أخاف منك أكثر مما أخاف من الذي ولاني "[1] (يعني المنصور) وسـأل الأمير محمد بن سليمان[2] حماد بن سلمة: "مالي إذا نظرت إليك امتلأت رهبا، ورعبا"؟[3] فأجابه حماد بن سلمة بقوله: "إن العالم إذا أراد وجه الله تعالى، هابه كل شيء وإذا أراد أن يكنز الكنوز هاب كل شيء"[4]، وعندما طلب من والي المدينة أن يذهب إلى الإمام مالك ليلتمس منه قبول بعض التلاميذ، لم يتجرأ على ذلك، واعتذر قائلا: "لو كلفت المشي من جوف الكعبة إلى جوف المدينة راجلا حافيا كان أهون علي من المشي إلى باب مالك"[5].

٤ - رغبة الخلفاء في الاستعانة بالعلماء:

كان من ثمار إعجاب الخلفاء في العصر العباسي الأول بالعلماء، أن تولدت لديهم رغبة ملحة في إشراكهم في الأمر، وشعورا بالحاجة إليهم، لإصلاح ما اختل في أجهزة الدولة، وليس أدل على ذلك مما قاله أبو جعفر المنصور في رواية الطبري[6]: ما أحوجني إلى أن يكون على بابي أربعة نفر، لا يكون على بابي أعف منهم، هم أركان الملك، ولا يصلح الملك إلا بهم، أما أحدهم فقاض

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ ١٠، ص ١٢٠.

(٢) محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس العباسي الهاشمي، كان فارس بني هاشم، وهو الذي تولى قتل إبراهيم بن عبد الله بن حسن، الذي خرج على المنصور بالبصرة، حين كان واليا عليها، وولي قضاء فـارس، وكان ذا ثراء واسع فقد بلغت ثروته خمسين مليون درهم، توفي سنة (١٧٣هـ / ٧٨٩م)، الذهبي: سير أعلام النبلاء ، جـ ٨ ، ص ص ٢٤٠ ، ٢٤١ .

(٣) الغزالي: إحياء علوم الدين، جـ ٢، ص ص ٢١٧، ٢١٨ ، الرقي: أحاسن المحاسـن، ص ٣٥٠، الاربلـي: خلاصة الذهب المسبوك مختصر سيرة الملوك، ص ٧٤ .

(٤) الاربلي: خلاصة الذهب المسبوك مختصر سيرة الملوك ، ص ٧٤ .

(٥) الرازي: مناقب الإمام الشافعي، ص ص ١٦، ١٧ .

(٦) تاريخ الأمم والملوك، جـ ٦، ص ٣١٣ .

لا تأخذه في الله لومة لائم، والآخر صاحب شرطة ينصف الضعيف، وصاحب خراج يأخذ المال من حله، وصاحب بريد يكتب بخير هؤلاء على الصحة".

والرواية إلى جانب أنها تشير إلى عدم رضا المنصور عن جهازه الإداري، تؤكد رغبته في الاستعانة بذوي الصلاح والعفاف والورع والتقوى من العلماء، وهو ما حرص عليه معظم خلفاء العصر العباسي الأول، لذلك فقد دأب المنصور على ائتلاف العلماء وتقريبهم إليه، وعرض عليهم معاونته في تدبير شئون الخلافة، وسياسة الأمة، والتخفيف عن كاهله بعض مسئولياتها، وكان يأمل في استجابتهم، إلا أن جل هؤلاء العلماء رفضوا ذلك، إما بالاستعفاء أو بالفرار والتواري عنه، ومع ذلك لم ييأس منهم لأنه كان يرى أنه لا غنى له عنهم، فاكتفى بما يقدمونه له من إرشادات إما في المناسبات التي تجمعه بهم، أو من خلال المراسلات التي، كانت تجرى معهم.

ويحسن بنا أن نشير إلى جانب من هذه المراسلات، فقد كتب المنصور إلى الأوزعي: "أما بعد فقد جعل أمير المؤمنين في عنقك ما جعل الله لرعيته قبلك في عنقه، فأكتب إلي بما رأيت فيه المصلحة مما أجبت"[١]، وكان الأوزاعي يرد على كل تساؤلات الخليفة ويزوده برأيه واجتهاده فيها، وكانت أجوبته تلقى اهتماما كبيرا لدى المنصور، حتى أنه كما يذكر ابن كثير[٢] كان يستفيد من الأساليب اللغوية في رسائل الأوزاعي في مراسلاته إلى الملوك .

وكان يحرص على الاستكثار من نصائح ومواعظ عمرو بن عبيد بعد أن امتنع عمرو عن معاونته في القضاء[٣]، وعندما رفض الليث بن سعد العمل له على قضاء مصر[٤]، طلب منه الحد الأدنى، وهو أن لا يضن بتوجيهاته لولاة مصر وقضاتهم، ومنحه سلطات واسعة، فكان الليث

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ ٧، ص ١٢٥.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ ١، ص ١١٧.

(٣) الماوردي: نصيحة الملوك، ص ١٠٣.

(٤) ابن حجر: سيرة الإمامين الليثي والشافعي ، ص ٢٧ .

يخصص مجلسا لنواب السلطان وحوائجه، وإذا أنكر من الولاة أو القضاة شيئا كتب به إلى الخليفة، فيأتي أمر الخليفة وفق رأيه[1]، وكانت رسل السلطان تأتي أبا حنيفة يعرضون عليه المسائل، فيحكمون فيها بقوله[2].

بل إن المنصور أوصى ولي عهده المهدي بتقريب العلماء، وأن يتخذ منهم أعوانا ومستشارين، فقال: "لا تجلس مجلسا إلا ومعك من أهل العلم من يحدثك"[3]، فكان أول ما فعله المهدي، عقب مبايعته، بالخلافة، أن استدعى سفيان الثوري، فلما دخل عليه خلع المهدي خاتمه وأعطاه إياه، وكان ذلك يعني تفويضا تاما لسفيان للتّصرف في الخلافة كما يشاء قائلا: "هذا خاتمي فاعمل في هذه الأمة بالكتاب والسنة[4]، وبغض النظر عن نوع الاستجابة التي أبداها سفيان الثوري إزاء هذا العرض الصادق من الخليفة، فإن ما يهمنا في هذا السياق، هو أن كثيرا من خلفاء العصر العباسي الأول، نظروا إلى العلماء نظرة تقدير، وإجلال، وكانوا حريصين، رغم جفاء بعض العلماء وغلظتهم، على الاستفادة منهم والاستعانة بهم.

تكرر هذا العرض من المهدي غير مرة، كان إحداها في الموسم – الذي يمثل فرصة سانحة للخلفاء للالتقاء ببعض العلماء المتوارين عنهم – فالتمس المهدي سفيان الثوري حتى أتي به فقال له معاتبا: "لأي شيء لا تأتينا فنستشيرك في أمرنا، فما أمرتنا به من شيء صرنا إليه وما نهيتنا عن شيء انتهينا عنه؟[5] "، إلا أن الثوري رفض هذا العرض أيضا، وطلب من الخليفة أن يبدي

---

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٤، ص ١٣١، سيرة الإمامين الليثي والشافعي، ص ٢٧؛ مناقب الإمام الليث بن سعد، ص ٢١.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم، جـ٨، ص ١٣٦.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٦، ص ٣١٧.

(٤) أبو نعيم الأصفهاني: حلية الأولياء، جـ٧، ص ٤٣، الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ٧، ص ٢٦٢، انظـر: البدري: الإسلام بين العلماء والحكام، ص ص ٥١، ٥٥.

(٥) الطرطوشي : سراج الملوك، ص ٢٤، المبارك: كتاب النصح في الدين ومآرب القاصدين، ص ٤٦.

حسن نيته في إصلاح أحوال الدولة، معيبا عليه عبثه بالمال العام[١]، ورغم هذا الصد والرد والجفوة من سفيان، فإن عين المهدي ظلت معلقة به، وكان تواري سفيان عنه يؤرقه، وكانت رغبته في اتخاذه معينا له، هاجسا ملازما له، فكان يقول لوزيره أبو عبيد الله[٢]: "لو جاءنا أبو عبد الله – يعني (سفيان) لوضعنا أيدينا في يده وارتدينا برداء واتزرنا بآخر وخرجنا إلى السوق فأمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر"[٣]. وكأنه أراد، فإذا توارى عنا مثل سفيان فبمن نستعين.

استمر الخلفاء العباسيون على هذا النحو من الرغبة في الاستعانة بالعلماء، فبذل الرشيد جهده لتقريب العلماء للاستعانة بهم، فأجابه بعضهم، وامتنع بعضهم الآخر، ومع ذلك ظل يلح عليهم، فعرض على الشافعي العمل في القضاء فأعتذر[٤]، واستعان بالفضيل بن عياض فأبى، وإنما اكتفى، بتوجيهه إلى حسن اختيار بطانته وولاته وعماله، حتى يعينوه على الخير[٥].

وكان للمأمون ميولٌ علمية، ولذلك قرب العلماء ورغِب في الاستعانة بهم، فكان منهم يحيى بن اكثم الذي حاز تقديره فقلده قضاء القضاة، وتدبير شئون الخلافة، فكان الوزراء لا يعملون في تدبير الخلافة إلا بعد مطالعته[٦].

---

(١) الطرطوشي: سراج الملوك، ص ٢٤؛ المبارك: كتاب النصح في الدين ومآرب القاصدين، ص ٤٦.

(٢) أبو عبيد الله، معاوية بن عبيد الله بن سيار الأشعري، الطبراني الشامي الكاتب، من الموالي، عرف بأبي عبيد الله الوزير، استوزره المهدي وكان يبالغ في إجلاله واحترامه، ويعتمد على رأيه وتدبيره وسياسته، وكـان ذا كمال وحزم ورأي وعبادة، رمي ابنه بالتعرض لحرم الهادي، فقتل المهدي ابنه، وقبض عليه فسجنه، وظل في السجن حتى توفي سنة (١٧٠هـ / ٧٨٦م) ، الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ٧، ص ٣٩٨.

(٣) أبو نعيم: حلية الأولياء، جـ٧، ص ٤٥.

(٤) البيهقي: مناقب الشافعي، جـ١، ص ص ١٣٢، ١٥٥.

(٥) الطرطوشي: سراج الملوك، ص ص ٣١،٣٠؛ المقريزي: الذهب المسبوك، في ذكر مناهج الخلفاء والملوك، حققه: جمال الدين الشيال ، مكتبة الخانجي بمصر ، ومكتبة المثنـي ببغـداد ، ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م، ص ص٥٣، ٥٥.

(٦) ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٦، ص ص ١٤٧،١٤٨.

كما أراد الاستعانة بالشافعي، فأرسل إليه يستقدمه من مصر، فاستعفى الشافعي واكتفى بما يضمنه رسائله من توجيهات[١] إلا أن المأمون لم يكتف بذلك، فعزم عليه للحضور إلى بغداد وتولي قضاء القضاة، إلا أن الشافعي توفي لدى وصول رسول الخليفة[٢]، وعندما وعظه أحد العلماء، أصغى إليه وأبدى استعداده للعمل بموعظته إذا هو عاونه في تنفيذها، هو وغيره من العلماء، حيث قال: "قد سمعت موعظتك، وأسأل الله أن ينفعنا بها، وربما عملنا بها، غير أنا أحوج إلى المعاونة بالفعال منا إلى المعاونة بالمقال، فقد كثر القائلون وقل الفاعلون"[٣].

وبالرغم من معارضة الإمام أحمد بن حنبل للمعتصم فيما ذهب إليه من القول بخلق القرآن، إلا أن المعتصم كان يرغب في تقريبه والاستعانة به، لما لمسه فيه من العلم والتقوى والإخلاص، حيث تحدث عنه مع بعض خواصه قائلا: "والله إنه لعالم وإنه لفقيه، وما يسوءني أن يكون مثله معي يرد عني أهل الملك[٤]، ولما ولي المتوكل الخلافة قربه وطلب منه القدوم عليه، فأبى[٥]، فكان يكاتبه ويستأنس برأيه، وكان أول وأهم ثمار ذلك التعاون إنهاء فتنة القول بخلق القرآن، فقد جاء فى إحدى رسائله إلى الأمام أحمد : "أسألك عن أم القرآن لا مسألة امتحان، ولكن مسألة معرفة وبصيرة"[٦] .

---

(١) ابن حجـر العسقلاني: سيـرة الإمامين الليثي والشافعي ، ص ١٦٣، ابـن الأميـر : سبـل الـسلام ، حققه : محمـد عبد العزيز الخولي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط٤ ، ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م ، ص ١٦٣.

(٢) البهيقي: مناقب الشافعي، جـ١، ص ١٥٥.

(٣) ابن عبد ربه: العقد الفريد، جـ٣، ص ١١١.

(٤) ابن الجوزي: مناقب الإمام أحمد، ص ٢٨٧.

(٥) ابن الجوزي: صفة الصفوة، جـ٢، ص ص ٢٣٠،٢٣١.

(٦) صالح بن أحمد بن حنبل: ت (٢٦٥هـ/٨٧٨م) ، سيرة الإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق : فؤاد عبـد المـنعم أحمد، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ص١١٦، ابن الجوزى، مناقب الإمام أحمد ابن حنبل، ص٣٣٥.

وهكذا، فقد دأب خلفاء العصر الأول على التودد للعلماء رغبة فى تقريبهم إليهم وحرصا على الاستعانة بهم فى أعمال الدولة، واستئناسا بنصائحهم ومواعظهم.

٥ – حدود السماح للعلماء بالتدخل فى الحياة السياسية:

كان الخلفاء يعتبون على بعض العلماء قسوتهم فى النصح والوعظ والمجاهرة بذلك بين الناس لأن ذلك قد يحملهم على الفتك بهم، أو على الأقل رفض مواعظهم، لأنهم يرون أن ذلك قد ينال من مهابتهم فى صدور الناس، ويجرئهم على السلطان.

كما أنهم كانوا لا يرون ذلك متوافقا مع المنهج الإسلامي للدعوة الذي يتسم باللين والرفق، بل ويتبع أسلوبا خاصا للتعامل مع الأئمة.

وقد يكون من المناسب هنا أن نذكر الحوار الذي دار بين هارون الرشيد والفضيل بن عياض، والذي أظهر فيه الفضيل مثالب الرشيد وآل بيته، وسوء سيرته، فعتب عليه الرشيد ذلك، قائلا: "يا أبا الحسن، أما لك ذنوب تخاف أن تهلك بها إن لم يغفرها الله لك؟ فقال الفضيل: "بلى، قال الرشيد: فما جعلك بأحق أن ترجو المغفرة مني؟ وأنا على دين يقبل الله فيه الحسنات، ويعفو عن السيئات، ومع ذلك فإني والله ما كنت لأخير بين شيء وبين الله إلا اخترت الله تعالى على ما سواه وأنا مع هذا ألي من الإصلاح بين الناس والجهاد في سبيل الله، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مالا تليه أنت، فما جعلك أحق أن ترجو المغفرة مني ؟[1].

وأنكر على أحد الزهاد مجاهرته بالموعظة على الملأ، عندما وقف وقال له: "يا هارون اتق الله"[2]، فأخذه فخلا به، ثم قال له: " أنا شر أم فرعون؟ قال: بل فرعون، قال أنت خير أم موسى؟

---

(١) ابن قتيبة : الأمامة والسياسة، جـ ٢، ص٢١١.

(٢) الأربلي : خلاصة الذهب المسبوك مختصر سيرة الملوك ، ص ٨٢ .

قال بل موسى، قال: أما تعلم أن الله بعثه وأخاه إليه، فقال: "فقولا له قولا لينا"[١]، وأنت قد جبهتني بأغلظ الألفاظ، فما بأدب الله تأدبت، ولا بأخلاق الصالحين أخذت"[٢].

كما أن الخلفاء وضعوا حدودا لما يصدر عن العلماء من مواعظ ونصائح وفتيا بحيث لا تؤثر على هيبة الخلافة ولا قوام الدولة، فوضع المنصور حدا للإمام مالك عندما أفتى ببطلان يمين المكره، وطلاق المكره، لأن هذه الفتوى تعفي كل من بايع الخليفة مكرها من الوفاء ببيعته، والتزم الطاعة، وستكون مظلة شرعية لكل من يرغب في الخروج على الخلفاء خصوصا إذا صدرت من مثل الإمام مالك، ولذلك طلب والي المدينة جعفر بن سليمان منه أن يتراجع عن فتياه، وأن يعلن بطلانها، فامتنع مالك لأن الأمر يتعلق بقضية شرعية، وليس له ولا للخليفة، ولا لأحد في الأرض أن يتصرف فيها بهواه، ثم نهاه عن أن يحدث الناس بذلك، لكن مالكا لم ينته، عندئذ ناله الوالي بشيء من العذاب[٣]، وعندما أعيا سفيان الثوري المنصور مخالفة وطلبا، بعث الخشابين إلى مكة قبل أن يخرج إليها، وقال لهم: "إن رأيتم سفيان الثوري فأصلبوه"[٤].

ولا نتصور أن المنصور كان جادا في ذلك، وعلى الأرجح أنه كان يقصد من وراء ذلك ترويع الثوري حتى لا يعترضه في الموسم، فيسبب له الإحراج بين رعيته.

فقد كان من الشائع عندما يخالف العالم الخليفة أن يشيع غضبه عليه ويأمر بإحضاره حتى إذا ما أدخل عليه عامله بما هو أهله من الإجلال والإكرام، ويبدو أن الخليفة كان يقصد من ذلك

---

(١) طه: الآية ٤٤.

(٢) الأربلي: خلاصة الذهب المسبوك مختصر سيرة الملوك، ص ٨٢.

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ٤ ، ص ١٣٧، ابن عبد البر : الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمـة الفقهـاء ، مكتبة القدس ، القاهرة ، ١٣٥٠هـ / ١٩٣١م، ص ص ٤٣ ،٤٤، مرعي بـن يوسـف : تنـوير بـصائر المقلدين، ص٥٢.

(٤) الذهبي : سير أعلام النبلاء، جـ٧، ص ٢٥١.

الحفاظ على مكانته ومهابته في نفوس الناس، ويتضح ذلك فيما قاله المهدي لسفيان بعد أن أعياه طلبا: "يا سفيان تفرُّ منا ها هنا، وها هنا، وتظن أن لو أردناك بسوء لم نقدر عليك؟ "[١].

ونخلص من هذا السياق إلى أن الخلفاء طيلة العصر العباسي الأول ظلوا ينظرون إلى العلماء نظرة تقدير وإجلال، يستجدون رضاهم، ويطمعون في الاستئناس بآرائهم واجتهاداتهم، لتسيير دفة الحكم، بل ويسعون لإشراكهم في السلطة ليعينوهم على تبعاتها.

٦- مكانة العلماء لدى الخلفاء والأمراء:

حظي العلماء بمكانة مرموقة في نفوس الخلفاء والأمراء في العصر العباسي الأول، تؤكد ذلك الشواهد التاريخية، وتشير إليه في أكثر من مناسبة، وهو يتفق مع التركيبة النفسية والشخصية المتدينة لخلفاء بني العباس، ومع نظرتهم للعلماء، ولأهمية دورهم في المجتمع، وليس أدل على ذلك مما قاله المنصور عندما بلغه موت أحد معاصريه من العلماء [٢] سنة (١٥٤هـ / ٧٧١م)، فقال: "اليوم استوبأت قريش"[٣]، وطلب المهدي إلى مالك أن يعادله في رحلة من المدينة إلى بغداد[٤].

ولمأ بلغ الرشيد موت عبد الله بن المبارك حزن عليه، وجلس في دار لخلافة لاستقبال العزاء فيه[٥]، قائلا: "مات اليوم سيد العلماء"[٦]، وكان يخفض جناحه للعلماء، بما فيهم أولئك الذين

---

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٢، ص ٣٩.

(٢) محمد بن عمر بن إبراهيم بن طلحه التميمي المدني، ولي قضاء المدينة لبني العباس في خلافة المنصور وكان من جل العلماء، مات بالمدينة ، لم أقف له على تاريخ وفاة ، الأربلي : خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٦٢.

(٣) الأربلي: خلاصة الذهب المسبوك، ص ٦٢.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ٨، ص ص ٦٣،٦٢.

(٥) أبو نعيم: حلية الأولياء، جـ٨، ص ١٧٤.

(٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ٨ ، ص ص ٣٩٠، ٤١٨ .

يوجهون إليه الانتقادات اللاذعة، ومن ذلك ما واجه به عبد الله بن عبد العزيز العمري، الذي أغلظ له في القول، متهما إياه بالتفريط والتقصير في حق الأمة، وكان من المتوقع أن ينتصر الخليفة لنفسه ولمهابته التي أتى عليها ذلك العالم، فينزل به العقاب والتنكيل ويجعله عبرة لمن يعتبر، إلا أن الرشيد لم يفعل ذلك، وإنما أجابه بكلمة واحدة: "نعم يا عم ... نعم يا عم"[١]، وكان يعادله في المحمـل إلى مكة القاضي أبو يوسف[٢]، وأجل المأمـون إظهار القـول بخلـق القرآن إجلالا ليزيد بن هارون[٣]، حيث قال: "لولا يزيد بن هارون لأظهرت أن القرآن مخلوق"[٤]، وبالتالي لم يعلن مذهبه ذاك، إلا بعد أن توفي يزيد بن هارون، وعندما أزمع المعتصم الخروج إلى عمورية لمواجهة الروم جمع العلماء، فاجتمع لديه ثلاثمائة وثمانية وعشرون رجلا، فأشهدهم على وصيته"[٥].

٧- استقدام العلماء إلى بغداد وإتيانهم في بيوتهم للاستفادة منهم:

أ- استقدام العلماء إلى بغداد للاستفادة منهم.

كانت حاجة الخلفاء إلى العلماء تتزايد تبعا لتطورت أساليب الحياة واحتاج الخلفاء إلى تكيفها مع قيم الإسلام وثوابته، فاحتاجوا إلى اجتهادات العلماء الفقهية للتعامل مع هذه المتغيرات، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لما للعلماء من موقع مكين في نفوسهم وفي حياة المجتمع.

---

(١) ابن الجوزي : صفة الصفوة ، جـ ٢ ، ص ١٢٣.

(٢) ابن دحية : النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس ، مخطوط بمعهـد المخطوطات العربيـة، القاهرة ، رقـم ٥٣٨ ، ص ٣٤.

(٣) ابن الجوزي : مناقب الإمام أحمد ، ص ٣٠٩.

(٤) يزيد بن هارون : يكنى بأبي خالد، من الموالي، كان مولى لبني سليم، أحد العلماء المعدودين، غلـب عليـه الحديث، فقد كان ثقة كثير الحديث، توفي سنة (٢٠٠هـ / ٨١٦م) ، ابن سعد: الطبقـات الكبـرى، جـ ٧، ص٣١٤.

(٥) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٢٦٤.

وقد أدى هذا الشعور بالحاجة وتلك المكانة، إلى تعاظم رغبة الخلفاء في استقدام كبار العلماء إلى بغداد ليكونوا إلى جانبهم، فيستأنسوا بآرائهم، ولينعم العلماء بالإقامة في مدينة السلام التي كانت تعد حينذاك حاضرة العالم وزهرة الدنيا، فضلا عما يغدقونه عليهم من نعيم الخلافة.

استجاب بعض العلماء لدعوات الخلفاء، فأتوهم إلى بغداد وعرضوا عليهم بضاعتهم العلمية وتخريجاتهم الفقهية، وأجابوا بها على تساؤلات الخلفاء، بل وأخذ ببعضها في نظم الدولة، وفي الوقت نفسه امتنع بعضهم الآخر عن إتيانهم فما كان من الخلفاء إلا أن طرقوا عليهم بيوتهم المتواضعة، بعد أن تواضعوا للعلم الذي يحمله هؤلاء العلماء.

فاستدعى المنصور مالك بن أنس[١]، و سفيان الثوري[٢]، الليث بن سعد إلى بغداد فأتاه بعضهم وامتنع بعضهم الآخر، وعندما استخلف المهدي استقدم إليه العلماء، فأتاه بعضهم وأبى بعضهم الآخر، فكان ممن أتاه الليث بن سعد[٣]، وابن أبي ذئب استجابة لدعوة وجهها إليه فحدث بها[٤].

وبعث إلى الثوري فأتاه إلى بغداد، وإن كان قد طلب من المهدي أن لا يبعث إليه مرة أخرى حتى يقدم عليه هو، ثم غادر بغداد[٥]، ولم يعد إليها رغم دعوات الخليفة له، واستحثاثه إياه للقدوم عليه، وفي إحدى حِجاته حاول اصطحاب يحيى بن الزبير معه إلى بغداد، فاعتذر إليه فتركه[٦]، كما استقدم إلى بغداد محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة، ليحدث بها[٧]، وكان الرشيد

---

(١) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة، جـ ٢، ص ص ٢٠٠،٢٠١.

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان، جـ ٤، ص ٢٩؛ ابن حجر: مناقب الإمام الليث بن سعد، ص ٢١.

(٣) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٨ ، ص ١٤٦.

(٤) الخطيب : تاريخ بغداد ، جـ ٣ ، ص ص ٢٩٦ ، ٢٩٧ .

(٥) أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٧، ص ٤٣ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٧ ، ص ٢٦٢.

(٦) الزبير بن بكار: جمهرة نسب قريش، ص ٦٩.

(٧) الخطيب : تاريخ بغداد، جـ ٢، ص ٢٩٦.

يستدعي الشافعي فيسأله في كثير من المسائل[1]، بعد أن حاز إعجابه، أما ما تذكره بعض الروايات عن استقدام الرشيد للثوري عقب مبايعته بالخلافة[2] فإننا نذهب إلى نفي هذه الروايات، لأن الثابت أن الثوري توفي سنة(١٦١هـ/٧٧٨م)[3]،أي قبل استخلاف الرشيد (١٧٠هـ/٧٨٦م)، بتسع سنين.

أ- إتيان الخلفاءِ العلماءَ في بيوتهم:

وفي الوقت ذاته رفض فريق آخر من العلماء الاستجابة لدعوات الخلفاء لإتيانهم إما في بغداد أو في دار الخلافة لمن كان يقيم ببغداد، فما كان من الخلفاء إلا أن أتوهم في بيوتهم المتواضعة، أو في حلق العلم تواضعا، للعلماء، وهم أصحاب الجاه والسلطان، وكان يدفعهم إلى ذلك ما للعلماء من مكانة وسلطان في نفوسهم، فكان هارون الرشيد يزور العلماء أمثال مالك بن أنس وسفيان بن عيينة والفضيل بن عياض وابن السماك في بيوتهم[4]، ويحضر حِلق العلم، ويتعلم على أيدي هؤلاء العلماء[5]، أسوة مع غيره من طلاب العلم من عامة المسلمين.

وقد يكون من المناسب هنا أن نشير إلى جانب من ذلك التعامل الذي يدل على مكانة العلماء لدى الخلفاء، تلك المكانة التي جعلت الخلفاء يتواضعون للعلماء، تواضعا إنعدل به ميزان الحياة الإسلامية، فأخذ العلماء وضعهم الطبيعي في المجتمع، تواضعا جعل العلماء يدِلُّون على الحكام ، وهم (أي الحكام) لا يقبلون ذلك من أحد ممن يتعامل معهم، إلا أنهم قبلوه برضا من العلماء،

(١) أبو نعيم: حلية الأولياء، جـ٩، ص ٩٥، الرازي : مناقب الشافعي، ص ١٣٢.

(٢) أبو نعيم: حلية الأولياء، جـ٧، ص ٤، الغزالي : إحياء علوم الدين، جـ٢، ص ص ٥٢٤،٥٢٣؛ الكنـاني: نهج السلوك إلى معرفة سير الخلفاء والملوك، ص ص ٢٥١، ٢٥٣.

(٣) أبو نعيم: حلية الأولياء، جـ٦، ص ٤١١، ابن حبان : مشاهير علماء الأمـصار، ص ص ١٧٠،١٦٩؛ ابـن الجوزي: صفة الصفوة، جـ٣، ص ١٠٠، ابن خلكان : وفيات الأعيان، جـ٢، ص ٣٩١.

(٤) ابن دحية: النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، ص ٣٤.

(٥) مرعي بن يوسف: تنوير بصائر المقلدين، ص ٤٣.

ولنستمع إلى ما دار بين الرشيد وبين الإمام مالك في المدينة، فيرى أن الرشيد قال لمالك: "أريد أن أسمع منك الموطأ، فقال: نعم يا أمير المؤمنين، فقال الرشيد متى؟، قال مالك: غدا، فلما كان من الغد جلس الرشيد ينتظر في داره، وجلس مالك ينتظر في داره، فلما أبطأ عليه أرسل الرشيد إليه فقال: "يا أبا عبد الله مازالت انتظرك منذ اليوم، فقال مالك: وأنا أيضا يا أمير المؤمنين مازلت أنتظرك منذ اليوم... ثم قال: إن العلم يؤتى ولا يأتي"[1]. وإن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: "إن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع"[2]، ثم أمره أن يمشي إليه، فمشى الرشيد معه إلى منزله، فأجلسه على أديم ثم أنه نفّذ ما أمره الشيخ دون أن تأخذه الأنفة والعزة في ذلك، ولما عاد إلى بغداد قال: "توطأنا لمالك فانتفعنا بعلمه"[3].

وسأل الرشيد الفضيل بن عياض أن يأتيه ليأخذ عنه العلم والنصح فرفض إتيانه[4]، فما كان من الخليفة إلا أن أتاه في داره[5]، وكان يأتي ابن السماك في مجلسه[6]، وقد أثنى عليه ابن السماك لذلك قائلا: "تواضعك في شرفك أشرف من شرفك"[7]، وقصد المتوكل الإمام أحمد بن حنبل للاستئناس بآرائه، وإن كان الإمام أحمد رفض مقابلته[8].

لم يحظ العلماء بهذه المكانة لدى الخلفاء فحسب، بل ولدى الأمراء والولاة، فقد كانوا يجلون العلماء، ويأتونهم في أمصارهم وفي منازلهم لأخذ العلم عنهم أو لاستشارتهم فيما يشكل عليهم من

---

(١) مرعي بن يوسف: تنوير بصائر المقلدين ، ص ٤٨.

(٢) رواه الترمذي في سننه، كتاب العلم عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، باب ما جاء في فضل الفقه علـى العبادة، حديث رقم (٢٦٨٢)، جـ ٥، ص ٤٨.

(٣) الأربلي: خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٩٠.

(٤) المقريزي: الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، ص ٥٧.

(٥) ابن قتيبة: الإمامية والسياسة، جـ ٢، ص ٢١١.

(٦) ابن قتيبة : الإمامة والسياسية ، ص ٢١٠، أبو نعيم: حلية الأولياء ، جـ ٨ ، ص ٢٢٩.

(٧) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٣٢٦.

(٨) صالح بن أحمد بن حنبل: سيرة مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ص ١٠٢.

أمور الحكم، فقد بعث المهدي بولديه الهادي والرشيد إلى المدينة ليسمعا الموطأ من مالك[1]، ورحل بعد ذلك الرشيد بولديه الأمين والمأمون إلى الكوفة لسماع عبد الله بن إدريس و (عيسى بن يونس)[2]، ثم بعثهم إلى المدينة لسماع الموطأ على مالك[3]، وكان عبد الصمد بن علي - وهو أمير مكة والطائف – إذا ما أراد الثوري في أمر ذهب إليه، فإن لم يجده، جلس على بابه ينتظره حتى يأتي[4]، وأرسل محمد بن إبراهيم الهاشمي إلى الثوري قائلا: "والله لولا أني أعلم أنه ليس بمكة أحدٌ أبغض إليك مني لأتيتك"[5]، وعندما أرسل محمد بن سليمان إلى حماد بن زيد يستقدمه ليسمع منه، امتنع حماد عن الحضور، وكتب إليه: "إنا أدركنا العلماء وهم لا يأتون أحدا، فإن كنت وقعت في مسألة فأتنا وسلنا عما بدا لك"[6]، مبينا له آداب ارتياد مجالس العلم، حيث قال: "وإن أتيتني فلا تأتيني إلا وحدك، ولا تأتيني بخيلك ورجالك"[7]، فما كان من الأمير إلا أن التزم هذه التوجيهات وتحرك بمفرده إلى دار حماد[8]، فأخذ عنه ما أراد، وألح (طاهر بن عبد الله)[9] على أبي عبيد حتى يأتيه في منزله فيسمع منه، فلم يجبه، حتى كان طاهر هو الذي يأتيه[10].

---

(١) مرعي بن يوسف: تنوير بصائر المقلدين، ص ٤٨.

(٢) ابن الجوزي: صفة الصفوة، جـ٣، ص ١١١.

(٣) مرعي بن يوسف: تنوير بصائر المقلدين، ص ٤٩؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٣٣٦، ابن وادران: تاريخ العباسيين، ص ٨٤.

(٤) قلعجي : موسوعة فقه سفيان الثوري، دار النفائس، بيروت، ط٢، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ص ص ٢٠،٢١؛ عن أبي نعيم : حلية الأولياء، جـ٧، ص ٤٨.

(٥) أبو نعيم: حلية ألاولياء، جـ٧، ص ٤٨.

(٦) الأربلي: خلاصة الذهب المسبوك، ص ٧٤.

(٧) الغزالي: إحياء علوم الدين، جـ٢، ص ص ٢١٧،٢١٨.

(٨) الأربلي: خلاصة الذهب المسبوك، ص ٧٤.

(٩) طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق بن ماهان، لقب بذي اليمينين، كان أهم أعوان المأمون، في نزاعه مع الأمين، توفي سنة (٢٠٧هـ /٨٢٢م)، بمدينة مرو بخراسان، ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٢، ص ص ٥١٧، ٥٢١.

(١٠) ابن الجوزي: صفة الصفوة، جـ٤، ص ١١٨.

وبالرغم من أن بعض العلماء كانوا لا يمانعون من إتيان الخلفاء، إلا أن ذلك لم يضع من قدرهم لدى الخلفاء، بل كانوا يجلونهم، ويمتنون لهم ذلك، ويبذلون كل ما بوسعهم لإرضائهم، فلم يؤاخذ المنصور الأوزاعي عندما اعتذر عن لبس السواد(١)، شعار العباسيين رغم أن سيوف العباسيين كانت لا تزال مسلولة على معارضيهم بالشام، ورغم ما قد يحمله، هنا، الاعتذار من دلالات، وما يثيره من ظنون لدى الخليفة، وكان المهدي إذا جلس للمظالم أمر بإدخال العلماء عليه، وعندما سئل عن سبب ذلك، قال: "لأرد المظالم حياء منهم"(٢).

وبالغ الرشيد في إكرام من يقدم عليه من العلماء، حتى أنه كان يأتم بهم في الصلاة، وعندما أخطأ الكسائي في قراءته في الصلاة، خطأ، كما يقول هو: "لا يخطئه صبي، فقال: "يرجعين"(٣) لم يشنِّع عليه الرشيد ولم يرد عليه، بل تأدب معه غاية الأدب فقال: "أي لغة هذه؟(٤)" يعني أي قراءة، ويذكر أنه كان يصب الماء على أيدي ضيوفه من العلماء بعد فراغهم من الطعام، وعندما لامه البعض على ذلك، قال: "فعلته إجلالا للعلماء"(٥)، وكان إذا أتاه الشافعي أجلسه على سرير الخلافة، ثم يقعد هو بين يديه مصغيا إلى حديثه(٦).

استمر خلفاء العصر العباسي الأول في إكرام وإجلال من يأتيهم من العلماء، فكان المأمون يحب العلماء، ويعلي من شأنهم(٧)، ومن ذلك ما حظي به يحيى بن اكثم من مكانة مرموقة لديه، وللدلالة على ذلك فإن من المناسب أن نستمع إلى هذا العالم الجليل وهو يصف تعامل الخليفة معه،

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ ١٠، ص ص ١١٩،١٢٠.

(٢) ابن الخطيب: روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار، المطبعة المصرية، القاهرة، ١٢٨٠هـ - / ١٨٦٣م، ص ٣٦.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ ٩، ص ١٣٣.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) الذهبي :سير أعلام النبلاء، ص ٢٨٨، الأربلي: خلاصة الذهب المسبوك، ص ٧٩.

(٦) أبو نعيم: حلية الأولياء، جـ ٩، ص ٨٧.

(٧) الكناني: نهج السلوك إلى معرفة سير الخلفاء والملوك، ص ٢٥٦.

حيث قال: "ماشيت المأمون في بستان فكنت في الجانب الذي يستره من الشمس، فلما انتهى إلى أخره وأراد الرجوع، أردت أن أدور إلى الجانب الذي يستره من الشمس، فقال لا تفعل، ولكن كن بحالك حتى أسترك كما سترتني"[1]، وكان يجلس الشافعي معه على سرير الخلافة[2].

٨- طاعة الولاة للعلماء:

وإذا كانت هذه مكانة العلماء لدى الخلفاء، فيجدر بنا الإشارة إلى المكانة التي حظي بها العلماء لدى الولاة والأمراء العباسيين، إذ تذهب جل المصادر التاريخية إلى أن الولاة والأمراء كانوا يجلون العلماء ويكنون لهم التقدير والاحترام الذي يجعلهم، أحيانا، يخالفون أوامر الخلفاء وتوجيهاتهم إذا اقتضت إلحاق الضرر بالعلماء، وليس أدل على ذلك مما رواه الطبري[3] في أحداث سنة (١٥٨هـ / ٧٧٤م)، من أن أمير مكة محمد بن إبراهيم حبس بأمر المنصور كل من ابن جريج وعباد بن كثير والثوري، إلا أنه عندما خلى بنفسه رأى فداحة ما ارتكبه في حق هؤلاء العلماء، وما يمكن أن يحدث إن قدمهم للخليفة الذي، كان في طريقه إلى مكة، فما كان منه إلا أن أطلقهم من محبسهم، غير مبال بغضب الخليفة، وكان أمراء مصر لا يقطعون أمرا إلا بمشاورة الليث بن سعد لدرجة أن أحد الوشاة كتب إلى المنصور يحذره من تزايد نفوذ الليث في مصر، وأنه بات الحاكم الفعلي فيها، قائلا:

لعبـد الله عـبد عنـدي نصائح حكتها في السر وحدي

أمير المؤمنين تلاف مصرا فـإن أميـرها ليـث بن سعد[4]

---

(١) ابن عبد ربه: العقد الفريد، جـ٢، ص ٢٦٨؛ الطرطوشي: سراج الملوك، ص ٥٣.

(٢) ابن حجر: سيرة الإمامين الليثي والشافعي، ص ١٧٤.

(٣) تاريخ الأمم والملوك، جـ٦، ص ٣٠٥.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ٨، ص ١٥٨.

وكان كثير من الأمراء يهتمون لما يقوله العلماء فيهم ويجهدون أنفسهم لإرضائهم، باتخاذ السياسات التي يزكيها العلماء، فيروى أن سالم مولي عمر بن عبيد الله[1]، دخل على عامل المنصور ربما في المدينة، فشكا إليه العامل ورود بعض الأوامر من الخليفة، مما لا يرضاه، وأنه لا يجد بدا من إنفاذها، مع أنها تخالف كتاب الله، وربما انطوت على ظلم أو غصب، وكأنه يستشيره فيما يفعل إزاء هذا الموقف، أينفذ أوامر الخليفة ويكون بذلك مخالفا لكتاب الله؟ أم يلتزم كتاب الله ويخالف الخليفة؟ فقال له سالم: "قد أتاك كتاب الله قبل كتاب الخليفة، فأيهما اتبعت كنت من أهله"[2].

ولما أتى الشافعي مصرا عارضه تلاميذ مالك – وكانت مصر حينها تبعا لمذهب مالك – فلما علم أميرها بذلك، وتبين له فضل الشافعي، قدمه عليهم وأمره أن يقعد في الجامع وأمر حاجبه ألا يحجبه في أي وقت جاء[3]، وكان الفضل بن سهل[4]، وزير المأمون يبعث أصحابه في البلاد عيونا يسمعون ما يقول العلماء فيه من خير وشر فيطالعونه، فما سمع من خير ازداد منه وما سمع من عيبٍ فيه أزاله عنه[5]، وقد بلغ هذا التقدير من الأمراء والولاة للعلماء إلى الحد الذي شعر فيه بعض الخلفاء أنه ما عاد لهم سلطان على ولاتهم مع العلماء.

---

(١) سالم مولى عمر بن عبيد الله، يكنى بأبي النضر ، اسم أبيه أبو أمية المدني ، وهو مولى عمر بـن عبيـد الله التميمي وكاتبه ، أحد علماء عصره في الحديث، له أحاديث في الصحيحين، وثقة علماء الجرح والتعديل، توفي في أرجح الأقوال سنة (١٧٤هـ/٧٩٠م)، الذهبي: سير ألام النبلاء ، جـ٦، ص ص ٧،٦، جـ٨، ص٢٠.

(٢) الطرطوشي: سراج الملوك، ص ٣٩.

(٣) أبو نعيم: حلية الأولياء، جـ٩، ص ٩٠.

(٤) الفضل بن سهل بن زادان فروخ السرخسي ، وزير المأمون ، وأخو وزير المـأمون الحـسن بـن سـهل ، أسلم أبوه على يد المهدي ، وأسلم الفضل على يد المأمون سنة(١٩٠هـ/ ٨٠٦م) ، لقب بذي الرياستين لأنـه تقلد الوزارة والحرب ، قتل سنة (٢٠٢ هـ / ٨١٨م) ، الذهبي: سير أعلام النبلاء ، جـ١٠ ، ص ص ٩٩ ، ١٠٠.

(٥) الشيزري : كتاب النهج المسلوك في سياسة الملوك ، ص ٧ .

٩- تشجيعُ الخلفاءِ العلماءَ على التأليف والتصنيف:

لعل من أهم سمات وملامح نظرة الخلفاء للعلماء في العصر العباسي الأول، تشجيعهم على الاهتمام بالعلوم، بحثا ودراسة، تأليفا وتصنيفا، خصوصا العلوم الدينية، من لدن السفاح وحتى المتوكل، وإن كان هذا الاهتمام قد تزايد في عهود كل من المنصور والرشيد والمأمون.

وقد كان من ثمار ذلك الاهتمام والتشجيع تلك الحركة العلمية النشطة في تدوين السنن، والبدء بالتفسير، ونمو النشاط الفقهي، وهي ما أفرزت لنا المذاهب الفقهية المعروفة والتي كانت ومازالت المرجعيات الفقهية لكثير من التشريعات في أجهزة الدولة العباسية، واستمرت الأمة في تقديرها والالتزام بها مع بعض التغيرات البسيطة التي تلائم الزمان والمكان، حتى يومنا هذا، فكان لهذه الاجتهادات الفقهية الأثر البالغ، إلى جانب ما أضيف إليها عبر العصور اللاحقة من شروحات وتفاسير وإضافات في تعميق مجرى الفقه الإسلامي والحضارة الإسلامية، فضلا عن تصنيف العربية والتاريخ، والترجمة من اللغات الأجنبية، وتشجيع المذاهب الكلامية..، ومع ذلك فلم تكن كل هذه العلوم على درجة واحدة من الاهتمام والتشجيع لدى الخلفاء إذ كان الاهتمام تبعا لطبيعتها، ولمدى صلتها بالدين، والسياسة، ومدى تأثر الدولة بها.

كما بدأ تدوين العلوم وتصنيفها في العصر العباسي الأول، على أيدي العلماء، بعد أن كان أسلافهم التابعون يتحرجون من تدوينها، خصوصا الحديث لخوفهم من اختلاط القرآن الكريم، وهو كلام الله، بالحديث النبوي من ناحية، واختلاط أراء التابعين والصحابة بالحديث، من ناحية أخرى، ولكن مع بداية النصف الثاني من القرن الثاني الهجري صار موقف العلماء من التدوين والتصنيف مختلفا، وإن ظل البعض القليل على رأيه من الامتناع عن التدوين، بعد أن تبلورت هذه العلوم وأمكن التفريق بينها وتصنيفها، فكان القرآن الكريم قد دون بعد الجمع واتفق المسلمون على نسخة واحدة في عهد الخليفة عثمان بن عفان ، كما بذل العلماء من التابعين وتابعي التابعين جهودا مضنية في جمع وتنقيح وتصحيح الحديث النبوي وفق منهج شديد الدقة، ومن ثم فقد

أفسحت هذه الجهود المجال أمام العلماء للبدء في التصنيف والتأليف والتدوين للعلوم الدينية الأخرى التي حفلت باجتهادات العلماء وتفسيراتهم.

وإن كانت حركة الشعوبية والزندقة بالذات قد جددت مخاوف العلماء والخلفاء، على حد سواء، من إمكانية أن يحدث خلط بين الحديث النبوي وبين ما دسه الزنادقة على الحديث من أخبار وموضوعات، إلا أن الدولة بمساندة العلماء تصدت لمثل هذه المحاولات، وهو ما تؤكده الروايات التاريخية، فيروي الذهبي[1]: "أن هارون الرشيد أخذ زنديقا، فأمر بضرب عنقه، فقال له الزنديق: فأين أنت من ألفِ حديث وضعتها على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كلها ما فيها حرف نطق به؟ وكأنه أراد النجاة لنفسه من القتل، فقال له الرشيد: فأين أنت يا عدو الله من أبي إسحاق الفزازي وعبد الله بن المبارك ينخلانها فيخرجانها حرفا حرفا؟".

وثمة صور عديدة تبين مدى تشجيع الخلفاء، في العصر العباسي الأول، للعلماء على التأليف والتصنيف والاهتمامات العلمية، وهو اتجاه عام كان سمة العصر العباسي الأول، وتميز به جل خلفائه، فكان السفاح يثني على أولئك الذين عنوا بالعلوم، وغزر إنتاجهم منها[2].

وعندما زار المنصور المدينة وتهيأ له الالتقاء بعالمها مالك بن أنس، ووقف على علمه، أمره أن يدون علمه هذا في كتبٍ، ثم ينسخها نسخا فيرسل إلى كل مصر من أمصار المسلمين نسخة منها فيحملهم عليها، فلا يقضي القضاة بسواها[3]، إلا أن الإمام مالك بين للخليفة أن في الاختلاف الفقهي في الفروع حكمة ورحمة، وإن ذلك يتفق مع تنوُّع الحضارة الإسلامية

---

(١) سير أعلام النبلاء، جـ٨، ص ٥٤٢، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٣٣٤.

(٢) قال السفاح: ما رأيت أحدا أغزر علما من أبي بكر الهذلي، لم يعد علي حديثا قط، في إشارة إلى تنوع علمه وعدم تكرار ما يقول من صنوف العلم وأبوابه على الخليفة، الجاحظ: التاج في أخلاق الملوك، حققه: أحمد زكي باشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٣٢٢هـ/ ١٩١٤م، ص ١١٤.

(٣) ابن قتيبة: الإمامية والسياسة، جـ٢، ص ٢٠٢، الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء، ص ٤١، الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ٨، ص ص ٧٨،٧٩، مرعي بن يوسف: تنوير بصائر المقلدين، ص ٤٧.

ومرونتها، بما يوافق البيئات المختلفة، مع وحدة الأصل والمعتقد، وأن الناس لا يقبلون بفرض مذهب فقهي محدد عليهم، لأن ذلك تعطيل لمبدأ مهم في حياة الأمة هو مبدأ الاجتهاد، ولسنة ماضية هي سنة التطور، وهو مهم لاستطالة الأمة، ولاستمرارية الحياة.

ومع ذلك فقد أثمرت جهود الخليفة، هذه، واستحثاثه مالكا في خروج مصدر فقهي مهم، هو موطأ الإمام مالك، وإن كان قد اقترن بمناسبات أخرى في مراحل لاحقة.

ومن جهة أخرى كان يحدو الخليفة المنصور، وغيره ممن جاء بعده في حمل الناس على الموطأ الرغبة في توحيد الهوية الفكرية والفقهية للعناصر المكونة للأمة، لأن ذلك يدعم وحدتها السياسية، ولتأثر الدولة بالفقه، والتخريجات الفقهية التي تصدر عن العلماء، لأن الفقه كان أداة الاجتهاد والتشريع، وإن كان يمس شئون الدولة في التشريع والإدارة، فهو يمسها أيضا في الصميم من أمرها [1]، كما حدث عندما أفتى الإمام مالك بعدم لزوم يمين المكره[2].

وهذا اليمين وإن كان من الناحية الاجتماعية يعالج قضية الطلاق، فهو من الناحية السياسية يأخذ بعدا خطيرا يستهدف تعريض شرعية الخلافة والخليفة للسقوط، لأنه ببساطة يلغي العقد الذي يوثق به الخليفة طاعة الناس له، ويُبرأ ذممهم من أي حق للخليفة، ويفسح المجال لكل من يطمح في الخلافة إلى الإطاحة بالخليفة، المبايع، والدعوة إلى نفسه... وهو ما يوضح العلاقة الوطيدة بين الفقه وبين الخلافة، بوصفها مؤسسة سياسية ودينية من جهة، وبينه وبين مؤسساتها التشريعية والإدارية التي كانت تدار بموجب الاجتهادات الفقهية.

---

(١) انظر : أحمد أميـن : ضحى الإسـلام ، مكتبـة النهضـة المصـريـة ، القاهرة ، (د.ت)، جـ١، ص ٣٢.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٦، ص ١٩، خلاصة الذهب المسبوك، ص ٥٦،السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٣٠١.

وكان المنصور يخصص جزءا من وقته لمجالسة العلماء لتدارس بعض المسائل العلمية، وليس أدل على ذلك مما رواه ابن عياش من أنه حدث المنصور بعشرة آلاف حديث[١]، وكان مع ذلك يستوثق من هذه الأحاديث، فقد سأل أبا حنيفة عندما رأى غزارة علمه: "عمن أخذت هذا العلم؟ وعندما أعلمه أبو حنيفة أنه أخذه عن كبار التابعين وكبار الصحابة، أثنى عليه المنصور، فقال له : قد استوثقت"[٢].

استمر الخلفاء بعد المنصور في تشجيع العلماء على التأليف والتصنيف للعلوم، فكرر المهدي للإمام مالك ذات الطلب الذي سأله إياه المنصور أن يكتب كتابا في الفقه يحمل الناس عليه[٣]، وأعطاه أربعة آلاف دينار[٤]، وطلب من ابن إسحاق أن يصنف له كتابا في أخبار من سبقه، فصنَّف كتابه المغازي، ثم أمره باختصاره، فاختصره، واحتفظ المهدي بالأصل في خزائنه[٥]، وأمر إبراهيم بن زياد[٦]، بترجمة كتاب في الأدب[٧].

وفي عهد الرشيد زاد الاهتمام بالعلم والعلماء، لما أولى الرشيد العلماء من رعاية وتقدير، فحفلت مجالسه بالمناظرات الفقهية، وغيرها من فروع العلوم الدينية[٨]، كما حث العلماء على التأليف والتصنيف والتدوين للعلوم بعد أن تعاظمت مخاوفه من ضياع العلوم، واندثارها بموت

---

(١) الجاحظ: التاج في أخلاق الملوك، ص ١١٤.

(٢) مجهول: العيون والحدائق في الأخبار والحقائق، ص ١٨٧.

(٣) ابن عبد البر: الانتقاء من فضائل الثلاثة الأئمة، ص ٤٠.

(٤) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، جـ٢، ص ٢٠٣.

(٥) الخطيب: تاريخ بغداد، جـ١، ص ٢٢١.

(٦) إبراهيم بن زياد البغدادي: يعرف بسبلان، من علماء الحديث الثقاة، وسبلان بفتح أولـه وثانيـه علـى وزن فعلان، جبل بأردبيل من بلاد أذربيجان، وبه لقّب إبراهيم لثقله، توفي سنة (٢٢٨هـ / ٩٠٠م)، البكري: معجم ما استعجم، جـ٣، ص ٧٢٠، ابن حجر: تقريب التهذيب، حققه: محمد عوامة، دار الرشـيد، سـوريا، ط١، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ص ٨٩.

(٧) ابن النديم: الفهرست، ص ٣٨٣.

(٨) ابن أكثم: كتاب الفتوح، جـ٨، ص ص ١٥١،١٥٢.

العلماء، وبعد ما لفت انتباهه إلى ذلك الفضيل بن عياض لما زاره الرشيد في الحجاز، حيث قال: "يا أمير المؤمنين أخشى أن يكون العلم قد ضاع قبلك كما ضاع عندنا"[(١)]، فكان أول ما فعله عقب عودته إلى العراق أن كتب إلى ولاة الأمصار بتفريغ من لديهم من العلماء لتصنيف العلوم وتدوينها[(٢)]، وكان من هذه المصنفات كتاب الخراج لأبي يوسف ، والذي جاء تلبية لرغبة الرشيد في وضع كتاب جامع يعمل به في جباية الخراج والعشور والصدقات، وغير ذلك من أمور الخلافة[(٣)].

وفي حجة الرشيد سنة (١٧٤هـ / ٧٩٠م)[(٤)]، سمع الموطأ من مالك، ثم أبدى الرغبة في توحيد لمذاهب الفقهية في جميع أمصار الدولة، مكررا ما طلبه المنصور والمهدي من قبل، بفرض الموطأ ومذهب الإمام مالك كمذهب رسمي للدولة، وحمل الناس عليه، إلا أنه اقتنع بالحجج التي أبداها الإمام مالك، فعدل عن رغبته ورأيه في ذلك[(٥)]، ثم إن الإمام مالكا كان يبعث بنصائحه السياسية للرشيد عبر رسائل، جمعت بعد ذلك وأفردت في كتاب عرف برسالة الإمام مالك للرشيد[(٦)].

وشغل المأمون نفسه بالمسائل الفقهية، واهتم بالعلماء، فقربهم وأجرى المناظرات فيما بينهم[(٧)]، وكان يروي الأحاديث عن ابن عباس[(٨)]، وبلغ من اهتمامه بالعلم، أن عده المؤرخون

---

(١) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، جـ٢، ص ٢١١.

(٢) المصدر نفسه: ص ٢١٢.

(٣) أبو يوسف: كتاب الخراج، ص ٣.

(٤) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، جـ٢، ص ص ٢٠٦،٢٠٧.

(٥) مرعي بن يوسف: تنوير بصائر المقلدين في مناقب الأئمة المجتهدين، ص ص ٤٧،٤٨.

(٦) الإمام مالك : رسالة الإمام مالك للرشيد ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ط٣، ١٣١١هـ /١٨٩٣م ، ص ص ٣ ، ٥.

(٧) الغزالي : التبر المسبوك في نصيحة الملوك، المطبعة الخيرية، القاهرة، ط١، ١٣٠٦هـ / ١٨٨٩م، ص ٩٩.

(٨) برهان الدين الشافعي: إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون، مخطوط بدار الكتب المصرية، برقم ١٥٥٦، ميكروفيلم (٣٥٨٢٨)، تاريخ، ص ٦٠.

أعلم خلفاء بني العباس[1]، إلا أنه مال أكثر إلى الكلام والمتكلمين، مما أفضى به إلى الاعتزال، وكان ذلك سببا في نفور كثير من العلماء عنه، أمثال الشافعي وأحمد بن حنبل، ولذلك عندما عاد الشافعي إلى بغداد، في المرة الثانية – التي كان المأمون قد استخلف فيها – لم يقم فيها طويلا[2]، وهي القبلة التي تهوي إليها أفئدة العلماء، وفيها تلاميذه ومريدوه، وفضل الرحيل إلى مصر، وهي حينذاك أقل مكانة علمية من بغداد، لأنه لم يستطب جوار المأمون الذي تفلسف وقرب إليه المتكلمين[3]، وأهل الأهواء، فكانوا بطانته وأهل دولته.

وقد تشبه الولاة والعمال بالخلفاء في تشجيع العلماء على التفرغ للعلم والتأليف والتصنيف، فيرون أن أصل المدونة أسئلة سألها أسد بن الفرات [4]، لأحد تلاميذ مالك ثم رتبها وبوبها ودونها سحنون [5]، وأعطى عبد الله بن

(١) الغزالي: التبر المسبوك، ص ٩٩.

(٢) البيهقي: مناقب الشافعي، جـ١، ص ٢٢٠.

(٣) أبو زهرة: الشافعي حياته وعصره وآراءه وفقهه، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م، ص ص٢٧،٢٨.

(٤) أسد بن الفرات، أبو عبد الله الحراني، المغربي، كان عالما مجاهدا، قاضيا وأميرا، وقد ابتدأ رحلة الجهاد عندما اصطحبه أبوه الفرات بن سنان معه إلى القيروان للجهاد، وعندما كبر قاد جيوش المسلمين لفتح جزيرة صقلية، عندما ولاه زيادة الله الأغلبي قيادة جيوش المسلمين، وكان مع ذلك شديد الحرص على تحصيل العلم فروى عن مالك الموطأ، وروى عن أبي يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني علم أبي حنيفة، فغلب عليه الرأي، توفي سنة (٢١٣هـ / ٨٢٨م)، مجاهدا في صقلية، الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ١٠، ص ص ٢٢٥،٢٢٧.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ١٢، ص ٦٨، سحنون: أحد كبار علماء المغرب وأحد أتباع مالك بن أنس، ومعنى سحنون، طائر بالمغرب يوصف بالفطنة والتحرُّز، وهي صفات تميز بها سحنون، فقد اجتمعت فيه صفات قلّما تجتمع في غيره، مثل الفقه والورع والصرامة في الحق والزهد، ولم يكن يهاب سلطانا ولا غيره، توفي سنة (٢٤٠هـ / ٨٥٤م)، الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ١٢، ص ص ٦٨، ٦٩.

طاهر [١] ، أبا عبيد ألف دينار ليستعين بها على التفرغ لطلب العلم وتصنيفه[٢]، فأنفقها أبو عبيد في تأليف كتاب غريب الحديث فأعجب به عبد الله بن طاهر كثيرا وتعهده بالرعاية، قائلا: "إن عقلا يحض صاحبه على عمل مثل هذا الكتاب لحقيق أن لا يحوج إلى طلب المعاش، فأجرى عليه عشرة آلاف درهم في الشهر"[٣]، ووجه الجاحظ رسائله في المعاش والمعاد إلى قاضي القضاة محمد بن أحمد بن أبي دؤاد[٤].

وهكذا ظل العلماء ينظرون إلى الخلافة طيلة العصر العباسي الأول على أنها قوام دولة الإسلام فهي في نظرهم واجبة شرعا وعقلا ، وبينوا أهمية الخلفاء ، ووجوب طاعتهم ، وحدود هذه الطاعة ، كما أن خلفاء العصر العباسي الأول كانوا ينظرون إلى العلماء نظرة ملؤها الإجلال والتقدير، وكانوا في كثير من الأحيان، يستجدون رضاهم، ويطمعون في الاستئناس بآرائهم واجتهاداتهم لتسيير دفة الحكم، بل ويسعون لإشراكهم في السلطة كأعوان على الإصلاح، بغض النظر عما لاقاه بعض العلماء من عنت على أيدي بعض الخلفاء والولاة إلا أن ذلك لم يكن الإتجاه العام لتعامل الخلفاء مع العلماء ، بل كانت السمة العامة لنظرة الخلفاء إلى العلماء في العصر العباسي الأول هي الإحترام والتقدير والإجلال .

---

(١) عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب: ولي خراسان للعباسيين، ثم استقل بها أبناؤه، تأدب على يد وكيـع بن الجراح، وكان المأمون يجله ويعتمد عليه، فقد قلده مصر وأفريقيـة، ثـم ولـي خراسـان، تـوفي سـنة (٢٠٣هـ/٨١٨م)، الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ ١٠، ص ص ٦٨٤ ، ٦٨٥ .

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ ١٠، ص ٤٩٣.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ ١٠، ص ٤٩٥.

(٤) الجاحظ: رسائل الجاحظ، الرسائل السياسية، ص ٥ ، محمد بن أحمد بن أبي دؤاد الأيادي القاضي: يكنى بأبي الوليد، أحد كبار المعتزلة، وكان أبوه ممن حمل الخلفاء على القول بخلق القرآن والابتلاء فيه، ولاه المتوكـل قضاء بغداد بعد أن فلج أبوه أحمد بن أبي دؤاد، توفي ببغداد سنة (٢٣٩هـ / ٨٥٣م)، الخطيب: تاريخ بغداد، جـ ١، ص ٢٩٧.

الفصل الثالث
منهج العلماء في المشاركة في الحياة السياسية في العصر العباسي الأول

١

منهج العلماء في المشاركة في الحياة السياسية في العصر العباسي الأول .

اتخذ العلماء في العصر العباسي الأول أساليب مختلفة في المشاركة السياسية، تبعا للظروف الموضوعية التي عاشها كل منهم ، وتبعا للطبائع الشخصية لهؤلاء العلماء .

فمنهم من شارك في الحياة السياسية بشكل مباشر ، من خلال العمل في وظائف الدولة ، مثل الولايات والعمالات ، والقضاء والمظالم ، وغيرها ، فقاموا بأدوار مؤثرة في الحياة السياسية في العصر العباسي الأول ، ولم يكتفوا بذلك بل سعوا إلى الخلفاء بالوعظ والنصح والتوجيه ، كلما استوجب الأمر ذلك ، وهو ما يمكن أن يدخل في منهج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضمن التغيير باليد .

هناك فريق آخر من العلماء إتخذ أفراده أسلوبا آخر في المشاركة في الحياة السياسية ، فلم يدخلوا في وظائف الدولة ، لأسباب كثيرة ، ابدوا بعضها ، وسكتوا عن بعضها الآخر ، وإنما أتت أدوارهم في الحياة السياسية من خلال المواعظ والنصائح التي كانوا يقدمونها لدى ورودهم على الخلفاء ، أو عندما يأتيهم الخلفاء والأمراء ، أو من خلال المراسلات التي كانت تجرى بينهم وبين الخلفاء والأمراء .

وكان لهذه النصائح والمواعظ ، التي كانت تحوي أراء العلماء السياسية ، ورؤاهم لما هو كائن من أوضاع سياسية ، ولما يجب أن يكون - في كثير من الأحيان - أثرا في توجيه سياسة الخلفاء والأمراء العباسيين ، وهو ما يمكن ان يدخل في سياق التغيير باللسان ، في منهج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وقد تباينت هذه المواعظ والنصائح ، التي مثلت أدوار العلماء في الحياة السياسية في العصر العباسي الأول ، بين الشدة واللين ، الضعف والقوة ، القسوة واللطف ، بين التقريع والتودد ، تبعا لطبيعة العالم الشخصية ، ووفقا للمنهج الذي يسلكه ، وتبعا لما يستلزم الحال من مقال ، ويمكن عد هذا الفريق من العلماء ضمن التيار الموافق للخلفاء ، المشارك في الحياة السياسية ، وإن اختلفت درجة الموافقة و المشارك .

في الوقت ذاته اتخذ فريق آخر من العلماء ، مواقف معارضة للخلفاء العباسيين ، وقد تباينت درجات هذه المعارضة بين اعتزال أعمال الدولة ، والإمتناع عن إتيان الخلفـاء والأمـراء والـولاة ، وتحريض الناس على ذلك ، ورفض هباتهم ، ونهي الناس عنها ، ثم الانضمام إلى الحركات الخارجة على الخلفاء العباسيين ، وإن كان هذا قد تم في نطاق محدود ، ومن عدد قليل من العلماء .

كما اتخذ فريق ثالث من العلماء موقفا إنسحابيا من الحياة السياسية فـي العـصر العباسـي الأول ، فرفض أفراده التعاطي مع الخلفاء والأمراء ، إما لمعارضتهم بعض مظاهر الحياة السياسية في أجهزة الدولة ، وبالتالي وقعوا في إحباطات عدم الحصول على نتائج عاجلة لما بذلوه من جهد في سبيل تقويم ما رأوه معوجا في الحياة السياسية ، أو خوفا من الوقوع في أسر عطايا وهبات الخلفـاء والأمـراء ، مما يمنعهم مستقبلا من القيام بدورهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر معهم ، أو لاعتـزالهم الحياة السياسية منذ البداية ، وانصرافهم إلى تحصيل العلوم الدينية ، وانقطاعهم إلى العبادة ، من جهة أخرى .

وهو مع ذلك موقف لهذا الفريق من العلماء من الحياة السياسية ، وإن إتسم بالسلبية ، وهو ما يمكن أن يدخل في المنهج الإسلامي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ضمن التغيير بالقلب .

وإذا كنا هنا سنعتمد هذا المنهج (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) - وهو مـنهج إسـلامي أصيل ، ولاريب أنه كان حاضرا في تصورات العلماء ، يقيسون عليه مـا يرونـه فـي حيـاتهم ، وبخاصة الحياة السياسية ، من مخالفات - في معالجة أساليب المشاركة السياسية للعلماء في العـصر العباسي الأول ، فيتوجب علينا بداية ، أن نبين مدلول كلمة المنكر ، وأهمية الأمر بالمعروف والنهـي عن المنكر في حياة الأمة ، ودرجاته، ثم الشروط والآداب المطلوبة في القائمين به ، وهو ما سـوف نتناوله في السياق القادم .

أ . مدلول المنكر :

يأتي المنكر في اللغة من الفعل نكِر ، ونكِره ، ينكره نكرا ، فهو منكور ، واستنكره فهو مستنكر ، والمنكر من الأمر خلاف المعروف ، وضده [١] ، والإنكار ،تغيير المنكر [٢] .

(١) ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٦ ، ص ٤٥٣٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٥٤٠ .

وفي الشرع ، يكاد يتفق علماء اللغة و الفقه على تعريف واحد للمنكر ، فيعرفه ابن منظور[١] : «بأنه ما قبحه الشرع وحرمه وكرهه ، فهو منكر » ، وقريب من ذلك عر فه الأحوذي [٢] ، فقال : هو الذي ليس بمعتاد ، ولا معروف في السنة ، ولا عرف حسنه من جهة الشرع ، وما عرف قبحه » ، وهو يتفق في ذلك مع ما ذهب إليه الجرجاني [٣] من أن المنكر : « ما لم يحسنه الشرع ، ولـيس فيه رضى الله تعالى ، من قول أو فعل ، تستقبحه الشريعة و العفـة » ، وفـرق الغزالـي[٤] فـي المنكرات بين مكروهة ، ومحظورة ، وأن النهي عنها من مقتضيات الإيمان ، وأن السكوت عنها من أسباب استشراء الفساد في الأرض ، بل إن الجويني [٥] عد الشرع كله أمر بالمعروف ونهـي عن المنكر [٦] .

ب . أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

يكتسب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أهمية بالغة في حيـاة الأمة المسلمة ، فهو القطـب الأعظم في الدين ، والمهم الذي إبتعث الله به النبيين ، ولو أهمل لتعطلت النبوة ، واضمحلت الديانة

---

(١) ابن منظور : لسان العرب ، ص ٤٥٣٩ .

(٢) الأحوذي : تحفة الأحوذي : دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت ، جـ ٦ ، ص ٤٠٤ .

(٣) الجرجاني : التعريفات ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، جـ ١ ، ص ٥٤ ، ٦٨٠ .

(٤) الغزالي : إحياء علوم الدين ، جـ ٢ ، ص ٣٩١ ، انظر كذلك : محمود توفيق محمد سعيد : فقه تغيير المنكـر ، مجلة الأمة ، العدد (٤١) ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، قطر ، ط١ ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م ، ص ٦٤ .

(٥) الجويني . عبد الملك بن عبد الله بن يوسف النيسابوري ، الشافعي ، يكنى بأبي المعالي ، إمام الحـرمين ، عـرف بذلك لأنه سكن المدينة وانقطع إلى مسجدها لسنين عدة حتى توفي سنة (٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م) ، الأكفاني : ذيل ذيل تاريخ مولد العلماء ، تحقيق عبد الله أحمد بن سلمان الحمد ، دار العاصمة ، الرياض ، ط١ ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م ، ص ٦١ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ١٩ ، ص ١٥٨ .

(٦) الخلال : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، تحقيق عبد القادر أحمد عطا ، دار الإعتصام ، القـاهرة ، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م ، ص ٧٧ .

، وفشت الضلالة ، وشاعت الجهالة ، وانتشر الفساد » [1] ، فهو ، بمن يقوم بـه ، الـضابط الـذي يضبط حياة الأمة ، ويعيد التوازن المختل في حياة الأمة إلى وضـعه الطبيعـي ، ولأهميـة الأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر في حياة الأمة ، شددت الآيات القرآنية في توجيه المسلمين إلى القيام به ، فرادى ، وجماعات ، حكاما ومحكومين ، علماء وعامة ، كل بحسب وسعه وطاقته ، ولكن دون أن يسقط هذا المبدأ الضروري لبقاء الأمة واستمراريتها كما أراد الله لها أن تحيا .

لذلك فإننا نجد أنفسنا أمام حشدٍ من الآيات القرآنية المبينة لأهمية الأمر بالمعروف والنهـي عـن المنكر ، وفي هذا السياق سنعرض لبعضٍ منها ، فقد قال تعالى مبينا دور العلماء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، خاصة ، فقال تعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » [2] ، وقال عز وجل في موضع آخـر : " لـولا ينهـاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون » [3] .

كما بين السياق القرآني أن قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا كانت منوطـة بالعلمـاء بالدرجة الأولى ، بوصفهم قادة الفكر ، ومشاعل النور والهداية في الأمة ، فهي كذلك مطلوبـة مـن العامة ، لأنها ضمان لسلامة المجتمع من الأمراض الإجتماعية التي تبدأ بسيطة ، ثم إن لم تعـالج ، تستشري في جسم الأمة ، فتصيبها بالعجز ، و قد تفتك بها ، فقال تعالى : « والمؤمنـون والمؤمنـات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » [4] ، وقال عز وجل في موضع آخر : كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » [5] ، فربط خيرية الأمة بقيامها بهذا الأمر ، لما له من أهمية .

---

(١) ابن الأخوة : معالم القربة في أحكام الحسبة ، تحقيق ربن ليون ، مكتبة المتنبي ، القاهرة ، د.ت ، ص ١٥ .

(٢) آل عمران ، الآية : ١٠٤ .

(٣) المائدة ، الآية : ٦٣ .

(٤) التوبة ، الآية : ٧١ .

(٥) آل عمران ، الآية : ١١٠ .

وإذا كانت الآيات القرآنية قد بيَّنت أهمية قيام العلماء والعامة بدورهم في الحفاظ على توازن الحياة الإسلامية ، من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فإنها كذلك توجهت إلى الحكام للقيام بهذا الدور بما لديهم من سلطان حازوه بالدين ، وللتمكين لدين الله في الأرض ، فقال تعالى : « الـذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر » [1] بعـد أن أعطى الأمة صورا من حياة الأمم السابقة ، التي سادت يوما ثم بادت ، عندما تركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأنهم إستحقوا بذلك غضب الله ومقته ، ولأنهم لم يأخذوا بأسباب النجـاة ، فـإن مآلهم كـان إلى الـزوال ، قـال الله عز وجل : « لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون » [2] .

كما بينت السنة النبوية أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في سياقات عديـدة ، فقـال رسول الله صلى الله عليه وسلم :« من رآى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » [3] ، كما حذر النبي صلى الله عليه وسلم من عواقب تـرك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أو حتى التهاون فيه ، في الدنيا والآخرة ، فقال صلى الله عليه وسلم :« إن الناس إذا رأوا منكرا لم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقابه » [4] ، لأن العقاب الجماعي لا يأتي مادام المنكر مستورا ، وغير مجاهر به ، فإذا ظهر بدأ التكليف بتغييره فإن لم ينكـره النـاس عمهم الله بعقابه .

من هنا يأتي دور العلماء في تقويم ما كان يحدث من إنحرافات في الحيـاة السياسية في العصـر العباسي الأول ، ضمن منهج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهم الذيـن يدركون أكثر من

---

(١) الحج ، الآية : ٤١ .

(٢) المائدة ، الآيتان : ٧٨ ، ٧٩ .

(٣) رواه ابن ماجة في سننه ، كتاب الفتن ، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، حديث رقم (٤٠١٣) ، جـ ٢ ، ص ١٣٣٠ .

(٤) رواه ابن ماجة في سننه ، كتاب الفتن ، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، حديث رقم (٤٠٠٥) .

غيرهم أهميته ووجوبه ، [1] ، فكان سفيان الثوري ، كما تصوره الروايات التاريخية ، لا يفتر لسانه عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر [2] ، وتوالت رسائل مالك بن أنس إلى الرشيد ، يدعوه فيها إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بوصفه خليفة المسلمين ، وصاحب السلطة عليهم ،حيث قال :« مر بطاعة الله وأحبب عليها ، وانه عن معاصي الله تعالى ، وأبغض عليها » [3] ، ثـم ذكـر لـه حديث النبي صلى الله عليه وسلم :« مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر فإنما هلك من كـان قـبلكم بتركهم نهيهم عن المعاصي ، ولم ينههم الربانيون والأحبار ، فمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن ينزل بكم الذي نزل بهم » [4] .

ودأب عبد الله بن عبد العزيزالعمري على توجيه أقرانه من العلماء إلى القيام بدورهم في إنكار مـا يرونه من مخالفات الخلفاء والأمراء ، وأن يتحملوا ما يمكن أن يصيبهم من أذى في هذا السبيل ، إذ قال : "من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مخافة المخلوقين ، نزعت منه هيبة الله تعالى ، فلو أمر بعض ولده أو مواليه لاستخف به " [5] ، وكان يقول كذلك : "إن من غفلتـك عـن نفـسك وإعراضك عن الله أن ترى ما يسخطه فتجاوزه ، ولا تأمر بالمعروف ولا تنهى عن المنكر خوفا ممن لا يملك لك ضرا ولا نفعا"[6]،وعندما سئل وهيب بن الورد عما يعلنه من عمله قال : "الأمر بالمعروف

---

(١) ابن حزم : الفصل في الملل و الأهواء والنحل ، جـ ٥ ، ص ١٩ .

(٢) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٧ ، ص ٢٥٩ .

(٣) مالك بن أنس : رسالة الإمام مالك إلى الرشيد ، ص ٥

(٤) رواه ابن ماجة في سننه ، كتاب الفتن ، باب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، حديث رقم (٤٠٠٤) ، جـ ـ ٢ ، ص ١٣٢٧ .

(٥) أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٨ ، ص ص ٣١٤ ، ٣١٥ ، ابن الجوزي : صفة الصفوة ، جـ ـ ٢ ، ص ١٢٢ ، الرقي : أحاسن المحاسن ، ص ١٧٤ .

(٦) أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٨ ، ص ص ٣٧١ ، ٣١٨ ، القصيبي : الإهتمام في مناصحة الإمـام ، مخطـوط بدار الكتب المصرية برقم ٢٢٦، ميكروفيلم (١٦١٢٨) ، حديث ، ص ١٢ .

والنهي عن المنكر " [١] ، وكان سـالم بن سلم البلخي [٢] صارما يأمر بالمعـروف وينهـى عـن المنكر [٣] .

ومع هذا الاتفاق بين العلماء على أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فإنهم قد اختلفوا في أساليب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، من حيث الشدة واللين ، بالإصـلاح أم بـالتغيير مـن الجذور .

جـ- شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

حدد العلماء لمن يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، شروطا ، تتلخص فـي الإسـلام و التكليف والاستطاعة ، والإذن من الإمام ، فيما يتعلق بتغيير المنكر مع النـاس ، وأن لا يترتـب عليه مفسدة أكبر من المصلحة المرجوة ، إلى جانب الفقه ، واللطف واللـين وغيرهـا مـن الآداب الإسلامية .

اختلف العلماء في وجوب الإذن من الإمام لمن يقوم بتغيير المنكر ، فرأى بعضهم وجـوب الإذن ، وعارضه آخرون ، فقد رأى الغزالي أن هذا الشرط فاسد ، لأن الخطاب القرآني في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أتى على العموم لا الخصوص [٤] .

والذي نرجحه في هذا الأمر أن المنهي عنه، هو تغيير المنكر مع الناس باليد ، لأن ذلك للسلطان

---

(١) أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٨ ، ص ١٦١ .

(٢) سالم بن سالم البلخي ، يكنى بأبي محمد ، أحد علماء الحديث ، وإن ضعفوه ، إلا أنه كـان صـارما فـي الأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقد ظهر أمره في ذلك بخرا سان ، فاستقدمه الرشيد ، وحبسه بالرقة ، ولم يـزل فـي حبسه حتى توفي الرشيد ، فأخرجه الأمين ، وقدم بغداد ، ثم عاد إلى خرا سان ، ومات بها في خلافة الأمـين ، ابـن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ٧ ، ص ٣٧٤ .

(٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ٧ ، ص ٣٧٤ .

(٤) القصيبي : الإهتمام في مناصحة الإمام ، ص ١٨ .

، يقوم به هو ، أو من ينيبه عنه ، وهو المحتسب [١] ، ولذلك فقد أنكر المأمون على رجـل محتـسب يمشي في الأسواق يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، لأنه لم يأذن له [٢] ، فضلا عن الإنكار علـى السلطان باليد .

واشترط العلماء أن لا يترتب على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضرر يلحـق بـالفرد أو بالمجتمع،ويدخل في ذلك الإنكار على السلطان بالخروج عليه بالسيف،لأن ذلك يؤدي إلـى فتنـة قـد تستأصل الأمة،كذلك إذا خاف المرءعلى نفسه الأذى إن هو قام بالأمـر بـالمعروف والنهـي عـن المنكر مع السلطان ، فالأولى أن يترك ذلك ، فقد قيل لداود الطائي : أرأيت رجلا دخل علـى هـؤلاء الأمراء فأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر ؟ » [٣] - وكان يستشيره - فقال :« أخـاف عليـه السوط والسيف » [٤] ، وقال بشر بن الحارث : لا ينبغي أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكـر إلا من يصبر على الأذى » [٥] .

كما اشترطوا فيمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، أن يكون ملمـا بـالعلوم الـشرعية،حافظا لكتاب الله العزيز،ولحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبار الصالحين ،وحكايات المتقدمين [٦]، وقد عبر عن ذلك سفيان الثوري ، فاشترط أن يكون عالما بما يأمر، عالما بما ينهى ، عدل فيما يأمر عدل فيما ينهى [٧] .

---

(١) المحتسب . من الاحتساب ، وهو فعل الشيء دون انتظار الأجر العاجل ، وإنما طلب الأجر من الله تعالى ، ومنـه الصبر على المصائب واحتساب أجر ذلك عند الله ، والمحتسب رجل يكلف من قبل الدولة بالإشراف على الأسـواق ، والأمر بالمعروف إذا ظهر تركه والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله ، ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٢ ، ص ٨٦٦ .

(٢) الغزالي : إحياء علوم الدين ، جـ ٢ ، ص ص ٤٧٢ ، ٤٧٣ .

(٣) الرقي : أحاسن المحاسن ، ٢٩٦ .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٨ ، ص ٣٧٩ .

(٦) ابن الأخوة : معالم القربة في أحكام الحسبة ، ص ١٧٩ .

(٧) الخلال : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ص ص ٧٩، ٨٠ ، أبو نعيم :حلية الأولياء ،جـ٦، ص ٤١٩ .

وينبغي على من يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أن يتسم بالرفق ، واللين ، خصوصا فيما يتعلق بالسلطان ، لأن ذلك أقرب إلى استجابة النفوس ، وقبولها ، وقد قال تعالى:"ادع إلى سـبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن " [1] .

ولأن النفوس لا تقبل مجاهرتها بعيوبها ، خصوصا إذا كان ذلك بين الناس ، لأنه محمـول علـى معنى التوبيخ والتقريع ، وهو ما تأنفه النفوس وتأباه ، ونلمس ذلك في إجابة ، مـسعر بـن كـدام ، للثوري ، حيث قال له :" تحب أن يخبرك رجل بعيوبك ؟ فقال : أما أن يجيء إنسان فيوبخني بها ، فلا ، وأما أن يجيء ناصح فنـعم " [2] ، لأن من وعظ أخاه علانية فقد شانه ، ومن وعظه سرا فقـد زانة [3] .

وقد بين الثوري ، أنه يجب على من ينصح السلطان أن يكون شفيقا في نصحه [4] ، وإن تجاوز هـو هذا المعنى كثيرا في تعامله مع الخلفاء .

د . آداب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

بين العلماء أن ثمة ادآبا يجب الإلتزام بها عند القيام بالأمر بالمعروف والنهـي عـن المنكـر ، خصوصا فيما يتعلق بوظائف المحتسب ، فنهوا عن تتبع أصحاب المنكرات في بيـوتهم وخلـواتهم ، لأنهم بذلك يكونون قد إرتكبوا منكرا أكبر ، هو انتهاك حرمات البيوت ، وقطع طريق التوبـة علـى أصحاب هذه المنكرات .

---

(١) النحل ، الآية ١٢٥ .

(٢) ابن حبان : كتاب روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ، ص ١٧٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٧٣ .

(٤) الخلال : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ص ص ٧٩ ، ٨٠ ، أبـو نعـيم : حليـة الأوليـاء ، جـ ٦ ، ص ٤١٩ .

فعندما سأل أبو عبد الله بن الربيع [١] سفيان الثوري عن مدى جواز تتبع أهل المنكرات في بيـوتهم ، قائلا :« إني أكون مع هؤلاء المحتسبة فندخل على هؤلاء الخبثاء ، ونتسلق على الحيطان ، قال لـه الثوري : مستنكرا أليس لهم أبواب ؟ [٢] ، فكأنه أنكر عليه ذلك ، وعندما سئل أحمد بن حنبل عـن جواز تتبع أهل المنكر ، والتجسس عليهم ، نهى عنه قائلا : لا عليك إن غاب عنك ، فلا تفتّش » [٣] ، وكره أن يرفع أهل المنكر إلى السلطان الظالم ، لأنه قد يتجاوز معهم حد العقوبة ، أوإلى المفـرط الذي لا يقيم الحدود [٤] .

ويجدر بنا بعد بيان مدلول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأهميته وشروطه وآدابه ، وتقسيم العلماء في مشاركتهم في الحياة السياسية في العصر العباسي الأول ، إلى ثلاثة تيارات ، تيار موافـق مشارك ، وتيار منافر معارض ، وثالث منعزل ، يجدر بنا بعد هذا كله ، أن ننبه إلى أننـا ، بهـذا التقسيم لسنا إزاء حدود فاصلة ، حاسمة بين هذه الإتجاهات الثلاثة ، بمعنى أن الفريق المشارك فـي السلطة يمكن أن يعارض الخلفاء في جوانب من سياساتهم ، عندما يستدعي الأمر ذلك ، وأن الفريـق المعارض قد يتخذ مواقف مؤيدة للخلفاء في جوانب من سياساتهم ، فيما يستحسنه منها ويرى انسجامه مع تعاليم الإسلام ، وأن بعض أفراده ، في المقابل ، قد يتجهون إلى العزلة عن الحياة السياسية ، لأي سبب .

---

(١) أبو عبد الله بن الربيع الصوفي ، أحد العلماء ، من أقران سفيان الثوري ، كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وكان يبالغ في ذلك ، فيتتبع أصحاب المنكرات إلى بيوتهم وخلواتهم ، فيتسلق عليهم الحيطان ليطلع عليهم ، فأنكر عليه سفيان الثوري ذلك ، لم أقف له على تاريخ وفاة ، أحمد بن حنبل : الورع لأحمد بن حنبل ، تحقيـق زينـب إبـراهيم القاروط ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٧٣ م ، ص ١٥٤ ، الخلال : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ص ٧٩ .

(٢) الخلال : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ٧٩ .

(٣) ابن الجوزي : تلبيس إبليس ، ص ١٣٣ .

(٤) المصدر نفسه .

هذا التداخل بين هذه الاتجاهات الثلاثة من العلماء من الحياة السياسية في العصر العباسـي الأول ، كان طبيعيا أن يحدث ، ويجب أن يحدث في ميادين العلاقات الإنسانية ، وتبعا للظروف الموضـوعية التي عاشها أولئك العلماء ، إلا أننا في تقسيمنا اعتمدنا الصفة الغالبة التي ميزت كل فريق من العلمـاء ، بين الموافقة ، والمعارضة ، والاعتزال .

أولا : التيار المشارك :

انقسم المشاركون من العلماء في الحياة السياسية في العصر العباسي الأول ، إلى قسمين ، فكـان منهم من شارك بشكل مباشر من خلال العمل في أجهزة الدولة ، في القضاء ، وفي الولايات الأخرى ، وهو ما يدخل ضمن التغيير باليد ، في منهج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومنهم من شارك من خلال النصح والوعظ ، وهو ما يمكن أن يدخل في إطار التغيير باللسان .

١ ـ العمل في أجهزة الدولة (التغيير باليد):

عمل عدد من العلماء في أجهزة الدولة المختلفة ، وقاموا بأدوار مختلفة في الحياة السياسية في العصر العباسي الأول ، من خلال الوظائف التي عملوا بها ، سواء في القـضاء أم فـي الولايـات والعمالات الأخرى ، أم في الوزارات ، أم في غيرها من الوظائف ، وقد أتسمت مشاركة هذا الفريـق من العلماء في الحياة السياسية بالقوة والفاعلية ، وهو ما يتفق مع التغيير باليد .

بداية يتوجب علينا أن ننبه إلى أنه ليس جميع من شاركوا في السلطة قد ذهبوا إليهـا بمحـض اختيارهم ، إذ كان الخلفاء العباسيون يدفعونهم إلى هذه الوظائف دفعا ، كما ينبغي التنبيه إلى أن جـل العلماء كانوا ينظرون إلى وظائف الدولة على أنها مغرما لا مغنما ، تكليفا لا تشريفا ، بلاء يـصيب من تصدى لها .

لذلك فقد كان الكثيرون منهم يستعفون ويعتذرون عن تحمل مسؤولية هذه الأعمال ، إلا أن الخلفاء كانوا يلحون عليهم ، مستخدمين كل وسائل الترغيب والترهيب [1] ، فكان من العلماء من يصمد أمام

---

(١) يشير تيار كثيف من الروايات التاريخية إلى ان أبا جعفر المنصور أراد أبا حنيفة على القضـاء ، لما لمسـه من علمه وتقواه ، وأن ابا حنيفة حاول التخلُص من العمل في القضاء بكل وسيلة ، فكان تارة يدعي العجز والضعف عـن القضـاء ، وتـارة يدعي الجهـل بالأحكام ، وأنه على ذلك لا يصلح للقضاء ، لكن المنصور ألح عليه ، فأقسم

هذه الضغوط ، متمسكا بموقفه في عدم المشاركة في السلطة ، فيتعرض للضرب والسجن ، وتهميش رأيه الفقهي في تشريعات الدولة ، مثل أبي حنيفة ، وسفيان الثوري ، وهناك من لان وطاوع ، فدخل في أعمال الدولة فاستفادت منه الدولة في مؤسساتها المختلفة ، مثل القاضي شريك بـن عبـد الله ، وأبي يوسف ، وغيرهما .

وكان لكل فريق حججه ومبرراته ، التي بنى عليها موقفه من العمل في جهاز الدولة ، ففـي حـين رأى الفريق المعارض ، في العمل للدولة عبئا ثقيلا ، وبلاء ومسؤولية كبيـرة ، وركونا إلى الحكام ، ومدخلا من مداخل الفتن ، بمعناها الشامل ، فأوصد هذا المدخل ، رآه فريق أخر من العلمـاء واجبـا وضرورة لبقاء الأمة ، وحاجة ملحة لا غنى للناس عنها ، وأن القائمين بها أنفع للنـاس مـن الـذين يكتفون بالمعارضة دون أن يقوموا بخطوة ملموسة للإصلاح ، وهو ما يتضح بجلاء في هذا الحـوار الذي دار بين شريك بن عبد الله وبين سفيان الثوري ، الذي بدأه الثوري بتأنيب شريك ولومه لتوليه

=عليه أن يلي له عملا ، ولأن أبا حنيفة كان يخشى القضاء ، فقد قبل أن يشرف على إعداد اللبن اللازم لبناء سـور بغداد ، ويوضح ذلك الطبري بقوله : وإنما فعل المنصور ذلك ليخرج من يمينه ، وعرض المنـصور ومـن بعـده المهدي على سفيان الثوري القضاء فتوارى عنهما ، وقضى آخر أيامه شريدا بين الأمـصار ، كمـا عـرض علـى الأوزاعي فاستعفى ، وهدد ابن خزيمة إن لم يل القضاء ، فاضطر إلى القبول ، وأكره عليه شريك بن عبد الله ، فلان وقبل مكرها ، وعندما رفض عباد بن محمد (أمير البصرة) الإستمرار في عمله ، وترك البصرة ، هـدمت داره ، ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط١ ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م ، ص ٥٤١ ، ابـن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ٦ ،ص ص ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٦ ، ص ٢٨٣ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ٢ ، ص ٤٦٥ ، ٤٦٧ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٨ ،ص ص ٢٠٦ ، ٢١٣ ، جـ ٩ ، ٢٢٧ص ص ، ٢٣٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٠ ، ص ٩٧ ، ابن دحية : النبراس في ذكر خلفاء بني العباس ، ص ٢٧ ، مرعي بن يوسف : تنوير بصائر المقلدين في ذكر مناقب الأئمة المجتهدين ، ص ٣٧ ، ٣٨ ، الكناني : نهج السلوك في معرفة سير الخلفـاء والملوك ، ص ٢٨٣ ، ابن وادران : تاريخ العباسـيين ، ص ١٠١ .

القضاء قائلا :« يا أبا عبد الله ، بعد الإسلام والفقه والخير تلي القضاء ، وصرت قاضـيا ؟! » [1] ، فكانت إجابة شريك مليئة بالمسؤولية والنصح ، حينما قال :« يا أبا عبد الله (سفيان الثوري) لا بد للناس من قاضي » [2] .

ويزيد هذا وضوحا ما قاله عمر بن حوشب [3] ، الذي لامه سفيان الثوري ، أيضا ، علـى عملـه للدولة ، حتى أنه كان يعرض عنه ، ولا يرد عليه السلام ، فقال :« يا سفيان نحن والله أنفـع للنـاس منك ، نحن أصحاب الديات وأصحاب الحمالات ، وأصحاب حوائج الناس ، والإصلاح بينهم ، وأنـت رجل نفسك » [4].

وأيا كانت الطريقة التي جاءت بالعلماء ليشاركوا في السلطة ، فقد أسهموا في الحياة السياسية مـن خلال هذه الوظائف ، وبدت أدوارهم واضحة في تحريك أحداث العصر العباسي الأول .

أ . عمل العلماء بالوزارة :

الوزير مأخوذ من آزر بمعنى عاون ،ووازر بمعنى أعانه وقواه ، ومن الوزر ، وهو بمعنى الملجأ الذي يلجأ إليه الملك عند الملمات ، وأصل الوزر الملجأ والجبل المنيع [5] ، قال تعالى :« كلا لا وزر » [6] ، ويأتي بمعنى الوزر وجمعه أوزار ، أي أثقـال ، قال تعالى : "ليحملوا أوزارهم كاملـة يـوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم " [7] ، وهـو يتفـق مع منصب الوزير الذي يلقي الملك

---

(١) أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٧ ، ص ٤٩ .

(٢) أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٧ ، ص ٤٩ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ٢ ، ص ٣٨٧ .

(٣) عمر بن حوشب الصنعاني ، أحد علماء الحديث ، فقد روى عن إسماعيل بن أمية ، وروى عنـه عبـد الـرزاق الصنعاني ، كما روى له أبو داود في كتاب المراسيل حديثا ، لم أقف له على تاريخ وفاة ، لكنه كان معاصرا لـسفيان الثوري ، وعاش في حقبته ، المزي : تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، جـ ٢١ ، ص ص ٣١٢ ، ٣١٣ .

(٤) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٧ ، ص ٢٤٦ .

(٥) ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٦ ، ص ٤٨٢٣ .

(٦) القيامة : الآية ١١ .

(٧) النحل ، آية : ٢٥ .

بعض أعباء الحكم عليه ، فيحملها عنه ، والوزر بمعنى الذنب لأنه يثقل صاحبه .

والوزير مساعد الملك الذي يحمل ثقله ، ويغنيه برأيه بعد أن استوزره [1] ، وتتفق كل الإشتقاقات والصيغ السابقة مع مهمة الوزير ودوره ، فهو بالنسبة للملك المعين والملجأ وحامل مسؤولية الدولـة ، والقائم بأعبائها .

ويجب أن نفرق في العصر العباسي الأول بين نوعين من الوزارة ، فهناك وزارة تفويض ، يفوض فيها الخليفة الوزير في مباشرة الحكم ، ويطلق له حرية التصرف في شئون الدولة ، فيحق له النظـر في المظالم ، وقيادة الجيوش وتسييرها وتدبير الحروب ، والتصرف في بيت المال ، جباية وإنفاقا »[2] وقد وضع الفقهاء لمن ولي هذا المنصب شرطا مهما ، وهو الكفاية في أمر الحرب والخراج [3].

أما وزارة التنفيذ ، فصلاحيات الوزير فيها محدودة ، إذ هو لا يعدو أن يكون منفذا لسياسة الخليفة ، فهي أضعف من وزارة التفويض [4] .

من الملاحظ أن العلماء في العصر العباسي الأول قد رغبوا عن هذا المنصب ، لما له من تبعـات ومسؤوليات ، لدرجة أننا لم نر أياً من العلماء المعروفين في منصب الوزارة،باستثناء بعـض صـغار العلماء ، فضلا عن أن الخلفاء العباسيين اعتمدوا في هذا المنصب ، في الغالب ،علـى كبـار القـادة العسكريين ، وبعض أرباب القلم ، أمثال الخلال ، والمورياني ، وأبو عبد الله الأشعري ، وآل برمك ، وآل الربيـع ، وآل طاهر، وآل سهل ،وابن الزيات، وابن أبي دواد [5]، وليس بين هؤلاء أحد مـن

(١) ابن منظور : لسان العرب ، جـ٦ ، ص ٤٨٢٤ .

(٢) الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ٥٦ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٤٨ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٥٣ .

(٥) الذهبي : العبر في خبر من غبر ، جـ١ ، ص ٢٠ ، مجهول : العيون والحدائق ، ص ١٤ ، أحمد ابن أبي دواد ، من اولاد إياد بن نزار بن معد ، كان أحد كبار المعتزلة في عصره ، اتصل بالمأمون عن طريق وزيره يحيى بن أكثم ، ثم مـا لبث أن استحوذ عليـه ، وهو الذي زين له القـول بخلق القـرآن ، وامتحـان العلماء والناس فيه ، وعـن طريق المامـون اتصل بالمعتصم ، فاغـراه بالعلماء لحملهم على القول بخلق القران ، ثم اتصل بالواثق فالمتوكـل ، حتى نكبه المتوكل ، وأنهى القول بخلق القرآن ، توفي ابن أبي دواد سنة (٢٤٠ هـ / ٨٥٣ م) ، ابن النديم : الفهرست ، ص ٢١٢ .

العلماء المشهود لهم بالعلم والفضل ، وإنما أكثرهم من رجال الدولة ، وطلبة الدنيا .

ب . عمل العلماء في الولايات :

من استعراض قوائم الولاة في العصر العباسي الأول ، نجد أنها تكاد تخلو من العلماء ، إذ اعتمد الخلفاء في بداية عهد الدولة العباسية ، في الولايات ، على أفراد البيت العباسي ، وعلى كبار رجال الدعوة ، فعلى سبيل المثال ، استعمل أبو العباس سنة (١٣٢ هـ / ٧٥٠ م) أخاه المنصور على الجزيرة [١] ، و أذربيجان [٢] ، و أرمينية [٣] ، وولى عمه داود بن علي المدينة ومكة واليمن و اليمامة [٤] ، وولى ابن أخيه عيسى بن موسى [٥] على الكوفة ، وسوادها [٦] ،

(١) الجزيرة . تسمى بجزيرة أقور ، وتقع ببين دجلة والفرات بازاء الشام ، وتشتمل على ديار بكر وديار مضر ، وسميت بالجزيرة لأنها أرض يابسة بين نهري دجلة والفرات ، يصفها الرحالة بأنها كثيرة الخيرات نقية الهواء ، فيها مدن عديدة مثل الرها ، وحران ، والرقة ، ورأس عين ، ونصيبين ، وسنجار ، والخابور ، والموصل ، إفتتحها عياض بن غنم سنة (١٧ هـ / ٦٣٨ م) ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ص ١٥٦ ، ١٥٧ .

(٢) أذربيجان .إقيم واسع شمال بلاد فارس، فيه عدة مدن ، مثل تبريز،وهي عاصمة الإقليم ، والمراغة،وسلماس، وأردبيل،وهو إقيم كثير الجبال ، وفير الخيرات ، وفير البساتين والخضرة ، غزيز المياه ، فتحت أذربيجان صلحا في خلافة عمر بن الخطاب على يد الصحابي حذيفة بن اليمان ، ياقوت :معجم البلدان،جـ١، ص ص١٥٦،١٥٥، ١٥٧ .

(٣) أرمينية . اسم لبلاد كبيرة ، إلى الشمال من العراق و بلاد فارس ، فهي تمتد من حدود العراق وبلاد فارس جنوبا ، إلى بلاد الروم شمالا ، كانت بأيدي البيزنطيين ،حتى افتتحها المسلمون ، ياقوت : معجم البلدان ،جـ١، ص ص ١٩١ ، ١٩٢ .

(٤) اليمامة . نسبة إلى طائر اليمام ، واحده يمامة ، وهي بلدة في إقليم نجد مما يلي البحرين ، فتحت على يد خالد بن الوليد في خلافة ابي بكر الصديق ، إثر مقتل مسيلمة الكذاب ، وكان قد اعتصم بها ، سنة (١٢ هـ / ٦٣٣ م) ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٥ ، ص ٥٠٥ .

(٥) عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، الهاشمي ، يكنى بأبي موسى ، أحد قادة وفرسان بني العباس ، ولي عهد أبي العباس بعد أن مناه به أن هو ظفر بمروان بن محمد ، ثم ولي عهد المنصور ، ثم ولي عهد المهدي ، وكان في كل مرَّة يخلع من ولاية العهد و يؤخر ، توفي بالكوفة سنة (١٦٨ هـ / ٧٨٤ م) ، الذهبي : سر أعلام النبلاء ، جـ ٧ ، ص ص ٤٣٤ ، ٤٣٥ .

(٦) سواد الكوفة . جزء من سواد العراق ، سمي بذلك لكثافة أشجاره ، وشدة خضرتها ، ويشتمل على ضياع الكوفة ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٣ ، ص ٣٠٩ .

وعلى الشام عمه عبد الله بن علي ، وعلى مصر أبا عوف بن يزيد [١] ،وعلى خرا سان والجبال[٢] ، أبا مسلم الخراساني [٣] .

وكان ذلك في رأيهم ضروري في بداية دولتهم لضمان ولاء الولاة لهم ، ثـم بعـد أن ترسـخت قواعد الدولة بدأ العباسيون يدخلون معهم غيرهم في الولايات ، فعقـد المنـصور فـي سـنة (١٤٢ هـ/٧٥٩ م) لمعن بن زائدة على اليمـن [٤] ، و لمحمد بن الأشعث [٥] على ولاية مصـر[٦] ، كما وليها يزيد بن حاتم [٧] سنة (١٤٤ هـ / ٧٦١ م) واستمر عليها حتى سنة (١٥١ هـ/ ٧٦م)[٨] ،

---

(١) أبوعون عبد الملك بن يزيد ، أحد قادة الثورة العباسية ، فقد كان على مقدمة جيش صالح بن علي ، الـذي تـولى مطاردة مروان بن محمد ، وقتله ، وقد كافأه أبو العباس ، فولاه إمرة مصر سنة (١٣٣ هـ / ٧٥١ م) ، الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٦ ، ص ص ٩٥ ، ١١١ ، ١١٢ .

(٢) الجبال . إقليم كبير في شمال إيران ، كان يدعى قديما ببلاد فارس يضم كل مـن أصـبهان وزنجـان وهمـدان والدينور والري ، سمي ببلاد الجبال لكثرة الجبال فيه ، وهو إقليم شديد البرودة ، لذا فقد كان يجلب منه الثلج إلى مـا حوله ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ١١٥ .

(٣) أبو حمزة الأصبهاني : المختصر في أخبار البشر ، جـ ١ ، ص ٢١٣ .

(٤) الدينوري : الأخبار الطوال ، ص ٣٨٤ .

(٥) محمد بن الأشعث بن يحيى أو(عقبة) الخزاعي ، أحد قادة جيوش الثورة العباسية ، فكان ممن حضر حصار دمشق لدى سقوط الدولة الأموية ، ولاه المنصور دمشق خلفا لصالح بن علي ، ثم ولاه الشام كله سنة (١٤٠ هـ / ٧٥٧ م) ، ثم ولاه المنصور مصر ، وكلفه سنة (١٤٣ هـ / ٧٦٠ م) بالقضاء على الخوارج في المغرب ، فوجه الـيهم أبـا الأحوص العبدي ، فهزم زعيمهم أبا الخطاب ، فتراجع إلى طرابلس ، ثم توجه اليهم محمد بن الأشـعث ، فهـزمهم ، وقتل زعيمهم أبا الخطاب في القيروان ، توفي محمد بن الأشعث سنة (١٤٩ هـ / ٧٦٦ م) ، ابن عساكر: تـاريخ مدينة دمشق ، جـ ٥٢ ، ص ص ١٣٣، ١٣٤، انظر حسن علي حسن:تاريخ المغرب العربي ، ص ص١٤٩ ، ١٥٠ .

(٦) الدواداري : كنز الدرر وجامع الغرر ، جـ ٥ ، ص ٥٨ .

(٧) يزيد بن أبي حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي ، البصري ، كان من المقربين إلى المنصور ، قدم معه دمشق ، وولاه مصر سنة من (١٤٤ هـ / ٧٦١ م) وحتى سنة (١٥٢ هـ / ٧٦٩ م) ، وولي المغرب لكـل من المنصور والمهدي والهادي وبعض أيام الرشيد ، توفي سنة (١٧٠ هـ / ٧٨٦ م) ، في مستهل خلافة الرشـيد ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، جـ ٦٥ ، ص ص ١٣٨ ، ١٤٣ .

(٨) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٩ ، ص ص ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ .

ثم وليها موسى بن علي بن رباح [1] ، وولي يزيد بن حاتم المغرب للمهدي وللهادي وللرشيد حتى سنة (١٧٠ هـ / ٧٨٦ م)[2] .

وكان الشافعي في حداثته واليا على نجران [3] من أعمال اليمن ، وكان بها بنو الحارث بن عبد المدان [4] ، ويروي الشافعي أن بعضهم أراد مصانعته على مال مقابل أن يخون عمله ، ويتغاضى عن بعض ما يخفونه عن الدولة ولا يؤدون حقه ، فرفض ذلك فعادوه [5] ، وأعاد المظالم والغصوب لأصحابها [6] ، بعد أن اختار سبعة من عدولهم لإطلاعه على أحوال الناس [7] ، وكان من هذه المظالم غصوب بعض أمراء بني العباس ، فوشوا به إلى الرشيد ، واتهموه بممالات بعض العلويين الذين يستعدون للخروج على الدولة في اليمن ، فاستقدمه الرشيد إلى بغداد ، حتى امتحنه ، وتبين له الحق

---

(١) الداوداري : كنز الدرر وجامع الغرر ، جـ ٥ ، ص ٥٨ ، موسى بن علي بن رباح بن قصير بن القشيب اللخمي المصري ، يكنى بأبي عبد الرحمن ، وفد على هشام بن عبد الملك ، وولي مصر للمنصور ست سنين ، توفي في خلافة المهدي ، سنة (١٦٣ هـ / ٧٨٠ م) ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، جـ ٦١ ، ص ص ٣ ، ٤ ، ٥ .

(٢) الدواداري : كنز الدرر وجامع الغرر ، جـ ٥ ، ص ٥٨ .

(٣) نجران . مخلاف (إقليم) شمال اليمن مما يلي الحجاز ، بالقرب من مكة ، قيل سمي بنجران بن زيدان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، لأنه كان أول من عمرها ، دخل كثير من أهلها في النصرانية ، ثم لما إعتنق ملك اليمن (ذونواس الحميري) اليهودية اضطهدهم وأحرقهم في الأخاديد ، كما عبر عن ذلك السياق القرآني في سورة البروج ، وقد وفد من نصارى نجران وفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد مباهلتهم فامتنعوا ، وصالحوه صلى الله عليه وسلم على جزية يؤدونها ، ولما ولي عمر بن الخطاب أجلاهم عن نجران إلى الشام ، فاستقروا بها ، وسمي الموضع الذي نزلوا فيه بالنجرانية ، نسبة اليهم ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٥ ، ص ص ٣٠٨، ٣١٠، ٣١١ ، ٣١٢ .

(٤) البيهقي : مناقب الشافعي ، جـ ١ ، ص ص ١٠٦ ، ١٠٧ ،ابن وادران : تاريخ العباسيين ، ص ٣٣٧ .

(٥) أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٩ ، ص ٨٥ ، ابن حجر : سيرة الإمامين الليثي والشافعي ، ص ١٥٩ .

(٦) البيهقي : مناقب الشافعي ، جـ ١ ، ص ١٠٧ ، ابن حجر : سيرة الإمامين الليثي والشافعي ، ص ١٥٩ .

(٧) أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٩ ، ص ٨٥ .

في أمره [1] ، ثم ان الشافعي اعتزل بعد ذلك أعمال الدولة ، وقد أثنى عليه بعض العلمـاء ، لعملـه للدولة ، ولامه بعضهم الآخر [2] .

وكـان يـزيد بـن مزيـد على أذر بيجـان وأرمينيـة للرشـيد [3] ، و بكـار بـن عبـد الله الزبيري [4] على المدينة ، ثم خلفه أبو البختري [5] ، وكان علي بن عيـسى بـن ماهـان [6] علـى خراسان ، سنة (١٨٠ ـ ١٩١ هـ / ٧٩٦ ـ ٨٠٧ م) [7] ، ثم عزله وعقدها لهرثمة بن أعين [8]

---

(١) البيهقي : مناقب الشافعي ، جـ ١ ، ص ١٠٧ ، ابن وادران : تاريـخ العباسيين ، ص ٣٣٧ ، إنظر كذلك أبـو زهرة : الشافعي حياته وأراءه وفقهه ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٣٦٧ هـ ـ / ١٩٤٨ م ، ص ص ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ .

(٢) مرعي بن يوسف : تنوير بصائر المقلدين في ذكر مناقب الأئمة المجتهدين ، ص ٧٣ .

(٣) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٩ ، ص ٧١ .

(٤) بكار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي ، يكنى بأبي بكر ، عمل في جهـاز الدولة العباسية ، فولي المدينة للرشيد اثنتي عشرة سنة ، فأحسن الولاية ، إذ كان ضابطا لولايته ، متفقـدا مـصالح اهلها ، يضرب على اهل البدع والأهواء ، وكان يتدخل لديه لزيادة عطاء أهل المدينة ، توفي سنة(١٩٥هـ / ٨١١ م) ، الذهبي : تاريخ الإسلام ، جـ ١٣ ، ص ص ١٣٠ ، ١٣١ .

(٥) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ٧ ، ص ٣٣٢ .

(٦) علي بن عيسى بن ماهان ، الأمير ، أحد كبار قادة الدولة العباسية ، كان حظيا لدى الأمين وهو الذي حرضه على خلع أخيه المأمون من ولاية العهد ، لمشاحاة بينهما ، فكان ذلك السبب المباشر في النزاع الـذي نـشب بـين الأمـين والمأمون ، وكان علي بن عيسى على رأس جيش الأمين ، فقتل في أول المعركة ، وانهزم جيشه ، سنة (١٩٥ هـ ـ / ٨١١ م) ، الذهبي : تاريخ الإسلام ، جـ ١٣ ، ص ص ٣١٢ ، ٣١٣ .

(٧) الدينوري : الأخبار الطوال ، ص ٣٩٠ ، الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٦ ، ص ٤٧١ .

(٨) هرثمة بن أعين ، أحد قادة الرشيد ، ثم المأمون ، ولي مصر للرشيد ، ثم القيروان ، فاحبه أهل المغرب وعظمـت مكانته لديهم ، ثم ولي خراسان سنة (١٩٢ هـ /٨٠٨ م) ، اعتمد عليه المأمون في إخماد حركة علوية خارجـة فـي البصرة بقيادة أبي السرايا ، فقتل أبا السرايا ، وقضى على الحركة سنة (٢٠٠ هـ / ٨١٦ م) ، فأعطي هرثمة إمرة الشام الا أنه لم يرض بها ، وذهب إلى مرو فقتل بها ، الذهبي : سير أعلام النـبلاء ، جـ ـ ٩ ، ص ص ١٠٥ ، ١٢٩ ، جـ ١٠ ، ص ٢٨٣ ، ابن حجر : نزهة الألباب في الألقاب ، تحقيق عبد العزيز بن محمد بن صالح السديري ، مكتبة الرشيد ، الرياض ،ط١ ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م ، جـ ١ ، ٢٨٥ .

سنة (١٩١ هـ / ٨٠٧ م) [١] ، وكان محمد بن عباد [٢] على البصرة للرشيد [٣] .

وهكذا ، فقد وجدنا من السياق السابق ، أن قوائم الولايات تكاد تخلوا مـن العلمـاء ، وإن الحضور الأكبر فيها كان لأمراء البيت العباسي ، ولبعض المقـربين إلـيهم مـن الـدعاة والقـادة العسكريين .

جـ . عمل العلماء في القضاء :

يجدر بنا قبل بيان دور العلماء في القضاء في العصر العباسي الأول ، توضيح مـدلول مـصطلح القضاء ، فهو من قضى يقضي قضاء ، فهو قاضٍ ، إذا حكم وفصل [٤] بين الناس في منازعـاتهم ، كما يأتي بمعاني عديدة ، قريبة من معنى الحكم والفصل ، فهو يأتي بمعنى إحكام الشيء ، والفراغ منه وإعادته ، كقولي ، قضيت ديني ، إذا فرغت من سداده ، وبمعنى الانتهاء من الـشيء ، كقـولي ، قضيت حوائجي ، و بمعنى الحتم والأمر ، ومنه القضاء والقدر ، قال تعالى : وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه [٥] أي أمر وحتم ، ويأتي بمعنى العهد ، قال تعالى : وقضينا إلى بني إسرائيل فـي الكتـاب لتفسدن في الأرض مرتين » [٦] ، ومنها القضاء بمعنى الحكم والفصل ، وهو المعنى الذي نعنيه في

---

(١) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٦ ، ٥١٢ ، مجهول : العيون والحدائق ، ص ٢٢٤ .

(٢) محمـد بن عبـاد بن حبيـب بن المهلـب بن أبـي صفـرة الأزدي ، المعـروف بالمهلـبي ، كـان أبـوه محدث البصـرة ، ثم ولي هو إمرتها للـرشيد ، عرف بالسخـاء ، وقد لامه المأمون في ذلك ، وعده عبثا بالمـال ، فلم يستعمله لذلك في الولاية ، توفي سنة (٢١٦ هـ / ٨٣١ م) ، الذهبي : سير أعلام النـبلاء ، جـ ١٠ ، ص ص ١٨٩ ، ١٩٠ .

(٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ٧ ، ص ٢٩٣ .

(٤) ابن منظور : اسان العرب ، جـ ٥ ، ص ٣٦٦٥ .

(٥) الإسراء : الآية ٢٣ .

(٦) الإسراء : الآية ٤ .

هذا السياق ، قال تعالى : ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مـسمى لقـضي بيـنهم » [1] ، أي لفصل بينهم ، ومثل ذلك قولهم قد قضى القاضي بين الخصوم ، أي قد قطع بيـنهم بـالحكم [2] ، وجمعه أقضية وأحكام [3] .

والقضاء فرض كفاية ، لأنه ينصَّب لإقامة أمر مفروض [4] ، هو الحكم بـين النـاس ، وإقامـة موازين العدل ، ولما فيه من مصالح العباد ، من منع التظالم والعناد ، وفـصل الخـصومات ، ورد الحقوق إلى أصحابها ، وإقامة الحدود ، وردع الظالم ، ونصرة المظلوم ، والأمر بالمعروف والنهـي عن المنكر [5] .

فإذا كـان تنصيب القاضي لإقامة هـذه الأمـور المفروضة ، أصبح لذلك فرضـا وضـرورة لازمة تماما كلزوم الإمام [6] ، ولذلك فإن جزاء القاضي العادل أعظم الجزاء وأجزله عنـد الله ، لأن الحكم بالعدل أفضل اعمال البر [7] ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم : المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن يوم القيامة ، يغبطهم النبيون والشهداء » [8] .

لهذا وضع العلماء شروطا لا يجوز تقليد القضاء إلا لمن توافرت فيه ، هـي الـذكورة ، والبلـوغ ، والعقل ، والسلامة في السمع والبصر ، والعلم [9] .

---

(١) الشورى : الآية ، الآية ١٤ .

(٢) ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٥ ، ص ٣٦٦٦ .

(٣) القرافي : الذخيرة ، تحقيق محمد بن حمزة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط١ ، هـ/ ١٩٩٤ م ، جـ ١٠ ، ص ٥ .

(٤) الكاساني : بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د . ت ، جـ ٧ ، ص ٢ .

(٥) القرافي : الذخيرة ، جـ ١٠ ، ص ٦ .

(٦) الكاساني : بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، جـ ٧ ، ص ٢ .

(٧) القرافي : الذخيرة ، جـ ١٠ ، ص ٦ .

(٨) رواه البيهقي ، في سننه ، كتاب أدب القاضي ، باب من ابتلي بشيء من الأعمال فقام فيه بالقسط ، جـ ١٠ ، ص ٨٧ .

(٩) ابو يعلى : الأحكام السلطانية ، ص ٦٠ .

ووظيفة القاضي إنما جاءت متأخرة ، فلم تكن قد ظهرت في العهد النبوي ، ولا فـي عهـد الخلفـاء الراشدين ، لأن القضاء كان ملحقا بالولاة [١] ، ولكن بعد أن تشعبت مهـام الـوالي ، وعجـز عـن الإشراف على جميع شئون الولاية ، وأدرك الخليفة ذلك ، عين بجانبه قاضيا يختص بالفـصل فـي المنازعات ، وإقامة الحدود وغيرها من مصالح الناس ، واختاره من أهل الكفايـة والفقـه ، فكـان منصب القاضي ، وكان أول من أحدث هذا المنصب (على قول الأمام مالك) ، معاويـة بـن أبـي سفيان [٢] .

لم يأت العصر العباسي الأول إلا وقد أصبح القضاء جهازا مهماً في الدولة ، وذا أثر كبيـر فـي حياة المجتمع ، ولكن ليس كما بالغ البعض [٣] ، فذهبوا إلى أنه أصبح لكل مصر من الأمصار قـضاة يمثلون المذاهب الأربعة ، ينظر كل منهم في النزاع الذي ينشأ بين أتباع المذهب ، والأرجح أن هـذا الأمر لم يكن على هذا النحو من التمييز بين المذاهب ، وإلا فمن يحكم أذا نشأ نزاع بين فرقـاء مـن مذاهب مختلفة ؟ ، كما أن المصادر التاريخية لم تتحدث عن وجود أربعة قضاة في المصر الواحـد ، بل تتحدث عن قاضٍ واحدٍ يكون مع الوالي ، وليس أدل على ذلك مما فعله أبو يوسف عندما رفع اليه أن مسلما قتل ذميا ، فحكم بالقود (القصاص) منه ، كما هو رأي أبي حنيفة ، فخرج رجـل مـن أولياء القاتل في أسواق بغداد يثير الناس على أبي يوسف ، فلجأ أبو يوسف إلى الرشيد ، وهو يقول : هذا مذهبي ، فانظر من يقضي لهم على مذهب مالك » [٤] .

فـإذا كان هذا حال عاصمة الخلافة من وجود قاضي واحد ،أفيكون في الأقاليم الأخرى الأقل شأنا أكثر من قاضٍ ؟! ، ثم أن الرواية تشير صراحة إلى عدم وجود قاضٍ آخر غير أبي يوسف، وإلا لكان وجههم إليه ، فإذا ما علمنا أنه يجوز شرعا للقـاضي إذا كـان على مذهب أن يقضي بغيره من

---

(١) القرافي : الذخيرة ، جـ ١٠ ، ص ٦ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) حسـن إبـراهيـم حسـن : تـاريـخ الإسـلام السيـاسـي والإجتمـاعـي والـديـني ، جـ ٢ ، ص ٢٤٠ .

(٤) ابن وادران : تاريخ العباسيين ، ص ص ١٠٢ ، ١٠٣ .

المذاهب [١] ، مادام يتوخى العدل ، وبعيدا عن التهمة ، فما الداعي لتعدد القضاة ؟ ، كما أن المـذاهب لم تكن قد تبلورت وأخذت شكلها المعروف في العصر العباسي الأول ، ولذلك إن حدث هدا التحديد ، فعلى الأقل لم يحدث في العصر العباسي الأول .

كما يجدر بنا قبل الدخول في تفاصيل مشاركة العلماء في القضاء ، أن نشير إلى أن أئمة المذاهب الأربعة الذين كانوا شهودا على العصر العباسي الأول ، ظلوا بعيدا عن القضاء ، وكانوا كلما اريـدوا عليه استعفوا منه ، ومع ذلك لم يضنوا بالنصح والتوجيه، سواء لأقرانهم ، أم لتلاميذهم ممن عملوا في القضاء، فقد تواترت نصائح وتوجيهات أبي حنيفة إلى ابي يوسف عندما ولي القضاء ، فنهاه بداية عن طلب القضاء ، إلا إذا طلب هو له [٢] ، فإذا طلب له لا يقبله إلا إذا علـم أنه إن لم يقبله أوكـل إلـى غيره ممن ليس أهلا له ، فيتضرر به الناس [٣] ، ثم أمره بتقوى الله في عمله [٤] ، وأن لا يسعى إلـى الخليفة إلا إذا قربه هو[٥] ، وأن يساوي بين الشريف والوضيع في مجلسه [٦] ، وأن يرد أمر السلطان إذا خالف الحق ، ولكن مع الرفق والطاعة [٧] .

كما وجهه إلى بعض الآداب التي يجب على القاضي الإلتزام بها ، من ذلك الإبتعاد عـن مـداخل التهم، لأن من دخل مداخل التهم اتهم ، فقال: "وإياك والكلام في المعاملة والتجارة إلا بما يرجع إلـى العلم كى لا يوقف منك على رغبة في المال ، فإنهم يسيئون الظن بك، ويعتقدون ميلك إلى أخذ الرشوة منهم[٨] ، ونبهه إلى بعض الآداب الأخرى ،قائلا :" ولا تقعد على قوارع الطـريق ، وإذا دعـاك ذلك

---

(١) الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ١٣٢ .

(٢) الكوثري : حسن التقاضي في سيرة الإمام أبي يوسف القاضي ، ص ص ٨٠ ، ٨١ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٨٠ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٧٩ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ص ٨٠ ، ٨١ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ص ٧٩ ، ٨١ .

(٧) المصدر نفسه ، ص ٨١ .

(٨) المصدر نفسه ، ص ٧٨ .

فاجلس في المسجد ، ولا تقعد على الحوانيت [١] ، ولا تأكل في الأسواق والمساجد ، ولا تشرب من السقايات ، ومن أيدي السقائين ، ولا تلبس الديباج [٢] ، والحلي وأنواع الإ بريسم [٣] ، فإن ذلك يفضي إلى الرعونة "[٤] .

ولم يأل الشافعي جهدا في توجيه أقرانه من العلماء الذين عملوا في القضاء ، وغيرهم ممـن سـيأتي بعدهم ، بالنصائح والإرشادات التي تساعدهم على إنجاح مهمـاتهم ، سـواء بـالوعظ المباشـر ، أم بالرسائل ، أم بتأليف المصنفات الفقهية ، فنهى القضاة عن الرشوة ، لأنها تؤثر في ميول القاضـي ، فتخل بأحكامه ، فكان يقول :" إذا أخذ القاضي رشوة على قضائه فقضاؤه مردود ، وإن قضى بحـق فالرشوة مردودة ، وإذا أعطي القاضي في القضاء رشوة فولايتـه باطلة ، وقضاؤه مردود » [٥] ، كما بين الشروط الواجب على القاضي توخيها في الشهود ، وحددها في الإسلام والبلوغ والحرية [٦] .

كما وجه القضاة إلى مجموعة من الآداب ، فنهى أن يقضي القاضي وهو غـضبان [٧] ، حتـى لا تتاثر أحكامه بحالته النفسية ، فتضيع الحقوق ، وكره للقاضي البيع والشراء [٨] وغيرها من مما يشغل

(١) الحوانيت . جمع حانوت ، والنسبة اليه حاني ، وحانوي ، وهو المتجر ، إلا أنه غلب على متجر الخمار ، فكانـت العرب تسمي بيوت الخمارين حوانيت ، ومثلها الحانة ، وهي عند أهل العراق مواخير جمع ماخور ، ابـن منظـور : لسان العرب ، جـ ٢ ، ص ص ١٠١٧ ، ١٠١٨ .

(٢) الديباج . كلمة فارسية معرَّبة ، وهي مأخوذة من الدبج والنقش والتزيين ، والديباج ضرب من الثياب متَّخـذة مـن الإبريسم (نوع من الحرير) ، ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٢ ، ص ١٣١٦ .

(٣) الإبرايسم . لفظة فارسية معرَّبة ، يقصد بها الحرير المخلوط ببعض الصوف ، وهو الحرير الغيـر محـرَّم لأنـه مخلوط بغيره ، ابن منظور : لسان العرب ، جـ ١ ، ص ٢٥٧ .

(٤) الكوثري : حسن التقاضي في سيرة الإمام أبي يوسف ، ص ٧٨ .

(٥) القصيبي : الإهتمام في مناصحة الإمام ، ص ٧١

(٦) الشافعي : الأم ، جـ ٦ ، ص ٢٤٦ .

(٧) المصدر نفسه ، ص ٢٠١ .

(٨) المصدر نفسه .

ذهنه ويستغرق وقته عن النظر في القضاء ، بما في ذلك النظر في النفقة على أهله [١] ، ولأن ذلـك ، كما يقول ، : أشغل لفهمه ، ونهى القاضي كذلك عن التخلُّف عن الوليمة والدعوة ، ولكن دون تمييـز بين الناس ، فقال : « ولا أحب أن يتخلَّف (القاضي) عن الوليمة إذا دعي اليها ، ولا أحب أن يجيب وليمة بعض ويترك وليمة بعض » [٢] ، وحذَّر القاضي من أن تأخذه العزة في الإثم ، إذا قضى ثم تبين له أن الصواب في غيره ، فالحق أولى أن يتبع [٣] .

عمل العلماء في القضاء في عهد أبي العباس (السفاح)

لعل من الواضح أن القضاء كان أكثر المجالات حظا من مشاركة العلماء في أجهزة الدولـة فـي العصر العباسي الأول ، ولن نقدم هنا حصرا لجميع من عمل من العلماء في القـضاء فـي العـصر العباسي الأول ، فهم من الكثرة بحيث يحتاجون لدراسة مستقلة ، ولكن سنكتفي في هذا السياق بنماذج من هؤلاء العلماء لبيان مشاركتهم في الحياة السياسية ، وللتعرف على الأدوار التي قاموا بها من خلال هذه المشاركة .

إذا ما ارتددنا صوب البدايات الأولى للدولة العباسية ، عقب مبايعة أبي العباس بالخلافـة ، فإننـا سنجد أن ولاته استعملوا عددا من العلماء في القضاء ، لأن الوالي حينذاك كان مخـولا فـي اختيـار قاضي الولاية ، إذ لم تسحب هذه الصلاحية من الولاة إلا في خلافة المهدي .

فأقر محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى على قضاء الكوفة ، وكان قاضيا عليها لبني أمية [٤] ،

---

(١) الشافعي : الأم ، ٢٠١ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٠٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ .

(٤) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ٦ ، ص ٣٥٨ ، خليفة بن خياط : تـاريخ خليفـة بـن خيـاط ، ص ٢٧٢ ، الطبري : تاريخ الأمم و الملوك ، جـ ٦ ، ص ١٢٢ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ٤ ، ص ١٧٩ ، الـذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٦ ، ٣١٣ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ ٥ ، ص ٢٥٥ .

وأقر عباد بن منصور [1] ، على البصرة ، ثم سوار بن عبد الله ، وعمر بن عامر السلمي [2] ، ثم أعيد سوار إلى قضاء البصرة ، وظل عليها حتـى تـوفي سـنة (١٥٦ هـ - / ٧٧٣ م) [3] ، واستعمل خير بن نعيم [4] على قضاء مصر ، حتى سنة (١٣٥ هـ / ٧٥٢ م) [5] ، وكان محمد بن ثابت العبدي [6] - وهو شيخ ابن المبارك - على قضاء مرو [7] .

وفي عهد أبي جعفر المنصور عمل عدد من العلماء فـي القـضاء، فكـان يحيـى بـن سـعيد الأنصاري[8] على قضائه بالهاشمية[9] قبل أن يبتني بغداد، وكان قبل ذلك يعمل لبني أمية على قضـاء

---

(١) ولي قضاء البصرة مدة خمسة سنين ، توفي سنة (١٥٢ هـ / ٧٦٩ م) ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٧ ، ص ص ١٠٥ ، ١٠٦ .

(٢) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ، ص ٢٧٢ ، عمر بن عامر السلمي ، البصري ، يكنّى بأبي حفـص ، أحد علماء الحديث الثقاة ، فقد غلب عليه الحديث ، ولي قضاء البصرة بعد سوّار بن عبد الله ، ثم عزل وأعيد سـوار ، توفي وهو ساجد ، ولم أقف له على تاريخ وفاة ، الذهبي : تاريخ الإسلام ، جـ ١٠ ، ص ٥٤٢ .

(٣) خليفة بن خياط العصفري ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٢٨٦ .

(٤) خير بن نعيم بن مرّة بن كريب الحضرمي ، يكنّى بأبي نعيم ، أحد علماء عصره في الحديث ، فرواه عن بعـض التابعين ، مثل عطاء بن أبي رباح وعن أبي الزبير المكي ، وروى عنه حيوة بن شريك والليث بن سعد وعبد الله بـن لهيعة ، عمل في جهاز الدولة ، فكان قاضي مصر وفقيهها ، ثم ولي بعد ذلك قضاء برقة ، توفي سـنة(١٣٧ هـ / ٧٥٤ م)، المزي : تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، جـ ٨ ، ص ص ٣٧٢ ، ٣٧٣ .

(٥) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ٢٤٠ .

(٦) محمد بن ثابت العبدي ، يكنّى بأبي عبد الله ، أحد علماء البصرة ، التقى بعدد من التابعين وأخذ عـنهم ، أمثـال عطاء بن أبي رباح وعمرو بن دينار ومحمد بن واسع ، وهو شيخ ابن المبارك ، الذهبي : تاريخ الإسلام ، جـ ١١ ، ص ص ٣٣٩ ، ٣٤٠ .

(٧) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ٧ ، ص ٣٧٠ .

(٨) يحيى بن سعيد الأنصاري العطار ، يكنى بأبي زكريا ، أحد علماء حمص ، غلب الحديث عليه ، وإن عده بعـض علماء الحديث من الضعفاء ، لم أقف له على تاريخ وفاة ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، جـ ٦٤ ، ص ص ٢٦٦ ، ٢٧١ .

(٩) ابن الجوزي : المنتظم في أخبار الأمم والملوك ، جـ ٨ ، ص ص ٤٢ ، ٤٣ ، الذهبي : العبر في خبر من غبر ، جـ ١ ، ص ١٠١

المدينة [١] ، وعمل شريك بن عبد الله على قضاء الكوفة ، ثم ولي قضاء الأهواز [٢] ، وأقر سـوار ابن عبد الله على قضاء البصرة [٣] ، ثم خلفه عليها عبيد الله بن الحسن بن الحصين [٤] ، وكان أبـو خزيمة [٥] على قضاء مصر [٦] ، حتى توفي سنة (١٥٤ هـ / ٧٧١ م) [٧] ، فخلفه عبـد الله بـن لهيعة ، مستهل سنة (١٥٥ هـ/ ٧٧٢ م) [٨] ، وكان يحيى بن حمزة [٩] على قضاء دمشق للمنصور

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم في أخبار الأمم والملوك ، جـ ٨ ، ص ٤٢ ،٤٣ .

(٢) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٢٨٦ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ٢ ، ص ٤٦٨ ،الأهـواز هي في الأساس الأحواز ، إلا أن الفرس نطقوا الحاء هاء ، فقالوا الأهواز ، وكان اسمها أيـام الفـرس خوزسـتان ، افتتحت في خلافة عمر بن الخطاب سنة (١٦ هـ / ٦٣٧ م) ، وتقع إلى الجنوب من بغداد والبصرة ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ص ٣٣٨ ، ٣٣٩ .

(٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ٧ ، ص ص ٢٦٠ ، ٢٦١ ، خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بـن خيـاط ، ص ٢٨٦ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ٢ ، ص ٤٦٨ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٨ ، ص ١٤ .

(٤) ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ ٧ ، ص ٢٨٥ ، عبيد الله بن الحسن بن الحصين بن أبـي الحـصين العنبـري ، التميمي ، أحد تابعي التابعين في البصرة ، ومن العلماء الثقاة ، عمل في جهاز الدولة ، فكان على قـضاء البـصرة ، توفي سنة (١٦٨ هـ / ٧٨٤ م) ، ابن حبان : مشاهير علماء الأمصار ، ص ١٥٩ .

(٥) ابن خزيمة . إبراهيم بن يزيد الحميري ، كان بالإسكندرية فطلبه والي مصر أبو عون إلى الفسطاط ليوليه قـضاء مصر ، فامتنع أبو خزيمة ، ثم ما لبث أن وافق بعد أن هدده أبو عون بالقتل ، وقد عرف بتوخيه للحق والإنصاف فـي أقضيته ، وكان يأخذ على القضاء في الشهر عشرة دنا نير ، وكان أبو خزيمة قبل ذلك يعمل الأرسان ويبيعها ، توفي وهو على قضاء مصر سنة(١٥٤هـ /٧٧١م)، ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها، ص ص٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ .

(٦) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص٢٤٢ ، الدواداري: كنز الدرر وجامع الغرر، جـ٥، ص ٣٤ ، ٣٥ .

(٧) الدواداري : كنز الدرر وجامع الغرر ، جـ ٥ ، ص ص ٣٤ ، ٣٥ .

(٨) الكندي : كتاب الولاة وكتاب القضاة ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، د.ت ، جـ ١ ، ص ٣٦٨ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، جـ ٣٨ ، ص ٣٨ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ٣ ، ص ٣٨ ، الدواداري : كنـز الـدرر وجامع الغرر ، جـ ٥ ، ص ٥٣ ، اليافعي : مرآة الجنان وعبرة اليقضان ، جـ١ ، ص ٣٨٢ .

(٩) يحيى بن حمزة ، يكنى بأبي عبد الرحمن ، أحد تابعي التابعين بالشام ، ومن علماء الحديث فيها ، شهد معاصـروه بكثرة حديثه وجودته ، عمل في جهاز الدولة العباسية ، فكان قاضيا على دمشق ، توفي سنة (١٨٣ هـ / ٧٩٩ م) ، ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، جـ٧ ، ص ٤٦٩ .

سنة (١٥٣ هـ / ٧٧٠ م)[١] .

وعمل على قضاء المهدي عدد من العلماء ، فكان ابن علاثة الكلابي ، و عافية بن يزيد [٢] علـى قضاء عسكر المهدي ، الجزء الشرقي من بغداد ، كما عمل له على قضاء بغداد ، ابن أبي سبرة [٣] ، وأبو يوسف ، الذي ولي القضاء لثلاثة خلفاء ، من لدن المهدي وحتى الرشيد [٤] ، وهو أول من أطلق عليه قاضي القضاة في الإسلام ، وإن كان ذلك قد تم في عهد الرشيد [٥] ، وولي عبيد الله بن الحـسن العنبري قضاء البصرة [٦] ، وكان محمد بن عمران التميمي قاضيا للمدينة [٧] .

وعمل من العلمـاء في القضـاء للهـادي ، أبو يوسـف ، و سعيد بن عبد الرحمن [٨] علـى

---

(١) الفسوي : المعرفة والتاريخ ، ص ٤٥٩ ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ٧ ، ص ٤٦٩ ،الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٨ ، ص ص ٥٤ ، ٥٥ .

(٢) عافية بن يزيد بن قيس الأودي ، كان من اصحاب أبي حنيفة ، ولي القضاء للمهدي في الجانب الشرقي من بغداد ، وكان كثير الدخول عليه ، توفي سنة (١٨٧ هـ / ٨٠٢ م) ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ٧ ، ص ص ٢٢٣ ، ٢٣١ ، خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٢٩١ ، الأربلي : خلاصة الذهب المسبوك مختصر سيرة الملوك ، ص ٩٠ .

(٣) ولي القضاء للمهدي قبل أبي يوسف ، الجاحظ : البيان والتبيين ، جـ ١ ، ص ٢٣٢ .

(٤) الكناني : نهـج السـلوك إلى معرفة سير الخلفاء والملوك ، ص ٢٨٤ ، الأربلي : خلاصة الـذهب المـسبوك ، ص ٩٤ ، انظـر كذلك الكوثري : حسن التقاضي في سيرة الإمام أبي يوسف القاضي ، ص ص ٦٦ ، ٦٧ .

(٥) الكناني : نهج السلوك إلى معرفة سير الخلفاء والملوك ، ص ٢٨٤ .

(٦) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٢٩١ .

(٧) المصدر نفسه ، ص ٢٩٢ .

(٨) سعيد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن جميل بن عامر بن جذيم الجمحي القرشي ، يكنى بأبي عبد الله ، أحد علمـاء الحديث ، فقد رواه عن سعد بن إسحاق وأبي حازم سلمة بن دينار ، وعن غيرهما ، وروى عنه الليث بن سعد ومحمد ابن بكار ، وسواهما ، أثنى عليه معاصروه من العلماء ، ووثقوه ، عمل في جهاز الدولة فكان على قـضاء الرصـافة للرشيد ، توفي سنة (١٧٦ هـ / ٧٩٢ م) ، المزي : تهذيب الكمال في أسماء الرجـال ، جـ ١٠ ، ص ص ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ .

المدينة ، ثم في بغداد [١] ، وشريك بن عبد الله ، والقاسم بن معن ، على الكوفة [٢] ، ومعاذ بن معـاذ على قضاء البصرة [٣] ، وكان محمد بن عبد الرحمن المخزومي [٤] على قضاء مكة [٥] .

وفي عهد الرشيد تزايدت مشاركة العلماء في القضاء ، وربما كان ذلك راجع إلـى أن سياسـته كانت مرضية لدى الكثير منهم ، ولأنه جهد نفسه في التقرب إليهم ، فكان ممن شارك من العلماء في القضاء في عهده ، أبو يوسف [٦] ، والوا قدي [٧] ، ومحمـد بن عبد الـرحمن المخزومـي علـى البصرة [٨] ، ويوسـف بن أبي يوسـف [٩] ، و عبد المـلك بن محمـد بن أبي بكـر [١٠] ، و علي

---

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ٧ ، ص ص ٣٣٠ ، ٣٣١ ، خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بـن خيـاط ، ص ٢٩٥ ، الكناني : نهج السلوك إلى معرفة سير الخلفاء والملوك ، ص ٢٨٤ ، الأربلي :الذهب المـسبوك فـي سـير الخلفاء والملوك ، ص٩٤، انظركذلك : الكوثري :حسن التقاضي في سيرة أبي يوسف القاضي ، ص ص ٦٦ ، ٦٧ .

(٢) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة ين خياط ، ص ٢٩٥ ، وكيع : أخبار القضاة ، عالم الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت ، جـ ٣ ، ص ١٧٧ .

(٣) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٢٩٥ .

(٤) محمد بن عبد الرحمن المخزومي ، عمل في جهاز الدولة العباسية في عدد من الوظائف ، فولي قضاء بغداد بعـد الوا قدي ، ثم استقضاه الهادي على مكة فظل عليها إلى خلافة المأمون ، فعزله عنها ، وولاه قضاء بغداد أشـهرا ثـم صرفه عنها ، لم أقف له على تاريخ وفاة ، الخطيب : تاريخ بغداد ، جـ ٢ ، ص ٣٠٩ .

(٥) الخطيب : تاريخ بغداد ، جـ ٢ ، ص ٣٠٩ .

(٦) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٣٠٨ ، الأربلي : خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٨٢ .

(٧) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، جـ٧،ص ص ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، الخطيب : تاريخ بغـداد ، جـ ـ٣، ص ص ٣ ، ٤ ، ١٩ .

(٨) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٣٠٧ ، الخطيب : تاريخ بغداد ، جـ٢ ، ص ٣٠٩ .

(٩) يوسف بن يعقوب بن إبراهيم ، بن أبي يوسف القاضي ، أحد علماء عصره ، كان الرشيد يجلّه ، فينيبه عنه فـي إمامة الناس في صلاة الجمعة بالكرخ ، بعد أن ولاه القضاء فيه في حياة أبيه ، سنة (١٧٤ هـ/ ٧٩٠ م)، لم أقف لـه على تاريخ وفاة ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ٧ ، ٣٣٧ ، الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٦ ، ص ٤٤٨ ، ابن وادران : تاريخ العباسيين ،ص ١٠٢ .

(١٠) عبد الملك بن محمد بن أبي بكر بن عمر بن حزم ، قدم بغداد ، فاستقضاه الرشيد على الجانب الشرقي من بغداد ، لم أقف له على تاريخ وفاة ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ٧ ، ص ٣٢٣ .

ابن ظبيان [١] ، و أبو البختري [٢] ، و الجمحي [٣] ، و العوفي [٤] ، وقد وصل بعض هؤلاء العلماء إلى منصب قاضي القضاة [٥] ، بعد أن استحدث الرشيد هذا المنصب ، زيادة فـي إجـلال العلمـاء ، فضلا عن الضرورات الإدارية ، فأصبح قاضي القضاة يوازي الوزير ، وكان أول مـن شـغل هـذا المنصب أبو يوسف [٦] .

---

(١) هو علي بن ظبيان العبسي ، أحد العلماء المشهود لهم بالفضل ، عرف بنزاهة أحكامه ، ولي قضاء الجانب الشرقي من بغداد (الرصافة) ، ثم ولي قضاء القضاة ، روى الحديث عن أبي حنيفة ، توفي سـنة (١٩٢ هـ ـ / ٨٠٨ م) ، الذهبي : العبر في خبر من غبر ، جـ ١ ، ص ٢٤٠ .

(٢) هو وهب بن وهيب بن كثير بن عبد الله بن زمعة بن ألأسود المطلبي ، من علماء المدينة ، عمل في جهاز الدولـة العباسية ، فولي القضاء في الجانب الشرقي من بغداد ، ثم ولي قضاء المدينة وحربها وصلاتها ، ثم عاد إلى بغـداد ، وتوفي بها سنة(٢٠٠ هـ / ٨١٦ م)، ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ٧ ، ص ٣٣٢ ، خليفة بن خياط : تـاريخ خليفة بن خياط ، ص ٤٦٤ .

(٣) سعيـد بن عبـد الرحمن الجمحي ، يكنى بأبي عبـد الله ، أحد علمـاء المدينـة ، عـرف بـين معاصـريه بالصلاح والعلـم ، عمل في جهاز الدولة ، فولي قضاء بغداد للرشيـد ، ثم قضاء القضاة ، توفي سنة (١٩٦ هـ ـ / ٨١٢ م) ، خليفـة بن خياط : تاريخ خليفـة بن خيـاط ، ص ٤٦٤ ، الذهبي : العبر في خبر من غبر ، جـ ١ ، ص ٢٠٨

(٤) الحسن بن الحسن بن عطية بن سعد بن جنادة العوفي ، يكنى بأبي عبد الله ، أحد علماء الكوفة ، ولي قضاء الجانب الشرقي من بغداد ، و توفي ببغداد سنة (٢٠١ هـ / ٨١٦) ، ابن سعد : الطبقـات الكبـرى : جـ ـ ٧ ، ص ٣٣١ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٩ ، ص ص ٣٩٥ ، ٣٩٦

(٥) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٤٦٤ .

(٦) أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٩ ، ص ٩٣ ، الشيرازي : طبقات الفقهاء ، تحقيق إحسان عبـاس ، دار الرائـد العربي ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ، الخطيب : تـاريخ بغـداد ، جـ ـ ٥ ، ص ص ٣٤١ ، ٣٤٢ ، الذهبي : العبر في خبر من غبر ، جـ١ ، ص ٢١٩ ، الأربلي : الذهب المسبوك مختصر من سيرة الملوك ، ص ص ٩٤، ٩٥ .

وكان على قضاء الكوفة من العلماء ، القاسـم بـن معـن ، وشـريك بـن عبـد الله [1] ،وحفص بن غياث ، واستقضى الرشيد على البصرة من العلماء ، معاذ بن معاذ ، و محمد بن عبد الله الأنصاري [2] ، وعلى قضاء المدينة إبراهيم بن سعد الزهري ، وعلى قضاء مصر مفضل بـن فضـالة ، و إسحـاق بن الفرات [3] ، و عبـد الرحمـن بن عبد الله بن المحبر [4] ، وعلى قـضاء الرقـة محمد بن الحسن الشيبـاني ، وعلى قضـاء صنعـاء [5] هشـام بن يوسـف الصنعاني [6]

---

(١) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٤٦٤ .

(٢) محمد بن المثنى بن أنس بن مالك الأصبحي يكنى بأبي عبد الله ، ولي قضاء البـصرة ، ثـم قـضاء الجانـب الشرقي من بغداد لهارون الرشيد ، ثم أعيد إلى قضاء البصرة مرة أخرى ، ثم ولي المظالم ببغداد ، توفي سنة (٢١٠ هـ / ٨٢٥ م) ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ٧ ، ص ص ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، خليفة بن خياط : تاريخ خليفـة بـن خياط ، ص ٤٦٤ ، الشيرازي : طبقات الفقـهاء ، ص ١٣٩ ، الخطيب : تاريـخ بغداد ، جـ ٥ ، ص ص ٤٠٨ ، ٤١٢ .

(٣) إسحاق بن الفرات التجيبي (من تجيب إحدى قبائل اليمن) ، أحد تابعي التابعين ، ومن علماء مصر المعدودين ، ولي قضاء مصر للرشيد ، توفي سنة (١٨٥ هـ / ٨٠١ م) ، ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ٢٤٥ .

(٤) عبد الرحمن بن عبد الله بن المحبر بن عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب ، أحد تابعي التـابعين بمـصر ، ولـي القضاء للرشيد بمصر حتى توفي سنة (١٩٤ هـ / ٨١٠ م) ، ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ٢٤٥ .

(٥) صنعاء . منسوبـة إلى جودة الصنعـة ذاتها ، كقولهـم إمرأة حـسنـاء ، والنـسبـة إليهـا صنعـاني ، وصنعـاء موضعان ، أحدهما باليمـن ، وهي العظمى ، فهي حاضرة اليمن ، وهي التي نعنيهـا في هـذا الـسياق ، وكـان إسمها قديما أزال فلما وافتها الأحباش وجدوها مبنيـة بالحجارة ، حصينة ، فقالوا هذه صنعـة ، ومعنـاها حصينـة ، وهي احسـن بلاد اليمـن ، كثيـرة الفواكـه ، وآفرة المياه ، معتـدلة الهـواء ، طيبة السكن ، وهنـاك صنعاء أخرى في الشـام ، وهي قـرية صغيـرة بغوطة دمشـق ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٣ ، ص ص ٤٨٣ ، ٤٨٤ .

(٦) هشام بن يوسف الصنعاني ، من الأبناء (والأبناء هم المولودون من أباء فرس وأمهات يمنيات) ، أحـد علمـاء عصره فقد سمع معمر بن راشد وابن جريج وأخذ عنه ، عمل على قضاء صنعاء للرشيد ، توفي سنة (١٩٧ هـ / ٨١٣ م) ، ابن سمرة الجعدي : طبقات فقهاء اليمن ، ص ٦٧ .

، وكان عبد الله بن عمر بن غانم [١] على قضاء إفريقية [٢] .

ويبدو أن الأمين قد أقر قضاة أبيه ، إذ لم تتحدث المصادر ، بحسب ما نعلم ، عن تعيينات للقضاة في عهده ، سوى ما كان من استقضائه إسماعيل بن حماد [٣]،علـ ـى قـضاء الرصـافة [٤] سـنة (١٩٤هـ /٨١٠ م) ، ثم استقضـاه على الجانب الشـرقي مـن بغـداد ، [٥] ، و هشـام البكري [٦]

---

(١) عبـد الله بن عمـر بن غـانم ، أحد علمـاء أفـريقيـة ، من تـلاميـذ مالـك بن أنـس ، عمـل للرشيـد علـى قضـاء أفريقيـة ، توفي بالقيـروان ، لـم أقـف له على تاريخ وفـاة ، الشيـرازي : طبقـات الفقهـاء ، ص ١٥١ .

(٢) الشيرازي : طبقات الفقهاء ، ص ١٥١ ، إفريقية . إسم لبلاد واسعة قبالة جزيرة صقلية ، تبدأ مـن طـرابلس (الغرب) شرقا ، وحتى طنجة غربا ، فتحها المسلمون في خلافة عثمان بن عفان بقيادة عبد الله بن أبي الـسرح سـنة (٢٩ هـ / ٦٥٠ م) ، على الأرجح ، فتكون تونس الحالية ، وهي غير أفريقيا القارة المعروفة الأن ، ياقوت : معجـم البلدان ، جـ ١ ، ص ص ٢٧٠ ، ٢٧١ .

(٣) إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة ، من تابعي التابعين في الكوفة ، أكره على القول بخلق القرآن ، ولذلك ضـعَّفه علماء الجرح والتعديل ، كان كثر التردد إلى المأمون ، وعمل له على قضاء بغـداد سـنة (٢١٢ هـ / ٨٢٧ م) ، الجرجاني : الكامل في ضعفاء الرجال ، تحقيق يحيى مختار غزاوي ، دار الفكر ، بيـروت ، ط٣، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م ، جـ ١ ، ص ٣١٣ ، الخطيب : تاريخ بغداد ، جـ ٦ ، ص ٢٤٣ .

(٤) الرصافة . يأتي الإسم (الرصافة) من الرصف ، لأنهم كانوا يرصفون الحجارة رصفا عند بناءها ، و نعني بهـا هنا رصافة بغداد ، على الضفة الغربية لدجلة ، و كان يطلق عليها ، أيضا ، عسكر المهدي ، لأن المهدي عسكَر فيها في خلافة أبيه في إحدى غزواته ، لأن ثمة أكثر من مدينة تسمى بالرصافة ، في الشام والأندلس ،والبصرة ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٣ ، ص ٥٣ .

(٥) الخطيب : تاريخ بغداد ، جـ ٦ ، ص ص ٢٤٣ ، ٢٤٤ .

(٦) هشـام بن أبي بكر البكـري ، من أحفـاد أبي بكر الصديـق ، كـان على مذهب أبي حنيفة ، ولـي قـضـاء مصر ، وظل عليه حتى توفي سنة (١٩٦ هـ / ٨١٢ م) ، ابن عبد الحكم : فتـوح مـصر وأخبارهـا، ص ص ٢٤٥ ، ٢٤٦ .

وإبراهيم بن البكاء [١] ، على قضاء مصر [٢] .

وعمل بالقضاء في عهد المأمون عدد من العلماء ، فكان الواقدي [٣] ويحيى بن أكثم [٤] ، و محمد ابن عبد الرحمن المخزومي [٥] ، وابن سماعة ، على قضاء بغداد [٦] ، وكـان عمـر بـن حبيـب العدوي على قضاء البصرة [٧] ، وسليمان بن حرب على قضاء مكة [٨] ، وكان السري بن الحكم على قضاء مصر [٩] ، وعمل أبو عبيـد عـلى قضـاء طر سـوس [١٠] ، وعبـد الصمد بـن حسان [١١]

---

(١) إبراهيم بن البكاء ، ولي قضاء مصر للأمين سنة (١٩٦ هـ / ٨١٢ م) ، لم أقف له على ترجمة ، فتوح مصر ، ص ٢٤٦ .

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ٢٤٦ .

(٣) عمل الواقـدي قاضياً للمأمون على الجانب الشرقي من بغداد ، واستمر عليها حتى توفي سنة (٢٠٧ هـ / ٨٢٢ م) ، وكان المأمون يجله ، حتى أنـهم يرون أنه قال عنـدما قـدم بغـداد من خرا سان ، ما قدمـت إلا لأكتـب كتب الواقدي ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ٧ ، ص ص ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، الخطيب : تاريخ بغداد ، جـ ٣ ، ص ٣ ، ٤ .

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ٦ ، ص ١٦٢ ، ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ص ٢٢٢ .

(٥) الخطيب : تاريخ بغداد ، جـ ٢ ، ص ٣١٠ .

(٦) الشيرازي : طبقات الفقها ، ص ١٣٨ .

(٧) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٩ ، ص ص ٤٩٠ ، ٤٩١ .

(٨) المصدر نفسه ، جـ ١٠ ، ص ص ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ .

(٩) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ٢٤٦ .

(١٠) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ٧ ، ص ٣٥٥ ، ابن الجوزي : صفة الصفوة جـ ٤ ، ٦١ ، ابـن كثيـر : البداية والنهاية ، جـ ١٠ ، ص ٢٩١ ، مجهول : العيون والحدائق ، ص ٦٠ ، طر سوس : مدينة بثغر الشام ، بـين أنطاكيا وحلب وبلاد الروم (أسيا الصغرى) ، وهي مدينة ذات أسوار وقلاع وخنادق ، يمر بها نهر البردان ، وهي إحدى الأربطة التي كان العلماء وغيرهم من المجاهدين يرابطون فيها ، على ثغر الروم ، بها توفي المـأمون ، وبهـا دفن ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٤ ،ص ص ٣١ ،٣٢ .

(١١) عبد الصمد بن حسان المروزي ، من تابعي التابعين بمرو ، وأحد العلماء الثقاة ، ولي قضاء نيـسابور وهـراة للمأمون ، لم أقف له على تاريخ وفاة ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ٧ ، ص ٣٧٥ .

على قضاء مرو [١] و نيسابور [٢] و هراة [٣] .

نزاهة العلماء في القضاء :

ليس معنى عمل بعض العلماء في القضاء أنهم قد ركنوا إلى ذوي السلطان واطمـأنوا إلـيهم ، وأنهم قد داهنوهم وسوغوا لهم ما يريدون ، تسويغا شرعيا ، أو أنهم قد تخلوا عن دورهم في الأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر ، إذ بالرغم من أنهم قد عينوا من قبل الخلفاء والولاة ، إلا أنهم اكتسبوا - بحكم عملهم وبحكم مكانتهم في المجتمع ولدى الخلفاء - سلطات كانت في كثير من الأحيان تفوق سلطات الخليفة ، بل إن الخلفاء أنفسهم كانوا يذعنون لأحكامهم ، عندما يقف العلماء لهم بصلابة إزاء أي محاولة للتنكب عن الحق ، والانسياق مع الأهواء والأطماع .

وكان هذا الدور يعيد إلى أذهان الناس ، والحكام على السواء ذكريات السلف الصالح ، وما كـانوا عليه من تحري الحق واعتماد العدل في الأحكام ، وليس أدل على ذلك مما فعله سوار بن عبـد الله ، قاضي البصرة ، مع الخليفة المنصور عندما تدخل لديه لترجيح كفة أحد قاداته في نـزاع على أرض

---

(١) مرو : هي مرو الشاهجان ، و معنى مرو الحجارة البيضاء التي يقدح بها ، واما الـشاهجان ، فهـي فارسـية معناها السلطان ، وهي مور العظمى ، لأن هناك مرو أخرى هي مرو الروذ ، ومرو الشاهجان أشهر مدن خرا سان ، وهي غنية بالخيرات ، كثيرة الأنهار ، مغدقة الخضرة ، ينسب اليها من العلماء ، سفيان الثوري ، وأحمد بن حنبـل ، وإسحاق بن راهويه ، وعبد الله بن المبارك ، وقد اتخذها بعد ذلك السلطان السلجوقي سنجر بن ملك شـاه ، عاصـمة لدولته ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٥ ، ص ص ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ .

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ٧ ، ص ٣٧٥ ، نيسابور : مدينة كبيرة يقال أنها تنسب إلى سـابور ، أحـد ملوك الفرس ، لأنه مربها فاشار إلى أنها تصلح أن تكون مدينة ، فقيل نيسابور ، وهي أرض كثيرة الحيرات ، وفيـرة الفواكه ، افتتحها المسلمون في عهد عثمان بن عفان ، على يد الأمير عبد الله بن عامر بن كريز ، سـمة (٣١ هـ - / ٦٥٢م) ، وينتسب اليها عدد من العلماء ، أمثال الإمام الحافظ أبو علي الحسين بن علي بن زيد بـن داود ، يـاقوت : معجم البلدان ، جـ ٥ ، ص ص ٣٨٢ ، ٣٨٣ .

(٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ٧ ، ص ٣٧٥ ، هراة : مدينة كبيرة في إقليم خراسان ، ذات ميـاه غزيـرة ، وبساتين وخيرات وفيرة ، ينتسب اليها عدد من العلماء ، أمثال الحسين الهروي ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ ـ ٥ ، ص ٤٥٦ .

مع أحد تجار البصرة ، وكانت الحجة قد قامت لدى القاضي للتاجر ، فرفض سوار أمر الخليفة ، وهو من هو ، المنصور في سطوته وشدته .

ولنستمع إلى هذا الحوار - الذي بين الدور الذي كان يقوم به العلماء في الحياة السياسية في العصر العباسي الأول - بين الخليفة وأحد قضاته ، فقد كتب المنصور إلى سوار : " انظر الأرض التي تخاصم فيها فلان القائد وفلان التاجر ، فادفعها إلى القائد " [1] ، وكان من المفترض كما يتصور الخليفة ، وكما هي أحوال الموظفين مع الملوك ، أن يسرع القاضي إلى تلبية هذا الطلب ، حتى يكون حظيا لدى الخليفة ، وحتى يضمن الاستمرار في عمله ، إلا أن هذه التصورات لم تكن في أذهان أولئك العلماء القضاة ، وإنما كانت في أذهانهم تصورات أخرى مختلفة تماما ، إذ هم منذ البداية لم يطلبوا العمل في القضاء ، ولم يحرصوا عليه ، وإنما دفعوا إليها دفعا ، وكانت مهابة الله في نفوسهم أكبر من مهابة الخلفاء ، وكان الحق في تفكيرهم أكبر وأقوى من الخليفة ، لأنه الحق الذي قامت عليه السماوات و الأرض ، والذي ينوء بحمله العلماء ، ولأنها الأمانة التي تبرأت من حملها السماوات والأرض والجبال .

لذلك فقد كانت إجابة القاضي سوار منسجمة مع هذا الفهم ومع هذه التصورات التي اختلجت في نفسه ، فرد على الخليفة قائلا : " إن البينة قد قامت عندي أنها (الأرض) للتاجر ، فلست أخرجها من يده الا ببينة " ، فكتب اليه المنصور بعد أن اشتاط غضبا : " والله الذي لا إله إلا هو لتدفعنها إلى القائد " [2] ، ولم يجد هذا التهديد نفعا ، ولم يفت في عزيمة القاضي ، ولم يدعه إلى التراجع عن حكمه، بل حتى لم يفكر في هذا الأمر ، فكتب إلى الخليفة بنفس اللغة و بذات القسم : " والله الذي لا إله إلا هو لا أخرجتها من يد التاجر إلا بحق " [3] .

---

(١) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، جـ ٣٨ ، ص ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ص ٣٠٥ ، ٣٠٦ .

(٢) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، جـ ٣٨ ، ص ص٢٢٧ ، ٢٢٨ .

(٣) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، جـ ٣٨ ، ص ص٢٢٧ ، ٢٢٨ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٣٠٦ .

وقد كان هذا الموقف الصلب جديرا بأن يعيد الخليفة إلى الصواب ، وإلى الحق ، بـل إن الخليفـة عبر عن سروره وإرتياحه لهذا الثبات من هذا القاضي عندما قرأ كتابه ، وعده معينا له على إقامـة العدل ، فقال : " ملأتها والله عدلا ، وصار قضاتي تردني إلى الحق " (١) .

لم يكن هذا الموقف خاصا بسوار ، بمعنى أنه حادث فردي لا ينسحب على بقية القضاة ، إذ تشير الشواهد التاريخية إلى أنه تكرر غير مرة ، ومن أكثر من قاض ، ليس هذا فحسب ، بـل إن الخلفـاء والأمراء كانوا يتساوون في مجالس القضاء مع أقل الخصوم شأنا ، وتجري عليهم أحكام الشرع كمـا تجري على سائر الناس ، بعد أن يجردهم القاضي من كل الحـصانات ، والألقـاب التـي يحتمـون وراءها، فهم أمام القاضي أسوة مع غيرهم من الناس .

ولأن القاضي والخليفة ، على حدٍ سواء ، كانوا يدركون أن الحق أكبر منهم ، وبأن الحق أحق أن يتبع ،وأن العودة إلى الحق أولى من التمادي في الباطل ، فقد كان الخلفاء يـسارعون إلـى مجلـس القاضي إذا دعاهم لإنصاف خصومهم ، فقد استعدى جمالون في المدينة قاضيها محمد بـن عمـران على الخليفة المنصور ، عندما حج وزار المدينة ، فادعوا عليه أنه أخذ جمالهم ولم يدفع لهم كراها (أجرتها) ، فاستدعاه القاضي إلى مجلس الحكم لمواجهة خصومه ، وإنصافهم من نفسه وطلب منـه أن يأتي بمفرده ، فما كان من الخليفة إلا أن امتثل أمر القاضي ، فحضر ، ثم دعا بالجمالين ، فأخذ لهـم الحق منه ، وقد أثنى عليه الخليفة لذلك ، قائلا : " جزاك الله عن دينك أحسن الجزاء " (٢) .

وأرغم شريـك - قـاضي الكوفـة - عيسى بن موسى - وهـو والـي الكوفـة - علـى الحضور إلى مجلس القضاء لإنصاف إمرأة هدم حائطهـا ، وأراد إكراههـا على بيعـه ، بعدمـا وضع صاحب شرطته وحاجبه، وكل من أرسلهم للتوسط لديه، في الحبـس، حتى أخذ الحـق للمرأة

---

(١) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، جـ ٣٨ ، ص ص٢٢٧ ، ٢٢٨ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٣٠٦ .

(٢) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، جـ ٣٨ ، ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، المقريزي : الذهب المسبوك في ذكر من حـج من الخلفاء والملوك ، ص ٤١ ،٤٢ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٣٠٦ ، الكناني : نهج السلوك إلى معرفة سير الخلفاء والملوك ، ص ٢٤٩ .

منه [1] ، ورفض بعد ذلك في خلافة المهدي مداهنة عبد الله بن مصعب ، وكان عبـد الله اسـتعدى عليه الخليفة ، واتهمه بالجور ، لكن القاضي أمضى حكمه دون أن يلتفت إليه [2] .

وهذا أبو يوسف يطلب يمين الخليفة الهادي ، في بستان خوصم فيه ، مع أن الخليفة كان قد أقـام الحجة لدى القاضي بأن البستان له ، وشهد له الشهود بذلك ، إلا أن أبا يوسف أدرك بفراسة المؤمن ، وبخبرة القاضي ، أن في الأمر حيلة ، فطلب يمين الخليفة الهادي أن البستان له ، وهو يدرك أنه لـن يحلف ، فما كان من الخليفة إلا أن رد البستان على صاحبه [3] ، ولما أتاه ، بعد ذلـك ، مجوسـي ادعى على يحيى بن خالد البرمكي [4] وزير الرشيد ، أرسل إلى الوزير ، وأجلـسه بجانـب خـصمه المجوسي ، حتى رضي خصمه بقضاء القاضي [5] .

بل إنه أبطل شهادة جعفر بن يحيى البرمكي [6] ، وزير الرشيد بعد ذلك ، في قضية ، لمجرد أنه

---

(١) وكيع : أخبار القضاة ، جـ ١ ، ص ١٧٠ ، جـ ٣ ، ص ص ١٧٣ ، ١٧٥ ، انظر كذلك خالـد سـيد علـي : وصايا ومواعظ العلماء للأمراء ، مكتبة التراث ، الكويت ، ط١ ، ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠م، ص ص٢١٦ ، ٢١٧، ٢١٨ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ٢ ، ص ص٤٦٤ ، ٤٦٥ .

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ٦ ، ص ٣٨٤ ، الأربلي : خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سيرة الملوك ، ص ٩٥ ، انظر الكوثري : حسن التقاضي في سيرة الإمام أبي يوسف القاضي ، ص ٥٦ .

(٤) يحيى بن خالد بن برمك ، يكنى بأبي علي ، اتخذه المهدي مؤدبا للرشيد لتعليمـه الـسياسة ومقتـضياتها ، فلمـا استخلف الرشيد حظي لديه بمكانة مرموقة ، وكان يجله ، فكان ذلك سببا في ظهور أسرة البرامكة على سطح التـاريخ العباسي ، إلا أن مآله كان إلى السجن في آخر حياته ، عقب نكبة الرشيد للبرامكة ، فقتل إبنه جعفر ، وصودرت أملاكه ، فظل في سجنه في الرقة حتى توفي سنة (١٩٠ هـ / ٧٦٠ م) ، الذهبي : تاريخ الإسـلام ، جـ ١٢ ، ص ص ٤٤٨ ، ٤٤٩ .

(٥) الصفي الميموني : التبر المسبوك في صفات الملوك ، ص ٧١ .

(٦) جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك ، البرمكي ، وزير الرشيد ، وأحد أقرب أعوانه منه ، منحه الرشيد صـلاحيات واسعة في وزارته ، فكان وزير تفويض ، وولي خرا سان لعشر سنين ، وولي رياسة حرس الرشيد ، إلا أنـه تجـاوز الحد المسموح لمثله من المشاركين للخليفة في السلطة ، وعبث بالمال العام لاكتساب المدح والثناء ، فأغرى ذلك الرشيد به فقتله سنة (١٨٧ هـ / ٨٠٣ م) ، وعزل آل برمك من وظائف الدولة ، الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٤ ، ص ٦٤٤ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٩ ، ص ٢٩٣ .

سمعه يقول للرشيد ، أنا عبدك ، وعندما شكاه جعفر إلى الخليفة ، قال أبو يوسف : « سمعته يقول لك أنا عبدك يا أمير المؤمنين فإن كان عبدا حقيقة ، فالعبد غير مقبول الشهادة ، وإن كان غير ذلك ، فقد أخبر بما ليس بواقع ، فلا تقبل شهادته » [١] ، فاعجب به الرشيد ، وعظمت مكانته لديه .

وبالرغم من كل هذا التوخي للعدل ، والتحري للحق والحذر من الوقوع في الجور ، ظل هذا العالم القاضي يحاسب نفسه ويؤنبها ، لعلها أن تكون قد حدثته في يوم ما في الميل مع الهوى ، أو التمييز بين الخصوم ، على أساس الشرف والجاه والسلطان ، ولنستمع إلى هذا الاعتراف من هذا العالم ، في اللحظة الفاصلة بين الحياة والموت ، وهو يحاسب نفسه في آخر عهدها بالدنيا وأول عهدها بالآخرة ، قائلا : " لئن جرت في القضاء بين عباده لم أجره إلا مرة واحدة ، ادعى فيها يهودي على هارون الرشيد دعوى ، فأحضرت هارون الرشيد واليهودي ، فلما حضرا قلت لليهودي قم واجلس حيث يجلس خصمك ، وما قلت لهارون قم واجلس حيث يجلس خصمك " [٢] .

بهذه الحاسة المرهفة ، وبهذا الشعور العالي بالمسؤولية ، بهذه العبارات التي تقطر تقوى وتشع إيمانا وتندى صلاحا ، بين القاضي أبو يوسف الأخطاء التي يمكن أن يكون قد وقع فيها ووقع منه الجور في أقضيته ، وبين مع ذلك المستوى الحضاري الراقي الذي تعامل به المسلمون مع غيرهم عندما تسيدوا الأرض وكيف نعم غيرهم بالعدل والإنصاف في دولة الإسلام ، بين أن ثمة فرق بين مدنية حملت للإنسانية الحروب والدمار ، وبين حضارة جاءت رحمة للعالمين .

ومما يدل على الحساسية والنزاهة المفرطة التي اتسم بها العلماء الذين عملوا بالقضاء في العصر العباسي الأول ، أنهم كانوا يدرءون كل شبهة يمكن أن توحي لأحد الخصوم أن القاضي يميل مع خصمه ضده ، أو معه ضد خصمه ، حتى وإن كلفهم ذلك معاداة الناس لهم ، ونفورهم منهم ، فيروي ابن عبد الحكم [٣] أن صديقا لابن خزيمة (قاضي مصر) سلم عليه في الطريق ، فلم يرد عليه

---

(١) ابن وادران : تاريخ العباسيين ، ص ص ١٠٣ ، ١٠٤ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ٦ ، ص ٣٨٧ ، الموصلي : حسن السلوك الحافظ لدولة الملوك ، ص ص ٩٤ ، ٩٥ .

(٣) فتوح مصر وأخبارها ، ص ٢٤٢ .

ابن خزيمة السلام ، فلامه في ذلك فيما بعد ، فقال له ابن خزيمة : " ما كان ذلك إلا أني خفـت أن يرى خصمك سلامي عليك فيكسره ذلك عن بعض حجَّته " (١) ، وكانا تنازعا في جدار ، فما كـان من صديقه هذا إلا أن قال : " فإني أشهدك أن الجدار له " (٢) ، فكانت هذه الاستجابة الفورية لـسلوك ذلك القاضي العادل .

وادعى القاضي عافية (٣) أنه لا يفقه الشعر ، عندما مدحه أبو دلامة (٤) ، ليميل معه علـى خـصم خاصمه إليه ، وكان مما قال :

فمن كنت من جوره خائفا فلست أخافك يا عافية (٥)،

ظنا منه أنه بذلك سوف يكسب القاضي إلى صفه ، فقال له عافية ـ مدعيا أنه لا يفقه الشعر ـ : " لأشكونك إلى أمير المؤمنين ، لإنك هجوتني ، فقال له أبو دلامة : والله لئن شكوتني ليعزلنك لإنك لا تعرف الهجاء من المديح " (٦) .

وهكذا فقد كان للعلماء، ممن عملوا في القضاء للدولة في العصر العباسي الأول ، أدوارا مباشـرة في الحياة السياسية ، فعملوا في القضاء بشريعة الإسلام وقيمه وآدابه ، وبما قدموه من تخريجـات فقهية، وفي إعادة ذوي السلطان إلى الحق ، فكانوا يساوونهم أمام أقل الخصوم شانا ، وكـانوا لـذلك يزدادون مكانة وهيبة في صدور الناس ، حكاما ومحكومين .

---

(١) الأربلي : خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سيرة الملوك ، ص ٩١ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) عافية بن يزيد بن قيس بن عافية بن شداد بن ثمامة بن سلمة بن كعب بن سعد العـشيرة الأزدي ، أحـد العلمـاء الزهاد ، عمل في جهاز الدولة العباسية ، فكان على قضاء الجانب الشرقي من بغداد للمهدي ، ثم استقضاه الرشيد بعـد ذلك ، الخطيب : تاريخ بغداد ، جـ ١٢ ، ص ص ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ .

(٤) أبو دلامة . إسمه زيد بن الجون ، هو عبد حبشي من موالي بني أسد وهو شاعر ذو فكاهة ، اتخـذه المنـصور للتفكه والتندر ، الذهبي : تاريخ الإسلام ، جـ ١١ ، ص ص ٤١٥ ، ٤١٦ .

(٥) الأربلي : خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٩١

(٦) المصدر نفسه .

عمل العلماء في ولاية المظالم :

المظالم جمع مظلمة ، وهي ما أخذ منك دون وجه حق ، فتطلبه عند من أخذه منك ، أو ظلمك فيه ، ويقال مظلمة وظلامة [1] .

والمقصود بولاية المظالم : قود المتظلمين إلى التناصف بالرهبة ، وزجر المتنازعين عـن التجاحـد بالهيبة [2] ، وهي جائزة [3] ، إذا كثرت الظلامات ، وتجاحد الناس فيما بينهم حقوقهم .

لم تكن ولاية المظالم بين مؤسسات الدولة الإسلامية منذ البداية ، فلم تكن قد ظهرت في العهـد النبوي ، كما لم ينتدب الخلفاء الراشدون أحدا للمظالم ، لأن وازع الدين في الصدور كان يقود الناس إلى التناصف فيما بينتهم ، دون الحاجة إلى من يأخذ على أيديهم [4] ، ولم تظهر ولاية المظالم إلا في أواخر خلافة علي بن أبي طالب ، فكان أول من أوجد ولاية المظالم ، واستقل بها ، عندما تجـاهر الناس بالظلم ، والتغالب ، ولم تكفهم زواجر العظة عن التمانع والتجاذب [5] .

إلا أن أول من أفرد للمظالم يوما خاصا ، ينظر في قصص المتظلمين ، هو الخليفة الأمـوي عبـد الملك بن مروان ، وعين لذلك من يباشر هذا العمل تحت إمرته ، فكان أبو إدريس [6] هو المباشر للمظالم ، وعبد الملك الآمر [7] .

---

(١) ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٤ ، ص ٢٧٥٧ .

(٢) الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ١٤٦ ، انظر كذلك صابر محمد دياب : ولاية المظالم ومجالسها في العصر العباسي الأول ، مطبعة الأمانة ، القاهرة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م ، ص ص ٦ ، ٣٣ .

(٣) الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ١٦٨ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٤٧ .

(٥) المصدر نفسه .

(٦) أبو إدريس الخولاني . إسمه عائذ بن عبد الله ، ولد يوم حنين ، وهو أحد كبار تابعي الشام ومن الثقات في الحديث ، فقد روى عنه الزهري وغيره ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ٧ ، ص ٤٤٨ .

(٧) الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ١٤٨ .

ولما زاد جور الولاة وظلم الأقوياء للضعفاء ، واحتاجوا إلى رادع قوي ، يأخذ على أيـديهم ، ندب عمر بن عبد العزيز نفسه للنظر في المظالم ، فردها ، واستهلها بمظالم بني أميـة ، فكـان أول خليفة ندب نفسه للنظر في المظالم [١] .

وبرر عمر بن عبد العزيز قيامه بهذا الدور لأنه رأى بعض القيم قد ضمرت في حياة الناس ، وعبـر عن ذلك في خطبته التي ألقاها عقب مبايعته بالخلافة ، قائلا : « وقد كان قوم من الولاة منعوا الحق حتى اشتري منهم شراء ، وبذلوا الباطل حتى افتدي منهم فداء ، والله لولا سنة مـن الحـق أميتـت فأحييتها ، وسنة من الباطل أحييت فأمتها ، ما باليت أن أعيش وقتا واحدا » [٢] .

وفي العصر العباسي الأول كان المهدي أول من جلس للمظالم من خلفاء بني العبـاس ، ثـم الهادي فالرشيد فالمأمون [٣] .

ومع ذلك فقد خصص خلفاء بني العباس ولاية خاصة بالمظالم ، وعينوا لها ناظرا يقوم بشانها ، وإن كان يعود إلى الخليفة فيما أشكل واستعصى عليه للإستعانة بقوته في انتزاع الحـق مـن ذوي القوة والسطوة .

عمل عدد من العلماء في ولاية المظالم فـي العـصـرالعباسي الأول ، فـولي أبـو الـورد المـروزي [٤]المظالم للمهدي [٥]، وكان محمد بن الحسن الشيباني ، على المظالم في عهد الرشيد [٦] ،

(١) الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ١٤٨ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٥١ .

(٣) المصدر نفسه ، ١٤٨ .

(٤) أبو الورد عمر بن مطرف المروزي ، حجازي نزل البصرة ، أحد علماء الحديث الثقاة ، اتصل بالمهـدي فعينـه على ولاية المظالم ، ثم ولاه ديوان المشرق ، وظل عليه بعدذلك في عهدي الهادي والرشيد ، حتى توفي سنة(٢٠٣ هـ / ٨١٨ م) ، ابن النديم : الفهرست ، ص ١٨٤ ، الخطيب : تاريخ بغداد ، جـ ١ ، ص ٨٧ ، ابن حجر ، فـتح الباري ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، محب الدين الخطيب ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩ م ، جـ ٩ ، ص ٣٦٠ .

(٥) الخطيب : تاريخ بغداد ، جـ ١ ، ص ٨٧ .

(٦) البيهقي : مناقب الشافعي ، جـ ١ ، ص ١٤١ .

ثم خلفه ابن علية [١] ، وكان محمد بن المثنى على المظالم للأمين في بغداد [٢] .

عمل العلماء بالفتيا :

عمل عدد من العلماء بالفتيا سواء بتكليف من قبل الخلفاء ، أم بدون تكليف منهم ، فكان مالك بن أنس كما يقول الذهبي[٣] يفتي عند السلطان ، وإن كان قد ندم بعد ذلك [٤] ، على قيامه بهذا الدور لئلا يكون قد أخطأ في إحدى فتاويه ، فينبني عليها حكم يأخذ الناس به ، وهو إمام متبع ، وكان أبو حنيفة مفتي الكوفة بالرغم من أنه لم يعمل للسلطان [٥]، وانتهت الفتيا بمصر إلى الليث بن سعد ، فكان الولاة والقضاة والناس ياخذون بفتواه على حدٍ سواء [٦]، وانتهت إلى الزنجي (شيخ الشافعي) رياسة الفتيا بمكة [٧]، وكان محمد بن عبد الله بن غافق[٨]مفتي إفريقية[٩]، وأجري على ابراهيم بن طهمان[١٠]

---

(١) الخطيب : تاريخ بغداد ، جـ ٦ ، ص ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٩ ، ص ١١٥ ، هو إسماعيل بن إبراهيم بن سهم ، و(علية) هي أمه ، وقد اشتهر بابن علية ، من تابعي التابعين بالبصرة ، وأحد علمائها ، توفي سنة (١٩٤ هـ / ٨١٠ م)، ابن حبان : مشاهير علماء الأمصار ، ص ١٦١ .

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ٧ ، ص ٢٩٥ ، الخطيب : تاريخ بغداد ، جـ ٥ ، ص ٤٠٩ .

(٣) سير أعلام النبلاء ، جـ ٨ ، ص ٧٧ .

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ٤ ، ص ص ١٣٧ - ١٣٨ .

(٥) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٧ ، ص ٦٨ .

(٦) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ٧ ، ص ٥١٧ ، الفسوى : المعرفة والتاريخ ، ص ٤٨٦ ، المزي : تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، جـ ٢٤ ، ص ٢٦١ .

(٧) الجندي : السلوك في طبقات العلماء والملوك ، تحقيق محمد بن علي بن الحسين الأكوع ، وزارة الإعلام والثقافة ، صنعاء ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ، جـ ١ ، ص ١٨٣ .

(٨) محمد بن الله بن غافق التونسي (لم أقف له على ترجمة) .

(٩) الشيرازي : طبقات الفقهاء ، ص ١٥٧ .

(١٠) إبراهيم بن طهمان الخراساني ، يكنى بأبي سعيد ، ولد بهراة ونشأ بنيسابور ورحل في طلب العلم بين الأمصار ، وقد أتاح له ذلك الالتقاء بعدد من التابعين ، فأخذ عنهم ، أمثال عبد الله بن دينار ، وعمرو بن دينار ، وأخذ عنه عدد من العلماء أمثال أبي حنيفة ، وعبد الله بن المبارك ، وسفيان بن عيينة ، توفي سنة (١٥٨ هـ / ٧٧٥م) ، الخطيب : تاريخ بغداد ، جـ ٦ ، ص ص ١٠٥ ، ١١١ .

مرتبا من بيت المال إزاء عمله بالفتيا [1] .

تأديب أبناء الخلفاء والأمراء :

حرص الخلفاء العباسيون على إعداد أبنائهم ، وتهيئتهم للقيام بشؤون الدولة ، خصوصا أولئـك الذين رشّحوا للخلافة .

وكان من الطبيعي أن تتجه أنظارهم إلى العلماء الذين كانوا حينذاك قـادة الفكـر ، وصـفوة المجتمع ، وحملة العلم ، سواء العلم الشرعي بفروعه المختلفة من قرآن وتفسير وفقه ومغازي وسير ، أم علم اللغة والأدب ، إلى جانب أخبار الأمم السابقة ، للقيام بهذا الدور .

وقد بلغ من اهتمام الخلفاء العباسيين بأبنائهم ، ورغبتهم في تأهيلهم للخلافة أنهم كـانوا يتفقـدونهم في مجالسهم ، ويضعون عليهم العيون ليأتوهم بما يدور في مجالسهم، ومن يجالسون ، حتى أن الأمين لم يشعر ، ذات مرة ، إلا بوقع أقدام أبيه الرشيد مقبلا على مجلسه ، فاختبر جلساءه في أدبهم [2] .

شارك العلماء في تأديب أبناء الخلفاء في العصر العباسي الأول ، كان بينهم عدد من كبار العلماء ،وقد كان لقيامهم بهذا الدور أكبر الأثر في صياغة وتشكيل وجدان الخلفاء ، ومن ثم توجيه سياساتهم ، فاتخذ المنصور جماعة من العلماء مؤدبين لإبنه محمد المهدي ، كان من بينهم الحسن بن عمـارة [3]، وحماد الراوية [4] ، و أبي سعيد المؤدب [5] ، ثم إن المنصور كان بعد ذلك يوجهه إلى مجالس العلماء

---

(١) الخطيب : تاريخ بغداد ، جـ ٦ ، ص ١١٠ .

(٢) ابن أعثم : كتاب الفتوح ، جـ ٨ ، ص ٢٧١ .

(٣) الحسن بن عمارة بن المضرب الكوفي ، من الموالي ، كان على قضاء بغداد للمنصور ، ثم ضمه إلـى المهـدي مؤدبا ، توفي سنة(١٥٣ هـ / ٧٧٠ م) ، ابن الجوزي : المنتظم ، جـ ٨ ، ص ١٦٩ .

(٤) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٧، ص ١٥٧، عرف بالراوية ، من الموالي ، فكان مولى بني بكر بن وآئـل ، كان يتردد على خلفاء بني أمية ، فقد وفد على يزيد بن عبد الملك وهشام بن عبد الملك وعلى الوليد بن يزيد ، ثم انقطع إلى يزيد بن الوليد ، وكان إخباريا متخصصا في الأخبار، ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، جـ١٥، ص ١٥٠ .

(٥) محمد بن مسلم بن الوضاح ، يكنى بأبي سعيد ويعرف بالمؤدب ، ضم المنصور اليه إبنه المهـدي أثنـاء ولايـة المنصور للجزيرة ، وكان عمر المهدي حينها عشرة سنين ، فلم يزل معه ، مات أبو سعيد المؤدب ببغداد ، في خلافة موسى الهادي، ابن سعد:الطبقات الكبرى ، جـ٧ ، ص ٣٢٦، الخطيب: تاريخ بغداد ، حـ٣ ، ص ص ٢٥٤، ٢٥٥ .

للأخذ بآدابهم [١] كما استقدم أبا معشر السندي من المدينة إلى بغداد لذات الغرض ، قـائلا لـه : « تكون بحضرتنا فتفقه من حولنا » [٢] .

وعمل عدد من العلماء في تأديب ابني المهدي ،(موسى وهارون) ، فاستمر أبو سـعيد المـؤدب ، الذي كان معلم المهدي ومؤدبه من قبل ، في تأديب ولديه ،[٣] ، ثم أوكل أمر تأديبهما وتعليمهما ، بعد ذلك ، إلى شريك بن عبد الله [٤] ، ثم صير معهما أبا يوسف القاضي ،فكان له أكبر الأثر في توجيـه سياستهما فيما بعد ، خصوصا هارون الرشيد[٥] ، واختص مروان بن شجاع بتأديب الهادي ،ثم اتخـذه الهادي، فيما بعد ،مؤدبا لأولاده[٦]، وعندما آلت الخلافة إلى الرشيد اهتم كثيرا بإعداد ولديـه الأمـين والمأمون للخلافـة ، فجلب لهما العلمـاء لتعليمهم وتأديبهـم ، أمثال الكسائي[٧] و أبي عبدالصمد[٨]،

(١) السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٣١٣ .

(٢) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٧ ، ص ص ٤٣٩ ، ٤٤٠ .

(٣) الفسوي : المعرفة والتاريخ ، ص ٤٥٤ ، الخطيب : تاريخ بغداد ، جـ ٣ ، ص ٢٥٤ ، الذهبي : العبـر فـي خبر من غبر ، جـ ١ ، ص ١٩٨ .

(٤) السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ص ٣١٦ ، ٣١٧ .

(٥) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ٧ ، ص ص ٣٣٠ ، ٣٣١ .

(٦) المصدر نفسه ، جـ ٧ ، ص ص ٣٢٨ ، ٤٨٥ .

(٧) تولى الكسائي تأديب الأمين والمأمون وتعليمهما اللغة العربية ، وكان الرشيد يجلـه ويكافئـه ، وكـان الأمـين والمأمون يحترمانه ويقدرانه أيما تقدير ،و يخدمانه ، فكان إذا قام من حلقة الدرس يبادران إلى تقديم نعله إجلالا لـه ، الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص ٣٨٧ ، ابن اعثم : كتاب الفتوح ، جـ ـ ٨ ، ص ص ٢٦٣ ، ٢٦٥ ، ابـن النـديم : الفهرست ، ص ٩٠ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ٣ ، ص ٢٩٥ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ـ ٩ ، ص ص ١٣١ ، ١٣٤ ، الخازني : أحاسن الأخبار في محاسن السبعة الأخيار ، ص ٦٨ .

(٨) كان أبو عبد الصمد يؤدب الأمين والمأمون ، وقد خصصت له ، لذلك ، غرفة في قصر الرشيد ، ويذكر أن الرشيد أتاه ووجهه إلى أهمية الدور الذي يقوم به في تكوين شخصية أبناء الخليفة ، الذين سيكون من بينهم الخليفة القادم ، مبينا له أهمية القدوة الصالحة للمعلم إزاء من يعلمهم ، فقال : ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح أولاد أمير المؤ منين إصـلاح نفسك ، فإن أعينهم معقودة بعينك ، فالحسن عندهم ما تستحسنه والقبيح عندهم ما تركته ، علمهم كتاب الله ولا تكرههم عليه فيملوه ، ولا تتركهم منه فيهجروه ، ثم إرو لهم من الشعر أعفه ومن الحديث أشرفه ، ولا تخرجنهم علـ ـم إلـى غيره حتى يحكمـوه ، فإن إزدحام الكلام في السمع مضلة للفهم ، أبو نعيم : حليـة الأولياء ، جـ ٩ ، ص ١٥٦ ،=

وعبد الله بن إدريـس [١] ، و عيسى بن يونـس [٢] ، و خلف الأحمـر [٣] كما اختـص عبيـد ابن حميـد [٤] ، بتـأديب الأميـن ، [٥] وأسنـد إلى اليـزيدي [٦] تاديب المأمـون [٧] ، وكـان

=الخطيب : تاريخ بغداد ، جـ ٣ ، ص ١٨٧ ، ابن الجوزي : صفة الصفوة ، جـ ٢ ، ص ص١٦٩ ، ١٧٠ .

(١) كان عبد الله بن إدريس لا يأتي الأمين والمأمون وإنما يأتونه هما ، فيحدثهما حديث النبي صلى الله عليه وسـلم ، وكانا يتوددان اليه ، فعرض عليه المأمون أن يشتري دارا كانت إلى جانب المسجد لتوسعته ، وأن يأتيه بطبيب الخليفـة لتطبيبه من جرح رآه في ذراعه ، فأبى عبد الله بن إدريس ذلك كله ، وكان لا يأخذ على تأديبهما أجرا ، ابن الجوزي : صفة الصفوة ، جـ ٣ ، ص ص١١١ ، ١١٢، الذهبي : سيرأعلام النبلاء ، جـ ٩، ص٤٧ ،جـ١٠،ص٢٧٦ .

(٢) عيسى بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي ، يكنى بأبي عمرو ، همداني الأصل ، كوفي المنشأ والسكن ، ثم تحـول إلى الثغر فنزل بالحدث مرابطا ، وهو من الثقات الأثبات ، وكان معتزا بنفسه مجلا للعلم حتى أنه رفض طلب الرشـيد عندما أراده ليحدث ابنيه الأمين والمأمون ، وقال له ، العلم يؤتى ولا يأتي ، فأمر ولديه أن يأتياه ، فحدثهما ولم يأخـذ أجرا على ذلك ، توفي بالحدث مرابطا سنة(١٩١ هـ / ٨٠٦ م) ، ابن سعد الطبقات الكبرى ، جـ ٧ ، ص ٤٨٨ ، ابن الجوزي : صفة الصفوة ، جـ ٤ ، ص ٢١٩ .

(٣) ابن أعثم : كتاب الفتوح ، جـ ٨ ، ص ص ٢٦٦ ،٢٦٧ ، ابن الجوزي : صفة الصفوة ، جـ ٣ ، ص ص ١١١ ، ١١٢ ، جـ ٤ ، ص ٢١٩ ، خلف الأحمر لغوي وشاعر ، يكنى بأبي محرز ، من الموالي ، إذ كان مولى بلال بن أبي بردة ، من أهل الكوفة ، استقدمه الرشيد إلى بغداد وضمه إلى الأمين والمأمون مؤدبا ، وقد أوصاه بهمـا ، ابـن أعثم : كتاب الفتوح ، جـ٨ ،ص ص ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، الذهبي : تاريخ الإسلام ، جـ ١١ ،ص ص ١٠٧ ، ١٠٨ .

(٤) كان عبيد بن حميد الحذاء التيمي الضبي يؤدب الأمين ويعلمه القرآن والحديث والنحو ، استقدمه الرشيد من االكوفة إلى بغداد ، وظل بها مع الأمين يؤدبه إلى أن مات ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ٧ ، ص ٣٢٩ ، ابن حبان : مشاهير علماء الأمصار ، ص ١٧١ .

(٥) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ٧ ، ص ٣٢٩ .

(٦) يكنى بابي محمد ، سمي باليزيدي لصحبته يزيد بن منصور خال المهدي ، ضم إلى المهدي مؤدبا ، وتوفي بصحبة المعتصم حينما خرج إلى مصر ، ابن النديم : الفهرست ، ص ص ٧٢ ، ٧٣ .

(٧) التنوخي : جامع التواريخ ، مطبعة ابن زيدون ، دمشق ، ١٣٤٨ هـ / ١٩٣٠ م ، جـ ٨ ، ص ١١٦ ، ابـن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، جـ ٣٩ ، ص ٢٣٠ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٣٤٩ ، ابن وادران : تـاريخ العباسيين ، ص ٢٥٧ .

متهمـا بالاعتـزال [١] ، ولربما كان لذلك أثر في تشـكيل وجدان المـأمون وفكـره ، وأوكـل المأمون بعـد ذلك ولديه إلى الفـراء [٢] ، فكان يعلمهما النحو [٣] ، وأدب هـارون بـن زيـاد [٤] الواثق ، وكان يكرمه بعد ان ولي الخلافة ، وعندما سئل عن ذلك قال : " هذا أول من فتق لساني بذكر الله ، وأدناني من رحمة الله " [٥] ، واتخذ المتوكل من العلماء مؤدبين لأولاده ، كان منهم أحمد بـن حنبل [٦] ، و ابن السكيت [٧] ، وأبو عصيدة [٨] ، و أبو جعفر بن قادم [٩] .

---

(١) عبد الرحمن سالم : التاريخ السياسي للمعتزلة حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، رسالة ماجستير ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م ، ص ١٦٠ .

(٢) هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسدي الكوفي النحوي ، يكنى بأبي زكريا ، ويعرف بالفراء ، ذكـر انه عرف بالفراء لأنه كان يفري الكلام ، من الموالي إذ كان مولى لبني أسد ، صاحب الكسائي ، ومن علماء اللغة في عصره ، ضمه المأمون إلى ولديه لتعليمهما النحو ، له مصنفات في اللغة منها كتاب البهي ، توفي سنة (٢٠٧ هـ / ٨٢٢ م) ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ١٠ ، ص ص ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ .

(٣) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ١٠ ، ص ١١٩ .

(٤) هارون بن زياد القشيري الرقي ، روى عن الأعمش ، واتخذه المعتصم مؤدبا لولده الواثق فحظي لديه بعد ذلـك بمكانة مرموقة ، فكان يظهر برّه ، ويكرمه ، الخطيب : تاريخ بغداد ، جـ ١٤ ، ص ١٧ .

(٥) السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٣٨٨ .

(٦) استقدم المتوكل أحمد بن حنبل اليه ليلي القضاء فامتنع ، ثم طلب منه ثان يؤدب ولده فاعتذر ، فأصر عليه ، فكان يأتي فيراه المتوكل من حيث لا يراه أحمد بن حنبل ، ابن الجوزي : مناقب الإمام أحمد بـن حنبـل ، ص ص ٢٨٠ ، ٣١٥ ، ٣٢٨ .

(٧) ابن النديم : الفهرست ، ص ٩٨ .

(٨) أبو عصيدة . أحمد بن عبيد بن ناصح الديلمي ، الهاشمي ، من الموالي إذ كان مولى لبني هاشـم ، أحـد علمـاء الحديث ، فقد حدث عن يزيد بن هارون ، وعن أبي داود الطيالسي وعن الأصمعي ، وكان إلى جانـب ذلـك عالمـا بالعربية ، إتخذه المتوكل مؤدبا لولديه ، توفي سنة (٢٧٨ هـ / ٨٩١ م)، وقد بلغ التسعين ، ابن النديم : الفهرسـت ، ص ٩٩ ، الذهبي : سير اعلام النبلاء ، جـ ١٣ ، ص ص ١٩٣ ، ١٩٤ .

(٩) اتخذه المتوكل مؤدبا لولده المعتز قبل أن يلي المتوكل الخلافة ، ابن النديم : الفهرست ، ص ٩٢ .

وقد قلد بعض الأمراء والقادة الخلفاء في استجلاب العلماء لتأديب أبنائهم وتعليمهم ، فكان يحيـى ابن محمد بن قيس [1] مؤدبا لأولاد جعفر بن سليمان العباسي [2] ، أمير البصرة [3] ، وضم يحيـى ابن خالد البرمكي ابنه جعفر إلى أبي يوسف لتاديبـه [4] ، وعمل أبو عبيـد في تأديب عدد من أولاد الأمراء والقادة ، فأدب أولاد هرثمة بن أعين ، وأولاد والي طرسوس [5] ، ثم أدب ابن عبد الله بن طاهر [6] .

وهكذا فقد وجدنا في هذا السياق ، أن عددا من العلماء قد شاركوا في الحياة السياسية في العصر العباسي الأول ، من خلال العمل في أجهزة الدولة ، وقاموا بأدوارهم من خلال هذه الأعمال ، وهـو ما اتفقنا على وصفه بالتغيير باليد ، في منهج الأمر بالمعروف والنهي عـن المنكـر ، وإن كانـت أدوارهم في الحياة السياسية قد تفاوتت ، قوة وضعفا بحسب طبائعهم الشخصية ، وخصائصهم النفسية، وتبعا لدرجة إحساس كل منهم بالأخطاء والانحرافات التي طرات على الحياة السياسية ، وبحسب موقع كل منهم من السلطة ، وفق السلطات المخولة اليهم .

---

(١) يحيى بن محمد بن قيس المدني ، البصري ، يكنى بأبي زكريا ، أحد علماء الحد يث ، فقـد رواه عـن متـأخري التابعين ، أمثال يزيد بن أسلم ، وابي حازم الأعرج ، وكان مؤدبا لأولاد أمير البصرة جعفر بـن سـليمان العباسـي ، الرازي : الجرح والتعديل ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٣٧١ هـ / ١٩٥٢ م ، جـ ٩ ، ص ١٨٤ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٩ ، ص ٢٩٦ .

(٢) يكنى بأبي القاسم العباسي ، أحد أمراء بني العباس ، ولي عدد من الولايات ، فولي المدينة ، ثم ضمت اليـه مكـة معها ثم عزل وولي البصرة للرشيد ، وهو موصوف بالجود والسخاء ، توفي سنة(١٧٤ هـ/٨٠٠ م) ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٨ ، ص ص ٢٣٩ ، ٢٤٠

(٣) الذهبي : سير اعلام النبلاء ، جـ ٩ ، ص ٢٩٦ .٠٠

(٤) المصدر نفسه ، ص ص ٦١ ، ٦٢ .

(٥) ابن النديم : الفهرست ، ص ٩٧ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ١٠ ، ص ٤٩٣ .

(٦) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ١٠ ، ص ص ٤٩٦ ، ٤٩٧ .

المشاركة من خلال النصح والوعظ (التغيير باللسان) :

كان ضمن التيار المشارك من العلماء في الحياة السياسية في العـصر العباسـي الأول ، تيـارلم يشترك مباشرة في وظائف الدولة ، لكنه ظل يزود الخلفاء والأمـراء بالتوجيهـات ، ويـسدي الـيهم النصائح ، التي كان يؤخذ بجلها .

وكان أفراد هذا الفريق يتحفظون عن العمل للدولة ، خشية أن يفرطوا في حق الأمة إذا شاب عملهم قصور أو خلل ، و خوفا من أن يمنعهم العمل للخلفاء من مواجهتهم بكلمة الحق ، ومن عجزهم عـن تبصيرهم بعيوبهم ومحاسبتهم ، فاكتفى أفراد هذا الفريق بتقديم المواعظ والنصائح والتوجيهات للخلفاء ، إما لدى قدومهم عليهم ، أو من خلال المراسلات التي كانت تجرى فيما بينهم ، وقد حـرص أفـراد هذا الفريق على اتخاذ منهج هادئ لطيف في التعامل مع الخلفاء والأمراء ، وهو ما ميزهم عن الفريق المعارض ، الذي كان هو الآخر يتعامل مع الخلفاء والأمراء في نطاق محدود ولكن ضمن منهج فـج جاف .

وإذا كنا قد اتفقنا على أن مشاركة العلماء في السلطة ، وعملهم في وظائف الدولة ، هو نوع مـن التغيير باليد ، لأن عملهم ودورهم يمكّنهم من ذلك ، فإن هذا الفريق قد اتخذ أسلوب التغييـر باللـسان منهجا للمشاركة في الحياة السياسية ،وهو أسلوب لا يقل أهمية وفاعلية عن الأسـلوب الـسابق ، لأن كلمة العلماء كانت مسموعة لدى الحكام آنذاك ، سواء أكانوا في السلطة أم خارجها .

و كان يميز هذا الفريق في مواعظه وتوجيهاته للخلفاء والأمراء ، اتباعه منهجاً لطيفا لينا ، وهـو منهج لم يبتدعه أفراد هذا الفريق ، وإنما كانوا ، فيه ، متبعين لجيلي الصحابة و التابعين ، وقبل ذلـك للتوجيهات القرآنية وللسنة النبوية .

فقد دأبت الآيات القرآنية على ترسيخ هذا المنهج الدعوي في أذهان القائمين بالدعوة إلى الإصلاح والتقويم ، سواء لانحرافات الحكام أم للمنكرات التي يأتيها أفراد المجتمـع ، لأن الـدعوة والنـصح والوعظ بهذه الطريقة تؤتي ثمارها سريعا ، وبدون خسائر ، قال تعـالى : « ادع إلـى سـبيل ربـك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن » [1] ، وقال عز وجل موجها نبيه الكريم إلى

---

(١) النحل ، الآية : ١٢٥ .

هذا المنهج ، ومحذرا إياه من مخالفته ، : « فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » [1] ، وقال تعالى : - موجهاً نبيه موسى إلى اتباع هذا المنهج ، عندما أرسله وأخاه هارون إلى فرعون - « فقولا له قولا لينا » [2] ، وقال تعالى ، في موضع آخر ، : « وقل لهم قولاكريما » [3] وقال كذلك مؤكدا على هذا المعنى : « ولا تستو الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن » [4] ، وغيرها من الآيات القرآنية التي تدعو القائمين بإصلاح أحوال الناس ، إلى الرفق واللين معهم ، خصوصا إذا كان الخطاب موجها إلى الخلفاء والأمراء .

ووجهت السنة النبوية ، القولية منها والفعلية ، المسلمين ، والعلماء منهم بالذات إلى اعتماد منهج الرفق و اللين في إصلاح أحوال الناس ، وخصوصا الحكام ، فقال صلى الله عليه وسلم : « من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يبده له علانية ، ولكن ليأخذ بيده فيخلو به فإن قبل منه فذاك وإلا فقد أدى الذي عليه » [5] .

كما حفلت حياة الصحابة بأمثلة عديدة لاستخدام هذا المنهج الهادئ ،دلت عليه أفعالهم وأقوالهم ، وقد نلمح ذلك مما قاله الحباب بن المنذر [6] للنبي صلى الله عليه وسلم قبيل معركة بدر ، عندما

---

(١) آل عمران ، الآية : ١٥٩ .

(٢) طه ، الآية : ٤٤ .

(٣) الإسراء ، الآية : ٢٣ .

(٤) فصلت ، الآية :٣٤ .

(٥) رواه ابن أبي عاصم في السنة ، كتاب ، كيفية نصيحة الرعية للوالي ، حديث رقم (١٠٩٦) ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ، جـ ٢ ، ص ٥٢١ .

(٦) أحد كبار الصحابة شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي أشار على الرسول صلى الله عليه وسلم بالموقع المناسب لمعسكر المسلمين يوم بدر ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم الرأي ما اشار به حباب ، وكان له حضور مكثف في كل فعاليات الحياة الإسلامية بعد ذلك ، فشهد السقيفة يوم وفاة النبي وهو الذي قال للمهاجرين : منا أمير ومنكم أمير ، توفي في خلافة عمر بن الخطاب ، ابن عبد البر : الإستيعاب في معرفة الأصحاب ، جـ ١ ، ص ٣١٦ ، ابن الأثير : أسد الغابة تحقيق نخبة من العلماء الأجلاء ، دار الشعب ، ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م ، جـ ١ ، ص ٤٣٦ .

وقع اختياره صلى الله عليه وسلم على مكان ليتمركز فيه جيش المسلمين ، وكان لهـذا الـصحابي تحفظات على على الموقع من الناحية الإستراتيجية ، لكنه ، وتأدبا مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، لم يجاهره بالمعارضة والإنكار ، والتقليل من شأن هذا الإختيار ، وإنما سأله سؤالا ، يفـيض لطفـا وأدبا ، قائلا : « هل هذا منزل أنزلكه الله ؟ أم هي الحرب والرأي والخديعة ؟ »[1] ، وعندما علم من النبي صلى الله عليه وسلم أن الأمر لا يعدو الاجتهاد الشخصي ، البشري ، أبـدى لـه أن مـن الأفضل اتخاذ موقع آخر ، فقبل النبي صلى الله عليه وسلم واستحسنه وعمل به[2] .

ونجد هذا المنهج في النصح والوعظ ، كذلك ، في حياة التابعين ، فيروى أن شاباً مر بمجلس صلة بن أشيم[3] وقد أسبل إزاره ، فهم أصحاب صلة أن يأخذوه بشدة ، فمـنعهم صـلة ، وقـال : « دعوني أكفكم أمره ، فقال : يابن أخي إن لي إليك حاجة ، فقال :« وما حاجتك يا عم ؟ ، قال أحب أن ترفع من إزارك ؟ ، فقال نعم وكرامة ، فرفع إزاره ، ثم توجه صلة إلى أصحابه ، فقال لهم : لو أخذتموه بشدة لقال لا ولا كرامة ، ولشتمكم »[4] ، وبينت أم الدرداء[5] ملامـح هـذا المـنهج أكثـر ، فقالت : « من نصح أخاه سرا فقد زانه ، ومن نصحه علانية فقد شانـه »[6] ، وقد التـزم

---

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ، دار الجيل ، بيروت ، ط١ ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ ، جـ ٣ ، ص ١٦٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٦٨ .

(٣) صلة بن أشيم العدوي ، يكنى بأبي الشهباء ، أحد تابعي البصرة فقد لقي عددا من الصحابة ، واسند عن بعضهم ، فأسند عن ابن عباس ، كثر العبادة والغزو ، فكان ضمن الجيش الذي فتح كابل ، عرف بحكمته ورفقه فـي الأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر ،قتل في أول إمرة الحجاج على العراق ، ابن الجوزي : صفة الصفوة ، جـ ٣ ، ص ص ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٥ .

(٤) الغزالي : إحياء علوم الدين ، جـ ٢ ، ص ٤٩٧ .

(٥) أم الدرداء . خيرة بنت أبي حدرد الأسلمي ، زوج أبي الدرداء ، وهي الكبرى ، من فضليات النساء وعقلائهن ومن العابدات ، توفيت بالشام في خلافة عثمان ، ابن الأثير : أسد الغابة ، جـ ٧ ، ص ٣٢٧ .

(٦) الخلال : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ص ٤٩ .

كثير من التابعين هذا المنهج في تعاملهم مع خلفاء وأمراء بني أمية ومع معاصريهم من أفراد المجتمع من جهة أخرى .

وقد أشار كثير من العلماء إلى هذا المنهج على طول التاريخ الإسلامي إلى أهمية اتباع هذا المنهج في تقديم النصح والوعظ للخلفاء ، فهذا الشيرازي [١] ، يقول : « وليكن (يقـصد الـذي ينـصح الحكام) وعظه وقوله في ردعهم عن الظلم لطيفا طريفا ، لين القول بشوشا ، غير جبار عبـوس » ، وألمح ابن الجوزي [٢] إلى أهمية اتباع العلماء هذا المنهج الهادئ ، خصوصا مع الحكام ، فقال : « ينبغي لمن وعظ سلطانا أن يبالغ في التلطف ، ولا يواجهه بما يقتضي أنه ظالم ، فإن السلاطين حظهم التفرد والقهـر والغلبة ، فإذا جـرى نوع من التوبيـخ لهم ، كان إذلالا وهـم لا يحتملـون ذلك » [٣] .

وإذا ما عدنا إلى العلماء في العصر العباسي الأول ، فسنجد أن كثيرا منهم دعوا إلى هذا المنهج ، وسلكوه في تعاملاتهم مع الخلفاء والأمراء ، فيروى أن مالك بن أنس كتب إلى أبي يوسف يوصـيه بحسن النصح للخلفاء ، قائلا : « اذا رأيت من سلطانك ما لا يوافق العلم فاذكر ذلك مع طاعتـك إياه » [٤] ، وقال الفضيل بن عياض موجها أقرانه إلى اللطف و اللين في الموعظة ، قائلا : « نعمة الهدية الكلمة من الحكمة يحفظها الرجل حتى يلقيها إلى أخيه » [٥] ، وقال أحمد بـن حنبـل ، مؤكدا على أهمية الرفق في الموعظة : « الناس يحتاجون إلى مداراة ورفق في الأمـر بـالمعروف والنهي عن المنكر ، بلا غلظة » [٦] .

---

(١) نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق السيد الباز العريني ، د.د .م .ت . ، ص ١١٥ .

(٢) تلبيس إبليس ، ص ١٣٣ .

(٣) ابن الجوزي : صيد الخاطر ، دار ابن خلدون ، الإسكندرية ، د . ت. ، ص ١٩٠ .

(٤) الكوثري : حسن التقاضي في سيرة الإمام أبي يوسف القاضي ، ص ٨١ .

(٥) الجاحظ : البيان والتبيين ، جـ ١ ، ص ١٧٥ .

(٦) الخلال : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ص ٨٠ .

لم يكتف العلماء في العصر العباسي الأول بإعطاء هذه الصورة النظرية لما يجب أن يكون عليه العلماء في وعظهم للسلطان ، من اللطف واللين ، بل إننا نجدهم يطبقون ذلك عمليـا فـي تعـاملاتهم مع الخلفاء والأمراء العباسيين ، فكان المنصور يعجب بفصاحة المواعظ التي داب الأوزآعي علـى توجيهها إليه ، وبحلاوة عباراتها [١] ، وكان عمرو بن عبيد يأتي المنصور من الموضع الذي يحبـه ، ومن ذلك قوله : « إن الله لم يرض أن يكون أحد من الناس فوقك ، فلا ترض أن يكون أحد أشـكر له منك » [٢] ، و قصد عمرو بن عبيد بالشكر هنا ، حسن السيرة فيما استرعاه الله من رعيـة ، وقـد طابت نفس الخليفة بهذه الكلمات ، وكرر هذه الكلمات اللطيفة ، بعد ذلك ، شبيب بن شبة للمهـدي فقال : « يا أمير المؤمنين إن الله إذ قسَّم الأقسام في الدنيا ، جعل لك أسناها وأعلاهـا ، فـلا تـرض لنفسك في الآخرة إلا مثل ما رضي الله لك في الدنيا ، فأوصيك بتقوى الله ، فعليكم نزلت ومنكم أخذت واليكم ردت » [٣] ، وعندما أتى الرشيد الفضيل بن عياض مستنصحا ، وعظه الفـضيل ، مـستهلا حديثه بقوله : « يا حسن الوجه » [٤] ، وكأنه يقول له إذا كان الله قد حسن وجهك فاجعل عملك حسنا، فضلا عن رغبته في التودد إليه لقبول موعظته .

كما نلمح هذا المنهج الهادئ في مواعـظ ابن السماك لهارون الرشيد ، في أكثر مـن مناسـبة ، محببا له أن تكون سياسته في إدارة شئون الدولة وفق ما أراده الله ، فقال : « يا أميـر المـؤمنين إن الذي أكرمك بما أكرمك به لحقيق أن تحب ما يحب وتبغض ما يبغض » [٥] ، مبينا له أنما هو فيـه

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٠ ، ص ١١٧ .

(٢) الغزالي : نصيحة الملوك ، مخطوط بدار الكتب المـصرية ، ميكـروفيلم رقـم (٤٩٨٥٥) ، تـصوف ، ص ٧٩ .

(٣) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، جـ ٣ ، ص ١١٠ ، الطرطوشي : سراج الملوك ، ص ٣٢ .

(٤) ابن الجوزي : صفة الصفوة ، جـ ٢ ، ص ١٦٣ ، الأربلي : الذهب المسبوك ، ص ٥٦ ، المبارك : النصح في الدين ومآرب القاصدين ، ص ص ٤٧ ، ٤٨ .

(٥) الطرطوشي : سراج الملوك ، ص ٣٨ .

من الملك سوف يزول وينفد ، وهي سنة ماضية ، فمن غير العقل والمنطق الركون إليه ، فضلا عـن التفريط فيه ، ولأنه مع ذلك محاسب فيه ، فقال : « يا أمير المؤمنين إعلم أن الذي في يدك لو بقـي على من كان قبلك لم يصل إليك ، وكذلك لا يبقى لك كما لم يبق لغيرك » [1] .

ولم يتخذ العلماء هذا المنهج مع الخلفاء فحسب ، بل اتبعوه كذلك مع الأمراء والولاة ، فهذا ابـن السماك تثني على عيسى بن موسى ، قائلا : « تواضعك في شرفك أكبر من شرفك » [2] .

مجالات مشاركة العلماء في السلطة بالنصح والوعظ :

شارك هذا التيار من العلماء ، الذي اتفقنا على وسمه بالتيار الموافق المشارك في الحياة السياسية في العصر العباسي الأول ، بتوجيه النصائح والمواعظ إلى الخلفاء والأمراء بعد أن رفـض أفـراده العمل في أجهزة الدولة ، وهو ما أدرجناه ضمن المنهج الإسلامي للأمر بـالمعروف والنهـي عـن المنكر ، في إطار التغيير باللسان .

ويمكن تقسيم هذه المشاركة من حيث المجالات التي اتجهت إليها ، وتناولتها مـواعظ ونـصائح العلماء وتوجيهاتهم للخلفاء العباسيين ، فكان منها حثهم على السير وفق سنن الـسلف مـن الخلفـاء الراشدين ، وإلى القيام بشؤون الأمة كما ينبغي ، وإلى تحري العدل ، والتحذير من الإسـراف فـي العقوبة ، وتجاوز الحدود الشرعية في ذلك ، وكان من مجالات هذه المشاركة حـث الخلفـاء علـى استعمال ذوي الصلاح والكفاية في أعمال الدولة المختلفة ، و الرقابة على القضاة والعمال وغيـرهم من موظفي الدولة ، وتحذيرهم من الإصغاء إلى المتزلفين والوشاة وناقلي الأخبار ، الـذين يعكـرون صفو العلاقة بين الخليفة ورعيته ، فضلا عما قاموا به من جهد لتبصير الخلفاء بمـا يحـدث خلـف أبوابهم من تجاوزات ومخالفات .

---

(١) الطرطوشي : سراج الملوك ، ص ٣٨ ..

(٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، جـ ١ ، ص ٣٥ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٨ ، ص ٣٢٩ .

أ - توجيه الخلفاء العباسيين إلى السير وفق سنن السلف من الخلفاء الراشدين :

دأب هذا الفريق من العلماء على توجيه خلفاء بني العباس إلى السير وفق سنن السلف الصالح من الخلفاء الراشدين ، بعد ما رأوا من ضمور معاني الخلافة الراشدة ، ومعالم سياسة العهد النبوي والراشدي في الحياة السياسية في العصر العباسي الأول ، وقبله العصر الأموي .

وقد اتخذوا من الوعظ والنصح أسلوبا لتحقيق هذه الغاية ، مستشهدين بالآيات القرآنية ، وبالأحاديث النبوية ، وبشواهد من حياة الصحابة ، والتابعيين ، فهذا الأوزاعي يعطي الخليفة المنصور صورة من حياة الخلفاء الراشدين في مدى استشعارهم للمسؤلية تجاه الأمة ، داعيا إياه إلى تمثل سيرهم في رعيته ، فقال : « يا امير المؤمنين بلغني أن عمر بن الخطاب قال : لو ماتت سخلة [١] على شاطي الفرات ضيعة لخشيت أن اسأل عنها ، فكيف بمن حرم عدلك وهو على بساطك ؟ » [٢] .

وأعطاه صورة من سيرة عمر بن عبد العزيز ، وماذا كان يطلب من اعوانه وبطانته ، حيث قال : « اشترط عمر بن عبد العزيز على جلسائه شروطا فقال : « من صحبنا منكم فليصحبنا بخمس خصال وإلا فلا يقربنا ، يرفع الينا حاجة من لا يستطيع رفعها ، ويعيننا على الخير بجهده ، ويدلنا على الخير مالا نهتدي اليه ، ولا يغتاب عندنا الرعية ، ولا يعترض فيما لا يعنيه » [٣] ، وأنه كان إذا علم عن بعض الناس ظلما وجورا لا يوليهم على رقاب المسلمين » [٤] .

وكان الشافعي يوصي الرشيد باتخاذ سنة النبي صلى الله عليه وسلم منهاجا له في سياسة الدولة ، وفي تدبير شئون الأمة [٥] ، وكان يحاسبه على أي تجاوز لها ، أو انحراف عنها ، فيروى أن الرشيد

---

(١) السخلة : ولد الشاة من الماعز والضأن ذكرا كان أم أنثى ، والجمع سخلٌ وسخال وسخلة وسخلان ، ويطلق السخل على المولود المحبب إلى أبويه ، ويطلق على الضعفاء من الرجال والأرذال منهم والأوغاد ، ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٣ ، ص ١٩٦٤ .

(٢) الحنبلي : محاسن المساعي في مناقب الإمام الأوزآعي ، ص ٥٠ .

(٣) ابن الجوزي : سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز ، ص ١٤٩ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٧٧ .

(٥) أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٩ ، ص ٩٧ .

استشاره في أمر من أمور الخلافة فيه بعض التجاوز ، فأجابه الشافعي بقوله : " هذا خلاف ما كـان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم " (١) ، وأكد ذلك شقيق البلخي عندما دخـل عليـه ، وطلب منه الرشيد أن يعظه ، فقال :"إن الله تعالى قد أجلسك مكان الصديق ، وإنه يطلب منـك مثـل صدقه ، وأجلسك موضع الفاروق (عمر بن الخطاب) وهو يطلب منك الفرق بين الحـق والباطـل مثله، وأقعدك مكان ذو النورين ، وإنه يطلب منك مثل حياءه وكرمه ، وأقعدك موضع علي بـن أبـي طالب ، ولأنه يطلب منك العلم والعدل كما يطلب منه " (٢) .

ب . توجيه الخلفاء إلى تحري العدل ، ونهيهم عن البطش والظلم :

إذا كان العدل في القاموس الفقهي الإسلامي ، ما قام في النفوس أنه الحـق (٣) ، وكمـا وصـفه العلماء ، : « إتباع حكم الله المنزل » (٤) ، فإن ما يخالفه يكون ظلما ، وعدوانا ، لأن الظلـم عنـد العلماء ، : « وضع الشيئ في غير موضعه مثل عقاب المحسن ، ومن لا ذنب له » (٥) ، قال تعالى :« ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » (٦) .

وقد ساق العلماء للخلفاء حشدأ كبيرا من الأحاديث النبوية ، وما أثرعن السلف،لبيان مكانـة العـدل وأهميته في الحكم الإسلامي، فروى عبد الله بن المبارك وأحمد بن حنبل عن النبي صـلى الله عليـه وسلم أنه قال: « ما من أمير عشرة إلا جيء به يوم القيامة مغلولا ، فإما أن يفكـه العـدل أو يوبقـه الجور» (٧) .

---

(١) أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٩ ، ص ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ .

(٢) الغزالي : التبر المسبوك في نصائح الملوك ، المطبعة الخيرية ، القاهرة ، ١٣٠٦هـ/ ١٨٨٩م ، ص ١٨ ، ١٩ .

(٣) ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٤ ، ص ٢٨٣٨ .

(٤) عرَّف الشافعي العدل بأنه إتباع حكم الله المنزل ، الموصلي : حسن السلوك الحافظ لدولة الملوك ، ص ٣٩ .

(٥) ابن قيم الجوزية : كتاب الفوائد ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، د . ت ، ص ٣٥ .

(٦) المائدة ، الآية : ٤٤ .

(٧) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد ، كتاب الخلافة ، باب فيمن ولي شيئا ، جـ ٥ ، ص ٢٠٥ ، التبريـزي : كتـاب النصيحة للراعي والرعية ، ص ٥ ، ص ، الموصلي : حسن السلوك الجافظ لدولة الملوك ، ص ٤٤ .

ودأب العلماء على توجيه معاصريهم من خلفاء بني العباس بحشد كبير من حـديث رسـول الله صلى الله عليه وسلم ، يحضونهم فيها على تحري العدل ، ويحذرونهم من الظلم وعواقبه التي تلحـق الأذى بالفرد ، وتكون سببا في استئصال الأمم واجتثاثها .

فنهى الأوزاعي أبا جعفر المنصور عن الميل مع الهوى لدى الحكم بين الناس ،[١] ، وعاضده في ذلك عمرو بن عبيد ، حيث قال :« اعلم أن الله لا يرضى منك إلا بما ترضاه منه ، فإنك لا تـرض من الله إلا أن يعدل عليك ، وإن الله لا يرضى منك إلا بالعدل في رعيتك »[٢] ، ثم نبهه إلـى مـا وراء بابه من مظالم وجور ، فقال :« يا أمير المؤمنين إن من وراء بابك نيران تأجج من الجـور ، وما يعمل وراء بابك بكتاب الله ولا بسنة رسوله »[٣] .

وحث شبيب بن شبة[٤] المهدي في مستهل خلافته على أن يعطي الناس شيئا من العدل ، لأنـه إن أعطاهم ذلك ، سعد في الدنيا والآخرة ، فقال : « وينبغي أن يعدل في الرعية ، فإنه إن كانت الرعية في أمن منك نمت آمنا في قبرك »[٥] .

---

(١) نهى الأوزاعي المنصور عن الميل مع هواه في الحكم ، وبين له أن عمر بن الخطاب قال : اللهم إن كنت تعلـم أني إذا قعد الخصمان بين يدي ، أميل مع من مال الحق معه من قريب أو من بعيد ، فلا تمهلني طرفة عين ، فبكـى المنصور ، وأثنى على الأوزاعي ، قائلا : أنت المقبول القول غير المتهم في النصيحة ، وقد سمعنا منك وصادفت منا قبولا إنشاء الله ، جمال الدين أبو الفضائل : نهج السلوك إلى معرفة سـير الخلفـاء والملـوك ، مخطـوط بمعهـد المخطوطات العربية ، القاهرة ، ميكروفيلم رقم (٥٢) ، ص ٦٢ .

(٢) الدينوري : الأخبار الطوال ، ص ٣٨٤ ، الكناني : نهج السلوك إلى معرفة سير الخلفاء والملوك ، ص ص ٢٤٨ ، ٢٤٩ .

(٣) الدينوري : الأخبار الطوال ، ص ٣٨٤ .

(٤) شبيب بن شيبة بن عبد الله بن عمرو بن الأهتم المنقري ، يكنى بأبي معمَّر ، أحد كبار تـابعي التـابعين فـي البصرة ، كان على صلة بالمنصور ، وبالمهدي من بعده ، يقدم عليهما بغداد ، وإن كان حظيا لدى المهدي أكثر فكان يسدي إليه النصائح والمواعظ ، ويتدخَّل لديه لقضاء حوائج الناس ، الخطيب : تاريخ بغداد ، جـ ٩ ، ص ص ٢٧٤ ، ٢٧٥ .

(٥) الصفي : التبر المسبوك في صفات الملوك ، ص ٥٣ ، الغزالي : نصيحة الملوك ، ص ٣٧ .

وأسهم عدد من العلماء في توجيه سياسة الرشيد ، بما كانوا يقدمونه له مـن مـواعظ ونـصائح ، يحذّرونه فيها عواقب الظلم والجور ، فكتب إليه مالك بن أنس قائلا : أعن المظلـوم وانـصره مـا استطعت ، وخذ على يد الظالم وادفعه عن ظلمه » [1] ، كما نهاه عن محاباة أهلـه وخاصـته علـى حساب الناس ، لأن ذلك يخل بموازين العدل » [2] ، الموازين التي يفترض أن يقيمها الخليفة ، لانها منوطة به ، وهذا الفضيل بن عياض يقول له : استعد يا أمير المؤمنين لجواب الله تعالى يوم القيامة ، فإنه يوقفك مع كل مسلم على حدة ، ويطلب منك إنصافه » [3] في إشارة إلى ضرورة تحري الحق ، والعدل ، وإعادة مظالم الناس .

ووجه الشافعي الرشيد إلى اتباع سياسة متوازنة ، قوامها العدل والإنصاف ، مع العامة والخاصة ، على السواء ، قائلا : لا تطع الخاصة ، تقربا إليهم بظلم العامة ، ولا تطع العامة تقربـا إلـيهم بظلـم الخاصة ، لتستديم السلامة » [4] ، وأسهم غير هؤلاء عدد آخر من العلماء في توجيـه خلفـاء بنـي العباس إلى العدل [5] .

وقد آتت هذه التوجيهات ثمارها ، في توجيه سياسة خلفاء العصر العباسي الأول ، أو على الأقـل الكثير منهم ، إلى تحري العدل في سياساتهم .

جـ . تدخل العلماء لدى الخلفاء للعفو عن الناس :

كان أفراد هذا الفريق من العلماء كثيرا ما يتدخلون لدى الخلفاء و الأمراء لاستدرار عفـوهم عـن بعض المخالفين لهم ، وغيرهم ممن غضب عليه الخلفاء ، فيحولون بينهم وبين المبالغة في عقابهم ، خصوصا إذا كان الأمر لا يتعلق بحد من الحدود ، مبينين لهم فضل العفـو ، وأثره في نفوس الناس ، وفي المقابل عاقبة العقوبة والبطش .

---

(١) خالد سيد علي : وصايا ومواعظ العلماء للأمراء ، ص ١٢٨ .

(٢) مالك بن أنس : رسالة الإمام مالك إلى الرشيد ، ص ص ٢١ ، ٢٢ .

(٣) الصفي : التبر المسبوك في صفات الملوك ، ص ١٤ .

(٤) أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٩ ، ص ص ٩٧ ، ٩٨ .

(٥) المبـارك : كتاب النصـح في الـدين ومأرب القاصـدين في مواعـظ المـلوك والسلاطين ، ص ص ١٥٧ ، ١٥٨ .

ولأن سياسة المنصور اتسمت ببعض القسوة والعنف ، وهو شيء يتفق مع طبيعـة المرحلـة ، إذ كانت الدولة ما تزال في أولها ، تحتاج إلى ترسيخ قواعدها ، محاطـة بأعـدائها ، ويتـربص بهـا خصومها سواء من بقايا الأمويين أم من العلويين ، أم من القادة الطامحين ، فـضلا عـن أعـدائها الخارجيين ، ومع طبيعة المنصور الشخصية التي تتسم بالحدة ، والحرص على عدم إتاحة أي فرصة لإفلات الأمر من البيت العباسي ، وقد عبر عن ذلك المنصور نفسه بجلاء عندما لامه أحـد أفـراد البيت العباسي لإفراطه في القتل و العقوبة ، قائلا : « هجمت بالعقوبة حتى كأنك لم تـسمع بـالعفو »[1] ، فبين المنصور حيثيات هذه السياسة العنيفة ، بأنها ضرورية لتثبيت أركان الدولـة ، ولتمهيـد وترسيخ مكانة الخليفة في نفوس الناس ، فقال : « لأن بني أمية لم تبل رممهم ، وآل أبي طالب لم تغمد سيوفهم ، ونحن بين قوم قد رأونا أمس سوقة ، واليوم خلفاء ، فليس تتمهد هيبتنا فـي صـدورهم إلا بنسيان العفو ، واستعمال العقوبة »[2] .

وإزاء هذا الطابع الذي ميز سياسة المنصور ، كان للعلماء دور في التخفيف من حدتـه ، فتـدخل كثير منهم لديه ، يحذرونه عواقب الطغيان ، ويحببونه في العفو ، ومبينين له أن ائتلاف قلوب النـاس خير من كسرها ، وإكراهها على الطاعة بالقوة والشدة ، ولذلك فقد توجه الأوزاعي إليه يحثه علـى استعمال اللين مكان الشدة ، والرفق مكان القسوة ، والعفو مكان العقوبة ، قائلا :« يا أمير المـؤمنين إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت بيده جريدة يستاك بها ، ويروع بها المنافقين ، فأتاه جبريل ، فقال :« يا محمد ما هذه الجريدة التي كسرت بها قلوب أمتك »[3] ، وفي رواية أخرى : « إقـذفها لا تملأ قلوبهم رعبا »[4] ،ثم قال له : « فكيف بمن شقق أبشارهم ، وسفـك دمائهـم وخرب ديـارهم ،

---

(١) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، جـ ٣٨ ، ص ٢٣٣ .

(٢) السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٣٠٧ .

(٣) الغزالي : إحياء علوم الدين ، جـ ٢ ، ص ص ٥١٦ ، ٥١٧ .

(٤) المبارك : النصح في الدين ومآرب القاصدين ، ص ص ٤٨ ، ٤٩ ، الكناني : نهج السلوك إلـى معرفـة سـير الخلفاء والملوك ، ص ٢٤٩ .

وانتهب أموالهم » [١] .

وأشفق أبو حنيفة من مجاراة المنصور عندما أراد عقاب أهل الموصل ، وقد جمع العلمـاء لـذلك ملتمسا منهم تسويغا شرعيا للبطش بأهل الموصل ، بعد أن برر الخليفة ذلك ، بشرط أخذه علـيهم إن هم خرجوا عليه ، وهو استحلال دمائهم ، فقال أبو حنيفة :« إنهم شرطوا لك ما لا يملكـون ، وهـو استحلال دمائهم ، وشرطت عليهم ما لا ليس لك ، لأن دم المسلم لا يحل إلا بإحدى معانٍ ثلاث ، فإن أخذتهم أخذتهم بما لا يحل ، وشرط الله أحق أن يوفَى » [٢].

وقد تكرر هذا الموقف الذي وقفه أبو حنيفة أمام المنصور ، من عالم آخـر ، عنـدما أراد هـذا الخليفة معاقبة أهل المدينة لكثرة خروجهم ، وانتقاضهم على الولاة ، واستأنس في ذلك بـرأي جعفـر الصادق ، فما كان منه إلا أن دعاه إلى العفو والتسامح معهم ، ومازال يحبب ذلك إليـه حتـى سـكن غضبه وعفا عنهم [٣] ، وشفع المفضل بن فضالة لديه في رجل أتي به إليه ليقتل ، فتركه بعد أن حبب إليه العفو[٤].

(١) الغزالي : إحياء علوم الدين ، جـ ٢ ، ص ص ٥١٦ ، ٥١٧ ، المبارك ، النصح في الدين ومآرب القاصـدين ، ص ٤٨ ،٤٩ ، الكناني : نهج السلوك إلى معرفة سير الخلفاء والملوك ، ص ٢٤٩ ، الـشيزري : كتـاب المـنهج المسلوك في سياسة الملوك ، تحقيق علي عبد الله الموسى، مكتبة المنار ، الأردن ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص ٦١ .

(٢) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٧ ، ص ٤٥٩ .

(٣) استشار أبو جعفر المنصور جعفر الصادق في أهل المدينة ، بعد أن خرج عليه بعضهم ، فقال : إني قـد كاتبـت أهل المدينة مرة بعد أخرى ، ولا أراهم يرجعون ، وقد رأيت أن أبعث فأحرق نخلها ومحلها وأغور عيونها ، فما ترى ؟ ، فقال له جعفر : يا أمير المؤمنين إن سليمان أعطي فشكر ، وأن أيوب أبتلي فصبر ، وإن يوسف قدر فغفر وقـد جعلك الله من النسل الذي يعفون ويصفحون ، فهدأ غضب المنصور ، ابن حبان : روضة العقلاء ونزهة الفـضلاء ، تحقيق أمين الخانجي ، مطبعة كردستان ، القاهرة ، ، ١٣٢٨ هـ / ١٩١٠ م ، ص ٢٥٣ ، الصفي : التبر المـسبوك في صفات الملوك ، ص ٢.

(٤) قال المفضل بن فضالة : كنت عند أبي جعفر المنصور جالسا إذ أمر برجل أن يقتل ، فقلت : يا أمير المـؤمنين ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا كان يوم القيامة قام منادٍ بين يدي الله فقال " ألا من كانت له عند الله يد فليتقدم ، فلا يتقدم إلا من عفا عن مذنب " ، فقال المنصور أطلقـوه فإني قد عفوت عنه ، ابن عبد ربـه : العقـد الفريـد ، جـ ٢ ، ص ٦٢ ، الصفي : التبر المسبوك في صفات الملوك ، ص ١٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ـ ١٠ ، ص ١٢٣ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ص ٣٠٤ ، ٣٠٥ .

استمر العلماء في دعوة الخلفاء إلى العفو ، وفي الشفاعة للمظلومين ومن أخذوا للعقـاب ، مـع سائر خلفاء العصر العباسي الأول ، وإن كانت حدة الخلفاء قد قلت كثيرا بعد المنـصور ، وبعـد أن ترسخت دعائم الدولة ، وتمهدت مهابة الخلفاء العباسيين في نفوس الناس ، فضلا عمـا اتـسمت بـه شخصيات الخلفاء بعد المنصور من التسامح ، والرغبة في ائتلاف المعارضين ، بغض النظـر عـن بعض المواقف المحدودة هنا أو هناك ، فحال أحد العلماء بين المهدي وبين تجمير[1] بعـض أهـل الشام ، فما كان من المهدي إلا أن أصغى إليه ، وأمضى رأيه [2] .

وتدخل ابن السماك لدى الرشيد عندما غضب على رجلٍ وأرد قتله ، فحال بينه وبين قتلـه ، لأنـه رأى أن جرمه لا يستدعي هذه العقوبة ، قائلا له :« إن هذا الرجل لا يجب عليه ضرب العنق» [3] ، وطلب من الخليفة أن يعفو عنه .

وكتب مالك بن أنس إلى الرشيد يدعوه إلى لين الجانب مع الناس ، وإقالـة عثـراتهم ، وقبـول اعتذار المسيئين منهم [4] ، وراجعه أبو يوسف عندما أمر بحبس رجل إتهم الخليفة بأنـه لم يقـسم بالسوية ، فقال له أبو يوسف : « يا أمير المؤمنين قد قيل للنبي صلى الله عليه وسلم في قسمة قسمها : إن هذه قسمة ما أريد بهـا وجه الله ، فعفا وصفح ، فسكن غضب الرشيد ، وعفا عن الرجل»، [5] ،

---

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، جـ ٢ ، ص ٦١ .

(٢) التجمير : المقصود بالتجمير ، إكراه الناس على الخروج إلى الحرب ، وكان بعض الخلفاء يتخذونه وسيلة لعقاب المتمردين ، وربما أيضا لاستنفاد طاقاتهم ، لما يأتي التجمير أيضا بمعنى إبقاء الجند في ثغر العدو ، ومنعهم من العودة إلى أهليهم ، وهو منهي عنه لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا تجمروا الجيش فتفتنوهم " ، كما نهـى عنـه العلماء ، فيروى أن الشافعي قال مستنكرا ذلك :

وجمرتنا تجمير كسرى جنوده * ومنيتنا حتى نسينا الأمانيا " ، ابن منظور : لسان العرب ، جـ ١ ، ص ص ٦٧٥ ، ٦٧٦ .

(٣) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، جـ ٢ ، ص ٦١ .

(٤) مالك بن أنس : رسالة الإمام مالك إلى الرشيد ، ص ٩ .

(٥) الكوثري : حسن التقاضي في سيرة الإمام أبي يوسف القاضي ، ص ص ٦٣ ، ٦٤ .

وبين له جعفر بـن محمد بن الأشعث [1] أن لا يتجاوز في غضبه الحـد الـذي يجـب أن يقـف عنده ، إذ لا يجوز للمسلم ، والخليفة بالذات ، أن يكـون غـضبه إنتـصارا لنفـسه ، بـل يغـضب الله ، فإذا كان كذلك ، فلا ينبغي أن يتجاوز غـضبه وعقابـه الحـدود التـي وضـعها الله سـبحانه وتعالى ، حيث قال :« يا أمير المؤمنين إنك إنما تغضب الله ، فلا تغضب لـه بـأكثر مـن غـضبه لنفسه » [2] .

أثمرت هذه المواقف الصلبة من جانب هؤلاء العلماء في كبح جماح بعض الخلفاء ، فكـانوا فـي كثير من الأحيان يفيئون إلى حكم الشـرع الذي كان ينطق به العلماء ، ويتراجعـون إليه ، حتى وأن لم يوافـق هوى نفوسهم ،بعد أن يدركوا أن الشـرع فوق كل الميول والأهواء وإن الخطأ في العفـو خير من الخطأ في العقوبة ، وأن العلماء هم الضابط الذي يعيد التوازن المختـل في الحياة الإسلامية إلى نصابه .

د . توجيه الخلفاء إلى استعمال ذوي الصلاح والكفاية في أعمال الدولة :

إذا كان هذا الفريق من العلماء قد اعتذر أفراده ، بوسائل شتى ، ولأسباب مختلفة ، عن المـشاركة في وظائف الدولة ، فإنهم مع ذلك ، لم يدخروا جهدا في مساعدة الخلفاء علـى اختيـار مـن يقـوم بهذه الأعمال ، من ذوي الصلاح والكفاية ، لئلا يلجـأ الخلفـاء ، فـي ظـل غيـاب العلمـاء ، إلى الاستعانة بولاة وعمال من غير أهل الصلاح والكفاية ، ممـن يتخـذون هـذه الأعمـال مطايـا لأطماعهم ، ولأهوائهم ، فيكونون قد أسهموا في استشراء الفسـاد في أجهزة الدولـة ، والظلـم بـين الرعية .

---

(1) جعفر بن محمد بن الأشعث السمرقندي ، أحد علماء الحديث في خرا سان ، كان يأتي بغداد فيحـدث فيهـا فـي طريقه إلى الحج ، استقدمه الرشيد من خرا سان إلى بغداد ، لم اقف له على تاريخ وفات ، الطبري : تـاريخ الأمـم والملوك ، جـ ٤ ، ص ٦٢٤ ، الخطيب : تاريخ بغداد ، جـ ١ ، ص ٨١ ، جـ ٧ ، ص ٢٢٤ .

(2) الطرطوشي : سراج الملوك ، ص ٨٢ ، المبارك : النصح في الدين ومأرب القاصدين ، ص ١٠٠ ، ابن الحداد : الجوهر النفيس في سياسة الرئيس ، مخطوط مصور بمعهد المخطوطات العربية ، القاهرة ، ميكروفيلم رقـم (١٨) سياسة وإجتماع ، ص ٤٠ .

لذلك فقد انبرى أفراد هذا الفريق من العلماء ، يوجهون الخلفاء إلى أهمية توخي الصلاح والكفـاءة لدى اختيارهم لموظفيهم ، وعرضوا لهم صورا لمؤهلات اختيار موظفي الدولة فـي عهـد النبـوة ، والخلافة الراشدة ، وما تلاها من جهة ، ومن جهة أخرى كانوا يسارعون إلى ترشيح بعض أقـرانهم من العلماء لهذه الوظائف ، إذا طلب الخلفاء منهم ذلك .

فبين الأوزاعي لأبي جعفر المنصور السمات التي كان يلتمسها عمر بن الخطاب فيمن يشركهم معه في أمر المسلمين ، فقال : « لا يقيم أمر الناس إلا حصيف العقل لا يطلع منه على عورة ولا تأخذه في الله لومة لائم » [١] ، وأن عمر كان يراقب عماله لمعرفة مدى قيامهم بما أوكل اليهم مـن شـئون الأمة ، فقال له :« إن عمر بن الخطاب استعمل رجلا على الصدقة فرآه بعد أيام مقيم ، فقال لـه مـا منعك من الخروج إلى عملك » [٢] ، ولامه في ذلك .

ونهى أبو حنيفة المنصور عن استعمال من يجور على الناس ، ولا يخشى الله فيهم ، حيث قال : « يا أمير المؤمنين اتق الله ولا تشـرك في أمانتك من لا يخاف الله » [٣] ، وحـدد لأحـد العلمـاء بوضوح الصفات التي ينبغي توفـرها فيمن يستعان بهم في أعمـال الدولـة ، فقال : « عليك بالأئمة الأعلام المرشدين » [٤] ، وعندما سأله أبو جعفر عنهم ، قال :" هم العلماء " [٥] ، فتعلل أبـو جعفـر بإعراضهم وفرارهم عنه ، فقال له : « فروا منك مخافة أن تحملهم على ما ظهر من طريقتك من قبل عمالك » [٦] .

وأعطى هؤلاء العلماء للخلفاء العباسيين ، صورا من سياسة عمـر بن عبـد العزيـز - وهـو القريب العهد - إزاء الولاة والعمال ، وكيف أنه قرب العلماء ، واستشارهـم في تولية وعزل ولاته

---

(١) الحنبلي : محاسن المساعي في مناقب الإمام أبي عمرو الأوزاعي ، ص ٥٢ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ص ٥١ ، ٥٢ .
(٣) مرعي بن يوسف : تنوير بصائر المقلدين ، ص ٣٨ .
(٤) الغزالي : إحياء علوم الدين ، جـ ٢ ، ص ٢٥١ .
(٥) المصدر نفسه .
(٦) المصدر نفسه .

وعماله وقضاته [1] .

وقد أثمرت هذه التوجيهات في لجوء كثير من خلفاء العصر العباسي الأول إلى العلماء لدى تولية وعزل الولاة ، للأخذ بآرائهم ، واستشارتهم فيمن يولونه هذه الأعمال .

فألح أبو جعفر المنصور على الليث بن سعد ليلي قضاء مصر وإن كان الليث استعفى واعتذر ،فقال له أبو جعفر :« فأما إذ أبيت فدلني على رجل أقلده قضاء مصر » [2] ، فرشح له قاضيا ، بل وأصبح الخليفة ، بعد ذلك ، يعتمد عليه في الرقابة على ولاة وقضاة مصر ، وكان هؤلاء الولاة والقضاة يرجعون إليه فيما يشكل عليهم من أقضية ومسائل [3] ، واستمر الليث بن سعد يقوم بهذا الدور في خلافة المهدي [4] ، والرشيد [5] .

وعندما توفي أبو خزيمة [6] قاضي مصر ، استشار المنصور ابن جريج عمن يوليه قضاء مصر

---

(١) قال الفضيل بن عياض للرشيد : إن عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة دعا سالم بن عبد الله بن عمر ، ومحمد بن كعب القرضي ، ورجاء بن حيوة ، فقال لهم : إني قد ابتليت في هذا الأمر فأشيروا عليَّ ، فقال سالم : إن أردت النجاة من عذاب الله فصم عن الدنيا ، وليكن إفطارك فيها الموت ، وقال محمد بن كعب : إن أردت النجاة من عذاب الله فليكن كبير المسلمين عندك أبا وأوسطهم عندك أخا وأصغرهم عندك ولدا ، فوقّر أباك ، وأكرم أخاك ، وتحنن على ولدك ، وكتب إليه طاووس بن كيسان : إن أردت أن يكون عملك خيرا كله فاستعمل بأهل الخير ، ثم قال الفضيل للرشيد : هل معك من يأمر بمثل هذا ، ابن الجوزي : سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز ، ص ص ١٢ ، ١٣ ، الكناني : نهج السلوك إلى معرفة سير الخلفاء والملوك ، ص ٢٥١ ، ابن الخطيب : روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار ، ص ٢٢٩ ، الرقي : أحاسن المحاسن ، ص ١٨٩ .

(٢) الفسوي : المعرفة والتاريخ ، ص ص ٤٤١ ، ٤٤٢ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٨ ، ص ١٥٦ ، ابن حجر : سيرة الإمامين الليثي والشافعي ، ص ٢٧ ، مناقب الإمام الليث بن سعد ، ص ٢١ .

(٣) العبر في خبر من غبر ، جـ ١ ، ص ٢٠٦ .

(٤) ابن حجر : سيرة الإمامين الليثي والشافعي ، ص ص ٢٣ ، ٢٩ .

(٥) أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٧ ، ص ٣٧٦ ، ابن حجر : سيرة الإمامين الليثي والشافعي ، ص ٢٩ .

(٦) أبوخزيمة. إبراهيم بن يزيد بن مرَّة بن شرحبيل الرعيني، أحد العلماء العباد ، غلب الحديث عليه، فرواه عن يزيد ابن حبيب ، وروى عنه المفضل بن فضالة ، ولي قضاء مصر للمنصور قبل ابن لهيعة ، وتوفي في خلافة المنصور ، ابن ماكولا : الإكمال لابن ماكولا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م ، جـ١، ص ١٦٢ .

، فأشار عليه بإبن لهيعة فولاه قضاء مصر [١] ، وكتب المهدي إلى والي المدينة يأمره أن يبعث إليـه رجلا يرضاه علماء المدينة ليقوم بحوائج أهل المدينة لديه ، فاختاروا لذلك عبد الملك بن يحيـى بـن الزبير[٢] ، فولاه حوائج أهل المدينة في بغداد [٣] .

وفي عهد الرشيد تعاظم دور العلماء في توجيه سياسة الدولة ، وأصبح الخليفة يعتمـد علـيهم فـي تسيير كثير من أمور الدولة ، ومن ذلك اختيار كبار موظفيها ، فقد كان يعتمد على الليث بن سعد فـي اختيار ولاة وعمال وقضاة مصر [٤] ، في اليمن اعتمد على الشافعي ، بالرغـم من الظـروف التي استقدم فيها من اليمن إلى بغداد ، إذ كان متهما بالسعي لتحويل السلطة عن العباسيين إلى العلويين ، وإن كان ذلك لم يثبت [٥] فسأله عن أحوال اليمن ، مسألة الحاكم للعالم ، فأجابه الشافعي بقوله :" إني تركت اليمن ضائعة تحتاج إلى حاكم " [٦] ، ثم أن الرشيد استشار محمد بن الحسن الشيباني ، وكـان مكينا لديه ، فيمن يوليه اليمن ، فأشار عليه بالشافعي [٧] ، إلا أنه استعفى ، فطلب منه الرشيد ترشـيح من يوليه اليمن ، فأشار عليه بأحمد بن حنبل ، وإن كان اعتذر هو أيضا [٨] .

وبالرغم من سيطرة المعتزلة على المأمون ، خصوصا بعد أن ذهب مذاهبهم الفكريـة ، إلا أنـه كان يقدر العلماء ، ويرجع إليهم في كثير من الأمور، ويستأنس بآرائهم في اختيار ولاته وقضاته ، فقد

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ص ٢٤٣ ، ٢٤٤ .

(٢) عبد الملك بن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير القرشي ، أحد تابعي التابعين بالمدينة ، روى الحديث عن عروة بن الزبير ، و عدَّ من الثقاة ، ومن سادة قريش ، قدم بغداد في خلافة المهدي لما إختاره أهل المدينة لرفع حوائجهم إلى المهدي ، الخطيب تاريخ بغداد ، جـ ١٠ ، ص ١٠٧ .

(٣) الزبير بن بكار : جمهرة نسب قريش ، ص ص ٧٦ ، ٧٧ .

(٤) أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٧ ، ص ٣٧٦ .

(٥) البيهقي : مناقب الشافعي ، جـ ١ ، ص ١٤٢ ، مرعي بن يوسف : تنوير بصائر المقلدين ، ص ٧٤ .

(٦) ابن الجوزي : مناقب الإمام أحمد بن حنبل ، ص ٢٤٦ .

(٧) البيهقي : مناقب الشافعي ، جـ ١ ، ١٤٢ .

(٨) ابن الجوزي : مناقب الإمام أحمد بن حنبل ، ص ص ٢٤٦ ، ٢٤٧ .

فوض الشافعي في اختيار قاضٍ لمكة ، عندما شكي إليه قاضيها ، فاختار لها قاضيا من بين العلمـاء [1] ، ولما استعفى يحيى بن يحيى من قضاء نيسابور ، طلب منه ترشيح رجل مكانه ، فأشـار عليـه برجل فولاه القضاء [2] ، وكان المتوكل ، بعد ذلك ، يستشير احمد بن حنبل فيمن يـوليهم القـضاء ، فيعمل برأيه [3] .

وإلى جانب هذا الدور الذي قام به العلماء في تولية وعزل الولاة والعمال والقضاة ، كان لهم دور آخر لا يقل أهمية عنه ، هو مراقبة هؤلاء الموظفين ، ورفع أحوالهم إلى الخلفاء ، فهذا عمرو بـن عبيد يعطي المنصور تقريرا عن أحوال ولاته وعماله ، قائلا :« إن من وراء بابك نيران تأجج مـن الجور ، وما يعمل وراء بابك بكتاب الله ولا بسنة نبيه ، وأنت مسؤول عما إجترحـوا » [4] لأنـه إن حملهم على الحق وأخذهم به ، التزموه ، وقاموا به ، فقال :« والله لو علم عمالك أنه لا يرضيك منهم إلا العدل ، لتقرب به إليك من لا يريده » [5] ، وكلف عددا من علماء المدينة بالرقابة علـى أحـوال المسجونين في سجنها ، فتوجه كل من مالك بن أنس وأبى أبي ذئب ، و ابـن أبي سبرة [6] إلى سجن المدينة ، فأسرع الوالي إلى إصلاح أحوال السجن وشأن المسجونين ، إلا أن هؤلاء العلماء تنبهوا إلى

---

(١) البيهقي : مناقب الشافعي ، جـ ١ ، ص ١٥٥ .

(٢) ابن الجوزي : صفة الصفوة ، جـ ٤ ، ص ص ١٠٤ ، ١٠٥ .

(٣) ابن الجوزي : مناقب الإمام أحمد بن حنبل ، ص ص ١٧٨ ، ١٧٩ .

(٤) الدينوري : الأخبار الطوال ، ص ص ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، المبارك : النصح في الدين ومآرب القاصدين ، ص ٤٨ ، الشيرازي : تهذيب الرياسة وترتيب السياسة ، ص ٣٠٢ .

(٥) الكناني : نهج السلوك إلى معرفة سير الخلفاء والملوك ، ص ٢٤٨ .

(٦) هو أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي سبرة ، عرف بابن أبي سبرة ، كان جده من أهل بدر ، وكان أبن أبي سبرة أحد كبار تابعي التابعين ، فقد التقى بعدد من التابعين وأخذ عن بعضهم أمثال عطاء بن أبي رباح وهشام بن عروة ، وهو فقيه المدينة ومفتيها في عصره ، كما ولي قضاء المدينة للمنصور ، وكان له دور في إخماد فتنة السودان الـذين ثاروا بالمدينة على واليها عيسى بن موسى ، فنهاهم عن المخالفة ، وأمرهم بطاعة أولي الأمر ، ووعدهم بالتدخل لدى الخليفة للعفو عنهم ، توفي ابن أبي سبرة في بغداد سنة(١٦٢ هـ / ٧٧٩ م)، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٧ ، ص ص ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ .

ذلك وكتبوا إلى المنصور بحقيقة أحوال المسجونين [١] ، من التضييق ، بل أن ابن أبي ذئب ذكر أيضا مثالب قاضي المدينة الحسن بن زيد [٢] ، فقال انه :« يأخذ بالإحنة ويقـضي بـالهوى » [٣] ، ودأب الليث بن سعد على مراقبة أحوال ولاة وقضاة مصر، فما أنكر منهم من شيء كتب به إلى الخليفة [٤] .

وكان لأبي يوسف دور في توجيه الرشيد إلى زيادة الرقابة على الولاة والعمال بعـد ان تزايـدت شكايات الناس منهم ، فاشار عليه أن يعتمد في الرقابة عليهم ، على العلماء ، لأنهم ، وليس أحد سواهم المؤهلين للقيام بهذا الدور ، إذ قال :« وأرى يا أمير المؤمنين أن تبعث قوما من أهل الصلاح والعفاف ممن يوثق بدينه وأمانته ، يسألون عن سيرة العمال ، وما عملوا به في ولاياتهم ، وكيف جبوا الخراج » [٥] ، بل إنه اقترح عليه فيما بعد أن يرسل مع كل والٍ رقيبا من العلماء ، له صفة رسمية ، وتجرى عليه الأرزاق ، للرقابة على الوالي[٦]، وقد قام الشافعي ببعض هذا الدور الرقابي دون أن يطلب منـه، لأنه استشعر مسؤليته بوصفه أحد علماء الأمة ، فعندما جيء به من اليمن إلـى بغـداد ، شـكا إلـى الرشيـد سوء سيرة والي اليمـن ، وعسفه ، قائلا «إني خلفت اليمن ضائعة ، تحتاج إلى حاكم»[٧].

---

(١) الخطيب : تاريخ بغداد ، جـ ٢ ، ص ص ٢٩٩ ، ٣٠٠ .

(٢) الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي ، يكنى بأبي محمد،أحد تابعي التابعين بالمدينة ، روى الحديث عن أبيه زيد بن الحسن وعن غيره من التابعين ، وروى عنه كبار العلماء أمثال مالك بن أنس ومحمد بن إسحاق ووكيع بن الجراح، قدم على المنصور بغداد فولاه إمرة المدينة لمدة خمسة سنين، ثم عزله واستـصفى أموالـه، وحبسه ببغداد ، فلم يزل في محبسه حتى توفي المنصور ، فأطلقه المهدي وضمه إليه ، فأصبح في صـحبته ، تـوفي ببغداد سنة (١٦٨ هـ/ ٧٨٥ م) ، المزي : تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، جـ ٦، ص ص ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٦٢ .

(٣) الطرطوشي : سراج الملوك ، ص ٣٩ .

(٤) المزي : تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، جـ ٢٤ ، ص ص ٢٧٥ ، ٢٧٦ .

(٥) أبو يوسف : كتاب الخراج ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ط٥ ، ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م ، ص ١٢٠ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ١١٦ .

(٧) البيهقي : مناقب الشافعي ، جـ ١ ، ص ١٥٤ ، ابن الجوزي : مناقب الإمام أحمد بن حنبل ، ص ١٧٠ ، ابن حجر : مناقب الإمامين الليثي والشافعي ، ص ص ١٦١ ، ١٦٢ ، يوسف بن مرعي : تنوير بصائر المقلدين ، ص ٧٣ ، ٩٢ ، انظر كذلك عبد الحليم الجندي : الإمام الشافعي ناصر السنة وواضع الأصول ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٢ ، د.ت ، ص ٩ .

ورفع علماء البصرة إلى المأمون ما عليه والي صدقاتهم أحمد بن يوسف الكاتب [1] مـن جـور وظلم ، فعزله عن عمله [2] ، وعندما تأذى أهل بغداد من مجاورة الأتراك ، الـذين اسـتكثر مـنهم المعتصم في جيشه ، في بغداد ، أبلغ العلماء المعتصم بما لحق الناس من أذى [3] ، فكان ذلك سببا في بناء مدينة سر من رأى سامراء ، حيث أخرجهم من بغداد ، وأسكنهم سـامراء [4] ، وظـل العلمـاء يشكون إلى الواثق سيرة أحمد بن أبي دواد ، الا أنه كـان قد استوثـق وتمكن منه ، فلم يـصغ إلـى قولهم فيه [5] .

كان من نتائج هذه الرقابة التي قام بها العلماء علـى الـولاة والعمـال ، كـشف الكثيـر مـنهم ، ومحاسبتهم، وعزل عدد كبير منهم ، وهو ما يؤكده حشد كبير ودمن الروايات التاريخية ، وقد يكون من المناسب هنا ذكر بعض الرسائل التي بعث بها الخلفاء لولاتهم في هذا الشأن ، ومن ذلك ما كتبـه المنصور إلى أحد عماله بعدما تزايدت شكايات الناس منه ، حيث قال : أما بعد فقد كثر شاكوك وقـل شاكروك ، فإما اعتدلت وإما اعتزلت » [6] .

---

(١) أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح الكاتب ، يكنى بأبي جعفر ، من أهل الكوفة ، ولي ديوان الرسائل للمأمون ، أختلف في تاريخ وفاته بين سنتي (٢١٣ هـ / ٨٢٨ م - ٢١٤ هـ / ٨٢٩ م) ، ابن عساكر : تـاريخ مدينـة دمشق ، جـ ٦ ، ص ص ١١٤ ، ١٢١ .

(٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، جـ ٢ ، ص ٢١ .

(٣) كان جنود المعتصم من الأتراك يركضون بخيولهم في طرقات بغداد وشوارعها ، فيدوسون من في طريقهم مـن النساء والأطفال ، ويصطدمون بالرجال ، فخرج أحد العلماء إلى المعتصم في صلاة العيد ، فقال له : يا أبا إسـحاق ، لاجزاك الله عن الجوار خيرا ، جاورتنا وأتيت بهؤلاء العلوج فأسكنتهم بين أظهرنا ، فيتمت صبياننا ، وأرملت نساءنا ، وقتلت رجالنا، فأصغى إليه المعتصم ، فكان ذلك سببا في بناء مدينة سامراء ، ،انزل فيها جنده من الترك ، مجهـول : العيون والحدائق ، ص ص ٦ ، ٥٤ ، ٢٧١ .

(٤) مجهول : العيون والحدائق ، ص ، ٥ ، ٦ .

(٥) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، جـ ٢ ، ص ٢١ .

(٦) الأربلي : خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٤٥ .

هـ . تحذير العلماء الخلفاء من الإصغاء إلى الوشاة وناقلي الأخبار :

ولأن العلماء كانوا يدركون ما تؤدي إليه الأخبار التي تصل الخلفاء في ذم الناس ، والسعاية بهم ، في تكوين اتجاهاتهم ، وسياساتهم إزاء الرعية ، وفي إعطاء صور غير حقيقية لواقع حال الناس ، وإلى قيام الخلفاء بأخذ الناس بما لم يفعلوا ، وحرمانهم مما يستحقوا ، ومن ثم وضع الأشياء في غير موضعها ، مما يفضي في النهاية إلى فساد العلاقة بين الحاكم والمحكومين .

فحذر العلماء الخلفاء والولاة من أخذ الأخبار التي تصلهم ، من غير تمحيصها واستقصائها والتحقق من صحتها ، ففسر الشافعي قوله تعالى :« يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنباءٍ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » [1] ، أن الله أمر كل من له ولاية على أحدٍ من خلقه أن يكون مستبينا لما يصله قبل أن يمضيه ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر ألا يحكم الحاكم وهو غضبان ، لأن الغضبان مخوف على أمرين ، أحدهما قلة التثبت ، والآخر أن الغضب يتغير معه العقل ، ويقدم به صاحبه على ما لم يكن يقدم عليه لو لم يكن غضبان [2] .

لذلك كله نهى العلماء خلفاء العصر العباسي الأول من الإصغاء إلى من يفسدون عليهم علاقتهم بالناس ،تزلفا بذلك إليهم ، فهذا جعفر بن محمد ، عندما استدعاه المنصور ، ليبطش به ، لسعاية بلغته عنه ، يقول :« يا أمير المؤمنين لا تقبل في ذي رحمك قول نمام » [3] ، وكتب مالك بن أنس إلى الرشيد في إحدى رسائله ، يحذّره من الإستماع إلى المتزلفين إليه بنقل أخبار الناس ، فقال :« احترس ممن يتقرب إليك بالنميمة ويبلغ الكلام عنك » [4] .

وليس أدل على أثر هذه الأخبار التي تصل إلى الخليفة في إلحاق الأذى بالناس ، مما ناله الشافعي من أذى عندما وشي به إلى الرشيد بأنه يعمل في اليمن على زوال دولته ، فأتي به في القيود إلى بغداد .

---

(١) الحجرات ، الآية : ٦ .

(٢) الشافعي : الأم ، جـ ٧ ، ص ٨٦ .

(٣) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، جـ ٢ ، ص ص ٢٤ ، ٣٤ ، ٣٥ ، جـ ٣ ، ١٧٩ ، ١٨٠ . انظر البدري : الإسلام بين العلماء والحكام ، دار الشباب ، بيروت ، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م ، ص ٨٠ .

(٤) مالك بن أنس : رسالة الإمام مالك بن أنس إلى الرشيد ، ص ١٤ .

الفريق المعارض :

اتخذ فريق آخر من العلماء موقفا معارضا منافرا للخلفاء العباسيين ، فرفض أفراده العمل للدولة ، أو حتى إتيان الخلفاء والأمراء ، لوعظهم ونصحهم ، وإن حدث والتقوا بهم في الموسم أو في غيره ، وتعرض لهم الخلفاء ، وطلبوا منهم النصح والوعظ ، فإنهم يقدمونه لهم بلغة شـديدة ، لاتخلـو مـن الغلظة والتقريع .

وقد عد أفراد هذا الفريق ما رأوه من متغيرات في الحياة السياسية في العـصر العباسـي الأول ، تخالف ما كان عليه السلف من الخلفاء ، منكرات ، يتوجب إزالتها ، وتقتضي عدم التعاطي مع الخلفاء العباسيين .

مظاهر معارضة العلماء للخلفاء في العصر العباسي الأول :

اتخذت معارضة هذا الفريق من العلماء للخلفاء العباسيين مظاهر عدة ، لعل أهمها الشدة ، في تقديم المواعظ والنصائح للخلفاء والأمراء ، والإمتناع عن إتيانهم ،ونهي غيرهم من النـاس عـن ذلـك ، ورفض هباتهم وعطاياهم .

أ . الشدة في الوعظ والنصح للخلفاء والأمراء :

اتسم منهج هذا الفريق من العلماء في النصح والوعظ مع الخلفاء والأمراء بالعنف والغلظة ، فكانوا يواجهونهم بأخطائهم وعيوبهم ، إذا ألحوا عليهم بالطلب أو وافقوهم في الموسم ، خوفا من أن يـؤدي تهذيب وتشذيب النصائح والمواعظ إلى فقدانها معناها ، وتفريغها من محتواها ، وخوفا من أن يقعـوا في محظور الرياء والمداهنة ، وقد مثل هذا الفريق عدد من العلماء ، كان أبرزهم أبو حنيفة وسـفيان الثوري ، والعمري ، وعبد الله بن المبارك ، وغيرهم .

وإذا ما أردنا أن نأخذ نموذجا لهذا الفريق من العلماء ، فإن أنسب شخصية يمكن أن تمثل هذا الدور بجلاء ، هي شخصية سفيان الثوري ، فقد كان شديدا مع الخلفاء والأمراء ، وهي شدة عرف بها بين معاصريه ، حتى ان وهيب بن الورد كان إذا أراد أن يسأل عنه ، قال: « ماذا فعل الـذي بـالعراق،(يعني الثوري) الذي يجفو الأمراء ويقرب الفقراء » [1] .

(١) أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٨ ، ص ٤٤ .

تشير الروايات التاريخية إلى العديد من المواقف التي تؤكد هذه الغلظة والشدة التي ميزت نـصائح ومواعظ سفيان الثوري لخلفاء العصر العباسي الأول ، فعندما التقاه المنصور في موسم الحج ، و رغب في التودد إليه ، والتقرب منه ، فقال له :« إرفع إلينا حاجتك » [1] ، فما كان من سـفيان إلا أن قال له : اتق الله فقد ملأت الأرض ظلما وجورا » [2] ، ولما سأله المنصور عن رأيه فيه ، لم يتردد في أن جاهره بهذه الكلمات الشديدة ، فقال له : « بئس الرجل أنت » [3] .

وبالرغم من هذا الجفاء الواضح ، والرفض المعلن ، إلا أن المنصور ظل يطلبه ليشركه في بعض أعمال الدولة ، وليتحمل معه جزء من مسؤولياته ، بالترغيب تارة وبالترهيب تارة أخـرى [4] ، وقـد تدخل لديه بعض أقرانه من العلماء ليحملوه على إجابة دعوة الخليفة ، الا أنه كتب يأبى ، ويهـددهم بأنه إن جاءه أسمعه ما لا يرضاه ، حيث قال : « ما يريد مني أبو جعفر ؟ فوالله لإن قمت بين يديـه لأقولن له قم من مقامك فغيرك أولى به منك » [5] .

أدرك المنصور ، بعد ما لمسه من شدة الثوري ، أن لا أمل في الإستعانة به ، كمـا أن مواجهتـه للخليفة بغلظة بين الناس في الموسم ، جعل الخليفة يتحاشاه إذا أراد الحج ، حتـى لا يواجهـه بمـا يكرهه ، ويحط من شأنه ومهابته بين الناس ، بوصفه خليفة المسلمين ، ولذلك عندما حج سنة (١٥٨ هـ / ٧٦٥ م) أرسل إلى نائبه بمكة أن يحبس جماعة من العلماء ، بينهم سفيان الثوري [6] ، وتذكر بعض الروايات أنه أمر بصلب سفيان ، وأنه بعث الخشابين إلى مكة ، وأشاع أنه يريد قتله [7] .

---

(١) الغزالي : إحياء علوم الدين ، جـ ٢ ، ص ٢١٩ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٧ ، ص ٤٤ .

(٤) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ، جـ ٢ ، ص ١٩٦ ، أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٧ ، ص ٤٤ ، الـسيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٣٠٢ ، انظر كذلك قلعجي : موسوعة فقه سفيان الثوري ، دار النفائس ، بيروت ، ط٢ ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م ، ص ص ١٧ ، ٤٥ .

(٥) أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٧ ، ص ٤٤ .

(٦) السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٣٠٢ .

(٧) أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٧ ، ص ٤٤ .

ولا نعتقد أن الخليفة كان جادا في قتل سفيان الثوري ، ونرجح أنه إنما أراد ترويعه ، وإبعاده عـن طريقه ، لئلا يتعرض له في موسم الحج فيسمعه ما يكره ، فيضطر إلى عقابه ، إذ الخلفاء لا تحتمـل الحط من شأنها بين الناس ، وأيا كان الأمر فإن الخليفة المنصور مات قبل أن يصل مكة (١) .

استمرت معارضة الثوري بعد وفاة المنصور ، لخليفته وابنه ، المهدي ، فرفض إتيانه بالرغم مـن إلحاح المهدي في طلبه ، بل إنه اضطر أمام هذا الطلب إلى التواري عنه (٢) ، متنقلا بين الأمـصار ، من مكة إلى اليمن (٣) ، إلى البصرة (٤) ، حتى أرهق من كثرة الترحال (٥) .

واتسمت مواعظ ابن أبي ذئب للخلفاء والأمراء العباسيين ، بالغلظة والقسوة ، فكان يـأبى إتيـانهم ، فإذا أتوه هم عنفهم ، فيذكر أن المنصور استدعاه ، فلما مثل بين يديه ، بادره بقوله :« الظلم فـاش ببابك » (٦) ، وعندما سأله المنصور عن رأيه فيه ، قال له :« أنت والله عندي شر الرجال » (٧) ، ثم عدد له الانحرافات التي وقع فيها ، قائلا :« إنك لا تعدل في الرعية ولا تقسم بالسوية »(٨) ، ثم قال له : « وإنك لتستعمل الظلمة ، وتدع أهل الخير » (٩) .

---

(١) أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ٧ ، ص ٤٤ ، الذهبي : العبر في خبر من غبر ، جـ١ ، ص ١٨١ .

(٢) أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ٧ ، ٤٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٤ ، ٥ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ص ١٣ ، ١٤ .

(٥) قال سفيان الثوري : والله ما أدري أي البلاد أسكن ، ودعا على المهدي ، قائلا : طردتني وشردتني وخـوفتني ، والله بيني وبينك ، أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ٧ ، ص ٤٤٧ .

(٦) الخطيب : تاريخ بغداد ، جـ ٢ ، ص ٣٠٢ ، الذهبي : العبر في خبر من غبر ، جـ١ ، ص ١٧٨ .

(٧) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ، جـ ٢ ، ص ١٩٦ ، الخطيب ، تاريخ بغداد ، جـ ٣ ، ص ص ١٩٨ ، ٣٠٠ ، ابن الجوزي : صفة الصفوة ، جـ ٢ ، ص ١١٨ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٧ ، ص ١٤٥ ، المبـارك : النصح في الدين ومأرب القاصدين ، ص ٥٣ .

(٨) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ، جـ ٢ ، ص ١٩٦ ، الخطيب ، تاريخ بغداد ، جـ ٣ ، ص ص ١٩٨ ، ٣٠٠ ، ابن الجوزي : صفة الصفوة ، جـ ٢ ، ص ١١٨ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٧ ، ص ١٤٥ ، المبارك :النصح في الدين ومأرب القاصدين ، ص ٥٣ .

(٩) ابن الجوزي : صفة الصفوة ، جـ ٢ ، ص ١١٨ .

وكان من هذا الفريق عبد العزيز بن أبي رواد ، فكان يصف المنصور بأنه جبار [١] ، وعبد الله ابن عبد العزيز العمري ، الذي كان شديدا في وعظه للخلفاء العباسيين ، فكان الرشيد يخافه لذلك ، حتى أنه كان يحول بين الرشيد وبين متابعة الحج ، خشية أن يلتقيه ، فيسمعه ما يسقط مهابته بين الناس ، وهو ما عبر عنه الرشيد ، حيث قال : « إني لأحب أن أحج كل سنة ما يمنعني الا رجل من ولد عمر بن الخطاب ، يسمعني ما أكره » [٢] ، وعندما أراد العمري إن يزور بغداد كره الرشيد ذلك ، وحال بينه وبين القدوم إلى بغداد لخشيته من خشونة قوله فيه ، فجمع أبناء عمومته ، وقال لهم : « مالي ولابن عمكم احتملته بالحجاز فشخص إلى دار مملكتي يريد ان يفسد علي أوليائي ، ردوه عني » [٣] ، ثم كتب إلى موسى بن عيسى ، واليه على مكة ، أن يرفق به حتى يرده [٤] .

وعرض عبد الله بن المبارك في أشعاره لمعاصريه من خلفاء العصر العباسي الأول ، بالذم ، فكان مما قاله فيهم :

وهل يفسد الدين إلا الملوك * وأحبار سوءٍ ورهبانها [٥] .

وهكذا فقد رأينا أن من سمات هذا الفريق من العلماء ، الشدة والغلظة في مواعظهم للخلفاء ، ولم يكن ذلك يعني استعدادهم للخروج على الخلفاء ، أو إنكار طاعتهم ، وإنما رغبة منهم في إصلاح ما رأوه اضمحل وضمر من صفات الراشدين في خلفاء بني العباس ، ولشدة حساسيتهم تجاه ما كان يحدث من تبدلات في حياة الأمة ، ولاعتقادهم بأن التلطف للخلفاء نوع من المداهنة ، ولطبائعهم الشخصية التي اتسمت بالحدة .

---

(١) ابن قتيبة : الإمامة و السياسة ، جـ ٢ ، ص ٢٠٣ ، أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٨ ، ص ٢٠٧ ، ابن الجوزي : صفة الصفوة ، جـ ٢ ، ص ١٥٣ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٧ ، ١٨٤ .

(٢) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٦ ، ص ٣٨ ، ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، جـ ٢ ، ص١٢٣ .

(٣) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٦ ، ص ص ٥٣٨ ، ٥٣٩ .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ٨ ، ص ٣٠٨ .

ب . رفضهم إتيان الخلفاء والأمراء :

كان من السمات البارزة لهذا الفريق من العلماء ، الإمتناع عن إتيان الخلفاء والأمراء ، بل وسعيهم لدى أقرانهم من العلماء ، لمنعهم من ارتياد مجالس الخلفاء والأمراء ، يحذرونهم من ذلك مبينين لهم الأضرار التي تلحق بالعالم إن هو أتى الخلفاء وتردد على أبوابهم ، وأن هذه الأضرار منها ما هو دنيوي ، يتمثل في استخدامهم من قبل الخلفاء لتمرير بعض المخالفات ، فتسقط مهابة العالم في نفوس الخلفاء ، والناس على حدٍ سواء ، وما يترتب على ذلك من أضرار أخروية ، لأن العلماء إذا ركنوا إلى الحكام ، ضيعوا أماناتهم التي استحفظوها ، في قيامهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بوصفهم الضابط الذي يعيد التوازن إلى الحياة الإسلامية ، إذا شابها شائب ، فيستحقون عند ذاك العقاب الأليم في الآخرة .

لذلك فقد دأب هذا الفريق من العلماء على نهي أقرانهم عن اتيان الخلفاء ، فهذا سفيان الثوري يأخذ بيد سعيد بن صدقة [1] محذرا إياه من إتيان الأمراء ، ومحببا له الرغبة عما في أيديهم [2] ، ونبه غيره من العلماء من أن ينساقوا إلى الخلفاء والأمراء مهما كانت المبررات ، فقال :« إذا دعوك لتقرأ عليهم قل هو الله أحد فلا تأتيهم » [3] ، وقال لعباد بن عباد [4] إياك أن تخدع فيقال لك تشفع وتدرأ

---

(١) سعيد بن صدقة القرشي ، من أهل دمشق ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، جـ ٢١ ، ص ١٠٥ .

(٢) أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ٧ ، ص ٨ .

(٣) المصدر نفسه ، جـ ٦ ، ص ٤٢٩ .

(٤) عباد بن عباد بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة العتكي ، يكنى بأبي معاوية ، أحد علماء الحديث الثقاة ، من أهل البصرة ، استقر في آخر أيامه ببغداد ، وبها مات ، لم أقف له على تاريخ وفاة ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ٧ ، ص ٣٢٧ .

عن مظلوم ، أو ترد مظلمة » [١] ، « فإن في جهنم وادٍ لا يسكنه إلا القراء الزائرون للملوك » [٢] ، فكان ينهى عن التعاطي معهم في كل شيء [٣] .

وحذر الفضيل بن عياض بعض معاصريه من العلماء من مجرد الدنو من الخلفاء ، قائلا :« لأن يدنو الرجل من جيفة منتنة خير له من أن يدنوا من هؤلاء » [٤] (يعني الحكام) ، وأن العـالم كلمـا ازداد قربا من ذوي السلطان ، ازداد بعدا عن الله [٥] ، وحث عبد الله بن المبارك العلماء على تنزيـه أنفسهم والعلم الذي يحملونه عن أبواب الحكام [٦] ، وانتقد ابن السماك بعض العلماء المتـرددين علـى أبواب الخلفاء [٧] ، وعد أحمد بن حنبل إتيان الخلفاء والأمراء من البلايا التي يقع فيها العلماء ،وحذر من هذا الصنف من العلماء ، فقال : « إن الدنيا داء والسلطان داء والعالم طبيب ، فإذا رايت الطبيب

---

(١) أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٦ ، ص ٤١٧ .

(٢) الغزالي : إحياء علوم الدين ، جـ ١ ، ص ٢١٣ ، القاري : رسالة في تبعيد العلماء عن أبواب الأمراء الظلماء ، مخطوط مصور بمعهد المخطوطات العربية ، القاهرة ، ميكروفيلم رقم (١٨٥) ، تصوف ، ص ٢ .

(٣) تذكر بعض الروايات أن سفيان الثوري كان كثير التحذير من إتيان أبواب السلطان ، وينهى عن التعاطي معهـم ، بل وينهى عن القرب من المنابر في الجمع عندما يكون الخلفاء عليها ، وعن مجرد النظر إلى الخلفاء والأمراء وإلـى دورهم ومراكبهم ، وعن التبسم في وجوههم ، أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ٧ ، ص ٤٢ ، القاري : رسالة في تبعيد العلماء عن أبواب الأمراء الظلماء ، ص ١٠ ، المبارك : كتاب النصيحة للراعي والرعية ، ص ٨٨ ، ابن الخطيب : كتاب روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار، ص ٢٨ .

(٤) أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٨ ، ص ١٠١ ، المبارك : كتاب النصيحة للراعي والرعية ، ص ٧٨ .

(٥) الغزالي : إحياء علوم الدين ، جـ ٢ ، ص ٢١٣ .

(٦) ابن الجوزي : مناقب الإمام أحمد بن حنبل ، ص ٣٢٨ ، ابن الأمير : إزالة التهمة بيان ما يجوز وما يحرم مـن مخالطة الظلمة ، ص ٤٧ .

(٧) نهى ابن السماك العلماء عن الوقوف على أبواب السلاطين ، فقال : الذباب على العذرة أحسن من القـارئ علـى أبواب الملوك ، الخطيب : تاريخ بغداد ، جـ ٥ ، ص ٣٧٠ ، ابن الخطيب : روض الأخيار المنتخـب مـن ربيـع الأبرار ، ص ٣٣ .

يجر الداء إلى نفسه فاحذره » [1] .

ومن المناسب هنا أن نفرق بين من يجبر على إتيان الخلفاء لشدة طلبهم له ، وهو راغـب عـنهم ، فيضطر إلى تلبية دعوتهم ، وبين من يتزلف إليهم ، ويلح في إتيانهم ، لينال مما في أيديهم من متاع ، ونحسب أن هؤلاء هم الذين وجه إليهم نقد العلماء ولومهم .

أما الذين كانوا إنما يأتون الخلفاء والأمراء مكرهين ، ولم يكن بوسعهم إلا تلبية دعـوة الخلفـاء ، نزولا عند الطاعة لولي الأمر المبايع ، فإن الأمر يختلف بالنسبة إليهم ، لذلك نجد الأوزاعي ، وهو الذي كان يلبي دعوة الخلفاء إذا دعوه ، ينتقد أولئك الذين يقفون على أبواب الخلفـاء ، ومثلـه ابـن السماك، وغيرهما ، حتى سفيان الثوري الذي عرف بمعارضته للخلفاء العباسيين ، كان إذا وجد نفسه وجها لوجه معهم ، قام بدوره في وعظهم ، وإن اتسمت مواعظه بالقسوة والغلظة .

مبررات العلماء للإمتناع عن إتيان الخلفاء :

إذا ما بحثنا بشكل أكثر تفصيلا عن الأسباب التي دفعت هذا الفريق من العلمـاء لاتخـاذ مواقـف مناوئة للخلفاء العباسيين ، فإننا سنجد أنفسنا إزاء أكثر من عامل ، وسبب لهذه المواقف ، من ذلك أن العلماء كانوا يدركون أهمية دورهم ، ومسؤليتهم ، في محاسبة الخلفاء والأمراء عن أي تقصير فـي واجباتهم تجاه الأمة ، ومعنيين بتقويم أي انحراف يمكن أن يقع فيه الحكام ، ويرون أن ترددهم إلـى مجالس الحكام سيؤثر على الدور الذي يقومون به ، لأنهم حينها سيعجزون عن محاسبتهم ، فضلا عن خشيتهم من أن يحملهم الحكام على ما لا يرضون من القول أو الفعل ، وهو ما عبر عنه أشد العلمـاء معارضة للخلفاء العباسيين ، حيث قال : « إنما أخاف إكرامهم ، فيميل قلبي إليهم » [2] ، فإني لألقـى الرجل أبغضه فيقول لي : « كيف حالـك ؟ فيلين له قلبي ، فكيف بمن أكل ثريـدهم [3] ووطئ

---

(١) ابن الجوزي : مناقب الإمام أحمد بن حنبل ، ص ٢٠٧، التبريزي : كتاب النصيحة للراعي والرعية ،ص٧٥.

(٢) ابن الجوزي : تلبيس إبليس ، ص ١٠٩ .

(٣) الثريد : من ثرد بمعنى فتَّ وكسر ، وهو فت الخبز في القدر ، فيؤكل مع اللحم ، والثريد من الوجبات الشهية التي عرفها العرب ، ابن منظور : لسان العرب ، جـ ١ ، ص ٤٧٦ .

بساطهم » [1] ، فهو يعلم نقطة ضعفه ، ويخاف أن يؤتى منها .

إذاً فموقف هذا الفريق من خلفاء العصر العباسي الأول لم يكن لأنهم يطعنون في شرعية الخلافة العباسية ، أولا يرون طاعة الخلفاء العباسيين ، ولكن لأسباب مختلفة ، منها أنهم يخشون إن هم أتوا الخلفاء استدرجوهم إلى ما لا يرضون من القول والفعل .

وهكذا فقد رأى أصحاب هذا التيار أن العلماء يمثلون المعيار الذي توزن عليه أعمال الخلفاء والأمراء وتصرفاتهم ، ولذلك رأوا ضرورة أن يظل هذا المعيار نزيها محايدا بعيدا عن أية ضغوط أو ابتزاز ، حتى يقوم بدوره في إحقاق الحق و إبطال الباطل ، ولأنه إذا اختل بمداهنة العلماء للأمراء ، فعندئذ تنعدم مرجعيات الحكام .. ، وتضطرب أحوال الدولة ، ويشيع الظلم والفساد في الأرض .

ومن ناحية أخرى كانت هنالك معادلة بين العلماء والخلفاء إذا ما وزنت تخلى العلماء عن تحفظاتهم إزاء الخلفاء ، وكان كل منهم يدعو الآخر إلى البدء في وزنها .

وهو من يبدأ بالتحرك لتغيير موقفه من الآخر ، فالعلماء يطالبون الخلفاء بأن يبدوا حسن نيتهم في الإصلاح باتخاذ خطوات عملية ، فيتخلصون من بطانة السوء التي تحيط بهم ، ويعيدون المظالم ، بكل ما تعنيه هذه العبارة من أبعاد مادية ومعنوية لأصحابها ، وأن يلتزموا سيرة السلف ، والخلفاء يتذرعون أن ذلك ليس بوسعهم بدون مساعدة من العلماء ، فيطلبون منهم الإنضمام إلى أجهزة الدولة ليكونوا أدوات التغيير والإصلاح ، وهكذا ظل كل فريق ينتظر المبادرة من الفريق الآخر .

جـ . الامتناع عن أخذ هبات وعطايا الخلفاء والأمراء :

انقسم العلماء إزاء هبات وأعطيات الخلفاء والأمراء العباسيين إلى قسمين ، فمنهم من قبلها وجوز أخذها ، بوصفها من أموال المسلمين التي لكل مسلم فيها نصيب ، دعتهم إلى ذلك حاجتهم اليها مع تفرغ الكثير منهم لطلب العلم .

أما الفريق الآخر ، الذي نحن بصدد الحديث عنه ، فقد رفض أخذ هبات الحكام ، ونهى غيره من

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ٢ ، ص ٣٨٩ .

العلماء عن أخذها ، ولام أولئك الذين أخذوها فقد رفض هذا الفريق أخذ هبات الحكام ، ونهى غيره من العلماء عن أخذها ،ولام من قبلها منهم ، وكان من هذا الفريق سفيان الثوري ، وعمرو بن عبيد والفضيل بن عياض ، وعبد الله بن المبارك ، وآخرين سواهم .

وبداية يجدر بنا أن نتسائل عن علة رفض هذا الفريق من العلماء لعطايا وهبات الخلفاء والأمراء ، بل وترك ما فرض لهم في ديوان العطاء ، هل لشكهم في مصدر هذه الأموال ؟ هل لأنهم قد حددوا مواقفهم المعارضة للخلفاء العباسيين ، ورفضوا التعاطي معهم في كل شيء ؟ أم هل لأنهم كانوا يخشون أن يحول قبولهم لها ، بينهم وبين قيامهم بدورهم في محاسبة هؤلاء الحكام ، وفق مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهي رسالة الأنبياء التي ورثها العلماء ، هل كان هذا هو السبب ؟.

إذا ما أخذنا السبب الأول ، وهو أن العلماء ربما ارتابوا في مصدر الأموال التي حازها الخلفاء العباسيون ، وأنهم يعتقدون بعدم شرعيتها ، فإن هذا الإحتمال يسقط ، أمام الروايات التاريخية التي تناولت هذا الموضوع ، وأمام الثوابت الفقهية ، التي كان العلماء يعرفونها جيدا ، وأمام الظروف الموضوعية للعصر من أساليب جباية للأموال ، ومدى وقوف الخلفاء عند الحدود الشرعية في تحصيل المال وتصريفه .

إذ تتظافر الروايات التاريخية على تأكيد أن العلماء لم يكونوا ينقمون على الخلفاء أساليب جباية الأموال ، ولا يرون عدم شرعية أموالهم ، أو على الأقل ، تؤكد أن سبب رفضهم هبات وعطايا الخلفاء لم يكن هذا السبب ، ولنستمع إلى أبرز هؤلاء العلماء وأكثرهم رفضا لهذه الهبات ، حيث قال سفيان الثوري عندما عوتب في امتناعه عن أخذ هبات وعطايا الخلفاء ، : « أعلم انه لي حلال » [١] .

وإذا ما ارتددنا قليلا صوب عهد الخلفاء الراشدين،لمعرفة العلاقة بين العلماء والمال العام،فإننا سنجد أن الخلفاء الراشدين لم يروا بأسا في أخذ هبات السلطان حتى وإن شابها بعض الحرام ، فقال علي بن أبي طالب:"خذ ما يعطيك السلطان،فإنما يعطيك من الحلال، وما يأخذون من الحلال أكثر"[٢]،

---

(١) ابن الخطيب : كتاب روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار ، ص ٢٨ .

(٢) الغزالي : إحياء علوم الدين ، جـ ٢ ، ص ٢٠٤ .

بمعنى أن وجود بعض المال المشبوه في المال ، لا ينفي أن يكون ما يعطى من هذا المال حلالا .

ونخلص مما سبق إلى أن الباعث الحقيقي لرفض هذا الفريق من العلماء هبات وعطايا الخلفاء والأمراء ، هو خشيتهم من أن يعجزوا - إن هم أخذوا هباتهم - عن مجاهرتهم بأخطائهم وتجاوزاتهم ، وألاّ يتمكنوا من محاسبتهم ، ولأنهم كانوا يعتقدون بأن المضي خطوة واحدة في طريق الباطل يعني سقوط الحق الذي يحملونه .

ويؤيد هذا المذهب تبريرات هؤلاء العلماء أنفسهم ، عندما كانوا يلامون على ترك هبات وعطايا الخلفاء والأمراء ، فهذا سفيان الثوري يقول : أعلم أنه لي حلال ، ولكن أكره أن يقع لهم في قلبي مودة » [١] ، وهو يعني المودة التي تورث الرياء والمداهنة ، والتي تفقده القدرة على قول كلمة الحق، والجهر بها ، فهو يرى أن القلوب تؤتلف وتسترضى ، وأن العطاء دائما يترك أثرا في نفس المعطى للمعطي ، حيث قال : « إن الرجل ليستعير من السلطان الدابة والسرج [٢] و اللجام[٣] فيتغير قلبه لهم » [٤] ، فكيف بمن يأخذ عطاياهم ، ويعتمد عليها في معاشه .

إذا لهذا السبب كان أفراد هذا الفريق من العلماء يرفضون هبات الخلفاء والأمراء ، يؤكد ذلك ما قاله سفيان الثوري :« أترون أني أخاف هوانهم إنما أخاف كرامتهم » [٥] ، ويدل النص على أن الخلفاء العباسيين لم يكِنوا لسفيان الأذى ، وإنما أرادوا الاستعانة به ، وأن تخفّيه وتواريه لم يكن خوفا من عقابهم ، وإنما فرارا من إحسانهم ، وهو لا يرفض ذلك بذاته ،ولكن لأنه يعتقد أنَّ أخذه لعطياهم سيفقده القدرة على القيام بالدور المنوط به ، من تقويم سياستهم ،ومحاسبتهم .

---

(١) ابن الخطيب : روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار ، ص ٢٨ .

(٢) السرج : رحل الدابة ، وجمعه سروج ، وأسرجها إسراجا إذا وضع السرج على ظهر الدابة ، والسرَّاج بائع السروج ، وصانعها ، وحرفته السراجة ، ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٥ ، ص ١٩٨٣ .

(٣) اللجام : لفظ فارسي معرَّب ، جمعه ألجمة ولجم ولجم ، وألجمه إذا منعه عن الكلام ، واللجام حبل يدخل في فم الدابة ، ويلزق إلى قفاها للتحكم فيها ، ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٥ ، ص ٤٠٠١ .

(٤) أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ٧ ، ص ٤٤ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٤٢ .

فإذا ما أضفنا إلى ذلك أن هذا الفريق من العلماء كانوا يعتقدون أن الخلفاء والأمراء لا يعملون بما يعلمون من أوجه البر والخير ، وبالتالي فلا جدوى من تقديم مزيد من النصائح والمواعظ إليهم ، فقد أعزى سفيان الثوري امتناعه عن إتيان المنصور لوعظه ، لأن الخليفة لم يعمل بما يعلمه ، حتى يعان بما يجهله ، فقال له:« وما عملت بما علمت ، فأعظك فيما جهلت»؟[١] ، ولما سئل ابن المبارك عن قلة القائمين بالنصح والوعظ ، فقيل له :« هل بقي من ينصح ؟ قال لسائله وهل بقي من يقبل » ؟[٢].

وإذا كنا قد أخذنا سفيان الثوري نموذجا لهذا الفريق من العلماء، فلأنه كان مثالا واضحا للمعارضة ، ومع سفيان كان هناك عدد آخر من العلماء ، اتخذوا هذا الموقف وللأسباب ذاتها ، أمثال عمروبن عبيد [٣] ، وأبو حنيفة [٤] والفضيل بن عياض[٥] ، وعبد الله بن المبارك [٦] ، واحمدبن حنبل [٧]

---

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، جـ ١ ، ص ٥٥ ، جـ ٣ ، ص ٩٣ .

(٢) ابن الجوزي : صفة الصفوة ، جـ ٤ ، ص ١٢٨ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ١٠ ، ص ٧٩ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٣٠٥ .

(٤) ابن الخطيب : روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار ، ص ١٣٠ .

(٥) كان الفضيل لا يقبل هبات الخلفاء ، وينهى الناس عنها ، فقد انتقد بعض معاصريه من العلماء لأخذهم المال من السلطان ، فقال لهم : كنتم معشر العلماء سرج البلاد يستضاء بكم ، وصرتم ظلمة وكنتم نجوما يهتدى بكم ، فصرتم حيرة ، ثم لا يستحي أحدكم أن ياخذ مال هؤلاء الظلمة ثم يسند ظهره فيقول حدثنا فلان عم فلان ، ابن الجوزي : صفة الصفوة ، جـ ٢ ، ص ١٦١ ، الصفي : التبر المسبوك في صفات الملوك ، ص ٢٥ ، الرقي : أحاسن المحاسن ، ص ١٨٨ ، ابن وادران : تاريخ العباسيين ، ص ١٨٨ .

(٦) الذهبي : ميزان الإعتدال ، جـ١ ، ص ٢١٨ .

(٧) امتنع أحمد بن حنبل عن أخذ هبات الخلفاء العباسيين ، إبتدء من المأمون وحتى المتوكل ، وبالرغم من رضاه عن سياسة المتوكل فإنه ظل يدافعه فلا يقبل هباته ، حتى اندفع المتوكل وترك الإلحاح عليه ، أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٩ ، ص ص ١٨٧ ، ١٨٨ ، ابن الجوزي : صفة الصفوة ، جـ ٢ ،ص ص ٢٠٧ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، صيد الخاطر، ص ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، مناقب الإمام أحمد بن حنبل ، ص ص ٢٠٧ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، الرقي : أحاسن المحاسن ، ص ٢١٣ ، صالح بن أحمد بن حنبل : سيرة الإمام أحمد لن حنبل ، ص ١١١ ، مرعي بن يوسف : تنوير بصائر المقلوين ، ص ص ٩١ ،٩٣ ،انظر كذلك ابن حنبل حياته وعصره ، ص ٧٤ ، البدري : الإسلام بين العلماء والحكام ، ص ٩٣ .

وآخرين سواهم [١].

موقف العلماء من التغيير باليد مع السلطان :

بالرغم من معارضة هذا الفريق من العلماء للخلفاء العباسيين ، إلا أنهم كانوا يرفضون الانضمام إلى الحركات الخارجة على الدولة ، بل ويدينونها ، لما يترتب عليها من أضرار وأخطاء ، فهي تبدد طاقات الأمة وإمكاناتها ، ولأنها تخلّف الأحقاد والضغائن والإحن بين أفراد المجتمع .

ولأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن قتال الأمراء ، حتى وإن كانوا ظالمين مـاداموا يقيمـون الصلاة [٢] ، و لأنه صلى الله عليه وسلم إنما شرع لأمته إنكار المنكر ليحصل بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله ، فإن كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه ، وأبغض إلى الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم فإنه لا يسوغ إنكاره ، وإن كان الله يبغضه ويمقت أهله ، وهذا ينطبق على الإنكار على الملوك والولاة بالخروج عليهم[٣]، إذ ليس للرعية مع السلطان سوى التعريف والنصح .[٤]

والعلماء يعلمون ذلك جيدا ، كيف لا ، وهم الذين مثلوا القنطرة التي ربطت بين جيل الصحابة والتابعين ، وبين ما تلاهم من أجيال الأمة ، فأخذت الأمة عنهم دينها ، بعقيدته وشريعته وعلومه وآدابه وقيمه ، ولذلك فأن العلماء في معارضتهم لخلفاء العصر العباسي الأول ، لم يتجاوزوا الحدود الشرعية المسموح بالتحرك فيها ، وبالرغم من تحفظاتهم على بعض جوانب من سياساتهم ، بل وقاموا بأدوار مهمة لتحذير الناس من الخروج على الخلفاء ، فهذا عبد الله بن شبرمة [٥] يبين لعمرو

---

(١) كان من هذا الفريق أيضا داود الطائي ، ويوسف بن أسباط ، وابن السماك ، وحماد بن سلمة ، ومحمد بن رافع ، أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٨ ، ص ٢٦٥ ، ابن الجوزي : صفة الصفوة ، جـ ٤ ، ص ١٠٦ الرقي : أحاسن المحاسن ، ص ص ٩٨ ، ٣٥٠ .

(٢) ابن قيم الجوزية : أعلام الموقعين عن رب العالمين ، جـ ٣ ، ص ٦ ، جـ ٤ ، ص ص ٤٨٢ ، ٤٨٣ .

(٣) ابن قيم الجوزية : أعلام الموقعين عن رب العالمين ، جـ ٣ ، ص ٦ ، القصيبي : الإهتمام في مناصحة الإمام ، ص ٣٨ .

(٤) الغزالي : إحياء علوم الدين ، جـ ٢ ، ص ٤٧٤ .

(٥) عبد الله بن شبرمة ، يكنى بأبي شبرمة ، أحد فقهاء الكوفة ، توفي سنة (١٤٤ هـ / ٧٦١ م)، ابن حبان : مشاهير علماء الأمصار ، ص ١٦٨ .

ابن عبيد ، الذي لامه على تخلفه عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مـع الـسلطان ، خطـورة الخروج على السلطان ، قائلا :

الأمر يا عمرو لا بالسيف تشهره * على الأئمة إن القتل إضرار [١].

ولم يجز سفيان الثوري - مع معارضته الشديدة للمنصور وللمهدي - الخروج عليهما بالسيف [٢] ، وكان ينكر الخروج على الخلفاء عموما [٣] ، وحذر جعفر بن محمد من الخروج على الخلفاء ، قـائلا :« من سل سيف البغي قتل به » [٤] ، ونهى وكيع بن الجراح عن الإنكار على الخلفاء باليد ، لما قد يلحق المنكِر من أذى ، فقال : « مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر من لا يخاف سيفه ولا سوطه » [٥] ، وبالرغم مما لاقاه أحمد بن حنبل من عنت الخلفاء العباسيين ، من حبس وتعذيب ، وإكراه علـى القول بخلق القرآن ، كان ينهى عن الخروج عليهم ، وتغيير منكرهم باليد [٦] ، فعندما اجتمـع اليـه فقهاء بغداد ، لما اشتدت المحنة في القرآن في خلافة الواثق ، مطالبين بالخروج على الخليفة ، نهـاهم عن الخروج من الطاعة ، حتى لا يشقوا عصا المسلمين ، ويكونوا سببا في الفتنة [٧] .

دور العلماء في إخماد الفتن :

لم يتوقف دور العلماء عند النهي عن الخروج على الخلفـاء ، بل تجـاوزه إلـى دور أكبـر ، وأكثر إيجابية في الحياة السياسية ، فقد كانوا يتدخلـون ، بكل ما لديهـم من جهد ، لمنع حدوث الفتن، وإخمادها ، ومن حادثيـن منفردين نـدرك أبعاد الـدور الذي كان يقوم به العلماء إبان الفتن ، لمنـع

---

(١) الخلال : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ص ص ٧٤ ، ٧٥ .

(٢) الخلال : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ص ٧٢ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٧ ، ص ٢٤٢ .

(٣) الخلال : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ص ٧٢ .

(٤) الرقي : أحاسن المحاسن ، ص ١٧١ .

(٥) الخلال : الأمر بالمعروف والنهب عن المنكر ، ص ٧١ .

(٦) الخلال : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ص ص ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٢ ، ٧٧ ، ابن قيم الجوزية : أعـلام الموقعين عن رب العالمين ، جـ ٤ ، ص ٤٨٢ .

(٧) أبو يعلى : الأحكام السلطانية ، ص ٢١ ، ابن خلدون ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبـر ، جـ ٣ ، ص ص ٣٠٣ ، ٣٠٤ .

استشرائها وتقليل آثارها ، وللحفاظ على قوام المجتمع وتماسكه ، فعندما ثار السودان [٢] على والي المدينة للمنصور عيسى بن موسى ، وأخرجوه عنها ، وتغلبوا عليها ، قام ابن أبي سبرة في أهل المدينة فدعاهم إلى طاعة الخليفة [٣] ، وقد أثمر هذا الجهد في إنهاء ذلك التمرد ، وإخماد الفتنة [٤] .

وكان الحادث الآخر ببغداد ، في فترة الفوضى التي أعقبت خلع العباسيين المأمون لمبايعته بولاية العهد لعلي الرضا ، فتغلب الذعار [٥] و الشطار [٦] على أهل بغداد ، وعاثوا فيها فسادا ، فقطعوا السبل ، وانتهبوا الأموال [٧] ، وعبثاً حاول أهل بغداد الإستنجاد بالخليفة ، الذي كان حينها في خرا سان ، فاستشعر بعض العلماء مسؤليتهم إزاء الأمة ، فأخذوا على أيدي المفسدين .

ويصف الطبري [٨] الدور الذي قام به العلماء لإخماد هذه الفتنة ، بقوله : « فتوافر أهل الدين والصلاح على منع الفساد وكف عاديتهم ، وقام ببغداد رجل يعرف بـ خالد الدريوش [٩] ، ودعا

---

(١) أبو يعلى : الأحكام السلطانية ، ص ٢١ ، ابن خلدون ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ ٣ ، ص ص ٣٠٣ ، ٣٠٤ .

(٢) السودان جمع أسود ، وهم الرجال السود ، والمقصود بالسودان هنا : العبيد من ذوي البشرة السوداء ، تجمعوا بالمدينة وتمردوا على واليها لنصرة مواليهم وأسيادهم ، ابن منظور : لسان العرب ، جـ٣ ، ص ٢١٤١ .

(٣) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٦ ، ص ص ٢٣١ ، ٢٣٢ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٧ ، ص٣٣٢ .

(٤) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٦ ، ص ٢٣٢ .

(٥) الذعَّار : من المصدر ذعر ، وهو من الذعر ، أي الخوف ، وهم قوم من الناس يخيفون الطريق ، فيعرضون للمارة فيه بالسلب والقتل ، ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٣ ، ص ١٥٠٢ .

(٦) الشطار : جمع شاطر ، ويطلق لفظ الشاطر على السارق وقاطع الطريق ، لأنه يشطر الجيب ليأخذ ما فيه ، كما أطلق على الذين ينسلخون عن أهلهم مخالفين لهم ، وكل هؤلاء يجمعهم الإفساد في الأرض ، ابن منظور : لسان العرب ، ص جـ ٤ ، ص ٢٢٦٣ .

(٧) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٧ ، ص ١٣٦ .

(٨) تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٧ ، ص ص ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، (ذكر بصيغ أخرى لدى) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ١٠ ، ١٥٠ ، ابن خلدون مقدمة ابن خلدون ، ص ص ١٥٩ ، ١٦٠ .

(٩) خالد الدريوش (لم أعثر له على ترجمة) .

الناس إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فأجابه خلق ، وقاتل أهل الذعارة ، فغلبهم ، وعاقبهم ونكل بهم ، ثم قام من بعده سهل بن سلمة الأنصاري [1] فعلق مصحفا في عنقه ودعا الناس إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والعمل بكتاب الله ، ومنع كل من أخاف المارة ، وتتبع الشطار ، ونزل قصر طاهر ، واتخذ الديوان وطاف ببغداد سنة (٢٠١ هـ / ٨١٧م) ، ولم يكن ذلك خروجا على السلطان ، ولكن حفظا للأمن ، وضربا على أيدي البغاة ، يؤكد ذلك ما قاله خالد الدريوش :« إنا لا نعيب السلطان » [2] .

التيار المنعزل عن الحياة السياسية :

الانعزال من الفعل عزلَ ، إذا تنحى ، وهي بمعنى المفارقة ، إعتزلت القوم إذا فارقتهم ، وتنحيت عنهم ، وتعازل القوم إذا انعزل بعضهم عن بعض [3] ، يقول الجرجاني [4] :" هي الخروج من مخالطة الخلق ، بالانزواء والانقطاع " .

وقد بين العلماء فوائد العزلة وأضرارها ، فحدد الغزالي [5] فوائدها بالتفرغ للعبادة والفكر ، والاستئناس بمناجاة الله تعالى ، والتخلص من المعاصي التي تعتري الإنسان بالمخالطة ، واجتناب الفتن و الخصومات ، والخلاص من شر الناس وأذاهم من غيبة ونميمة ، وغيرها .

أما الأضرار المترتبة على العزلة ، فحددها في « الحرمان من الجماعة وثوابها ، إذ أن معظم العبادات في الإسلام قائمة على الجماعة ، وفوت التعليم و التعلُّم ، والنفع والإنتفاع والتأديب والتأدب والاستئناس و الإيناس مع الناس ، والحرمان من ثواب القيام بالحقوق والواجبات إزاء المجتمع » [6] .

---

(١) سهل بن سلامة الأنصاري (لم أعثر له على ترجمة) .

(٢) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٧ ، ص ١٣٨ ، ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ص ١٦٠ .

(٣) ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٤ ، ص ٢٩٣٠ .

(٤) كتاب التعريفات ، ص ١٥٠ .

(٥) إحياء علوم الدين ، جـ٢ ، ص ص ٣٤٠ ، ٣٤٢ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ابن الجوزي : صيد الخاطر ، ص ٤٤٠ .

(٦) الغزالي : إحياء علوم الدين ، جـ ٢ ، ص ص٣٤٢ ، ٣٥٣ .

اتخذ فريق ثالث من العلماء في العصر العباسي الأول ، موقفا إنعزاليا من الحياة السياسية ، فرفض أفراد هذا الفريق العمل للدولة ، وإتيان الخلفاء والأمراء ، أو أخذ هباتهم ، بل واعتزل بعضهم الحياة العامة ، وانقطع إلى طلب العلم والعبادة ، إما بسبب إحباطات عدم الحصول على نتائج عاجلـة لمـا بذلوه من جهد في سبيل تغيير ما شاهدوه من ظواهر غريبة عن الحياة السياسية الإسلامية ، أو لعـدم القدرة على مواجهة الخلفاء والأمراء ، أو خوفا من أن يقعوا فيما عدوه مخالفا لحيـاة الـسلف مـن الصحابة والتابعين ، أو لانعزالهم منذ البداية الحياة الـسياسية ، وانـسحابهم مـن الحيـاة العامـة ، وانقطاعهم إلى العبادة ، وإلى تحصيل العلوم الدينية من جهة أخرى ، وهو ما يمكن أن يندرج تحـت مدلول المشاركة السلبية ، أو التغيير بالقلب إزاء ما شاهدوه وأنكروه من مظاهر الحياة السياسية فـي العصر العباسي الأول .

مثل هذا التيار عدد من العلماء ، كان فيهم إبراهيم بن أدهـم ، وسـفيان الثـوري ، وداود الطـائي ، والفضيل بن عياض ، وسليمان الخواص ، ويوسف بن أسباط ، وحذيفة المرعشي ، وبشر الحـافي ، وآخرين سواهم [١] .

فقد فضل إبراهيم بن أدهم الانعزال عن الناس والسلطان ، على حدٍ سواء ، فكان يدعو غيـره إلـى العزلة ، قائلا :« فروا من الناس فراركم من الأسد الضاري » [٢] ، « ولا تخلفوا عن الجماعة » [٣]، وكان ينهى عن مجرد النظر لأعوان الحكام ، وعد ذلك ضربا من التغيير للمنكر بالقلب [٤] .

وكان ينتقل من بلدٍ إلى آخر بحثا عن العزلة والانفراد ، فترك موطنه خرا سان إلى الشام ، حيث استقر منعزلا في أحد جبالها ، وعندما لامه أحد أقرانه على تركه موطنه خرا سان ، قال : ماتهنيت بالعيش إلا بالشام ، أفـر بديني من شاهق إلى شاهـق » [٥] ، وكـان يرى في ذلك متعة تفوق متعة

---

(١) الغزالي : إحياء علوم الدين ، جـ ٢ ، ٣٣٣ .

(٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، جـ ٣ ، ص ١٦٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٠ ، ١٣٩ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٠ ، ص ١٣٩ .

(٤) أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٨ ، ص ٦١ .

(٥) الغزالي : إحياء علوم الدين ، جـ ٢ ، ٣٤١ ، ابن الجوزي : صفة الصفوة ، جـ ٤ ، ص ١٣٦ .

الملوك بالسلطان ، وهو ما نلمحه من قوله ، وهو يتناول كسرة يابسة من الخبز ، : « لو علم الملـوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم والسرور لجالدونا عليه بالسيوف أيام الحياة » [1] .

ومع اختلاف الأسباب ، ظل سفيان الثوري متواريا طيلة عهدي المنصور والمهدي ، فـي عزلـة يتنقل بين الأمصار ، [2] ، وكان يرى وجوب العزلة إذا فسدت أحوال الناس ، وتبـدلت أخلاقـهم ، وعجز العالم عن تغييرها بيده أو بلسانه ، حيث قال :« هذا زمن السكوت ولزوم البيوت » [3] بـل إنه رآها واجبة حيث تبدلت أحـوال النـ ـاس ، فقـال : « والله الـذي لا إلـه إلا هـو لقـد حلـت العزلة » [4] .

وكان الفضيل بن عياض يفضل الانعزال بعيدا عن الناس ، لان ذلك يقيه الأمراض الاجتماعية ، مثل النفاق والرياء والكذب ، وغيرها [5] ، ولأن العزلة فرصة لمعالجة التوبـة ، وإصـلاح القلـب [6] ، والتفرغ للعلم ، والتفرد للعبادة [7] .

وكان السري السقطي يعتزل الناس ، ويدعو إلى العـزلة [8] ، واعتـزل الخليل بن أحمد [9] عن

---

(١) ابن الجوزي : صفة الصفوة ، جـ ٤ ، ص ١٣٥ .

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ٦ ، ص ص ٣٧١ ، ٣٧٢ .

(٣) القاري : رسالة في تبعيد العلماء عن أبواب الأمراء الظلماء ، ص ٤ .

(٤) الغزالي : إحياء علوم الدين ، جـ ٢ ، ٣٣٤ .

(٥) ابن الخطيب : روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار ، ص ١٢٦ .

(٦) الغزالي : إحياء علوم الدين ، جـ ٢ ، ص ٣٣٣ ، القاري : رسالة في تبعيد العلماء عن أبواب الأمراء الظلماء ، ص ٤ .

(٧) الغزالي : إحياء علوم الدين ، جـ ٢ ، ص ٣٣٣ .

(٨) الرقي : أحاسن المحاسن ، ص ٢١٨ .

(٩) الخليـل بن أحمد الفـراهيـدي ، البصـري ، أحد تابعي التابعيـن ، وإمام العربيـة ومنشئ علم العـروض ، أثنى عليه معاصـروه وعدوه الزهـاد العباد ، يذكر أنـه كان لا يملك شيء من متاع الدنيـا ، وتلاميـ ـذه يكـسبون بعلمه الأموال ، توفي بالبصرة سنة (١٧٠ هـ /٧٨٦م)، الذهبي : سير أعـلام النـبلاء ، جـ ٧ ، ص ص ٤٢٩ ، ٤٣٠ .

الخلفاء في بستان بالجزيرة ، لئلا يضطر إلى مخالطتهم [١] ، وكان عبد الله بـن عـون [٢] يعتـزل الخلفاء ، ويدعوا غيره من الناس إلى ترك مخالطتهم ، والانصراف إلى العبادة [٣] .
وقد أدى هذا الإتجاه من العلماء إلى ظهور الاتجاهات التصوفية ، فكان ، يحيى بن معاذ الرازي أحـد رجال الطريقة الصوفية ، يدعو إلى الخلوة [٤] .

ونخلص مما سبق إلى أن العلماء في العصر العباسي الأول ، تعاملوا مع الحياة الـسياسية وفـق منهج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، في درجات المشاركة ونوعيتها ، وهو منهج أصـيل فـي الحياة الإسلامية .

وأن العلماء انقسموا إزاء الحياة السياسية في العصر العباسي الأول إلى ثلاثة أقسام ، لكـل فريـق منهم موقفه من الحياة السياسية ، وأن العلماء وإن كانوا إلى حدٍ كبير قد اتفقوا في مواقفهم من الحيـاة السياسية في العصر العباسي الأول ، إلا انهم انقسموا في طرائق وأساليب التعبير عن هذه المواقف ، وفي الأدوار التي قاموا بها في الحياة السياسية ، فمنهم من اتخذ أسلوب المشاركة المباشرة في أجهـزة الدولة وقام بدوره من خلالها ، وهو ما يندرج في منهج تغيير المنكر ضمن مفهـوم التغييـر باليـد ، ومنهم من رفض العمل في أجهزة الدولة ، لكنه ظل يشارك في الحياة السياسية من خلال ما يقدمه من نصح ووعـظ وتوجيه للخلفاء والأمراء ، وفق منهج هادئ ، وهو ما يدخل ضـمن مفهـوم التغييـر باللسان ، لكن الفريقين كانا مع ذلك ضمن التيار الموافق للخلفاء .

وأنَّ ثمة فريـقا من العلماء لم يضن بتوجيهـاته ونصائحه للخلفـاء ، رغم معارضته لجوانب من

---

(١) العسكري : كتاب الأوائل ، ص ٣٠١ .

(٢) عبد الله بن عون بن أرطبان ، يكنى بأبي عون ، من الموالي ، إذ كان من موالي مزينة ، أحد تـابعي التـابعين بالبصرة ، ومن علمائها ، كان من أورع معاصريه من العلماء ، توفي سنة (١٥١ هـ - / ٧٦٨ م) ، ابـن حبـان : مشاهير علماء الأمصار ، ص ١٥٠، السيوطي : طبقات الحفاظ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ، ص ٧٦ .

(٣) ابن الجوزي : صفة الصفوة ، جـ ٣ ، ص ٢٠٩ .

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ٦ ، ص ص ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ .

سياساتهم ، إلا أنه كان يقدمها ضمن قالب قاسٍ شديدٍ ، فاتسم أسلوبه بالغلظة والعنف ،إلا أنه لم يصل إلى الخروج على الخلفاء ، وأن فريقا ثالثا من العلماء اتخذ منهجا انعزاليا عن الحياة السياسية ،وعـن الحياة العامة أحيانا ، وإنما انقطع أفراده إلى العبادة ، أو انصرفوا إلى تحصيل العلـوم ، وربمـا أدت إحباطات عدم الحصول على نتائج عاجلة في تغيير ما رأوه منكرا في الحياة السياسية إلى اعتزالهـا ، فضلا عن أن بعض أفراد هذا الفريق من العلماء ، اعتزلوا الحياة العامة منذ البداية ، وانقطعوا إلـى العبادة ، وإلى تحصيل العلوم ونشرها، وما قام به هذا الفريق يدخل في منهج تغيير المنكر في سـياق التغير بالقلب .

الفصل الرابع
دور العلماء في الأحداث والقضايا السياسية في العصر العباسي الأول

الفصل الرابع

"دور العلماء في الأحداث والقضايا السياسية في العصر العباسي الأول"

أولا :- أساليب تداول السلطة

١- ولاية العهد :

أ- موقف العلماء من خلع ولي العهد .

ب- موقف العلماء من البيعة .

ثانيا : موقف العلماء من المعارضين للعباسيين

١-العلويون :

أ-مبررات معارضة العلويين وخروجهم .

ب-الحركات العلوية الخارجة على العباسيين.

- حركة محمد النفس الزكية .

موقف العلماء من حركة محمد النفس الزكية

٢- حركات ذات طابع عصبي وإقليمي .

٣- دور العلماء في مواجهة حركة الزندقة .

ثالثا : دور العلماء في مواجهه فتنه القول بخلق القرآن

١- العوامل التي أدت إلى ظهور فكرة القول بخلق القران :

أ - التأثيرات اليهودية والمسيحية .

ب - أثر ترجمة كتب الفلسفة .

ج- أثر المعتزلة .

١-القول بخلق القران قبل المأمون .

٢-حيثيات تبني الدولة القول بخلق القران .

٣-تدرج الدولة في أسلوب عرض القول بخلق القران .

٤-تدرج الدولة في دعوة الناس إلى القول بخلق القرآن .

٥-المرحلية والتدرج من حيث أساليب الضغط لحمل الناس على القول بخلق القران :

أ- قصر العمل في أجهزه الدولة على القائلين بخلق القران وعزل ما دونهم .

ب- إيقاف أعطيات المخالفين للدولة في القول بخلق القران وأرزاقهم .

جـ -قصر الفداء للأسرى على من يقول بخلق القران .

د-الضغط من خلال وسائل العقاب النفسية والجسدية :

التهديد ، الحبس ، الضرب والتعذيب ، القتل .

١-دور العلماء في مواجهه فتنة القول بخلق القران :

أ- نظرة العلماء إلى القائلين بخلق القران

ب- موقف العلماء من المحنة في القران :

١- فريق اتخذ منهج القضية فقال بخلق القران .

٢- فريق ثبت على قوله بنفي خلق القران

* مغزى ثبوت العلماء وعدم أخذهم بمبدأ التقية .

رابعا : دور العلماء في السياسة الخارجية للدوله العباسية:

تقسيم الأرض إلى دار إسلام ، دار حرب ، دار عهد .

١-العلاقات مع الدولة البيزنطية .

أولا: العلاقات الحربية :

- جهود العلماء في تنظيم العلاقات الخارجية في أوقات الحروب .

أ- نهي العلماء عن مهاجمه العدو قبل عرض الإسلام أو الجزية عليه

ب- نهي العلماء عن التخريب في دار الحرب.

جـ- نهي العلماء عن قتل النساء والأطفال والشيوخ والرهبان في الحرب.

د- دور العلماء في بيان كيفية التعامل مع الأسرى.

هـ- دورالعلماء في بيان كيفية التعامل مع الجواسيس ونقله الأخبار.

ثانيا: العلاقات السلمية .

٢- العلاقات مع الإمبراطورية الرومانية المقدسة .

٣- العلاقات مع دار العهد (قبرص) .

خامسا : موقف العلماء من استعمال أهل الذمة في أجهزه الدولة .

١- وضع أهل الذمة في العصر العباسي الأول .

٢-عمل أهل الذمة في تطبيب الخلفاء .

٣-عمل أهل الذمة في الوظائف المالية والإدارية ، وفي خدمة الخلفاء .

٤-موقف العلماء من استعمال أهل الذمة في أجهزة الدولة .

سادسا : نكبات الخلفاء للوزراء والكتاب وموقف العلماء منها .

سابعا : موقف العلماء من التقاليد التي ابتدعها العباسيون .

مفهوم البدعة .

١ - احتجاب الخلفاء .

موقف العلماء من احتجاب الخلفاء .

٢ - تقبيل أيدي الخلفاء والقيام لهم .

٣ - تنحية الناس عن البيت عند طواف الخليفة .

٤ - استخدام الدولة للحبس .

٥ -إباحة المتعة .

٦ - سماع الخلفاء للغناء .

أولا : أساليب تداول السلطة :

لم يحدد الإسلام طريقه بعينها لتداول السلطة ، بل ترك الأمر في ذلك للمسلمين ليختاروا الأسلوب الأنسب ، بحسب الظروف الواقعية التي يعيشونها ،على أن لا يخرج هذا الإختيار عن مبدأ الشورى .

وإذا ما ارتددنا إلى الوراء قليلا ، إلى عهد النبوة والخلافة الراشدة ، وتجاوزنا حدود الزمان والمكان سنجد أنفسنا إزاء نماذج متنوعة لتداول السلطة ، تباينت بين ترك الأمر للمسلمين يختارون خليفتهم ، كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم ، وبين تولية الخليفة القائم من يخلفه على المسلمين ، كما فعل أبو بكر الصديق بعد أن شاور فيه من كان بالمدينة من الصحابة ، وبين حصر الأمر في جماعة من أعيان المسلمين ، ليختاروا من بينهم إماما للأمة ، كما فعل عمر بن الخطاب قبيل موته ، وبين التغلُّب كما فعل معاوية بن أبي سفيان ، بعد أن رجحت كفتة في النزاع مع علي بن أبي طالب .

ومع تنوع أشكال تداول السلطة في عهد الخلفاء الراشدين ، فان كل هذه التجارب قد اشتملت ، بنسب متفاوتة ، على قدر من الشورى والمشاركة للامة في اختيار خليفتها .

ولاية العهد :

المقصود بالولاية هنا الإمارة ، قال ابن السكيت حق السلطان [1] ، وحددها سيبويه [2] بأنها اسم لما توليته وقمت به ، ومنها الوالي[3] ، والعهد ، الوصية التي تكتب للولاة ، ويأتي

---

(١) ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٦ ، ص ٤٩٢ .

(٢) سيبويه ، عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسي البصري ، يكنى بأبي بشر ، عالم النحو والعربية ، فقد ساد أهل عصره فيهما ، رغم أنه ليس عربي ، توفي سنة (١٨٠ هـ / ٧٩٦م) ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٨ ، ص ص ٣٥١ - ٣٥٢ .

(٣) ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٦ ، ص ٤٩٢٠ .

كذلك بمعنى الموثق واليمين ، ويقال ولي العهد لأنه ولي الميثاق الذي يؤخذ علـى مـن بـايع الخليفة [١] ، فتكون ولاية العهد، على ذلك، انعقاد الأمر للخليفة بعهد من الخليفة قبله .

لعل أول ظهور لولاية العهد، أو مايمكن عده ولاية للعهد في الإسلام كان على يد الخليفة أبي بكر الصديق ، عندما استخلف عمر بن الخطاب [٢] ، بعد أن شاور فيه من كان بالمدينة من المسلمين [٣] ، ثم كرره ولكن بشكل أوسع الخليفة عمربن الخطاب لمَّا عهد بالأمر إلى ستة مـن كبار الصحابة ليختاروا من بينهم خليفة [٤] ، وفي عهد الدولة الأموية سار خلفاؤها على اختيار أولياء العهد في حياتهم ، وشذ عن ذلك معاوية بن أبي سفيان ، ومروان ابن الحكم [٥] ، ويزيـد بن الوليد ومروان بن محمد ، فقد أتى هؤلاء إلى الخلافة بالتغلب .[٦]

حافظ العباسيون على تقليد ولاية العهد الذي ورثوه عن الأمويين ، ولم يغيروا فيـه كثيـرا بالرغم من قيامهم على مبررات تغييره ، ولم يبتدعوا شيئا جديدا فيه [٧] ، سوى أنهـم سـوَّغوا حقهم في الخلافة بوصفهم منتسبين للبيت النبوي .

ومع ذلك فقد تدخلت بعض العوامل في تحديد ولي العهد ، في البيت الواحد ، كـان أهمهـا العصبية ، والأهواء ، وليس أدل على ذلك من تقديم الرشيد للأمين ، بالرغم مـن إدراكـه أن المأمون هو الأجدر بالخلافة والأقدر على القيام بأعبائها وعلمه بضعف همة الأمين وانسياقه مع

---

(١) ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٤ ، ص ٣١٤٨ .

(٢) العسكري : كتاب الأوائل ، جـ ٤ ص ١٢٠ ، ابن حزم : نقط العروس في تواريخ الخلف ، (رواية الحميدي) ، تحقيق شوقي ضيف ، مطبعة القاهرة ، القاهرة ، ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م ص ٥٥ .

(٣) ابن قتيبـة : الإمـامة والسيـاسـة، جـ١، ص٣٧ ، الكنـاني : حسن السلـوك الحافـظ لدولة الملوك ، ص ١١١ .

(٤) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ، جـ ١ ، ص ص ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ .

(٥) المصدر نفسه ، جـ١ ، ص ٢١ ، ٢٢ .

(٦) أنظر عمر أبو النصر : الأيام الأخيرة للدولة الأموية ، ص ص ٢٣٣ - ٢٣٤ .

(٧) حسن أحمد محمود : العالم الإسلامي في العصر العباسي ، ص ١٢٦ .

أهوائه[1] ، وقد لخص الأسباب التي دفعته لتقديم الأمين على المأمون ، في دعم بنـي العبـاس للأمين ، وهم حينذاك عصب الدولة ، وإرضاء لزوجته ، الحظيه لديه زبيـدة حيث قـال : « أني لأعرف في عبد الله المأمون حزم المنصور ونسك المهدي ، وعزة الهادي ، ولو أشـاء أن أنسبه إلى الرابع - يعنى نفسه - لنسبته ، وقد قدَّمت محمد الأمين ، وأني لأعلم أنه منقاد إلـى هواه ، مبذر لما حوته يداه ، يشارك في رأيه الإماء والنساء ،ولولا أم جعفر (زبيدة) وميل بني هاشم لقدمت عبد الله عليه »[2] ، فبذر الرشيد بذلك أولى بذور الخلاف بين ولديه ، فكان ذلـك أول وهن في دوله بني العباس في مسألة ولاية العهد .

وإذا ما أردنا الحديث عن دور العلماء أو حتى مواقفهم من ولاية العهد في العصر العباسـي الأول ، وتفحصنا المصادر التاريخية ، فان هذه المصادر لا تعطينا صورة واضحة عـن أدوار قاموا بها ، اللهم إلا في أوقات محدودة عندما يتعلق الأمر ببيعة الخليفة المختار من قبل سـلفه ، وهو إقرار لوضع قائم ، ويبدو أن العباسيين مع تقديرهم للعلماء ، فضلوا أن يبقوهم بعيدين عن هذا الأمر ،إذ تشير المصادر إلى أنهم كانوا يستأنسون في اختيارهم لولي العهد بالوزراء وكبار القادة ، وغيرهم من رجال الدولة .[3]

وصحيح أن العلماء من الناحية النظرية قد رأوا أن تعيين ولي العهد من الخليفة القـائم لمـن يقوم بعده ،لا يعطيه شرعية في الخلافة، إذ لا يعدو كونه ترشيحا، وإنما يكتسب الخليفة الشرعية بالبيعة ، الخاصة والعامة من المسلمين ، إلا أنه من الناحية العملية كان هذا الترشـيح تنـصيبا للخليفة ،وكانت البيعة تحصيلا لحاصل ، وإقرارا لأمر واقع ،إذ لم يحـدث أن تـدخَّل العلمـاء

---

(١) موسى بن يوسف : كتاب واسطة السلوك في سياسة الملوك ، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ي ٦٩٣٨ ، سياسة ص ٣٠ .

(٢) ابن أعثم : كتاب الفتوح ، جـ ٨ ، ص ٢٦٣ ، السيـوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ص ٣٣١ ، ٣٥٠ ، الكناني : نهـج السلـوك إلى معـرفة سيـر الخلفـاء والملـوك ، ص ٢٥٤ ، الأربلـي : خلاصة الذهـب المسبوك ، ص ٢٥٤ .

(٣) عندما عزم الرشيد نقل ولاية العهد من بعده ، استدعى جعفر بن يحيى ، واستشاره في الأمر ، انظر ، ابن أعثم ، كتاب الفتوح ، جـ ٨ ، ص ٢٦١ .

بصورة واضحة للإعتراض على أي من أولياء العهد ، باستثناء بعض التلميحات المبطَّنة التـي كانوا يوحون بها إلى بعض الخلفاء ، ومن ذلك ما قاله عمرو بن عبيد للمنصور عندما قدَّم له

ابنه وولي عهده المهدي ، قائلا هذا ولي عهد المسلمين ، فقال له عمرو بن عبيد : « رضيت له أمرا يصير إليه إذا صار وقد شغلت عنه " [1] ، في إشارة إلى أنه محاسب عن هذا الاختيـار ، لأنه اختيار للأمة بأسرها ، فإن كان فيه محاباة لقرابته ، وانسياق مع عواطفه ، فإنـه بـذلك يكون قد غش المسلمين ، وتبع هواه ، خصوصا إذا لم يكن ولي العهد أهلا للخلافة .

ويبدو أن العلماء كانوا يدركون التبدلات التي اعترت المجتمع المسلم بين عصري الراشـدين والعباسيين ، ويعلمون أن ثمة متغيرات قد طرأت على الحياة السياسية للمجتمع لا يمكن إغفالها ، ولعل من أهمها انبعاث الروح العصبية من جديد ، وسيطرة الأهواء،فقد سئل علي بـن أبـي طالب:« ما بال المسلمين اختلفوا عليك ولم يختلفوا على أبي بكر وعمر؟ فقال:« كانا واليين علي وعلى مثلي وأنا اليوم واليا على مثلك[2] "،وهو ما أكده ابن خلدون ، عندما أعزى تحول الخلافة من الشورى إلى الوراثة بتبدل أحوال المجتمع فقال : « ولا يعاب عليهم (يعنـي الخلفـاء)إيثـار أبنائهم وإخوانهم وخروجهم على سنن الخلفاء الأربعة في ذلك ، فشأنهم غير شأن أولئك الخلفاء ، فأنه من لدن معاوية كانت العصبية قد أشرفت على غايتها من الملك ، والـوازع الـديني قـد ضعف، واحتيج إلى الوازع السلطاني والعصباني فلو عهد إلى من لا ترتضيه العصبية رد ذلك العهد،وانتقض أمره سريعا وصارت الجماعة إلى الفرقة والاختلاف [3]،وليس أدل على ذلك مما حدث عندماعهد المأمون بولاية العهد إلى علي بن موسى الرضا سنة(٢٠١هـ ـ/١٨١٧م) [4] إذ

(١) الجاحظ : البيان والتبيين ، جـ ٤ ، ص ١٢٨ .

(٢) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ص ٢١١ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) ابن أعثم : كتاب الفتوح ، جـ١ ص ص ٣٢٣ ، ٣٢٤ ابن خلكان وفيات الأعيان ، جـ ٣ ، ص ص ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٩ ،ص ص ٣٨٨ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، جـ ١٠ ، ص ٢٨٤ ، ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢١١ .

عارض العباسيون - وهم عصبية الدولة - هذا الإجراء ، فثاروا على المأمون ، ونقضوا بيعته ، وبايعوا لعمه إبراهيم بن المهدي [1]، وكان لذلك تبعات خطيرة على الدولة والمجتمع ، فقد اهتز كيانها، فقطعت السبل ، وعاث الذعار والشطار في الأرض الفساد[2] ، ونرى أن هذا أحد الأسباب التي حملت العلماء على السكوت عن أساليب تداول السلطة في العصر العباسي الأول .

أ- موقف العلماء من خلع ولي العهد:-

من الجدير بالذكر أن ولاية العهد في العصر العباسي الأول كانت تعقد لأكثر من شخص بالترتيب ، وأن ولي العهد كان يعمد بعد توليه الخلافة إلى خلع ولي عهده ، واستبدال آخر به غالبا ما يكون ابنه ، وكان هذا يؤدي ،في كثيرمن الأحيان إلى،اضطرابات ، وإلى خلافات داخل البيت العباسي ، فقد عمد المنصور بعد توليه الخلافة إلى خلع ولي عهده عيسى بن موسى وتقديم ابنه محمد المهدي سنة (١٤٧هـ / ٧٦٤م) ، على أن يلي عيسى بن موسى الخلافة بعد المهدي[3] ، وعندما ولي المهدي الخلافة كررالشيء ذاته ، فعمد إلى خلع عيسى وتقديم ابنه الهادي[4] بعد أن مارس على عيسى بن موسى ضغوطا نفسية ومادية ، حتى تنازل عن حقه في ولاية العهد[5] .

---

(١) ابن أعثم : كتاب الفتوح ، جـ ١ ، ص ٣٢٤ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٩ ، ص ٣٩٠ ، العبر في خبر من غبر ، جـ١ ، ص ٢٦٢ ، ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢١١ ، أنظر كذلك : أحمد وابراهيم زكي خورشد : دائرة المعارف الاسلامية ، مطبعة الشعب ، القاهرة ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م ، ص١٧٤ .

(٢) ابن خلدون : المقدمة ، ص ١٥٩ ، ١٦٠ ، ٢١١ ، الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ ١ ص ٢٦٢ .

(٣) الطبري : تاريخ الأمم والملوك جـ ٦ ص ٢٨٣ ، الدوادري : كنز الدرر وجامع الغرر ، جـ ٥ ، ص ٣٨ .

(٤) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ٦ ، ص ٣٥٧ ، ابن حزم : نقط العروس في تواريخ الخلفاء ، ص ٥٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٠ ، ص ١٣٠ ، ابن خلدولان : العبر وتاريخ المبدأ والخبر ، جـ ٣ ، ص ٥٥ .

(٥) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٦ ، ص ٣٥٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٠ ، ص ١٣٠ .

ويبدوأن ذلك أصبح تقليدا بين خلفاء العصر العباسي الأول ،إذ حاول موسى الهادي خلع أخيه هارون الرشيد من ولاية العهد ، وعقدها لابنه [١]، والشيء ذاته فعله محمد الأمين مع أخيه عبد الله المأمون [٢].

وإذا ما حاولنا البحث عن أدوار للعلماء أو مواقف مما كانوا يشاهدون من خلع أولياء العهد وتبديل آخرين بهم ، إيثارا من الخلفاء لأبنائهم ، فإن ثمة مشكلة تواجهنا ، تتمثل في شحة المادة التاريخية عن هذا الموضوع ، والتي نظنها ترجع إلى ، ما ذكرناه سالفا ، من رغبة الخلفاء في أن يبقى العلماء بعيدين عن مسألة تداول السلطة ، وأن هذا الأمر ظل محصورا في البيت العباسي مع مشاركة بعض كبار رجال الدولة ، فالأمين عندما عزم على خلع المأمون وتنصيب ابنه موسى، إنما شاور في الأمربطانته المتمثلة في الفضل بن الربيع وعلي بن عيسى بن ماهان ،وآخرين ، فحسّنوا له الأمر [٣] ، لأنهم أرادوا بذلك تحقيق مصالحهم السياسية الخاصة ، بغض النظر عما قد يلحق الدولة والأمة ، وغادر في الوقت ذاته النصائح التي خصه بها بعض المخلصين من أعوانه ،مثل خازم بن خزيمة [٤]

---

(١) الدواداري : كنز الدرر وجا مع الغرر ، جـ٥ ، ص ص ٦١ ، ٦٢ ، ، ابن واردان : تاريخ العباسيين ، ص ٦٩ ، مجهول : العيون والحدائق ، ص ٢٠٥ ، أنظر حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي ، جـ ٢ ، ص ٤٦ .

(٢) الدينوري : الأخبار الطوال ، ص ص ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، جـ ٢ ، ص ٤٣٦ .

(٣) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٤٣٦ ، الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٦ ، ص ص ٥٥٢ ، ٤٣٦ ، ابن أعثم : كتاب الفتوح جـ ٨ ص ٢٩٥ ، الخطيب : تاريخ بغداد ، جـ ٣ ، ص ٣٣٩ ، ابن وادران : تاريخ العباسيين ص ٢٤٢ ، مجهول : العيون والحدائق ص ٣ .

(٤) ابن وادران : تاريخ العباسيين ، ص ص ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، خازم بن خزيمة النهشلي ، أحد كبار قادة العباسيين ، شارك في قيادة جيوش الثورة ، ثم أصبح من كباررجال الدولة العباسية ، فاستخدمه ابو العباس لإخضاع ابن هبيرة ، ثم لقتله فيما بعد ، كما وجهه أبو العباس لإخضاع تمرد بعض : أهل الشام بقيادة بسام بن إبراهيم ، فهزمه ، وأنهى تمرده ، ثم بعثه المنصور لمواجهة إبراهيم بن عبد الله بن الحسن البصري ، فانتصر عليه وقتله ، كما بعثه المنصور سنة (١٥٠ هـ / ٧٦٧ م) لمواجهة تمرد أستاذ سيس في هراة ، وكان من=

وإسماعيل بن صبيح [١] ، و أحمد بن سالم[٢] ، بعدم خلع أخيه [٣] .

وإذا كان ثمة من أدوار للعلماء فهي أدوار محدودة ، وثانوية ، إذ يذكر أن بعض العلماء تدخلوا لفض النزاع الذي كاد ينشب عندما ما أراد المنصور تقديم ابنه المهدي على عمه عيسى ابن موسى ، فلم يروا أن تصرف ولاية العهد عنه قسرا ، بل اشترطوا رضاه ، وقد انتهى الأمر إلى استرضائه وتنازله[٤] ، وهو موقف توفيقي ، أمام حزم المنصور ، وضعف عيسى بن موسى إذ لم يكن بوسعهم منع المنصور من خلع عمه من ولاية العهد ، وهو ما المح إليه بعد ذلك شريك بن عبد الله ، عند عزلة الرشيد عن قضاء الكوفة ، وشيعه موسى بن عيسى (والي الكوفة) بقوله : " ما صنع أمير المؤمنين بأحدٍ ما صنع بك ؟! فقال شريك معرضا بأبيه عيسى : " هم أمراء المؤمنين يعزلون الولاة ويخلعون ولاة العهود ، فلا يعاب ذلك عليهم " .[٥]

من ناحية أخرى قد يعزى هذا الإحجام من العلماء عن التدخل لدى الخلفاء في مسألة خلع أولياء العهد ، لاعتقادهم أن ذلك من سلطات الخليفة المبايع إذ يصبح من حقه بحكم الولاية العامة على المسلمين أن يعهد بولاية العهد إلى من يرتضيه وأن يصرفها عمن كان مرتبا معه ،

=قواد الرشيد المخلصين ومن المقربين إلى الأمين وقد حاول ثنيه عن خلع أخيه المأمون من ولاية العهد ، ثم اعتزل الفتنة التي نشبت فيما بينهما وتوجه إلى المدائن ، الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٥ ، ص ٨ ، الخطيب : تاريخ بغداد ، جـ ١ ، ص ٨٩ ، المزي ، تهذيب الكمال ، جـ ٨ ، ص ٨٨ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٦ ، ص ٢٢١ ، جـ ٩ ، ص ٣٣٩ .

(١) الدينوري : الأخبار الطوال ، ص ص ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، إسماعيل بن صبيح اليشكري الكوفي : أحد علماء الكوفة ، أحد العلماء الثقاة الحفاظ ، كان بصحبة المأمون ، توفي سنة (٢١٧ هـ / ٨٣٢ م)، الذهبي : : تاريخ الإسلام ، جـ ١٥ ، ص ٧٦ .

(٢) احمد بن سالم الشافعي ، يكنى بأبي العباس ، أحد تابعي التابعين بالكوفة ، ثم انتقل إلى بغداد ، كان مقربا من الأمين ، توفي سنة (٢٥٨ هـ / ٨٧٢م) ، المزي : تهذيب الكمال ، جـ ٧ ، ص ٣٣٢ .

(٣) ابن وادران : تاريخ العباسيين ، ص ٢٥٠ .

(٤) الطبري : تاريخ الأمم والملوك جـ ٦ ص ٣٥٩ ، الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ١٤ .

(٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ٢ ، ص ص ٤٦٤ ، ٤٦٧ .

ويكون هذا الترتيب مقصورا على من يستحق الخلافة ،« فالخليفة عام الولاية نافذ الأمر ، فكان حقه فيها أقوى وعهده بها أمضى ، وهو ما أكده الشافعي وتابعه عليه جمهـور الفقهـاء »[1] ، أضف إلى ذلك رغبة العلماء أنفسهم في عدم الخوض في قضايا ، هم يرون أنهم استبعدوا منها منذ البداية ، وأنها من مداخل الفتن بين المسلمين ، فضلا عن زهد العلماء أنفسهم في ذلك .[2]

ب- البيعة :-

البيعة هي الصفقة على إيجاب البيع ، وعلى المبايعة والطاعة ، وهي المعاقدة والمعاهدة ، بمعنى أن كل واحد من المتبايعين باع ما عنده من صاحبه ، وأعطاه خالصة نفسه وطاعته ، ودخيلة أمره[3] ، والعهد على الطاعة [4] ، إذ يتعهَّد الحاكم بحكم الأمة بموجب أحكام الإسلام ، وتتعهد الأمة ، بطاعة الحاكم والامتثال لأمره ، في غير معصية الله .

وهناك بيعتان إحداهما خاصة يبايع فيها أهل الحل والعقد ، المعهود له من الإمـام ، وأخـرى عامة يبايع فيها عامة المسلمين من اختاره الإمام وبايعه أهل الحل والعقد ، الذين وضع لهم العلماء شروطا ثلاثة ، تتمثل في العدالة ، والعلم ، وحسن الرأي والحكمة . [5]

والحق أن الخلفاء العباسيين لم يعنوا بأهل الحل والعقد عناية حقة ، إذ لم يكن هؤلاء من كبـار العلماء وأهل التقوى كما كان الأمر في عهد الراشدين ، وهو ما عبر عنه ابن أبي ذئب للمنـصور عندما أنتقد من أسماهم المنصور بأهل الحل والعقد ، فقال : " إن الخلافة تكون بإجماع أهل التقوى ، وأنت وأعوانك خارجون من التقوى " [6] ، وإنما كان الخلفاء يكتفون باستشارة العلماء لإضـفاء الصفة الشرعية على البيعة وعلى ولي العهد ، فكان الخلفاء يحرصون على أخذ البيعة لولي العهـد

(١) الماوردي : الأحكام السلطانية ص ٣٥ ، ٣٦ .

(٢) أبو نعيم : حلية الأولياء جـ ٨ ص ١٠٩ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد جـ ٣ ص ١٠٧ .

(٣) ابن منظور : لسان العرب جـ ١ ص ٤٠٢ .

(٤) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ص ٢٠٩ .

(٥) الماوردي : الأحكام السلطانية ص ١٧ .

(٦) الشيرازي : تهذيب الرياسة وترتيب السياسة ص ٤٩ .

في الموسم حيث يجتمع العلماء وعامة الناس ، فعندما عقد الرشيد البيعة للأمين والعهد للمـأمون ، توجه إلى مكة ، وأشهد عليها العلماء فكان ممن شهدها الشافعي .[١]

نظر العلماء إلى البيعة - بوصفها عقد ينظم العلاقة بين الخليفـة والرعيـة - نظـرة احتـرام وإجلال ، مطالبين كلا من الخلفاء والناس الالتزام بمقتضاها ، حتى أن بعضهم توارى عن الخلفـاء لئلا يبايع ، لأنه إن بايع ، أصبح في عنقه بيعة توجب الطاعة [٢] ، وعابوا ما اعترى البيعـة مـن تبدلات وأحوال لم يشهدها عهد الخلفاء الراشدين ، مثل الإكراه ، وأخذ الإيمان المغلظـة [٣] علـى الناس للخليفة المبايع .

انتقد العلماء خلفاء بني العباسي إزاء هذه المتغيرات التي طرأت على البيعة ، فعدوا إكراه الناس على البيعة ناقضا لها ، فأفتى مالك بن أنس ببطلان البيعة للمنصور على من أكرهوا عليهـا [٤]، واستشهد بحديث النبي صلى الله عليه وسلم " رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما أكرهوا عليه " [٥] فقال :" ليس على مكره يمين ولا بيعة " [٦] ، وقد شعر المنصور بخطورة هذه الفتوى لأنها تقوض

---

(١) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ٦ ، ص ٤٧٥ ، ابن أعثم كتاب الفتوح ، جـ ٨ ، ص ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ البيهقي : مناقب الشافعي ، جـ ١ ، ص ١٥٧ ، مجهول : العيون والحدائق ، ص ٢١٨ ، أنظر كذلك البدري : الإسلام بين العلماء والحكام ص ١٥ .

(٢) عندما بايع الناس المنصور في الحرم احتال سفيان الثوري حتى خرج من المسجد لئلا يبايع ، ابو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٧ ، ص ٤٥ .

(٣) كان الحجاج بن يوسف أول من أحدث في الإسلام بيعة تتضمن اليمين بالله تعالى وبالطلاق والعتاق ، وصدقة المال والحج ، ابن قيم الجوزية ، جـ ٣ ، ص ص ٩٥ ، ٩٦ .

(٤) ابن قتيبة:الأمامة والسياسة،جـ٢ ، ص ص ١٩٩، ٢٠٠،الذهبي: سيرأعلام النبلاء ، جـ ٨ ، ص ص ٧٩، ٨٠ .

(٥) رواه البهيقي : في سننه ، كتاب الأقرار ، باب من لا يجوز إقراره حديث رقم (١١٢٣٦) ، حققه محمد عبد القادر عطا ، مكتبة دار الباز ، مكة المكرمة ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م ، جـ ٦ ص ٨٤

(٦) ابن قتيبة : الأمانة والسياسة جـ٢ ص ص ١٩٩ ، ٢٠٠ ، الفهرست . ص ٢٤٧ ، ابن الجوزي : مناقب الإمام أحمد ابن حنبل ص ص ٣٠١ ، ٣٠٢ ، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢م ، جـ ٨ ص ٦٤ ، مرعي بن يوسف : تنوير بصائر المقلدين ، ص ٥٢.

أركان دولته ، خصوصا وأنها وافقت خروج محمد النفس الزكية بالمدينة الذي دعـا إلـى نفـسه بالخلافة ، فأسرع إليه كثير من أهل المدينة على ضوء فتوى مالك بن أنس(١) وإن كان المنصور قد ناله بشيء من العذاب على يد واليه جعفر بن سليمان(٢) .

ونهى الشافعي عن أيمان البيعة ، وأفتى بعدم لزومها لأنها لم تؤثرعن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن الخلفاء الراشدين ، وإنما استحدثت فيما بعد .(٣)

نخلص مما سبق إلى أن العلماء لم ينتقدوا أسلوب ولاية العهد بذاته في تبادل السلطة في العصر العباسي الأول بل أقروه ، وأصَّلوه (٤) ، حفظا لوحدة الأمة ومنعا لانفراط عقدها وإنما عابوا علـى بعض الخلفاء تدخل الأهواء وعوامل أخرى في اختيار ولي العهد ، وعدوا ذلك غـشا للأمـة وأن الخلفاء كانوا يفضلون أن يبقى العلماء بعيدين عن مسألة تداول السلطة ، وإنما استعانوا فـي ذلـك بالوزراء وكبار رجال الدولة ، ولذلك فإن هذا الجانب من الحياة السياسية قد شهد أحداثا كبيرة كان منها ماهزًّ العصر العباسي الأول ، ومع ذلك فقد ظلت للعلماء بعض الأدوار ، منها ما كان نظريا ومنها ما كان عمليا ، وان كانت في نطاق محدود .

كما انتقد العلماء بعض المتغيرات التي طرأت على البيعة ، مثل إكراه الناس ، وأخذهم بالأيمـان المغلظة على الطاعة ، وعدوا ذلك من نواقض البيعة .

---

(١) ابـن قتيبـة : الأمامـة والسيـاسـة جـ ٢ ص ص ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ابـن الجـوزي : المـنتظـم جـ ٨ ، ص ٦٤ .

(٢) ابن قتيبة : الأمامة والسياسة ، جـ ٢ ، ص ص ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ابن النديم : الفهرست ، ص ٢٤٧ ، مرعي بن يوسف : تنوير بصائر المقلدين ، ص ٥٢ .

(٣) ابن قيم الجوزية : إعلام الموقعين عن رب العالمين ، جـ ٣ ، ص ص ٩٥ ، ٩٦ .

(٤) الماوردي : الأحكـام السلطانيـة ص ٢٨ ، أبـو يعلى : الأحكام السلطانيـة ، ص ص ١٩ ، ٢٠ ، البهيقي : مناقب الشـافعي جـ ١ ص ص ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، انظـر كذلك أبـو زهرة : بن حنبل حياته وعصره ، ص ص ١٤٩ ، ١٥٠ ، أنس هارون عبد المجيد : أساليب المواجهة السياسية للعباسيين تجاه الخارجين في العصر العباسي الأول ، ص ٢ .

ثانيا:- موقف العلماء إزاء المعارضين للعباسيين :-

شهد العصر العباسي الأول ظهور بعض حركات المعارضة ضد الدولة العباسية ، منها ما كان ذا طابع سياسي ، ومنها ما كان ذا طابع فكري ومنها ما كان ذا طابع عصبي ، انفعالي ، وقد استنفذت هذه المعارضة جزءا كبيرا من جهد الدولة وإمكاناتها في العصر العباسي الأول .

غير أن أهم هذه الحركات وأخطرها على الدولة هي الحركات العلوية ، التي كانت تنطوي علـى الاعتقاد بأن آل علي هم أحق الناس بالخلافة وأن العباسيين غصبوهم ذلك الحق .

وكان أخطر الحركات ذات الطابع الفكري حركة الزندقة ،التي اسـتهدفت بالـسخرية والـتهكم، الإسلام في عقيدته وشريعته وقيمه وتعاليمه ، كما ناصبت العرب العداء ، فعرضت مثالبهم .

إلى جانب بعض الحركات الخارجة عن العباسيين تحت لواء العصبية والثأر والتـذمر، إلا أنهـا اتسمت بالفردية ، وسرعان ما كانت تنتهي بانتهاء أسبابها .

وقد تباينت مواقف العلماء من هذه الحركات بحسب ما يستشعرون فيها من خطر على الإسـلام ودولته .

١- العلويون :-

كان اسم العلويين في العصر العباسي الأول يعني كل المنتسبين إلى علي بن أبي طالب كـرم الله وجهه ، وإن انسحب بعد ذلك على كثير من شيعتهم الذين ناصروهم ضد العباسيين .

أ- مبررات معارضة العلويين وخروجهم :-

ظن العلويون أنهم المقصودون بالرضا من آل محمد ، إبان الدعوة العباسـية الـسرية ، فهيـؤا أنفسهم للخلافة ، بعد طول إنتظار ، لكن ما لبث أن تبدد هذا الأمل بعد ما تبين أن الرضا مـن آل محمد من العباسين ، وانتهاء الخلافة إلى بني العباس ، فعدوا ذلك إبتـزازا لحقهـم ، واسـتخداما لإسمهم من قبل بني العباسي في الدعاية لأنفسهم ، واستعانة بشيعتهم من أهل خراسان فـي إتمـام الأمر لبني العباسي ، وهو ما ألمحوا إليه تارة وصرحوا به تارة أخرى في أكثر من مناسبة ، ومن

ذلك ما قاله محمد النفس الزكية للمنصور ، مبررا خروجه : " إن الحق حقنا ، وإنما أدعيتهم هـذا الأمر بنا ، وخرجتم له بشيعتنا " .[(١)]

وبتكثيف النظر أكثر في النص ، يتبين أن العلويين تمسكوا بصورة أساسية بمبـدأ الوراثـة فـي الخلافة فهم ، في اعتقادهم ، أصحابها من ناحيتين ، أولاهما ، أنهم أقرب الناس إلى النبي صـلى الله عليه وسلم ، وأولى الناس به لأنهم أولاد فاطمة، وبالتالي فهم دون غيرهم آل محمد ، وثانيهما ، أن الخلافة تنتقل من الأب إلى الإبن فهم أبناء علي بن أبي طالب وورثته لذلك فالخلافة فـيهم مـن بعده ، بوصفه آخر الخلفاء الراشدين ، ويعني في الوقت ، ذاته أنهم لم يعترفوا بـشرعية الخلافـة الأموية ، ورأوا على ذلك أن وثوب غيرهم على الخلافة عدوان عليهم [(٢)].

وساقوا غير ذلك من المبررات ، منها ما هو استثمار لمخالفات وقع فيها العباسيون ، ومنها

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الأمم والملوك جـ٨ ص ٦٥ .

(٢) دخل العباسيون مع العلويين في مجادلات كثيـرة سعـى كل منهم لإثبـات أحقيتـه بالخلافة ، ويتضح ذلك من الرسائـل المتبادلـة بيـن المنصور وبيـن محمد النفـس الزكيـة أبـان خروجـه ، ففي حيـن حاول محمـد النفس الزكيـة إثبات الوراثـة عن طريـق الانتسـاب لفاطمـة رضي الله عنهـا ، ذهـب المنصـور إلى إثبات أن العمـومة أحـق ، مشيـرا إلى جـده العبـاس عـم الرسـول صلى الله عليـه وسلـم ، كمـا أكـد المأمـون ذلـك في الحـوار الـذي دار بينـه وبيـن علـي الرضـا عندمـا سـألـه : بمـا تـدَّعـون هذا الأمر؟ فـقال علي الرضـا : بقـرابـة علـى مـن رسـول الله صلـى الله عليـه وسلـم وبقـرابـة فاطمـة منه ، فقال المأمـون : إن لـم يكـن هذـا إلا القـرابة ، فقـد خلف رسـول الله صـلى الله عليـه وسلـم مـن أهـل بيتـه من كـان أقـرب إليـه مـن علـي أو مـن فـي مثـل قعـدده (نسبـه) ، وإن كـان بقـرابة فاطمـة من رسـول الله صلى الله عليـه وسلم ، فـإن الحـق بعـد فاطمـة للحسـن وللحسـين وليس لعلي في هـذا الأمـر حق وهما حيـان ، فإذا كان الأمـر كذلك فـإن عليـا قد ابتزهمـا حقهمـا وهما صحيحان واستـولى على ما لا يجب له ، فما أجابه على بن موسى بشيء والحق ان عليا لم يبتز حق الحسن والحسين في الخلافة ولا حق أحد من المسلمين ، لأن الحق فيها ليس لأحد بعينه ، ولكن لمن يختاره المسلمون ويبايعونه ، الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٦ ، ص ص ١٩٥ ، ١٩٦ ، ابن عبد ربه العقد الفريد ، جـ ٢ ، ص ٢٢٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية ،جـ ١٠ =، ص ص ١٠ ، ٨٤ ، ٨٥ ، مجهول : العيون والحدائق ، ص ١٨٣ ، ابن واردان : تاريخ العباسيين ، ص ص ٦٨٨ ، ٦٩٢ .

ما كان على سبيل الدعاية المضادة ، التي قصد بها التشنيع على العباسين والتشهير بهـم [١] ، وإن كانوا لم يخفوا الأسباب الحقيقية لخروجهم ، فاتهموا بعض خلفـاء بنـي العبـاس ، مثـل المنصور ، بالطغيان ، وأنهم خرجوا غيرة للدين ، ومطالبة بحق المستضعفين ، ولـذلك ظـل العلويون يتحينون الفرصة للخروج على العباسين والإطاحة بهم .

ب – الحركات العلوية في العصر العباسي الأول :

شهد العصر العباسي الأول عدة محاولات من العلويين لإزاحة العباسيين عـن الخلافـة ، والاستئثار بها ، وإذا ما تجاوزنا ما أورده ابن قتيبة [٢] عن خروج عيسى بن زيد بن علي بـن الحسين [٣] على المنصور فيما بين الكوفة وبغداد عقب مقتل أبو مـسلم الخراسـاني ، والـذي نستبعد أن يكون قد حدث لأكثر من سبب ، فالخبر لم يورده سوى ابن قتيبة في الإمامة والسياسة وهو مشكوك في نسبته إليه ، فلم تؤكده المصادر الأخرى، فضلا عن أنه جاء بصيغة التبليـغ ، الذي يوحي بعدم تأكد الراوي منه ، إذ تصدرت الرواية بعبارة(ذكروا) ثم إن الرواية تتحـدث على قضايا تتنافى مع المنطق ، وطبيعة الأحوال وسنقف على جانب منها حيث تقول : " ثـم إن أبا جعفر (المنصور) (في المعركة مع عيسى بن زيد) غلبته عيناه وهو على فرسه ، فـرأى في نومه أنه يمد يديه ورجليه على الأرض فاستيقظ ودعا عبارا كان معه فأخبره بما رأى ، فقال له :" أبشر يا أمير المؤمنين فإن سلطانك ثابت وسيليه بعدك جماعة من ولدك ، و أن هذا الرجل

---

(١) كان مما شنّع به محمد النفس الزكية على المنصور وحاول به استعداء الناس عليه ، بناء المنصور القبة الخضراء في قصره ببغداد ، والتي بلغ ارتفاعها ثمانون ذراعا ، وهي من مآثر المنصور والعباسيين ، وقد سقطت في خلافة الواثق ، فعد محمد ذلك تصغيرا للكعبة ، الذهبي : سيرأعلام النبلاء ، جـ ٦ ، ص ص ٢١٤ ، ٢١٥ .

(٢) الأمامة السياسية ، جـ ٢ ، ص ص ١٨٥ ، ١٨٦ .

(٣) عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي أبي طالب ، فر من الكوفة مع أخيه يحيى إلى خراسان بعد مقتل أبيه زيد بن الحسن في خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان ، ثم بعد مقتل أخيه يحيى اجتمعت عليه الزيدية ، انضم إلى إبراهيم بن عبد الله بن حسن لما خرج على المنصور ، و ظل متخفيا عن المهدي في الكوفة حتى توفي بها في خلافة المهدي ، ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، جـ ٦ ص ٣٥٧ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٨ ، ص ٣٤٦ .

مهزوم" [1] فأي عقل و أي منطق يمكن ان يمرر مثل هذا ، أن ينام الخليفة على فرسه ، فـي أتون معركة ينازع فيها على الخلافة ، وأي وقت وأي حال هذا الذي يسمح للخليفة أن يستدعي العبارين لتفسير أحلامه تلك ؟! هو ما يجعلنا نذهب مطمئنين إلى استبعاد الرواية .

وعلى ذلك فإن أول خارج على العباسين من العلويين هو محمد الـنفس الزكيـة وأخـوه إبراهيم ، خرجا على المنصور في جمـاد الآخر سنة(١٤٥هـ/٧٩٢م) بالمدينـة وبالبصرة [2]، وقـد هدأ العلويون بعد ذلك بقية خلافـة المنصور ، وفي أيام المهدي الذي تألفهـم ، حتـى كانت خلافـة الهـادي الذي تتبعهـم وقسـا عليهـم ، ومنع عـنهم الـصلات وجفـاهم [3] ، فخرج عليه حسين بن علي بن حسن بن حسن[4] بالمدينـة سـنة (١٦٩هـ - /٧٨٥م) إلا أن الهـادي أمكن منه في وقعة فخ [5] ، ثم ما لبث أن خرج يحيى بن عبد الله بن حسن [6] بـبلاد

---

(١) ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، جـ٢ ، ص ص ١٨٥،١٨٦ .

(٢) الدينوري : الأخبار الطـوال ص٣٨٥،المسعودي : التنبيـه والإشراف ص٣٤١ ، ابن حزم : نقط العروس ، ص ٥٧، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ٦ ، ص٢١٨، الاربلي : خلاصة الذهـب المسبـوك، ص٥١ ، السيـوطي : تاريخ الخلفاء ص ٣٠١ .

(٣) يوسف العش: تاريخ عصر الخلافة العباسية ، ص ص ٥٥ ، ٥٦ .

(٤) الحسين بن علي بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب العلوي القرشي، خرج على الهادي سنة (١٦٩هـ/٧٨٥م) بالمدينة و تابعة الشيعة فيها وغيرها ، و حارب والي المدينة للهادي خالد البربري وقتله، ثم تأهب للخروج إلى مكة إلا أن الهادي أرسل جيشا كبيرا نازله في وقعة فخ ، بين مكة والمدينة فقتـل الحسيـن في الموقعة في عدد من أصحابـه ، سنة (١٦٩هـ/ ٧٨٥م) ، الذهبي : العبر في خبر من غبر ، جـ١، ص ١٩٧، انظر ذلك : العـش ، تاريـخ عصر الخلافة العباسية ، ص ص ٥٥،٥٦ .

(٥) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٧، ص ٤٤٣ ، العبر في خبر من غبر ، جـ ١ ، ص ١٩٧ ، أنظر كذلك أحمد إبراهيم الشريف: دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني الهجريين ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨ م ص ٤٥ ، وقعة فخ ،أو يوم فخ نسبة إلى الفخ الذي يصاد به الطير ، و هو لفظ أعجمي ، وأسمه بالعربية طرق ، وهو وادي بمكة دارت عليه المعركة سنة (١٦٩هـ /٧٨٥م) بين الحسين بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، و بين جيوش العباسيين بقيادة العباس بن محمد بن علي ، و قد قتل فيها الحسين بن علي بن الحسن ، و دفن في هذا الموقع عدد من الصحابة أمثال عبد الله بن عمر ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ٤ ، ص ص٢٦٩ ، ٢٧٠ .

(٦) يحيى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب ، خرج على الرشيد ببلاد ديلم في فارس سنة(١٨٦ هـ/ ٨٠٢ م) ، الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٦ ، ص ٤٤٩ .

الديلم [1] سنة (١٧٦هـ/٧٩٢م) في خلافة الرشيد [2] وخرج ابن طباطبا العلوي[3] على المأمون بمكة ، سنة(٢٠٠هـ/٨١٦م)[4] ، وخرج محمد بن القاسم العلوي [5] على المعتصم سنة (٢١٩هـ/٨٣٤ م) بالطالقان [6] .

ولن نخوض في تفاصيل هذه الأحداث ، لأن ما يهمنا هو معرفة دور ومواقف العلماء منها، ويكفي في هذا السياق أن ندلل على ذلك من خلال أخذ انموذج لمواقف العلماء إزء إحدى هذه الحركات ، ولعل أهمها حركة محمد النفس الزكية .

---

(١) بلاد الديلم : الديلم الموت ، وهو كذلك الاعداء ، والنمل الأسود ، والديلم جيل ينتسبون إلى أرضهم الديلم ، وهو إقليم في بلاد فارس المسند إليه ديلمي ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ٢ ، ص ص ٦١٤ ، ٦١٥ .

(٢) الطبري : تاريخ الأمم والملوك جـ ٦ ، ص ٤٤٩ .

(٣) محمد بن جعفر بن محمد بن علي ، عرف بابن طبا طبا العلوي ، خرج على المأمون بالكوفة يدعوا إلى الرضا من آل محمد والعمل بالسنة ، سنة (١٨٩ هـ / ٨٠٥ م) ، وكان يقوم بدعوته أبو السرايا الشيباني ، فأرسل إليه المأمون بجيش عظيم حاربه حتى أمكن منه فتفرق جيشه وأخذ إلى المأمون ، ثم توفي بصحبته في خراسان ، سنة (٢٠٣ هـ / ٨١٨ م) ، الخطيب : تاريخ بغداد ، جـ٢ ، ص ١١٥ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء، جـ ١٠ ، ص ٣ .

(٤) ابن أعثم كتاب الفتوح جـ٨ ص ٣١٢ ، ابن حزم : نقط العروس .. ص ص ٥٧ ، ٥٨ ، الخطيب : تاريخ بغداد ، جـ ٧ ص ١١٣ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ١٠ ، ص ٢٨٣ .

(٥) محمد بن قاسم العلوي القرشي خرج على المعتصم سنة (٢١٩ هـ / ٨٣٤ م) يدعوا إلى الرضا من آل محمد في الطالقان ، فأمكن المعتصم منه بواسطة قائده إبن طاهر ، إلا أنه تمكّن من الهرب من سجن المعتصم والاختفاء عنه ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ١٠ ص ٢٩٢ ، مجهول : العيون والحدائق ، ص ٢٧١ .

(٦) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ١٠ ، ص ٢٩٢ ، مجهول : العيون والحدائق ، ص ٦ ، ٧ ، الطالقان مدينة كبيرة تساوي مدينة مرو الروذ ، فيها كل مقومات المدينة من أنهار وامتداد عمراني وبساتين ، وأكثر أبنيتها طينية ، وفيها صناعات عديدة وجيدة تقع بين مرو وبلخ ، وقد اتخذها المسلمون قاعدة لانطلاقهم إلى فتح بلاد ما ورائها، الأدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق عالم الكتب ، بيروت ، ط١، ١٤٠٩ هـ /١٩٨٩ م ، جـ ١ ، ص ٤٧٨ .

جـ -موقف العلماء من حركة محمد النفس الزكية :

إنقسم العلماء إزاء حركة محمد النفس الزكية إلى أقسام عدة ، ففي حين تعـاطف فريـق مـنهم معها، خصوصا أولئك الذين كانوا ينقمون على المنصور القسوة والبطش ، ويميلون مع أولاد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ويمكن أن نميَّز منهم طائفتين .

فكان منهم من شارك في الخروج وأنضم إلى جيوش محمد النفس الزكية وأخيه إبراهيم ، ومنهم من أفتى الناس بجواز الخروج في الوقت الذي قعدوا فيه في بيوتهم ولم يشاركوا فيها.

في حين أعتزلها غالبيتهم ، بوصفها فتنة تراق فيها دماء المسلمين ، وتـستباح فيهـا الأمـوال ، وتشق فيها عصا المسلمين ، وتبدد طاقاتهم ، وذهبت طائفة من هذا الفريق إلـى معارضـة هـذه الحركة وتحذير الناس من الانضمام إليها .

مشاركة العلماء في حركة محمد النفس الزكية :-

تعاطف بعض العلماء مع حركة محمد النفس الزكية ، فشارك بعضهم فيها واكتفى البعض الآخر بتوجيـه النـاس للانـضمام إليهـا ومنـاصرة صاحبهـا فكـان ممـن انـضم إليهـا إبن عجلان [1] ، و عبد الحميد بن جعفر [2] ، و أبو خالد الأحمر و هشيم ، وعبـاد بن العـوام ، و عيسى بن يونس ، و يزيد بن هارون [3] ، و محمد الديبـاج [4] ، وهـم فـي الغالـب مـن صغـار العلماء ، بعد أن غادروا كل النصائح التي بذلهـا لهم أقرانهم مـن العلمـاء باعتـزال هذا الأمر [5] ،بينما اكتفى بعضهـم الآخـر بتوجيـه النـاس إلـى مناصـرة محمـد الـنفس الزكيـة في حين ظلـوا هم بعيدين عن المشاركة ، أمثال شعبة ، و سعيـد بن أبي عروبـة [6] ،

(١) الذهبي : سير أعلام النبلاء . جـ ٦ ، ص ص ٢١٥ ، ٣١٩ .
(٢) المصدر نفسه ص ٢١٥ .
(٣) المصدر نفسه ، جـ ١ ، ص ص ١٥٥ ، ١٥٦، جـ٦ ص ٢٢٣.
(٤) تاريخ بغداد جـ ٥ ، ص ص ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٨ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٦ ص ٢٢٥ .
(٥) الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٦ ص ٢١٥ .
(٦) المصدر نفسه، ص ٢٢٤ .

والأعمش[1] ، أما ما قيل عن مشاركة كل من مالك بن أنس وأبي حنيفة فـي حـث النـاس علـى مناصرة محمد النفس الزكية ، فإن الباحث يستبعد ذلك لأكثر من سبب .

ففيما يتعلق بما روي عن أن مالك بن أنس أيَّد خروج محمد النفس الزكيـة ، وأفتـى النـاس بالخروج معه بعد أن حللهم من بيعه المنصور ، فإن الأمر يستدعي أن نقف طـويلا أمـام هـذه الروايات ، وأن ندقق فيها وأن نزنها إلى جميع القرائن التاريخية المحيطة بهذا الأمـر ، فالروايـة تقول إن مالكا استفتي في الخروج مع محمد فأفتى بالخروج معه وعندماقال له الناس إن في أعناقنا بيعة لأبي جعفر ، قال : " إنما بايعتم مكرهين وليس على مكره يمين ، فأسرع الناس إلـى محمـد ولزم مالك بيته " .[2]

من القرائن التاريخية ، ودراسة واقع الحال يتبين لنا ، أولا ، أن علاقة الإمام مالك بأبي جعفـر المنصور قبل وبعد خروج محمد النفس الزكية لا تدل على أنه قد أفتى بالخروج عليه ، وأن موقفـا من هذا النوع قد حدث ، لأن العباسين ، والمنصور بالذات ، لم يكونوا ليتهاونوا مـع أي محاولـة لإنتزاع السلطة من بين أيديهم ، مهما كان المبرر ، وأيا كان مصدرها ، ومالك كما يشر تيار كثيف من الروايات التاريخية [3] كان على علاقة طيبة بالمنصور وبالخلفاء من بعده ، ومحل تقـديرهم ، ولو كان قد حدث منه تحريض أو حتى تسويغ للخروج عليهم ، لما تـسامحوا معـه ، ولـم يكـن بوسعهم ذلك ، وهم الذين قتلوا في هذا السبيل أبناء عمومتهم ، محمد وإبراهيم ، على ما كان لهـم

---

(١) الأزدي : تاريخ الموصل ، ص ١٨٨ .

(٢) الطبري : تاريخ الأمم والملوك جـ ٦ ص ١٩٠ ، ابن الجوزي : المنتظم جـ ٨ ص ٦٤ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٣٠١ ، الأربلي : خلاصة الذهب المسبوك ص ، ٥٦ .

(٣) يشير حشد كبير من الروايات التاريخية إلى مدى الاحترام والتقدير الذي كان يحظى به مالك بن أنس لدى خلفاء بني العباس من لدن السفاح وحتى الرشيد ، وأن ثمة علاقة طيبة تجمعه بهؤلاء الخلفاء ، فكانوا يزورونه لدى قدومهم المدينة ، بل وقد عرض عليه كل من المنصور والمهدي والرشيد أن يجعلوا من كتابه الوطأ دستورا للدولة ، فيعمل به في القضاء وغيره ، ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ، جـ ٢ ، ص ص ٢٠٢ ،٢٠٣ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ابن عبد البر : الانتفاء من فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء (مالك – الشافعي – أبو حنيفة) ، ص ٤١ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٨ ، ص ص ٧٨ – ٧٩ ، مرعي بن يوسف : تنوير بصائر المقلدين ، ص ص ٤٧ ، ٤٨ ، ١٣٧ .

من مكانة ورحم لديهم .

ثم إن مالكا كان على علم برغبة العلويين منذ البداية في الاستئثار بالخلافة ، وعلى إطلاع بمـا يدوربين المنصور وبينهم من حجج ، وأن عبد الله بن حسن يعمل في طلب الخلافة لابنه محمد وأن المنصور يحول بينه وبين ذلك وأن الأمرلا يعدوأن يكون صراعا من أجل السلطة ، فهل هذا مبرر مقنع في نظر مالك للإفتـاء بجواز الخروج على الخليفة المبايع ؟ ثم هـل كـان الخـروج علـى المنصور مع محمد بن عبد الله ، يقيـم حقا ويبطل باطـلا حتى يخـرج الإمـام مالـك أو يفتـي بالخروج [١] ، ثم أما كان مالكا وهو العالـم الفقية ، يعرف الفتن وما تجره مـن خـراب ودمـار وإراقة دماء وتظالم ، وهو الذي عاصر كثيرا منها وتجرع مع المسلمين مرارتها ، وهو مـا أكـده الجاحظ [٢] حيث قال : " إنما حمدت العلماء بحسن التثبيت في أوائل الأمور واستشفافهم بعقولهم ما تجيئ به العواقب فيعلمون عند إستقبالها ما تؤول به الحالات في استدبارهـ ـا " ، ثـم إن روايـة الطبري ، التي أوردت الخبر ، مذيَّلة بعبارة " فلزم مالك بيته " [٣] ، فهل كان بوسع مالك ، وهـو العالم القدوة ، أن يدعوا الناس إلى الخروج مع محمد بن عبد الله ثم يقف موقفا متحفظا منه فيخالفهم إلى ما يدعوهم إليه ؟ .

ويؤكد رواية الطبري في إعتزال مالك أحداث هذه الفتنة الذهبي[٤] عندما بيَّن مواقـف العلمـاء منها فقال : " ولزم مالك بيته " دون أدنى إشارة إلى أنه أفتى بجواز الخروج مع محمد بن عبد الله ، ثم إن الروايات التي أوروت أن مالك قد أفتى بالخروج مع محمد النفس الزكية مـضطربة ، ففـي حين تذهب جلها إلى أن مالكا أفتى بالخروج ، ثم لزم بيته ، تذهب بعضها إلى أنه شارك وخـرج بنفسه ، وتبرر هذه الروايات ذلك بقوله عندما عوتب في الخروج مع ضعفه : " قد علمت ولكـن

(١) محمد ضيف الله بطاينة : العلاقات بين العلويين والعباسيين (رسالة دكتوراه) ، كلية اللغة العربية جامعة الأزهر ، ص ١٧٦ .

(٢) الجاحظ : رسائل الجاحظ (الرسائل السياسية) ، ص ٦٥ .

(٣) تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ١٩٠ .

(٤) سير أعلام النبلاء جت٦ ص ٢١٥ .

يراني الجاهل فيقتدى بي" [1] وهي علل لا يقبلها عاقل ولا يمكن أن تصدر من عالم في مكانة وورع مالك ، إذ تصوره الرواية وكأنه خرج لخداع الناس وللتغرير بالجهال منهم لحملهم على الخروج على الخليفة مع محمد النفس الزكية ، فإذا ما أضفنا إلى هذا كله أن ما جاء في الروايات التي أوردت مشاركة مالك في حركة محمد النفس الزكية وحتى تحريضه الناس على مساندتها ، يتناقض مع الاتجاه العام لمذهب الإمام مالك الذي يحرم الخروج على الخليفة ، خصوصا إذا ما قاد الخروج إلى فتنة ، فإننا نذهب مطمئنين إلى أن مالكا اعتزل أحداث هذه الحركة .

أما ما روي عن إيراد مالك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم:"وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما أكرهوا عليه"[2] في إبطال يمين المكرة ورفضه طلب والي المدينة بعدم التحديث به[3] ، فلم يكن بوسع مالك أن يتوقف عن الحديث به أو بغيره مهما ذهب الناس في تأويله ، أو شكّل خطرا على المنصور ، أواتخذ مبررا لغيره ، لأن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم تترتب عليه أحكام شرعية ، وهي ماضية لا غنى للناس عنها ، فمالك أفتى ببطلان يمين المكره وهو يعالج قضية إجتماعية هي الطلاق ، يؤكد ذلك أحمد بن حنبل ، حيث قال: "ضرب مالك بن أنس في طلاق المكره " [4]، ولم يشر إلى أنه أفتى بجواز الخروج على المنصور مع محمد النفس الزكية ، وليس معنى هذا بالطبع أن الحديث مقصور على الطلاق بل يتعداه إلى غيره من شئون الحياة .

فاستغل هذا الأمر فريقان من الناس أولاهما العلويون لإقناع الناس بالبيعة لمحمد بن عبد الله ، خصوصا أولئك الذين كانوا ما يزالون مترددين في البيعة ،ومتعللين بأن في أعناقهم بيعة للمنصور، وثانيهما بعض المتزلفين للسلطان من حاسدي الإمام مالك ، إذ وجدوا في هذا الأمر مناسبة للنيل منه ، ووضعه في كفة أمام المنصور مقابل السلطان والحكم ، فأعطوا الحديث بعدا سياسيا ،

---

(١) الأصفهاني : مقاتل الطالبين ، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعرفة بيروت ،(د.ت) ، ص ٢٨٠ .

(٢) رواه البيهقي في سننه ، كتاب الإقرار ، باب ما لا يجوز إقراره ، حديث رقم ١١٢٣٦ ، جـ ٦ ، ص ٨٤ ، ابن قتيبة : الإمامة والسياسة جـ ٢ ص ٢٠٠ .

(٣) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة جـ٢ ص ٢٠٠ ، أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٦ ، ص ٣٤٥ .

(٤) ابو نعيم : حلية الاولياء ، جـ ٦ ، ص ٣٤٥ .

وقاسوا على بطلان يمين المكره في الطلاق بطلانه في البيعة وانطلقوا من ذلك إلى أن الإمام مالكا لا يرى لزوم بيعة الخليفة ، بل ويدعوا إلى بيعة محمد بن عبد الله .

يؤيد ذلك وجود روايات تتحدث عن سعاية قيلت فيه في هذا الأمر (١) ، وكذا اعتذار المنـصور له عما ناله من واليه جعفر بن سليمان ، وعقاب جعفر بعزله عن المدينة (٢) ، والمنصور ما كـان ليعتذر لوأن مالكا عمل على تقويض أركان دولته وأفتى الناس بخلع طاعته والوقوف إلـى جانـب خصومه (٣) ، فإذا ما أضيف إلى ذلك ما عرف به مالك من تغليب منهج الإرشاد والإصلاح للحكام سبيلا لحملهم على الجادة ، على الخروج والخوض في الفتن ، نطمئن إلى أن مالكا أعتـزل هـذه الحركة ، وسكن في بيته دون أن يناصرأحد الفريقين أو يفتي بجواز الخروج على الخليفة .

والأمر نفسه ينسحب على ما قيل من أن أباحنيفة أفتى الناس بالانضمام إلى محمد بن عبد الله في خروجه على المنصور ، فهو كما نعرف أحد كبار العلماء ويعلم جيدا عواقب الفتن علـى الأمـة ، وأن كلا الطرفين العباسيين والعلويين إنما يسعون إلى السلطان ، كماأن ما تلى هذه الحركـة مـن أحداث ومواقف لأبي حنيفه مع الخلفاء العباسين لا تدل على أنـه قـد أفتـى بـالخروج عـنهم ، والانضمام إلى العلويين ، فما قيل عن أن المنصور غضب عليه وسجنه لم يكن لهذا الأمر ، وإنما لرفضه العمل بالقضاء (٤) ، وقد رضى عنه بعد ذلك عندما قبل أن يعمل مشرفا علـى بناءسـور لمدينة بغداد ، كما أن غضب المنصور عليه كان بعد هذه الفتنة بخمس سنين ، مما يعني أنهـا لـم تكن سببا لغضب المنصورعليه ، فما كان للمنصور إن كان أبو حنيفه قد أفتى بـالخروج عليـه أن يصبرعنه كل هذه السنين ، ثم إن المنصور تعرَّض لمحمد بن عبد الله وأخيـه إبـراهيم ولأبيهمـا وغيرهم ممن انضم إليهم أو أفتى بالخروج معهم ، ولم يكن بين هؤلاء أبو حنيفه .

---

(١) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ، جـ ٢، ص ٢٠٠ .

(٢) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ، ص ص ٢٠٠ ، ٢٠١ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٨ ص ١١٣ .

(٣) أبو زهرة : مالك حياته وعصره ، ص ١٧٣

(٤) السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٢٩٩

أما ما قيل عن أنه تشيَّع فليس من المعقول ، وإلا لظهر ذلك في أقواله وأفعاله[1] ، ولكن نعـزي ذلك إلى أنه في فترات متأخرة جرت في إطار التنافس المذهبي إسقاطات على كبار العلماء ففسرت مواقفهم أو أراؤهم من بعض القضايا الجزئية على أنه انتماء لفكرة معينة ، وعلى ذلك فلا نـستبعد أن يكون بعض الشيعة في مرحلة لاحقه قد أوَّلوا بعض مواقفه إزاء آل البيت أنه قد تشيع وهو نوع من الدعاية المذهبية والسياسية لتسويق وجهات النظر والأفكار .

فإذا أضفنا إلى هذا كله أن ثمة روايات تؤكد أن المنصور إنما ضرب أبا حنيفه على القضاء[2] ، بغض النظر عما يقوله البعض من أن المنصور اتخذ من رفض أبي حنيفه العمل في القضاء ذريعه لعقابه على إفتائه بالخروج مع محمد بن عبد الله ، لأن المنصور لو أراد ذلك لفعله في حينه وليس بعد خمس سنوات ، ولفعله في وضح النهار مثلما فعل بمحمد وإبراهيم ابني عبد الله ، ولـم يكـن المنصور ليأمن أبا حنيفه على الكوفة ، فيذره في مسجدها خمس سنين يمكن أن يحدث فيها بلـسانه ما لم تحدثه سيوف محمد وإبراهيم ضده ، خصوصا وهو يعلم جيدا ما أحدثته الدعاية علـى يديـه وعلى يدي أخويه إبراهيم وأبي العباس في الكوفة [3] ، فـي مجتمـع مـستعد لـسماع الـشائعات وترويجها ، فلو كان أبو حنيفة قد خرج أو أفتى بالخروج لأخذه مباشرة ، ولما تركه لمـدة خمـس سنين في الكوفة يفتي الناس ويلقي دروسه .

الفريق المنعزل والمعارض لحركة محمد النفس الزكية :

اتخذ عدد كبير من العلماء موقفا معارضا لحركة محمد النفس الزكية فرفضوا الانضمام إليها ، أو حتى تأييدها ودعمها معنويا بتوجيه الناس إليها ، اعتزلوها لأنهم رأوا فيهـا مـدخلا للفتنـة بـين

---

(١) الجندي : ابو حنيفة بطل الحرية التسامح في الإسلام ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، القاهرة ، ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م ، ص ٢٩٢ .

(٢) الطبـري : تـاريـخ الأمـم والملـوك ، جـ ٦ ، ص ٢٣٨ ، السيـوطـي : تـاريـخ الخـلفـاء ، ص ٢٩٩ .

(٣) الجندي : أبو حنيفة بطل الحرية والتسامح في الإسلام ، ص ٢٩١ .

المسلمين ، وكفوا الناس عنها ، خصوصا وقد أشيع أن محمدا هو المهدي المنتظر [1] ، وقد مثل هذا الفريق مجموعة من كبار العلماء .أمثال سفيان الثوري ، وابن أبي ذئب ، وسوَّار بن عبد الله ، فنهى سفيان عن إتباعه [2] ، ولزم ابن أبي ذئب بيته [3] ، واعتزل سوار بن عبد الله قضاء البصرة أيام إبراهيم[4] ، ووقف الموقف ذاته عدد من علماء آل البيت خوفا من أن يؤدي خروجه إلى أن يتفانى من بقي من آل البيت ، بعدما نالهم في العصر الأموي ، ولما يؤدي إليه الخروج من إراقه لدماء المسلمين ، فضلا عن عدم وجود مبررات قوية تستدعي الخروج وهو ما نجده في رد إسماعيل بن عبد الله بن جعفر [5] على محمد النفس الزكية عندما طلب منه أن يبايع له بالخلافة ، حيث قال له : " يا ابن أخي أنت والله مقتول ، فكيف أبايعك ؟[6] " ، وقد كان لهذا الموقف الحاسم من هذا العالم العلوي أثره في ارتداع الناس عن محمد النفس الزكية ، وأكد ذلك جعفر الصادق عندما دعاه عبد الله بن الحسن لمبايعة ابنه محمد ، فقال : " اتق الله يأبا محمد وأنفل [7] أهلك ونفسك فإن هذا الأمر لا يصير

---

(١) أشاع عبد الله المحض (بن عبد الله بن الحسن) أن ابنه محمد (النفس الزكية) هو المهدي الذي بشّر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى يجتمع الناس عليه ، ابن طبا طبا : الفخري في الآداب السلطانية والولايات الدينية ، ص ص ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ .

(٢) ابو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٧ ، ص ٣٣ .

(٣) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٧ ، ص ص ١٤١ ، ١٤٢ .

(٤) مجهول العيون والحدائق ، ص ١٧٩ .

(٥) إسماعيل بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي أحد علماء المدينة ، أخذ العلم عن أبيه عبد الله بن جعفر، وأخذ عنه عدد من العلماء أمثال الحسن بن زيد وقد وثقه معاصروه ، الذهبي : تاريخ الإسلام،جـ ٩ ، ص ص ٣٦ ، ٣٧ .

(٦) الطبري : تاريخ الأمم والملوك جـ٦ ، ص ١٩٠ ، المنتظم : جـ ٨ ص ٦٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٠ ص ٨٤ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٦ ، ص ٢١٥ .

(٧) أنفل من النفل ، وهو الغنيمة والهبة ، فيقال نفله نفلا وانفله إذا أعطاه نفلا وغنما ، ونفل الإمام الجند ، أعطاهم ما غنموا ، وهو بمعنى الزيادة ، ومن ذلك النافلة ، وسميت الغنائم نافلة لأن المسلمين فضلوا بها وزيدوا عن سائر الأمم الذين لم تحل لهم الغنائم ، وكل عطية تبرع بها معطيها فهي نافلة ومن ذلك العفو وترك العقوبة ، فهو فضل وزيادة ،

إلينا الآن ، إنما يصير إلى بني العباسي " [1] بل إن جيش المنصور الذي أرسله للقـاء محمد النفس الزكية ضم بعض العلويين ، أمثـال محمد بن زيد بن علي بن الحسين [2] .

ونخلص مما سبق إلى أن جل العلماء قد اعتزلوا هذه الحركة لأسباب عدة لعـل أهمهـا علمهـم السابق بما تجره على الأمة من الويلات والخراب والدمار ، وما يرتكـب فيهـا مـن المظـالم ، خصوصا وقد جربوها قبل ذلك وتجرعوا مرارتها ، وزاد من رسوخ موقفهم هذا ، علمهم بمبررات العلويين للخروج على العباسين ، أنها لا تعدو الشعور بأنهم أحق بالخلافة ، وأنها فـيهم ، وهـي مبررات لا تتفق مع نظرة العلماء ، وأن ثمة عدد من صغار العلماء قد انضموا إلى هذا الحركة أو تعاطفوا معها .

٢ ـ الحركات ذات الطابع العصبي والإقليمي :

هناك خارجـون آخـرون على العباسيين ، إما مـن بقايـا الأمـويين ، أو لأسـباب تتعلـق بالعصبية خصوصا في الشام والجزيـرة أو لأسـباب إداريـة عنـدما يـسيئ الـولاة والعمـال استخدام السلطة إزاء أهل الأمصار والمـدن ، فيخرجـون علـى الدولـة إلا أن الدولـة كانـت سرعان ما تحتوي هذه الحركات ، كما أن العلماء لم يتدخلوا فـي كثـر منهـا باسـتثناء تـدخل بعضهم في خروج أهل حمص على المنصور بعد أن أخذ عليهم المواثيـق والـشروط إن هـم خرجوا ، فتدخل بعض العلماء ومنعوه من إنفاذها وكانت تعطيـه الحـق فـي اسـتباحة دمـائهم وأموالهم .

= ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٦ ، ص ٤٥٠٩ ، الشرباصي : المعجم الاقتصادي الإسلامي ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ، ص ٤٦٥ .

(١) مجهول : العيون والحدائق : ص ص ١٦٦ ، ١٦٧ .

(٢) محمد بن زيد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، يكنى بأبي عبد الله ، الهاشمي وهو أخو يحيى و عيسى ابني زيد ، ورد بغداد على المهدي ، وكان يدخل على خلفاء بني العباسي ، الخطيب ، تاريخ بغداد، جـ٥ ، ص ٢٨٨ .

٣- دور العلماء في مواجهة حركة الزندقة :

مفهوم الزندقة

تجمع المعاجم اللغوية على أن الزندقة ومنها الزنديق ، لفظ فارسي معرَّب يقـصَد بـه القـائلون بدوام الدهر [(١)] ، المنكرون للآخرة ، المنكرون لوحدانيـة الله [(٢)] ، وهـو مـشتق مـن الزنـد ، وهو كتاب المجوس ، المنسوب إليـه زنـدي وزنـديق [(٣)] ، وأطلـق المـسلمون لفـظ زنـديق على الملحد الطاعن في الدين المستهتر بتعاليمه ، من يبطن الكفر ويظهر الإيمان [(٤)] ، ومنه قـول الشاعر :

بغداد دار لأهل المال طيبـ ـة   وللمفاليس دار الهـم والضيـق

ظللت حيران أميشى في أزقتها   كأنني مصحف في بيت زنديق [(٥)] ،

وأما الزندقة المطلقة ، إنكار أصل المعاد عقليا وحسيا وإنكار الصانع للعالم أصلا [(٦)] .

اتخذت حركـة الزندقـة في العصر العباسي الأول أشكالا عديـدة ، تلونـت بحـسب البيئـة السياسية والفكرية القائمة وبحسب ما يتاح لها من الظهور بين اعتقاد خاطئ في الإسلام ، ومزجـه

---

(١) المقري : المصباح المنير، دار القلم ، بيروت ، د.ت ، جـ ١ ، ص ٣٤٩ .

(٢) ابن منظـور : لسـان العـرب،جـ٣ ، ص ١٨٧١ ، المقـري الفيـومي : كتـاب المصباح المنير جـ١، ص ٣٤٩ .

(٣) أحمد رضا : معجم متـن اللغـة ، مكتبـة الحيـاة ، بيـروت ، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٩ م ، جـ٣، ص ص ٦٤ ، ٦٥ .

(٤) ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٣ ص ١٨٧١ ، المقـري الفيـومي ، المصباح المنير جـ ١ ص ٣٤٩ ، أحمـد رضا : معجم متـن اللغـة ، جـ ٣ ص ٦٥ ، ابـن دحية : النبـراس في تاريـخ خلفـاء بني العباس ، ص ١٩ .

(٥) البستاني : الوافي ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠ ، ص ٢٦٣ .

(٦) الغزالي : فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة ، تحقيق مصطفى القباني الدمشقي ، مطبعة الترقي ، القاهرة ، ط١ ١٣١٩ هـ / ١٩٠١ م ، ص ص ٥٤ ، ٥٥ .

بموروثهم الديني القديم[1] أو التهكم فيه والاستهتار بآدابه وتعاليمه ، وإباحة المحرمات ، والالحـاد في الله[2].

اتخذت حركة الزندقـة في العصر العباسي الأول طابعيـن ، فمنها ما كان ذا طابـع سياسـي ديني ، ومنهـا ما كان ذا طابع ديني إجتماعي ، ففي الإطار السياسي ظهرت حركـات عـدة ، مثل حركة الراوندية سنة (١٤١هـ / ٧٥٨ م) [3] ، وحركة سنبـاذ الخرمي [4] فـي خلافـة المنصور [5] ، ثم كانت أقوى هذه الحركات ، تلك التي قادها المقنع الخراساني [6] (١٦١هـ ـ /

---

(١) بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة نبيه أمين فارس ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط١١ ، ١٤٠٨ هـ ـ /١٩٨٨م ، ص ١٨٣ .

(٢) ابو حامد الغزالي : فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة ، ص ص ٥٤ ـ ٥٥ ، ابن منظور لسان العرب جـ ٣ ص ١٨٧١ ، أنظر العش : تاريخ عصر الخلافة العباسية ، ص ٥٢ .

(٣) الدينوري : الأخبار الطوال ٣٨٤ ،الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٦ ، ص ١٤٨ ، ابن الجوزي : المنتظم ، جـ٨ ، ص ص ٢٩ ، ٣٠٠ ، ابن تغري بردي : مورد اللطافة فيمن ولي السلطة والخلافة ، ص ٣٨ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٣٠١ أنظر كذلك ، فاروق عمر : التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين ، ص ٢٢٠ .

(٤) سنباذ الخرمي . كان مجوسيا من قرية أهن ، إحدى قرى نيسابور ، وهو من صنائع أبي مسلم الخرساني ، وقد خرج على المنصور غضبا لقتل أبي مسلم وطالبا بثأره ، وقد غلب على نيسابور وقومس والري ، وكان جملة اتباعه من أهل الجبال ، فوجه إليه المنصور قائده جهور بن مرار ، في عشرة آلاف ، فتمكّن من هزيمته ، ثم قتل بين طبرستان وقومس ، الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٤ ، ص ٣٨٨ .

(٥) الطقطقي :الفخري في الأداب السلطانية ، ص ١٢٥ .

(٦) المقنع الخرساني : ، اسمه حكيم ، وقيل عطاء ، والأرجح حكيم ، لكنه اشتهر وعرف بالمقنع ، إذ كان يرتدي قناعا يخفى فيه دمامة وجهه ، فضلا عن أنه كان اعور ، وهو من أهل مرو ، كان قصارا في اول أمره ، ثم تعلم السحر ، فأدعى الألوهية وقال بالتناسخ والحلول ، أوهم اتباعه أن الله (عز وجل) تحول إلى صورة آدم عليه السلام فلذلك قال للملائكة اسجدوا فسجدوا له ، ثم تحول إلى صورة نوح ، ثم إلى صورة واحد فواحد من الأنبياء ، والحكماء حتى حل في صورة أبى مسلم الخرساني ، ثم انتقل إليه هو ، فعبده اتباعه واعتقدوا به ، فوجه المهدي لقتالة عدد من قواده ، فقاتلوه سنة (١٦١ هـ ـ / ٧٧٨م) ، حتى ألجأوه إلى قلعة (بكش) فحاصروه فيها ، ثم افتتحوها عليه سنة (١٦٣ هـ ـ /٧٨٠ م) فوجدوه قد سم نفسه وأهل بيته ، الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، الدواداري : كنز الدرر وجا مع الغرر ، جـ ٥ ، ص ص ٧٤ ، ٧٥ ، مجهول : العيون والحدائق ، ص ١٩٥ .

٧٧٨م)[١] ، إلا أن هذه الحركة بلغت ذروتها بحركة بابك الخرمي[٢] (٢٢٠ هـ - ٢٢٣هـ - / ٨٣٥م – ٨٣٨م)[٣].

وأيا كان الأمر فإن هذه الحركات قد استهدفت الكيان الديني والسياسي والاجتماعي للأمة ، ولن نخوض في هذه التفاصيل كثيرا لأن ما يعنينا في هذا المقام هو بيان دور العلماء في مواجهة حركة الزندقة .

إذا كانت الدولة قد تولت مواجهة تلك الحركات ذات الطابع الثوري العسكري ، فأرسلت الجيوش للقضاء عليها فأنهت تمردها ، فإن العلماء قد تصدوا بكل ما أوتوا من جهد وقوة لاولئك الذين حملوا أراء مفسدة للمجتمع ، وتعرضوا للإسلام بمحاولة التحريف والتشويه والتهوين من شأنه والتهكم فيه وفي أهله ، وإثارة القضايا الجدلية لتشكيك المسلمين في عقيدتهم أوعلى الأقل تشويش فهمهم لدينهم ، وإنتهاء إلى الإلحاد والكفر ، وإن تجلبب بعضها بجلابيب الحرية الفكرية وإطلاق العنان للإبداع الأدبي ، وإن مزج بعضها بالتصوف وغيره ، وهي جلابيب أدرك العلماء زيفها لأنها لم تمنعهم من شف ما تحتها .

---

(١) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٦ ، ٣٦٧ .

(٢) بابك بن مطهر بن فاطمة بنت أبي مسلم الخرساني ، وهو منسوب إلى الخرمية ، والخرمية لفظ أعجمي مأخوذ من خرم بمعنى دين ، وهو تعبير فارسي أطلقه اتباع هذا الدين على أنفسهم بمعنى الدين الممتع ، دين الانشراح واللذة والفرح والإباحية ، فهو لذلك يدعو إلى الإباحية والخروج عن الآداب الإسلامية والتخفف من أعباء العبادة ، وهي أقرب إلى المزدكية الفارسية القديمة في إباحتها وكان هذا الاسم خرمية يطلق قبل ذلك على المزدكية ، بدأت حركة بابك الخرمي في عهد المأمون بعد ان استغل اضطراب الأوضاع السياسية أواخر خلافة المأمون فخرج وبدأ بقتل المسلمين في (البز) وأخرب الأمصار والقرى في طريقه واشتدت شوكته واستمرأمره حتى تمكن المعتصم منه على يد قائده الأفشين فأسره ، ثم وجه به إلى المعتصم فقتله بسامراء وصلبه سنة(٢٢٣ هـ / ٨٣٨ م) ، الدنيوري : الأخبار الطوال ، ص ٤٠٢ ، الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٧ ، ص ٢٦١ ابن الجوزي : تلبيس إبليس ص ٩٥ .

(٣) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٧ ، ص ص ٢٣٥ ، ٢٦١ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ١٠ ، ص ٢٦٧ ، انظر كذلك فاروق عمر : التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين ص ٢٢٣ .

عد العلماء في العصر العباسي الأول الزندقة خروجا عن الإسلام وردة ، تستوجب القتـل ، لأن ماهية الزندقة إلحاد أهلها في أفعالهم مع إظهارهم الإسلام ، وإن اختلفوا في استتابتهم فرأى مالـك ابن أنس أن الزنديق كافر لا تقبل توبته ، إلا أن يتوب من تلقاء نفسه [١] ، وأكد ذلك أبو حنيفة [٢] ، وأبو يوسف[٣] ، والشافعي[٤] ، والفضيل بن عياض[٥] ، وعبد الله بن المبارك [٦] ، ويحيـى بـن معاذ[٧] ، وأحمد بن حنبل ، الذي حددهم بقوله : " الزنديق هو الذي ينتحل الإسلام وهو على ديـن غير ذلك ، فإما رجع وإلا قتل " [٨] وهو يعني هنا رجوعه من تلقاء نفسه لأنه أكد في موضع آخر أن الزنديق لايستتاب[٩].

ودأب العلماء على تحذير الناس من الاصغاء إلى الزنادقـة وغيـرهم مـن أهـل الأهـواء ، فنبَّه أبو حينفة تلميذه أبا يوسف مـن مجالـستهم،إلا إذا كـان يـدعوهم إلـى الحـق[١٠]،ونهـى الشافعي الناس عن ترويج ما يطلقه الزنادقة من أقوال ، في ظاهرها الذكر وفي باطنها إلهاء الناس

---

(١) الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ١١٠ .

(٢) عد أبو حنيفـة الزنديـق مرتداً عـن الإسـلام تسري عليهم أحكـام الردة ، الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ١١٠ .

(٣) قرَّر أبو يوسف في كتابه للرشيد أن الزنديق مرتد ، غير أنه بيَّن اختلاف الأقوال في استتابته من عدمها ، أبو يوسف : كتاب الخراج ، ص ص ١٩٤ ، ١٩٦ .

(٤) الخـلال : الأمـر بالمعـروف والنـهي عـن المنـكـر ص ١٥ ، أبـو نعيـم :حلية الأولياء جـ ٩ ص ١٥٥ .

(٥) ابو نعيم حلية الأولياء جـ ٨ ص ١٠٦ .

(٦) الذهبي : ميزان الاعتدال جـ ٢ ص ٦٤٣ .

(٧) ابن الجوزي : صفة الصفوة جـ ٤ ص ٩٠ .

(٨) الخلال . أحكام أهل الملك ص ٤٦٠ .

(٩) المصدر نفسه ص ٤٥٩ .

(١٠) الكوثري : حسن التقاضي .. ص ٨١ .

ذكرالله [1] ، وكان الفضيل بن عياض يصرف الناس عن الجلوس إليهم والتعاطي معهـم لأن ذلـك يفتنهم في دينهم ويحبط أعمالهم [2].

كما بذل العلماء جهودا نظرية في مواجهة هذه الظاهرة التي اعترت العـصر العباسـي الأول ، كان الهدف منها تبصير العامة بمخاطر الزندقة وتحصينهم ضد الوسائل التي يستدرج الزنادقة بهـا الناس لخلخلة إيمانهم وتشويش فكرهم .

فكان عبد الله بن المبارك يجادل صالح بن عبد القدوس - وكان زنديقا - [3] ، ويكذّبـه أمـام الناس حتى يحذروا منه [4] ، وبذل يحيى بن معاذ جهدا كبيرا في مجادلة بعض الزنادقة ، فكـان يقوض ادعاءاتهم ويكشف زيف فكرهم [5] ودأب أحمد بن حنبل على تفنيد إفتراءاتهم خصوصا تلك التي قصدوا بها التشكيك في القرآن الكريم [6] ، بل إنه صنَّف مصنفات في الرد عليهم ، وهو فـي سجنه وبخط يده ، مثل كتاب الرد على الزنادقة والجهمية [7] .

وفي الوقت الذي توجه فيه العلماء إلى العامة محذرين من خطر الزندقة على عقيدتهم وديـنهم ، وقوام حياتهم ، توجهوا كذلك إلى الخلفاء محذّرين من خطر هذه الحركة على كيان الدولـة وقـوام

---

(١) الخلال : الأمـر بالمعـروف والنهـي عن المنـكر، ص ١٥١ ، ابو نعيـم : حلية الأولياء ، جـ٩، ص ص١٥٤، ١٥٥ .

(١) أبو نعيم : حلية الأولياء: جـ ٨ ،ص ١٠٦ .

(٢) صالح بن عبد القدوس الازدي ، يكني بأبي الفضل من الموالي كان زنديقا متكلما يجادل عن مذهب الزندقة ، فقتله المهدي على الزندقة وهو شيخ كبير ثم صلبه في أوائل خلافته ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، جـ ٢٣ ، ص ص ٣٤٥ ، ٣٤٦ .

(٣) الذهبي : ميزان الاعتدال جـ ٢ ص ٦٤٣ .

(٤) ابن الجوزي : صفة الصفوة جـ ٤ ، ص ٩٠

(٥) أحمد بن حنبل : الرد على الزنادقـة والجهميـة ، حققـه محمد حسن راشـد ، المطبعة السلفيـة ، القاهرة ، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م ، ص ص٦ ، ٧، ابـن قيم الجوزيـة : أعلام الموقعيـن عن رب العالميـن،جـ ١ ، ص ٩ .

(٦) ابن تيميـة : القـرآن كلام الله حقيقـة ، حققه ، عبد الرحمن عميرة ، مكتبة التراث ، القاهرة ، د.ت ، جـ ٢ ، ص ١٣٢ .

المجتمع ، وعلى الدين الذي قامت به ومن أجله الدولة ، فحذر عبد الله بن المبارك المهـدي ممـا يدعو إليه صالح بن عبد القدُّوس ، بعد أن فنَّد أقواله وأعزاها إلى ثنوية الفرس [١] ، فأمر المهـدي بقتله [٢] ، وبين أبو يوسف للرشيد ماهية حركه الزندقة ومدى خطورتها على الدولة والمجتمـع ، وأفضى إلى أن الزنادقة خارجين عن الملة [٣] .

وقد كان لهذه التوجيهات ، إلى جانب تدين معظم خلفاء العصر العباسي الأول ، دور كبير فـي تبني الدولة مواجهة حركة الزندقة بكل أشكالها ، فواجه المنصورالراوندية سنة(١٤١هـ/٧٥٨م)[٤] وقتل عبد الله بن المقفع بسبب دعوته للثنوية . [٥]

إلا أن مواجهـة الدولة لحركة الزندقة بلغت ذروتها في عهد المهدي منذ (١٦٧هـ /٧٩٢م) ، فبحث عنهم في الأفاق[٦]، ونظَّم من تتبعهم فخصص لذلك رجلا سماه صاحب الزنادقة [٧]، وقتـل

---

(١) أحمد بن حنبل : الرد على الزنادقة والجهمية ، ص ص ٦ ، ٧ ، القرآن كلام الله حقيقة ، جـ ٢ ، ص ١٣٢ ، ابن قيم الجوزية : أعلام الموقعين عن رب العالمين ، جـ ١ ، ص ٩ .

(٢) كـان صالـح بن عبد القـدوس يستخـدم الديـن والأحاديـث الدينيـة غطـاء لبث الدعوة إلى ثنـوية الفـرس ، الذهبـي : ميـزان الاعتـدال ، جـ ٢ ص ٦٤٣ ، انظـر بـروكلمـان : تـاريخ الشعـوب الإسلاميـة ، ص ١٨٤ .

(٣) ابو يوسف : كتاب الخراج ، ص ص ١٩٤ ، ١٩٦ .

(٤) الدنيوري : الأخبار الطوال ، ص ٣٨٤ ، الطبري : تاريخ الأمم والملوك،جـ ٦، ص ص ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ابن الجوزي:المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ،جـ ٨ ، ص ص ٢٩، ٣٠، أنظر فاروق عمر: التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين ، ص ٢٢٠،ابن تغري بردي : مورد اللطاقة ، ص٣٨، مجهـول : العيـون والحدائق ، ص ص١٦٥،١٦٤ .

(٥) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ٦ ، ص ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ .

(٦) الطبري : تاريخ الأمم والملوك، جـ ٦ ، ص ص ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، الذهبي : العبر في خبر من غبر، جـ ١ ، ص١٩٠، الاربلي : خلاصة الذهب المسبوك ، ص٧٣ .

(٧) جد الخليفة المهدي في سنة (١٦٩ هـ / ٧٨٥م) ، في طلب الزنادقـة وتتبعهـم في الآفاق وقتلهم ، وعيَّن لذلك عمرالكالـواذي ، وسمـاه بصاحب الزنادقـة ، الطبـري : تاريخ الأمـم والملـوك جـ ٦ ، ص ص ٣٦٩ ، ٣٩٠ ، الأربلي : خلاصة الذهب المسبوك،ص٧٣، انظـر يـوسف العش : تاريخ عصر الخلافة العباسية،ص ٥٣ .

عددا كبيرا منهم [١] ، حتـى أنه وصف بأنه قصاب[٢] الزنادقة [٣] ، كان منهم صـالح بـن عبـد القدوس [٤] و بشار بن بـرد [٥].

استمر الخلفاء بعد المهدي في مواجهة حركة الزندقة فقتل الهادي جماعـة مـنهم [٦] ، وصـلب الرشيد أنس بن أبي شيخ [٧] على الزندقة [٨] ، وأخذ زنديقا كان يكذب الحديث عـن رسـول الله

---

(١) الطبري : تاريخ الأمم والملوك جـ ٦ ، ص ص ٣٨٩ ، ٣٩٠ ،٣٩٢ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٣١٣ ، انظر أحمد أمين ضحى الإسلام ، جـ ٢ ، ص ٤٧ ، تاريخ عصر الخلافة العباسية ، ص ٥٢ ، عبد الرحمن أحمد سالم : التاريخ السياسي للمعتزلة حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، رسالة ماجستير كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م ، ص ١٦٢ .

(٢) قصاب: يعني جزار ، وحرفته القصابة ، إما أن يكون من القطع ، وإما أن يكون من أنه يأخذ بقصابتها أي ساقها، و لتنقيته أقصاب البطن و قد وصف المهدي بهذا الوصف لكثرة ما قتل من الزنادقة ، ابن منظور : لسان العرب ، جـ٥ ، ص ٣٦٤٠ .

(٣) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٧ ، ص ٤٠١ .

(٤) الذهبي : ميزان الاعتدال ، جـ٢ ، ص ص ٣ ، ٤ ، ٦ ، الأربلي : خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٧٣ ، إنظر بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص ١٨٤.

(٥) أحد شعراء العصر العباسي الأول ، كان يدين بالرجعة ويكفّر جميـع الأمم ، ويصـوب رأي إبليـس فـي تقديـم النار على الطين ، من أقواله : الأرض مظلمة والنار مشرقـة والنـار معبـودة مـذ كانت النار وكان ماجنا مستهترا بتعاليم الإسلام ، وكان ذلك سببـا في أخذه وقتله ، فبينما دخـل المهـدي البصـرة وقـت الضـحى سمـع أذانـا ، فاستغـرب لذلك ، وعنـدمـا عاين المؤذن وجده بشـار بن برد وهو سكران ، فقـال له يا زنديـق : " أتلهـو بالأذان في غيـر وقـت صلاة وأنت سكران ، ثم دعا بابن نهيـك (صاحب الزندقة) في عهد المهدي فأمره بضربه ، فضـربه سبعيـن سوطـا فمـات منها سنة (١٦٧هـ / ٧٨٤م) ، وكـان قـد بلـغ التسعيـن ، الدواداري : كنـز الـدرر وجامـع الغـرر، جـ٥ ، ص ص ٦٨ ، ١٠٠ ، ١٠١، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ٧ ، ص ٢٥ .

(٦) الأربلي : خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٧٧ .

(٧) أنس بن أبي شيخ المهري (لم اقف له على ترجمة) .

(٨) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٩ ، ص ٦٧ .

صلى الله عليه وسلم فقتله [1] ، وبلغ من إهتمام الخلفاء بتوجيهات العلماء لمواجهة الزنادقة ، أنهـم كانوا يوصون خلفاءهم بمتابعة الزنادقة واستئصال شأفتهم ، ومن ذلك ما أوصى به المهـدي ابنـه وخليفته الهادي حيث قال : " يا بني إن صار لك هذا الأمر فتجَّرد لهذه العصابة يعنـي أصـحاب ماني (المانوية) [2] فإنها فرقة تدعو الناس إلى تحريم اللحم والماء والطهور " [3] .

ثالثا:- دور العلماء في مواجهة فتنة القول بخلق القرآن :

يحسن بنا قبل الخوض في موضوع دور العلماء في مواجهة فتنة القول بخلق القرآن تقصي العوامل والظروف التي أدت إلى ظهور هذه الفكرة وساعدت على ترويجها .

١ - العوامل ١التي أدت إلى ظهور فكرة القول بخلق القرآن :

تجمَّعت في العصر العباسي الأول عدة عوامل ، وتهيأت مجموعة من الظروف أدت إلـى ظهـور القول بخلق القرآن ، وساعدت على الترويج له في المجتمع الإسـلامي ، ولـدي بعـض الخلفـاء العباسيين ، ويمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام .

أ. التأثيرات اليهودية والمسيحية :

ظل اليهود والنصارى متحفزين للدولة الإسلامية متربصين بها ، متحينـين الفرصـة المناسـبة للانقضاض عليها ، وقد اتخذوا في سبيل هذه الغاية وسائل متنوعة ، ولعل أخطرها تلك التي قـام

(١) أخذ الرشيد زنديقا ليقتله فقال الزنديق : أين أنت من ألف حديث وضعتهـاعن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، والله ما نطق منها بحرف ؟ فقال له الرشيد : فأين أنت يا عدو الله من أبي إسحاق الفزاري وعبد الله ابن المبارك ينخلانها فيخرجانها حرفا حرفا ، ثم أمر بقتله ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٨ ص ٥٤٢ ، السيـوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٣٣٤ .

(٢) المانـوية : نسبـة إلى ماني بن فتـق بن بابـك بن أبي برزام ، وهـي إحدى الديانـات الفارسيـة القـديمة ، تـرى أن مبـدأ العـالم كونيـن أحـدهمـا نور والآخـر ظلمـة ، وإن الكـون أزلـي ، وقـد نسجت أساطيـر كثيـرة حـول مانـي أنـه نبـي ، واله ، ومـا إلى ذلـك ، ابن النـديم : الفهرست ، ص ص ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ .

(٣) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٦ ، ص ص ٤٣٣ ، ٤٣٤ .

بها فريق منهم بعد أن دخلوا في نسيج المجتمع الإسلامي بإعلانهم الإسلام ، ظنـًا منهم أن ذلك سيتيح لهم هدم المجتمع وتقويض بنيانه من الداخل .

وكان من وسائلهم في هذا الهدم والتفويض تشكيك المسلمين في عقيدتهم وإدخالهم في أتون جدل فكري عقيم ، في قضايا لم يطلب منهم البحث فيها ، بل حـذّروا من الخوض فيها بمصادرهم الذاتية المقفلة المحدودة ، وليس من وراء الخوض فيها فائدة مرجوة ، إلا ما أريد منه بلبلة عقول المسلمين وخلخلة إيمانهم بعقيدتهم وإغراقهم في بحار من الجدل والحيرة المفضي إلى الفرقة والتشاحن .

وإذا تتبعنا أول ظهور لهذه الدعوة ، فإننا سننتهي إلى أن أول من أطلقها هو طالوت بن أعصم اليهودي [١] ، ثم أخذها عنه إبان بن سمعان [٢]،وتلقفها عنه الجعد بن درهم [٣] ،فكان أول من أظهر القول بخلق القرآن ونفي الصفات من أمة محمد صلى الله عليه وسلم أواخر العصر الأموي ،وقد هرب من الشام إلى الكوفة فتعلّم منه الجهم بن صفوان [٤] القول

---

(١) طالوت بن أعصم اليهودي ، وهو ابن أخت لبيد بن أعصم الساحر اليهودي ، وزوج ابنته أقام ببلخ ، ثم نفي إلى ترمذ ، ثم مات بأصبهان ، وقيل بمرو ، أحمد بن إبراهيم : توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم ، حققه:زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٦ هـ/١٩٨٦م ، جـ١، ص ص ٤٩،٥٦ .

(٢) إبان بن سمعان (لم أقف له على ترجمة) .

(٣) الجعد بن درهم ، من أهل دمشق ، فله بها دار ، وإليه ينسب مروان بن محمد (الجعدي) لأنه كان معلمه ، وهو أول من أظهر القول بخلق القرآن في أمة محمد ، وقد أخذ هذا القول عن إبان عن سمعان (اليهودي) وأخذه إبان من طالوت ابن أخت لبيد ، وختنة ، وأخذه طالوت من لبيد بن أعصم اليهودي وكان لبيد يقرأ القرآن ويقول بخلق التوراة ، وأول من صنف في خلق القرآن طالوت ، وكان زنديقا وأفشى الزندقة ، فلما أظهر الجعد بن درهم القول بخلق القرآن قتله خالد بن عبد الله القشري يوم الأضحى، ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر،جـ٦ ص ٥٠، ٥١.

(٤) الجهم بن صفوان السمرقندي ، أحد المعتزلة ، غالي في معتقده فانحرف عن السنة ، فقال بخلق القرآن بعد أن تلقف هذا الاعتقاد من الجعد بن درهم ، إليه تنتسب فرقة الجهمية ، وهي من الفرق المبتدعة، وهم الجبرية ، الذين قالوا بجبر الإنسان وبعدم قدرته ، ونفوا الصفات عن الله سبحانه وتعالى ، فمقته لذلك أهل العلم من التابعين وتابعي التابعين وتصدوا له ، ثم إن الخليفة هشام بن عبد الملك أمر وإليه=

بخلق القرآن ، وهو الذي تنسب إليه الجهمية [1] ، وعلى هذا يكون منشأ القول بخلـق القـرآن فكرة يهودية بثت لبلبلة عقول المسلمين وتشكيكهم في عقيدتهم ،وقد واجه العلماء والدولـة فـي العصر الأموي هذه الفكرة والقائلين بها بقوة وحزم فدخل بهلول [2] على خالد عبد الله القسري أمير العراق قائلا : " أحسن الله عزاءك في قل هو الله أحد " فإنها ماتت ،[3] وعندما سأله خالـد كيف تموت ؟ قال إن هذه الجعد يزعم أنها مخلوقة وكل مخلوق يموت[4] ، فاستحضره خالـد ، فناظرة ثم قتله يوم الأضحى[5] .

ومما يزيدنـا ميلا لتغليب التأثيرات اليهودية في هذه الفكرة ، أن أحد كبـارالمـروجين لها في

على خرسـان نصربن سيار بقتلـه ، فقتله ، اللالكـائي : اعتقـاد أهـل السنـة ، حققـه : أحمد سعد حمدان ، دار طيبـة ، الريـاض ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ، جـ ٣ ، ص ٣٨١ ، الخطيـب : تـاريخ بغـداد ، جـ ١٣ ، ص ٣٨١ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ١٠ ، ص ٢٠٠ ، الذهبي : المغني في الضعفاء ، المغني في الضعفاء ، تحقيق نور الدين عتر ، د.د .م . ت ، جـ ١ ، ص ١٣٨ ، ابن حجر : فتح الباري ، جـ ١٣ ، ص ٣٤٥ .

(١) ابن وادران : تاريـخ العباسيـن ، ص ٥٥٩ ، الجهميـة أصحـاب جهـم بن صفـوان ، وهو من الجبـرية الخالصـة ، ظهـرت بدعتـه بتـرمذ ، وقـد وافـق المعتـزلة في نفي الصفـات الأزلية عن الله عزوجل ، فقتـله لذلك مسلـم بن أحوز المازني بمرو آخر العصـر الأمـوي ، وقـد انقسمت الجهميـة إلى اثنتي عشر فـرقة ، هي المعطلـة ، والمريسيـة والملتزمة ، والواردـيـة والزنادقة ، والحرقيـة والمخلوقيـة ، والفانيـة ، والمغيـرة ، والواقعيـة ، والقبرية ، الشهرستاني : الملل و النحل ، ص ٨٦ ، ابن الجوزي : تلبيس إبليس ، ص ٢١ .

(٢) بهلول بن عمر ، يكنى بأبي وهيب الصيرفي الكوفي ، عرف ببهلول بالمجنون لوسواس في عقله ، وهو معدود من عقلاء المجانين ، إذ عرف بكلامه الحسن الذي لا يخلو من الحكمة ، كان يعظ الرشيد ويرفض اخذ المال مقابل موعظته ، لم أقف له على تاريخ وفاة ، إلا انه كان حيا في زمن الرشيد ، الذهبي : تاريخ الإسلام ، جـ ١٢، ص ص ٨٩ ، ٩٠ .

(٣) ابن وادران : تاريخ العباسيين ، ص ص ٥٥٩ ، ٥٦٠ .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) ابن تيمية : القرآن كلام الله ، جـ١ ، ص ص ١٧١ ، ١٧٢ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ ٥ ، ص ١٢٩ ، ابن وادران : تاريخ العباسيين ، ص ص ٥٥٩ ، ٥٦٠ ، انظر كذلك أبو زهرة ابن حنبل حياته وعصره وفقهه ، ص ٣٤ .

العصر العباسي الأول ، وهو بشرالمريسي [١] كان أبوه يهوديا [٢] ، وقد علـل بعـض العلمـاء المعاصرين للأحداث قوله بخلق القرآن لهذا السبب ، فعندما ذكر بشر المريسي لأحمد بن حنبـل ، قال : " كان أبوه يهوديا ، أي شيئ تراه يكون "؟![٣] وقد أكـد ذلك غير واحد من العلماء فقال أبـو النضر[٤] كان والد بشر يهوديا قصارا صباغا ،[٥] وقد مقته العلماء ، وكفره بعضهم لقولـه بخلـق القرآن ،[٦] وكان يوحنا الدمشقي [٧] يدفع بالمجادلين ليجروا المسلمين إلى الخوض في مسألة القدر وإرادة الإنسان ، وحرية الإرادة وجبرها ، تضليلا للمسلمين ، فقد روي أنه كان يقول لأتباعـه : " إذا سألك العربي ما نقول في المسيح ؟ فقل أنه كلمة الله ، ثم ليسأل النصراني المـسلم بـم يـسمى

---

(١) بشـر بن أبي كريمـة العدوى البغـدادي ، يكنى بأبـي عبد الرحمـن ، مـن موالي زيـد بن الخـطاب ، أصله يهـودي ، فقـد كـان والده يهوديا قصـارا صبـاغا في سويقـة نصـر وكـان بشر من أهل الكلام والاعتـزال ، فقـال بخلق القرآن ودعا إليه ، وكان من كبار مروجيه ، وقد طلبه الرشيد لذلك وأراد قتله فاختفى عنه ، حتى ولي المأمون الخلافة ، فاتصل به و زيَّن له القول بخلق القرآن وامتحان الناس فيه ، وأصبح زعيم المعتزلة في عصره ، توفي سنة(٢١٨هـ / ٨٣٣ م) ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ١٠، ص ص ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ .

(٢) الـذهبي: سيرأعـلام النبـلاء،جـ١٠، ص ص ٢٠١،٢٠٠، انظـرأحمد أمين:ضحى الإسلام جـ٣ ، ص ١٦٢.

(٣) الـذهبي : سيـر أعـلام النـبـلاء ، جـ ١٠ ، ص ٢٠١ ، مـيـزان الإعـتـدال ، جـ ١ ، ص ٢٢٣ .

(٤)أبو النضر هاشم بن القاسم الليثي الخرساني البغدادي ، أحد العلماء الحفاظ ، غلب الحديث عليه ، فقد رواه عن شعبة وابن أبي ذنب وغيرهما من كبار العلماء ، وروى عنه أحمد بن حنبل وابن المديني وغيرهما ، أثنى عليه معاصروه خيرا ، وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر،توفي سنة(٢٠٧ هـ/ ٨٢٢م) ، الذهبي : تذكرة الحفاظ ، جـ ١ ، ص ٣٥٩ .

(٥) الـذهبي : سير أعـلام النبـلاء ، جـ ١٠ ، ص ٢٠٠ ، ابـن وادران : تـاريـخ العبـاسيـن ص ٥٥٨ .

(٦) الذهبي : سير اعلام النبلاء جـ ١٠ ، ص ص ١٩٩ ، ٢٠٠ .

(٧) يوحنا بن سرجون بن منصور الدمشقي ، كان جده منصور أسقف دمشق حين الفتح الإسلامي لدمشق وهو الذي سلَّم مفاتيحها للمسلمين ، وعمل لدى معاوية في جباية الخراج ، وعمل أبوه سرجون لدى عبد الملك بن مروان ، ليوحنا تصانيف كثيرة ، وقد دارت بينه وبين علماء المسلمين مناقشات كثيرة حول حرية الإرادة وجبرها ، لم أقف على تاريخ وفاه ، ابن النديم : الفهرست ، ص ٢٢٤ .

المسيح في القرآن ؟ ، وليرفض أن يتكلم بشيئ حتى يجيبة المسلم ، فإنه سيضطر إلى أن يقـول أنَّ عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها إلى مريم وروح منه ، فإن هو أجاب بذلك فاسـألة عـن كلمة الله وروحه مخلوقة أم غير مخلوقة ، فإن قال مخلوقة ، فليرد عليه بأن الله كان ولم تكن لـه كلمة ولا روح فإن قال ذلك فسيفحم العربي لأن من يرى هذا الرأي زنديق في نظر المسلمين"[1] ، والصحيح أن عيسى يسمى بكلمة الله لأنه نشأ بمجرد كلمة الله " كن فيكون " فكان من غير توسـيط أب وكذلك خلق آدم من غير أب ولا أم ، وخلق حواء من أب دون واسطة أم .

وهكذا فقد استغل هؤلاء اليهود والنصارى ما أتيح في المجتمع من حرية فكرية ، وتسامح ديني ، لبث سمومهم في المجتمع الإسلامي ، محاولة منهم للخلط والإلباس على المسلمين ، ظنا منهم أنـه بمقدورهم تحويل المسلمين من الهدى إلى الضلالة .

ب- ترجمة كتب الفلسفة القديمة :-

بدأت الترجمة بالمهم من العلوم التي احتاج إليها المسلمون مثل علم الفلك والطـب والحـساب ، وغيرها من العلوم الطبيعية ، أواخر العصر الأموي وبدايات العصر العباسـي[2] ، إلا أنهـا لـم تتوقف عند هذا الحد وهذه الغاية اللازمة لنمو الأمة وتطورها ، والاستفادة من معطيات الحضارات السابقة ، بل تجاوزته إلى ما يدخل في مجال الترف الفكري ، الذي بدأ يؤثر تأثيرا سلبيا في الثقافة والحضارة الإسلامية ، وبدلا من أن يعمق مجرى الحضارة الإسلامية ، عمَّق الخلافات والتباينـات بين الفِرق الإسلامية ، فظهر علم الكلام ، كمسمى إسلامي للفلسفة ، وكان الغرض منه في البدايـة الرد على ما يوجه للإسلام من إفتراءات ، ولإقناع غير المسلمين بالإسلام ، وفق قالـب عقلانـي

(١) أبو زهرة : مالك حياته وعصره ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط١، ١٤٢٠ هـ/ ٢٠٠٠م ، ص ص ١٢٣ – ١٢٤ ، العمرجي : المعتزلة في بغداد وأثرهم في الحياة الفكرية والسياسية، ص ٥٩ ، أرنولد:الدعوة إلى الإسلام ، ص ٦٩ .

(٢) أنظر عبد الرحمن سالم : الاتصال الثقافي بين الخلافة العباسية والإمبراطورية البيزنطية في عصر المأمون ، بحث منشور في مجلة كلية دار العلوم ، العدد (١٨) سنة ١٤١٦ هـ/١٩٩٥م ، ص ص ١٧١ ، ١٧٢ .

يعترف به الآخر ويؤمن به [1] ، وهو غير مطلوب من المسلمين ، لأن مـن لا يـؤمن بهـدى الله المنزل ، لا يؤمن بغيره ، إلا أنه بعد ذلك أفرط فيه ، وتناول موضوعات عقائدية غيبية أخـضعت للفلسفة والعقل دون الحاجة إلى ذلك ، مع وجود علوم إسلامية أصيلة تعالج هذه القضايا ، وهكذا " فعندما يتنازل الإنسان بجحود وإنكار عن المصادر الحقيقة الكبرى لمعرفته ورواه ،عندئذٍ ستـصيبه السنة الماضية التي تقوم على قاعدة ، أنه ليس بعد الهدى إلا الضلالة ،وأنه ليس بعد الحق اليقـين الثابت إلا الضياع والتخبط في الظلمات" [2] ، وهذا ما وقع فيه المعتزلة عندما أخـضعت العقيـدة للفلسفة ، فظهرت على شكل أفكار منحرفة خطيرة مثل القول بخلق القرن والقول بتناسخ الأرواح ، ومحاولة المزج بين دين الله وأهواء البشر .

وكان لتجاوز بعض الخلفاء العباسيين حد الحاجة والغاية في الترجمـة ، مـن علـوم الأغريـق والفرس والهنود والسريان وإفراطهم في ترجمة كتب الفلسفة أثر في تنمية بعض الأفكار التي بثهـا اليهود وغيرهم ، وكان من ذلك القول بخلق القرآن ، ونفي الصفات عن الله تعالى ، وهو ما توصل إليه الشهرستاني [3] حيث قال : " وإنما شرعت أصحاب واصل بن عطا [4] في القول بخلق القرآن ونفي الصفات بعد مطالعة كتب الفلاسفة ، وانتهى نظرهم فيها إلى رد جميع الصفات ".

---

(١) أنظر أحمد محمود صبحي : في علم الكلام (دراسات فلسفية لأراء الفرق الإسلامية في أصول الدين) ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط ٥ ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٥٨ م ، ص ص ٣٢ ، ٣٣ .

(٢) عماد الدين خليل : ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز ، الدار العلمية ، بيروت ط٢ ، ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م ، ص ١٠٩ .

(٣) الشهرستاني : الملل والنحل ، جـ ١ ، ص ص ٤٦ ، ٤٧ .

(٤) واصل بن عطا البصري ، كان تلميذا للحسن البصري يحضر حلقته ثم اعتزلها بأمر الحسن البصري ، عندما سئل الحسن عن مصير مرتكب الكبيرة فأجاب واصل أنه في منزلة بين المنزلتين ، بمعنى أنه ليس في الجنة ولا في النار ، فأمره الحسن باعتزال حلقته ، فكوَّن حلقة أخرى في المسجد ، ودعي هو ومن انضم إليه بالمعتزلة فكان ذلك منشأ المعتزلة ، وكان فصيحا مفوها متكلما له مصنفات كثيرة منها كتاب أصناف المرجئة وكتاب التوبة وكتـاب المنزلة بين المنزلتين وكتاب طبقات أهل العلم والجهـل،وغيرها، توفي سنة (١٣١هـ/٧٤٩م)،ابن النديم: الفهـرست، ص٢٠٩ .

وإذا كانت الترجمة من اليونانية قد بدأت أواخر العهد الأموي على يد خالد بن يزيد [1] فإنها لم تزدهر إلأ في العصر العباسي الأول على يد المأمون [2] ، فاستخرج كتب الفلاسفة اليونان مـن جزيرة قبرس (قبرص)[3] ، وطلب كتبا من بلاد الروم وأمـر بترجمتهـا [4] ، واتخـذ بيـت الحكمة [5] التي كانت مستودعا لكتب الفلسفة إلى جانب المصنفات الدينية .

---

(١) حسن إبراهيم حـسن : تـاريخ الإسـلام الـسياسي ، جـ ـ ٣ ، ص٢٩٩ ، عبـد الـرحمن سـالم : التـاريخ السيـاسي للمعتـزلة حتى نهايـة القرن الثالث الهجـري ،ص ١٦٦ ، أبو زهـرة : مالك حياتـه وعـصره ، ص ١٢٤، خالـد بن يـزيد بن معاويـة بن أبى سفيـان القـرشي الأمـوي الدمشـقي ، يكنى بأبي هاشم مـن الطبقـة الثالثة من تابعي الشـام ، وصف بشغفـه للعلم والشعر، وكان أول من ترجم كتب اليونان إلى العربية ،ومـع ذلـك روى الحديث فروى عن دحيـة الكلبي وعـن أبيـه يزيـد بن معاوية ، قدم مصر مع مروان بن الحكم الذي تزوج أمه توفي سنة(٩٠ هـ /٩٠٩م) ، المزي: تهذيب الكمـال فـي أسـماء الرجـال ، جـ ـ ٨ ص ص ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ .

(٢) ابن النديم : الفهرست ص٣٠١،أنظر ستيفـن رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية جـ١، ص ٤٩ ، وليم لانج ر : موسوعـة تاريخ العـالم ، ترجمة عبد المنعـم أبو بكر ، مكتبـة النهضـة المصـرية ، القاهـرة ، جـ٢ ص ٥١٩ .

(٣) الذهبـي: سيـر أعلام النبـلاء ، جـ ١٠، ص ص ٢٧٨ ، ٢٧٩، قبـرس : (قبرص) كلمة روميـة وافقت في العـربيـة القبـرس وهو النحاس الجيـد ، ولـذلك فهم ينطقـونها بالسين قبـرس ، وهي جزيـرة في بحر الـروم (البحـر المتوسط) بـإزاء سـواحل الشام مما يلي تركيا واليونان ، افتتحهـا معاويـة بن أبـي سفيـان فصالحـه أهلهـا على جـزية سنـوية مقدارها سبعـة آلاف درهـم ، ياقـوت : معجـم البلـدان ، جـ ٤ ص ٣٤٦ .

(٤) جمع المأمون الفقـه من الآفـاق وبرع في العربيـة وفي أيام الناس،ولمـا كبر عني بالفلسفـة وعلوم الأوائل ومهر فيهـا، فجره ذلـك إلىالقـول بخلـق القرآن، الدنيوري : الأخبار الطوال ص ٤٠١،السيوطي: تاريخ الخلفـاء، ص ٣٤٩ ، المقريـزي: النـزاع والتخاصـم فيما بيـن بني أمية وبني هاشم ، مكتبـة الأهـرام ، القاهرة ، د.ت ص ٨٠ .

(٥) خضر أحمد عطـا الله : بيـت الحكمـة في عصـر العباسيـن ، دار الفكـر العربي ، القاهـرة ، ط١ ، ص٦٢ .

ج- أثر المعتزلة :-

قامت عقيدة المعتزلة [١] وفكرهم على عدد من القواعد ، هي التوحد وما تبعها من نفي صفات الله عز وجل ، والقول بالقدر أو حرية فعل الانسان ، والقول بالمنزلة بين المنزلتين والوعد والوعيد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . [٢]

والقول بخلق القرآن ينبع أساسا من الأصل الأول من أصول المعتزلة وهو التوحيد ، إذ بالغوا في بيان مفهوم التوحيد حتى نفوا عن الله سبحانه وتعالى الصفات التي وصف بها نفسه ، ومن ذلك كلام الله (القرآن) فقالوا بأنه مخلوق ، نفيا عن القرآن صفة الازلية والقدم حتى لا يشترك فيها شيئ مع الله ، لأنهم رأوا أن الشيئ إذا كان غير مخلوق أصبح قديما أزليا ، والقدم والأزلية من صفات الله وحده . [٣]

---

(١) يأتي اسم المعتزلة من الاعتزال ، ، ويجب أن نفرق بداية بين نوعين من المعتزلة،فهناك معتزلة الفتنة، وهو لفظ أطلق على أولئك الذين كانوا يعتزلون الفتن ، أما النوع الآخر فهم أهل الكلام ، وتأتي تسميتهم نسبة إلى إعتزال زعيمهم واصل بن عطا لحلقة الحسن البصري في مسجد البصرة في عهد الدولة الأموية ، وكان أحد تلاميذه ، عندما سئل الحسن عن صاحب الكبيرة أهو في الجنة أم في النار فأجاب واصل بقوله : في منزلة بين المنزلتين ، فطرده الحسن من مجلسه قائلا له : اعتزل مجلسنا فاعتزله ، وأقام حلقة مستقلة به في المسجد عرف من يأتيها بالمعتزلة ، ومنهم الجهمية نسبة إلى أحد المعتزلة وهو الجهم بن صفوان وتنقسم إلى ثلاثة فرق ، فقال بعضهم القرآن كلام الله ، وهو مخلوق ، وقال بعضهم القرآن كلام الله وسكت وهم الواقفة وقال بعضهم ألفاظنا بالقرآن مخلوقة ، فهؤلاء جميعا جهمية ، وعندما يطلق لفظ المعتزلة يقصد به أهل الكلام وأتباع واصل بن عطا ، ابن الجوزي : مناقب الإمام أحمد بن حنبل ، ص ٧٦٨ ،ابن تيمية القرآن كلام الله حقيقة ، جـ١ ، ص ١٥٨ ، ١٧٢ ، انظر صلاح أبو السعود : المعتزلة ، مكتبة النافذة ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤ م ،ص ص ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ .

(٢) الشهرستان : الملل والنحل ، جـ ١ ، ص ٤٣ ، ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، جـ ٣ ص ١١ ، ١٢ انظر حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي والدين الاجتماعي جـ ٢ ، ص ١٠ ، عبد الرحمن سالم : المعتزلة في بغداد وأثرهم في الحياة الفكرية والسياسية ، ص ٥٨ ، أبو زهرة : ابن حنبل وحياته وعصره وفقهه ، ص ٤٤ .

(٣) عبد الرحمن سالم : المعتزلة في بغداد وأثرها في الحياة الفكرية والسياسية ، ص ٥٨ .

كما قالوا إن كلام الله صفة فعل مخلوق يخلقه الله في الأشياء ، فقالوا إن الله تعالى كلم موسى بكلام أحدثه في الشجرة (١) ، كما توهموا جهلا أن القول بان القرآن كلام الله سيثبت ادعاء النصارى بما يذهبون إليه من تأليه المسيح وقولهم بأنه غير مخلوق بل هو كلمة الله ، فقالوا بأن القرآن كلام الله مخلوق ، وإذا ما أضفنا إلى ما سبق أثر الآراء الفلسفية التي أنكب عليها المعتزلة بعد أن بدأت حركة الترجمة إذ تأثر الاعتزال في تطوره بالفلسفة الإغريقية (٢) ، وهكذا فقد أدت هذه المعطيات إلى قول المعتزلة بخلق القرآن ونفي صفات الله تعالى .

١ - القول بخلق القرآن قبل المأمون :

ظل المعتزلة يسوقون بضاعتهم الفكرية قبل عهد المأمون في الخفاء ، لأن الدولة كانت تنظر إلى أفكارهم بوصفها بدع وأهواء غريبة عن الفكر الإسلامي ، وغير مرغوب بها ، وكان العلماء انذاك يعززون هذا الاتجاه(٣) ، ويكشفون زيف تلك الطروحات وخطورتها ، على عقيدة المسلمين وأصالة فكرهم .

فبالرغم من تقريب المنصور للمعتزلة ، واهتمامه بترجمة كثير من كتب الفرس واليونان والسريان إلى العربية ، وتقريبه المنجمين (٤) ، إلا أن المعتزلة لم يجرؤوا على إعلان القول بخلق القرآن في عهده (٥) ، وفرَّق الرشيد بين تشجيعه للحركة العلمية والأدبية ، وبين إتاحة الفرصة لأهل الأهواء والبدع ، فمنعهم من إخضاع العقيدة للجدل وفق المنهج الفلسفي ، وتتبع القائلين بخلق

---

(١) ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل جـ ٣ ، ص ص ١١ ، ١٢ ، ١٣ .

2- Nichlson ; Aliterary History of Arabs , P369 (Cambridge univirsity . Press, 1953 AD).

(٣) كان العلماء يسمون القائلين بخلق القرآن أو الذين يخوضون في علم القرآن أو الكلام أهل بدع ، أو مبتدعة ، صالح بن احمد بن حنبل : سيرة الإمام احمد بن حنبل ص٦٦ ، أنظر كذلك الكوثري : حسن التقاضي في سيرة الإمام أبي يوسف القاضي ص ٣٦ .

(٤) الجندي : السلوك في طبقات العلماء والملوك جـ ٢ ص ٢٠٨ .

(٥) ابن الجوزي : تلبيس إبليس ص ١١٩ . أنظر كذلك عبد الرحمن سالم : الاتصال الثقافي بين الدولة العباسية والإمبراطورية البيزنطية ص ١٦٩ .

القرآن ، فتوارى عنه بشر المريسي ، بعد أن توعده بالقتـل لقوله بخلق القرآن ، حيـث قـال : " بلغني أن بشرا يزعم أن القرآن مخلوق ، علي إن أظفـرني الله به لأقتلنه قتلة ماقتلتها أحـدا قـط "[1] ، ومنع الأمين المعتزلة من القول بخلـق القرآن ، وواجههـم ،فـأخذ ابن علية فـي القـول بخلق القرآن حتى اعترف بخطئه وتاب من قوله [2] ، بعد أن أفتى عبد الرحمن بن مهدي بقتلـه إن لم يرجع عن قوله [3] وكان للعلماء حينـذاك دور كبير في مواجهة القول بخلق القـرآن قبـل أن يعلن ويحمل الناس عليه ، فكان الأوزاعي يحـدث عن كل من الزهـري ومكحـول [4] أن القرآن كلام الله غير مخلوق [5] ، وأنكر مـالك القول بخلـق القـرآن ، واستفظعـه ورأى أن يعاقب القائل به حتى يتوب[6] ، وعندما سمع أبو حنيفـة عن القـول بخلق القرآن ، قال :"كبـرت

(١) ابن الجوزي : مناقب الإمام احمد بن حنبل ص ٢٧٥ ، مرعي بن يوسف : تنوير بصائر المقلدين ، ص ١٠٧ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٣٢٦ ، انظر أحمد أميـن ضحى الإسلام ، جـ ٢ ص ٤٧ ، أبو زهرة : ابن حنبل حياتـه وعصـره ، ص ٤٤ ، العمـرجي : المعتـزلة في بغـداد وأثـرهم في الحيـاة الفكرية والسياسية ، ص ٤٧ .

(٢) قال أحمد بن حنبـل : إني لأرجو أن يـرحم الله الأميـن لإنكاره على إسماعيـل بن علـى قولـه بخلق القرآن ، صالـح بن أحمـد بن حنبـل : سيـرة الإمـام أحمـد بن حنبل ص ٦٧ ، ابن الجـوزي : منـاقب الإمام أحمد ابن حنبل ص ٢٧٥ ، الذهبي : ميزان الإعتدال في أسماء الرجال ، جـ ١ ، ص ٢١٩ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٣٤٥ .

(٣) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ١٠ ، ص ٢٠١ .

(٤) مكحول ، يكنّى بأبي عبد الله ، من سبي كابل ، إذ كان لسعيد بن العاص فأعطاه لامرأة من هذيل فأعتقته ثم تحول إلى دمشق فسكنها إلى أن مات ، وهو عالم الشام ، روى الحديث عن عدد من الصحابة توفي بدمشق سنة (١١٢هـ/ ٧٣٠م) أبو نعيم : حيلة الأولياء ، جـ ٥ ، ص ص ٢٠٢ ، ٢١٣ ، ابن حبـان : مشاهيـر علماء الأنصار ، ص ١١٤ .

(٥) صالح بن أحمد بن حنبل : سيرة الإمام أحمد بن حنبل ، ص ٧٠ .

(٦) صالح بن أحمد بن حنبل : سيـرة الإمام أحمد بن حنبل ، ص ٦٦ ، النجـار : كتـاب الـرد علـى من يقـول القـرآن مخلوق ، تحقيـق رضأ الله محمد إدريس ، مكتبة الصحابـة الإسلاميـة ، الكويت ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ، ص ٧١ .

كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كـذبا " [1] وعد سفيان ،الثـوري القائل بخلـق القـرآن مبتدع [2] ،كافر [3] .

وأكد ذلك كل من سفيان بن عيينة [4] وعبد الله بن المبارك[5] ، وعبد الرحمن بـن مهـدي [6] ، وعندما سئل جعفربن محمد عن القرآن أمخلوق هو ؟ فقال :" ليس بمخلوق ولا بخـالق ، ولكنـه كلام الله " [7] ، وأفتى أبو يوسف بضرب وحبس القائلين بخلق القرآن ، والمجـادلين فيـه [8] ، وكانت للشافعي مناظرات ومساجلات مع القائلين بخلق القرآن كانت تنتهي بتكفيرهم ، فيتوبـون أو يكابرون [9] .

١ - حيثيات تبني الدولة القول خلق القرآن :

بداية وخلافا للإتجاه القائل بأن الدولة العباسية ، وتحديدا بين عهدي المأمون والواثق ، اتخذت من قضية القول بخلق القرآن وسيلة من وسائل الإلهاء السياسي لصرف العلماء عن مراقبة شئون الحكم والسياسة والاجتماع ، ومحاسبتهم فيها، ولتخفيف حدة معارضتهم للحكم العباسي بـشغلهم بقـضايا عقائدية .

---

(١) سورة الكهف : الآية ٥ ، الندوي : الإمام محمد بن الحسن الشيباني ، دار القلم ، دمشق ، ط١ ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م ، ص ٢٢٤ ، عن الخطيب : تاريخ بغداد ، جـ ١٣ ، ص ٣٧٧ .

(٢) ابن عبد البر : الانتفاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء أبي حنيفة ومالك والشافعي ، ص ٦٣ .

(٣) أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ٧ ، ص ٣٢ .

(٤) أبو نعيـم : حلية الأوليـاء ، جـ ٧ ص ٣٢٨ ، ابـن عبد البـر : الانتقـاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء ، ص ٦٣ .

(٥) أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٧ ، ص ٣٢ .

(٦) صالح بن احمد بن حنبل : سيرة الإمام احمد بن حنبل ص ص ٦٦ ، ٧٠ ، النجار : كتاب الرد على من يقول القرآن مخلوق ، ص ٦٩ .

(٧) النجار : الرد على من يقول القرآن مخلوق ، ص ٧٠ .

(٨) الكوثري : حسن التقاضي في سيرة الإمام أبي يوسف القاضي ، ص ٣٥ .

(٩) الرازي:مناقب الإمام الشافعي،ص٧٣، ابن حجر : سيرة الإمامين الليثي والشافعي ، ص ص ١٣٠ ، ١٤٨، ١٤٩.

ويتساءل الباحث هنا ، كيف ذلك ؟ والدولة كما يشير تيار كثيف من الروايات ، وكما تثبت كثير من الدراسات التاريخية ، وكما تشير القرائن التاريخية – وكما لا يخفى على أحد - كانت تدفعهم دفعا إلى العمل في أجهزتها المختلفة وإلى المشاركة السياسية ، وتعمل على تضمين اجتهاداتهم وتخريجاتهم الفقهية ، في تشريعاتها، كإطار نظري تتحرك ضمنه أجهزتها المختلفة ؟ كيف ذلك والخلفاء يدفعونهم إلى نوع من المعارضة المركبة ، فيطلبون منهم نقدهم وتبصيرهم بعيوبهم وبمواطن الضعف في سياساتهم ، ثم يستأنسون بتوجيهاتهم ورؤاهم.

ثم لماذا لم تتخذ الدولة العباسية قبل المأمون هذا الأسلوب التمويهي للإلهاء السياسي عندما كانت بحاجة إليه ، إبان الأزمات السياسية في مواجهة العلماء ، بل على العكس من ذلك حاربت القائلين بخلق القرآن ، وغيرهم من الزنادقة الذين كانوا يستهدفون بأفكارهم المسلمين في عقيدتهم وفي فكرهم .

والصحيح أن الدولة استدرجت إلى هذا الموقف والمأزق من قِبل المعتزلة الذين أحاطوا بهؤلاء الخلفاء ووجهوهم إلى حمل الناس على هذه البدعة ، وقد عبر عن ذلك ابن خلدون [١] حيث قال : " ولقَّنها بعض الخلفاء عن أئمتهم فحمل الناس عليها " .

والمقصود بأئمتهم مؤدبيهم وأساتذتهم من المعتزلة ، فقد أحاط هؤلاء بالمأمون منذ نعومة أظفاره ، مؤدبين ومعلمين ، فتشرَّب مبادئهم وذهب مذهبهم ، وما أن تسلم الخلافة حتى وجد المعتزلة متنفسا فكريا وسياسيا ، بثوا من خلاله أطروحاتهم الفكرية ، ومنها القول بخلق القرآن ، ثم لعبوا بعد ذلك الدور الأكبر في توجيه الدولة لتبني هذه الفكرة بل وفي استعدائها على المخالفين ، وعد مسألة خلق القرآن أصلا من أصول العقيدة .[٢]

فقد اتصل المأمون بعدد من الشخصيات المعتزلية البارزة ، سواء قبل توليه الخلافة أم بعدها

(١) المقدمة ص ٤٦٤ .

(٢) ابن الجوزي : مناقب الإمام احمد بن حنبل ص ٣٩ ، أنظر كذلك العمرجي : المعتزلة في بغداد وأثرهم الفكر والسياسي ، ص ٥٠ .

وتتلمذ على يد شيوخ المعتزلة أمثال أبو الهذيل العلاف [(١)] ، وبـشر المريـسي [(٢)] و ثمامـة بـن أشرس[(٣)] ، ثم قرب إليه المعتزلة ، واستبدلهم بقضاته وكبار أعوانه ، فعزل يحيى بن أكـثم عـن قضاء القضاة واستبدله بأحمد بن أبي دواد .

أستمر المعتزلة بعد ذلك يوجهون الخلفاء العباسيين ، بعد المأمون ، ويزينون لهم الاستمرار فـي امتحان الناس في القرآن بوصفه ، كما زعموا ، أصلا من أصول العقيدة ، وظلت الدولة تحت تأثير المعتزلة تمارس كل ألوان الاضطهاد والإكراه ضد العلماء والعامة لموافقتها فيما ذهبت إليـه مـن القول بخلق القرآن ، واتخذت في ذلك منهجا متدرجا من أكثر من جانب ، فهناك تدرجا ومرحليـة من حيث أسلوب عرض فكرة القول بخلق القرآن وأخذ الناس به ، كما اتخذت مرحلية في دعـوة المدعوين إلى القول بخلق القرآن ، ثم مرحلية في أساليب الضغط على العلماء وغيرهم من النـاس لحملهم على القول بخلق القرآن ، وكذا مرحلية متدرجة في أساليب العقاب النفسية والجسدية ضـد المعارضين للقول بخلق القرآن .

٢- تدرج الدولة في أسلوب عرض القول بخلق القرآن :

سعى المأمون بعد أن اعتنق مبادئ المعتزلة ووقع تحت تأثيرهم ، إلى تسويق مبادئهم ، ومن ذلك القول بخلق القرآن ، وقد تم ذلك على مرحلتين رئيسيتين ، بدأت المرحلة الأولى في سنة (٢١٢هـ-

---

(١) محمـد بن الهذيـل أبو الهذيـل البصـري العـلاف ، راس المعتـزلة في البصـرة ، ولـه مصنفات كثيـرة في الاعتـزال ، فأنكـر الصفـات المقدسـة لله تعالى ، بما في ذلك العلـم والقـدرة ، وزعم أن نعيـم الجنة وعذاب النار ينتهـي ، وقد توفي في سنة (٢٢٧ هـ/ ٨٤٢ م) ، الذهبي : سيـرأعلام النبـلاء،جـ١٠، ص ص ٥٤٢ ، ٥٤٣ .

(٢) ابن وادران : تاريخ العباسيين ، ص ص ٥٥٨ ، ٥٥٩ .

(٣) ثمامة بن أشرس أبو بشر النميري ، بدأت صلته بالمأمون في مرحلة مبكرة عندما اتصل ثمامة بالرشيد ، إلا أن هذه الصلة لم تتمكن إلا بعد أن استخلف المأمون وفي المرحلة الأولى من خلافته حيث كان المأمون في خراسان ، وقـد بلغ منزلة جليلة لدى المأمون ، ابن النديم : الفهرست ، ص ٢١٠ .

/ ٨٢٧م) بإظهـاره القـول بخلـق القرآن دون أن يدعـو الناس إليه [١] ، وقـد رافـق ذلـك تفضيله عليا رضي الله عنه على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما [٢] ، ومنع الناس مـن التـرحم على معاوية ، أو ذكره بخير [٣] ، وهو ما يؤكـد الامتزاج بيـن الفكر المعتزلي ، والفكر الشيعي الزيدي ، خصوصا ، ثم إن المأمون حاول قبل ذلك تحويل الخلافـة إلى العلوييـن عنـدما بايـع بولاية العهد لعلي الرضا [٤] .

ودعا في نهاية هذه المرحلة الناس إلى القول بخلق القرآن دون أن يمتحنهم فيه وقد استمرت هذه المرحلة حتى سنة (٢١٨هـ / ٨٣٣م) .

بدأت المرحلة الثانية سنة (٢١٨ هـ / ٨٣٣ م) بإقدام المأمون على خطوة خطيرة ، ابتـدأ فيهـا الفتنة ، وفرَّق بها كلمة المسلمين ، عندما استقر رأيه على امتحان الناس في القرآن ، وحملهم على موافقة رأيه ومذهبه في أن القرآن مخلوق ، فكتب وهو بالرقة إلى إسحاق بن إبراهيم صاحب شرطته ببغداد بامتحان الناس ، فامتحنهم . [٥]

---

(١) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٧ ، ص ١٨٨ ، ابن أعثم : كتاب الفتوح ، جـ٨ ، ص ٣٢١ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ١٠ ص ص ٢٨١ ، ٢٨٦ ، العبر في خبر غبر ، جـ١ ، ص ص ٢٨٢ ، ٢٨٤ ، الحجاجي : موعظة الخلق بقصص السلف ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، رقم ١٧٧٢ ميكروفيلم ١٧٧٧٨ تاريخ ، ص ٣٤ .

(٢) الذهبي : سيـر أعلام النبـلاء جـ ١٠،ص ٢٨٦ ، الحجـاجـي مـوعظـة الخلـق بقص السلف ، ص ٣٤ .

(٣) الذهبي : سير أعلام النبـلاء ، جـ ١٠ ، ص ٢٨١ ، العبـر فـي خبـر مـن غبـر جـ ١ ص ٢٨٤ .

(٤) الذهبي:سيرأعلام النبلاء،جـ١٠ص٢٧٤،السيوطي:تاريخ الخلفاء،ص٣٥٠،ابن وادران:تاريخ العباسيين،ص ٢٥٨ .

(٥) كتب المأمون إلى إسحاق بن إبراهيم :"أما بعد فإن حق الله على أئمة المسلمين وخلفائهم الاجتهاد في إقامة دين الله الذي استحفظهم بمواريث النبوة التي أورثهم وأثر العلم الذي استودعهم والعمل بالحق في رعايتهم والتشمير لطاعة الله فيهم وقد علم أمير المؤمنين أن الجمهور الأعظم والسواد الأكبر من حشد الشريعة وسفلة العامة ممن لا نظر ولا رؤية ولا استدلال له بدلالة الله وهدايته والاستضاءة بنور العلم وبرهانه،في جميع الأقطار والآفاق،أهل جهالة بالله وعمى عنه وضلالة عن حقيقة دينه وتوحيده والإيمان به ، ونكوب عن واضحات أعلامه ، وواجب سبيله وقصور أن يقدروا الله حق قدره ويعرفوا كنه معرفته،ويفرقوا بينه وبين خلقه لضعف آرائهم ونقص عقولهم،وذلك أنهم ساووا بين الله سبحانه وتعالى وبين ما أنزل من القرآن،ثم وصف مخالفيه من العلماء بأنهم جادلوا بالباطل ونسبوا أنفسهم إلى السنة،وبيَّن انهم

٣-تدرج الدولة في دعوة الناس إلى القول بخلق القرآن :

وفي الوقت ذاته ومن ناحية أخرى اتخذت الدولة مرحلية أخرى في دعوة الناس وحملهـم علـى القول بخلق القرآن من حيث التدرج في دعوة المدعويين ، وامتحانهم .

بدأ المأمون بدعوة القضاة لامتحانهم في القـرآن ، اذ كانـت خطوتـه الأولـى تهـدف إلـى قصرأعمال الدولة على من يثق به ، وهـو لا يثـق إلا بمـن وافقـه فـي مذهبـه وقـال بـأن القرآن مخلوق لأنه في نظره دليل صحه عقله وإيمانه، فكتب إلى إسحاق بن إبراهيم بامتحان مـن لديه من القضاة قائلا:" فأجمع من بحضرتك من القضاة وأقرأعليهم كتاب أميرالمؤمنين هـذا إليـك فابدأ بامتحـانهم فـي القـرآن"[١]،ولـم يقتـصرذلك علـى قـضاة بغـداد،بل أمـره بامتحـان غيرهم من قـضاة الأمـصارفقال:"وبـث الكتـب إلىالقـضاة فـي النـواحي بالقـدوم عليـك لتمتحنهم ، واعلمهم أن أميرالمؤمنين غيرمستعين في عمله ، ولاواثق فيما قلده الله واستحفظه فـي أموررعيته بمن لايوثـق بدينه وخلوص توحيده ويقينـه [٢]"، فكتب إلى مصر[٣]، وإلى الجزيرة [٤]

=على ضلالة،الطبري:تاريخ الأمم والملوك،جـ٧، ص ص٢٠٣،٢٠٢،١٩٦،١٩٥،الخطيب البغدادي:تاريخ بغداد،جـ٣ ، ص٣٢٣،ابن الجوزي:مناقب الإمام أحمد بن حنبل ، ص ٢٧٦ ، الذهبي : العبر في خبر من غبر ، جـ١، ص ص ٢٩٣،٢٩٤، ٣٠٠، ابن تغري بردي : مورد اللطافة فيمن ولي السلطة والخلافـة ، ص ٤١ ، ٤٢ ، الحجاجي : موعظة الخلق بقصص السلف ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، برقم (١٧٧٧٨) ميكـروفيلم (١٧٧٢)، تاريـخ ، ص ٤٣ .

(١) الطبـري: تـاريـخ الأمم والملـوك ، جـ ٧ ، ص ص ١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢٠٢ ، الخطيـب : تـاريـخ بغـداد ، جـ ٣ ، ص ٣٢٣ ، ابـن الجـوزي : منـاقـب الإمـام أحمـد ص ٢٧٦ ، الـذهبـي : سيـر أعـلام النبـلاء ، جـ ١٠ ، ص ص ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، الحجـاجـي : موعظـة الخـلف بقصـص السلـف ص ٣٤

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ،جـ٧ ، ص ١٩٧ ، الخطيب : تاريخ بغداد ، جـ ٣ ، ص ٣٢٣ ، ابن الجوزي : مناقب الإمام أحمد بن حنبل ، ص ٢٧٦ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ١٠ ص ص ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، الحجاجي : موعظة الخلف بقصص السلف ، ص ٣٤ .

(٣) الكندي : كتاب القضاة وكتاب الولاة ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، د . ت ، ص ص ٤٤٥ ،٤٤٧ .

(٤) ابن الجوزي : مناقب الإمام أحمد بن حنبل ص ٣٤٣ .

وإلى الكوفة [١] ، بامتحان القضاة في القول بخلق القرآن .

وقد استجاب بعـض القـضاه للمـأمون وجـاروه رهبـة ورغبـة [٢]، بينمـا رفـض بعـضهم الآخـر مجاراتـه ، فاسـتغنى عـنهم ، واسـتبدل بهـم مـن وافقـوه فعـزل يحيى بن أكثم عن قضاء القضاة واسبدل به أحمد بن أبي دواد [٣] وعزل بشر بن الوليد عن قضاء بغداد [٤].

بل لقد اشتمل الامتحان كل من له صلة بالأحكام ، حتى ولو كانوا شهودا في نزاع يفـصل فيه القاضي ، فأبطلت شهادة كل من نفى أن يكون القرآن مخلوقا [٥] .

ثـم عمـم المـأمون الـدعوة إلـى القـول بخلـق القـرآن علـى العلمـاء كافـة ، بعد أن كانت مقـصورة فـي المرحلـة الأولـى علـى القـضاة ، وغيـرهم مـن مـوظفي الدولـة ، فكتب إلى إسحـاق بـن إبـراهيم بامتحـان العلمـاء [٦] محـددا عـددا مـنهم ،

---

(١) ابن الجوزي : مناقب الإمام أحمد بن حنبل ، ص ٣٤٥ .

(٢) الطبـري : تاريـخ الأمم والمـلوك جـ ٧ ص ١٩٧ ، ابن الجـوزي : مناقب الإمام أحمد بن حنبل ، ص ٢٧٧ ، الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ ١ ص ٢٩٣ ، ٢٩٤ .

(٣) مجهول :العيـون والحدائق ،ص ٢٦٦، ٢٦٧ ، أنظرالعمرجي:المعتزلة في بغداد وأثرهم في الحياة الفكرية والسياسية، ص٥٣ .

(٤) ابن سعد:الطبقات الكبرى ،جـ٧،ص ص ٣٥٥، ٣٥٦، الطبري:تاريخ الأمم والملوك، جـ٧،ص ص ٢٠٢ ، ٢٠٣.

(٥) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٧ ، ص ٢٠٠.

(٦) المصدر نفسه ، ص ٢٠٤ .

أمثال أحمـد بن حنبل ، والقواريـري ومحمد بن نوح [1] و سجادة [2] و ابـن العـوام [3] وأبو نصر التمار [4] ، وسعدويه [5] وعلي بن مقاتل وآخرين [6] ، وهو ما نجده في الرسائل المتبادلة بين المأمون وصاحب شرطته ببغداد حيث أمره بامتحانهم في القرآن .

٤ - المرحلية من حيث أساليب الضغط لحمل الناس على القول بخلق القرآن :-

كما تدرجت الدولة في الامتحان في مسألة القول بخلق القرآن ، مـن حيـث أسـاليب الـضغط والإكراه على متابعتها فيما ذهبت إليه ، وتتلخص في الآتي :

أ- قصر العمل في أجهزة الدولة على القائلين بخلق القرآن ، وعزل المخالفين عنها .

---

(١) محمد بن نوح بن ميمون بن عبد الحميد بن أبي الرجال العجيلي ، أحد تابعي التابعين صاحب سنة وحديث ، كان ممن ابتلاهم ، المأمون في القول بخلق القرآن ، واستقدمه إلى الرقة مع أحمد بن حنبل ، إلا أنه مرض في طريقه إلى الرقة ومات سنة(٢١٨ هـ/ ٨٣٨ م) ، الخطيب : تاريخ بغداد ، جـ ٣ ، ص ص ٣٢٢ ،٣٢٣ .

(٢) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٧ ، ص ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، سجادة : أحد تابعي التابعين ومن العلماء الموصوفين بالورع عمل في جهاز الدولة العباسية ، فكان قاضيا على المدائن للمأمون ، وكان لا يقبل شفاعة الخليفة وتدخله في أقضيته ، وكان بصحبة المتوكل لما أتى دمشق ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، جـ ٦٨ ، ص ٧٢ .

(٣) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ص ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، أحمد بن يزيد بن العوام أحد العلماء حدث عن مالك بن أنس وعن غيره من كبار العلماء ، كان ينهى عن الإصغاء لأهل البدع ، وكان ممن أخذ وابتلى في فتنة القول بخلق القرآن ، الخطيب ، تاريخ بغداد ، جـ ٥ ، ص ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

(٤) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٧ ، ص ٢٠٤ ، ابو نصر التمار ، اسمه عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الملك بن ذكوان بن يزيد القشيري ، أحد العلماء الذين ابتلاهم المأمون في القول بخلق القرآن ، دأب على الترحال والتنقل بين الأنصار طالبا للعلم ، وهو من الموالي أصله من نسا بخرسان إلا أنه نزل بغداد واستقر بها ثم توفي فيها سنة(٢٢٨ هـ / ٨٤٣ م)، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ١٠ ، ص ص ٥٧١ ، ٥٧٢ .

(٥) سعدويه واسمه سعيد بن سليمان الضبي الواسطي البزاز ، لكنه لقب بسعدويه ، يكنى بأبي عثمان ، سكن بغداد ونشر العلم بها وهو من العلماء المعروفين توفي سنة(٢٢٥ هـ / ٨٤٠ م)، الذهبي : سير اعلام النبلاء ، جـ ١٠ ، ص ص ٤٨١ ، ٤٨٢ .

(٦) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٧ ، ص ٢٠٠ .

ب- إيقاف أعطيات وأرزاق المخالفين للدولة في مسألة القول بخلق القرآن .

جـ - منع العلماء غير الموافقين للدولة من الفتيا والحديث بالمساجد .

د - قصر الفداء للأسرى على من يقول بخلق القرآن .

أ- قصرالعمل في أجهزة الدولةعلى القائلين بخلق القرآن ، وعزل المخالفين من أعمال الدولة :

كان من أساليب الضغط على العلماء لإكراههم على القول بخلق القرآن ، حرمان مـن كـان يعمل منهم في أجهزة الدولة من وظائفهم ، وعدم قبول شهاداتهم في القضاء في حالة معارضتهم لهذه الفكرة ، وعدم الاستعانة بهم في أعمال الدولة ، ويوضح هذا ما جاء في رسالة المأمون إلى نائبة على بغداد اسحاق بن إبراهيم ، حيث قال : " وأعلمهم أن أمير المؤمنين غير مستعين فـي عمله ولا واثق فيما قلده الله ، واستحفظه من أمور رعيته بمن لا يوثق بدينه وخلوص توحيـده ويقينه ، فإنه لا توحيد لمن لم يقر بأن القرآن مخلوق ، ومن لم يقل منهم أن القرآن مخلوق أبطل شهادته " .[1]

وعزلت الدولة من عارض القول بخلق القرآن عن العمل بالقضاة ، فعزل يحيى بـن أكـثم عن قضاء القضاة[2] ، وعزل بشر بن الوليد عن قضاء بغداد .[3]

ب - إيقاف أعطيات المخالفين للدولة في القول بخلق القرآن وأرزاقهم .

كما أوقفت الدولة الأعطيات والأرزاق عن العلماء الذين أنكروا أن يكون القـرآن مخلـوقا ،كوسيلـة للضغط عليهم لإجبارهم على موافقتها ، إلا أن ذلك لم يثنهم عن قولهم ، فكتـب المأمـون إلى نائبة

---

(١) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ٧ ، ص ص ١٩٧ ، ٢٠٠ ، الذهبي : سيرأعلام النبلاء ، جـ ١٠، ص ٢٨٨.

(٢) مجهول : العيون والحدائق في الأخبار والحقائق ، ص ٢٦٦ .

(٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ٧ ، ص ٣٥٥ ، الطبري : تاريخ الأمم والملوك، جـ٧ ص ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ .

في بغداد بحبس رزق عفان بن مسلم [١] لأنه لم يقـر بخلق القـرآن [٢] ، ومنع علي بن المديني من عطائه لمدة عامين لرفضه القول بخلق القرآن ، حتى أملق [٣] ، ومع ذلك فإن هؤلاء العلماء لم يلينوا أمام هذا التهديد ، ورفضوا مجاراة الخلفاء في ضـلالتهم ، فكـان جواب عفان بن مسلم أمام التهديد بحبس رزقه ، أن ردد قوله تعالى : " وَفِي السَّمَاء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ " [٤].

جـ - منع العلماء غير الموافقين من الفيتا و الحديث :

وكان من وسائل الضغط الذي مارسته الدولة لحمل العلماء على القول بخلق القرآن ، أن منعـت من الفتيا والحديث كل من نفى أن يكون القرآن مخلوقا ، فمنـع المأمون بشر بن الوليـد مـن الفتيا ببغداد [٥] وأوقف المعتصم أحمد بن حنيل عن مباشرة الحديث [٦] ، بل أن الأئمة والمـؤذنين منعوا من ممارسة أعمالهم مادامو يصرون على خلاف الدولة في مسألة القول بخلق القرآن .[٧]

د- قصر الفداء للأسرى على القائلين منهم بخلق القرآن:

كما مارست الدولة العقاب على كل من رفض القول بخلق القرآن ، من الخاصة والعامـة وقـد

---

(١) عفان بن مسلم : الصفار ، يكنى بأبي عثمان من الموالي ، إذ كان مولى لعروة بن ثابت الأنصاري ، أحد العلماء الثقاه في الحديث توفي ببغداد سنة (٢٢٠ هـ / ٨٣٥ م) ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ٧ ،ص ٢٩٨ .

(٢) ابن الجوزي : صفة الصفوة ، جـ ٤ ص ٥ ، ابن الجوزي : مناقب الإمام احمد بن حنبل ، ص ص ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، الذهبي : العبر في خبر من غبر ، جـ ١ ، ص ٣٠٠ .

(٣) ابن الجوزي : مناقب الإمام أحمد بن حنبل ، ص ص ٣٤١ ، ٣٤٢ .

(٤) الذاريات ، الآية : ٢٢ ، والصحيح أن الدولة لم تكن تقطع العطاء بمعنى الإزالة والإنهاء وإنما بمعنى الحبس ولذلك كان يجتمع لأحدهم عطاء سنتين أو أكثر أو أقل ، فإذا ما انتهى الأمر الذي حبس من أجله عطاؤه ، أعطى عطاؤه لكل المدة التي قطع فيها ، ابن الجوزي : صفة الصفوة ، جـ ٤ ، ص ٥ ، مناقب الإمام أحمد بن حنبل ، ص ص ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، الذهبي : العبر في خبر من غبر ، جـ ١ ، ص ٣٠٠ .

(٥) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ٧ ، ص ص ٣٥٥ ، ٣٥٦ .

(٦) ابن الجوزي : مناقب الإمام أحمد ، ص ٣٠٥ ، مرعي بن يوسف : تنوير بصائر المقلدين ، ص ١١٨ .

(٧) الذهبي : سيرأعلام النبلاء ، جـ١٠ ، ص ٢٩١ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٣٨٥ .

يبدو ذلك واضحا من توجيه الواثق بامتحان أسرى المسلمين الذين يفادون من الروم بخلق القرآن[1] ' وهو ماعدً نوعا من الإرهاب الفكري إذ كان ينتظر كل من نجا من هؤلاء الأسرى مـن عـذاب الروم ورقهم ، امتحان وبلاء أشد وأقسى في أرض المسلمين ، لأنه امتحان يـذهب بالـدين ، ثـم تعاظمت البلوى عندما أمر الواثق ، بإشارة من كبار أعوانه من المعتزلة ، بقصر الفداء على مـن يعلن أن القرآن مخلوق وإلا ترك في الأسر [2] .

هـ - الضغط من خلال وسائل العقاب النفسية والجسدية :-

اتخذت الدولة وسائل العقاب المختلفة لإكراه العلماء على القول بخلق القرآن ، بعد أن عجـزت عن إقناعهم ، بمذهبها ، فواجهوا هذه الفكرة بالرفض والتسفيه ، وقد تـدرجت الدولـة فـي هـذه الوسائل من التهديد بالإيذاء ، إلى الحبس فالضرب والتعزير وانتهاء بالقتل ، فأجاب ، تحت وطـأة هذا العقاب والتهديد ، عدد من العلماء مكرهين إلى القول بخلق القرآن .

وكان الخلفاء يبدأون بوسيلة التهديد بالسجن ، ثم بالضرب ، ثـم بالقتـل ، فيبـدأون بـأخف العقوبات فإن عاد العالم عن موقفه وإلا إنتقلوا معه إلى الوسيلة التالية ، ففـي سـنة (٢١٨ هـ - ٨٣٣/ م) وضـ - ـع المأمون أبا مسهر إمام أهل دمشق في النطع [3] ليقتل ، فتلفظ مكرها بـأن القرآن ، مخلوق [4] ، كما تلفظ بها تحت التهديد القواريري ، وسجادة [5] ، وأمر المأمون باستتابة بشربن الوليد في القرآن و إلا قتل [6] ، ودخل إسحاق بن إبراهيم على أحمد بن حنبل في سـجنه ، مهددا إياه بشدة البلاء وأليم العذاب ، قائلا : " إن أمير المؤمنين المعتصم لا يقتلك ، وقال إن لـم

---

(١) ابن خلدون : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ ٣ ، ص ص ٣٣٤ ، ٣٣٥ .

(٢) السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٣٨٦ ، ابن واردان : تاريخ العباسيين ، ص ص ٥٥٦ ، ٥٥٧ .

(٣) النطع : قطعة من الجلد توضع تحت الرجل إذا اخذ للقتل ، ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٦ ، ص ، ٤٤٦٠ .

(٤) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٧ ، ص ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ١٠ ، ص ص ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٧٨ .

(٥) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٧ ، ص ٢٠٦ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ .

تجبه ليضربنك ضربا بعد ضرب وليلقينَّك في موضع لا ترى فيه الشمس " [1] ، بل أن المعتـصم نفسه مارس عليه هذا الأسلوب عندما رفض إجابته قائلا : " أما تعرف صالح الرشيدي [2] كـان مؤدبي فخالفني في القول بخلق القرآن فأمرت به فوطي وسحب [3] .

وكان السجن أحدى وسائل العقاب التي اتخذتها الدولة ضد المخالفين لها في القول بخلق القرآن ، فأودع فيه عدد من العلماء فكان ممن عوقب بالحبس أحمد بن حنبل [4] ، وابو مسهر [5] ، ونعيم بن حماد [6] والبويطي [7] ، وقد مات كثير منهم في الحبس .

كما تعرض بعض العلماء للضرب والتعذيب ، وأثقلوا بالقيود والاغلال ، فضرب أحمد بن حنبل بالسياط بين يدي المعتصم حتى زال عقله [8] ، وإن كان المعتصم ندم بعد ذلك[9] وكـان القتـل آخر الوسائل التي لجأت إليها الدولة لإكراه العلماء على القول بخلق القـرآن ، ولعقـاب مـن عارضها فيه ، وإن كان العقاب بهذه الوسيلة لم يحدث كثيرا ، لاتخاذ كثير من العلمـاء مـنهج التقية في القول بخلق القرآن ، ومع ذلك فقد استخدمها بعض الخلفاء في فتنة القول بخلق القرآن

---

(١) مرعي بن يوسف : تنوير بصائر المقلدين ، ص ١١٠ .

(٢) صالح الرشيدي (لم أعثر له على ترجمة) .

(٣) صالح ابن احمد بن حنبل ، سيرة الإمام احمد بن حنبل ، ص ٥٧ ، ابن الجوزي : مناقب الإمام أحمد بن حنبل ، ص ٢٨٧ .

(٤) ابن الجوزي: مناقب الإمام احمد بن حنبل ، ص ٨٣ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ١ ، ص ٦٤ .

(٥) ابن الجوزي : مناقب الإمام أحمد بن حنبل ، ص ٣٤٦

(٦) ابن الجوزي : صفة الصفوة ، جـ ٤ ص ٢٦٠ ، مناقب الإمام احمد ابن حنبل ، ص ٣٤٦ ، ابن وادران : تاريخ العباسيين ، ص ص ٥٥٧ ، ٥٥٨ .

(٧) ابن الجوزي : صفة الصفوة ، جـ ٤ ص ٢٦٠ مناقب الإمام احمد بن حنبل ، ص ٣٤٦ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ١٠ ، ص ص ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، العبر في خبر من غبر ، جـ ١ ، ص ص ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ابن وادران : تاريخ العباسيين ، ص ص ٥٥٧ ، ٥٥٨ .

(٨) ابن الجوزي : مناقب الإمام أحمد بن حنبل ، ص ٢٩٠ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ١٠ ، ص ٢٩٢ .

(٩) الذهبي : العبر في خبر من غبر ، جـ ١ ، ص ٢٩٦.

، وذلك عندما قتل الواثق أحمد بن نصر الخزاعي [١] ، وإن كنّا نظن أن ثمة أسبابا أخرى خفية لدي الواثق لقتله اياه . [٢]

وفي كل هذه المراحل كان الخلفاء العباسيون يقيمون المناظرات بين العلماء وبين أعوان الخلفـاء من المعتزلة ، وكانت هذه المناظرات تحسم في كثير من الأحيان لصالح العلمـاء الـذين يثبتـون بالأدلة العقلية والنقلية أن القرآن كلام الله غير مخلوق ، ومع ذلك لا يتزحزح هؤلاء المناظرون عن فكرة أن القرآن مخلوق ، وقد أفرد أحد العلماء المعاصرين للمحنة ، كتابا بيَّن فيه المناظرات ومـا كان يدور فيها من حجج [٣].

٥ - دور العلماء في مواجهة فتنة القول بخلق القرآن :

من المناسب قبل الخوض في بيان أدوار العلماء في مواجهة فتنة القول بخلق القرآن ، أن نبـين نظرتهم إلى القائلين بهذا القول والمروجين له بوصفهم السبب في ظهوره ولدورهم في تسويقه لدى الخلفاء وحملهم على محنة الناس به .

أ- نظرة العلماء إلى القائلين بخلق القرآن :

الحق أن العلماء اتخذوا منذ البداية موقفا معارضا للاتجاهات الفلسفية التي استشرت في العصر العباسي الأول ، وإن تجلببت بجلابيب إسلامية فظهرت تحت مسمى علم الكلام ، وتحـت مبـرر الدفاع عن الإسلام أمام أهل الملل ، أو اقناع غيرالمسلمين بالإسلام ، ودعوتهم إليه وفق معاييرهم ، فوسم العلماء أصحاب هذه الاتجاهات بأهل الأهواء ، وعدوا ما جاءوا به بدعا لا تتفق مع قيم الدين

---

(١) ابن الجوزي : مناقب الإمام أحمد بن حنبل ص ٣٠١ ، ابن واردان : تاريخ العباسيين ص ٥٦٣ .

(٢) لعل أهم الأسباب التي دفعت الواثق لقتل أحمد بن نصر الخزاني ، أنه تزعم تمردا ضد الواثق وطالب بخلعه وقد التف كثير من أهل بغداد حوله فاضمر له الواثق ذلك العمل وحاسبه عليه بحجة أنه لا يقول بخلق القرآن ، لأن الواثق والمعتزلة كانوا يعدون مخالفيهم في القول بخلق القرآن غير موحدين .

(٣) الكناني : عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز ، ت (٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م) كتاب الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن ، تحقيق . على بن محمد بن ناصر الفقيهي ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة د. ت .

، ولا مع دواعي الحياة ومتطلباتها وأن من العبث الخوض فيها ، واقحامها في قضايا العقيدة .

ونظروا باشمئزاز إلى المعتزلة وسواهم من أهل الأهواء والبدع بما في ذلك من وافقهم من خلفاء بني العباس فكان أحمد بن حنبل يبغضهم (١) ، ويأبى التعاطي معهم (٢) ، وامتنع العلماء عن الصلاة على بشر المريسي عنـ ـدما توفي (٢١٨هـ / ٨٣٣) (٣) بـل أن بشر بن الحـارث استبـشر بوفاته وكان في السوق ، فقال لولا أن الموضع ليس موضع سجود لسجدت شكرا الله (٤) وكان أحمد ابن حنبل عندما يذكر له المأمون يقول : " كان لا مأمون " . (٥)

وقد ابتدر العلماء يكافحـون هذه الاتجاهات الفكرية الغريبة ، وينافحون عـن أصـالة الإسـلام ، محذرين من أن الخوض فيها قد يؤدي بصاحبـه إلى منزلـق خطير قد يأتي على عقيدته ، كما نهـوا عن التعاطي مع أهل الأهواء والقائلين بخلق القرآن ، وإن غلّفت بشئ من الحـق ، فقـد حـذر مـن ذلك العلماء فقال الأوزاعي : " عليك بآثـار الـسلف وإن رفـضك النـاس وإيـاك وأراء الرجـال وإن زخرفوا لك القول "(٦) وقال الفضيـل بن عيـاض " من أحب صـاحب بدعـه أحبـط الله عمله " (٧) وروى إبراهيم بن سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن البدع حيث قـال : " مـن أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد" (٨)، وكان شريك بن عبد الله شديدا مع أهل البـدع(٩) ، ورأى

(١) الرازي : مناقب الإمام الشافعي ، ص ٨٩ .

(٢) ابن الجوزي : مناقب الإمام أحمد بن حنبل ، ص ١٧٧ .

(٣) الذهبي : العبر في خبر من غبر ، جـ ١ ص ٢٩٤ ، ابن وادران : تاريخ العباسيين ، ص ص ٥٥٨ ، ٥٥٩ .

(٤) ابن الجوزي : تلبيس إبليس ص ١٦ .

(٥) أبو يعلى : الأحكام السلطانية ، ص ٢٠ ، ابن العربي : العواصم من القواصم ، تحقيق : محب الدين الخطيب المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، ص ٢٥١ .

(٦) الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٧ ص ١٢٠

(٧) ابن الجوزي : تلبيس إبليس ، ص ١٥.

(٨) المصدر نفسه ، ١٥ .

(٩) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ٨ ، ص ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ .

سفيان الثوري البدع أخطر على المسلم من المعاصي [1] ونهى كل من مالك بن أنس وعبد الرحمن بن مهدي عن الصلاة خلف أهل البدع [2] ، بل أن ابن مهدي عد علم الكلام طريقـا إلـى الزندقـة [3] ، ورجع أبو يوسف عن كل ما أفتى فيه برأيه خوفا من أن يكون قد داخله هـوى [4] ، ودأب الـشافعي على تحذير الناس من الخوض في الكلام [5] ، بل لم يعده علما من العلوم [6] ، وكان أبو العتاهيـة [7] يدخل على المأمون فيبين تهافت أراء أهل الكلام . [8]

وإذا ماغصنا أكثر ، وحددنا من هذه الأهواء والبدع مسألة القول بخلق القرآن ، فإننا سنجد أنفـسنا أمام موقف واحد للعلماء ازاء هذه الظاهرة اتسم بالقوة والوضوح سواء كان ذلك قبل إظهـار هـذا القول عندما كان القائلون به يدسونه هنا وهناك لمعرفة مدى تقبل النسيج الفكري الإسـلامي لهـذه الأفكار الجديدة الغريبة ، أم بعد أن اعتنقت الدولة هذه الفكرة وأظهرتها ثم حملت الناس على القول بها وامتحنتهم فيها .

ونكاد نجزم بأن العلماء قد رفضوا هذه الفكرة منذ البداية ، ونهوا من تداولها أو حتى الجـدل

---

(١) ابن الجوزي . تلبيس إبليس ، ص ١٥ .

(٢) ابو نعيم : حلية الأولياء جـ ٧ ، ٨ ، ٩ ، الذهبي : سير اعلام النبلاء ، جـ ٨ ، ص ٦٨ .

(٣) الذهبي ك سير أعلام النبلاء ، جـ ٩ ، ص ١٩٩ .

(٤) المصدر نفسه ، جـ ٨ ، ص ٥٣٧ .

(٥) كان الشافعي يكره الخوض في علم الكلام ، وينهى الناس عنه قائلا : " إياكم والنظر في الكلام لأنه بدعة ، البهيقي : مناقب الشافعي جـ ١ ، ص ص ٤٥٣ ، ٤٥٩ ، ابو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٩ ، ص ١٢٠ ، ابن الجوزي : تلبيس إبليس ص ١٢ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ١٠ ، ص ص ١٨ ، ١٩ ، الجندي : السلوك في الطبقات العلماء والملوك جـ ١ ص ١٧٧ ،ابن وادران : تاريخ العباسيين ، ص ٣٤٢ .

(٦) الذهبي : سير اعلام النبلاء جـ ١٠ ص ٣٠ .

(٧) أبو العتاهية : اسمه إسماعيل بن قاسم بن سويد بن كيسان العنزي ، يكنى بأبي إسحاق ويعرف بأبي العتاهية أحد كبار شعراء العصر العباسي الأول ، اشتملت أشعاره على المواعظ والحكم خصوصا تلك التي قالها في أواخر حياته ، من الموالي ، سكن بغداد ، وامتدح بأشعاره بعض خلفاء بني العباس أمثال المهدي والرشيد ، توفى سنة ٢١٣ هـ / ٨٢٨ م ، الذهبي سير اعلام النبلاء ، جـ ، ١٠ ص ١٩٥ .

(٨) الذهبي : سير أعلام النبلاء ،جـ ١٠ ، ص ٢٠٥ .

بها ، عندما كان المعتزلة لا يزالون على هامش الحياة السياسية ، فنفى الأوزاعي أصالة القـول بخلق القرآن في الاسلام ، وبيَّن أنها بدعة أريد بها فتح باب الجدل والتشويش الفكري والاختلاط على المسلمين ، وبيَّن مالك أن القرآن كلام الله ، وأن من قال أنه مخلوق فهو زنـديق ، وهـو رأي ابن أبي ذئب ، وعبد الله بن المبارك ، وسفيان بن عينيه ، والشافعي ، وعبد الرحمن بـن مهدي ، وعلى الرضا و أسد بن الفرات ، أكدوا على أن القرآن كـلام الله غيـر مخلـوق ، وعدوا من يخالف ذلك زنديقا ، حتى أن إسماعيل بن علية الذي ألبس عليه المعتزلـة وعاقبـة لذلك الأمين ، رجع عن قوله وعترف أن ما قاله لا يعدو هفوة عالم ، إذ يذكر الخطيـب [١] أن عبدالصمد بن يزيد مردويه [٢] سمعه يقول " القرآن كلام الله غير مخلوق " .

ب- موقف العلماء من المحنة في القرآن :

ما أن بدأ المأمون المحنة في القرآن حتى إشمأزت منه نفوس العلماء ، وعدوه بلاء علـى الإسلام ، وكما أن الدولة قد تباينت طرائقها في مواجهة القول بخلق القرآن ، فإن العلماء كـذلك تباينت طرائقهم في مواجهة القول بخلق القرآن وانكاره ومهما اختلفت أشكال مواقـف العلمـاء الانهم جميا متفقون على أن القرآن كلام الله غير مخلوق ومع ذلك يمكن أن نميز بين فـريقين رئيسيين ، فريق عمل بالتقية ، فأجاب الخلفاء إلى ما أرادوه وقلبه مطمئن بان القرآن كـلام الله غير مخلوق وفريق ثبت على قوله بأن القرآن غير مخلوق .

١- الفريق الذي اتخذ منهج التقية في القول بخلق القرآن :

اتخذ جل العلماء في العصر العباسي الأول منهج التقية في التعامل مع الدولة في قـضية القـول بخلق القرآن ، إزاء الضغوط الشديدة والمتنوعة التي مارستها الدولة لحملهم علـى موافقتهـا فـي مذهبها ، من حرمانهم من وظائف الدولة واعطياتها وتعريضهم لألوان العقاب النفسي والجـسدي ،

---

(١) تاريخ بغداد ، جـ ٦ ، ص ٢٣٩ .

(٢) عبد الصمد بن يزيد بن مردويه الصائغ ، يكنَّى بأبي عبد الله ، أحد تابعي التابعين ، فقد إلتقى بعدد من التابعين ، وسمع عنهم ، وهو من عواة الحديث الثقاة ، توفي في سنة (٢٣٥ هـ / ٨٤٩ م) ، الخطيب : تاريخ بغداد ، جـ ١١ ، ص ٤٠ .

بما في ذلك القتل فارتدعوا واضطروا للتراجع عن قناعاتهم واكتفوا وحسب بالحد الأدنى ، بأضعف الإيمان فغيروها بقلوبهم ؟! وكان أول من اتخذ منهج التقية من العلماء إزاء هذه المحنة يحيى بـن معين وأبو خيثمة [١] و الدورقي[٢] ، و محمد بن سعد [٣] .

وأكره على القول بخلق القرآن غيرهم من العلماء ،أمثال بـشر بـن الوليـد [٤]،وسـعدويه [٥]

---

(١) أبو خيثمـة زهيـر بن حرب بن شـداد الحـرشي النسـائي البغـدادي ، أحد علمـاء الحديـث ، من الموالي ، فقـد كان مولى لبني الحـرش بن كعـب ، تنقـل بيـن الأمصـار طلبـا للحديث ، ثـم استقـر بـه المقـام ببغـداد ، فصـنف فيهـا في الحديث ، كـان ممـن امتحـن في القـول بخلـق القرآن فتأول التقيـة فأجابهم ، توفي في خلافة المتوكل ، سنة (٢٣٤ هـ / ٨٤٩ م) ، الذهبي : سير أعلام النبـلاء ، جـ ١١ ، ص ص ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ .

(٢) احمد بن ابراهيم بن كثير الدورقي العبدي ،يكنى بأبي عبدالله ، أحد العلماء الذين ثبتوا في محنة القول بخلق القرآن ، الدورقي نسبة إلى انه كان يبيع القلانس الدورقية ، له تصانيف كثيرة ، توفي سنة (٢٤٦ هـ / ٨٦٠ م)، الذهبي : سير اعلام النبلاء ، جـ ١٢ ، ص ص ١٣٠ ، ١٣٢ .

(٣) ابن الجوزي : مناقب الإمـام أحمـد بن حنبـل ، ص ٣٣٧ ، مرعي بن يوسف : تنـوير بصائـر المقلدين ، ص ١٠٨ ، محمد بن سعد بـن منيع ، يكنى بأبي عبد الله ، ويعـرف بابن سعد ، وهو كاتـب الواقدي و صاحب كتـاب الطبقـات ، التقى بعدد من العلمـاء أمثـال سليمـان بـن عبـد الرحمن وإسمـاعيـل بـن عبد الله وزيـد بن يحيى بن عبيد ، وسفيان بـن عيينة ، وإسمـاعيـل بن عليـة ، وغيرهم ، وأخذ عنه أحمد بن حنبل ، توفي سنة (٢٣٠ هـ / ٨٤٥ م) ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، جـ ٥٣ ، ص ص ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٥ .

(٤) كان بشـر بن الوليـد قاضي بغـداد في قسميـها الشـرقي والغـربي ، فعزلـه المامون لرفضه القول بخلق القرآن ، وسجنـه وعرضـه للقتل ، فأجاب متأولا قـول الله تعالى : " إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان " (النحل ، الآية : ١٠٦) ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ٧ ، ص ص ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٧ ، ص ٢٠٦ .

(٥) أجبر سعدويه على القول بخلق القرآن تحت تهديد المعتصم ، فندم على قوله وعلى عدم صبره ، حيث قال لغلامه عندما خرج من دار المعتصم : " يا غلام قدم الحمار فإن مولاك قد كفر " ، وعندما عاد إلى بلدته واسط سأله أهلها ماذا فعلتم ، فقال : " كفرنا ورجعنا " ، ابن الجوزي : مناقب الإمام أحمد بن حنبل ، ص ص ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، الذهبي : المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، جـ ١٠ ، ص ٤٨٢ .

والقواريري [١] ، و علي بن مقاتل [٢] ، وعلي بن المديني[٣] وأبو مسهر[٤] ، وغيرهم .

وقد لام هذا الفريق من العلماء – خصوصا أولئك الذين ابتدأت بهم المحنة – أقرانهم من العلماء على موافقتهم المأمون في قوله بخلق القرآن ، وإن كانوا قد تأولو التقية ، لأنهم بذلك غروا المأمون وأغروه بمتابعة المحنة ، ولو أنهم ثبتوا على الحق لارتدع وكف ، فقال أحمد بن حنبـل : " ولـو كانوا قاموا لله لكان أنقطع الأمر وحذرهم الرجل (يعني المأمون) ولكن لما أجابوا وهم عين البلـد ، إجترأ على غيرهم " [٥] ، واتخذ أحمد بن حنبل ضدهم أنواعا من العقاب النفـسي علـى وجـه التأديب والتأنيب فحلف أن لا يكلم أحدا ممن أجاب [٦] ، بل وجرَّح في عدالتهم [٧] ، وهـوَّن مـن شأنهم فكان يغضي من سعدويه ، ولا يرى الكتابة عنه [٨] ، ولا عن أبي نصر التمار أو عن يحيى ابن معين [٩] ، وامتنع عن الصلاة على أبي نصر التمار [١٠] ، للسبب ذاته فكـان الـذم والهجـر

---

(١) ابن الجوزي : مناقب الإمام أحمد بن حنبل ، ص ٣٣٧ .

(٢) عندما سئل علي بن مقاتل عن القرآن ، قال : كلام الله غير مخلوق ، ولكن إن أمرنا أمير المؤمنين (المأمون) بشئ سمعنا وأطعنا ، الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٧ ، ص ص ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ابن الجوزي : مناقب الإمام أحمد ابن حنبل ، ص ٣٣٧ .

(٣) ابن الجوزي : مناقب الإمام احمد بن حنبل ، ص ٣٣٧ .

(٤) استقدم المامون ابا مسهر عبد الأعلى بن مسهر الدمشقي من دمشق إلى الرقة لامتحانه في القرآن ، فأبى أن يقول ان القرآن مخلوق ، فهدده المامون بالقتل ، ووضعه في النطع ، فتراجع عن قوله ووافقهم ، فتركه المأمون من القتل لكنه أودعه السجن فمات فيه ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ٧ ، ص ٤٧٣ ، ابن الجوزي : مناقب الإمام أحمد بن حنبل ، ص ٣٤٩، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٧ ، ص ٢٣٥ .

(٥) مرعي بن يوسف : تنوير بصائر المقلدين ، ص ٢٠٨ .

(٦) ابن الجوزي : مناقب الامام أحمد بن حنبل ، ص ٣٤٠ .

(٧) المصدر نفسه ، ص ٣٤٢ .

(٨) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ١٠ ، ٤٨٢ .

(٩) ابن الجوزي : مناقب الإمام أحمد بن حنبل ، ص ٣٣٨ .

(١٠) المصدر نفسه ، ص ٣٣٧ .

والإعراض عقابا لهم على عدم ثبوتهم في المحنة [1] ، وكان من مظاهر التقية الاعتـزال وتجنـب التعرض للخلفاء ، فقد تخلى يحيى المنقري [2] عن رغبته في الحج لئلا يمر ببغداد فيمتحن فـي القول بخلق القرآن [3] .

١ - الفريق الذي ثبت على أن القرآن كلام الله غير مخلوق :

في الوقت الذي أضطر فيه بعض العلماء تحت وطأة التهديد والإيذاء إلى موافقة الدولة على القول بخلق القرآن ، ثبت بعضهم الآخرعلى الحق ورفضوا مداهنة الخلفاء تحت أي ضغط،تأكيدا لنقـاء العقيدة من أي شائبة ولأنهم استوحشوا لما رأوه من بدع وتيارات فكرية غريبة لا أصل لهـا فـي الدين .

ويمكن تقسيم هذا الفريق إلى أقسام مختلفة ، فمنهم من كان إلى جانب الخلفاء ،فجهـد نفـسه لثنيهم ، عن طريق الوعظ ، وقسم آخر منهم رأى ضرورة تغيير هذا المنكر بالقوة ،وقسم ثالث ثبت على موقفه من أن القرآن كلام الله غير مخلوق ، مع أقراره بطاعة الخلفاء .

مثّل القسم الأول من هذا الفـريق عـدد من العلماء ممن عملوا للخلفاء ، فقد حـاولوا اسـتثمار قربهم من الخلفاء لكفهم عن هذا القول ، مبينين لهم خطورته ، كان منهم يزيد بن هارون ويحيى بن

(١) يفصل ابن الجوزي ذلك فيقول ، إذا ثبت أن القوم أجابوا مكرهين فقد استعملوا الجائز ، فلماذا هجرهم أحمد بن حنبل ؟ والجواب على ثلاثة أوجه ، أحدها أن القوم توعدوا ولم يضربوا فاجابوا ، والتوعد ليس بإكراه ، والثاني أنه هجرهم على وجه التأديب ليعلم تعظيم القول الذي أجابوا اليه ، فيكون ذلك حفظا لهم من الزيغ ، والثالث ، ان معظم القوم لما أجابوا قبلوا الأموال وترددوا إلى القوم وتقربوا منهم ففعلوا ما لا يجوز فلهذا استحقوا الذم والهجر والإعراض ، مناقب الامام أحمد بن حنبل ، ص ٣٤٠ .

(٢) يحيى بن يحيى المنقري التميمي،من أهل نيسابور ، مولى لتميم ، أحد علماء خراسان الثقاة في الحديث ، أثنى عليه أحمد بن حنبل فقال : " ما أنجبت خراسان بعد ابن المبارك خيرا منه ، رفض القضاء للمأمون وامتنع عن الحج لئلا يبتلى في القرآن لأن محمل حج خراسان كان يمر ببغداد فيمتحن العلماء ، توفي سنة(٢٢٦ هـ/٨٤١ م) ، ابن الجوزي:صفة الصفوة ،جـ ٤ ، ص ص ١٠٤، ١٠٥،الذهبي : سير أعلام النبلاء،جـ ١٠، ص ٥١٧ ، الكاشف : حققه محمد عوامة ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، مؤسسة علو ، جدة ، ط ، ١٤١٣ هـ/١٩٩٢م ، جـ ٢ ، ص ٣٧٨ .

(٣) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ١٠ ، ص ٥١٧ .

أكثم ، فكان يزيد بن هارون من الأسباب التي دعت المأمون إلى تأخير إظهار القول بخلق القرآن ، فقد قال المأمون : " لولا مكان يزيد بن هارون لأظهرت أن القرآن مخلوق" [١] .

بل إن يزيد نهى المأمون عن أن يحمل الناس على هذا القول [٢] ، وكان يحيى بـن أكـثم يحـذّر المأمون من المعتزلة ، وأصحاب الأهواء الذين يزينون له القول بخلـق القـران ومحنـة النـاس به [٣] .

قسم آخر رفض القول بخلق القرآن وعد ذلك خللا في العقيدة ومنكرا يستوجب التغييـر ولـم يتردد أفراده في الخروج على الخليفة وتحريض العامة عليه لاعتقادهم بسقوط ولاية الخليفـة بمـا عدوه كفرا ، ولأن العلماء بداية كفّروا القائل بخلق القرآن ، ومثّل هذا التيار أحمد بن نـصر بـن مالك الخزاعي ، إذ لم يكتف بالامتناع عن القول بخلق القرآن ، بل بدأ بتحريك العامة للوقوف إزاء هذا المنكر [٤] ، والوثوب على رموزه فبايعه الناس على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سنة (٢٣١هـ ، ٨٤٦م)[٥] إلا أن أمره انكشف قبل خروجه [٦]، فأخذه الواثق ثم قتله وصلبه في بغداد

(١) ابن الجوزي : مناقب الإمام أحمد بن حنبل ، ص ٣٠٩ .

(٢) ابن الجوزي . مناقب الإمام أحمد ص ٢٧٦ .

(٣) ابن خلكـان : وفيـات الأعيـان ، جـ ٦ ، ص ص ١٤٧ ، ١٤٨ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ١ ، ص ٢٨١ .

(٤) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٧ ، ص ص ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، الخطيب . تاريخ بغداد ، جـ ٥ ، ١٧٦ .

(٥) الطبري: تاريخ الأمم والملوك جـ٧، ص ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، الخطيب:تاريخ بغداد،جـ٥ ص١٧٧،١٧٦،ابن الجوزي، صفة الصفوة، جـ، ص٢٣، ابن خلدون : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، جـ٣، ص٣٣٤،مرعي بن يوسف، تنوير بصائر المقلدين في مناقب الأئمة المجتهدين ، ص ١١٨، ابن وادران: تاريخ العباسيين ص٥٦٢، ٥٦٣ .

(٦) اندس ضمن أتباع أحمد بن نصر بعض أصحاب الأخبار (الأمن السياسي) ممن أظهروا له القول بمقالته ، فأوصلوا أمره إلى الواثق قبل خروجه . فأخذه ومن معه ، وهو يشير إلى أن الدولة العباسية كان لها جهازا استخباريا تعرف به أخبار الناس خصوصا من يكيد لها ، وكان يتكون من التجار المتجولين وبعض أصحاب المهن المتنقلين بين الأحياء والمدن ، وغيرهم ، الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٧ ، ص ص ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، الخطيب : تاريخ بغداد ، جـ ٥ ، ص ١٧٧.

، بعد أن ثبت على قوله بأن القرآن الكريم كلام الله غير مخلوق [١] ، وسفَّه الخليفة في قوله [٢] .

ويبدو أن السبب الأهم الذي دفع الواثق إلى قتله هو خروجه وتحريضه العامة على الخليفة ، وإن كان أخفى ذلك ، وأظهر أنه قتله لإنكاره القول بخلق القرآن [٣] ، إذ لم تقتل الدولة في خلق القرآن إلا أولئك الذين شكلوا في معارضتهم خطرا عليها ، وما عدا ذلك فلا يعدو تهديدا بالقتل وهـو مـا نلمسه من مجريات الأحداث إذ لم يسجَّل ، فيما نعلم ، أن قتِل أحد في مسألة القول بخلـق القـرآن سوى ما كان من قتل أحمد بن نصر الخزاجي .

رفض هذا الفريق من العلماء العمل بمبدأ التقية في مسألة القول بخلق القـرآن ، لأنهـم رأوا أن المساومة في العقيدة تقود إلى منزلق خطير وهم أئمة يقتدى بهم ، وهو مع ذلك ليس من حقهم .

فوقف أفراد هذا التيار بصلابة إزاء كل أساليب الترغيب والترهيب التي اتخذتها الدولة لحملهـم على القول بخلق القرآن، كما رفضوا في الوقت ذاته الدخول في مواجهة مسلحة مع الدولة ، لـئلا يؤدي ذلك إلى فتنة أشد وأكبر فيكونون قد غيروا المنكر بأنكر منه [4]، وإنما اتخذوا في معارضتهم منهجا هادئا ، مكتفين بالثبات على قولهـم بأن القرآن كلام الله غير مخلوق [٥] ، وبتوعية النـاس

---

(١) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٧ ، ص ٣٢٩ ، الخطيب : تاريخ بغداد جـ ٥ ص ١٧٧ ، ابن الجويزي : صفة الصفوة جـ ٢ ص ٢٣٧ ، الرقي : أحاسن المحاسن ص ٢١٦ .

(٢) الطبري : تاريخ الأمم والملوك جـ ٧ ، ص ص ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ابن خلدون : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر جـ ٣ ص ٣٤.

(٣) ابن الجوزي ، مناقب الإمام أحمد بن حنبل ، ص ص ٣٤٧ ، ٣٤٨ .

(٤) اجتمع فقهاء بغداد إلى أحمد بن حنبل ، في ولاية الواثق وقالوا هذا أمر تفاقم وفشا يعنون إظهار القول بخلق القرآن نشهدك في انا لسنا نرضى بأمرته ولا سلطانه، فمنعهم من تنفيذ ما يريدون من الخروج عليه وقال لهم :" عليكم بالنكرة بقلوبكم ، ولا تخلعوا يدا من طاعة ولا تشقوا عصا المسلمين " ، أبو يعلى : الأحكام السلطانية ، ص ٢١ .

(٥) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ٧ ص ص ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، الخطيب : تاريخ بغداد ، جـ ٥ ، ص ١٧٨ ، ابن الجوزي : مناقب الإمام أحمد ، ص ص ٣٤٦ ، ٣٤٨ ، مرعي بن يوسف : تنوير بصائر المقلدين ، ص ١١٣ .

وتثبيتهم عليه في مسألة القرآن [١] ، وقيامهم بالمنـاظرات لإثبـات بطلان دعوى القـول بخلـق القرآن . [٢]

وقد تحمَّل هذا الفريق من العلماء ، في سبيل ذلك ألوانا من الأذى النفسي والجسدي تباين بين التهديد [٣] والسجن [٤] ، والضرب [٥] ومنعهم من تأدية دورهم العلمي ، من الفتيا ، وإدارة حِلَق العلم ، ومثَّل هذا الفريق أحمد بن حنبل [٦] ، ومحمد بن نوح [٧] ، ونعيم بن حمَّاد [٨] ، والحارث

---

(١) قيل لأحمد بن حنبل أيام المحنة : يا أبا عبد الله الا ترى الحق كيف ظهر عليه الباطل ؟ فقال : كلا إن ظهور الباطل على الحق أن تنتقل القلوب من الهدى إلى الضلالة ، وقلوبنا بعد لازمة للحق ، ابن الجوزي : مناقب الإمام أحمد ، ص ص ٢٧٧ ، ٢٧٨ .

(٢) الكناني : الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن ، ص ص ٢ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ١٢، ص ٥٩ ، تنوير بصائر المقلدين ، ص ١١٧ ، ابن وادران : تاريخ العباسيين ، ص ص ٣٤١ ، ٣٤٢ .

(٣) ابو نعيم : حلية الأولياء جـ ٩ ص ٢٠٦ ..

(٤) مكث الإمام أحمد في السجن ثلاث سنين في عهدي المأمون والمعتصم ،مثقلا بالقيود ، وحدد الواثق إقامته في بيته ، ومات نعيم بن حماد والبويطي في السجن في خلافة الواثق (٢٣٢ هـ / ٨٤٧ م) ، ومكث الحارث بن مسكين فيـه حتى أطلقه المتوكل ، الخطيب تاريخ بغداد ، جـ ٥ ، ص ١٧٧ ، ابن الجوزي : مناقب الإمام احمد ، ص ص ٣٤٦ ، ٣٤٨ ، مرعي بن يوسف : تنوير بصائر المقلدين ، ص ١١٩ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٣٨٩ .

(٥) كان ممن ضرب في المحنة أحمد بن حنبل ، ومحمد بن نوح ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ٧ ، ص ٣٥٤ ، أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٩ ، ص ٢٠٦ ، الخطيب : تاريخ بغداد ، جـ ٥ ، ص ١٧٧ ، مرعي بن يوسف : تنوير بصائر المقلدين ، ص ١١٣ .

(٦) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ٧، ص ص ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، أبو نعيم : حلية الأولياء جـ ٩ ص ٢٠٦ ، الخطيب : تاريخ بغداد ، جـ ٥ ، ص ١٧٧ ، أبو يعلى : الأحكام السلطانية ، ص ٢١ ، ابن الجوزي : مناقب الإمام أحمد بن حنبل ، ص ٣٤٣ ، مرعي بن يوسف : تنوير بصائر المقلدين ص ١١٨ .

(٧) الخطيب : تاريـخ بغـداد جـ ٥ ، ص ص ١٧٧ ، ١٧٨ ، ابن الجـوزي : مناقب الإمام أحمـد بن حنبـل ، ص ٣٤٣.

(٨) الخطيب : تاريخ بغداد ، جـ ٥ ، ص ١٧٧ ، ابن الجوزي مناقب الإمام أحمد بن حنبل ، ص ٣٤٣ .

ابن مسكين [١] والبويطي[٢] ، وعبد العزيز الكناني[٣] ، فكان ثبوت هؤلاء في المحنة وحسن القيام بها سببا لثبات معاصريهم على الحق ، وتخليص جانب من العقيدة من الانحرافات والتشوهات التي أريدت بها ، وإن كان تميَّز منهم أحمد بن حنبل ، الذي ثبت أمام تهديدات المأمون ، وسياط المعتصم ، وسجنه وقيوده تارة ، وإغرائه بأن يكون حظيا لديه إن هو وافقه في قوله ، تارة أخرى ، فكان لا يجيبهم سوى بإجابة واحدة : آتوني شيئا من كتاب الله أو من سنة نبيه صلى الله عليه وسلم يقول بأن القرآن مخلوق ؟ [٤] ثم يأتيهم هو من الكتاب والسنة ما يؤكد أن القرآن كلام الله غير مخلوق [٥] .

مغزى ثبوت هذا الفريق من العلماء وعدم أخذه بمبدأ التقية :

كان لهذا الفريق من المبررات ما يكفي لثبوته في محنة القول بخلق القرآن رغم ما لاقى من أساليب الإيذاء والإكراه ، دون أن يستخدم ما أعطاه له الشرع من أساليب المداراة والتقية لحماية نفسه من الإيذاء والهلاك ، لعل أهم هذه المبررات أن الأمة كانت معولّة على ثبوت هؤلاء النفر من العلماء في بقائها على الحق ويقينها في عقيدتها ، ولعلّنا من هذا ندرك خطورة الموقف ، وأهمية الدور الذي قام

---

(١) ابن الجوزي : مناقب الإمام أحمد بن حنبل ، ص ٣٤٨ ، الحارث بن مسكين بن محمد بن يوسف المصري ، يكنى بأبي يوسف ، أحد علماء مصر ، من الموالي ، فقد كان مولى لبني أمية ، روى عن كل من الليث بن سعد و سفيان بن عيينه وعبد الله بن وهب ، وروى عنه كل من أبي دواد والنسائي وغيرها ، عمل في جهاز الدولة العباسية على قضاء مصر ، حمله المأمون إلى بغداد لامتحانه في القرآن ، فامتنع عن القول بخلق القرآن ، فسجنه ، وظل محبوسا حتى خلافة المتوكل ، حيث أطلقه وأعاده على مصر قاضيا ، فظل على القضاء لمدة ثمان سنين ، توفي بمصر سنة(٢٥٢ هـ / ٨٦٤م) ، المزي : تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، جـ٥ ، ص ص٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣، ٢٨٥ .

(٢) الشيرازي : طبقات الفقهاء ، ص ٩٨ ، ابن الجوزي : مناقب الإمام أحمد بن حنبل ، ص ٣٤٦ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٣٨٩ .

(٣) الكناني : الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن ، ص ص ٢ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، الشيرازي : طبقات الفقهاء ، ص ١٠٣ .

(٤)ابن الجوزي : مناقب الإمام أحمد بن حنبل ص ٢٨٧ ، مرعي بن يوسف : تنوير بصائر المقلدين ، ص ١١٣ .

(٥) ابن الجوزي : مناقب الإمام أحمد ، ص ص ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ .

به هذا الفريق من العلماء .

ويتضح ذلك جليا في ردود هؤلاء العلماء إزاء الذين كانوا يشفقون عليهم من الخلفاء أو من بعـض العلماء ، فعندما دخل إسحاق بن حنبل[1] على أحمد بن حنبل في سجنه يلتمس له العذر إن خلّص نفسه مما هو فيه بإجابة المأمون إلى القول بخلق القرآن ، حيث قال : " قد أجاب أصحابك ، وقد أعذر فيما بينك وبين الله "[2] ، لكن الإمام أحمد بيَّن له مغزى ثباته وعدم إجابته ، لأنه يخشى من أنه إن أجـاب تبعه الناس في ذلك ، لأنه إمام متَّبع[3]، وقد أكد ذلك محمد بن نوح عندما كان معه في الطريق إلـى المأمون للامتحان ، فقال لأحمد بـن حـنبل : " الله الله إنك لست مثلي ، أنت رجل يقتدى بك ، وقد مد هذا الخلق أعناقهم إليك ، لمـا يكون منك ، فاتق الله واثبت لأمر الله " [4] ، وكان كلما لقيه أحـد في الطريق إلى طرسوس حذَّره من الإجابة للأسباب ذاتها .

ويبدو أنه في هذا الوقت كان قد توفي محمد بن نوح حيث أدركه المرض في الطريق إلى طرسوس، لأنه لم يرد ذكره في الرواية مع أحمد ،وقال له أبو جعفر الأنباري [5]: " أنت اليوم رأس يقتدون بـك

---

(١) إسحاق بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ، يكنى بابي يعقوب ، وهو عم الإمام أحمد بن حنبـل،كـان ملازما مجلسه ، وكان يدعو الإمام أحمد إلى الدخول على الخليفة المتوكل ، سمع الحديث عن يزيد بن هارون وعن الحسين بن محمد المروذي وروى عنه ابنه حنبل ، عده معاصروه من العلماء الثقاة ، توفي سنة (٢٥٣هـ/٨٦٧م) ، وهو ابن أربع وتسعين سنة ، الخطيب : تاريخ بغداد ،جـ٦ ، ص ٣٦٩ ، ابن مفلح : المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد ، حققه : عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع ، والرياض ، ط١ ، ١٤١٠هـ /١٩٩٠م،جـ١، ص ٢٤٩ .

(٢) مرعي بن يوسف : تنوير بصائر المقلدين ، ص ١١٠ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) الخـطيب تـاريـخ بغـداد ، جـ ٣ ، ص ٣٢٣ ، ابـن الجـوزي : منـاقـب الإمـام أحـمد ، ص ٢٨٠.

(٥) محمد بن عبد الله الحذاء الأنباري ، يكنى بأبي جعفر ، أحد العلماء بالأنبار ومن كبار تابعي التابعين ، أخذ العلم عن كبار العلماء أمثال الفضيل بن عياض وسفيان بن عيينه وغيرهما ، وأخذ عنه أحمد بن حنبل وغيره ، أثنى عليه معاصروه من العلماء ، فوصفوه بأنه صاحب سنة ، ووثّقوه ، لم أقف له على تاريخ وفاة ، الخطيب : تاريخ بغداد ، جـ ٥ ، ص ٤١٤ .

، فوالله لئن أجبت لخلق القرآن ليجيبن بإجابتك خلق من خلق الله ، وإن أنت لم تجب ليمتنعن خلق من الناس كثير "[1] ، وقال له آخر : " اعلم أن الناس إنما ينتظرونك لأن تقول فيقولون[2].

وهكذا فقد علّق الناس آمالا على ثبوت الإمام أحمد في المحنة، ليثبتوا ، بدورهم ، وقد حمـل هـذا الإمام أحمد عبئا ثقيلا ، وما أن وصل الرقة في طريقه إلى طرسوس[3] حتى كان المأمون قد مـات[4] إلا أن محنة أخرى كانت تنتظره على يد خليفته المعتصم فأخذه وضربه ، فلم يجب للأسباب ذاتهـا ، فقد خرج الناس يستمعون إليه ، ويؤيدونه ، وكتبوا له : " إن رجعت عن مقالتك ارتددنا عن الإسلام[5] بل إن أعدادا غفيرة من الناس أحاطوا بدار الخلافة ، لمؤازرة أحمد بن حنبل ، بعد أن ثبتـوا بثبوتـه وضجوا حتى خافهم المعتصم ووزرائه ، فأخرجوه إليهم ، وأطلقوه [6].

وبالثبـات ذاتـه واجـه البـويطي محنـة الواثـق عنـدما طلبـه والـي مـصر لرفـضه موافقة الدولة في مذهبها ، وقد أراد الوالي تخليصه ، فعرض عليه الإجابة ضمن مبـدأ التقيـ ـ ـة ، حيـ ـ ـث قـال لـه : " قـل فيمـا بينـي وبينـك "[7] إلا أن البـويطي رفـض ذلـك قائلا : " إنه يقتدي بي مائة ألف ، ولا يدرون ما المعنى[8] والله لأموتن في حديدي (قيدي) هذا حتى يأتي مـن بعـدي قـوم يعلمـون أنـه قـد مـات فـي هـذا الـشأن قـوم فـي حديـدهم "[9] ،

(١) ابن الجوزي : مناقب الإمام أحمد ، ص ٢٧٩ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ١١ ، ص ٢٣٩ .

(٢) ابو نعيم حلية الأولياء ، جـ ٩ ص ٢٠٥ ، مرعي بن يوسف : تنوير بصائر المقلوبين ص ١٠٩ .

(٣) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٧ ص ٢٠٦، ابن الجوزي : مناقب الإمام أحمد ، ص ٢٧٧ .

(٤) الخطيب : تاريخ بغداد،جـ٣ ص٣٢٣،الذهبي:العبر في خبرمن غبر ، جـ١، ص ص ٢٩٣ ، ٢٩٤ .

(٥) ابن الجوازي : صفة الصفوة ، جـ ٢ ص ٢٣٠ ، مناقب الإمام أحمد بن حنبل ، ص ص ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٨ ، مرعي بن يوسف :تنوير بصائر المقلدين ، ص ١١٤ .

(٦) الرقي : أحاسن المحاسن ، ص ٢١٤ ، أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٩ ، ص ص ١٤ ـ ٢١٥ ، ٢٥٢، ابن الجوزي : مناقب الإمام أحمد ص ٢٩٩ ، مرعي بن يوسف : تنوير بصائر المقلدين ، ص ١١٦ .

(٧) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ١٢ ص ٦٠ .

(٨) المصدر نفسه ، ص ٦١ .

(٩) ابن الجوزي : صفة الصفوة ، جـ ٤ ص ٢٦٠ ، مناقب الإمام أحمد ، ص ٣٤٦ .

فمات في قيوده ثابتا على مبدئه [١].

إزاء هذه المسئولية ، لم يكن أمام هذا الفريق من العلماء سوى خيار واحد ، هو الثبات علـى الحق والمنافحة عنه ، وعدم المداهنة أو المراوغة ، أو العمل بمبدأ التقية ، والتفكير في الـذات ، لأن الأمر لم يكن يحتمل ذلك .

ولم يكن بوسعهم أن يفعلوا ذلك وهم الضابط الذي يضبط حياة المجتمع ، والقنطـرة التـي انتقـل عبرها الدين بعقائده وشرائعه وقيمه وآدابه من جيل الصحابة والتابعين إلى بقية أجيال الأمة، فكان لابد أن يأخذوا هذه الأمانة بحقها .

وكان لموقفهم أثر في تنقية العقيدة ، وقد عبر عن عِظم الدور الذي قام به هـذا الفريـق بعـض معاصريهم ومن أتى بعدهم فقال حجاج بن الشاعر [٢] : " مَنَّ الله على هذه الأمة بأحمد بن حنبل ثبت في القرآن ولولاه لهلك الناس " [٣]، وبيَّن أهميته أكثر هلال بن العلا [٤] ، فقال : " شيئان لو لم يكونا في الدنيا لاحتاج إليهما ، محنة أحمد بن حنبل ، لولاه لصار الناس جهميـة ، ومحمـد بـن إدريـس الشافعي، فإنه فتح للناس الأقفال " [٥] (يعني أخرج لهم العلم)، ثم إن محنة القول بخلق القرآن انتهـت نهائيا في خلافة المتوكل ، الذي أحيا السنن وأمات البدع .

ومما سبق نخلص إلى أن ثمة عوامل خارجية وأخرى داخلية أدت على ظهور بدعة القـول بخلـق

---

(١) الشيرازي : طبقات الفقهاء ، ص ٩٨ .

(٢) حجاج بن يوسف بن حجاج بن حجاج الشاعر الثقفي البغدادي ، أحد طلبة العلم الحفاظ ، توفي سنة(٢٥٩ هـ / ٨٧٣م)، الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ١٢ ، ص ٣٠١ ، ٣٠٢ .

(٣) مرعي بن يوسف : تنوير بصائر المقلدين ص ٦٨ .

(٤) هلال بن العلاء بن هلال بن عمرو الرقي ، يكنى بأبي عمر ، أحد علماء الحديث الثقات الإثبات ، من أهل الرقة ، توفي بأنطاكيـا سنـة(٢٨١ هـ / ٨٩٤ م) ، الرازي : الجرح والتعديل ، جـ ٩ ، ص ٧٩ ، الربعي : مولد العلماء ووفياتهم ، حققه عبد الله احمد سليمان الحمد ، دار العاصمة ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م ، جـ ٢ ، ص ٦٠٦ .

(٥) أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٩ ، ص ١٩٢ .

القرآن على سطح العصر العباسي الأول ، وإن الدولة لم تقصد من تبني الفكرة - كما ذهبت كثير من الدراسات المحدثة – شغل العلماء عن القضايا السياسية المعاصرة ، وإنما كان السبب فـي ذلـك ، أن بعض الخلفاء قد وقعوا تحت تأثير المعتزلة ، ومعطيات ما ترجم إلى العربية من تـراث الإغريـق الفلسفي ، وأن العلماء قاموا بدور كبير في الذب عن قيم الإسلام إزاء هذه الظـاهرة ، وإن اختلفـت أساليبهم ودرجة مواجهتهم لها ، وأن موقفهم هذا أدى إلى تنقية العقيدة مما ألصق بها من بدع .

(دور العلماء في السياسة الخارجية للدولة العباسية)

- رؤية العلماء للعالم من حولهم :

نظر العلماء إلى الأرض وفق المنظور الإسلامي الذي يقسمها إلى دار إسـ ـ ـلام ودار حـرب أو دار كفر ، ودارعهد .

تضم دار الإسلام إلى جانب المسلمين أهل الذمة ، وتشمل كل ما دخل من أرض في محيط سلطان الإسلام ونفذت فيها أحكامه ، وأقيمت فيها شعائره ، ووجب على المسلمين عنـد الاعتـداء عليهـا أن يدافعوا عنها ، وجوبا عينيا ، يأثموا بتركه .[١]

وتشمل دار الحرب أو دارالكفر الكفار المحاربين ، وهي الدار التي لا تطبَّق فيها أحكام الإسـلام لوجودها خارج نطاق السيادة الإسلامية [٢] ، وقد صنَّف العلماء أهلها إلى صنفين ، صنف منهم بلغتهم دعوة الإسلام فامتنعوا منها ، وصنف أخر لم تبلغهم دعوة الإسلام[٣] .

ثم دار العهد أو الصلح ، وهي الأرض التي صالح أهلها عليها المسلمين، بخراج يؤدونه ، وهـي في عهد المسلمين على شروط الصلح الذي أبرم بين المسلمين وبين أهلها ، ولكل دار من الإسلام ودار

---

(١)الحارثي : الحياد في العلاقات الدولية الإسلامية ، بحث منشور في مجلة كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، العدد ١٣ ، المجلد الأول ، يناير ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م ، ص ٩٣ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ص ٧٤ – ٧٥ ، أبو يعلى : الأحكام السلطانية ، ص ٤١ .

الحرب ودار العهد أحكامها .

كانت علاقة الدولة الإسلامية بغيرها من الدول قائمة على أساس الإسلام ، وكان للعلماء دور مهم في تحديد اتجاهات ومسارات هذه العلاقة بما يقدمونه من اجتهادات نظرية تأصيلا إسلاميا للدولة تستعين به في رسم سياستها الخارجية .

مما لا شك فيه هو أن أهم الدول المعاصرة للدولة العباسية في عصرها الأول والتي ارتبطت معها بعلاقات حربية وسلمية ، هي الدولة البيزنطية الممتدة في شرق وجنوب شرق أوروبا ، وفي أجزاء من آسيا الصغرى ، والإمبراطورية الرومانية المقدسة في غرب أوروبا ، وصقلية ثم ممالك الهند وممالك بلاد ما وراء النهر والصين .

ولأن ما نريده من هذا البحث هو بيان دور العلماء في السياسة الخارجية للدولة ، وليس حصرا لكل فعاليات السياسة والعلاقات الخارجية ، فسنقتصر في دراستنا على بعض هذه الدول ، ولأن الدولة البيزنطية أكثرها ملاصقة وتفاعلا مع الدولة العباسية فسنجعلها نموذجا لدراسة العلاقات الخارجية للدولة العباسية في عصرها الأول ، بوصفها أوضح مثال لدار الحرب .

١ - العلاقة مع الدولة البيزنطية :

كانت المواجهات العسكرية هي السمة الغالبة للعلاقة بين الدولة العباسية والدولة البيزنطية ، بالرغم من أن الدولة الإسلامية قد تغيرت استراتيجيتها إزاء البيزنطين بين العصرين الأموي والعباسي ، فقد كان الهدف في العصر الأموي إسقاط الدولة البيزنطية ، ولذلك توجهت جل الحملات العسكرية إلى عاصمتها القسطنطينية في حين أصبحت الاستراتيجية في العصر العباسي ، المحافظة على ما تم فتحه ، وتثبيت العواصم ، والثغور ، مع قيام العباسيين بحملات روتينية كانت تعرف بالصوائف[١] ،

(١) الصوائف جمع صائفة ، والصائفة الغزو في الصيف ، ابن منظور : لسان العرب ج ٤ ، ص ٢٥٣٨.

والشواتي[1] ، وقد أتاح هذا للبيزنطيين التقاط أنفاسهم ، والقيام ، فيما بعد ، ببعض الهجمـات علـى الثغور الإسلامية .

فوضع العباسيون أنفسهم في محك السنَّة الماضية ، وهي أن الذين لا يملكون إرادة الهجوم يفقـدون القدرة على الدفاع ، وإن كانت هذه ، السنة قد أصبحت واقعا في العصر العباسي الثاني ، ومع ذلك فقد شـهدت العلاقـة بـين المـسلمين والـروم بعـض الفـسح وإن كانـت فـي أوقـات محـدودة ، يتبادل فيها الجانبان الأسرى ، والمراسلات والسفارات ، وتتيح لهما تبادل المنافع والمصالح التجارية ، وما إلى ذلك ، وكان هذا يتم على أساس الإسلام ، وبفتاوى وتخريجات العلماء الفقهية ، سواء أكـانوا في السلطة أم خارجها .

- العلاقات الحربية :

وفي الوقت الـذي كـان ينبغـي فيـه علـى العباسـيين اسـتكمال مـا بـدأه الأمويـون مـن فتوحات في بلاد الروم ، فوجئوا بالروم يهاجمون الثغور الإسلامية ، في آسـيا الـصغرى مـستغلين الأحداث الداخلية التي رافت الثورة العباسية ، فهاجم قسطنطين[2] الثغور الشمالية للدولة ، فاسـتولى

---

(1) انظر عبد المنعم ماجد : العصر العباسي الأول ، جـ ١ ، ص ١٥٠، مكتبة الأنجلو المصرية ،القاهرة، ١٣٩٣هـ /١٩٧٣م ، جـ ١ ، ص ١٥٠ ، الشواتي : جمع شاتية والشاتية نسبة إلى الشتاء ، وهي هنا بمعنى الغزو في الشتاء ، ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ٤ ، ص ٢١٩٢ .

(2) قسطنطين بن ليون بن قسطنطين ، إمبراطور الروم ، كان كثير الإغارة على حدود الدولة الإسلامية ، لا سيما في فترات الفتن والاضطرابات الداخلية التي مرت بها الدولة ، في نهاية العصر الأموي وبداية العصر العباسي ، فهاجم ثغور الشام في أواخر خلافة مروان بن محمد ، ثم هاجم مالطية فهدم أسوارها و أخذها عنوة سنة (١٣٣هـ / ٧٥١م)، ثم عاود الهجوم سنة (١٣٧هـ / ٧٥٤م) ، و تذكر بعض الروايات أنه كان على صلة بالأمويين في الأندلس ، وأن رسله قدمت بلاط قرطبة بالرسائل و الهدايا ، وكانت نهايته مأساوية ، فقـد سملت عيناه ، وتولت الملك بعده أمه ريني سنة (١٨٢هـ / ٧٩٨م) ، المقري : نفح الطيب في غصـن الأندلـس الرطيب ، حققه إحسان عباس ، دار صادر، بيروت ، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م ، جـ ١ ،ص ٣٦٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٠ ، ص ١٧٩ ، القلقشندي ، مآثر الأنافة في معالم الخلافة ، حققه عبد الستار أحمد فراج ، مطبعة حكومة الكويت ، الكويت ، ط٢ ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥ م ، جـ ١ ، ص ١٧٨ .

على ملطية [1] و وقاليقلا [2] سنة (١٣٣ هـ / ٧٥١ م) ، [3] ثم عاود في سنة (١٣٨هـ / ٧٥٥ م) الهجوم حتى نزل بدابق[4] ، ويبدو أن البيزنطيين كانوا ينتهزون فترات الاضطرابات الداخلية وانشغال الدولة الإسلامية بالفتن للهجوم على أطرافها لاستعادة ما فتحه المسلمون ، فقد استغلـ ـوا انـشـغال المعتصـ ـم بمواجهة حركة بابك الخرمي ، فهاجموا الحصون والقرى الإسـلامية فـي زبطـرة [5] وملطية [6].

---

(١) ملطية : مدينة في بلاد الروم (آسيا الصغرى) تنسب في بنائها إلى الإسكندرالمقدوني ، افتتحها المسلمون في عهد الصحابة وبنوها بعد أن أخربتها الحرب ، ثم أخربت ، فأعاد بناءها عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام العباسي في خلافة المنصور سنة (١٤٠هـ /٧٥٧م) وأسكنها المسلمون وإليها ينتسب عدد من الرواة أمثال إبراهيم الصائغ ، ياقوت: معجم البلدان ،جـ٥ ، ص ٢٢٣ .

(٢) قاليقلا : مدينة بأرمينية بالقرب من خلاط وملازكرد ، وقيل أن الاسم نسبة إلى ملكة أرمينية التي تدعى (قالي) ، كانت ضمن دولة الفرس التي فتحها المسلمون وهي مشهورة بصناعة السجاد القالي الذي ينسب إليها ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ٤ ، ص ص ٣٣٩ ، ٣٤٠ .

(٣) البلاذري : فتـوح البلـدان ، ص ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٨٠ ، ابـن الأثيـر : الكامـل في التـاريخ ، جـ ٥ ، ص ٤٤٧ ، أبـو الفـداء : المختصـر في أخبـار البشـر ، دار المعـرفـة ، بيـروت ، د . ت ، جـ ١، ص ٢١٣ ، الـذهبي: العبـر في خبـر من غبـر ، جـ ١، ص ١٣٧ ، ابن كثيـر: البدايـة النهايـة ، جـ١٠ ، ص ٧٣ .

(٤) الذهبي : العبر في خبر من غير جـ١،ص ١٤٤، ابن راشد : الأعلاق الخطرة ، ص٢٢٦، دابق قرية بالقرب من حلب تبعد عنها أربعة فراسخ ، وهي ذات خضرة ، كان ينزلها بنو أمية لدى غزوهم الروم وقد نزلها سليمان بن عبد الملك ورابط بها عندما عزم على فتح القسطنطينية ، حتى توفي وقبر بها، ياقوت معجم البلدان ، جـ٢ ، ص ص ٤٧٥ ، ٤٧٦ .

(٥) زبطـرة مدينـة على طـرف بـلاد الـروم (آسيا الصغرى) بيـن ملطيـة وسميسـاط والحـدث ، وهي التي استـولى عليها الروم واسروا مَن فيها من المسلمين فاستغاث أهلها بالمعتصم ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ٣ ، ص ١٤٧.

(٦) الطبـري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٧ ص ٢٦٣ ، ابن شـداد : الأعلاق الخطيرة ، ص ٢٦٤ ، انظر إبراهيم العدوي : الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم ، دار ريـاض الصالحين ، القاهرة ، ، ١٤١٤ / ١٩٩٤ م ، ص ٨٣ .

ما أن انتهى العباسيون من تثبيت أركان دولتهم [١]، بعد إسقاط دولة بني أميـة حتـى وجَّهـوا موجات من الحملات العسكرية الروتينية عرفت بالصوائف ، فكانت أولاها حملة العبـاس بـن محمد بن علي [٢] سنة (١٣٨ هـ / ٧٥٥م)[٣] ، وفي السنة التالية (١٣٩ / ٧٥٦ م) غزا الصائفة صالح بن علي [٤] ، ثم توقفت الصوائف حتى سنة (١٤٦ هـ / ٧٦٣ م)[٥] وهي الفتـرة التـي شهدت حركة محمد النفس الزكية ، واستمرت الصوائف بعد سنة (٧٦٣/١٤٦ م) [٦] في كل سـنة لا يقطعها سوى الاضطرابات والفتن الداخلية ، أو المعاهدات ، كما حدث في عهد الواثق [٧] .

ولن نستغرق في الحديث عن تفاصيل المواجهات العسكرية ، ولن نخـوض فـي حـصر لهـذه الصوائف ، كما لن نفصل في الحديث عن هذه المواجهات لأن ذلك قد أشبع بحثاً[٨] ، وهو مـع ذلك ليس موضوع الدراسة وإنما هدفنا في إيراده هنا إعطاء لمحات وإضاءات لمعرفة دور العلماء

---

(١) ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ص ٢٢٦ .

(٢) العبـاس بن محمـد بـن علـي بن عبـد الله بـن العبـاس ، أخو السفـّاح و المنصـور ، يكنـّى بأبي عبدا الله ، روى الحديـث عـن عـدد مـن التابعيـن ، أحـد كبـار قـادة العباسييـن ، فكـان على صائفـة سنـة ، (١٣٨ هـ / ٧٥٥ م) ، وحـج بالنـاس سنة (١٤٠ هـ / ٧٥٧ م) ، ثـم ولي الجزيـرة للمنصـور ، سنـة (١٤٣ هـ / ٧٦٠ م) ، وكـان كثيـرا ما يلي موسـم الحـج للمنصور وللمهدي ، الطبري : تاريخ الأمـم والملـوك ، جـ ٤ ، ص ص ٣٩٠ ، ٣٩٣ ، ٤٠٠ ، ٤٩٤ ، الخطيـب : تـاريخ بغداد ، جـ ٨ ، ص ٢٣ .

(٣) ابن شداد الأعلاق الخطيرة ، ص ٢٢٦ .

(4) المصدر نفسه ، ص ٢٢٧.

(٥) المصدر نفسه ، ص ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

(٦) ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ، ص ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

(٧) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٧ ، ص ص ٣٢٤ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ابن خرداذبة :المسالك والممالك ، ص ص١٠٦ ١٠٧ أنظر كذلك نادية صقر : السلم في العلاقات العباسية البيزنطية ، ص ص ٢٥ ، ١١٧، عن فازلييف العرب والروم ، ص ١٧٥.

(٨) شنوان مرعي حسن : العلاقات بين الدولة العباسية والدولة البيزنطية (رسالة ماجستير) ، معهد الدراسات الإسلامية ، شعبة العلوم الاجتماعية ، جامعة عين شمس ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م ، ص ص ١٣٩ – ١٧٢ .

في السياسة الخارجية .

- جهود العلماء في تنظيم العلاقات الخارجية أوقات الحروب :

كان لجهود العلماء النظرية دور كبير في صياغة سياسة الدولة الخارجية ، وفي تنظيم علاقاتهـا الحربية مع الروم ، ومع غيرهم ، باجتهاد كبار العلماء الذين قاموا بتأصيل هذه العلاقـة تأصـيلا إسلاميا ، فلم تخرج في مجملها عن شريعة وقيم الإسلام ، إبتـداءا مـن إعـلان حالـة الحـرب الهجومية، وبيان غايتها الحقيقية ، وإعلام غير المسلمين بالإسلام ، ثم عدم مهاجمة العدو قبـل أن تعـرض البـدائل الأخـرى ، الإسلام ، أو الجزية [1] لمنع الحرب ، كما بيَّن العلماء الآداب التي يجب التزامها في التعامل مع غير المحاربين من نساء وشيوخ وأطفال ، وفي التعامل مـع أسـرى الحرب ، ومع الجواسيس ونقلة الأخبار ، وما إلى ذلك ، كما بيَّن العلماء الأسباب الحقيقية للحـرب في الإسلام التي لا تعدو إزاحة الحواجز من الحكومات الجائرة التي تحول بين الإسلام وبين الناس في الأرض ، حتى ينطلق الإسلام بلاعوائق إلى الناس كافة ويوضع بعد ذلك بين أيديهم وفق قاعدة لا إكراه في الدين .

أ - نهي العلماء عن مهاجمة العدو قبل عرض الإسلام أو الجزية :

نظر العلماء إلى الحرب على أنها الملاذ الأخير ، في تعامل الدولة الإسلامية مع غيرهـا، منطلقين في ذلك من التصور الإسلامي للسياسة الخارجية ، وإذا كنَّا قد قدَّمنا أن غاية الحـرب في الإسلام ، إمـا تبليغ رسالة الإسـلام إلى النـاس كافة ، وإما الـدفاع عـن بيـضة

---

(١) خراج الرأس ، والجمع جزى ، وهي قدر من المال يدفعه الكتابي ، وتنعقد به الذمة ، فيعصم بها نفسه وماله ، وهي من الجزاء ، لأنها جزت عن قتله ، وتسمى لذلك بخراج الرأس تميزا لها عن خراج الأرض ، ومقدارها دينار كل عام ، وهي مبنية على قوله تعالى :" قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ... إلى قوله تعالى ...حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون " (التوبة ، الآية : ٢٩) ، ابن منظور : لسان العرب ، جـ ١ ، ص ٦٢١ ، الشرباصي : المعجم الاقتصادي الإسلامي ، جـ ١٠ ، ص ٢٩٧١ .

الإسلام [١] ، فإن العلماء كانوا يؤكدون على أنه يجب أن لا تغيب هذه الغاية عن أذهان القـادة والجنود ، فكانوا يوصونهم بأن يبدؤا عدوهم بالحسنى علّه يكف عن عداوته[٢] ، وأن يعـرض عليهم الإسلام ، فإن استجابوا كفوا ورجعوا عنهم ، وإن أبوا الإسـلام ، عـرض علـيهم أداء الجزية ، يفتدون بها أنفسهم ، فإن لم يستجيبوا ، ناجزوهم الحرب ، فكان مالك يأمر بالدعوة قبل القتال قائلا : " لا أرى إن يقاتل المشركين حتى يدعوا سواء غزوناهم ، أم دخلوا بلادنا[٣] ونهى أبو يوسف ، في كتابه إلى الرشيد ، أن يقاتل المشركون حتى يدعوا ، لأن رسول الله صـلى الله عليه وسلم لم يقاتل قوما قط قبل أن يدعوهم ، وإن كان قد ذكر له اجتهاد بعض التابعين والفقهاء ،في أنهم لا يدعَون[٤] ، لأن العلة من الدعوة الإعلام بالإسلام ، والعدو يعلم الإسلام ودعوتـه ، ولذلك فقد فرَّق الشافعي وأحمد بن حنبل في دعوتهم قبل القتال بين قسمين من أهـل الحـرب ، صنف بلغتهم دعوة الإسلام ، فامتنعوا منها وتأبوا عليها ، مثل الروم ، فأمير الجيش مخيَّر فـي قتالهم بين أمرين يفعل منهما الأصلح للمسلمين ، إما يقاتلهم بدون دعوة ، وإنذار أو أن ينـذرهم بالحرب ويدعوهم إلى الإسلام أو الجزية .

وصنف لم تبلغهم دعوة الإسلام ، وهؤلاء لابد من دعوتهم وإنذارهم[٥] ، بـل إن العلمـاء

---

(١) بيضة الإسلام : هي مجتمعه ، وحوزته ، فيقـال للجند حماة الحـوزة ورعـاة البيضـة ، وقـد قال الشاعر: أبكي واندب بيضة الإسلام * إذ صرت تقعد مقعد الحكام ، الثعالبي : ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٥ م ، ص ١٦٤.

(٢) كان الجاحظ ينصح الخلفاء والقادة لدى خروجهم للحرب بثلاثة خلال : أن يبدأ عدوه بالحسنى عله يحوله عن عدواته لأن كثرة الأعداء كريهة ، وأن يكتم أسراره عنه ، ولا يطلعه على تدبيره ، وأن يستعد لمواجهته : الجاحظ ، رسائل الجاحظ(الرسائل السياسية) ، ص ١١ .

(٣) مالك ابن انس : المدونة الكبرى (رواية سحنون) ، دار صادر ، بيروت ، د.ت ، جـ٣ ، ص ٢٤ .

(٤) ابو يوسف كتاب : كتاب الخراج ، ص ٢٠٧ .

(٥) المـاوردي : الأحـكـام السلطـانيـة ص ٧٥ ، ٧٦ ، أبـو يعلـى : الأحـكـام السـلطـانيـة ، ص ٤١ .

حرَّموا قتالهم دون دعوة ، وعد الشافعي دياتهم مثل ديات المسلمين[1] ، وإن كان أبو حنيفة قـد خالف العلماء في هذا المذهب[2].

ب - التخريب في دار الحرب :

وفيما يتعلق بتعامل الجيوش الإسلامية مع أرض الحرب ، فإن العلماء ، قد نهوا عن العبـث بها والتخريب والتدمير فيها ، إلا إذا كان من وراء ذلـك ضـرورات عـسكرية ، مثـل دك تحصينات العدو وما يحتمى به من أسوار وقلاع ، فقد أجاز مالك أن تحرق القرى والحصون ، وتغرق بالماء وتخرب إذا استعصت على المسلمين ، أو إذا تغلبوا عليها وأرادوا مغادرتها ، لئلا يتقوى ويستعان بها على المسلمين[3] وأيَّد ذلك سحنون ، إذا كان للمسلمين مصلحة ، ولأعدائهم نكايـة[4] ، ورأى أبـو حنيفـة الـرأي ذاتـه واسـتدل علـى ذلـك بقولـه تعـالى " ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسـقين"[5] ، وعاضـده أبو يوسف [6] مبينا الحكمة من ذلك ، مع كراهته للتدمير في ذاته ، لكن مـادام فيـه مـصلحة للمسلمين وإضعافا لعدوهم فلا بأس به .

والـشيء ذاتـه يـنـسحب علـى مـا بأيـدي المـسلمين مـن غنـائم وأمتعـة وأثقـال ، إذا أرادوا الخـروج مـن دار الحـرب ، وعجـزوا عـن حملهـا ، ونلمـس ذلـك ممـا كتبه إلى هارون الرشـيد ، حيـث قـال : " ومـا حـبس مـن دواب المـسلمين فـي أرض

---

(١) الماوردي : الأحكام السلطانية ص ٧٦ .

(٢) قال أبو حنيفة لادية على قتلهم ونفوسهم هدر ، وإن كان العلماء قد خالفوه في هذا ، الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ٧٦.

(٣) سحنون : المـدونـة الكبـرى ، جـ ٣ ، ص ٢٥ ، ٢٦ ، السيـوطـي : تـزيـن الممـالـك بمـذاهـب سيدنـا الإمـام مـالـك ، المـطبعـة الخيـريـة ، القـاهـرة ، ط ١ ، ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٧ م ، ص ٣٧١ .

(٤) مالك بن أنس : المدونة الكبرى ، جـ٣ ، ص ٢٦ .

(٥) الحشر ، الآية : ٥ ، الشافعي : الأم جـ ٧ ، ص ص ٣٢٣ ، ٣٢٤ .

(٦) كتاب الخراج ، ص ٢١٦ .

الحرب أو ثقل عليهم من متاعهم أو سلاحهم ، إذا أرادوا الخروج من دار الحـرب لخـوف أو لغيره، فأرى أن تتلف حتى لا ينتفع بها العدو ويستعين بها على المسلمين " ، ووافقه الشافعي [1] فـي ذلـك إلا أنـه اسـتثنى منهـا كـل مـا فيـه روح مـن الحيـوان ، فإنـه كـره أن يـذبح ويحـرق لآن فـي ذلـك تعذيبـا لهـم ، وأجـاز احمـد بـن حنبـل فـي حصار العدو أن يرموا بالعرادات والمنجنيقات فتهدم منازلهم عليهم وأن تقطع وتحرق نخـيلهم وزروعهم ، إذا كان العدو يفعل ذلـك بالمـسلمين، فقـال: " ان فعلـوا بنـا فعلنـا بهـم"[2] ، وإذا أدى ذلك إلى أضعاف العدو وتسهيـل هزيمته ، فقال :" اكرهـه ، إلا أن يكـون ذلـك يغيظهـم ويبلغ منهم "[3] واتخذ الأوزعي موقفا مغايرا للعلماء فنهى عن إتلاف المتـاع وذبـح البهائم إلا إذا كان للأكل[4] .

جـ - نهي العلماء عن قتل النساء والأطفال والشيوخ والرهبان في الحرب :

أكـد العلمـاء فـي العـصر العباسـي الأول علـى الآداب الإسـلامية فـي التعامـل مـع غيـر المقاتلـة مـن النـساء والأطفـال والـشيوخ والمرضـى وغيـرهم ممـن يعجـز عـن الحـرب فـي أرض الحـرب ، والتـي تحـرم قـتلهم وإيـذائهم ، فكان مالك يكره قتل هؤلاء ، أو أخذ ممتلكاتهم[5] ، ونهى عن ذلك سفيان الثوري[6] ، وبيَّن أبـو

(١) الشافعي : الأم ، جـ ٤ ، ص ص ١٧٤ ، ١٧٥ ، جـ ٧ ، ص ٣٢٣ .

(٢) أبو يعلي : الأحكام السلطانة ص ٥٠.

(٣) المصدر نفسه .

(٤) الشافعي : الأم ، جـ ٧ ، ص ٣٢٣ .

(٥) وذكر مالك أن عمر بن الخطاب قال لبعض قادة جنده لدى توجيههم إلى الغزو : لا تقتلوا هرما ولا إمرأة ولا وليدا ، وتوقوا قتلهم إذا التقى الزحفان وعند حملة النهضات وفي شن الغارات ، وكان مالك يكره قتل النساء والصبيات والشيوخ ، والرهبان المحبسين في الصوامع والديارات في دار الحرب، ويرى أن يترك لهم من أموالهم ما يعيشون بها ، سحنون : المدونة الكبرى جـ ٣ ص ٢٥ ، السيوطي : تزيين الممالك . ص ٣٧٠ .

(٦) روى سفيان الثوري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل النساء والولدان عندما بعث إلى ابن أبي الحقيق ، مختصر المزني (بهامش الأم) ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، جـ ٦ ص ٢٤٤.

يوسف [1] للرشيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل النساء والولدان ، وأكد ذلك الشافعي وأحمد بن حنبل . [2]

ومع ذلك فقد فرَّق العلماء بين قتال النساء والشيوخ والأطفال والرهبان الآمنين فـي بيـوتهم وصوامعهم ، وبين المقاتلين منهم ، والمعينين لعدو المسلمين[3] ، أوالذين يتخذهم عدو المسلمين متاريس (دروع بشرية) يحتمون خلفها فلا يصل المسلمون إلى عدوهم إلا بقتلهم[4] ، أو أولئك الذين يكشفون عورة المسلمين لعدوهم ، بالتجسس عليهم ونقل أخبارهم[5] ، فقد أجمـع العلمـاء على النهي عن قتل النساء ، والأطفال والشيوخ والرهبان ما لم يقاتلوا المسلمين أو يعينوا عدوهم عليهم ، وما لم يتترس بهم في الحرب ، ومع ذلك فإن العلماء قد أمروا بتوقيهم والاجتهاد فـي تجنب قتلهم [6] .

د- معاملة الأسرى :

نظر الإسلام إلى الأسير بوصفه إنسانا، فنص على تكريمه في قوله تعالى : " ولقد كرمنـا بني آدم وحملناهم في البر والبحر"[7] ولذلك فقد كانت القاعدة الأساسية في التعامل مع الأسـرى في الإسلام ، هي الإحسان اليهم ، وقد أكد العلماء هذه القاعدة ، واتخذتها الدولة العباسية ، التي كانت تعتمد في سياستها الخارجية بدرجة أساسية على اجتهادات العلماء مع أسرى الحرب .

---

(١) وكتب أبو يوسف إلى الرشيد كذلك عن مجاهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لا يقتل في الحرب الصبي والمرأة ولا الشيخ الفاني " وعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا بعث جيشا قال لهم : لا تقتلوا أصحاب الصوامع ، كتاب الخراج ، ص ص ٢١١ ، ٢١٢ .

(٢) المزني : مختصر (في هامش الأم) جـ ٦ ص ٢٤٤ ، الماوردي ، والأحكام السلطانية ، ص ص ٨١ ، ٨٢ .

(٣) الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ٨١ .

(٤) الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ص ٨٢ ، ٨٣ ، ابو يعلى . الأحكام السلطانية ص ٤٣ .

(٥) الشافعي : الأم جـ ٤ ص ١٦٧ .

(٦) الأم : الشافعي جـ ٤ ص ١٦٧ ، الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ص ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، أبو يعلي : الأحكام السلطانية ص ٤٣ .

(٧) الاسراء ، آية : ٧٠ .

إلا أن العلماء وضعوا حدا بين حسن المعاملة للأسرى، وبين الغفلة فيه ، وما قد تفضي إليـه من تهديد أمن الدولة وسلامة المجتمع ، من وجود عناصر غريبـة فـي النـسيج الاجتمـاعي الإسلامي ففرقوا في التعامل مع الأسرى بحسب الظروف الضاغطة على الجـيش الإسـلامي ، وبحسب طبيعة الأسرى ومدى خطورتهم والخوف منهم ، ولقد انقسم العلماء إزاء التعامل مـع الأسرى إلى قسمين ، فرأى بعضهم أن الإمام مخير فيهم بين المفاداة والاسـترقاق أو المـن أو القتل ، وفق مصلحة المسلمين ، ومثل هذا الفريق أبو حنيفة ومالك ، والشافعي ، وأحمـد بـن حنبل .

فقال أبو حنيفة الإمام في الأساري بالخيـار، إن شـاء فـادى وإن شـاء مـنَّ وإن شـاء قتل[1] ، وعندما سئل مالك عن الأسـارى قال : " كل مـن خيـ ـف فـ ـأرى أن يقتـل[2] ، وقد وضح ذلك تلميـذه سحنـون حيـث قـال : " إذا كـان الأسـير أبغـض للـدين يعنـي أبغـض مـن أجل دينه ، وعادى عليه ، وأحب لـه ، وخيـف أن لا يؤمن غيلته فهو الـذي يقتل ، أما غير ذلـك فهم كـالأموال[3] ، واستـ ـدل علـى ذلـك بمـا نـ ـال المـسلـمين من أبي لؤلـ ـؤة المجـ ـوسي[4] ، ورأي الشافعي [5] أن الحكم في الأسـرى مـن البـالغين للإمام إن شـاء قتلهـم ، أو فـادى بهـم أو من عليهـم ، وفق ما تقتضيه مصلحة المسلمين ،

وإن كان يفضل المفـاداة ، فروى أن رسول الله صلى الله عليه وسـلم فـادى رجلـين مـن

---

(١) أبو يوسف : كتاب الخراج ، ص ١١٢ .

(٢) سحنون : المدونة الكبرى ، جـ٣ ، ص ٢٦ ، السيوط : تزيين الممالك ، ص ٣٧٢ .

(٣) السيوطي : تزيين الممالك ، ص ٣٧٢ .

(٤) قال سحنون : نهى عمر بن الخطاب أن يحمل إلى المدينة من علوجهم أحدا ، فلماَ طعن ، قال : " من أصابني ؟ قالوا غلام المغيرة (أبو لؤلؤة) فقال قد نهيتكم أن تحملوا إلينا من هؤلاء العلوج أحدا فعصيتموني ، سحنون : المدونة الكبرى ، جـ٣ ، ص ٢٦ .

(٥) الشافعي : الأم ، جـ ٤ ، ص ١٧٦ .

المسلمين أسرتهما ثقيف برجل من ثقيف كان في أسر المسلمين [1] .

وفي المقابل نهى فريق آخر من العلماء عن قتل الأسرى ، كان منهم الأوزاعي وأبي يوسف ، فنهى الأوزاعي عن قتلهم حتـى وإن قتـل العـدو مـن لديـه مـن أسـرى المـسلمين ، لأن المسلمين لا يتخذون من عدوهم قدوة لهم ، وإنما يتوجب عليهم أن يكونوا هم قدوة حـسنة لغيرهم ، وقد استدل في ذلك علـى مـا فعلـه معاويـة بـن أبـي سـفيان ، عنـدما امتنـع عن قتل من في يـده مـن أسـرى ورهـائن الـروم ، إزاء قتـل الـروم أسـرى ورهـائن المسلمين لديهم ، وقـال وفـاء بغـدر خيـر مـن غـدر بغـدر [2]، وكـان أبـو يوسـف يكره قتل الأسرى ، ويفضل مفاداتهم بمن في أيدي العدو من أسرى المسلمين ، ولذلك عنـدما اسـتأنس الرشـيد برأيـه فيمـا لديـه مـن الأسـرى ، كتـب إليـه ينهـاه عـن قـتلهم إلا للـضرورة[3] ، مبينـا أن الـصحابة والتـابعين نهـوا عـن القتـل وكرهـوه ، فكـان عمـر بـن الخطـاب يفـضل مفـاداة الأسـرى بأسـرى المـسلمين لدى العدو ، حيث قال : " لأن أستنقذ رجلا من المسلمين من أيدي الكفار أحب إلى من جزيـرة العرب " [4] .

ورفض عبد الله بن عمـر أمـر الحجـاج عنـدما أمـره بقتـل أحـد الأسـرى ، قـائلا له : " ما بهذا أمرنـا ، يقـول الله تعـالى : " حَتَّـى إِذَا أَثْخَنتُمُـوهُمْ فَـشُدُّوا الْوَثَـاقَ فَإِمَّـا مَنًا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاء "[5] ، وكان الحسن البصري ، وعطاء بن أبي رباح يكرهان قتل الأسرى ، ومع هذا كله فإن أبا يوسف رأى أن الخليفة مخير في الأسرى لاختيار الأصلح للأمة وفق مـا

---

(١) الشافعي : الأم ، جـ ٤ ، ص ص ١٦٩ ، ١٧٠ .

(٢) أبو عبيد : كتاب الأموال ، ص ص ١٧٤ ، ١٧٥ .

(٣) أبو يوسف : كتاب الخراج ص ٢١٢.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) محمد ، الآية : ٤ ، أبو يوسف : كتاب الخراج ص ٢١٢ .

يراه مناسبا [١] .

هـ - التعامل مع الجواسيس ونقلة الأخبار :

في الوقت الذي أمر فيه العلماء الخلفاء وأمراء الجيوش بتقصي أخبار عدوهم [٢] ، لمعرفة تحركاتهم وحجم قوتهم ومواطن ضعفهم ، حتى تسهل مواجهتهم ، في الوقت ذاته ، رأوا أهمية الكتمان ، وإخفاء أخبار المسلمين وتحركاتهم وموطن ضعفهم عن عدوهم في تحقيق النصر ومباغتة العدو ، وهو شيء يدركه العباسيون جيدا ، فقد استخدموه في دعوتهم السرية ، ضد الأمويين ، وثبتت جدواه وفعاليته [٣]

لذلك حذر العلماء من كل ما من شأنه أن يطلع العدو على أحوال المسلمين وإعداد جيوشهم

وتحركاتهم ، ومواطن الضعف في جبهتهم ، من جواسيس ونقلة أخبار ، سواء أكانوا على هيئة تجار أم أطباء أم رحَّالة ، أم غير ذلك ، واستنبطوا لذلك الأحكام الشرعية التي تحدد التعامل مع أهل دار الحرب الذين يدخلون دار الإسلام أوقات الحرب ، أو من يساعدهم من أهل دار الإسلام من الذمة أو المسلمين [٤] ، فنهى ابن لهيعة عن أن ينزل تجار العدو أرض المسلمين بدعوى التجارة أو غيرها وإن من أخذ منهم فلا أمان له ، " لأنه لو ترك أشباه هؤلاء ، لم تزل

(١) أبو يوسف : كتاب الجراج ، ص ٢١٢ .

(٢) الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ص ٨٥ ، ٨٦ ، أبو يعلى : الأحكام السلطانية ، ص ص ٤٤ ، ٤٥ .

(٣) الدينوري : الأخبار الطوال ، ص ص ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٧ ، ٣٥٥ ـ ٣٦٦ .

(٤) كان البيزنطيون يهتمون بمعرفة أخبار المسلمين ، وتحركاتهم والخطط التي يتبعونها ؟، وكان ذلك ولا يتم لهم إلا عن طريق الجواسيس المندسين بين المسلمين ، سواء كانوا خداما للأمراء والقادة ، أم تجارا أم أطباء ام غير ذلك، رنسيمان : الحضارة البيزنطية ترجمة عبد العزيز جاويد ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ،١٣٨٠هـ / ١٩٦١م ، ص ١٦٨، أنظر كذلك شنوان : العلاقات بين الدولة العباسية والدولة البيزنطية في العصر لعباسي الأول ، ص ١٣٤ .

عينٌ من العدو مطّلعة على المسلمين ، يحذرون عدوهم منهم ويطمعونهم بـضعفهم [1] "، وقـد وافق ابن لهيعة في ذلك عدد من العلماء أمثال ربيعة الرأي[2] ومالك بن أنس ، وأبـو يوسـف والشافعي وأحمد بن حنبل ، فرأى مالك أن من دخل من أهل دار الحرب بلاد المـسلمين بغيـر أمان ، يؤخذ ويكون أمره إلى الإمام ، يرى فيه رأيه [3] ، وحذّر أبو يوسف ممن ينزل بـساحل بلاد المسلمين من أهل دار الحرب بحجة أن الريح حملته إليه ، فرأى ألا يـصدقوا بـل يكـون أمرهم إلى الإمام ، يتحقق من صدق دعواهم ، فإن ثبت صدقهـم تركـوا وإلا كانـوا فيئـا للمسلمين [4] ، واشترط أحمد بن حنبل لأخذهم إقامة الحجة وإلا أعيدوا إلى مأمنهم [5] ، أما إذا تجسس أهل الذمة أو أحد المسلمين ، واطلع العدو على عورة المسلمين فقـد رأى العلمـاء أن يعاقبوا كل بحسب الوسيلة المناسبة له ، فرأى الشافعي أن ينزل الراهبـان مـن صـوامعهم ، ويخرجوا من أرض الإسلام وأن يعاقب المسلم بالتعذيب والسجن [6] دون القتل واسـتدل علـى ذلك بما حدث من حاطب بن أبي بلتعة [7] .

- العلاقات السليمة :

بالرغم من أن السمة الغالبة على العلاقات الإسلامية البيزنطية في العصر العباسـي الأول كانت عدائية ، يغلب عليها الحرب ، إلا أن هذه العلاقات كانت بين الحين والآخر تشهد بعض الفسح وأوقات السلام عندما كانت الحروب تضع أوزارها لأي سـبب مـن الأسـباب فتعقـد المعاهدات والهدنات ويتيح ذلك تبادل السفارات والأسرى والمصالح والمنافع الاقتصادية .

---

(١) سحنون : المدونة الكبرى ، جـ ٣ ، ص ٢٧ .

(٢) ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، وهو المعروف بربيعه الرأي ، كان شيخ الشافعي وقد سمي بربيعه الرأي لأن الرأي غلب على علمه ، توفي سنة (١٣٦ هـ / ٧٥٣ م) ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ ٥ ، ص ٤٦٣ .

(٣) سحنون : المدونة الكبرى ، جـ ٣ ، ص ٢٦ .

(٤) أبو يوسف : كتاب الخراج ، ص ٢٠٥ .

(٥) أبو يعلي : الأحكام السلطانية ، ص ٥٩ .

(٦) الشافعي : الأم ، جـ ٤ ، ص ١٦٧ .

(٧) المصدر نفسه ، ص ١٦٦ .

تذكر المصادر أن ثمة اتصالات جرت بين المسلمين وبين البيزنطيين سنة (١٣٩ حتى ٧٥٦ م) تم فيها تبادل الأسرى بين الطرفين [١] ، فعندما فرغ المنصور من بناء مدينة السلام كان وفـد ملك الروم قد وصل إليها ، فأمر المنصور أن يطاف بهم في المدينة [٢] لمشاهدة معالمها كمـا جرت مراسلات بين المنصور والإمبراطور البيزنطي سـنة (١٥٥هـ ـ/٧٧٢م) طلـب فيهـا البيـزنطيون الصلح مع المسلمين على أن يحملوا إليهم جزية [٣]، وعندما تولى المهدي (١٥٨ هـ/٧٧٥م) أوفد إمبراطورالروم بعثة لتهنئته ، فأحسن المهدي وفادتها[٤]،وكتب الرشـيد إلـى الإمبراطور البيزنطي قسطنطين يدعوه إلى الإسلام ويحاججه في رسالة طويلة جاء فيها : " من عبد الله هارون أمير المؤمنين إلى قسطنطين عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى فإني أحمـد الله الذي لا شريك معه ولا ولد له ولا إله غيره .." [٥] وتبادل الأسرى مع البيـزنطيين سـنة (١٩٢هـ / ٨٠٨ م) [٦] كما سمحت فترات السلم بتبادل العلاقات التجارية بين الطرفين . [٧]

---

(١) ابـن الأثيـر : الكـامـل في التـاريـخ ، جـ ٥ ، ص ٤٨٨ ، ابـن شـداد : الأعـلاق الخـطيرة ، ص ٢٢٧ .

(٢) الخطيب : تاريخ بغداد ، جـ ١ ، ص ٨٠ .

(٣) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٦ ، ص ٢٩٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٠ ، ص ١١٣ ، ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ، ص ٢٣٠ .

(٤) الخطيب : تاريخ بغداد ، جـ ـ ١ ، ص ٩٢ .

(٥) ابن أبي الربيع : رسالة ابن أبي الربيع شرح وتعليق سعد لطفي حسن، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٣٥٥ هـ/١٩٣٦ م ، ص ١٩ .

(٦) الطبري : تاريخ الأمم ، والملوك ، جـ ٦ ، ص ٥٢٤ .

(٧) جرى في أوقـات الهدنـات تبـادل للبضـائـع المخصصـة للاستهـلاك الجمـاهيـري والمنسـوجات والأغـذية بيـن الدولـة العباسيـة والدولـة البيزنطيـة ، آشتـور : التـاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسـط في العصـور الوسطى ، ترجمـة عبد الهـادي عبلة ، دارابن قتيبـة ، دمشـق ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، ص ٩٦ .

وجرت مراسلات وتبادل للهدايا والوفود بين المأمون وملك الروم [1] تيوفل وشهدت مرحلة الواثق ذروة العلاقات السلمية مع الروم حيث توقفت الصوائف وتم فيها تبادل الأسـرى علـى نطاق واسع وتبادل السفارات [2] .

وشهدت مرحلـة المتوكل بعض العلاقـات الـسلمية ، تبـادل الطرفـان الأسـرى [3] والسفارات . [4]

أما عن دور العلماء في العلاقات مع البيزنطيين ، فقد كانت لهم جهود نظريـة فـي تقـديم الصيغ والتخريجات الفقهية التي كانت الدولة تتحرك في إطارها إذ وضعوا الإطـار النظـري للعلاقات السلمية والحربية للدولة الإسلامية مع غيرها ، وكان البيزنطيـون أهـم طـرف فـي علاقات الدولة الخارجية .

اعتمدت الدولة في العصر العباسي الأول في تنظـيم علاقتهـا الـسلمية بـالبيزنطيين ، وبغيرهم في المعاهدات والهدنات ، وتبادل السفارات والأسـرى ، علـى مـا كـان يقدمـه العلماء من اجتهادات وتخريجات فقهية ، فحددوا مفهوم المعاهدات ، والظروف التـي يجـوز

(١) أوفد الإمبراطور البيزنطي تيوفل وفدا إلى المأمون حمل معه هدايا ونفائس كان ، منها رطل مسك ومئة حلة سَمُّور، فقال المأمون ، أضعفوها له ليرى عز الإسلام ، كما استأذن المأمون ملك الروم في السماح لأحد علماء الرياضيات لديه لزيارة بغداد للاستفادة من علومه ، وطلب بعض كتب الفلسفة ، مثل كتاب أقليدس ، الدينوري : الأخبار الطوال ، ص ٤٠١ ، الطبري : تاريخ الأمم جـ ٧ ، ص ١٩٤ ، ابن النديم : الفهرست ، ص ٣٠١ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ١٠ ص ص ٢٧٨ – ٢٧٩ ، الشيرازي : كتاب النهج المسلوك في سياسة الملوك ص ٤٧ ، إنظر كذلك خضر أحمد عطا الله : بيت الحكمة في عصر العباسيين ، ص ٦٢ .

(٢) مما لاشك فيه أنه كان يسبق عملية تبادل الأسرى ، إعداد عن طريق المراسلات والسفارات بين الطرفين ، يتم فيها الاتفاق على الطرائق التي سيتم فيها المبادلة ، وغير ذلك من الشروط والضمانات والمقادير المقابلة ، الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٧ ، ص ص ٣٢٤ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ، ص ص ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، أنظر كذلك : نادية صقر : السلم في العلاقات العباسية البيزنطية في العصر العباسي الأول ، ص ص ٢٥ ، ١١٧ .

(٣) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٧ ، ص ص ٣٧٦ ، ٣٨٨ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٨٣ .

فيها إبرام المعاهدات والهدنات مع العدو ، وحـدودها الزمنيـة ، واسـتعمل العلمـاء ألفاظـا متعددة للتعبير عن المعاهدة ، مثل العهد [١] و المهادنة [٢] ، والموادعـة [٣] والمـصالحة [٤] والمسالمة [٥] ، والأمان [٦] ، إلا أنها في مجملها تدور حول مفهوم واحد هو اتفاق المسلمين مع عدوهم على إيقاف الحرب فيما بينهم ، عل شروطٍ محددة ولوقتٍ معلوم ، قال تعالى : " فـأتموا

---

(١) العهد : كل ما عوهد الله ، وكل ما بين العباد من مواثيق ، قال تعالى :" وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا "(الإسراء ،الأية: ٣٤)، وهو بمعنى اليمين والموثق يحلف به الرجل ليوثق كلامه وحجته ، قال تعالى : " واوفوا بعهد الله إذا عاهدتم " وهو بمعنى الأمـان ، قال تعالى : " وأوفوا بعهـد الله إذا عاهدتم" (النحل ، الأية : ٩١)، وأيضا في قوله عزوجل " وأتمـوا إليهـم عهدهم إلى مدتهم "(التوبة ، الآية : ٤)، وتدل الآية على محدودية العهد ، ومنه المعاهدة والتعاهد ، والتعهـد ، وهو أحداث العهـد بما عهدته ، ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٤ ، ص ص ٣١٤٨ ، ٣١٤٩ ، ٣١٥٠ .

(٢) الهدنة والمهادنة انتقاض عزم الرجل بخبر يأتيه فيهدنه عما كان عليه ، وتطلق على المصالحة بعد الحرب ، وهي من السكون بعد الهيج ، والموادعة بين المسلمين والكفار وبين كل متحاربين ، وهي لمدة معلومة ، ومنها الهدون أي السكون والدعة والاسترخاء ، فالهدن هو المسترخي ، وعلى ذلك فالهدنة هي الصلح المؤقت بين متحاربين على ترك القتال ، ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٦٨ ، ص ٤٦٣٨ ، أنظر كذلك الحارثي : الحياد في العلاقات الدولية الإسلامية ص ٩٤ .

(٣) الموادعـة : من التـوادع ، فيقال توادع القوم إذا أعـطى بعضهـم بعضا عهـدا أن لا يغـزوهـم ، فيـقال : وأدعـت العدو إذا هادنته ، ومنهـا الهدنـة والموادعة ، ابن منظـور : لسان العـرب ، جـ ٦ ، ص ٤٧٩٨ .

(٤) المصالحة : من الصلح ، فيقال تصالح القوم واصطلحوا وأصلحوا وصالحوا واصلحوا ، إذا صلح ما بينهم ، فهم متصالحون ، والصلاح (بكسر الصاد) مصدر المصالحة ، ومنه الصلح ، لوقف الحرب بين طرفين على شروط محدودة ، ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٤ ، ص ٢٤٧٩ .

(٥) المسالمة : من الاستسلام والتسالم والتصالح والمسالمة المصالحة ، قال تعالى : " وألقوا إليكم السلم " أي الاستسلام والإذعان والانقياد ، وتوحي بالتسليم للعجز عن المدافعة ، والمسالمة ترك الحرب ، ومنه السلام نقيض الحرب ، ابن منظور : لسان جـ ٣ ، ص ص ٢٠٧٩ ، ٢٠٨٠ .

(٦) الأمان ، من الأمن ، وهو ضد الخوف ، ومنه الأمانة ، وهي نقيضة الخيانة ، ومنه التأمين والأمان وهو كف الأذى ، لسان العرب ، جـ ١ ، ص ص ١٤٠ ، ١٤١ .

إليهم عهدهم إلى مدتهم " (١) .

وقد نهى العلماء عن التعرض بالأذى للمعاهد في مدة المعاهدة والهدنة ، فنهى أبو حنيفـة أن يقتل معاهد في وقت الهدنة ، وإن قتل أقيد من قاتله (٢) ، وأكد ذلك الشافعي ، حيث قال : " لا يقتل ذو عهد في عهده " (٣) .

لم يجز العلماء عقد المعاهدات والهدنات مع أهل دار الحرب إلا في ظروف معينة ، إذا رأى الإمام في ذلك مصلحة المسلمين ، كأن يخشى الإمام على المسلمين من عدوهم ، أو لرغبته في ائتلاف المشركين دون أن يكون العدو في أرض المسلمين . (٤)

فقـد نهـى العلمـاء عـن مهادنـة أهـل الحـرب إذا كـان المـسلمون قـادرون عليهم ، لأن الأصل هو قيام المسلمين بالتمكين لدين الله في الأرض ، فنهى أبو يوسـف (٥) عـن مهادنـة أهـل الحـرب إذا كـان بالمـسلمين قـوة ومنعـه ، ووافقـه على ذلك محمد بن الحسن الشيباني (٦) ، ولم يجزها الشافعي ما دام الإمام مستظهرا بالقوة ، ما لم يكن للمسلمين مصلحة فيها (٧) ، ورأى أحمد بن حنبل أن الهدنة والموادعة لا تجوز إلا حيث

---

(١) التوبة ، آية : ٤ .

(٢) ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٤ ، ص ص ٣١٤٨ ، ٣١٤٩ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) ضميرية . عثمان بن جمعة : المعاهدات الدولية في فقه الإمام محمد بن الحسن الشيباني ، كتاب شهري تصدره رابطة العالم الإسلامي ، مكة المكرمة ، العدد : ١٧٧ ، سنة ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م ، ص ٤٣ .

(٥) كتاب الخراج ، ص ص ٢٢٤ ، ٢٢٥ .

(٦) السرخسي : المبسوط ، تحقيق مجموعةمن العلماء الأجلاء ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، د.ت ، جـ ١٠ ، ص ٨٦ ، انظر كذلك ، ضميرية : المعاهدات الدولية ، ص ٣١ ،

(٧) قال الشافعي ، قتال المشركين فرض إذا كان المسلمون في قوة ومنعة ، ومهادنتهم جائزة إذا ضعف المسلمون عن قتالهم ، لبعد دارهم وكثرة عدوهم أو لخلة بالمسلمين ، ولا تكون المهادنة إلا لمدة محدودة حتى يتقوى المسلمون على عدوهم ، لأن الأصل مقاتلة الكفار حتى يسلموا ، أو يعطوا الجزية ، الأم ، جـ ٤ ، ص ص ١٠٩ ، ١١٠ .

جاز تأخير الجهاد [١] ، بمعنى عند عدم جاهزية المسلمين واستعدادهم لمواجهة عدوهم ، وأكـد ذلك أبو عبيد [٢] حيث أجاز المهادنة مع أهل الحرب إذا خاف الإمام غلبة عدوه عليه ، أما ما دام المسلمون قادرون فإنه نهى عن المهادنة ، واستشهد بقوله تعالى : ولا تهنـوا ولا تحزنـوا وأنتم الأعلون إن كنتم مـؤمنين [٣] " وقولـه تعـالى : " فـلا تهنـوا وتـدعوا إلـى الـسلم وانتم الأعلون والله معكم " [٤] ورأى العلماء أن عقد المعاهدات مع أهل الحرب تجوز كذلك إذا توخى الإمام فيها مصلحة للمسلمين ، كأن يكون فيها تأليفا لهم للدخول في الإسلام وكف عنادهم ومناوءتهم ، وهو ما نلمحه في رسالة أبي يوسف للرشيد ، حيث قال : " وإن كنت إنمـا أردت تأليفهم لذلك حتى يدخلوا في الإسلام ، وفي الذمة ، فلا بأس أن تواعدهم حتى تستصلح أمـرهم [٥] ، وأكد ذلك الشافعي مستشهدا بالفسحة التي أعطاها الله للمشركين بعـد عودة النبي صلى الله عليه وسلم ظافرا من تبوك [٦] ، وفي قوله تعالى : " براءة من الله ورسـوله للـذين عاهـدتم من المشركين فسيحوا في الأرض أربعة أشهر " [٧] ، وبما فعله رسـول الله صـلى الله عليـه وسلم مع صفوان بن أمية [٨] لما خرج هاربا بعد فتح مكـة ، فأنعم الله عليه بالإسـلام قبـل أن تنقض مدة الأربعة أشهر[٩] ، فأجـاز الشافعـي الهدنـة هنـا لائـتلاف المـشركيـن إلى الإسلام .

---

(١) ضميرية : المعاهدات الدولية " ص ٣٧ .

(٢) أبو عبيد : الأموال ، ص ١٧٣ ، ابن زنجويه : كتاب الأموال، جـ ١ ، ص ٤٠١ .

(٣) آل عمران ، الآية : ١٣٩ .

(٤) محمد ، الآية : ٣٥ .

(٥) أبو يوسف : كتاب الخراج ، ص ص ٢٢٤ ، ٢٢٥ .

(٦) الشافعي : الأم ، جـ ٤ ، ص ١١١ .

(٧) سورة التوبة : الآيتان ١ – ٢ .

(٨) صفوان بن أمية بن وهب بن حذافة بن جمَح بن عمرو القرشي الجمحي المكي له صحبه ، أسلم بعد الفتح ، وروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم بعض الأحاديث ، كان على كردوس في معركة اليرموك ، توفي بمكة سنة (٤٢ هـ / ٦٦٢ م) ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، جـ ٢٤ ، ص ص ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٥ .

(٩) الشافعي : الأم ، جـ ٤ ، ص ١١٢ .

وفي الوقت الذي حث فيه العلماء الخلفاء على الوفاء بالمعاهدات الموقعة مـع المـشركين - فكتب مالك إلى الرشيد قائلا : " أوف بالعهد إذا أعطيته من نفسك إلى كل أحد " [١] ، وأكد ذلك كل من الأوزاعي [٢] ، والثوري [٣] ، ومحمد بن الحسن [٤] ، والشافعي [٥] ، وأحمد بن حنبل [٦] - رأوا قتال أهل العهد إذا نكثوا الهدنة والعهد واستشهدوا على ذلك بما فعله رسول الله صـلى الله عله وسلم في بني قريظة عندما عاد من غزوة الأحزاب وقد نكثوا العهد بتحالفهم مع أعدائه [٧]، قال تعالى ، : " وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِـي قُلُـوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا" [٨] ومع ذلك فقد نهى العلماء أن يؤخذ أسرى أهل الحرب ورهائنهم لدى المسلمين بنكث من ورائهم من المشركين للعهد والهدنة مع المسلمين ، حتى وإن قتل أهل دار الحرب من لديهم من الأسرى والرهائن .

فقال الأوزاعي : " لا تقتل رهائن العدو بغدرهم " [٩] ، وأكدوا كذلك على ضرورة التزام الدولة بحسن الجوار مع غيرهم ، ومع أعدائها في أوقات السلم ومن ذلك ما كتبه مالك للرشيد ، يقول : " وارع حق جارك ببذل المعروف وكف الأذى عنه ، وأكرم مـن وآدك وكافئـة بمودتـه "[١٠]

---

(١) مالك بن أنس : رسالة الإمام مالك إلى الرشيد ، ص ١٧ .

(٢) أبو عبيد : كتاب الأموال ، ص ١٧٩ ، ١٨٥ ، أنظر كذلك عبد العزيز سيد الأهل : الإمام الأوزاعي فقيه أهل الشام ص ١٤٧ .

(٣) الشافعي : الأم ، جـ ٤ ، ص ١٦٤ .

(٤) ضميرية : المعاهدات الدولية في فقه محمد بن الحسن الشيباني ، ص ٤١ .

(٥) الأم : جـ ٤ ، ص ص ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٦٤ .

(٦) أبو يعلى : الأحكام السلطانية ص ٤٨ .

(٧) الإمام مالك بن أنس : رسالة الإمام مالك إلى الرشيد ص ١٧ ، أبو عبيد : الأموال ص ١٧٩ ، ابن زنجويه : كتاب الأموال ، جـ١، ص ص ٤٠٧ ، ١٦١ ، الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ١٦١ ، أبو يعلى : الأحكام السلطانية ، ص ٤٨ .

(٨) الأحزاب ، آية : ٢٦ .

(٩) أبو عبيد : الأموال ص ١٧٤ .

(١٠) مالك بن أنس : رسالة الإمام للرشيد ص ٦ ، ٧ .

فأجازوا تبادل الهدايا بينهم وبين أهل الحرب أوقات الهدنة [١] ، أما إذا عادت الحرب فلا تقبل ، لأن الثابت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقبل هدية مشرك محارب . [٢]

٢ - علاقة الدولة العباسية بالإمبراطورية الرومانية المقدسة :

أما فيما يخص علاقة الدولة العباسية بالدولة الكارولنجية ، وما ذكـرعن وجـود علاقـات دبلوماسية بين الرشيد وشارلمان ، قامت أساسا على اتفاق المصالح وفق مبدأ أعـداء الأعـداء أصدقاء ، وأن الجانبين قد تبادلا السفارات والهدايا [٣] بل ذهب بعض المؤرخين الغربيين إلـى تأكيد وجود اتفاق تم بين هارون الرشيد وشارلمان ، عيَّن بموجبه شارلمان أميـر فـتح علـى الأندلـس وواليـا على القـدس ضمن الخـلافة العباسية [٤] ، وقد فندت هذه المزاعم عددٌ من

الدراسات المتخصصة [٥] لهذا فلسنا بحاجة إلى تكرار ما قامت به وانتهت إليه ، لكن ما نود أن نقوله ، هو أن الباحث يجد نفسه إزاء ما قيل عن هذه العلاقات الدبلوماسية ، وما جرى فيها من اتفاقات ، أمام سلسلة من القرائن التاريخية التي تنفي أصلا أن يكون ثمة تنسيق قد تم بـين هارون الرشيد وبين شارلمان ، استهدف المسلمين في الأندلس ، من ذلـك سـكوت المـصادر

(١) مالك بن أنس : رسالة الإمام مالك للرشيد ص ٧ ، أبو عبيد : كتاب الأموال ص ٢٦٢ .

(٢) أبو عبيد : كتاب الأموال ، ص ٢٦٣ .

(٣) العش : تاريخ عصر الخلافة العباسية ص ص ٨٢ ، ٨٣ ، مجيد خدوري : العلاقات الدبلوماطيقة بين هارون الرشيد وشارلمان ص ص ، ٢٦ ، ٢٧ ، مطبعة التفيض الأهلية ،بغداد ، (١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م) ، ص ص ٢٦ ، ٢٧ ، الاحمدي : معالجة العلاقات الخارجية الإسلامية بالوسائل السلمية ، رسالة دكتوراه كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر ، ١٣٩٦ هـ/ ١٩٧٦ م ، ص ص ٧٢٦ ، ٧٢٨.

(٤) رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ٥١ ، مجيد خدوري : العلاقات الدبلوماطيقة بين هارون الرشيد وشارلمان ن ص ٢٦ – ٧٢ .

(٥) مجيد خدوري : العلاقات الدبلوما طيقية بين هارون الرشيد وشارلمان ، الأحمدي : معالجة العلاقات الخارجية الإسلامية بالطرق السلمية حتى نهاية العصر العباسي الثاني ، سليمان بن صفيدع الزحيلي : العلاقات السياسية بين الدولة العباسية ودولة الفرنجة في عهد الخليفة هارون الرشيد والإمبراطور شارلمان ،دار الهدى ، الرياض ، د.ت .

الإسلامية عن هذه العلاقات سكوتا تاما ، وهي التي عرفت بإيراد أدق التفاصيل عن حياة الرشيد وغيره من الخلفاء العباسيين ، وتقوم برصد كل ما يدور في أروقة الخلافة العباسية فكيف تتجاهل حدث بمثل هذه الضخامة ، واتفاق بمثل هذه الخطورة ؟! وهم الذين ذكروا فيما بعد ، وأفاضوا ، في ذكر ما فعله ملوك الطوائف ضد إخوانهم المسلمين في الأندلس ،من الاستعانة على إخوانهم بالأسبان ، فلماذا لم يذكروا شيئا عن الاتصال بين الرشيد وشارلمان ، إن كان قد حدث ؟ [1] وبالتالي لا يجد الباحث إزاء هذا السؤال غير إجابة واحدة، هو أن ذلك لم يحدث ، وإنما كان من اختراع عقول المؤرخين الغربيين ، ونسج خيالهم ، وربما لأن المسلمين كانوا منقسمين بين العباسيين في الشرق والأمويين في الأندلس ، والمسيحيين منقسمين بين البيزنطيين في الشرق الأوروبي والكارولنجيين في الغرب الأوروبي ،فأغرى ذلك بعض المؤرخين الغربيين ، لتصور وجود علاقة بين أعداء الأعداء ليكونوا أصدقاء ، وهي علاقة منطقية ، لكن ليس بالضرورة أن تكون واقعية،أي أن تكون قد حدثت بالفعل،لتدخل متغيرات كثيرة في توجيه السياسة الخارجية للدولة العباسية،لعل أهمها الخلفيات التصورية التي كان ينطلق منها الخلفاء العباسيون وكذا الأمراء الأمويون في الأندلس،وتحكمها ، فهم ينطلقون من قيم الإسلام التي كان العلماء يمثلون الضابط لها ، والمحاسبون عليها ثم إذا كانت هذه المصادر الغربية التي تحدثت عن وجود علاقات دبلوماسية واتفاقات بين العباسين والكارولنجيين قد بررت ذلك بتوافق الأهداف والتقاء المصالح بين الطرفين،في بسط السيطرة على الأندلس ، فإن من المعلوم أن العباسيين كانوا ينظرون إلى الأندلس على أنها بلاد إسلامية ينبغي إعادتها إلى حظيرة الخلافة العباسية وينظرون إلى أهلها بوصفهم مسلمين يدينون للخلافة العباسية ،على الأقل من الناحية

---

(١) يؤكد أحد الباحثين المحدثين وجود هذه العلاقة ، ويستدل عليها ، بما أورده المؤرخون بعد ذلك من استقدام أحد أمراء الأندلس لشارلمان لمناصرته ضد بعض الأمراء المسلمين ، ولا أدري كيف اتخذ من دليل كهذا ينقض الفكرة التي سيق لتأكيدها ، فإذا كان قد حدث اتفاق بين الرشيد وشارلمان لذكره المؤرخون المسلمون كما ذكروا غيره فيما بعد ، انظر، نايف عيد جابر : السياسة الخارجية للدولة العباسية " العصر العباسي الأول "(رسالة ماجستير) ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة، ٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ .

الأدبية – إذ لم يعلن الأمويون الخلافة في الأندلس مع وجود الخلافة العباسية ،على الأقل في عهد الرشيد ، ولم يحدث ذلك إلا في مرحلة متأخرة ، ولأسباب أخرى وإلى الأمويين بوصفهم خارجين على الخلافة ، فكيف يتصور عاقل أن يتحالف العباسيون مع الفرنجة ضد رعاياهم من مسلمي الأندلس ،في الوقت الذي كان فيه الفرنجة يريدون استئصالهم واجتثاثهم من الأندلس ، وكيف توفق هذه المصادر بين رغبة العباسيين في استعادة الأندلس ، وبين أطماع الفرنجة في السيطرة عليها ، ثم إن العباسيين لم يكونوا بحاجة على دعم الفرنجة ضد البيزنطين أو على الأقل لم تكن الحاجة إلى ذلك ملحة ، في عهد الرشيد ، فشواهد التاريخ تشير إلى أن كفتهم راجحة في ذلك الصراع ثم أين العلماء المسلمون الذين عاصروا الرشيد من كل هذا ؟

وفيهم أئمة المذاهب الأربعة ، وهم الذين كانوا يزنون عليه أقل هفواته ، فهل كان بوسعهم أن يسكتوا على تآمره ضد مسلمي الأندلس إن كان قد حدث أم هل كان بوسعهم أن يسكتوا عن إعطائه مفاتيح القدس لشارلمان وتسليطه على رقاب المسلمين فيهاإن كان قد فعل ؟ .

وهو إن حدث فلن يكون بالشيء الخفي عن أحد وإذا كانت قد حدثت مثل هذه المراسلات والسفارات والانتقالات لما سكت عنها العلماء الذين لا يخافون في الله لومة لائم ، ولسمعنا في المصادر الإسلامية عن صور الاحتجاج ، وعن أدوارهم في كف الرشيد وفي إثارة الناس عليهم ، ثم أليس من الغريب أن تسكت المصادر الأندلسية عن مثل هذه العلاقة المشبوهة بين الرشيد والفرنجة أعداء المسلمين ؟ ثم ألم يكن ذلك موضوعا خصبا – إن حدث – للتشهير بالعباسيين والتشنيع عليهم بين رعاياهم المسلمين من قبل خصومهم الأمويين في الأندلس ، ومن قبل خصومهم السياسيين العلويين ؟! .

٣- العلاقات مع دار العهد :

المقصود بدار العهد الأرض التي صالح أهلها عليها المسلمين على خراج معلوم يؤدونه في وقت معلوم ، وعلى شروط محدودة ، فرجع عنها المسلمون وتركت في أيدي أهلها .

وقد كان للعلماء في العصر العباسي الأول دور في تحديد مدلول أرض العهد (الصلح) وطرائق التعامل معها ، مشددين على ضرورة التزام الدولة بالمعاهدات التي تربطها مع أهل دار العهد .

ميز العلماء دار العهد عن دار الإسلام ودار الكفر ، وفرقوا بين أهل دار العهد وبين أهل دار الذمة وأهل دار الحرب ، ويتضح ذلك مما وصف به يحيى بن حمزة [١] أهل قبرص حيث قال : ليسوا بذمة ، ولكنهم أهل فدية ، يكف عنهم ما كفوا ، ويوف إليهم بعهدهم ما وفوا ، ويقبل منهم عهدهم ما أدوا " [٢] ، وأكد هذا الفصل بين أهل العهد وأهل الذمة الأوزاعي ، عندما قال : " إن كان – يعني من نكث العهد – من أهل الذمة فقد نقض عهده وخرج من ذمة المسلمين ، وإن كان مصالحا نبذ إليهم على سواء "[٣] فهو يفرق بين أهل الذمة وبين أهل الصلح ، وسنقتصر في هذا السياق على قبرص بوصفها نموذجا واضحا لدار العهد ، لنتبين من خلالها دور العلماء في تحديد علاقة الدولة بدار العهد (أرض الصلح) .

تعد قبرص أكبر جزيرة في شرق البحر المتوسط (بحر الروم) ، غزاها معاوية بن أبي سفيان في خلافة عثمان بن عفان ، فصالحه أهلها وعاهدوه على خراج يؤدونه[٤] ، وعلى شروط أخرى

---

(١) يحيى بن حمزة الحميدي السكسكي الدمشقي ، يكنى بأبي عبد الرحمن ، أحد علماء الحديث ، فقد رواه عن كبار العلماء أمثال الأوزاعي وسعيد بن عبد العزيز ، وغيرهما ، أثنى عليه كبار العلماء أمثال أحمد بن حنبل ، استعمله المنصور لما قدم دمشق ، توفي سنة (١٨٣ هـ / ٧٩٩م) ، الرازي : الجرح والتعديل ، جـ ٩ ، ص ١٣٦ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٨ ، ص ٣٥٥ .

(٢) ابن زنجويه : كتاب الأموال ، جـ١ ، ص ص ٤٢٥ ، ٤٢٦ .

(٣) ابن زنجويه : كتاب الأموال ، جـ ١ ، ص ص ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٢١٣ .

(٤) البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٠٨ .

منها عدم ممالاة الروم على المسلمين[1] ، فلم يزالوا على ذلك في عصر الدولة العباسية ،إلـى أن حدث منهم ما نهوا عنه من ممالاة الروم وغش المسلمين ، فأراد عبـد الله بـن صـالح [2] والـي الجزيرة والمسؤول عنهم نكث عهدهم ، فرجع إلى العلماء للاستئناس بآرائهم وليأخذ باجتهاداتهم في التعامل مع أهل العهد ، وقد أجابه العلماء المعاصرون حينذاك بإجابات متباينة ، كل حسب ما قاده إليه اجتهاده ، فقال الأوزاعي: " إن كان – يعني مَن نكث عهد المسلمين وتجسس لـصالح أعـداء المسلمين- من أهل الذمة فقد نقض عهد الله وخرج عن ذمته ، فإن شاء الوالي قتله وصـلبه، وإن كان مصالحا يدخل في ذمة المسلـمين ، نبذ إليهم على سواء قال تعالى :" وإما تخافن مـن قـوم خيانة فانبذ اليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين "[3] ، وكتب إليه مالك بن أنـس : " إن أمـان أهل قبرص كان قديما متظاهرا من الولاة ، فهم يرون أن أمانهم وإقرارهم على حالهم ذل وصغار لهم وقوة للمسلمين عليهم ، فيما يأخذون من جزيتهم ، ويصيبون بهم من الفرصة على عدوهم فلـم أجد أحدا من الولاة نقض عهدهم ، ولا أخرجهم من مكانهم ، وأنا أرى أن لا تجعل نقض عهـدهم ومنابذاتهم حتى تعذر إليهم ، وتوجه الحجة عليهم ، فإن الله سبحانه وتعالى يقول : " فـأتموا إلـيهم عهدهم إلى مدتهم" [4] فإن لم يستقيموا بعد ذلك ويتركوا غشهم ، ورأيت أن الغدر يأتي من قـبلهم ، أوقعت بهم عند ذلك فكان بعد الاعتذار ، فكان أقوى لك عليهم ، وأقرب من النصر لك والخزي لهم

---

(١) صولح أهل قبرص على أربع عشرة ألف دينار نصفها للمسلمين ونصفها للروم ، ابن زنجويه : كتاب الأموال جـ ١ ، ص ص ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ،البلاذري فتوح البلدان ، ص ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ .

(٢) عبد الله بن صالح بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم ، يكنى بأبي عبد الرحمن أحد أمراء بني العباس ، ولي كثير من أعمال الدولة لعدد من الخلفاء ، فولي المدينة ، ثم الصوائف للرشيد ، ثم أوجس منه خيفة على الخلافـة ، فعـزله وحبسـه ، إلا أن الأمين أطلقـه بعد أن ولي الخلافـة واستعمـله على الشام والجزيرة ، سنة (١٩٤ هـ / ٨٠١ م) ، توفي بالرقة سنة (١٩٦ هـ / ٨١٢ م) ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، جـ ٣٧ ، ص ص ٢١ ، ٣٤ .

(٣) الأنفال ، آية : ٥٨ ، ابن زنجويه : كتاب الأمـوال ، جـ ١ ، ص ٤٢٤ ، البـلاذري : فتوح البلدان ، ص ٢١٣ .

(٤) التوبة ، الآية : ٤ .

إن شاء الله ". [1]

وكتب إليه الليث بن سعد : " إن أهل قبرص لم نزل نتهمهم بالغش لأهل الإسـلام والمناصـحة للروم ، وقد قال الله تعالى : " وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء " [2] ، ولـم يقـل لا تنبذ إليهم حتى تستيقن خيانتهم ، وإني أرى أن تنبذ إليهم ثم ينظرون سنة يأتمرون ، فمـن أحـب اللحاق منهم ببلاد المسلمين على أن يكون ذمة ، يؤدي الخراج فعل ، ومن أرد أن يتنحى إلى الروم فعل ، ومن أراد أن يقيم بقبرص على الحرب أقام ، فقاتلهم المسلمون كما يقاتلون عدوهم ، فإن في انتظار سنة قطعا لحججهم ، ووفاء بعهدهم[3] .

وقريبا منه كان رأي سفيان بن عيينة ، حيث قال " إنا لا نعلم النبي صلى الله عليه وسلم عاهـد قوما فنقضوا العهد إلا استحل قتلهم غير أهل مكة ، فإنه مَنَّ عليهم ، وإنما كـان نقـضهم الـذي استحلَّ به غزوهم ، ونزلت في الذين نقضوا : " إلا تقاتلون قوما نكثـوا أيمـانهم " .. إلـى قولـه تعالى.. ويشف صدور قوم مؤمنين[4] وكان فيما أخذ على أهل نجران أن لا يأكلوا الربا فحكم عمر حين أكلوه بجلائهم ، فالذي انتهى الينا من العلم أن من نقض شيئا مما هو عليه ، ثم أجمـع القـوم على نقضه فلا ذمة لهم ،[5] ورأى موسى بن أعين [6] التثبُت قبل نقض عهدهم وغزوهم لانه ربما كان النكث من خاصتهم دون عامتهم ،وأن مثل هذا قد حدث من قبل فلم ينقض عهدهم فقال : " قـد كان يحدث مثل هذا فيما خلا ،فيعمل الولاة فيه النظرة ، ولم أر أحدا ممـن مـضى نقـض أهـل

---

(١) ابن زنجويه : كتاب الأموال ، جـ ١ ، ص ص ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٢١٢ .

(٢) الأنفال ، الآية : ٥٨ .

(٣) ابن زنجويه : كتاب الأموال ، جـ١ ، ص ٤٢٢ ، البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٢١١ .

(٤) التوبة ، الأيتان : ١٣ ، ١٤ .

(٥) ابن زنجويه : كتاب الأموال ، جـ ١ ، ص ٤٢٣ ، البلاذري : فتوح البلدان ، ص ص ٢١٢ ، ٢١٣ .

(٦) موسى بن أعين الجـزري الحراني ، يكن بأبي سعيـد ، من الموالي ، أحد تابعي التابعيـن ، ومن علماء الحديث ، إذ وثقة عـدد من معاصروه ، توفي سنـة (١٧٧هـ / ٧٩٣ م) ، الذهبي : تاريـخ الإسلام :جـ ١١، ص ص ٣٧٨ ، ٣٧٩ .

قبرص ولا غيرها ،ولعل عامتهم وجماعتهم لم يمالئوا على ما كان من خاصتهم"[1] ، وأيـد هـذا الاتجاه في التعامل مع أهل قبرص إزاء نكثهم عهدهم ، إسماعيل بن عياش [2] حيث قـال : " إن أهل قبرص أذلاء مقهورون تغلبهم الروم على أنفسهم ونسائهم ، فقد حق علينا أن نحميهم ونمنعهم ، وقد كتب حبيب بن مسلمة [3] في عهده لأهل أرمينيا أنه إن عرض للمسلمين شـغل عـنهم وقـد قهرهم عدوهم ، فإنهم غير مأخوذين ولا ناقض ذلك عهدهم ، وبعد أن يفوا للمسلمين ، وأنا أريد أن يقروا على عهدهم وذمتهم ، فإن الوليد بن يزيد كان أجلاهم إلى الشام فاستفظع ذلك ، واسـتعظمه فقهاء المسلمين ، فلما تولى يزيد بن الوليد ردهم إلى قبرص ، فاستحـسن المـسـلمون ذلـك ، ورأوه عـدلا [4] ، ورد بنحو من ذلك يحيى بن حمزة وأبو إسحاق الفـزاري [5] ، و مخلد بن

---

(١) ابـن زنجـويـه : كتـاب الأمـوال ، جـ ١ ، ص ٤٢٤ ، البـلاذري : فتـوح الـبلـدان ، ص ٢١٣ .

(٢) إسمـاعيـل بن عيـاش بن سليـم العنيسي الحمصي ، يكنـى بأبـي عتبـة ، أحـد كبـار تـابعي التابعين في الشـام ، أسنـد عن عـدد من التابعيـن ، وروى عنـه كبـار العلمـاء أمثـال الثوري والليث بن سعـد ، وسواهمـا ، كـان كثير الحـج ، بعثـه المنصـور إلى الشـام فعـدّل أرضهـا الخراجيـة ، ثم ولاه خـزانة الكسـوة ببغداد ، توفي سنة (١٨١هـ / ٧٩٦ م) ابـن عسـاكر: تاريـخ مدينة دمشـق ، جـ ٩ ، ص ص ٣٥ ، ٣٦ ، ٤٠ .

(٣) حبيب بن مسلمة : بن مالك الأكبر بن وهب بن ثعلبة بن وائل بن عمرو بن شيبان الفهري ، يكنى بأبي عبد الرحمن ، له صحبه ، خرج إلى الشام مجاهدا في خلافـة أبي بكر الصديـق ، وكان في اليرموك على بعـض كراديـس المسلميـن ، ثم استقر بدمشق ، وشهد صفين مع معاوية ، فكان على ميسرته ، كان كثير الغزو لبلاد الروم حتى سمي حبيب الروم ، توفي سنة(٤٢ هـ / ٦٦٢ م) ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، جـ ١٢ ، ص ص ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٧ .

(٤) ابـن زنجويـه : كتـاب الأمـوال ، جـ ١ ، ص ٤٢٤ ، البـلاذري : فتـوح البلـدان ، ص ص ٢١٣ ، ٢١٤ .

(٥) ابو إسحـاق الفـزاري ، اسمـه إبراهيـم بن محمـد بن الحـارث بن أسمـاء بن خارجـة ، الفـزاري الشامي ، أحـد كبـار علماء الشـام ، كـان يقـدم على الخلفـاء ، إذا طلبـوه وكان الرشيد يجله ويأخذ برأيه ، غلب عليـه الحديث فكان أحد أئمة للحديث ، ومع ذلك كان يرابط في الثغور ، ويواجه أهل البدع ، حتى إنه كان يمنعهم من الرباط في الثغور ، توفى سنة (١٨٦ هـ / ٨٠٢ م) ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٨ ، ص ص ٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٥٤١ .

الحسين [1] ، فرأوا أنهم أهل عهد يكف عنهم ما كفوا عن المسلمين ويوف إليهم ما وفوا للمسلمين، وأنه لا يستقيم نقض عهدهم إلا بأمر يعرف به غدرهم ونكثهم عهدهم .[2]

وهكذا اتسم موقف العلماء إزاء نكث أهل دار العهد (أهل قبرص) للعهد مع المسلمين ، بالوحـدة والتنوع ، الوحدة في التعامل مع غيرهم وفق شرائع ومبادئ الإسلام ، التي ، كمـا تطالـب غيـر المسلمين ، ممن تربطهم بالمسلمين مواثيق ومعاهدات ، الإيفاء ، بها ، تلـزم المـسلمين كـذلك ، وبدرجة أكبر ، بالوفاء التام بكل تعهداتهم والتزاماتهم تجاه غيرهم ، وتعده أساسا لمطالبتهم غيرهم بالوفاء لهم ، فضلا عن مطالبة العلماء الدولة ، بالتثبت بالبينة التي لا تقبل المفاصلة على نكث أهل العهد لعهدهم ، إذا ما أرادوا منابذتهم ومناجزتهم ، والتنوع في نظرة كل منهم واجتهاداته لمعالجـة هذا الأمر ، نظرته إلى حيثيات نكث أهل قبرص العهد مع المسلمين ، هل لأنهـم أساسـا يميلـون بأهوائهم إلى الروم ؟ ويمالئونهم على المسلمين ، ويضمرون للمسلمين الغدر متـى لاحـت لهـم الفرصة ؟ كما ذهب فريق من العلماء ، أم لأنهم أجبروا على ذلك من غيرهم لتغلب الروم عليهم ، وعدم قيام المسلمين بالدفاع عنهم ، كما ذهب الفريق الآخر والتنوع من حيث مدى ودرجة حساسية كل من هؤلاء العلماء ، واستشعاره للخطر الذي قد يحيق بالأمة من أعدائها المتربصين ، وتفـسير كل منهم لمدلول ومدى وجدوى التسامح ، الذي يجب أن تتبعه الدولة مع غيرها ، فيما قد يحققه من مصالح ومنافع ، أو ما يمكن أن يجره عليهم من مخاطر ، وما يترتب عليه من أضرار ، وهل درء المخاطر أولى من جلب المنافع ؟.

فقد اتسم موقف كبار العلماء بما فيهم الأوزاعي ومالك بن أنس والليث بن سعد وسفيان بن عيينه بالحزم إزاء نكث أهل قبرص للعهد ، من خلال تجسسهم على المسلمين لصالح أعـدائهم الروم ، وممالاتهم على المسلمين فرأوا أنهم بذلك قد نقضوا العهـد واسـتحلت بـذلك بلادهـم

(١) مخلد بن الحسين ، أحد علماء المغرب المشهود لهم بالفضل ، غلب عليه الحديث ، كان يأتي الخلفاء ويعظهم ويأنسون به ، فقدم على الرشيد ووعظه ، أبو نعيم عليه الأولياء ، جـ ٨ ، ص ص ٢٩٣ ، ٢٩٤ .

(٢) ابن زنجـويه : كتـاب الأمـوال ، جـ ١، ص ص ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، البـلاذري : فتـوح البلدان ، ص ص ٢١٤ ، ٢١٥ .

وأموالهم ودماؤهم ، لكنهم مع ذلك أوجبوا إثبات نقضهم لعهدهم بالبينة الواضحة التي ليس فيهـا لبس .

في حين اتسم موقف بقية العلماء أمثال موسى بن أعين ، وإسماعيل بن عياش ويحيى بـن حمزة وأبي إسحاق الفزاري ومخلد بن الحسين ، باللين ، والتماس العذر لأهل قبرص ، لعلهـم أكرهوا على ذلك ، أو لعل ذلك لم يكن موقف عامتهم ، فتؤخذ العامة بذنب الخاصة ، ومع ذلك فإنهم رأوا أنه إذا وفَّى المسلمون بكل واجباتهم تجاه أهل قبرص ، ولم يقهروا مـن عـدوهم ، وثبتت خيانتهم ونكثهم ، إن ذلك يوجب نقض عهدهم ، وإن رأوا هم أن العفو والتسامح أولى.

خامسا : موقف العلماء من استعمال أهل الذمة :

١- وضع أهل الذمة في العصر العباسي الأول:

لعل من أهم مظاهر التسامح الديني عبر تاريخ البشرية ، ما شهدته العصور الإسلامية من تسامح الدول الإسلامية المتعاقبة في تعاملها مع أهل الذمة من النصارى واليهود ، ومن ذلك العصر العباسي الأول ، وهي ظاهرة لا يستطيع أحد إنكارها مهما بلغ به العداء للإسلام وأهله ، فقد سمح العباسيون لرعاياهم من المسيحيين ببناء عدد من الكنائس الجديدة مثل كنيسة أبي سرجة في الحصن الروماني بمصر ، وفي عهد المهدي بنيت ببغداد كنيسة للمسيحيين الذين أسروا خلال الحملات العسكرية ، وسمح الرشيد ببناء كنيسة أخرى في البصرة [١] .

وهو تسامح لم تنله أي أقلية دينية عبرالتاريخ شهد بذلك المؤرخون[٢] إلى جانب القرائن التاريخية ، فبقاء أهل الذمة حتى الآن بدينهم ، ومنشأتهم الدينية في الدول الإسلامية [٣] لأوكد دليل على ذلك ، فقد شهد العصر العباسي الأول تسامحا كبيرا مع أهل الذمة وصل معه بعضهم إلى بلاط الخلفاء ،واصبحوا من خواصهم حتى مثلوا خطرا أمنيا على الدولة ومستودع أسرارها من خلال وجودهم إلى جانب الخلفاء والوزراء لعملهم في تطبيبهم وفي بعض

---

(١) توماس أرنولد : الدعوة إلى الإسلام ، ص ص ٨٥ ، ٨٦ .

(٢) يقول توماس أرنولد : كان المسيحيون يعيشون في المجتمعات الإسلامية آمنين على حياتهم وممتلكاتهم ناعمين بقدر كبير من التسامح ، منحهم حرية التفكير الديني ، وتمتعوا بحالة من الرفاهية والرخاء ، كما يقول كانتور : لم يحاول المسلمون إجبار رعاياهم على اعتناق الإسلام ويؤكد ذلك رنسيمان ، حيث يقول : إن المسيحيين لم يكونوا أشقياء في ظل الحكم العباسي ، كانتور : التاريخ الوسيط ، ترجمة وتعليق قاسم عبده قاسم ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة ، ط٦ ، د. ت ، جـ ١ ص ١٩٧ ، توما س ارنولد : الدعوة الإسلام ، ٨١ ، ستيفان رنسيمان : تاريخ الحرب الصليبية ، جـ ١ ، ص ٤٩ ، جرجي زيدان : تاريخ التمدن الإسلامي ، ترجمة حسين مؤنس ، دار الهلال ، القاهرة ، د. ت ، جـ ٤ ، ص ص ١٣٧ ، ١٣٨ .

3- Ahsun Muhamed Manazir, Social Life under The Abbasids ; Longman Group, LTd London and New yourk , PP . 25

الأعمال الأخرى .

٢- عمل أهل الذمة في تطبيب الخلفاء :

اشتمل البلاط العباسي ، ابتداء من عهد المنصور حتى خلافة المتوكل ، على عدد كبيـرمن أهل الذمة ، لتطبيب الخلفاء والأمراء العباسيين ، وقد حازوا لذلك مكانة مرموقة لدى الخلفاء(١)، وأتاح لهم ذلك من ناحية أخرى ، الإطلاع على ما يدور في البلاط والأروقة العباسية .

استعمل المنصور عددا من أهـل الذمـة كأطبـاء خـصوصيين لـه أمثـال(جورجيـوس ابن جبريل)(٢)الذي اهتم به المنصور ومكن له،فأمر أن يجاب إلى كل ما يسأل(٣)، وبلغ من شده تعلقه به وحبه له ، أنه رغب في أن يسلم، فيذكر أنه عرض عليه الإسلام عند احتضاره قائلا: " يا جورجيوس اتق الله وأسلم وأنا أضمن لك الجنة "(٤) إلا أنه رفض،وقد حزن عليه المنـصور بعد أن توفي(٥)،رشح جورجيوس أحد تلاميذه ويدعى عيسى بن شهلا(٦) لتطبيب المنصور قائلا

---

(١) يؤكد ذلك جورجي زيدان ، حيث يقول : كان الأمراء يستخدمونهم (يعني أهل الذمة) كأطباء ومترجمين وكتاب ، وكان الخلفاء في صدر الدولة العباسية يكرمون الأساقفة ويجالسونهم ، تاريخ التمدن الإسلامي ، جـ ٤ ، ص ١٣٨ .

(٢) جورجيوس بن جبرائيل : هو طبيب سريان مسيحي ذو خبرة بصناعة الطب وتركيب الدواء ، خدم المنصور ، فكان يطببه ، وحظى لذلك بمكانة لديه ، ونال منه أموالا جزيلة ، كما استخدمه المنصور في ترجمة بعض كتب اليونان إلى العربية ، وابتداء في خدمة المنصور منذ سنة(١٤٨ هـ / ٧٦٥ م) ، واستمر حتى سنة(١٥٢ هـ/٧٦٩ م)، حيث مرض جورجيوس فعاده المنصور وحزن عليه وعرض عليه الدخول في الإسلام ، إلا أنه توفي على نصرانيته سنة(١٥٢ هـ / ٧٦٩ م) ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، دار الثقافة ، بيروت ، ط ٤ ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م جـ ٢ ، ص ص ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٠ .

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، جـ ٢ ص ٣٨ ، اليوزبكي : توفيق سلطان تاريخ أهـل الذمة في العراق (١٧ / ٢١٨ هـ - ٦٣٨ / ٨٣٣ م) (رسالة ماجستير) ، كلية الآداب جامعة عين شمس ، ١٣٩٢ هـ/ ١٩٧٢ م ، ص ٣٨٤ .

(٤) ابن أبي إصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، جـ ٢ ص ٤٠ .

(٥) المصدر نفسه .

(٦) عيسى بن شهلا (لم أعثرله على ترجمة) .

: " إني أخلّف بين يدك عيسى ، وهو تربيتي "[١] ، وأصبح عيسى بن شهلا في خدمة المنصور ، فقربه وأكرمه ، ومكّن له ، إلا أنه استغل ذلك في ابتزاز بعـ ـض المطارنة [٢] والأسـاقفة [٣] أموالهم ، وهو ما نلمحه فيما كتبه إلى مطران نصيبين [٤] ، ما يدل على خطورتـه علـى الخلافة في رمزها ، حيث قال : " ألم تر أن أمرالملك بيدي إن شئت أمرضته وإن شئت عافيته "[٥] ، وبغض النظر عن مدى جديته، إلا أننا نلمح منه إضـمار الخيانـة للمـسلمين ، وعـدم الإخلاص لهم رغم ما أحاطوه من عناية ، وما حظي به من مكانة لديهم ، ومهما يكن من أمر ، فإن المنصور عرف من عيونه فحوى تلك الرسالة ، فأمر بنفيه بعد أن جـرَّده مـن كـل مـا أعطاه[٦] ، واتخذ المهدي بختيشوع [٧] لتطبيبه ، فظل في خدمته وفي خدمة ولديـه الهـادي والرشيد ، وقد حظي بمكانة مرموقة في بلاط الرشيد ، فعينه رئيسا للأطباء[٨] ، إلا أن ذلك لـم

---

(١) ابن أبي إصيبعة : عيون الأبناء في طبقات الأطباء جـ٢ ص ٤٠ .

(٢) المطارنة : جمع مطران ، والمطران رئيس الكهنة ، وهو فوق الأسقف ودون البطريك ، ويجمع أيظا : مطارين ، وهو لفظ أعجمي معرَّب ، البستاني : الوافي ، مكتبة لبنان ، بيروت ،١٤٠٠هـ / ١٩٨٠ م ، ص ٥٩٢ .

(٣) الأساقفة :جمع أسقف ، والأسقف رئيس النصارى في الدين ، فيقال أسقفه إذا جعله أسقفا وهو اسم سرياني قصد به علماء النصارى والمتقدمين لهم في الدين ، ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٣ ص ٢٠٤١ .

(٤) نصيبين : هي مدينة عامرة في بلاد الجزيرة (الفراتية) على طريق القوافل بين الموصل والشام فتحها عياض بن غنم سنة(١٧ هـ / ٦٣٨م) صلحا ، ونصيبين كذلك قرية من قرى حلب وهناك نصيبين ثالثة على شاطئ الفرات ، ياقوت: معجم البلدان ، جـ ٥ ، ص ص ٣٣٣ ، ٣٣٤ .

(٥) ابن أبي إصيبعة : عيون الأبناء في طبقات الأطباء ، جـ ٢ ص ٤٠ .

(٦) المصدر نفسه .

(٧) بختيشوع بن جورجيوس ، ومعنى بختيشوع ، عبد المسيح ، لأن البخت في اللغة السريانية بمعنى العبد ، ويشوع عيسى عليه السلام ، تعلم مهنة الطب على يد أبيه جورجيوس فبرع فيها ، واشتهر ، فاتخذه الرشيد ، والأمين والمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل طبيبا خاصا ،عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، جـ ٢ ص٤١ ، الفهرست ، ص ٣٥٨ .

(٨) اليوزبكي : تاريخ أهل الذمة في العراق ، ص ٣٨٥ ، ديورانت : قصة الحضارة ، ترجمة محمد بدران ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ط٢ ، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م جـ ١٣ ، ص ١٩٠ .

يثنه عن التـآمر على الخليفـة وكبار رجال دولته ، حقدا منه على الإسـلام وأهلـه ، فلـم يستطع إخفاء رغبـ ـته في النـ ـيل منهـ ـم ، وقـد ظهـر ذلك عندما أكَّد للرشيد وفاة أحـد أركان دولته إبراهيم بن صالح بن علي [1] ، فكاد الرشيد أن يدفنه لولا أن جعفر البرمكي أشار عليه باستشارة طبيب آخر ، فأتى بطبيب هندي فكشف خيانة بختيشوع ، عندما أعاد الكـشف على إبراهيم فوجده حيا ، فعاش إبراهيم بعد ذلك وتزوج وولي فلسطين[2] ، ثم خلفـه جبرائيـل بعد ذلك ، فعمل لدى الرشيد والمأمون ، ثم خلفه ابنه بختيشوع الثاني حتى نفاه المتوكل[3] ، وقد اكتسـ ـب بالـطـب ما لم يكتسبه غيره[4] وكان يوحنا بن ماسويه [5] طبيبـ ـا لكـل مـن المـ ـأمون والمعتصم والواثق والمتوكل، وله عدد من المصنفات ، واختص ميخائيل الطبيـب [6] بتطبيب الواثق. [7] .

---

(١) إبـراهيـم بـن صالـح بـن علـي بن عبـد الله بن عبـاس بـن عبد المطـلب الهـاشمي ، ولي دمشق للمهـدي ، ثم ولي لـه مصـر مرتـين ، وولي الجـزيرة لمـوسى الهـادي وظـل عليهـا حتى ولي الرشيد الخلافة فعزله ، ثم أعاده الرشيد سنة(١٧٢ هـ / ٧٨٨ م)على دمشق فظل واليا عليها حتى سنة (١٧٥ هـ / ٧٩١ م) ، ثم توفي بعدها بعام ، أي في سنة (١٧٦ هـ / ٧٩٢ م)، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، جـ ٦ ، ص ص ٤٤٥ ، ٤٤٧ .

(٢) ابن وادران : تاريخ العباسيين ، ص ص ٩١ ، ٩٢

(٣) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ١٢ ، ص ٣٨ .

(٤) الطبـري : تاريـخ الأمـم والملـوك ، جـ ٦ ص ٥٢٦، الـذهبـي: سـير أعلام النبـلاء،جـ ٩، ص ٦٤ .

(٥) يوحـنا بن ماسـويه ، خـدم الرشيـد والأميـن والمأمـون والمعتصـم والواثـق حتى عزلـه المتوكـل ، وهـو مسيـحي سـرياني قلـده الرشيـد ترجمـة الكتـب الطبيـة القديمـة ممـا وجـد في بـلاد الروم التي افتتحهـا المسلمـون ، وجعلـه أمينـا على الترجمـة وجعـل تحتـه كتـابـا يسـاعدونـه ، وكـان مـع ذلك طبيبـا بارعـا ، فتذكـر بعـض المصـادر أنـه كـان يشـرف على طعـام الخلفـاء وكـان لذلك معظما ببغداد ، ابن جلجل : طبقـات الأطبـاء والحكماء ، حققه فؤاد السيد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، ص ٦٥ .

(٦) ميخائيل الطبيب (لم أقف له على يرجمة) .

(٧) ابن دحية : النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس ، ص ٧٦ .

٣- استعمال أهل الذمة في خدمة الخلفاء وفي الوظائف المالية والإدارية :

كما استعمل أهل الذمة في عدد من المجالات ، مثل خدمة الخلفاء ، وفي الترجمة ، وفي بعـض الوظائف المالية فخدم الفضل بن مروان [١] في بلاط كل من المأمون والمعتـصم ، وكـان حظيـا لديهما [٢] ، وجعل الرشيد يوحنا بن ماسويه مشرفا عاما على ترجمـة الكتـب ، مـن اليونانيـة والسريانية[٣] واتخذ المأمون من سهل بن مروان [٤] ، واليا على بيت الحكمة[٥] ، وكان من جملة من يخدم المعتصم أخوان مسيحيان بلغا منزلة سامية لديه هما سلمويه وإبراهيم [٦].

وقد أدى إفراط بعض الخلفاء العباسيين في التسامح مع أهل الذمة إلـى التفـريط فـي حقـوق المسلمين ، من جهة ، لأنهم فضلوا أهل الذمة عليهم في الاستئثار بالوظـائف والأعمـال ، وإلـى التفريط ، من جهة أخرى ، في بعض أحكام الإسلام التي وضعت صيغة بقائهم فـي المجتمعـات الإسلامية ، تلك الصيغة التي حددها الله سبحانه وتعالى ،في قوله " حتى يعطوا الجزية عن يد وهم

---

(١) الفضل بن مروان بن ماسرجس ، يكني بأبي العباس ، استوزره المعتصم ، وهو نصراني من البردان بالشام إختان المال العام فنكبه المعتصم واستخرج منه عشرين مليون درهم ، توفي سنة (٢٥٠ هـ / ٨٦٤ م) ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ١٠ ص ٢٩٣ ، جـ ١٢ ص ٨٣ ، ٨٤ .

(٢) ابن النديم : الفهرست ، ص ١٦٠ .

(٣) خضر أحمد عطاء الله : بيت الحكمة في العصر العباسي ، ص ٦١ .

(٤) سهل بن مروان بن رامنوي الدستميساني ، انتقل إلى البصرة ، فارسي الأصل شعوبي المذهب ، له كتب في مثالب العرب ، ذا حكمة وفصاحة ، التحق بخدمة المأمون ، فولاه خزانة بيت الحكمة ، له مصنفات عديدة منها : كتاب ديوان الرسائل ، ثعلة وعفراء ، على غرار كليلة ودمنة ، كتاب الهذلية والمخزومية ، كتاب النمر والثعلب ، كتاب تدبير الملك والسياسة ، ابن النديم الفهرست ، ص ص ١٥١ ، ١٥٢ .

(٥) ابن النديم : الفهرست ، ص ١٥١ ، انظر كذلك خضر الله ، بيت الحكمة في العصر العباسي ، ص ٦١ .

(٦) أرنولد : الدعوة إلى الإسلام ، ص ٨١ ، هما سلمويه وإبراهيم ابنا بنان ، فعندما استخلف المعتصم سنة ٢١٨ هـ/٨٣٣ ، اختار لنفسه سلمويه الطبيب وأكرمه وقربه منه ، حتى انه اتخذه كاتبه الخاص فكانت كتب المعتصم إلى الدواوين تصدر بيد سلمويه ، وقد ضم سلمويه إليه في خدمة المعتصم أخاه إبراهيم ، وهما نصرانيان ، توفى سلمويه سنة (٢٢٥ هـ / ٨٤٠ م)، فحزن عليه المعتصم حزنا شديدا ، ابن أبي إصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ص ص ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ .

صاغرون " فأراد الله لهم الصغار حيث تكبروا واستعلوا على دينه ورسوله وجحدوه مع سابق علمهم بصدقه ، لأنه لم يكن منهم واستكثارا على غيرهم أن يكون النبي الخاتم منهم.

فوضع الله عليهم الصغار، في مظاهر عدة ، منها دفع الجزية ، ومخالفة المسلمين في ألبستهم وفي مراكبهم ، وفي منازلهم ، وفي قبورهم ، ولأن هذه المظاهر بدأت تتزحزح شيئا فشيئا عن واقع حياة أهل الذمة في المجتمع الإسلامي في العصر العباسي الأول نتيجة لتهاون الخلفاء والولاة فيها ، وسط استنكار العلماء ، فإن ما فعله المتوكل عندما أمر أهل الذمة بمخالفة المسلمين في ألبستهم ، وارتداء ألبسة خاصة بهم ، ومخالفة المسلمين في المراكب والسروج[1] ، وبإقصائهم من أعمال الدولة الحساسة [2] ، ومحاسبتهم لما إختانوه من أموال المسلمين[3] ، كان ذلك كله إعادة للتوازن المختل في الحياة الإسلامية ، وفي أساليب التعامل مع أهل الذمة دون ظلم أو إجحاف .

- موقف العلماء من استعمال أهل الذمة في أجهزة الدولة :

لم يكن ترك المسلمين لمجالات من المعرفة والأعمال ، واعتمادهم فيها على غيرهم يتفق مع

(١) أخذ المتوكل اليهود والنصارى سنة (٢٣٥ هـ / ٨٥٠ م) بتغيير زيهم عن زي المسلمين ، فأمرهم بلبس الطيالسة العسلية وركوب السروج بركب الخشب وبتصيير كرتين مؤخر السروج ، وتصيير زرين على القلانس .، الطبري : تاريخ الأمم والملوك جـ ٧ ، ص ص ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، النقاش : المذمة في استعمال أهل الذمة ص ٨٧ ، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية ، مصور عن دار الكتب العربية ، القاهرة ، ميكروفيلم (٥٠) ، ص ٨٧ ، إبن دحية : النبراس في خلفاء بني العباس ، ص ٨٢ .

(٢) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٧ ، ص ٣٥٥ ، النقاش الذمة في استعمال أهل الذمة ، ص ٨٧ ، الطرطوشي : سراج الملوك ، ص ١٣٦ .

(٣) أمر المتوكل في سنة (٢٣٣ هـ / ٨٤٨م) بمحاسبة إبراهيم بن الجنيد النصراني ، وكان كاتبا حتى أقر بسبعين ألف دينار ، فاستخرجها منه ، وأودعه السجن ، الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٧ ، ص ٣٤٧ .

التعاليم الإسلامية ، ومع ما أراده الله لهم من الظهور والتمكين في الأرض ، ولا مع الضرورات الأمنية وشروط التسيُّد على الأرض ، والريادة الحضارية ، بل ولا مع أسباب استمرار الوجـود ، ولا يتنافى ذلك مع مفهوم الانفتاح على الآخرين والإفادة من تجاربهم وخبراتهم ، والانكفـاء فحسب على الذات ، والاستهانة بما لدى الآخرين من علوم وفنون ، فتعاليم الإسلام منذ البداية ، وفي كل جزئية من جزئياتها تشيـر إلى أهميـة الاستفادة من الآخرين وتؤمن بقضية التـأثير والتأثر في تعميق مجرى الحضارة الإنسانية ، ولكن ما ذمته تعاليم الإسلام ، وحذَّر منه العلماء هو الغفلة في هذا التعاطي مع الآخرين ، وترك مجالات واسعة من المعرفـة ، الحاجـة إليهـا ماسة، في أيدي غيرهم ، حتى لا يفاجئوا في يوم ما ومصائرهم في أيدي غيرهم ، خصوصا إذا كانوا ممن يتربصون بهم ويضمرون لهم الشر والغدر و قد نبه الله المسلمين إلى ذلك في غيـر موضـع من القـران الكـريم ، قـال تعـإلى فـي سـورة آل عمـران مخاطبـا المـؤمنين :"يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغـضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بيَّنا لكم الآيات إن كنتـ ـم تعقلون ، هـا أنـتم أولاء تحبـونهم ولا يحبـونكم وتؤمنـون بالكتـاب كلـه و إذا لقـوكم قـالوا آمنـا وإذا خلـوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ [١] ثم حددهم أكثر ، فقال : " يا أيها الذين أمنوا لا تتخذوا اليهود و النصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فانه منهم إن الله لا يهـدي القـوم الظالمين" [٢]، ويبين الله تعإلى أن سرائرهم تنطوي على الحقد والغش للمسلمين ، فقال محـذرا منهم :" يا أيها الذين أمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة ، وقد كفروا بمـا جاءكم من الحق "[٣] وقال تعإلى: " إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألـسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون "[٤] ، وغير ذلك من التوجيهات القرآنية التي تحـذر المـسلمين مـن الاعتماد على غيرهم ، والاطمئنان إلى أعدائهم وموالاتهم على المسلـ ـمين .

(١) آل عمران ، الآيتان : ١١٨ ، ١١٩ .

(٢) المائدة ، الآية : ٥١ .

(٣) الممتحنة ، الآية : ١ .

(٤) الممتحنة ، الآية : ٢ .

كما نهـى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن استعمال المسلمين غيرهم في أعمالهم ، فيما روى أحمد بن حنبل و مسلم بن حجاج [١] "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى بدر فتبعه رجل من المشركين ، فلحقه عند الحرة [٢] ، فقال إني أردت أن أتبعك وأصيب معك ، قال تؤمن بالله ورسوله ؟ قال : لا ، قال : ارجع فلن أستعين بمشرك"[٣] ،وروى أحمد بن حنبل أنـه صلى الله عليه وسلم نهى عن استعمال المشركين في أعمال المسلمين ، فقال : " لا تبكوا علـى الدين إذا وليه أهله ولكن ابكوا إذا وليه غير أهله "[٤] .

وقد سار على ذلك الخلفاء الراشدون من بعده ، فنهى عمر بن الخطاب ولاته وعمالـه مـن استعمال ، أهل الذمة ، حذرا من غشّهم المسلمين[٥] ، وهو ما نتبينه في إحدى رسـائله لولاتـه حيث كتب إلى أبي هريرة فيما كتب : " وأبعـد أهـل الـشرك وأنكـ ـر فعالـ ـهم ولا تستعـ ـن على أمر من أمور المسلمين بمشرك " [٦] ، وعندما كتب إليه معاوية بن أبي سفيان يستأذنه في تولية أحد النصارى الكتابة ، لآمه في ذلك ، وأنّبه ، فكتب إليه :" عافانا الله وإياك .. فإن النصراني قد مات والسلام" [٧] ، وكأن عمر أراد للمسلمين أن يقوموا بأعمالهم بأنفسهم حتى لا يكونوا عالة على أحد ، لأنه سيأتي يوم يجد المسلمون أنفسهم عاجزين عن تدبير أمور دنياهم

---

(١) مسلم بن حجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ، يكنى بأبي الحسين ، أحد كبارعلماء الحديث وصاحب صحيح مسلم ، سمع من عدد من تابعي التابعين ، وتنقل بين الأمصار لجمع الحديث وتنقيحه ، وتحرى فيه إيما تحري ، توفي سنة (٢٦١ هـ / ٨٧٥ م) ، ابن عساكر : تاريخ مدينه دمشق ، جـ ٥٨ ، ص ص ٨٥ ، ٩٥ .

(٢) الحرة : أرض بظاهر المدينة ذات حجارة سوداء محروقة على بعد ليلتين من المدينة، وفي الحرة وقعت معركة بين أهل المدينة من الصحابة والتابعين وبين جيش يزيد بن معاوية ، عقب تمروهم عليه ، سنة (٦٣ هـ / ٦٨٣ م) ، ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٢ ، ٨٢٩ .

(٣) النقاش : المذمة في استعمال أهل الذمة ، ص ص ٨١ ، ٨٢ .

(٤) رواه أحمد في مسنده ، حديث رقم (٢٣٦٣٣) ، جـ ٥ ، ص ٤٢٢.

(٥) القرافي : الذخيرة ، جـ ١٠ ، ص ٥٤ ، النقاش : المذمة في استعمال أهل الذمة ، ص ٨٢ .

(٦) النقاش : المذمة في استعمال أهل الذمة ، ص ٨٣ .

(٧) المصدر نفسه، ص ٨٢ .

إن هم اعتمدوا فيها على غيرهم ، وعندما تعلل أبو موسى الأشعري لعمر بالحاجة لاستعماله كاتبا نصرانيا ، وبرر ذلك أيضا بقوله لي كتابته وله دينه ، قال له عمر مبينا وجها من أوجه الحكمة في النهي عن استعمال المشركين في أعمال الدولة ، : " لا أكرمهم إذ أهانهم الله ، ولا أعزهم إذ أذلهم الله ولا أدنيهم إذ أقصاهم الله "(١) وما أن ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة ، حتى كتب إلى العمال ينهاهم عن استعمال أهل الذمة ويأمرهم بالإستغناء عمن في أعمال الدولة منهم ، حيث قال : " فلا أعلم أن أحدا من العمال أبقى في عمله رجلا متصرفا على غير دين الإسلام ، إلا نكّلت به ، أنزلوهم منزلتهم التي خصهم الله بها من الذل والصغار " (٢) ، وعندما علم أن أحد عماله يستخدم أحد أهل الذمة في بعض أعماله ، كتب إليه بقوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين" (٣) : فإذا آتاك هذا فادعه إلى الإسلام ، فإن أسلم فهو منا ، وإن أبى فلا تستعن به ، ولا تأخذ من غير أهل الإسلام على شيء من أعمال المسلمين "(٤) ثم كتب بعد ذلك إلى عماله ينهاهم عن استعمال غير المسلمين عليهم (٥) .

وفي العصر العباسي الأول بيَّن العلماء خطورة ترك قطاعات هامة من أجهزة الدولة بأيدي غير المسلمين ، من أهل الذمة ، ليس من منطلق التعصب وعدم القبول بالآخر ، بقدر ما دفعهم إلى ذلك خشية أن يتحكم أعداء الأمة في مصيرها ، وتحقيقا لحكم الله ، فيهم ، كما عبر عنه عمر بن الخطاب حيث قال :" لا أكرمهم حيث أهانهم الله ، ولا أعزهم حيث أذلهم الله " (٦) ،

(١) النقاش : المذمة في استعمال أهل الذمة ، ص ٨٢ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٨٣ .
(٣) المائدة ، الآية : ٥٧ .
(٤) الموصلي : حسن السلوك الحافظ لدولة الملوك ص ١٢٨.
(٥) المصدر نفسه ، ص ص ١٢٨ ، ١٢٩ .
(٦) النقاش : المذمة في استعمال أهل الذمة ، ص ٨٢ .

فقد كان بعض العلماء يشفعون لهم لدى الأمراء إذا لحقهم أذى أو جـورا[1] ، فحـرَّم العلمـاء استعمالهم في بيت المال ، وفي غيرها من الوظائف المالية ، لأن خيانتهم فيها لا تؤمن ، وهـي ولايات يشترط فيها الأمانة ، والنزاهة ، والله قد شهد عليهم بالخيانة[2] ، فنهى مالك أن تتخـذ الدولة منهم الكتبة ، لأن الكاتب مستشار وهم لا يستشارون في أمور المسلمين[3] ، كما نهـى عن قيامهم بتعليم أولاد المسلمين ، لانهم غير مأمونين[4] عليهم ،وكان سفيان الثوري لا يـرى موالاتهم[5] ، و أكد الشافعي على أنه لا ينبغي للقاضي أو الوالي أن يتخذ كاتبا ذميا ، يـستودعه أسرار المسلمين و يأتمنه على رقابهم[6] ، و مع ذلك رأى الاستعانة بهم فـي بعـض الأعمـال بشرط أن يكونوا تحـ ـت سيطرة المسلمين[7] ، و كره أحمد بن حنبل استعمال أهل الذمة فـي أعمال الدولة وساق لتأكيد ذلك الآثار عن النبي صلى الله عليه و سلم .[8]

و إذا ما تساءلنا عن سبب هذه المعارضة من العلماء لاستعمال أهل الذمة في أعمال الدولـة ، فإننا سنجد إلى جانب التحذيرات القرآنية و النبوية من استعمالهم ، ما لمـسه العلمـاء ممـن استعمل من أهل الذمة من خيانة و تجبُّر على المسلمين ، فقد أنكر شـبيب بـن شـبة علـى المنصور استعماله أهل الذمة دون المسلمين ، حيث قال : " يا أمير المؤمنين سلطت أهل الذمـة

---

(١) راوى أحمد بن أبي الحواري أن نصرانيا أهدى إلى الأوزاعي جرة عسل ، وقال له :" يا أبا عمرو تكتب لي إلى والي بعلبك ، يعني ليشفع عنده ، فقال له الأوزاعي :" إن شئت رددت الجرة وكتبت لك وإلا قبلت الجرة ولم اكتب لك قال فرد الجرة وكتب له ، فوضع عنه ثلاثين (دينارا)، الحنبلي: محاسن الساعي في مناقب الإمام الأوزاعي ، ص٣٧ .

(٢) الموصلي : حسن السلوك الحافظ لدولة الملوك ، ص ١٣١ .

(٣) القرافي : الذخيرة ، جـ ١٠ ، ص ٥٥ ، الموصلي : حسن السلوك الحافظ لدولة الملوك ، ص ١٣١ .

(٤) القرافي : الذخيرة ، جـ ١٠ ، ص ٥٥ .

(٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ٢ ، ص ٣٨٨ .

(٦) الشافعي : الأم ، جـ ٦ ، ص ٢١٦ .

(٧) الموصلي : حسن السلوك الحافظ لدولة الملوك ، ص ١٣١ .

(٨) النقاش : المذمة في استعمال أهل الذمة ، ص ص ٨١ ، ٨٢ ، الموصلي : حسن السلوك الحافظ لدولة الملوك ، ص ١٣٢ .

على المسلمين ، فظلموهم وعسفوهم وأخذوا ضياعهم ، وغصبوا أموالهم ، وجـاروا علـيهم ، واتخذوك سلما لشهواتهم "[1]، وكان لتوسع المهدي في استعمال أهل الذمة ، وتقريبهم إليه ، أثر في طغيان بعضهم وتجرؤهم على المسلمين ، من ناحية ، وتزايد شكوى الناس منهم ، وانتقادات العلماء للمهدي ، فأنكر عليه أحد العلماء اعتماده في الوظائف المالية على النصارى ، قـائلا : " يا أمير المؤمنين إنك تحمل أمانة هذه الأمة ، وقد عرضت على الـسماوات والأرض والجبـال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها ، أفتسلم أنت هذه الأمانة التي خصك الله بها إلى أهل الذمـة دون المسلمين ؟! "[2] وعندما تزايدت مظالم نصراني ولاه المهدي ضياعه ، على أهـل البـصرة ، شكوه إلى قاضيها سوار بن عبد الله فاستدعاه فأبى أن يحضر ، ثم إن النصراني جـاء وبيـده كتاب المهدي إلى القاضي سوار ، ومعه جماعة من النصارى فدخلوا عليه المسجد وتجـاوزوا الحد المسموح لهم ، فما كان من سوار إلا أن أمر الناس بأن يجروهم بأرجلهم خارج المسجد[3] ، بل لقد بلغ من تنفُّذ أهل الذمة ، وعسفهم على الناس وتزايد شكوى الناس مكنهم ، أن أصـبح ذلك مادة للشعر في عصرالمهدي ، فكتب أحد الشعراء مستنكرا تمكين المهدي لأهل الذمة فـي الدولة ، وعلى رقاب الناس قائلا :

" بأبي وأمي ضاعت الأحلام ∴ أم ضاعت الأذهان والإفهام
من صد عن دين النبي محمد ∴ أله بأمر المسلميـن قيام ؟!
ألا تكـ ـن أسيافهم مشهورة ∴ فينا فتلك سيـ ـوفهم أقلام [4]

وانتقده آخر فقال :

(١) النقاش : المذمة في استعمال أهل الذمة ، ص ص ٨٤ ، ٨٥ .
(٢) الموصلي : حسن السلوك ، الحافظ لدولة ، الملوك ، ص ص ١٢٤ ، ١٢٥ .
(٣) النقاش : المذمة في استعمال أهل الذمة ، ص ص ٨٥ ، ٨٦ .
(٤) الموصلي : حسن السلوك الحافظ لدولة الملوك ، ص ١٢٤ .

يا بن الخلائف من قريش والأولى	طهرت منابتهم عن الأدناس
قلدت أمـ ـر المسلمـ ـين عدوهم	ما هكذا فعـلت بنو العباس
ما العـذر إن قالـوا غدا هذا الذي	ولي اليهود على رقاب الناس
أتقول كانـ ـ ـوا وفـروا أموالهم	فبيوتـ ـهم قعز بغير أساس
لا تعتذر عن صـرفهم بتـ ـعذر	المتصرفين الحـذق الأكياس
ما كنت تفعل بعدهم لو أهلـ ـكوا	فافعل وعد القوم في الأرماس [١]

وعندما زار المأمون مصر تظلَّم إليه المسلمون ممن استعمل عليهم في الجباية من النصارى[٢] ، فلمَّا عاد إلى بغداد ، نهاه معلمه الكسائي عن استعمال أهل الذمة ، عندما قرأ عليه المأمون قولـه تعالى : " يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتـولهم منكم فإنه منهم "[٣] ، فقال له الكسائي يا أمير المؤمنين تقرأ كتاب الله ولا تعمل به ، فأمر المـأمون بعزلهم عن أعمال الدولة .[٤]

ولم تكن هذه المواقف التي وقفها العلماء إزاء استعمال أهل الذمة في جهاز الدولة تنطوي على التعصب أو الظلم أو عدم تعاطي المسلمين مع غيرهم ، وإنما تنم عن ما يجـب أن يكـون عليـه المسلمون من الحذر واليقظة في التعامل مع غيرهم ، فضلا عن كونها استجابة للتوجيهات القرآنية والنبوية في التعامل مع أهل الذمة ، وليس أدل على نفي سمة التعصب عن هـذه المواقـف مـن العلماء، ما قام به الأوزاعي عندما اشتكى إليه أهل الذمة ، في جبل لبنان صالح بن علي ، لمَّا أراد إجلاءهم لخروج بعضهم على الدولة ومنعهم الجزية ، فما كان من الأوزاعي إلا أن تدخل لديه حتى

---

(١) الموصلي : حسن السلوك الحافظ لدولة الملوك ، ص ١٢٤ .
(٢) النقاش : المذمة في استعمال أهل الذمة ، ص ص ٨٦ ، ٨٧ .
(٣) المائدة ، الآية : ٥١ .
(٤) النقاش : المذمة في استعمال أهل الذمة ، ص ٨٧ .

أعادهم إلى بلادهم .[1]

سادسا : نكبات الخلفاء للوزراء وموقف العلماء منها :

شهد العصر العباسي الأول عدة نكبات لعدد من الوزراء وكبار رجال الدولة ، لأسباب مختلفة، منها ما هو سياسية ، ومنها ما كان ذا طابع اقتصادي ، بدأت بنكبة أبي سلمة الخلال ، أول وزراء العباسين ، في عهد أبي العباس السفاح[2] ، لاتهامه بمحاولة تحويل الدعوة والخلافة عن البيت العباسي إلى البيت العلوي[3] ، ونكب المنصور وزيره أبو أيوب الورياني سنة (١٥٣ هـ / ٧٧٠)[4] لسوء إدارته واستحواذه على أموال الدولة ، ولإيثاره أهل بيته بالمناصب المالية والإدارية ، وهو ما عده المنصور فسادا ماليا وإداريا، فعزله وصادر أمواله[5] ، وشهد عهد المهدي نكبة وزيرين هما يعقوب بن داود لميله إلى العلويين ، واستعانته بهم في أعمال الدولة[6] ثم عزل وزيره أبي عبد الله الأشعري[7] لسعاية بعض أصحاب الأخبار فيه لدى

(١) ابو عبيد : الأموال ، ص ص ٢٢١ ، ٢٢٣، ابن زنجويه : كتاب الأموال ، جـ١ ، ص ص ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١ .

(٢) الطبري تاريخ الأمم والملوك جـ ٦ ص ١٠٣ .

(٣) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ، جـ ٢ ص ١٦٥ ، انظر كذلك فاروق عمر ، الجذور التاريخية للوزراء العباسية ، دار الشئون الثقافية العامة بوزراء الإعلام ، بغداد ، ط١ ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦ م ، ص ٢٤ .

(٤) الطبري : تاريخ الأمم والملوك جـ ٦ ، ص ص ٢٩٥ ، ٢٩٧ ، الذهبي سير أعلام النبلاء ، جـ ٧ ، ص ٢٣ .

(٥) التنوخي : الفرج بعد الشدة ، جـ ٣ ، ص ١٥٠ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، جـ ٣٨ ، ص ص ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، الطقطقي : الفخري ، ص ١٢٨ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٧ ، ص ص ٢٣ ، ٢٤ .

(٦) ابن خلدون : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ ٣ ، ص ص ٢٥٨ ، ٢٥٩.

(٧) أبو عبيد الله ، اسمه معاوية الأشعري ، ولد سنة (١٠٠هـ / ٧١٩م) تدرج في وظائف الدولة ، حتى استوزره المهدي ، ثم عزله واستوزر مكانه الربيع بن يونس ، توفي في بغداد سنة(١٧٠ هـ / ٧٨٦ م) ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ٧ ، ص ٢٦ .

المهدي[1] ،ثم كانت نكبة الرشيد للبرامكة ، (١٨٦ هـ / ٨٠٢ م) ، والتي كانت من الأحداث التـي هزت العصر العباسي الأول[2] ، وقد أفاض المؤرخون ، قديما وحديثا ، في الحديث عنهاء ،وعـن بواعثها ، فهناك من أعادها إلى عبث البرامكة بالمال العام [3]، وإنفاقه في مصالحهم الشخصية وفي استجلاب ثناء الناس عليهم [4]، وهناك من أعزاها إلى ميول البرامكـة العلويـة[5] ، والفارسـية ، ولتأيدهم المأمون على الأمين ، وإثارته على أخيه [6] ، وأرجعها آخرون إلى استبدادهم بالأمر دون الرشيد[7] ، وغير ذلك من الأسباب ، ولسنا في هذا السياق بصدد مناقشة هذه الأسباب ، وإن كنـا نراها مجتمعة قد أسهمت في وضع نهاية لهذه الأسرة المتنفذة ، إلا أن أهم هذه الأسباب ، اخـتلال التوازن في مسألة المشاركة في السلطة بين الرشيد والبرامكة ، فتجاوزوا الخطوط الحمراء التـي وضعها خلفاء بني العباس لمن يستعينون بهم ، وقد عبَّر عن ذلك أحد المعاصرين حيـث قـال : "

---

(١) ابن خلدون . كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر جـ ٣ ، ص ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ .

(٢) الجاحـظ : التـاج فـي أخـلاق الملـوك ، ص ٦٦ ، الطبـري : تـاريـخ الأمـم والملـوك ، جـ ٧ ، ص ص ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ابـن أعثـم : كتـاب الفتـوح ، جـ ٨ ، ص ص ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، على بـرهـان الديـن : إنسـان العيـون في سيـرة الأميـن المأمـون ، ص ٦٤ ابـن خلكـان : وفيـات الأعيـان ، جـ ١ ص ٣٣٢ ، الذهبـي : سيـر أعلام النبلاء ، جـ ٩ ، ص ص ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٨ ، ابن خلدون : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ن جـ ١ ، ص ٢٣٠.

(٣) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٧ ، ص ص ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ١ ص ٣٤٤ ، الصفي : التبر المسبوك ، ص ص ٨٦ ، ٨٧ . أنظر كذلك : تاريخ عصر الخلافة العباسية ، ص ص ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٠ ، نادية صقر : السلـم في العـلاقات العباسية البيزنطية في العصر العباسي الأول ، ص ٤٨ .

(٤) على برهان الدين : إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون ، ص ٦٥ ، التنوخي : الفرج بعد الشدة ، جـ ٣ ص ص ٥١ ، ٥٢ ، الصفي : التبر المسبوك في صفات الملوك ، ص ص ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٦ .

(٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ١ ، ص ص ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، أنظر العش : تاريخ عصر الخلافة العباسية ، ص ص ٧٤ ، ٧٨ .

(٦) يوسف العش : تاريخ عصر الخلافة العباسية ، ص ص ٦٧ ، ٦٨ .

(٧) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ١ ، ص ٣٣٥ ، أنظر علي طريف الأعظمي : مختصر تاريخ بغداد ، مطبعة الفرات ، بغداد ، ١٣١٤ هـ / ١٩٢٦ م ، ص ص ١٥ ، ١٦ .

ورأى الرشيد أنس النعمة بهم ، وكثرة حمد الناس لهم ، ورميهم بآمالهم دونه ، والملـوك تتنـافس بأقل من هذا[1] " ، وفي سنة (٢٢٥ هـ / ٨٤٠ م) ، غضب المعتصم على الأفشين [2] فحبسه[3] ، رغم مكانته لديه ، وخدماته له [4] ، لموالاته بعض أعداء المسلمين[5] ، ونكب الواثق بعض كتابـه لاختيانهم المال العام ، فحبسهم وضربهم وصادر أموالهم[6] ، ونكب المتوكل وزيره محمـد بـن عبد الملك الزيات فصادر أموالـه المختانة وقتله[7] ، وعزل أحمد بن أبي دواد عن قضاء القضاة وصادر جميع أمواله ودوره وضياعه . [8]

وما نريده هنا هو معرفة دور العلماء في كل هذا ، فهل كان لهم من دور في حمـل الخلفـاء على محاسبة وزرائهم وكبار موظفيهم على عبثـهم بالمال العام ، وهل كان لهم من موقف إزاء قتل الخلفاء لبعض وزرائهم ، ومصادرة أموالهم ، خصوصا مع ورود تيار كثيف مـن الروايـات التي تؤكد توجيه العلماء للخلفاء بحسن اختيار بطانتهم خصوصا الوزراء منهم ، ومحاسبتهم فيمـا ولوا من أعمال وأموال ، والحق أن العلماء لم يتخذوا مواقف مباشرة وواضحة من نكبات الخلفـاء لوزرائهم ، بحسب معطيات ما بين أيدينا من مصادر ، وهو أمر يتفق مع السياق العـام لاهتمـام

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ١ ، ص ٣٣٥ .

(٢) الأفشين : حيدر بن كاوس أحد القادة الترك ، من أشروسنة ، تعاظمت منزلته لدى المعتصم بعد نجاحه في القضاء على بابك الخرمي ، وقد سعى لدى المعتصم لتوليته خراسان ، وكان عليها عبد الله بن طاهر ، فكاد له عبد الله بن طاهر لدى المعتصم، فغضب عليه المعتصم ونكبه سنة(٢٢٥ هـ / ٨٤٠ م) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٧ ، ص ص ٢٢٦ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٥ ، ص ٤٧ .

(٣) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٧ ص ٣٠٣ .

(٤) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ص ٦٠٤ ، ٦٠٥ ، الأصفهاني: الأغاني ، جـ ٢١ ص ٧٣٤٠ ، ابن عثم : كتاب الفتوح جـ ٨ ، ص ص ٣٤٤ ، ٣٤٦ ، ابن وادران : تاريخ العباسيين ، ص ٤٩٢ .

(٥) الطبري : تاريخ الأمم الملوك ، جـ ٧ ص ٣٠٣ ، ابن وادران : تاريخ العباسيين ، ص ٤٩٢ .

(٦) نادية صقر : السلم في العلاقات العباسية البيزنطية في العصر العباسي الأول ، ص ٤٨ .

(٧) الأصفهاني :الأغاني جـ ٢٧ ، ص ص ٩٢٠٠ ، ٩٢٠١ ، ٩٢٠٢ ، ابن دحية : النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس ، ص ٨٤ .

(٨) ابن دحية : النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس ، ص ٨٥ .

العلماء بالحياة السياسية ، فقد تجنبوا الخوض في الفتن ذات الطابع السلطوي الخـالص ، أي التـي يكون أطرافها متنافسين على السلطة .

سابعا: موقف العلماء من التقاليد التي ابتدعها العباسيون :

عد العلماء التقاليد الجديدة التي طرأت على المجتمع المسلم دون أن تنسجم مع تعـاليم الإسـلام وقيمه بدعا ينبغي رفضها ومواجهتها .

مفهوم البدعة :

البدعة من الفعل بَدَعَ بمعنى أنشأ، فيقال بدع الشيء يبدعه بدعا واستبدعه إذا أنشأه وبـدأه ، ومنها البدعة [١]، وشرعا عرَّفها الخلال [٢] أنها إحداث أمر في الدين يشبه أن يكون منـه ولـيس منه، وعرفها ابن الجوزي [٣] بأنهـا عبـارة عـن فعل لم يكن فابتدعـه ، والأغلـب فـي المبتدعات إنها تصادم الشريعة بالمخالفة ، وحددها ابن منظور [٤] بقوله : " هي مـا أحـدث فـي الديـن من ابتداع بعد الإكمال " ، فتكون البدع كل محدث ، ويفرق الشافعي بـين نـوعين مـن البدع، بدعة محمودة ، وبدعة مذمومة ، فما وافق السنة فهو محمود وما خالف السنة فهو مذموم[٥] ، وأكد ذلك ابن الأثير حيث قسمها إلى بدعتين ، بدعة هدى ، وبدعة ضلالة ، فما كان خلاف مـا أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم فهو في حيز الذم والإنكار ، وما كان واقعا تحت عموم ما ندب الله إليه ، أو حض عليه رسوله فهو في حيز المدح ، قال صلى الله عليه وسلم : " من سنَّ سنة حسنة في الإسلام كان له أجرها وأجر من عمل بها ، ومن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر مـن

---

(١) الخطيب : تاريخ بغداد ، جـ ٦ ، ص ٦٨ ، ابن منظور : لسان العرب ، جـ ١ ، ص ٢٢٩ .
(٢) الخلال : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ص ٣٧ .
(٣) تلبيس إبليس ، ص ١٧ .
(٤) لسان العرب ، جـ ١ ، ص ٢٢٩ .
(٥) أبو نعيم : حيلة الأولياء ، جـ ٩ ، ص ١٢١ .

عمل بها " [1].

برزت في العصر العباسي الأول بعض المتغيرات والعوائد الجديدة التي ابتدعها العباسيون ، وقـد وقف العلماء إزاءها مواقف متفاوتة حسب طبيعة هذه العوائد ، ومدى موافقتها لقـيم الإسـلام ، أو على الأقل عدم تصادمها معها .

١- احتجاب الخلفاء عن حوائج الناس :

الحجابة من الفعل حجب ، يحجبه حجبا إذا ستره ، ومنه الحجاب وهو إسم ما احتجب به ، وكـل ما حال بين شيئين ، ومنه الحاجب وجمعه حَجَبة وحجَّاب[2] وهو الذي " يحجب السلطان عن العامة ، فيفتح بابه لهم أويغلقه دونهم "[3] ، ولم يكن العباسيون أول من ابتدع الحجابة ، وإن كانوا توسعوا وبالغوا وتفننوا فيها .

كان معاوية بن أبي سفيان أول من احتجب من الخلفاء عن الناس ، وكان ذلك لضروريات أمنية، عنـدما اغتـال الخـوارج علـي بـن أبـي طالـب [4]، وحـاولوا اغتيـال معاويـة وعمـرو ابن العاص[5] ، فاضطر معاوية إزاء ذلك إلى وضع قيود على الوصول إليه ، فوضـع الحجبـة ، خصوصا وقد شهد مقتل ثلاثة من الخلفاء قبله على يد أعدائهم بسبب انبساطهم إلى الناس ، وسهولة

---

(١) رواه مسـلم في صحيحه ، كتاب الزكـاة باب الحث على الصدقة ولو بشـق ثمرة أو كلمة طيبة ، حديث رقم (١٠١٧) ، جـ ٢ ، ص ٧٠٥ ، ابن منظور : لسان العرب ، جـ ١ ، ص ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ .

(٢) ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٢ ، ص ٧٧٧ .

(٣) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٤٠ .

(٤) الدينوري : الأخبار الطوال ، ص ص ٢١٣ ، ٢١٤ ، ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٤٠

(٥) المصدر نفسه ، ص ص ٢١٥ ، ٢١٦ .

الوصول إليهم[1] ، وقد تابعه في ذلك خلفاء بني أمية[2] .

وعندما آلت الخلافة إلى بني العباس بالغ خلفاؤهم في الاحتجاب عن الناس ، وهم الـذين ظلـوا قبل ذلك محتجبين ما يقرب من ثلث قرن من الزمان عن أعين الناس ، هي مرحلة الدعوة العباسية ، فلما تولوا الخلافة زادوا في مراسيم الاحتجاب ، بل إن الأمر بلغ بهـم إلـى حجـب أسـمائهم الأعـلام عن الناس ، فاتخذوا لأنفسهم أسماء أخرى[3] مثل السفاح ، والمنـصور ، والمهـدي ، والهـادي ، والرشيـد ، والأمين ، والمأمون ، والمعتصم ، والواثـق ، والمتوكـل .

وتوسعت صلاحيات حاجب الخليفة الذي كان بدرجة وزير[4] ، كما خصصت بيوت لـلإذن ، يقيم فيها الرسل والآتون من خارج بغداد حتى يؤذن لهم بمقابلة الخليفة . [5]

- موقف العلماء من احتجاب الخلفاء :

كره العلماء احتجاب الخلفاء والأمراء عن رعيتهم ، لأنه يحول بينهم وبـين الإطـلاع علـى أحوالهم ولأنهم يعتمدون في ذلك على غيرهم ممن قد يحجبون عنهم مظالم الناس وشكاياهم ، فيتخذ الخليفة قراراته وفق ما يقدمه الحجبة من معطيات ، فتكون رهنا لهم ، ووفقا لما يرون .

ولما كانت حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، والخلفاء الراشدون من بعده ، المعيار الـذي كـان العلماء يقيسون عليه سياسة معاصريهم من خلفاء العصر العباسي الأول ، فقد قدموا لهؤلاء الخلفاء صورا من حياة النبي صلى الله عليه سلم والصحابة، فروى الفضيل بن عياض أن رسول الله صلى

---

(١) ابن زنجويه : كتاب الأموال جـ ١ ص ٦٤ ، الموصلي : حسن السلوك الحافظ لدولة الملوك ص ٨٣ ، الدواداري : كنز الدرر وجامع الغرر ، جـ ٥ ، ص ٢٣ ، أنظر على حبيبة : النظم الإسلامية ، ص ص ١١٣ ، ١١٤ .

(٢) ابن خلدون . المقدمة ، ص ٢٤٠ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٢٨ .

(٤) البيهقي : المحاسن و المساوئ ، جـ ١ ، ص ص ١٥١، ١٥٢ ، الدوادري : كنز الدرر وجامع الغرر ، جـ ٥ ، ص ١٥ ،الأربلي : خلاصة الذهب المسبوك مختصر سيرة الملوك ، ص ٤٤ .

(٥) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٤٠ ، الدواداري : كنز الدرر وجامع الغرر ، جـ ٥ ، ص ٢٣ .

الله عليه وسلم قال : " يا أيها الناس مـ ـن ولي منكم عملا فحجب بابه عن ذي حاجة من المسلمين ، حجبه الله أن يلج باب الجنة "[1] ،وأخرج أحمد بن حنبل في مستنده من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : " من ولي من أمر المسلمين شيئا فاحتجب عن أولي الضعفة والحاجة احتجب الله عنه يوم القيامة "[2] ، وأخذ عمر بن الخطاب على عماله وولاته الا يغلقوا أبوابهم دون حـوائج الناس[3] ولذلك عندما بلغه احتجاب سعد بن أبى وقاص عن الناس ، أحرق قـصره[4] ولام أحـد الصحابة معاوية بن أبي سفيان لاحتجابه عن الناس ، مبينا أن رسول الله صلى الله عليـه وسـلم نهى عن ذلك[5] ولما بالغ الخلفاء العباسيون في الاحتجاب عن الناس وتعذر مع ذلك إيصال حوائج الناس إليهم ، واعتمادهم فيما يدور خارج أبوابهم على غيرهم ، وجد العلماء أن من واجبهم تنبيههم إلى ضرر ذلك على الرعية ، وخطورته على الدولة ، وقد أشار إلى ذلك الأوزاعي حيث قـال : " يهلك السلطان بالإعجاب والإحتجاب " [6].

انتقد أحد العلماء احتجاب المنصور عن الناس ، وعد ذلك سببا في فساد ما بينه وبيـنهم ، مـن جهة ، وفي تظالم الناس واستشراء الفساد والبغي في أرجاء الدولة ، إذ قال له : " وجعلـت بينـك وبينهم حجابا من الجص والآجر ، وأبوابا من الحديد ، وحجبة معهم السلاح ، ثم سـجنت نفـسكَ فيـها عنهم "[7] ، ودخل صالح بن عبد الجليل [8] على المهدي فعاتبه عتابا رشيقا على احتجابـه

---

(١) أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٨ ، ص ١٣٦ .

(٢) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد ، كتاب الإيمان ، باب فيمن احتجب عن ذوي الحاجة ، جـ ١ ، ص ١٤ ، الموصلي : حسن السلوك الحافظ لدولة الملوك ، ص ٨٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٨٥ .

(٤) ابن قيم الجوزيه : أعلام الموقعين ، جـ ٤ ، ص ٤٦٢ .

(٥) ابن زنجويه : كتاب الأموال ، جـ ١ ، ص ٦٤ .

(٦) المبارك : كتاب النصح في الدين ومآرب القاصدين في مواعظ الملوك والسلاطين ، ص ٨٦ .

(٧) ابن قتيبة : عيون الأخبار ، جـ ٢ ، ص ٣٦١ ، تهذيب الرياسة وترتيب السياسة، ص ص ٤٧ ، ٤٨ .

(٨) صالح بن عبد الجليل : أحد العلماء الزهاد ، دأب على تزهيد الناس في السلطان ، روى بعض أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، ووعظ الخلفاء العباسين ، أبو نعيم : حلية الأولياء جـ ٨ ، ص ٣٥٤ .

عن الناس ، وأن كثيرا من الناس لذلك يعجزون عن الوصول إليه وعرض حوائجهم عليه ، فقال " يا أمير المؤمنين إنه لما سَهلَ علينا ما توعَّر على غيرنا من الوصول إليك قمنا مقام المؤدي عنهم "(١)، وانتقد ابن السماك الاحجبة الكثيفة التي كانت تفصل الرشيد عن الناس ، وكذا تعقيد الإجراءات التي يمر بها من يرغب في مقابلة الخليفة (٢)، وحاول أبو يوسف (٣) بلسان لطيف تنبيه الرشيد إلى ذلك ، عندما كتب إليه في إحدى رسائله قائلا : " رجوت الا تكون ممن احتجب عن حوائج رعيته و ذكَّره بما كتب به عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة " (٤)، حيث قال :" و تعهَّد الغريب فانه إن طال حبسه _ يعني بباب الأمير _ ترك حاجته و انصرف إلى أهله "(٥) ، و ذم أحمد بن حنبل احتجاب الخلفاء والولاة عن حوائج الناس ، فقال :" وأعظم ما يكون الفساد من الوالي في مملكته اتخاذ الحجَّاب ، فإن حاشية الملك بسبب ذلك تصير ملوكا ، ويكذبون على لسان الملك ، ويمنعون المظلوم من شكاية مظلمته ، ويفعلون ما أرادوا (٦) .

ومع ذلك فمن الحق أن نقرر أنه بعد اغتيال ثلاثة من الخلفاء ابتداء بعمر بن الخطاب ثم عثمان ابن عفان ، ثم علي بن أبي طالب ، وتعرض كل من الحسن بن على ومعاوية بن أبي سفيان لمحاولة اغتيال ، وبعد أن دخلت أجناس جديدة في نسيج المجتمع الإسلامي ، ولم يعد المجتمع

---

(١) ابن عبد ربه العقد الفريد ، جـ ٣ ، ص ١٠٣ ، سيد أمير علي : وصايا ومواعظ العلماء للأمراء ص ١٩٥ .

(٢) الطرطوشي : سراج الملوك ، ص ٣٨ ، المبارك : النصح في الدين ومأرب القاصدين ، ص ٥٤ .

(٣) كتاب الخراج ، ص ١٢١ .

(٤) أبو عبيده بن الجراح : واسمه عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهد ، من السابقين الأولين في الإسلام ، فقد أسلم ، قبل دخول الرسول صلى الله عليه وسلم دار الأرقم ، وهو أمين الأمة ، سماه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولاه أبو بكر الصديق قيادة جيوش المسلمين المتجهة إلى الشام ، ثم ولاه عمر بن الخطاب الشام ، توفي بطاعون عمواس بالشام سنة (١٨ هـ / ٦٣٩ م) ، في خلافة عمر بن الخطاب ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ٧ ، ص ص ٣٨٤ ، ٣٨٥ .

(٥) ابو يوسف : كتاب الخراج ، ص ص ١٢٦ ، ١٢٧ .

(٦) الموصلي : حسن السلوك الحافظ لدولة الملوك ، ص ٨٣ .

بسماته الأولى وتكوينه الأول مجتمع الصحابة ، وبعد أن استقر المسلمون فـي البيئـات الجديـدة، وانفتحوا على أهل تلك البيئات ، كل هذا جعل الخلفاء يتحفظون في التعامل مع الناس ويتخلون عن التلقائية والبساطة التي اتسم بها خلفاء الصدر الأول من الإسلام ، فوضعوا سلسلة من الإجـراءات الأمنية لضمان حمايتهم من أي اعتداء ، وهي إجراءات مشروعة ، إذا لم يترتـب عليهـا ضـياع الحقوق واحتجاب أخبار الناس وحاجاتهم عن الخليفة .

وقد برَّر بعض خلفاء العصر العباسي الأول احتجابهم عن الناس بالدواعي الأمنية وهو ما نلمحه في جواب أبي جعفر المنصور لمسعر بن كدام ، عندما لامه في الاحتجاب عن الناس ، فقـال لـه المنصور : " لو أن كل الناس مثلك لمشيت معهم في الطريق "[1] ويزداد الأمر وضـوحا إذا مـا استمعنا إلى خطبته في أهل بغداد ، وهو يبين لهم سبب احتجابه عن الناس ، قائلا : " والله لولا يـد خاطئة وظلم ظالم لمشيت بين أظهركم في أسواقكم "[2] ، خلافا لما ذهب إليه بعض المستـشرقين ، و بعض من تابعهم في تفسير ظاهرة احتجاب خلفاء العصر العباسي الأول عن العامة إلى تـأثرهم بالتقاليد الفارسية القديمة التي تتخذ لتنزيه الملك عن التعاطي مع العامة ، حتى لا يدنَّس بمخـالطتهم ، لأن أولئك الملوك كانوا في نظر أنفسهم وفي نظر الناس آلهة ، أو ممثلين عن الآلهة[3] ، ونـرى أن ما ذكره هؤلاء المستشرقون – الذين يحملون خلفيات تصورية مختلفة عن الخلفيات التـصورية التي حرَّكت الخلفاء لاتخاذ هذا الإجراء- لا يتفق وطبيعة الأحداث ، ويتـصادم مـع النـصوص التاريخية الواضحة ، والتي علَّل بها الخلفاء اتخاذهم للحجاب ، فإذا ما أضفنا إلى هذا كله أن بعض خلفاء العصر العباسي الأول كانوا يزورون العلماء في بيوتهم تحببا وتزلفا إليهم ، وتواضعا معهم ، ويحضرون حِلق العلم مع العامة ، دون أن يعرفوا ، إذا ما علمنا ذلك ، فإن أي شك أو لبس حـول ما نسب إليهم من اتباع تقاليد ملوك الفرس يزول .

---

(١) ابو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٧ ، ص ٢٥٢ .

(٢) ونام محمد سيد : الخطابة السياسية في العصر العباسي الأول ومظاهر التجديد فيها ، رسالة ماجستير ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، ١٤٢١٢ هـ / ٢٠٠ م ، ص ٤٩ .

(٣) جرونيباوم : حضارة العرب ص ٢٠٠ ، على حبيبة : النظم الإسلامية ، ص ١١٥ .

وعليه فإن احتجاب الخلفاء في العصر العباسي الأول، كما أسلفنا ، كان لأسباب أمنية وتنظيمية في المقام الأول،وإن كان قد تبعها فيما بعد رغبة بعض الخلفاء في إظهار أبَّهة الملك وبهرج الخلافة .

٢- تقبيل أيدي الخلفاء والقيام لهم :

كان من مظاهر التعظيم والتبجيل التي أحاط بها الخلفاء العباسيون أنفسهم والتي لم يعرفها المسلمون قبل ذلك تقبيل الأيدي والوقوف بين أيديهم في زيارتهم ولدى مبايعة الناس لهم أو لأولياء عهدهم بالخلافة [(١)].

وقد واجه العلماء هذه الظاهرة بإنكارٍ شديد،وعدُّوها بدعة وظاهرة غريبة لاتتفق مع قيم الإسلام التي لا ترى العبودية والخضوع على هذا النحو إلا لله سبحانه وتعالى،القيم التي أتت لاستنقاذ الإنسان من ظلم واستعباد أخيه الإنسان،فعندما وفد أهل المدينة على السفاح وبادروا إلى تقبيل يديه ،رفض عمران بن إبراهيم[(٢)]ذلك، وإنما حياه بالخلافة،وأنكر عليه أخذ الناس بتقبيل يديه،لأن ذلك لا يزيده رفعة ولا شرفا[(٣)]،وكان مالك يعيب على المنصور أخذه الناس بتقبيل يده [(٤)]، ورفض الفرج ابن فضالة القيام للمنصور عندما مر به ،وكان الناس جميعا قاموا تعظيما له[(٥)]،وامتنع ابن أبي ذئب عن القيام للمهدي مع الناس عندما دخل مسجد المدينة،ولما عاتبه بعض أتباع المهدي[(٦)]عن ذلك ،

---

(١) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٦ ، ص ٢٩٣ ، البيهقي : المحاسن والمساوئ ، جـ ١ ، ص ١٣٩ .

(٢) عمران بن إبراهيم بن عبد الله بن مطيع العدوى أحد تابعي التابعين بالمدينة ، وفد على أبي العباس من المدينة في أول وفد وفد عليه من أهل المدينة ، لكنه رفض تقبيل يد الخليفة لدى مبايعته وإنما حياه وهنئه بالخلافة ، بل وأنكر عليه أخذه الناس بتقبيل يده ، فقال : إنها والله لو تزيدك رفعة وتزيدني من الوسيلة إليك ما سبقني بها أحد ، وإنك لغني عما لا أجر لنا فيه وعلينا فيه ضعة ، لم أقف على تاريخ وفاته . ، الخطيب : تاريخ بغداد ، جـ ١٠ ، ص ٤٩.

(٣) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق جـ٣٨ ، ص ١٩١ ، ابن كثير جـ ١٠ ص ٥٩

(٤) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٨ ، ص ٧٩ .

(٥) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، جـ ٢ ، ص ٢٢ .

(٦) المسيب بن زهير الضبي ، أحد قادة الثورة العباسية تحت إمرة قحطبة ابن سبيب الطائي ، ولي شرطة المنصور خلفا لموسى بن كعب ، إلا أنه عزله سنة (١٥٨ هـ/ ٧٧٥ م) ، ثم أعاده مرة أخرى ، ولما ولي المهدي قربه ثم ولاه

قال : " إنما يقوم الناس لرب العالمين "[1] .

وهكذا فإن العلماء لم يتقبلوا هذه الظاهرة الغريبة ، بل رفضوها ، ونهوا الناس عن تقبيل أيـدي الخلفاء والأمراء ، وعن القيام لهم .

٣- تنحية الناس عن البيت عند طواف الخليفة :

وكان من المظاهر التي أبتدعها الخلفاء العباسيون ، وأثارت انتقادات العلماء ، تنحية الناس عـن الكعبة عند طواف الخليفة ، فعندما حج المهدي أمر بالناس فنحوا عن البيت ليطوف هو. [2]

ومهما كانت الأسباب التي دفعت بالخلفاء إلى هذا الإجراء ، أمنية ، أم استعلاء على الناس ، فإن العلماء رأوا في ذلك بدعة ، مخالفة لما كان عليه الخلفاء الراشدون والأمويون ، فوثب عبد الله بن مرزوق على المهدي ، لما نحى الناس عن البيت وبدأ بالطواف قائلا : " من جرَّأك علـى هـذا ؟ وجعلك أحق بهذا البيت من دون الناس ، تحول بينه وبينهم وتنحيهم عنه[3] ، وقد اتوه مـن البعـد حتى إذا صاروا عنده حلت بينهم وبينه " [4] .

٤- الحبس في العصر العباسي الأول وموقف العلماء منه : -

كان الغرض من الحبس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين مـن بعـده هو التحفظ على المتهمين والجناة حتى يحاكموا وتطبَّق فيهم الحدود الشرعية إذا أدينوا .

= خرسان ، وكان من قواد الرشيد والمأمون ، وقد توفي في خلافة المأمون مقتول ، سنة(٢٠١ هـ / ٧٢٠ م) ، الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٤ ، ص ص ٣٣٤ ، ٣٩٩ ، ٥١٤ ، ٥٦٨ ، جـ٥ ، ص ٣٠ ، عبد الحي العكري : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د . ت ، جـ ١ ، ص ٢ .

(١)الخطيب : تاريخ بغداد ، جـ ٣ ، ص ٢٩٨ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٧ ، ص ١٤٣ .

(٢) الغـزالي : إحيـاء علـوم الدين ، جـ ٢ ص ٤٧٠ ، القصبـي : الإهتمـام في منـاصحـة الإمـام ، ص ص ٣٩ ، ٤٠ .

(٣) الغزالي : إحياء علوم الدين جـ ٢ ص ٤٧٠ .

(٤) القصبي : الاهتمام في مناصحة الإمام ص ٣٩ ، ٤٠ .

وفي عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن هناك حبس أو سجن ، وإنما كان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر الرجل أن يلزم غريمه[١] ، وكان المحبوس يسمى بالأسير[٢] ، واستمر في عهد خليفته أبي بكر الصديق فلم يكن له محبسا ، ولما انتشرت الرعية وزاد تظالم الناس في عهد عمر ابن الخطاب ابتاع دارا بمكة جعلها سجنا يحبس فيه[٣] .

وفي العصر العباسي الأول أصبح السجن إلى جانب دوره في احتجاز المتهمين لحين البت في شأنهم ، وسيلة لمعاقبة المخالفين ، خصوصا المناوئين السياسين لبني العباس [٤] .

ولذلك فقد فرَّق العلماء بين السجن لاحتجاز المتهمين إلى أجل معلوم حتى ينظر في شأنهم ، وبين اتخاذه وسيلة عقاب ، فرأى كل من مالك وأحمد بن حنبل والليث بن سعد ، وبعض أصحاب أبي حنيفة ، جواز أن يحبس المتهم إذا كان مجهول الحال لا يعرف ببر ولا فجور[٥] ، ولا يقدَر على إحضاره[٦] إذا طلب إلى مجلس الحكم ، لأن من حق المدعي إلزام القاضي بإحضار المدعى عليه إلى مجلس الحكم للفصل بينهما ، ولذلك فقد أجازوا وجود السجن وسجن المتهم ، واستشهدوا على ذلك بما رواه أبو هريرة من أن النبي صلى الله عليه وسلم حبس في تهمة ، يوم وليلة [٧]، وبما

---

(١) ابن قيم الجوزية : الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ، حققه محمد جميل غازي ، مطبعة المدني ، القاهرة ، د . ت ، ص ١١٥ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) ابن الجوزي : صفة الصفوة ، جـ ، ص ٢٦٠ ، مناقب الإمام أحمد بن حنبل ، ص ٢٧٣ ، ٣٤٦ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ١ ، ص ٦٤ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ١٠ ص ص ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، العبر في خبر ، جـ ١ ، ص ص ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، مرعي بن يوسف : تنوير بصائر القلدين في ذكر مناقب الأئمة المجتهدين ، ص ١١٠ .

(٥) ابن قيم الجوزية : الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ، ص ١١٤ ، ابن حجر: سيرة الإمامين الليثي والشافعي ، ص ص ٢٨ ، ٢٩ ، مناقب الإمام الليث بن سعد ، ص ٢٤ .

(٦) ابن قيم الجوزية : الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ، ص ١١٤ .

(٧) المصدر نفسه .

فعله عمر بن الخطاب من شراء دار بمكة جعلها سجنا [1]، ويذكر ابن قيم الجوزية [2] أن فريقا آخر من العلماء منهم أبو حنيفة والشافعي وإسماعيل بن اليسع[3] رأوا عدم جواز السجن ، واستشهدوا على ذلك بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتخذ سجنا ، وإنما كان يلزم المدعي بملازمة غريمه .

فإذا كان أصحاب الرأي الأول قد أدركوا ما حدث للمجتمع الإسلامي من تطور سكاني (ديموجرافي) وانتشاره عبر ثلاث قارات وضم شعوب وأعراق مختلفة بقيم وثقافات متنوعة وما يتطلبه ذلك من مرونة في التعامل مع معطيات الزمان والمكان ، وأدركوا بفهمهم العميق للإسلام انه يلبي هذه الحاجات ويحتوي ضمن تشريعاته وسائل التكيف مع هذه التطورات ، فاجتهدوا في استنباط الأحكام الشرعية من الأصول فرأوا جواز حبس المتهم حتى يأخذ منه الحق أو يبرأ ، وهو كما يقول ابن تيمية : " ردا على تجرأ الولاة على مخالفة الشرع توهما أنه لا يقوم بسياسة العالم ومصلحة الأمة " [4].

فالأرجح أن الفريق الذي اعترض على السجن ، ليس لجهله بحاجة المجتمع المتنامية إلى وسائل التكيُّف مع المتغيرات السياسية والاجتماعية ، وإنما لخوفه من أن يصبح ذلك مدخلا لتعطيل الحدود ، ولتظالم الناس ، ولذلك فنرجح أن هذا الفريق اعترض على السجن لا بوصفه مؤسسة اجتماعية وإدارية ولكن لأنه استخدم للعقاب ، والضغط السياسي[5] ، وهو ما حدث بالفعل في العصر العباسي الأول ، بل إن كثيرا من هؤلاء العلماء قد عوقبوا بالسجن ، ومات

---

(١) ابن قيم الجوزية : الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية ، ص ١١٤.

(٢) المصدر نفسه .

(٣) إسماعيل بن اليسع الكوفي ، يكنى بأبي عبد الرحمن ، أحد علماء الكوفة ، أخذ الفقه عن أبى حنيفة وولي قضاء مصر بعد ابن لهيعة واستمر فيه ثلاث سنوات ، وكان محمود فيه ، توفي سنة(١٧٥ هـ / ٧٩١ م)، الذهبي : تاريخ الإسلام جـ ١١ ، ص ص ٤٢ ، ٤٣ .،

(٤) ابن قيم الجوزية : الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية ، ص ١١٦

(٥) سبق تناول هذا الموضوع في الصفحات السابقة في موضوع القول بخلق القرآن .

بعضهم فيه[1] ، لاعتبارات سياسية وفكرية وهو ما بيَّناه في سياقات سابقة .

وإذا كان السجن قد أصبح واقعا في حياة المجتمع ، فإن العلماء ، وضعوا ضـوابط محـددة ، فرأوا ان الحبس الشرعي لا يكون في موضع ضيق ، لأن الهدف منه ليس التعذيب ، وإنما التحفظ على الشخص ومنعه من التصرف في نفسه[2] ، كما نهوا عن إثقال المسجونين بالقيود والأغـلال ، في الوقت الذي أمروا فيه بكفالة الدولة للمسجونين فترة الحبس ، ويبدو ذلك من كتب أبى يوسـف إلى الرشيد ، يصف له تعامل عمر بن عبد العزيز مع المسجونين حيث قال : " لا تدعن في سجنك أحدا من المسلمين في وثاق لا يستطيع أن يصلي قائما ولا تبيتن في قيد إلا رجلا مطلوبـا بـدم ، وأجر لهم مايقوتهم من طعام وإدم ، وصير ذلك دراهم تجري عليهم كل شهر ، وول ذلك رجـلا من أهل الصلاح ".[3]

٥ ـ إباحة المتعة :

أدى تأثر المأمون بالفكر المعتزلي الممزوج بالتشيع [4] إلى تصرفه على نحو لم يرض كلا مـن العلماء وأفراد البيت العباسي ، من ذلك عقده ولاية عهده لعلي الرضا ، والتبرأ ممن ذكر معاويـة وسائر خلفاء بني أمية بخير ، وإباحة المتعة .

وإذا كان بنو العباس قد نقموا عليه سعيه لتحويل الخلافة عن البيت العباسي إلى البيت العلوي ، فإن العلماء قد أنكروا عليه إباحة المتعة ، وقد استغل بعض هؤلاء العلماء قربهم من المأمون فبينوا له خطورة إباحة المتعة لأنه ليس زواجا شرعيا ، ولأنه ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسـلم

---

(١) ابن الجوزي : صفة الصفوة ، جـ ٤ ، ص ٢٦٠ ، مناقب الإمام أحمد بن حنبل ، ص ص ٢٨٣ ، ٣٤٦ ، ابن خلكان وفيات الأعيان جـ ١ ص ٦٤ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ١٠ ، ص ص ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، العبر في خبر من غبر جـ ١ ، ص ص ٩٩٤ ، ٢٩٥ ، ابن واداران : تاريخ العباسيين ، ص ص ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، مرعي بن يوسف : تنوير بصائر المقلدين في مناقب الأئمة المجتهدين ، ص ١١٠ .

(٢) ابن قيم الجوزية : الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ، ص ١١٥ .

(٣) أبو يوسف : كتاب الخراج ، ص ١٦٢ ، ١٦٣ .

(٤) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ١٠ ، ص ٢٨٣ .

تحريم المتعة ، وقد سجلت لنا المصادر التاريخية ما دار بين المأمون وبين أحد العلماء عندما سمع بأن الخليفة قد أحل المتعة ، فقد أتى يحيى بن أكثم مجلس المأمون غضبانا متغير الوجه ، وعندما سأله المأمون عن سبب ذلك ، قال : " هو غم يا أمير المؤمنين لما حدث في الإسلام ، من النداء إلى إباحة الزنا ، بتحليل المتعة ، لأن المتعة زنا[1]، واحتج على تحريمها من الكتاب والسنة ، فذكر للخليفة قوله تعالى : " قد أفلح المؤمنون ..إلى قوله " والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون" [2] ثم سأل الخليفة يا أمير المؤمنين زوجة المتعة ملك يمين ؟ فقال لا ، قال فهي الزوجة التي عند الله ترث وتورث وتلحق الولد ولها شرائطها ؟ قال لا ، قال يحيى بن أكثم ، فقد صار متجاوز هذين من العادين[3] ، ثم ذكر له حكم السنة في المتعة ، فقال : روى الزهري عن علي بن أبي طالب ، قال : " أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أنادي بالنهي عن المتعة وتحريمها بعد أن كان أمر بها "[4] فما كان من المأمون إلا أن استغفر الله ، ونادى بتحريم المتعة . [5]

٦- سماع الخلفاء للغناء :

كان من مظاهر حياة الترف في المجتمع العباسي ، إهتمام بعض الخلفاء والأمراء ، بالغناء ، واتخاذهم المغنين ، وعقد جلسات لسماع الغناء ، واشتهر لذلك عدد من المغنيين أمثال إبراهيم

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ٦ ، ص ص ١٤٩ ، ١٥٠ ، الكناني : نهج سلوك على معرفة سيرالخلفاء والملوك ، ص ٢٥٥ .

(٢) المؤمنون : الآيات ١ - ٧

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ٦ ، ص ص ١٥٠ ، ١٥١ ، الكناني : نهج السلوك إلى معرفة سير الخلفاء والملوك ص ٢٥٥ .

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٦ ص ١٥٠ ، ١٥١ ، نهج السلوك إلى معرفة سير الخلفاء والملوك ص ٢٥٥

(٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٦ ص ١٥١ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ١٠ ص ٢٨٣ ، الكناني : نهج السلوك إلى معرفة سير الخلفاء والملوك ، ص ٢٥٥ .

الموصلي [١] و زرياب [٢] وتذكر بعض المصادر أن عددا من خلفاء العصر العباسي الأول قد استمعوا إلى الغناء ، أمثال المهدي والرشيد والأمين ، بل إن بعض هذه المصادر تذكر أن بعض أمراء البيت العباسي قد مارسوا الغناء بأنفسهم . [٣]

واجه العلماء هذه الظاهرة بقوة وحزم ، لأنهم رأوا فيها استجابة لهوى النفس ، وميل مع شهواتها ، وملهاة للمسلم عن ذكر الله ، وعن تحقيق غاية وجوده على الأرض من عبادة الله وخلافته فيها بما يرضيه ، فضلا عما يؤدي إليه من تحلل في البناء الأخلاقي للمجتمع ، المسلم ، وقد عبر عن ذلك أحمد بن حنبل عندما سئل عن علة نهيه عن الغناء ، قائلا : " لأنه ينبت النفاق في القلب " وهو ما نلمسه في مواقفهم من استشراء هذه الظاهرة ، فنفى مالك أن يكون ماأشيع عن أن أهل المدينة يبيحون الغناء ، قائلا : "إنما يفعله عندنا الفساق "[٤] ، وأيده في ذلك إبراهيم بن المنذر [٥]، وأنكر شريك على المهدي حيازته لبعض الآت العزف ، إلا أن المهدي اعتذر إليه بأنه إنما أراد أن يعطيَه أياها ليرى فيها حكمه[٦] ، وكسر أحد العلماء عودا

(١) إبراهيم الموصلي ، هو إبراهيم بن ماهان بن بهمن ، فارسي الأصل ، من أرجان يكنى بأبي إسحاق ويأتي لقبه بالموصلي من أنه طلب الغناء بالكوفة فمنعه أخواله فهرب إلى الموصل ، وقد برع في الغناء والعزف حتى أصبح كبير المطربين في عصره ، واتصل ببعض الخلفاء والوزراء والأمراء ، وكان يتكسب من عمل بالغناء ، توفى سنة(١٨٨ هـ /٨٠٤ م) ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٩ ، ص ص ٧٩ ، ٨٠ .

(٢) زرياب هو علي بن نافع ، يكنى بأبي الحسن ، عرف بزرياب لسواد لونه وتشبيها له بطائر أسود غريد اسمه زرياب ، وهو مولى للمهدي العباسي ، أجاد الموسيقى وتتلمذ فيها على إسحاق الموصلي ، ثم فاقه في الصنعة ، فغار إبراهيم منه ، وهدده إن لم يغادر بغداد ، فتركها إلى الأندلس ، الزركلي : الأعلام ، جـ ٥ ، ص ١٨٠ .

(٣) كان لإبراهيم بن المهدي صنعة في الغناء وكان المغنون يأخذون عنه ، ويتحاكم إليه في صناعتهم ، وله من الكتب كتاب – أدب إبراهيم وكتاب الغناء ، ابن النديم ، الفهرست ص ١٤٧ .

(٤) الخلال : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ص ١٤٢ .

(٥) الخلال : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص ١٤٢ ، إبراهيم بن المنذر بن عبد الله بن المغيرة بن عبد الله بن خالد الاسدي المدني ، كنيته ابو إسحاق ، أحد أئمة الحديث بالمدينة ، أخذ الحديث عن ابن عيينة ، أثنى عليه معاصروه ، توفى سنة (٢٣٦ هـ / ٨٥٠ م) ، الذهبي : تاريخ الإسلام جـ ١٧ ، ص ص ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ .

(٦) الكناني : نهج السلوك إلى معرفة سير الخلفاء والملوك ، ص ٢٥٠ .

وجده في يد أحد الغلمان أراد أن يدخله دار هارون الرشيد ، ولما سئل عن ذلك قال رأيت منكرا فغيَّرته [١].

وبلغ الاهتمام بالغناء ذروته في خلافة الأمين ، فقد استحوذ عليه المغنون فأنسوه الاهتمـام بشؤون الخلافة ، بل وأصبح للبعض منهم دور في توجيه سياسة الدولة[٢]، في حين كره المأمون الغناء ، وكان يعده من اللهو المنهي عنه ، حتى أنه قال ذات مرة " الطبل لهو غليظ " [٣].

ووقف العلماء إزاء ظهور بعض وسائل اللهو التي تسربت إلى المجتمع الإسلامي من البيئات الجديدة التي استقروا فيها ، مثل الشطرنج [٤]، مواقف متباينة ففي حين كرهها بعض التابعين ، حرَّمها بعض العلماء من تابعي التابعين ، أمثال مالك بن أنس وأحمد بن حنبل وعدوها من الميسر ، وملهاة عن عبادة الله ، [٥] وإذا كان العلماء ، كما عرفنا في السياقات الماضية ، قد سجلوا مواقفهم إزاء بعض المتغيرات في الحياة السياسية في العصر العباسي الأول ، فإنهم قد التزموا الصمت إزاء عدد من المتغيرات الأخرى ، إذ لا تزودنا المصادر بأي تدخل لهم فيها ، وكان أهم هذه المتغيرات ما درج عليه بعض الولاة من استخلاف نوابا ، عنهم في ولاياتهم وبقائهم ببغداد [٦] ، واتخاذ الدولة لأصحاب الأخبار ، كجهاز استخباري لمعرفة المعارضين

---

(١) الغزالي : إحياء علوم الدين جـ ٢ ص ٤٧١ ، ابن الخطيب : روض الأخبار المنتخب من ربيع الأبرار، ص ١١٦ ، القصبي : الاهتمام في مناصحة الإمام ، ص ص ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ .

(٢) الأصفهاني : الأغاني ، جـ ٢٩ ، ص ٩٨٩٠ .

(٣) محي الدين الخطيب : روض الأخبار المنتخب من ربيع الأمراء ، ص ١٩٨ .

(٤) الشطرنج : لفظ فارسي معرب ، وتنطق بكسر الشين ، عرفها المسلمون بعد فتح بلاد فارس واستقرارهم في البيئات الجديدة ، وقد كرهها بعض العلماء وحرَّمها بعضهم الآخر ، ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٤ ص ٢٢٦٣ .

(٥) الشوكاني : نيل الأوطار ، دار الجيل ، بيروت ، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣م ، جـ ٨ ، ص ٢٥٩ .

(٦) ابن أعثم : كتاب الفتوح ، جـ٨ ، ص ٢٥٤ ، ، حمزة الأصفهاني : تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ، تحقيق يوسف يعقوب المسكوني ، مكتبة الحياة ، بيروت ، ط٣ ، ١٣٨٠ هـ/١٩٦١ م ، ص ص ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ،جـ ١٢ ، ص ص ٨٢ ، ٨٣ ، الخزرجي : العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من السلاطين والملوك ، مخطوط بمكتبة الجامع الكبير (المكتبة الغربية) ، صنعاء ، الجمهورية اليمنية ، برقم ٢٥٨٤ ، ص ٢٨١ .

والمناوئين للخلفاء ، ومراقبة الخلفاء لتصرف الوزراء والعمال في المال العام ، وفي غيره في شئون الحكم ، ومن ثم عزلهم ومصادرة أموالهم[١] .

توسع بعض الخلفـاء في اقتناء المماليك [٢]واتخاذ وسـائل اللـهو واللـعب مثل الصولجان [٣] ، والكرة ، والاهتمام بالتنجيم ، وتقريب المنجمين [٤] ، والاحتفال ببعض الأعياد القديمة ، الجديدة على المسلمين مثل النيروز [٥] ، والمهرجان [٦] ، والاستكثار من الحرس [٧] .

---

(١) البيهقي : المحاسن والمساوئ ، جـ ١ ، ص ص ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٦ ، الخطيب : تاريخ بغداد ، جـ ٦ ص ص ١٢٧ ، ١٢٩ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٦ ص ٢١١ ، العبر في خبر من غبر ، جـ ١، ص ١٥١ ، الكناني : نهج السلوك إلى معرفة سير الخلفاء والملوك ، ص ٢٨١ ، الاربلي : خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٤٥ .

(٢) الدوداري : كنز الدرر وجامع الغرر، جـ ٥ ، ص ١٧ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ١ ،ص ٢٩٣ ، العسكري : كتاب الأوائل جـ٥ ص ص ٢١٧ ، ٢١٨ ، المماليك ، جمع مملوك وهو العبد الذي سبي وملك ولم يملك أبواه ، والمماليك كانوا في الأصل أحرارا ثم غلبوا وسبوا ، وهم غير العبيد الأقنان الذين ولدوا من عبيد ، ابن منظور : لسان العرب ، جـ٦ ، ص ٤٢٦٧ .

(٣) كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك،جـ١، ص ص ١٥،١٦،الصولجان:بفتح اللام،لفظ فارسي معرب، والجمع صوالجة،وهوالمحجن،أوالعودالمعوج طرفه يضرب به الدواب،ابن منظور:لسان العرب ،جـ٤، ص٢٤٧٩،الرازي : مختار الصحاح حققه:محمود خاطر،مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت،١٤١٥هـ/١٩٩٥م ،جـ١ ، ص ١٥٤ .

(٤) القرافي : الذخيرة ، جـ ١ ، ص ٥٥ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٦ ص ٢٢٢ ، جـ ٧ص ٨٨ .

(٥) النيروز لفظ فارسي أصله بالفارسية من نيغ روز ، وتفسيره يوم جديد ، وهو أحد أعياد الفرس القديمة ، إعتاد المجوس على تقديم الهدايا والقربات لملوكهم فيه ، وقد درج الدهاقين على تقديم الهدايا فيه للعمال وللخلفاء في العصر الأموي ، وفي العصر العباسي ، وشارك بعض المسلمين في الاحتفال به ، ابن منظور: لسان العرب ،جـ ٦ ، ص ٤٣٩٢ ، الغنوجي : أبجد العلوم (الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم) ، حققه عبد الجبار زكار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨ م ، جـ ٢ ، ص ص ٥٣١ ، ٥٤٠ .

(٦) المهرجان . لفظ فارسي معرب بمعنى العيد ، وهو عيد لدى المج وس اتخذوه كما تقول بعض الروايات في اليوم الذي انتصر فيه الفرس على الكادايين واسروا ملكهم وكان يقدم فيه المجوس الهدايا لملوكهم ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ص ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ابن منظور لسان العرب ، جـ ٦ ،ص ٤٦٥٥ .

(٧) العسكري : كتاب الأوائل ، جـ ٦ ، ص ٢٧٩ ، ابن وادران : تاريخ العباسيين ، ص ٦٢١٢ ، نادية صقر : أساليب المواجهة السياسية للعباسيين ، ص ١٨ .

الفصل الخامس
دور العلماء في الجهاد

الفصل الخامس

دور العلماء في الجهاد

دور العلماء في الجهاد

١ ـ دور العلماء في بيان مفهوم الجهاد .

٢ ـ دور العلماء في بيان أهمية الجهاد .

٣ ـ دور العلماء في الحث على الجهاد .

٤ ـ دور العلماء في بيان أدأب ولوازم الجهاد .

٥ ـ رباط العلماء في الثغور .

٦ ـ خروج العلماء للجهاد واشتراكهم في المعارك .

مفهوم الجهاد :

الجهاد من جهد يجهد جهدا ، والجهد بفتح الجيم ، المشقة والمبالغة والغاية ، وبـضمها ،الوسع والطاقة [١] ، ومنه الجَهاد ، وهي الأرض الصلبة المستوية الغليظة الظاهرة التي لا نبـت بهـا [٢] ، ومنه الجهاد الذي نعنيه ، وهو مجاهدة العدو ومقاتلته ، فيكون الجهاد ، استفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل في مجاهدة الأعداء [٣] ، تارة بالمال وتارة بالنفس [٤] ، وأحيانا بهما معا .

وفهمه العلماء أنه إحدى سبل الدعوة إلى الإسلام ونشره بين الناس ، وقسّموه إلى أربعة أقـسام ، هي جهاد القلب ، وجهاد اللسان ، وجهاد اليد .

فجهاد القلب يتمثل في مغالبة الشيطان ، ومجاهدة النفس عن الميل مع الشهوات والمحرمات [٥] ، قال تعالى " وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المـأوى " [٦] ، وجهـاد اللسان هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر [٧] ، ومن ذلك ما أمر الله به مـن كـف أصـحاب المعاصي عن إتيان معاصيهم ، وأمرهم بإتيان الطاعات والقيام بالواجبـات ، والمطالبـة بإقامـة الحدود ، وإحياء السنن .

وجهاد السيف قتال المشركين على الدين ، فكل من أجهد نفسه في ذات الله فقد جاهـد في سبيله ،

---

(١) ابن منظور : لسان العرب ، جـ ١ ، ص ٧٠٨ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٧٠٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٧١٠ .

(٤) ابن قيم الجوزية : عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ، تحقيق محمد عثمان ، دار البيان للتراث ، القاهرة ، ط٣ ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م ، ص ص ٣١١ ، ٣١٢ .

(٥) الرازي . عيسى بن مسعود : مناقب سيدنا الإمام مالك ، المطبعة الخيريـة ، القـاهرة ، ط١ ، ١٣٢٥ هـ / ١٩١٧ م ، ص ٣٦٧ .

(٦) النازعات : الأيتان ٤٠ ، ٤١ .

(٧) الرازي : مناقب سيدنا الإمام مالك ، ص ص ٣٦٨ ، ٣٦٩ .

إلا أن الجهاد إذا أطلق قصد به مجاهدة الكفار بالسيف [١] ، إذا مثلوا عائقا يحول بين المسلمين وبين تبليغ دعوة الإسلام إلى الناس ، حتى يكون الدين كله لله ، قال تعالى " وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله " [٢] ، حتى إذا ما أزيلت هذه العوائق وضع الإسلام بين أيدي الناس وفق مبدأ لا إكراه في الدين ، ويؤيد ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم عند فتح مكة ، مفسرا ومبينا علة قتال المشركين ، حيث قال : " ويح قريش أهلكتهم الحرب ، ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب " [٣] ، فهو لم يحاربهم إلا لأنهم حالوا بينه وبين الناس .

فاستخدام السيف ليس للإكراه ، كما قال بعض المستشرقين [٤] ، ولكن ضد من يكرهون الناس ، ويحولون بينهم وبين الإسلام .

أهمية الجهاد :

تأتي أهمية الجهاد من كونه وسيلة لتبليغ المسلمين ما كلفوا به من دعوة الناس كافة إلى الإسلام، وبوصفه كذلك ضمان لسلامة المجتمع إزاء أعدائه المتربصين به ، إذ تؤكد خبرات التاريخ وعبره ، في الماضي والحاضر ، أن الذين لا يملكون إرادة الهجوم يفقدون القدرة على الدفاع ، وتسحقهم الإرادات الأقوى منهم ، وفي الأثر أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ما ترك قوم الجهاد

---

(١) الرازي : مناقب سيدنا الإمام مالك ، ص ٣٦٩ ..

(٢) الأنفال ، الآية : ٣٩ .

(٣) ابن هشام : السيرة النبوية ، جـ ٤ ، ص ٢٧٦ ، أحمد بن حنبل : مسند الإمام أحمد ، جـ ٤ ، ص ٣٢٣ ، الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٢ ، ص ١١٧ ، تفسير الطبري ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، جـ ٢٦ ، ص ١٠١ ، الطبراني : المعجم الكبير ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ، مكتبة العلوم والحكم ، الموصل ،ط٢ ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣ م ، جـ ٢٠ ، ص ١٥ .

(٤) يقول أر نولد في حديثه عن انتشار الإسلام بين الشعوب المسيحية : " أضف إلى ذلك ما أحرزته سيوف المسلمين من نجاح واسع النطاق منقطع النظير ، قد زعزع عقيدة الشعوب المسيحية التي أصبحت تحت حكمهم " ، ويؤيده في هذا المذهب عدد من المستشرقين ، منهم على سبيل المثال ، المستشرق اليهودي فلهوزن ،توماس ارنولد : الدعوة إلى الإسلام ، ص ٧٠ ، ٩٢ ، يوليوس فلهوزن : تاريخ الدولة العربية ، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م ، ص ١ .

إلا عمهم الله بعذابه " [١] ، وفي رواية إلا ذلوا .

لهذا كله نظر العلماء إلى الجهاد بوصفه خير الأعمال وأكثرها أهمية ، وأعظمها ثوابا عند الله ، لأنه ينطوي على بذل النفس والمال ، وهما قوام الحياة الدنيا ، ولذلك فإن الجهاد يكون "غاية الطاعـة لله تعالى " [٢] .

وقد بيّن العلماء في العصر العباسي الأول أهمية الجهاد بين الأعمال ، مستشهدين علـى ذلـك بالسنة النبوية ، فكان سفيان الثوري يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم : " لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية ، وإذا استنفرتم فانفروا " [٣] ، وقوله صلى الله عليه وسلم : " من جهّز غازيا أو خلفه في أهله أو فطر صائما فله مثل أجره ، من غير أن ينقص من أجره شيئا " [٤] .

بل إن العلماء كانوا يجودون بما لديهم من أموال ، هم في أمس الحاجة إليها ، لتجهيز ، ويـدعون الناس إلى ذلك ، فكان الأوزاعي ينفق ما يأتيه من إقطاع أعطاه إياه بنو أمية في تجهيز المجاهدين في سبيل الله [٥] ، وكان أبو عبيد يشتري بعطائه سلاحا وخيلا ثم يوجهه إلى الثغور [٦] .

ودأب ابن المبارك على بيان أهمية الجهاد ومكانته بين الأعمال ، وأنه أفضل من نوافـل الـصلاة والصوم وغيره ، وهو ما نلمحه في رسالته للفضيل بن عياض يدعوه فيها إلى الجهاد قائلا :

يا عابد الحرمين لو أبصرتنـا   لعـلمت أنك بالعبادة تلعـب

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الوسيط ، باب العين ، تحقيق طارق بن عوض الله الحسيني ، دار الحرمين ، القـاهرة ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م ، جـ ٤ ، ص ١٤٩ .

(٢) الرازي : مناقب سيدنا الإمام مالك ، ص ٣٦٩ .

(٣) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير، باب فضل الجهاد ، حـديث رقـم (٢٦٣١) ، جـ ٣ ، ص ١٠٢٥ ، ابن حزم : المحلى ، إدارة الطباعة المنيرية ، القاهرة ، د.ت ، جـ٧ ، ص ٢٩١ .

(٤) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير ، باب فضل من جهّز غازيا أو خلفه بخير ، حـديث رقـم (٢٦٨٨) ، جـ ٣ ، ص ١٠٤٥ .

(٥) ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١٠ ، ص ص ١١٧ ، ١١٨ .

(٦) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ١٠ ، ٤٩٥ .

من كان يخضب جيده بدموعه	فنحورنا بدمائنـا تتخضب
أو كان يتعب خيله في باطـل	فخيولنا يوم الصبيحة تتعب
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا	وهج السنابك والغبار الأطيب
ولقد أتانـا من مقـال نبينـا	قول صحيح صادق لا يكذب
لايستـوي وغبار خيل الله في	أنف امرئ ودخان نار تلهب
هذا كتـاب الله ينطـق بيننا	ليس الشهيد بميت لا يكذب [١] .

فما كان من الفضيل إلا أن أقر بأهمية الجهاد بين العبادات ، ويؤكد هذه النظرة الإمام أحمد بن حنبل عندما حلل المعتصم من ضربه يوم فتح عمّورية [٢] .

دور العلماء في الحث على الجهاد :

لعل من أهم الأدوار التي أسهم بها العلماء في الحياة السياسية في العصر العباسـي الأول ، هـو توجيههم الناس إلى الجهاد ، لنشر الدعوة ، والتمكين للدين ، مستعينين على ذلك بحشد من الأحاديـث النبوية ، التي تحبب الجهاد وتدعو إليه ، وتبين مكانة المجاهدين عند الله تعالى ، وما ينتظرهم عنـده تعالى من ثواب في الآخرة ، فكان الآوزاعي وابن لهيعة ومحمد بن أسلم [٣] ، يحببـون النـاس فـي الجهاد ، ويحثونهم عليه ، بما يرونه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن ذلك ما رووه

---

(١) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، جـ ٣٨ ، ص ص ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ٨ ، ص ص ٤١٢ ، ٤١٣ ، القصيبي : الإهتمام في مناصحة الإمام ، ص ص ١٥٣ ، ١٥٤ .

(٢) ابن الجوزي : مناقب الإمام أحمد بن حنبل ، ص ٣٠٢ ، صفة الصفوة ، جـ ٢ ، ص ٢٣٠ ، عمورية : مدينة كبيرة مشهورة في بلاد آسيا الصغرى ، فتحها المسلمون ، على نهر كبير يصب في الفرات ، وكان لها سور كبير منيع ، (وهي الآن بين سوريا وتركيا ، متنازع عليها ، وتسمى بلواء الإسكندرونة)، الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآ فاق ، جـ ٢ ، ص ٨٠٩ .

(٣) محمد بن أسلم بن سنان الطوسي ، يكنى بأبي الحسن ، من العلماء الزهاد ، كان يدعو إلى لزوم الجماعة ، أثنـى عليه معاصروه ، فقال سفيان بن عيينة : لم ار يوما واحدا له من الشمائل ما لمحمد بن أسلم ، قام بدورفي مواجهـة القائلين بخلق القرآن ، توفي سنة (٢٤٢ هـ / ٨٥٦ م) ، الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، جـ ١٣ ، ص ص ١٩٦ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤ .

أنه قال : " ثلاثة كلهم ضامن على الله عز وجل ، رجل خرج غازيا في سبيل الله فهو ضامن على الله حتى يتوفاه فيدخله الجنة أو يرده بما نال من أجر وغنيمة ، ورجل راح إلى المسجد فهو ضامن على الله يتوفاه فيدخله الجنة ، أو يرد بما نال من أجر وغنيمة ، ورجل دخل بيته بسلام ، فهـو ضـامن على الله عز وجل " [1] ، وروى عبد الرحمن بن مهدي عن رسول الله صـلى الله عليـه وسـلم" أن الشهيد يغفر له مع أول دفعة من دمه " [2] .

وزاد على ذلك إبراهيم بن أدهم حيث روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " شهيد البـر يغفر له كل ذنبه إلا الدين " [3] ، بل ان تغبير الأقـدام في سبيل الله يكون بثواب [4] ، وأن ذلك الغبار يكون برهانا لصاحبه يوم القيامة ، فيسفر وجهه [5] ، كما أنّ الملائكة تعجز عـن إحـصاء حـسنات المجاهد في سبيل الله ، لكثرتها ، فلا يحصيها إلا الله [6] .

وفي الوقت ذاته حذروا من التقاعس عن القتال ، لما فيه من ذل للأمة ومعصية الله تعالى ، فحدث

---

(١) رواه أبو داود في سننه ، كتـاب الجهـاد ، باب ركـوب البحـر والغـزو ، حـديث رقـم (٢٤٩٤) ، جـ ٣ ، ص٧ ، ابـن زنجـويه : كتـاب الأمـوال ، جـ ١ ، ص ص ٨٦ - ٨٧ ، ابـن أبـي عاصـم : الجـهاد ، تحقيـق مسـاعد بـن سلمـان الراشـد ، مكتبـة العلـوم والحكـم ، المدينـة المنورة ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م ، ص ٤ ، أبو نعيـم : حليـة الأوليـاء ، جـ ٩ ، ص ٢٦٢ ، التبريـزي : كتاب النصيحـة الراعيـة والرعية ، ص ٤٨ .

(٢) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد ، كتاب الجهاد ، باب ما جاء في الشهادة وفضلها ، جـ ٥ ، ص ، ٢٩٣ ، أبـو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٩ ، ص ص ٦٧ ، ٦٨ .

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية ، حديث رقم (١١٣٦٠) ، جـ ٨ ، ص ص ٥٣ ، ٥٤ .

(٤) روى عبد الله بن المبارك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ما اغبرتا قدما عبدٍ في سـبيل الله الا حـرّم الله عليهما النار " ، ابن ابي عاصم ، كتاب الجهاد ، جـ ١ ، ص ١١٣ .

(٥) روى سعيد بن عبد العزيز أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " الغبار في سبيل الله إسفار الوجـوه يـوم القيامة " ، أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٨ ، ص ٣٠٣ .

(٦) كان سفيان الثوري يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : " جميع أعمال بني آدم تحصره الملائكـة الكـرام الكاتبون ، إلا حسنات المجاهد في سبيل الله ، فإنّ الملائكة الذين خلقهم الله يعجزون عن علم إ حصاء حسنات أدناهم " ، أبو نعم : حلية الأولياء ، جـ ٧ ، ص ١٠٧ .

وهيب بن الورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من لم يغزولم يحدّث نفسه بالغزو مات على شعبة
من النفاق "[(١)]، وأكد ذلك شقيق البلخي[(٢)] حيث قال ، : " إعلم أنّ لك عدواً لا يقبل الله منك شيئاً إلا بمحاربته "[(٣)]، وكان عبد الرحمن بن مهــدي يستشهد بقول أبــي أيـــوب الأنــصاري[(٤)]، والمقداد[(٥)] : " أمرنا أن ننفر على كل حال ، تأولا لقول الله تعالى : " انفروا خفافا وثقالا "[(٦)] .

كما حث العلماء على الجهاد تحت لواء الدولة،مهما كان الناس لا يرضون عن الخليفة أو الوالي ، لأن مصلحة المسلمين في مواجهة عدوهم مقدمة على النظر في تقصير الولاة ،فقال مالك بن أنس : " لا بأس أن يجاهد الروم مع هؤلاء الولاة "[(٧)]، وعندما لامه بعض أقرانه على هـذه الفتيا ، قال : "

---

(١) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير ، باب ذم من مات ولم يغز ، حديث رقم (١٩١٠) ، جـ ٣ ، ص ١٥١٧ ، أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٨ ، ص ١٦٩ .

(٢) شقيق بن إبراهيم البلخي ، من أهل بلخ ، كان ذا مال واسع ، فتصدق به ، وتزهد في عيشه ، وانكب على طلب العلم ، وكانت ثروته ثلثمائة ألف درهم ، وصحب إبراهيم بن أدهم ، وقد أسند عن عدد من التابعين ، وتابعي التابعين الحديث ، ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، جـ ٤ ، ص ص ١٣٩ ، ١٤٠ .

(٣) أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٨ ، ص ٦٤ .

(٤) أبو أيوب الأنصاري . اسمه خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة ، النجاري الخزرجـي الأنـصاري ، أحـد كبـار الصحابة ، شهد بيعة العقبة ،و جميع المشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم ، ونزل النبي صلى الله عليـه وسـلم فـي ضيافته عندما قدم المدينة مهاجرا ، توفي غازيا في أرض الروم مع يزيد بن معاوية على تخوم القسطنطينية ، وقبـر عند آخر موضع وصله المسلمون هناك ، سنة (٥١ هـ / ٦٧١ م) ، ابن الأثير : أسد الغابة ، جـ ٦ ، ص ٢٥ .

(٥) المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة ، بن ثمامة بن مطرود بن عمر بن سـعد الحـضرمي ، عـرف بالمقداد بن الأسود ، من السابقين الأولين في الإسلام ، فقد هاجر إلى الحبشة ، ثم عاد إلى مكة ، شهد بـدر واحـد ، كما شهد فتح مصر ، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، توفي بالمدينة في خلافة عثمان بن عفان ، وعمره سبعين سنة ، ابن الأثير : أسد الغابة ، جـ ٥ ، ص ص ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ .

(٦) التوبة ، الآية : ٤١ ، أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٩ ، ص ٥٢

(٧) السيوطي : كتاب تزيين الممالك بمناقب الإمام مالك ، ص ٣٦٩ .

لأنه لو ترك هذا - يعني الجهاد مع الولاة - لكان ضررا على أهل الإسلام [1] ، وأكد ذلك أحمد ابن حنبل ، حيث قال : " الغزو ماض مع الأمراء البر والفاجر إلى يوم القيامة " [2] .

ولم تقتصر دعوة العلماء للجهاد على القادرين عليه ، بل تعدته إلى الغير قادرين على القتال ، إلى الجهاد بأموالهم ، وتجهيز من ينوب عنهم ممن لا يجد ما يعينه على الخروج للجهاد ، فكان سفيان الثوري يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من جهّز غازيا أو حاجا أو خلفه في أهله أو فطر صائما ، فله مثل أجره لا ينقص من أجره شيئا " [3] ، وحث عبد الرزاق الصنعاني[4] ، ويحيى بن سعيد [5] ، ومسعر بن كدام [6] ، على تجهيز المقاتلين ، و حسن خلافتهم في أهلهم .

وكان من أوجه الجهاد بالمال التي دعا إليها العلماء ، إعداد الجيوش بمستلزمات القتال ، التي كان أهمها حينذاك الخيول ، فبيّن العلماء أهميته مسترشدين بهدي السنة النبوية ، فحدّث الليث بن سعد ، و عبد الرحمن بن مهدي ، و عبد الله بن وهيب ، و سفيان بن عيينة ، وأبو إسحاق الفزاري ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله : " الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة [7] ، وحث سفيان الثوري ، وعبد الحمن بن مهدي الناس على اقتناء الخيل لغرض الجهاد ، لما في ذلك من أجر جزيل [8] .

---

(١) السيوطي : تزيين الممالك في مناقب الإمام مالك ، ص ٣٦٩ .

(٢) ابن الجوزي : مناقب الإمام أحمد بن حنبل ، ص ١٧٥ .

(٣) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الجهاد و السير ، باب فضل من جهّز غازيا ، حديث رقم (٢٦٨٨) ، جـ ٣ ، ١٠٤٥ ، أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٧ ، ص ١٠٧ .

(٤) ابن أبي عاصم : الجهاد ، جـ ١ ، ص ٩٦ .

(٥) أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٨ ، ص ٤٣٦ .

(٦) المصدر نفسه ، جـ ٧ ، ص ٣٠٣ .

(٧) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير ، باب الخيل معقود في نواصيها الخير ، حديث رقم (٢٦٩٤) ، جـ ٣ ، ص ١٠٤٧ ، ابن قتيبة : عيون الأخبار ، جـ ١ ، ص ٢٤٢ ، أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٧ ، ص ٢٨٧ ، ابن حجر : سيرة الإمامين الليثي والشافعي ، ص ٣٦ .

(٨) أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٧ ، ص ١٥٤ ، جـ ٩ ، ٤٨ .

وبلغ من اهتمام العلماء بالخيل أن صنف فيه بعضهم مصنفات ظل بعضها إلى اليوم ، مـن ذلـك كتاب الخيل لعمرو بن عمر [(١)] ، وكتاب السبق والرمي للشافعي [(٢)] .

وكان من أوجه اهتمام العلماء بالخيل ، وتشجيع الناس على اقتنائها كذلك فتيـا بعـض العلمـاء بإعفائها من الزكاة ، فقد روى سفيان بن عيينة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال: " لـيس في فرس الغازي في سبيل الله صدقة " [(٣)] .

حث العلماء خلفاء بني العباس على الجهاد :

في الوقت الذي حفز فيه العلماء الناس على الجهاد ، وبذل ما في وسعهم لتجهيـز المجاهـدين ، توجهوا كذلك إلى الخلفاء والولاة يدعونهم إلى القيام بدورهم في نشر الإسلام ، وإلـى الـذب عـن المسلمين ، ويحثونهم عليه .

فعندما غزا الروم بعض مدن وقرى المسلمين في أعالي الجزيرة ، ووقع في أيديهم آلاف الأسرى من المسلمين ، كتب الأوزاعي إلى أبي جعفر المنصور يستحثه على قتـالهم ، قـائلا : " إن سـائحة المشركين التي غلبت عام أول وموطئهم حريم المسلمين واستنزالهم العواتق والذراري مـن المعاقـل والحصون ، كان ذلك بذنوب العباد وما عفا الله أكثر ، وهم لا يلقون لهم ناصرا ولا عنهم مدافعا ، - ثم تلى قول الله تعالى - : " ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هده القرية الظالم أهلها ، واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنـا من لدنك

---

(١) ابن النديم : الفهرست ، ص ٣٩ ، عمرو بن عمر بن عبد ، يكنى بأبي عثمان ، أحد علماء الـشام الأثبـات ، روى الحديث عن عدد من الصحابة والتابعين ، ابن حبان : الثقات ، تحقيق السيد شرف الدين أحمد ، دار الفكـر ، بيروت ، ط١ ، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م ، جـ ٧ ، ص ٢٢١ ، ابن حجر : تعجيل المنفعة ، تحقيق إكرام الله إمداد الحق ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١ ، د.ت ، جـ ١ ، ٣١٣ .

(٢) البيهقي : مناقب الشافعي ، جـ ١ ، ص ص ٢٥٢ - ٢٥٣ .

(٣) أبو عبيد : كتاب الأموال ، ص ٤٤٢ ، رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ، كتاب الزكاة ، باب ما قالوا في زكاة الخيل ، حديث رقم (١٠١٤٤) ، تحقيق كمال يوسف الحوت ، مكتبة الرشيد ، الريـاض ، ط١ ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م ، جـ٢ ، ص ٣٨١

نصيرا " [1] .

ودأب أبو معاوية الضرير [2] على تحبيب الرشيد في الجهاد ، يروي له الأحاديث تارة ، وسـير السلف من الخلفاء تارة أخرى ، فحدثه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " وددت أني أقاتـل في سبيل الله فأقتل ثم أحيا ، ثم أقتل " [3] ، وقد أثرت هذه الكلمات في الرشيد فبكى وانتحب ، [4] ، وكان يوجهه إلى متابعة إرسال الجيوش للجهاد في سبيل الله [5] .

ولذلك عندما توقفت الصوائف والشواتي في عهد الواثق وفي بداية عهد المتوكل ، انتقد العلمـاء ذلك في سياسة الخليفتين ، لأن فيه تعطيلا للجهاد في سبيل الله ، وتمكينا لأعداء الأمة مـن الوثـوب عليها ، وقد عبّر عن ذلك أحمد بن حنبل عندما نهى بنيه عن أخذ عطاء المتوكل ، قائلا : " لم تأخذوه والثغور معطلة غير مشحونة " [6] .

وكان لهذه التوجيهات أثرها في توجيه كثير من خلفاء العصر العباسـي الأول إلـى متابعـة إعـداد الجيوش ، وتحصين الثغور،وشحنها بالجنود والسلاح ، ومتابعة إرسال الصوائف والشواتي ،إلى حدود الدولة الشمالية والشرقية ، فأعاد المنصور بناء مرعش[7] وحصّنهـا وشحنهـا بالجنـود[8] ، وفـادى

---

(١) النساء ، آية : ٧٥ ، الحنبلي : محاسن المساعي في مناقب الإمام أبي عمرو الأوزاعي ، ص ص ٤٦ ، ٤٧ .

(٢) أبو معاوية الضرير ، اسمه محمد بن خازم ، من موالي تميم ، أحـد العلماء الثقـاة ، أتهم با لإرجـاء ، و لذلك لم يشهد وكيع بعض العلماء جنازته ، مثل وكيع بن الجراح ، توفي بالكوفة ، سنة (١٩٥ هـ / ٨١١ م) ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ٦ ، ص ٣٩٢ .

(٣) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب الإمارة ، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله ، حديث رقـم (١٨٧٦) ، جـ ٣ ، ص ١٤٩٧ .

(٤) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٩ ، ص ٢٨٨ ، الأربلي : خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سيرة الملـوك ، ص ص ٧٩ ، ٨٠ .

(٥) الأربلي : خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سيرة الملوك ، ص ٨٠ .

(٦) ابن الجوزي : مناقب الإمام أحمد بن حنبل ، ص ص ٣٣٥ ، ٣٣٦ .

(٧) مَرعِش : مدينة ثغرية بين الشام وبلاد الروم (أسيا الصغرى) ، بناها مروان بن محمد ، واكمل بناءها الرشيد ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٥ ، ص ١٢٦ .

(٨) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٢٦٦ .

من بأيدي الروم من أسرى المسلمين [1] ، ولما استخلف المهدي زاد في تحصين الثغـور [2] ، وكـان الرشيد كثير الغزو [3] ، فكان يحج عاما ويغزو عاما [4] .

وكان ذلك دأب المأمون ، فغزى الروم عدة غزوات ، افتتح فيها المدن والحصون [6] ، حتى تـوفي غازيا في بلاد الروم سنة(٢١٨ هـ / ٨٢٢ م) [7] .

واتسم عهد المعتصم بكثرة المواجهات العسكرية مع الروم ، وزاد الإهتمام بالجهاد في عهده ، [8] فأثنى عليه العلماء والشعراء لذلك [9] .

٤ - دور العلماء في بيان آداب القتال ولوازمه :

دأب العلماء في العصر العباسي الأول ، سواء من خلال المواعظ والخطب أو من خلال مصاحبتهم للجيوش ، و من خلال جهودهم النظرية ، على توجيه المقاتلين إلـى التـزام آدا ب الإسـلام وقيمـه وأخلاقه عند مواجهتهم عدوهم .

فبداية كرهـوا تمني لقاء العدو ، وابتداءه بالعدوان ، ووجهـوا الجنود إلى السمع والطاعة للقائد ،

---

(١) الحنبلي : محاسن المساعي في سيرة الإمام أبي عمرو الأوزآعي ، ص ٤٧ .

(٢) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٢٦٦ .

(٣) الماوردي : نصيحة الملوك ، ص ص ١٠٣ ، ١٠٤ .

(٤) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٦ ، ص ص ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨ . الذهبي : العبـر في خبر من غبـر ، جـ ١ ، ص ٢٤٣ ، المقـريزي : الذهب المسبـوك في ذكـر من حـج مـن الخلفـاء الملـوك ، ص ٤٨ ، الأربـلي : خلاصة الذهب المسبـوك مختصـر من سيـرة الملوك ، ص ٨٠ .

(٦) الدينوري : الأخبار الطوال ، ص ٤٠١ ، ابـن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، جـ ٣٩ ، ص ٢٤٩ .

(٧) الدينوري : الأخبار الطوال ، ص ٤٠١ ، ابـن أعثم : كتاب الفتوح ، جـ ٨ ، ص ص ٣٣٩ ، ٣٤٠ .

(٨) الدينوري : الأخبار الطوال ، ص ٤٠٢ ، الطبـري : تـاريـخ الأمـم والملـوك ، جـ ٧ ، ص ص ٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٤١ ، ٢٦٣ ، ٢٧٦ .

(٩) الطبـري : تـاريـخ الأمـم و المـلوك ، جـ ٧ ، ص ٢٧٦ ، المـاوردي : نصيحـة الملـوك ، ص ص ٧٣ ، ٧٤ ، ابـن الجـوزي : منـاقـب الإمـام أحمـد بـن حنبـل ، ص ٣٠٢ ، شـاهيـن عطيـة : شرح ديـوان أبـي تمـام ، دار الكتـب العلميـة ، بيـروت ، ط٢ ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م ، ص ص ١٨ ، ١٩ .

وحذروهم من الفرار عند مواجهة العدو ، ومن قتل الضعفاء من نـساء وأطفـال وشـيوخ أهـل دار الحرب، وأن لا يحرقوا القرى والمدن ، وأن لا يتلفوا الزروع ، إلا إذا اضطروا إلى ذلك ، واقتضته ظروف المعركة ومتطلبات القتال ، كما وجهوا المقاتلين إلى الترفع عن طلب الغنيمة من القتال ، وأن ينزهوا الجهاد عن أغراض الدنيا ، ولم يروا بأسا من استخدام المناورات والحيل والخـدع العـسكرية للتمويه على العدو وتضليله أثناء الحرب .

أ - نهي العلماء عن البدء بالحرب (العدوان) :

لم تكن الحرب في الإسلام غاية بذاتها ، أو للعدوان والسيطرة والهيمنة والاستحواذ ، وإنما كانت لإيصال دعوة الإسلام (الرسالة المنوطة بالمسلمين) إلى الناس كافة ، ولـرد العـدوان عـن بـلاد المسلمين ، فحروب الإسلام ، قديما وحديثا لم تكن عدوانية .

كان العلماء ينهون الخلفاء وقادة الجيوش عن العدوان [1]، وعن مجرد تمني لقاء العدو ، وقد تكـرر هذا النهي على لسان عدد منهم ، أمثال الأوزاعي ، وأبي إسحاق الفزاري، وعبد الله بن أبي أوفـى [2]، وهم يحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا تمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية " [3] .

---

(١) ابن قتيبة : عيون الأخبار ،جـ ١ ، ص ١٨٦ .

(٢) عبد الله بن أبي أوفى الأسلمي ، يكنى بأبي إبراهيم ، من أواخر من بقي من الصحابة ، سكن الكوفة ، وقـد روى كثيرا من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ذا رأي يستشيره الأمراء ، دأب على التردد على الأسواق يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، فكان ينهى الصيارفة عن التعامل بالربا ، وعن غش العملة ، توفي بالكوفة ، سنة (٨٦ هـ / ٧٠٥ م) ، أبو نعيم : مسنـد أبي حنيفـة ، تحقيـق محمد الفـاريـابي ، مكتبـة الكوثـر ، الريـاض ، ط١ ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م ، جـ ١ ، ص ١٢٢ ، ابن منجويـه : رجال مسلم ، تحقيـق عبـد الله الليثـي ، دار المعرفة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م ، جـ١ ، ص ٣٤٣ ، الهيثمـي : مجمع الـزوائـد ، جـ ٤ ، ص ١١٨ .

(٣) رواه البخاري في صحيحة، كتاب الجهاد ، باب لا تمنوا لقاء العدو، حديث رقم (٢٨٦١) ، جـ ٣ص ١١٠١ ، ابن قتيبة : عيون الأخبار ، جـ ١ ، ص ١٨٥، : الحلال والحرام ، ص ص ١٣٣ - ١٣٤، أبو نعيم : حلية الأوليـاء ، جـ ٨ ، ص ٢٨٦ .

وليس معنى ذلك أن يجبنوا عن مواجهة عدوهم ، ويستسلموا ويخضعوا له ، فهم (العلمـاء) قـد عدوا ذلك من الكبائر ، إذ يروي هؤلاء العلماء أن النبي صلى الله عليه وسلم قـال : " فإذا لقيتم العدو فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف " (١) .

ولأن فرار بعض الجنود أمام العدو يؤدي إلى اضطراب الجيش وتضعضعه وبث روح الهزيمة فـي قلوب بقية الجيش ، وهو مع ذلـك يورث فاعله النار، لذلك نهى العلماء عنه ، وعدوه من الكبائر ، ما دام المقاتل يقاتل مثليه ، استنادا إلى قوله تعالى : " إن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله ، والله مـع الصابرين (٢) ، وهو ما ذهب إليه الشافعي (٣) ، وكان أبو إسحاق الفزاري يحـدث الجنـود لـدى توجههم إلى ميادين القتال بأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ينهاهم فيها عن الفرار من المعركـة ، ومن ذلك ما رواه عن ابن مغفل (٤) إذ قال : " بايعنا رسول الله على أن لا نفر ، ولم نبايعه على الموت " (٥) .

ب - طاعة القائد :

شدد العلماء في العصر العباسي الأول على أهمية طاعة الجنود لقائدهم ، والتـزام كـل مـا يأمرهم به ، لأنه ينظر للمسلمين ، ويختـار ما فيـه صلاحهم ، فكان أبو يوسف يقول : " لا تسري سرية إلا بإذن الإمام ، أو من يوليه على الجيش ، ولا يحمل رجل من عسكر المسلمين على رجل

(١) رواه أبو نعيم في الحلية ، حـديث رقم (٢٢٢١) ، جـ٢ ، ص ٢٨٦ ، الحـلال والحـرام ، ص ص ١٣٣ ، ١٣٤ .

(٢) الأنفال ، الآية : ٦٦ .

(٣) الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ٨٨ .

(٤) أبو مغفل . اسمه هبيب بن مغفل بن عمروالغفاري الأزدي الأنصاري ، صحابي ، روى حديث رسول الله صـلى الله عليه وسلم ، شهد فتح مصر وسكن بها ، وله بها واد بالقرب من الفيوم ، يعرف بهبيب ، نسبة إليه ، اعتزل فيـه الفتنة التي أدت إلى قتل عثمان ، لم أقف له على تاريخ وفاة ، ابن حجر : تعجيل المنفعـة ، جـ ١ ، ص ٤٢٩ ، السيوطي : تدريب الراوي ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ، مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض ، د.ط.ت ، جـ ٢ ، ص ٢٧٤ .

(٥) أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٨ ، ص ٢٩١ .

من المشركين ولا يبارزه إلا بأمر أمير الجيش " [1] .

كما أوصى العلماء - في المقابل - قادة الجيوش بإعـمال العقل إلـى جانـب القـوة لكـسب المعارك ، والظفر بأعدائهم بأقل الخسائر ، من استخدام الإستحكامات العسكرية ، وتقصي أخبار العدو لمعرفة نقاط القوة ومواطن الضعف فيه ، واستخدام الأدلاء في الأماكن الجديدة علـيهم ، واسـتخدام الحيل والخدع العسكرية ، للتعمية على العدو وتضليله ، حتى يسهل الظفر به والنصر عليه ، فكتـب أبو يوسف إلى الرشيد يوصيه باتخاذ نقاط التفتيش والمسالح الكمائن على الحدود مع العـدو حتـى لا ينفذ منها الجواسيس، وكل ما من شأنه أن يطلع العدو على أسرار المسلمين، و يكشف له عـوراتهم ، فيلحق الضرر بهم ، حيث قال : " وينبغي للإمام أن يكون له مسلحة على المواضع التي تنفذ إلى بلاد أهل الشرك من الطرق ، فيفتشون من مر بهم من التجار ، فمن كان معه سلاح أخذ منه ورد ، ومن كان معه رقيق رد ، ومن كان معه كتب قرئت كتبه ، فما كان من أخبار المسلمين قد كتب بـه أخـذ الذي أصيب معه الكتاب ، وبعث به إلى الإمام ليرى فيه رأيه " [2] ، وذكر العتبـي [3] أن أبـا بكـر الصديق كان يأمر قادة الجند باتخاذ الأدلاء لمعرفة أفضل الطرق وأكثرها أمنا ، [4] ، وكان مسعر بن كدام يشير على قادة الجيوش بإعمال الحيلة ، واستخدام الخدعة مع الأعداء ، ويـروي أنّ رسـول الله صلى الله عليه وسلم قال : " الحرب خدعة " [5] .

وحذر العلماء من الالتهاء بالغنائم في المعركة ، ترفعا ، وتنزها لما خرج من أجله من الجهاد ، لأنّ

---

(١) أبو يوسف : كتاب الخراج ، ص ٢١٥ .

(٢) أبو يوسف : كتاب الخراج ، ص ٢٠٦ .

(٣) هو محمد بن عبد الله بن عمر بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان ، يكنى بأبي عبد الـرحمن ، ويلقـب بالعتبي ، كان شاعرا فصيحا ، له مصنفات منها ، كتاب الخيل ، وكتاب غريب الأعاريب ، وأشعار النـساء اللائـي أحببن ثم أبغضن ، و كتاب الأخلاق ، توفي سنة (٢٢٨ هـ / ٨٤٣ م) ، ابن النديم : الفهرست ، ص ١٥٣ .

(٤) ابن قتيبة : عيون الأخبار ، جـ ١ ، ص ١٨٧ .

(٥) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الجهاد ، باب الحرب خدعة ، حديث رقم (٢٨٦٤) ، جـ ٣ ، ص ١١٠٢ ، أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٧ ، ص ٢٩٠ .

المجاهد سيصبح من المرتزقة ، والمتكسبين بالقتال ، لا من المجاهدين [١] ، فضلا عـن كونهـا مـن أسباب الهزيمة ، ولذلك فقد رأى بعضهم أمثال أبي حنيفة ، وأبي يوسف أن لا يُقـسم أميـر الجـيش الغنيمة بين الجنود حتى يخرج من أرض العدو إلى أرض الإسلام [٢] ، خصوصا وأنهم يعرفون جيدا ماذا حدث للمسلمين ، عندما طغى بريق المال على إشعاع الإيمان في قلوبهم ، فكانوا أهدافا سهلة لأعدائهم ، كما حدث في أحد [٣] ، وفي بلاط الشهداء [٤] .

وفي الوقت الذي وضع فيه العلماء في العصر العباسي الأول الضوابط التي تكفل للمسلمين تحقيق النصر على أعدائهم ، والتسيد عليهم ، وضعوا في الوقت ذاته ضـوابط أخـرى ألزموهـا المقـاتلين المسلمين إزاء أعدائهم .

اشترط العلماء بداية دعوة العدو إلى الإسلام ، لأنها غاية الحرب الهجومية فـي الإسـلام ، أو تخييرهم بين دفع الجزية والحرب ، فكان مالك بن أنس يأمر بالدعوة قبل القتال ، ولا يرى قتال المشركين حتى يدعو [٥] ، وهو ما استحسنه سفيان الثوري [٦] ، وعبّر عنه أبو يـوسف ، عندما استأنس الرشيد برأيه في قتال أهل الشرك ، أيدعون ؟ أم يقاتلون من غير دعوة ؟ فقال : " لم يقاتـل رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما قط فيما بلغني حتى يدعوهم إلى الله ورسوله ، ثم ذكـر حـديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إنا ندعوكم إلى الإسلام ، فإن أسلمتم فلكم ما لنا وعليـكم ما علينا ،

---

(١) أبو يعلى : الأحكام السلطانية ، ص ٤٦ ، أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٨ ، ص ٢٨٨ .

(٢) أبو يوسف: كتاب الخراج ، ص ص ٢١٢، ٢١٣، انظر محمد يوسف مرسي : أبو حنيفة ، ص ص١٦٣، ١٦٤ .

(٣) ابن هشام : السيرة النبوية ، جـ ٤ ، ص ص ١٢ ، ٢٦ .

(٤) من المواقع الفاصلة في التاريخ، وقد دارت جنوب فرنسا في بواتيه سـنة (١١٤هـ ـ/٧٣٢م)، بـين المـسلمين والفرنجة وقد حقق المسلمون في أولها بقيادة عبد الرحمن الغافقي نصرا على الفرنجة ، إلا أنهم التهوا بجمـع الغنـائم وبالدفاع عنها عن المعركة ، فخسروها وخسروا المعركة ، وقد قتل فيها من المسلمين عدد كبير، انظر محمد عبـد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ،١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م ، جـ١، ص ص ١٠٠،١٠١ .

(٥) السيوطي : كتاب تزيين الممالك بمناقب سيدنا الإمام مالك ، ص ٣٦٧ .

(٦) قلعجي : موسوعة فقه سفيان الثوري ، ص .٣١٥

فإن أبيتم فأعطوا الجزية عن يدٍ وأنتم صاغرون ، وإن أبيتم قاتلناكم " [١].

وكره العلماء قتل غير المحاربين من النساء والصبيان والشيوخ والمرضى والزمنى ، فنهى مالـك ابن أنس عن قتل النساء والصبيان والشيخ الكبير والرهبان المحبوسين في الصوامع [٢] ، ووافقه فـي ذلك الليث بن سعد ، الذي استشهد بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل النساء والـصبيان عندما وجد امرأة مقتولة في بعض مغازيه [٣] .

وكان سفيان الثوري لا يجيـز قتل من لا شـأن لـه بالحـرب ، ولا يقـدر عليه[٤] ، وكتـب أبو يوسف إلى الرشيد ينهاه عن قتل غير المقاتلين، مبينا له حرمة قتل النساء والأطفـال ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك ، فقال: " لا يقتل في الحرب النساء والأطفال ولا الشيخ الفاني " [٥] ، وأكد ذلك أبو إسحـاق الفزاري، فحدّث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنكر على بعض أصحابه في إحـدى غـزواته قتل النساء والأطفال قائلا:"ما بال أقوم جاوز بهم القتل حتى قتلوا الذرية ، ألا لا تقتـلوا الذريـة ألا لا تقتـلوا الذرية [٦]، بيانـا لخطـورة هذا الأمر ، وتأكيدا للنهي عنه .

كما نهى العلماء عن إخراب القرى و المدن ، وإتلاف الـزروع والأشجار في أرض العدو، إلا إذا كان في ذلك مصلحة عسكرية للمسلمين ، ونكاية بعدوهم، وما عدا ذلك فقد نهى العلماء عنه [٧] .

رباط العلماء في الثغور :

الرباط والمرابطة ، ملازمة ثغر العـدو ، والإقـامة على جهـاده ، وأصله من أنّ كل فريق من

(١) رواه الترمذي في سننه ، كتاب السير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، باب ما جاء في الدعوة قبل القتـال ، حديث رقم (١٥٤٨) ، جـ ٤ ، ص ١١٩ ، أبو يوسف: كتاب الخراج ، ص ٢٠٧ .

(٢) السيوطي : تزيين الممالك ، ص ٣٧٠ .

(٣) ابن حجر : سيرة الإمامين الليثي والشافعي ، ص ٣٥ .

(٤) المزني : مختصر المزني (بهامش الأم للشافعي) ، جـ ٦ ، ص ٢٤٤ .

(٥) رواه ابـن أبي شيبـة في مصنفه ، كتاب السيـر ، باب فيمـا يمتنـع بـه مـن القتـل ومـا هو وما يحقـن بـه الـدم ، حديث رقم (٣٣١٢٢) ، جـ ٦ ، ص ٤٨٣ ، أبو يوسف : كتاب الخراج ، ص ص ٢١١ ، ٢١٢ .

(٦) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد ، كتاب الجهاد ، باب ما نهي من قتله من النساء ، وغير ذلك ، جـ ٥ ، ص ٣١٥ ، أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٨ ، ص ٢٨٩ .

(٧) ابن الجوزي : مناقب الإمام أحمد بن حنبل ، ص ٢١٢ .

الفريقين يربط نفسه وخيله ، فصار لزوم الثغر رباطا ، [٢] ، قال تعالى : " يـا أيهـا الـذين آمنـوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون " [٣] ، فمعنى رابطوا ، واظبوا والزموا .

وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " رباط يوم وليلة خير مـن صـيام شـهر وقيامه " [٤] ، فأصبحت الإقامة في الثغر رباطا [٥] .

وقد أدى الهدوء النسبي لحركة الفتوحات الإسلامية في عهد الدولة العباسية ، واتباع الدولة سياسة المحافظة على ما قد تم فتحه في العهود السابقة ، مع القيام ببعض الحملات الروتينيـة (الـصوائف والشواتي) - إلى جانب انتهاز الدولة البيزنطية بعض أوقات الاضطرابات في الـدولـة الإسلامية للإغارة على حدودها الشمالية - إلى الإهتمام بتحصين حدود الدولـة ، خـصوصا الـشمالية ، مـع البيزنطيين، ببناء المدن الثغرية ، وإحاطتها بالخنادق والحصون والقلاع ، وشحنها بالمقاتلة والسلاح .

ففرض أبو العباس سنة (١٣٢ هـ / ٧٥٠ م) لأربعمائة رجل عزز بهم حامية المصيـصة [٦] ، سوى المطوعة [٧] ، وفي سنة (١٣٩ هـ / ٧٥٦ م) أمـر المنصـور بعمـران المصيصة بعدما

---

(١) ابن الجوزي : مناقب الإمام أحمد بن حنبل ، ص ٢١٢ .

(٢) ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٣ ، ص ١٥٦٠ .

(٣) آل عمران ، الآية : ٢٠٠ .

(٤) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير ، باب فضل الرباط في سبيل الله ، حديث رقم (١٩١٣) ، جـ ٣ ، ص ١٥٢٠ .

(٥) ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٣ ، ص ١٥٦١ .

(٦) المصيصة : مدينة على شاطئ نهر جيحان ، من ثغور الشام ، بين أنطاكيا وبلاد الروم (أسيا الصغرى) ، بجوار طرسوس ، وهي أهم قاعدة إسلامية في مواجهة الدولة البيزنطية ، يصفها (ياقوت) بأنها ذات بساتين وخـضرة ، وهي معروفة بصناعة الفرو ، وهناك مدينة أخرى تدعى بالمصيصة في الشام بجوار دمشق ، معجم البلدان ، جـ ٥ ، ص ١٦٩ .

(٧) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٢٢٧ ، المطوعة : هي في الأصل المتطوعة ، وهم الذين يـدخلون فـي جـيش المسلمين عند الغزو طواعية ، من غير أن يكونوا في ديوان الجند ، وهم في الغالب من العلماء الذين دأبوا على الجهاد ، ومن سكان البوادي والقرى و الأمصار ، الذين خرجوا في النفير ، وهؤلاء يعطون من الصدقات ، لأنهم ليسوا في الديوان ، الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ٣٩ ، ٤٠ ، ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٤ ، ص ٢٧٢٢ .

أخربها البيزنطيون ، وشجع السكن فيها ، وبنى فيها مسجدا ضخما ، وفرض فيها لألف رجل [١] ، فلما استخلف المهدي عززها بالمقاتلة ، ففرض فيها لألفي مقاتل ، سوى المتطوعة ، سـنة (١٦٥ هـ / ٧٨٢ م) [٢] ، وزاد الإهتمام بها في عهد المأمون [٣] .

كما بنيت أذنة [٤] سنة (١٤١ هـ / ٧٥٨ م) ، وزودت بجنود مـن خـرا سـان ومـن الشام [٥]، وأعاد بناءها الأمين ، سنة (١٩٤ هـ / ٨١٠ م) ، وندب إليها رجالا من خرا سان ، وزاد في أعطيا تهم [٦] .

أصبحت هذه المدن وأمثالها حاميات وأربطة تضم إلى جانب الجنود الكثير من المتطوعين ، سواء أمن العلماء أم ممن كانوا يتأثرون بهم ، سواء أفي مواعظهم وتوجيهاتهم أم من خلال اتخاذهم قدوة فيما يقومون به من رباط في الثغور ، بل أن البعض منهم كان يستقر في هذه الثغور استقرارا كاملا ، فيأتون بأسرهم ، مكونين الأربطة ، التي ظهرت فيما بعد ، وأصبحت مـدنا معروفـة ، وتجمعـات سكانية كبيرة .

إذ يتضافرعدد من الروايات التاريخية على أن عددا كبيرا من العلماء كانوا يرابطون في الثغور ،

---

(١) البلاذري : فتوح البلدان ،ص ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٢٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

(٤) أذنـة : إحـدى مدن الثغـور الشماليـة مع البيـزنطييـن ، قـرب المصيصة ، في (أسيا الصغرى) ، بنيت سنة (١٤١ هـ / ٧٥٨ م) ، في خلافـة أبي جعفـر المنصـور ، وشحنـت بجنـود من خرا سان ، وقـد تـولى بناءهـا صالح بن علي العباسي ، ثم أعـاد بناءهـا الرشيـد في خلافته ، سنة (١٩٣ هـ / ٨٠٩ م) ، وكانـت في كل مرة تتعرّض للتخريب ، جراء الهجمات البيزنطية ، يعيد المسلمون عمارتها ، ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ١ ، ص١٦١ .

(٥) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٢٣٠ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ص ٢٣٠ ، ٢٣١ .

فكان الأوزاعي دائما ما يغادر دمشق إلى بيروت [1] فيرابط فيها ، حتى أنه مات مرابطـا بأهلـه فيها [2] ، وكان عبد الله بن المبارك كثير التردد إلى الثغور [3] ، خصوصا ثغر طرسـوس [4] ، حتى أنّ الرباط استغرق جل وقته وأثر على إنتاجـه الفقهي [5] ، بل إنه مات بهيت [6] عائدا من الثغر ، سنة (١٨١ هـ / ٧٩٧ م) [7] ، وكان أبو إسحاق الفزاري يترك قصوره ويذهب إلـى الثغر للرباط [8] ، حتى توفي مرابطا في ثغر المصيصة ، سنة (١٨٥ هـ / ٨٠١ م) [9] ، وتوفي

---

(١) بيروت : مدينـة شهيـرة على ساحـل بحـر الـروم (البحـر المتوسـط) ، كانـت تـابعـة لإمـارة دمشق ، خـرج منهـا عـدد من العلمـاء ، لعـل أشهـرهم الأوزاعـي ، ظلـت مـع المسلميـن حتى سنـة (٥٠٣ هـ / ١١١٠ م) ، حيـث وقعـت في أيـدي الصليبيـن ، ثـم مـا لبـث أن استعـادها المسلمـون ، منهم ، على يـد صـلاح الديـن الأيـوبي سنـة (٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م) ، يـاقـوت : معجم البلـدان ، جـ ١ ، ص ٦٢٣ .

(٢) الحنبلي : محاسن المساعي في مناقب الأوزاعي ، ص ٢٩ ، ابن كثير : البداية والنهايـة ، جـ ١٠ ، ص ص ١١٨ ، ١٢٠ .

(٣) ابن الجوزي : صفة الصفوة ، جـ ٤ ، ص ١٣٠، الأربلي : خلاصة الذهب المسبوك مختصر سـيرة الملـوك ، ص ٩٢ .

(٤) ابن الجوزي : صفة الصفوة ، جـ ٤ ، ص ١٢٦ .

(٥) عبد المجيد المحتسب : عبد الله بن المبارك المروزي ، ص ١٣ .

(٦) هيت : بكسر الهاء ، بلدة على شاطئ الفرات ، سميت كذلك لأنها على هوة من الأرض ، والأصل فيها هَـوت ، وهي قريبة من بغداد ، ذات نخل كثير ، وخيرات وآفرة ، افتتحها سعد بن أبي وقاص في خلافة عمر بن الخطاب ، سنة (١٦ هـ / ٦٣٧ م) ، وفيها توفي عبد الله بن المبارك ، وبها دفن ، ياقوت : معجم البلـدان ، جـ ٥ ، ص ٤٨٢ ، ٤٨٣ .

(٧) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٨ ، ص ص ٤١٨ ، ٤١٩ .

(٨) أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٨ ، ص ٢٧٨ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٨ ، ص ص ٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٥٤١ .

(٩) الـذهـبي : سيـر أعـلام النبـلاء ، جـ ٨ ، ص ٥٤١ ، العبـر في خبـر من غبر جـ ١ ، ص ٢٢٤ .

عيسى بن يونس [1] بثغر الحدث [2] مرابطاً ، سنة (١٩١ هـ / ٨٠٧ م) [3] ، ورابط مُجالد بن الحسين [4] بثغر المصيصة ، ومات بها ، سنة (١٩١ هـ / ٨٠٧) [5] ، ودأب إبن السماك علـى الخروج إلى الثغور ، يرابط فيها ثم يعود إلى بغداد [6] ، ورابط غير هؤلاء كثير من العلماء ، أمثال أحمد بن حنبل [7] ، وآخرين [8] .

(١) عيسى بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي ، أحد تابعي التابعين في الكوفة ، ومن علمائها في الحديث ، فقـد رواه عن كبار العلماء ، أمثال أبيه أبو إسحاق السبيعي ، وسفيان الثوري ، وشعبة بن الحجاج ، وروى عنه ابن المديني ، وابن معين ، وغيرهما ، توفي سنة (١٨١ هـ / ٧٩٧ م) ، السيوطي : طبقات الحفاظ ، جـ ١ ، ص ١٢٤ .

(٢) الحدث : قلعة حصينة بين مالطية وسميساط ، ومرعش ، على ثغر الروم ، ويقال لها الحمـراء ، لان تربهـا حمراء ، فتحت قلعة الحدث في عهد عمر بن الخطاب ، على يد حبيب بن مسلمة الفهري ، من قِبَلْ عياض بن غـنم ، تعهدها الأمويون بالعمارة التحصين ، وكانوا يسمونها درب الحدث ، إلا أنّ الروم استعادوها لدى الفتنة التـي أعقبـت سقوط الدولة الأموية ، فاستعادها المسلمون من جديد في خلافة المهدي ، سنة (١٦١ هـ / ٧٧٨ م) ، بقيادة الحسن بن قحطبة ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ٢٦٣ .

(٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ٧ ، ص ٤٨٨ ، أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٦ ، ٤٢١ ، ابن الجـوزي : صفة الصفوة ، جـ ٤ ، ص ص ٢١٨ ، ٢١٩ .

(٤) مجالد بن الحسين : أحد علماء المغرب ، عرف بالورع والمروءة ، قدم على الرشيد بغداد فوعضه ، وحدّث بها ، لم أقف له على تاريخ وفاة ، أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٨ ، ص ص ٢٩٣ ، ٢٩٤ .

(٥) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ٧ ، ص ٤٨٩ .

(٦) أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٨ ، ص ٢٢٦ .

(٧) أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ١٠ ، ص ١٣٠، ابن الجوزي : مناقب الإمام أحمـد بن حنبل ، ص ٢١٢.

(٨) وكان إلى جانب هؤلاء عدد آخر من العلماء دأبوا على المرابطة في الثغور ، أمثال معاوية بـن الحـارث بـن أسماء بن خارجة الفزاري ، توفي سنة (١٩٣ هـ / ٨٠٩ م) ، وعلي بن بكار البصري ، توفي سنة (١٩٩ هـ / ٨١٥ م) ، ومحمد بن يوسف الأصبهاني ، و منصور بن سلمة ، توفي سنة (٢١٠ هـ / ٨٢٥ م) ، ومحمد بن كثير الصنعاني ، توفي سنة (٢١٦ هـ / ٨٣١ م) ، ومحمد بن سليمان ، توفي (٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م) ، وإبـراهيم بـن سعيد الجوهري توفي سنة (٢٥٣ هـ / ٨٦٧ م) ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ٧ ، ص ص ٣٢٩ ، ٣٤٥ ، ٤٨٩ ، أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٨ ، ص ٢٥٠ ، الخطيب : تاريخ بغـداد ، جـ ٥ ، ص ٢٩٥، جـ ٦ ، ص

ولم يتوقف دور هؤلاء العلماء عند رباط انفسهم في الثغور ، بل تعداه إلى دفع غيرهم من الناس إلى الخروج والرباط في الثغور ، مبينين أهمية و فضل ذلك ، فحبب مالك الرباط ، وأجاز أن يرابط المرء بأهله [١] ، وحث سفيان الثوري الناس على ضرورة حماية الثغور بالرباط ، فحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " عينان لا تريان النار ، عين بكت من خشية الله وعين باتت تكلاء (تسهر) في سبيل الله " [٢] ، وظل عبد الله بن المبارك يدعو الناس إلى لزوم الثغور ، خصوصا العلماء منهم ، قائلا :

أيها الناسك الذي لبس الصوف	وأضحى يعد من العباد
إلزم الثغر والتعبد فيه	ليس بغداد مسكن الزهاد [٣]

وعندما سئل أحمد بن حنبل عن جدوى الخروج للرباط ، قال حاضا عليه : " بادر بادر " [٤] ، ولمّا سئل عبد الرحمن بن القاسم [٥] عن خير ما يفعله المرء في زمانه ؟ قال " الرباط في الثغر " [٦] .

وهكذا فقد زاد المرابطون في الثغور ، استجابة لدعوات العلماء ، وأصبحت الثغور ، إلى جانب دورها العسكري ، تمثل مدارس للعلوم الإسلامية ، ومراكز ثقافية ، فتركز علماء الحديث في ثغور الروم وأرمينية ، وعجت ثغور بلاد الترك بالمرابطين من أصحاب الرأي ، إلى جانب بعض

=ص ٩٣ ، ٩٥ ، ابن الجوزي : صفة الصفوة ، جـ ٤ ، ص ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ،جـ٧، ص ١٠٧ ، جـ ٩ ، ص ٥٨٥ ، جـ ١٠ ، ص ٣٨١ .

(١) السيوطي : كتاب تزيين الممالك ، ص ص ٣٦٢ ، ٣٧٠ .

(٢) رواه البخاري في تاريخه ، كتاب الجهاد والسير ، باب شبيب ، حديث رقم (٢٦٢٤) ، جـ ٤ ، ص٢٣١ ، أبو نعيم : حلية الأولياء ،جـ ٧ ، ص ص ١٣٢ ، ١٦٣ .

(٣) الخطيب : تاريخ بغداد ، جـ ١ ، ص ص ٦ ، ٢١ .

(٤) ابن الجوزي : مناقب الإمام أحمد بن حنبل ، ص ١٨٩ .

(٥) عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة العُتقي ، يكنى بابي عبد الله ، فقيه مصر وأحد أكبر تلاميذ الإمام مالك ، من الموالي ، أثنى عليه مالك فوصفه بالفقيه ، كان لا يأتي الولاة ، ولا يقبل جوائزهم ، توفي سنة (١٩١ هـ / ٨٠٧ م) ، الذهبي : تاريخ الإسلام ، جـ١٣ ، ص ص ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ .

(٦) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٩ ، ص ١٢٢ .

أهل الحديث [1] .

ومما يؤكد زيادة الإهتمام بالأربطة أن الدولة كانت تخصص شخصا على الثغور يدعى صاحب الرباط [2] ، ويؤيد ذلك أيضا ، أن هذه الأربطة اكتسبت بعد ذلك ، ومع مرور الوقت ، إلى جانب أهميتها العسكرية ، والعلمية ، أهمية سياسة ، فشهد العصر العباسي ظهور أول دولة للمرابطين ، لم تخرج عن غاية الرباط ، إذ قامت بمواجهة التهديدات المتنامية للقوى المحيطة بالدولة الإسلامية ، وقامت فيما بعد بأدوار مهمة في تاريخ العلاقات الإسلامية الأوربية .

خروج العلماء للجهاد :

لم يتوقف دور العلماء ، عند حث الناس على القتال ، تأليفا ووعظا ، أو رباطهم في الثغور ، وإنما تعداه إلى الإشتراك بأنفسهم في الحروب ، يخوضون المعارك إلى جانب الجنود ، فقد شهد العصر العباسي الأول دوراً كبيرا للعلماء في ميادين الجهاد ، فخرج عبد الله بن لهيعة في جيش صالح بن علي ، سنة (١٣٨ هـ / ٧٥٥ م) إلى سواحل الشام لمواجهة الروم [3] ، وغزا غوث بن سليمان [4] صائفة سنة (١٤٤ هـ / ٧٦١ م) ، مع صالح بن علي [5]،

---

(١) الأسفرايني : التبصرة في الدين وتمييز الفرقة من الفرقة الهالكة ، تحقيق محمد بن زاهد الكوثري ، مطبعة الأنوار ، القاهرة ، ط١ ، (١٣٥٩ هـ / ١٩٤٠ م) ، ص ١٢١ ، المزي : تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، جـ ٢٤ ، ص ٢٦٨ .

(٢) الخطيب : تاريخ بغداد ، جـ ٤ ، ص ١٦٦ .

(٣) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ، جـ ٣٨ ، ص ص ٣٣ ، ٣٤ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٨ ، ص ١٩ .

(٤) غوث بن سليمان الحضرمي ، قاضي مصر، توفي في خلافة المهدي ، ابن سعد :الطبقات الكبرى،جـ ٧، ص ٥١٧ .

(٥) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ٢٤١ .

وشارك مطر الوراق [١] في غزو بلاد الروم [٢] مع العباس بن محمد [٣] في صائفة سنة (١٤٩ هـ / ٧٦٦ م) [٤] ، وكان كل من السري السقطي [٥] ، وعلي بن بكار [٦] ، وأبو معاوية الأسود [٧] ، و الربيع بن صبيح [٨]، يشاركون إلى جانب الجنود في الغزوات .

وكان عبد الله بن المبارك ، إلى جانب تحريضه على الجهاد ، كثير المشاركة فيه ، فقد أجهد نفسه وماله فيه ، فكان طرفا في جل المواجهات العسكرية مع الروم ، يؤكد ذلك حشد كبير من الروايات التاريخية [٩] ، وشارك إبراهيم بن أدهم في عدد من المعارك البحرية ضد الروم ، حتى أنه توفي

---

(١) مطر الوراق ، أحد كبار العلماء ، سخر حياته للعلم ، وأثنى عليه معاصروه من العلماء ،لذلك ، روى كثيرا من حديث النبي صلى الله عليه وسلم ، أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٣ ، ص ص ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٢ .

(٢) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٢٦٠ .

(٣) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٤ ، ص ص ٣٩٠ ، ٣٩٣ ، ٤٠٠ ، ٤٩٤ ، الخطيب : تاريخ بغداد ، جـ ٨ ، ص ٢٣ .

(٤) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٢٦٠ ، ابن الجوزي : المنتظم ، جـ ٨ ، ص ١١٦ .

(٥) الحنبلي : أحاسن المحاسن ، ص ٢١٧ .

(٦) أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٩ ، ص ٣٣١ ، علي بن بكار البصري ، أحد تابعي التابعين في البصرة ، إلا أنه تركها واستقر ، مرابطا بالمصيصة ، كان من العُباد الزهاد ، ولذلك كان كثيرا ما يعتزل الناس وينقطع للعبادة ، توفي بالمصيصة ، سنة (١٩٩هـ/٨١٥م) ، ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، جـ ٤ ، ص ص ٢٣ ، ٢٤ .

(٧) أبو نعيم: حلية الأولياء ، جـ٨، ص٢٩٩ ، أبو معاوية الأسود، اسمه اليمان ، نزل طر سوس مرابطا واستقر بها، من العلماء الزهّاد والمتعبدين ، ذهب بصره في آخر حياته ، ابن الجوزي : صفة الصفوة ، جـ ٤، ص ص ٢٢٧، ٢٢٨ .

(٨) الذهبي : العبر في خبر من غبر ، جـ ١ ، ص ١٧٩ .

(٩) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ٧ ، ص ٣٧٢ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، جـ ٣٨ ، ص ٣٥٣ ، ابن الجوزي : صفة الصفوة ، جـ ٤ ، ص ص ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٨ ، ص ٣٨٥ ، ٣٩٤ ، القصيبي : الإهتمام في مناصحة الإمام ، ص ص ١٥٠ ، ٢٩٨ ، انظر كذلك عبد المجيد المحتسب : عبد الله بن المبارك المروزي ، ص ١٤ .

في إحداها ببلاد الروم ، سنة (١٦١ هـ / ٧٧٨ م) [١] ، وتصف المصادر أبو إسـحاق الفـزاري بأنه كان صاحب غزو ، وقد توفي غازيا بالمصيصة ، سنة (١٨٨ هـ / ٨٠٤ م) [٢] .

كما تؤكد المصادر التاريخية مشاركة عدد كبير من العلماء في الغزو، أمثال ذي النون المـصري [٣] والحسين بن الوليد النيسابوري [٤] ، والفيض بن إسحاق [٥] ، وأحمد بن حنبل [٦] ، بل إن من بين هؤلاء العلماء من وصـل إلى قيادة الجيـوش ، وافتتـاح البلـدان ، فهـذا أسد بن الفـرات ، فقيه أفريقية ، قاد جيشا إفتتح صقلية [٧] ، ثم ظل يفتح الفتوح ويحاصر المـدن حتى فاضت روحه وهـو يحاصر سرقوسية [٨] سنة (٢١٣هـ / ٨٢٨ م) [٩] .

---

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ ٧ ، ص ٣٧٢ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٨ ، ص ص ٤١٨ ، ٤١٩ .

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ٧ ، ص ٤٨٨ .

(٣) ابن المُلقن : طبقات الأولياء ، ص ٢٢٦ .

(٤) الذهبي : العبر في خبر من غبر ، جـ ١ ، ص ٢٦٥ ، الحسن بن الوليد النيسابوري ، يكنى بأبي علـي ، أحـد الفقهاء ، أخذ عن أبن جريج وشعبة ، والثوري ، كان جوادا ورعا ثقة ، مأمونا ، كثير الغزو ، فقد غزا بلاد التـرك عدة مرات ، توفي سنة (٢٠٢ هـ / ٨١٨ م) ، الذهبي : تاريخ الإسلام ، جـ ١٤ ، ص ص ١١٣ ،١١٤ .

(٥) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ٧ ، ص ٢٨٦ ، الفيض بن إسحاق الرقي ، يكنى بأبي يزيد ، خادم الفضيل بن عياض ، أخذ عن الفضيل العلم ،وأخذه عنه عدد من العلماء ، الذهبي : تاريخ الإسلام ، جـ ١٥ ، ص ٣٤٩ .

(٦) ابن الجوزي : صفة الصفوة ، جـ ٢ ، ص ٢٢٣ .

(٧) الشيرازي : طبقات الفقهاء ، ص ص ١٥٥ ، ١٥٦ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ١٠ ، ص ٢٢٨ .

(٨) سَرَقوسية : بفتح أوله وثانيه أكبر مدن جزيرة صقلية ، كان بها سرير ملك الروم ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٣ ، ص ٢٤٢ .

(٩) الشيرازي : طبقات الفقهاء ، ص ١٥٦ ، مالك حياته وعصره ... ، ص٢١٢ ، البدري : الإسلام بين العلماء والحكام ، ص ١٧٧ .

وهكذا فقد كان للعلماء في العصر العباسي الأول دور كبير في حركة الجهاد ، وعظا وتأليفا ، دفعـا وتوجيها ، رباطا ، وغزوا .

الفصل السادس
دور العلماء في الحياة الاقتصادية في العصر العباسي الأول

دور العلماء في الحياة الاقتصادية في العصر العباسي الأول .

١ -نظرة العلماء إلى المال:

أ- تعريف المال.

ب- المال لله.

جـ- أهمية المال.

د- المال بلاء و فتنة.

٢ - موقف العلماء من الموارد و المصارف في العصر العباسي الأول :

أولا : موقف العلماء من موارد الدولة في العصر العباسي الأول:

أ- الزكاة.

ب-الجزية.

جـ- الخراج.

د- العشور.

هـ- المصادرات:

* مصادرة أموال بني أمية.

* مصادرة أموال الوزراء والكتاب.

ثانيا: موقف العلماء من أساليب جباية المال.

ثالثا: موقف العلماء من مصارف المال في العصر العباسي الأول .

أ- العطاء .

ب - نفقات الخلفاء الشخصية.

جـ -هبات الخلفاء .

د - الإقطاع.

هـ- الإنفاق على المرافق العامة .

٣- جهود العلماء في تنمية الحياة الاقتصادية وتطويرها:

أ- إبراز العلماء قيمة العمل بالنسبة لرخاء الأمة .

ب- ممارسة العلماء للأنشطة الاقتصادية .

ج- عمل العلماء في الوظائف المالية للدولة .

د- تحذير العلماء الناس من التعاملات الاقتصادية المحرمة :

*- الربا .

*- البيوت المحرمة : الغرر ، بيع الثمر قبل بدو(صلاحه) أوانه ، النجَش ، المزابنة .

هـ - دور العلماء في بيان أهمية العملة ، وفي النهي عن العبث بها .

- * نظرة العلماء إلى المال :

أ- تعريف المال :

المال من مصدر مول ، وهو ما ملكته من جميع الأشياء ، وجمعة أموال ، قال ابن الأثير : " المال في الأصل ما يُملك من الذهب والفضة ، ثم أطلق على كل ما يقتنى ويملك من الأعيان " [١] ، وهـو يختلف في مفهومه وفق نوع النشاط الاقتصادي ، فأكثر ما يطلق المال عند العرب على الإبل ، لأنهـا كانت أكثر واحب أموالهم إليهم، وأكثر ما يطلق المال لدى الفلاحين على الأرض ، ولدى التجار عل البضائع ، ولدى الناس كافة على ما يملكون من عروض ونقود .

والمال في اصطلاح الفقهاء قريب منه عند أهل اللغة ، ومع اختلاف عباراتهم في تعريفه ، إلا أنها تتفق في جوهرها ومرادها ، فعرفه الفقهاء بأنه ما يميل إليه الطبع ويمكن حيازته وإحـ ـرازه والانتفاع به [٢] .

ب- أن المال لله :

اتفقت نظرة العلماء في العصر العباسي الأول للمال مع النظرة الإسلامية إليه ، والتي تقوم على أن الكون كله بما فيه الله ، لأنه تعالى خالقه وموجده والمتصرف فيه وفق إرادته سبحانه وتعالى ، ولأن الخالق للشيء هو المالك له ، ولأنه تعالى نص على ملكيته للكون في قوله تعالى : " لله ما في السموات وما في الأرض" [٣]، كما دل على ذلك في قوله عز وجل : " وآتوهم من مال الله الذي آتاكم " [٤] ، وفي غير موضع من القرآن الكريم .

---

(١) ابن منظور: لسان العرب جـ ٦ ، ص ٤٣٠٠ ، أنظر أبو زهرة : الملكية ونظرية العقـد ،دار الفكـر العربـي ، القاهرة ،١٤١٦ هـ / ١٩٩٦م ص ٤٧ ، الشرباصي: المعجم الاقتصادي الإسلامي ص ٤٤٨ ، رفيق يونس المصري :أصول الاقتصاد الإسلامي ، دارالقلم ، دمشق ، الدارالشامية ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣ م ، ص ٣٦ .

(٢) أبو زهرة الملكية ونظرية العقد ، ص ٤٧ ، المغربي : المال والملكية في الشريعة الإسلامية ، المكتبة الحديثة ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م ، ص ١٢ .

(٣) المائدة ، الآية : ١٢٠.

(٤) النور ، الآية : ٢٢ .

وفي العصر العباسي الأول كان العلماء ينظرون إلى المال وفق هذا المفهوم ، وهو ما نلمحه فيما قاله إبراهيم بن أدهم لأحد معاصريه عندما جَزِعَ لهلاك ما له : " يا عبد الله إن المال لله " [١] .

وعلى ذلك ، فالمال في الإسلام لله تعالى ، وإنما الإنسان مستخلف فيه ، قال تعالى : " وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه " [٢] ، وملكية الإنسان للمال هي ملكية انتفاع ناتجة عن الكسب المشروع ، قال عز وجل : " للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن "[٣].

ولم يترك الإسلام الإنسان عند حدود الكسب الحلال ، بل طالبه بحسن إدارة المال ، واستصلاحه وتنميته بما يعود بالنفع عليه وعلى المجتمع بوصفه طاقة يستوجب استغلالها ، قال صلى الله عليه وسلم : " لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، وعن علمه ماذا عمل به ". [٤]

جـ - أهمية المال :

ينظر الإسلام إلى المال لا في ذاته ، ولكن في منفعته ، وعليه فهو ليس غاية في ذاته ، لكنه وسيلة لغايـات ومنـافع يحتـاج إليهـا المسلم ويستهدفها في حياته الدنيوية والأخروية ، وهو ما عبر عنه ابن القيم [٥] في قوله : " وقد جعل الله المال سببا لحفظ البدن ، وحفظه سببا لحفظ النفس التي هي محل معرفة الله والإيمان به وتصديق رسله ، وهو قوام العبادات والطاعات ، فبه قام سوق الحج ، والجهاد ، وبه حصل الإنفاق الواجب والمستحب ، وبه حصلت قـربات العتق والوقف وبناء المساجد والقناطر ، وبه يتوصل إلى النكاح الذي تحصل به العفة ، وعليه قام سوق المروءة ، وبه ظهرت صفة الجود والسخاء ، وبه وُقِيَت الأعراض ، واكتسب الإخوان والأصدقاء ، وبه توصل الأبرار إلى الدرجات العلى ، فقد كان بعض السلف يقول ، لا مجد إلا بفِعَال ، ولا فِعَال إلا بمال ".

---

(١) أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٨ ، ص ٣٣ .

(٢) الحديد ، الآية : ٧ .

(٣) النساء ، الآية ٣٢ .

(٤) رواه الترمذي في سننه ، كتاب صفة يوم القيامة ، باب يوم القيامة ، رقم ٢٤١٦، جـ ٤ ، ص ٦١٢ .

(٥) ابن القيم : عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ، ص ص ٣١٠ ، ٣١١ .

وفي العصر العباسي الأول ، ورغم غلبة هموم الآخرة على حياة العلماء وانشغال الكثير منهم بطلب العلم والبحث فيه ، إلا أنهم اهتموا كذلك بالمال ، اكتسابا وتنمية ، وبينوا لمعاصريهم أهميته سواء من خلال جهودهم النظرية أم من ممارستهم العملية ، فعدوا المال قوام الدين والدنيا ، فكان سفيان الثوري يكتسب المال ويقول : " المال في هذا الزمان سلاح المؤمن " [1] ، وعندما سئل عن مسألة وهو يشتري شيئا قال لسائله : " دعني فإن قلبي عند درهمي " [2] بل إنه خلّف عند موته مالا ليعف به أهله عما في أيدي الناس[3] ، وحزن عبد الله بن المبارك على بضاعة له ذهبت ، وعندما عوتب على ذلك ، قال :" إنما هو(المال) قوام ديني " [4] ، وكان يردد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : " نعم المال الصالح للرجل الصالح [5] "، وكان شعبة بن حجاج يدعو معاصريه إلى اكتساب المال وتنميته ، لما له من أهمية في حياة المسلم ، فروى أن قيس بن عاصم [6] أوصى بنيه باكتساب المال وحسن إدارته ،قائلا : " عليكم بالمال واصطناعه فإنه منبهة للكريم ويستغنى به عن اللئيم ،وإياكم ومسألة الناس فإنها آخر (أخس) كسب الرجل ".[7]

---

(١) ابن الجوزي : تلبيس إبليس ، ص ١٦٣ .

(٢) الذهبي : سير اعلام النبلاء ، جـ ٧ ، ص ٢٤١.

(٣) ابن الجوزي : تلبيس إبليس ص ١٦٣ .

(٤) ابن حبان : كتاب روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ، ص ٢٠٢ .

(٥) رواه ابن حبان في صحيحه ، كتاب الزكاة ، باب جمع المال من حله وما يتعلق به ، حديث رقم (٣٢١٠) ، حققه شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٢ ، ١٤١٤ / ١٩٩٣ م ، جـ ٨ ، ص٦ ، ابن حبان : كتاب روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ، ص ٢٠٠ .

(٦) قيس بن عاصم المنقري التيميمي ، يكنى بأبي علي ، صحابي ، وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة(٩هـ/ ٦٣٠م) مسلما ، وكان شريفا عاقلا حليما جوادا ، روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أحاديثه ، عرف بالحلم فكان الأحنف بن قيس يقول : كنا نختلف إلى قيس بن عاصم نتعلم منه الحلم كما نختلف إلى العلماء ، استقر في آخر حياته بالبصرة ، لم أقف له على تاريخ وفاة ، البيهقي : شعب الإيمان حققه محمد السعيد بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٠ / ١٩٩٠ م ، جـ ٦ ، ص ٣٥٨ ، الذهبي : الكاشف ، جـ ٢ ، ص ١٤٠ .

(٧) ابن حبان : كتاب روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ، ص ٢٠١ .

ومع ذلك فقد حذَّر العلماء من أن يتجاوز المسلم في نظرته إلى المال حد المنفعة ، إلى اكتساب المال للمال ذاته ، لأن هذه النظرة تنطوي على عدم فهم لأهمية المال وما هيته ، ولأنها بذلك تعد انحرافا عن المنهج الاقتصادي الإسلامي الذي ينظر إلى المال بوصفه وسيلة لا غاية ، ولأنه يترتب عليه أن يتحول المال من نعمة مسخرة للإنسان إلى نقمة، يلهي الإنسان عن دورة في الحياة ، ويتحول الإنسان ضمن هذه النظرة من سيد لهذا المال إلى عبد له .

لذلك حصر الإسلام قيمة المال في منفعته ، وقد عبر عن هذه النظـرة ابن عباس عندمـا نظر إلى درهـم بيد رجـل ، فقـال لـه : " إنه ليس لك حتى يخرج من يدك "(١) أي حتى تنفقه وتنتفع به ، وعندما سئل سفيان بن عيينه عن علة حبه الدنانير ، قال " إنها تنفعني" (٢) فحدد أهميتها في منفعتها وليس في الدنانير ذاتها ، ويعاضد ذلك ما رواه عبد الله بن المبارك وإسماعيل ابن عياش عن أبى الدرداء الذي بين أن ليس للإنسان من ماله إلا ما انتفع به ، وأن فضول الأموال لا تتحقق فيها صفة المنفعة ، بل هي عبء على صاحبها ،لأنه محاسب فيها ، حيث قال : " أهل الأموال يأكلون ونأكل ويشربون ونشرب ، ويلبسون ونلبس ويركبون ونركب ، لهم فضول أموال ينظرون إليها وننظر إليها ، عليهم حسابها ونحن منها براء " (٣) .

فالأسلام طالب الأنسان بالسعي في طلب المال حتى يصل إلى حد الكفاف ، أي الكفاية ، وهو الحد الذي تشبع عنده حاجاته ومطالبه الأساسية من المأكل والمشرب والمسكن والمركب ، فسعيه في طلب المال قبل الوصول إلى حد الكفاف مطلوب ومحمود ، واستمراره في طلب المال بعد حد الكفاف مذموم .

د- أن المال بلاء وفتنة :

ونظر العلماء إلى المال على أنه فتنة وبلاء يصيب الإنسان لتمحيصه واختباره ، لذلك دأب العلماء على التحذير من الحرص على المال وطلبه من غير حقه ، كما نهوا عن سوء التصرف فيه

---

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، جـ ٣ ، ص ٤٤.

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ٧ ، ص ٢٦٧ .

(٣) عبد الله بن المبارك : الزهد ، دار ابن خلدون ، الإسكندريية ، د.ت ، ص ١٣٤ .

، ووضعه في غير مستحقه ، فكان الثوري يعده فتنة [1] ، بل أنه انتقد من لا يرى المال فتنة وبلاء ، حيث قال : " لم يفقه عندنا من لم يعد الرخاء فتنة "[2] وكان عبد الله بن المبارك يردد مقولة عبد الله بن مسعود : " حبذا المكروهان الموت والفقر ، وأيم الله ما هو إلا الغنى والفقر ، وما أبا لي بأيهما ابتليت " [3] ، فعد المال بلاءً ، وأكد ذلك أبن السماك حيث قال : " إن الله ملأ الدنيا من اللذات وحشاها بالآفات ، ومزج حلالها بالمؤونات وحرامها بالتبعات " [4] .

٢- موقف العلماء من الموارد والمصارف في العصر العباسي الأول"

تزايدت موارد الدولة في العصر العباسي الأول ، تبعا لاستطالة الدولة وامتدادها عبر مساحات شاسعة ، إذ ضمت معظم العالم القديم حينذاك ، وللاستقرار السياسي الذي كان سمة العصر العباسي الأول ، بعد سلسلة من الاضطرابات السياسية التي شهدتها الدولة في العقد الأخير من عصر الدولة الأموية ، فضلا عن توقف حركة الفتوح إلى حد ما في العصر العباسي الأول ، مما سمح بشيء من الاستقرار أتاح ممارسة الأنشطة الاقتصادية المختلفة من زراعة وتجارة وصناعة ، وغيرها ، فتزايدت الأموال المتدفقة على بيت المال من صدقات وخراج وعشور ، فضلا عن الموارد الجديدة التي ابتدعها العباسيون ، وهو ما تشير إليه الروايات التاريخية التي عرضت لما كان يجتمع في بيوت الأموال في العصر العباسي الأول ، فبلغ ما وجد في بيت المال عند وفاة المنصور مائة مليون درهم ، وستون مليون دينار[5] ومن العين تسعمائة ألف ألف (٩٠٠ مليون) دينار[6] ، وخلّف الرشيد مائة ألف ألف (١٠٠ مليون) دينارا[7] ، ومن الجواهر والورق ما قيمته مائة ألف

---

(١) قال الثوري :" فتنة الحديث أشد في فتنة الأهل والمال والولد " ، القاري : رسالة في تبعيد العلماء عن أبواب الأمراء ، ص ٨ .

(٢) محي الدين الخطيب : روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار ، ص ١٦٧ .

(٣) عبد الله بن المبارك : الزهد ص ١٢٧ .

(٤) ابو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٨ ، ص ٢٢٢ .

(٥) الخطيب : تاريخ بغداد ،جـ ٥ ، ص ٣٩٣ .

(٦) ابن دحية : النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس ، ص ٢٨ .

(٧) ابن أعثم : كتاب الفتوح ، جـ ٨ ، ص ٢٤٤ ، ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٣٣٧.

ألف وخمسة وعشرون ألف ألف دينار ، ورافق هذه الزيادة في الموارد ، زيادة أخرى في النفقات والمصارف، إذ ظهرت مصارف جديدة ، وزادت نفقات الخلفاء والأمراء، تبعا لتطور أساليب حياة المجتمع ، ولسياسات الخلفاء المالية ، كما زاد الإنفاق على المرافق العامة ، بعد أن أخذت الدولة على عاتقها تقديم بعض الخدمات للناس لتيسير أساليب حياتهم .

ولن نخوض في تفاصيل الموارد والمصارف في العصر العباسي الأول إلا بما يخدم موضوعنا ، وهو بيان موقف العلماء منها ، ومما حدث فيها من تجاوزات .

- موقف العلماء من موارد الدولة في العصر العباسي الأول :

أ – الزكاة :

الزكاة في اللغة بمعنى الزيادة ، والنماء [١] ، وهي من الفعل زكا ، يزكو زكاءً ، والزكاة بمعنى التطهير ، لأن زكاة المال تطهير له ، والفعل منه زكى يزكى تزكية ، وعليه فالزكاة ما أخرجته من مالك لتطهره [٢] ، قال تعالى : " خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها " [٣] .

وفي الشرع ، " إيجاب طائفة من مال مخصوص لمالك مخصوص " [٤] قال تعالى :" والذين في أموالهم حق معلوم "[٥] قال العلماء الحق المعلوم هو الزكاة وتجب في أموال المسلمين المرصدة للنماء [٦] ، سواء كانت ذهب أم فضة أم مواشي أم ثمار أم عروض[٧] .

---

(١) ابـن قـدامـة : المغنـي ، حققـه محمـد سالم محسـن ، والشيـخ شعبـان محمـد إسمـاعيـل ، مكتبـة الجمهـورية العربيـة ، القاهـرة ، د.ت ، جـ ٢ ، ص ٥٧٢ ، الشـرباصي : المعجـم الاقتصـادي الإسلامي ، ص٢٠٩ .

(٢) ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٣ ، ص ١٨٤٩ .

(٣) التوبة الآية : ١٠٣ .

(٤) الشرباصي : المعجم الاقتصادي الإسلامي ، ص ٢٠٩ .

(٥) المعارج ، الآية : ٢٤ .

(٦) أبو يعلي : الأحكام السلطانية ، ص ١١٥ .

(٧) ابن زنجويه : كتاب الأموال ، جـ ١ ، ص ١١٢ .

وتأتي حكمة الزكاة في الإسلام لا بوصفها شعيرة دينية يتعبد بها المسلم ، وحسب بل لأن لها أهداف عدة منها ما يختص بالفرد المتصدق ، ومنها ما يتعلق بالمجتمع .

فهي تعالج الفرد من بعض الأمراض التي تعتري النفس البشرية مثل البخل والأثرة والشح ، كما أن الزكاة تدفع أصحاب المال إلى استثماره لئلا تفنيه الزكاة ، ويؤدي هذا الاستثمار إلى تداول المال بين أفراد المجتمع ، وهذا التداول هو جوهر النظام الاقتصادي الإسلامي[١] ، إذ يتم فيه تبادل المنافع وتحريك الطاقات الفاعلة في المجتمع ، كما تسهم الزكاة في تحقيق التكافل الاجتماعي ، فيعود الأغنياء بشيء من أموالهم على الفقراء ، مما يخفف من وطأة الفقر عليهم ، ويغسل نفوسهم من الغل والحقد والحسد وسائر الأمراض الاجتماعية الأخرى ، فيعيش المجتمع الإسلامي في أمان .

حددت الزكاة في مشروعيتها ومقاديرها،وفي مصارفها بالنص القرآني والنبوي،قال تعالى:" وأقيموا الصلاة وأتوا الزكاة "[٢]وقال عز وجل في بيان مصارفها :"إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيلا الله فريضة من الله والله عليم حكيم " [٣] .

التزم المسلمون في العهد النبوي ، وفي عهد الراشدين بالنص القرآني وبالقواعد الإسلامية في الزكاة سواء في مقاديرها أم في مصارفها ، وقاتل الخليفة الأول ،أبو بكر الصديق المرتدين عندما منعوا الزكاة ، بيانا لمكانتها من الدين ، وفي العصر الأموي التزم خلفاء بني أمية بالنصـوص القرآنيـة في الزكـاة وحرصـوا على تمييـز أموال الزكاة عن سائر أموال الدولة فوضعوا لها بيت مال خاص بها[٤] ، وكان الصحابة والتابعون يقومون أي انحراف في أساليب جباية وتوزيع الزكاة[٥] .

---

(١) أنظر:عبد السميع المصري:مقومات الاقتصاد الإسلامي،مكتبة وهبة،القاهرة ،ط١٤١١،٤هـ/١٩٩٠م ، ص ١٢٥ .

(٢) البقرة ، الآية : ٨٣ .

(٣) التوبة ، الآية : ٦٠ .

(٤) يذ كر ابن سعد أن عمر بن عبد العزيز أفرد للصدقات بيت مال خاص بها ، وللخمس بيت مال خاص به ، إلى جانب بيت المال العام المخصص للفيء ، وكانت الصدقات قبل ذلك تعزل في بيت المال العام ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ٥ ، ص ٣٤٩ .

(٥) روى (أبو عبيد) أن الصحابة والتابعين من أهل المدينة رفضوا أخذ أعطياتهم من الصد قات ، وذلك عندما عجز مال الخراج عن أداءها فأكمله مروان بن الحكم بأمر معاوية من صدقات اليمن ، فقالوا : "لا والله لا نأخذ منها درهما=

وفي العصر العباسي الأول ظلت الزكاة ، في أساليب جبايتها وفي مصارفها ، تدار تبعا للقواعد الشرعية التي حددها القرآن الكريم وفصلتها السنة النبوية ، مع بعض التجاوزات التي كانت تحدث أحيانا من بعض الخلفاء والعمال ، من ذلك جمع مال الصدقات (الزكاة) إلى أموال الفيء والعشور وغيرها من الأموال ، وإعطاء فقراء أهل الذمة منها ، ونقلها من الأقاليم إلى العاصمة مع وجود فقراء في بلدان الزكاة .

كانت هذه التجاوزات مثار انتقاد العلماء للخلفاء والولاة والعمال ، فبينوا للخلفاء ولغيرهم عدم جواز التصرف في مال الزكاة خارج مصارفها التي حددها الله تعالى في الآية [1] ، وهي الأصناف الثمانية ، فنهى الثوري عن دفع الزكاة إلى الولاة والعمال إذا لم يضعوها في مواضعها[2] ، وكتب أبو يوسف إلى الرشيد يبين له عدم جواز جمع مال الزكاة إلى غيره من أموال الدولة ، قائلا : " ولا ينبغي أن يجمع مال الخراج ، إلى مال الصدقات والعشور ، لأن الخراج فيء لجميع المسلمين ، والصدقات لمن سمى الله عز وجل في كتابة[3] .

ويؤكد وجود مثل هذا الخلط بين مال الزكاة وبقية موارد الدولة في العصر العباسي الأول عبد الله مصعب عندما ألح عليه الرشيد بأن يلي له المدينة و هو كاره للولاية ، فقبل بشرط إعادة مصارف الزكاة إلى الأصناف الثمانية ، و عدم التصرف فيها لغيرهم ، حيث قال :"أما إذا ابتليتني يا أمير المؤمنين بعد العافية ، فلابد من أن أشترط لنفسي ، فقال : مال الصدقات مال قسمة الله بنفسه ولم يكله لأحد من خلقه ، فلست استجيز ارتزاق منه ، ولا أن أرزق المرتزقة منه ، فاحمل معي رزقي ورزق المرتزقة من مال الخراج "[4] فأجابه الرشيد إلى ذلك .

=واحدا ، نأخذ حق غيرنا ؟ إنما مال اليمن صدقة ، والصدقة لليتامى والمساكين ... ، وإنما عطاؤنا من الجزية ، فما كان من معاوية إلا أن أكمل لهم عطاؤهم من الجزية ، كتاب الأموال ، ص ص ٢٦٣ ، ٢٦٤ .

(١) قال تعالى : " إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب ، والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل " التوبة، الآية :٦٠ .

(٢) ابن قدامة : المغنى جـ ٢ ، ص ٦٤٢ .

(٣) أبو يوسف : كتاب الخراج ، ص ٨٧ .

(٤) الزبيربن بكار : جمهرة نسب قريش وأخبارها ، ص ١٣٠ .

وعارض أبو عبيد جمع مال الزكاة مع أموال الخـراج والجـ ـزية ، فقال : " أما الصدقة فليست تدخل في شيء من حكم هذين المالين (الخراج والجزية) إنما هي زكاة أموال المسلمين ، وموضعها الأصناف الثمانية التي ذكرها الله تعالى ، ولا تكون عطاء للمقاتلة[١] ، وذهب أحمد بن حنبل إلى ضرورة الفصل بين مال الصدقات وبين سائر الأموال الأخرى ، لأنها ليست من حقوق بيت المال ، بل لها مصارف محددة لا يجوز صرفها إلا فيها .[٢]

ويبدو ان خلفاء العصر العباسي الأول كانوا يعطون في بعض الأحيان من مصارف الزكاة لفقراء أهل الذمة ، وهو ما يُعدُّ تجاوزا للقاعدة الشرعية التي تحدد مستحقي الزكاة ، إلا أن العلماء وقفوا بحزم إزاء هذا التجاوز ، وإن شذ عن هذا الموقف بعضهم ، إلا أن جمهور العلماء عارضوا إعطاء فقراء أهل الذمة من مال الزكاة .

فعند ما بلغ الإمام مالك أن الرشيد يعطي من مصارف الزكاة لفقراء أهل الذمة نهاه عن ذلك ، قائلا : " ولا تضعها (الزكاة) إلا في أهل ملتك من المسلمين ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إن الله تعالى لم يرض من الصدقة بحكم نبي ولا غيره حتى حددها هو على ثمانية أجزاء " [٣] قال تعالى : " إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل "[٤] ، كما أنه لا يجوز دفع الزكاة لكافر[٥] ، ونهى عن ذلك أبو عبيد ، وبين أن العلماء كرهوا إعطاء أهل الذمة من الصدقات[٦] .

وشذ عن العلماء في ذلك أبو حنيفة إذ جوز دفع زكاة الفطر خاصة إلى الذمي دون المعاهد[٧] ، وفي المقابل اجتهد بعض العلماء في إعطاء الزمني والمسجونين من الزكاة إذا لم يكن لهم ما

---

(١) أبو عبيد : كتاب الأموال ، ص ص ٢٦٣ ، ٢٦٤ .

(٢) أبو يعلي : الأحكام السلطانية ص ٢٥٢.

(٣) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد ، كتاب رآه ، باب كراهة الولاية ولمن تستحب جـ ٥ ،ص ٢٠٤ .

(٤) التوبة ، الآية ٦٠ ، الإمام مالك بن أنس : رسالة الإمام مالك إلى الرشيد ص ٥.

(٥) الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ٢٢٣ .

(٦) أبو عبيده : كتاب الأموال ص ، ٥٦٣ .

(٧) الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ٢٢٣ .

يقوتهم .[1]

كما تصدى العلماء لنقل بعض الخلفاء والولاة زكاة الأقاليم إلى بغداد وحواضر الأمصار مع وجود فقراء في الأقاليم ، فنهوا عن نقلها عن بلد إلا إذا زادت عن حاجة أهل البلد[2] .

ويبدو أن مورد الزكاة في العصر العباسـي الأول كـان قد زاد زيادة كبيـرة ، تبعا للاسـتقرار السياسي والازدهار الاقتصادي الذي كان سمة ذلك العصر ، وليس أدل على ذلك مما أورده قدامة بن جعفر [3] من أن صدقات البصرة، فقط ، بلغت سنة (٢٠٤هـ / ٨١٩م) ستة ملايين درهم .

أ- الجزية :

ظلت الجزية أحد موارد الدولة الهامـة في العصر العبـاسي الأول وإن تضاءلـت مقاديرها بالنسبة لمورد الخراج ، إما بسبب دخول كثير من أهل الذمـة في الإسـلام ، أو لتعاظـم واردات الدولة من الخراج ، و يطلق لفظ الجزية على ما يؤخـذ من أهـل الذمـة من أموال مقابل تأمينهم على أنفسهم وأهليهم وأموالهـم [4]، وجمعهـا جزي[5] ، وهي مشتقة من الجزاء ، وهي على ذلك جـزاء كفرهم وتكبرهم على دين الله " فتكون صغـارا لهم، وجزاء المن عليهم بالإعفاء من القتل"[6]، وجزاء تأمينهم على أنفسهم وأموالهم ، لأن المسلمين يقاتلـون دونهم ، وهي مبنية على قوله تعالى : " قاتِلوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنونَ باللهِ وَلا باليَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرمُونَ مَا حَرمَ اللهُ وَرَسُـولهُ وَلا يَدِينونَ دِينَ الحَـقِّ مِنَ الَّذِيـنَ أُوتوا الكِتابَ حَتَّى يُعْطوا الجِزْيَة عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ "[7] .

---

(١) أبو يوسف : كتاب الخراج ، ص١٦١ .

(٢) الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ٢٢٣ .

(٣) كتاب الخراج وصناعة الكتابة ، تحقيق محمد حسين الزبيدي،دار الرشيد ، بغداد ،١٤٠١هـ/١٩٨١م ، ص٢٣٩ .

(٤) الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ٢٥٢ ، ابن منظور : لسان العرب جـ ١ ، ص ٦٢١ ، إبراهيم خورشيد : دائرة المعارف الإسلامية ، جـ ١٠ ، ص ٩٧١م ، الشرباصي : المعجم الاقتصادي الإسلامي ، ص ٩٥ .

(٥) ابن منظور : لسان العرب ، جـ ١ ، ص ٦٢١ .

(٦) الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ٢٥٢ .

(٧) التوبة ، آية :٢٩ .

والجزية لذلك واجبة على جميع أهل الذمة في بلاد الإسلام ، وقد بين ذلك العلماء وشددوا على وجوبها ، فكتب أبو يوسف إلى الرشيد قائلا : " والجزية واجبة على جميع أهل الذمة " [١] وأنه على ذلك لا يجوز إعفاؤهم أو بعضهم عن أداء الجزية ماداموا قادرين ، فقال : " ولا يحل للوالي أن يدع أحدا من النصارى واليهود والمجوس والصابئة [٢] والسامرة [٣] إلا أخذ منهم الجزية ، ولا يرخص لأحد منهم في ترك شيء من ذلك" . [٤]

والجزية فـي مقاديـرها تركت لاجتهاد المسلمين ، وتقـديرهم للحالة الاقتصادية لأهل الذمة ، فكـانت علـى عهد النبي صلى الله عليه وسلم دينارا واحدا علـى الغنـي والفقيـر والمتوسط[٥] ، ثم إن عمر بن الخطاب جعلها على ثلاث طبقات[٦] بحسب المستوى الاقتصادي ، فكان يأخذ من ذوي الدخول المرتفعة ثمانية وأربعين درهم ، ومن متوسطي الدخل أربعة وعشرين درهما ، ومن الأقل دخلا اثني عشر درهما في السنة[٧] ، وقد التزم الأمويون بتنظيمات عمربن الخطاب في

---

(١) أبو يوسف : كتاب الخراج ، ص ١٣١ .

(٢) الصابئـة : من صبأ ، إذا خـرج من ديـن إلى آخـر ، كمـا تصبـأ النجـوم أي تخـرج مـن مطالعـها ، وكانت العـرب تسمي النـبي صلى الله عليـه وسلم بالصـابئ لأنـه خـرج مـن ديـن قريـش إلى الإسلام ، ويسمـون كـل مـن يدخـل فـي ديـن الإسـلام مصبـوا، والصابئـة أو الصابئـون ، قـوم يزعمـون كذبـا أنهـم على ديـن نـوح عليـه السـلام ، يشبـه دينهـم ديـن النصـارى ، ابن منظـور ، لسان العرب ، جـ ٤ ، ص ٢٣٨٥ .

(٣) السامـرة : قبيلـة من بنـي إسرائـيل يخالفـون عامـة اليهـود فـي بعـض دينهـم وإليهـم ينسـب السامـري الـذي عبد العجـل ، وظلـوا بالشـام في عهد الـدولة العباسية ، ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ٣ ، ص ٢٠٩٢ .

(٤) ابو يوسف : كتاب الخراج ، ص ١٣٣ .

(٥) ابن قيم الجوزية : أحكام أهل الذمة ، جـ ١ ، ص ص ٤٠ ، ٤١ .

(٦) المصدر نفسه .

(٧) أبو عبيد : كتاب الأموال ، ص ٤٨ .

مقادير الجزية[1] ، واستمر الأمر على ذلك في العصر العباسي الأول .

اختلف العلماء إزاء تقسيم الجزية بحسب المستوى الاقتصادي ، ففي حين استحسن جمهورهم ما فعله عمر بن الخطاب من تصنيف أهل الجزية بحسب مستوياتهم الاقتصادية[2] ، ذهب الشافعي إلى أن الواجب في الجزية دينار على الغني والفقير والمتوسط ، واحتج على ذلك بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدرها بدينار على كل حالم دون أن يفرق بين غني وفقير.[3]

ولأن الإسلام نظر إلى الجزية بوصفها عقوبة لمن تكبر على دين الله فتلزمه الصغار، فإنه قد أوجب إسقاطها بمجرد إسلام الذمي ، ولذلك أنكر التابعون على بعض خلفاء وولاة بني أمية استمرار أخذهم الجزية ممن أسلم من أهل الذمة ، وعدوا ذلك انحرافا في فهم الحكمة من الجزية[4].

---

(١) عبد الحكيم سيف الدين : موقف كبار التابعين من المتغيرات الاقتصادية في العهد الأموي (رسالة ماجستير) ، قسم التاريخ ، كلية الآداب ، جامعة صنعاء ، ١٩٩٩م ، ص ٦٩ .

(٢) ذهب مالك بن أنس والليث بن سعد وأبو مسهر ويحيى بن بكير ، وأبو يوسف وأبو عبيد إلى تقسيم أهل الجزية بحسب مستوياتهم الاقتصادية ، كما فعل عمر بن الخطاب ، أبو يوسف : كتاب الخراج ، ص ص ١٣١ ، ١٣٢ ، أبو عبيد كتاب الأموال ، ص ص٤٧ ، ٤٨ ، ابن قيم الجوزية :أحكام أهل الذمة، جـ١، ص ص٤٠ ،٤١ .

(٣) ابن قيم الجوزية : أحكام أهل الذمة ، جـ ١ ، ص ص ٤٠ ، ٤١ .

(٤) أخذ بعض عمال عبد العزيز بن مروان في مصر الجزية من بعض من أسلم من أهل الذمة ، فكلمه أحد التابعين في ذلك قائلا : " أعيذك بالله أيها الأمير أن تكون أول من سن ذلك بمصر ، فوالله إن أهل الذمة ليتحملون جزية من ترهب منهم ، فكيف نضعها على من أسلم منهم ، فما كان من الأمير إلا أن أسقطها عمن أسلم من أهل مصر ، ويبدو أن الأمر لم ينته عند ذلك إذ تشير الروايات والقرائن إلى أن هذه الظاهرة استمرت بعد ذلك ، وهو ما تشير إليه الرسائل التي كان يبعثها عمر بن عبد العزيز إلى الولاة يحذرهم فيها من أخذ الجزية ممن أسلم من أهل الذمة ، فكتب إلى والي مصر: إن الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم داعيا ولم يبعثه جابيا ، وكتب إلى والي خرسان : أن أنظر من صلى قبلك إلى القبلة فضع عنه الجزية ، حتى أنه قال لأحدهم إن أسلم الذمي والجزية في كفة الميزان فلا تأخذها منه ، فتلاشت هذه الظاهرة في عهده ، لكنها ما لبث أن عادت بعده ففي خلافة يزيد بن عبد الملك أخذ يزيد بن أبي مسلم الجزية ممن أسلم في إفريقية ، ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٥٦ ، ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ ٥ ، ص ص ٣٥٦ ، ٣٨٤ ، الجهشياري : الوزراء والكتاب ، حققه مصطفى السقا وآخرين ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة ، ط ٢ ١٤٠١ هـ / ١٩٨٠م ، ص ٥٧ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ ٥ ، ص

ويبدو أن العصر العباسي الأول ، حسب ما نعلم ، لم يشهد حدوث مخالفات من الولاة والعمال فيما يتعلق بفرض الجزية على من أسلم ، وهو ما نلمحه من تبرير أبي عبيد لذكر الأحاديث والآثار المتعلقة بإسقاط الجزية عمن أسلم من أهل الذمة ، إذ قال : " وإنما احتاج الناس إلى هذه الآثار في زمان بني أمية ، لأنه روي عنهم أو عن بعضهم أنهم كانوا يأخذونها منهم وقد أسلموا " [١] .

ومع ذلك فإن العلماء في العصر العباسي الأول قد ناقشوا هذا الموضوع ضمن جهودهم النظرية التي استهدفت معالجة كل القضايا الاقتصادية ، بين الدولة ورعاياها ، إذ أجمع العلماء على سقوط جزية الرقبة (الرأس) عن الذمي بمجرد إسلامه ، حتى وإن أسلم وعليه جزية سنين سابقة ، فإنها تسقط كما تسقط عليه سائر العقوبات .

فبين أبو حنيفة أن الجزية تسقط على الذمي بمجرد إسلامه ، حيث قال : " ولو أسلم وعليه جزية سنين سقطت كما تسقط العقوبات "[٢] وأكد ذلك الشافعي وأحمد بن حنبل[٣] ، فنهى الشافعي عن أخذ جزية الرأس على من أسلم وميز بينها وبين جزية الأرض (الخراج) ، فجزية الرأس تسقط بالإسلام لأنها صغار لصاحبها ، بينما لا تسقط جزية الأرض لأنها ليست صغار ، ولأن الأرض أصبحت فيئا عاما للمسلمين فهي ليست ملكا للمنتفع بها وإنما هي معه على سبيل الإيجار ، فيقول :" جزية الرقبة التي يحقن بها الدم ، وهذه لا تكون على المسلم ، وأما خراج الأرض فلا يبين أنه صغار ، وهو يشبه أن يكون ككراء الأرض بالذهب والورق" [٤] ، وأكد ذلك المذهب أحمد بن حنبل حيث قال : " ومن أسلم منهم تسقط عنه الجزية[٥] ، وروى أبو عبيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أسقط

=٥١ ، المقريزي : المواعظ والاعتبار في التراجم والآثار (المعروف بخطط المقريزي) ، دار التحريـر للطباعـة والنشر ، مصور عن طبعة بولاق ، القاهرة ، د.ت ، جـ ١ ، ص ١٤٢ .

(١) أبو عبيد : كتاب الأموال ، ص ٥٧ .

(٢) ابن قيم الجوزية : أحكام أهل الذمة ، جـ ١ ، ص ٤٦ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) الشافعي : الأم ، جـ ٧ ، ص ٣٢٥ ..

(٥) أبو يعلي : الأحكام السلطانية ص ١٤٩ .

الجزية عمن أسلم من أهل الذمة في قوله : " ليس على مسلم جزية " [1] وذهب إلى أنه لا يلزم من أسلم ما تراكم عليه منه دين في الجزية . [2]

بل إن العلماء بينوا أن الجزية تسقط عن بعض أهل الذمة ممن لا يزالون على دينهم ، مراعاة لأحوالهم الاقتصادية ، خصوصا إذا ما كانوا من الضعفاء ، ومن غير المقاتلة ، أمثال الشيخ الفاني والزَمِنْ والأعمى والمريض الذي لا يرجى برؤه والنساء والذرية ، وهو ما أجمع عليه كبار العلماء في العصر العباسي الأول أمثال أبي حنيفة وأبو يوسف ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل ، فقالوا : إن هؤلاء لا يقاتلون ولا يقتلون ، فلا تجب عليهم الجزية [3] ، كما أسقطوا جزية المسكين الذي يتصدق عليه[4] والفقير العاجز عن الكسب ، وقالوا بأن عمر فرض على الفقير العامل . [5]

ولم يقف العلماء عند هذا الحد في بيان تسامح الإسلام مع أهل الذمة ، وفي تأكيد أن العلاقة بين الدولة وبين رعاياها من أهل الذمة ، ليست علاقة جباية فقط ، أخذ دون عطاء ، إذ لم يكتف العلماء بإسقاط الجزية عن العاجزين عن أدائها من أهل الذمة ، بل وطالبوا الدولة بكفالة المحتاجين منهم ، مسترشدين في ذلك بسيرة الخلفاء الراشدين في أهل الذمة، فروى أبو عبيد [6] أن عمر بن عبد العزيز أجرى على شيخ من أهل الذمة من بيت المال .

جـ - الخراج :

لا ريب أن الخراج مثّل أهم موارد الدولة العباسية في عصرها الأول ، وهو اسم لما يخرجه

---

(١) رواه الـدار قطنـي في سننـه ،كتـاب الوصـايا ، بـاب خبـر الواحـد يوجـب العمـل ،حـديـث رقـم (٧) ،حققـه عبـد الله هاشـم يمـاني المـدني ، دار المعـرفة ، بيـروت ، ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م ، جـ ٤ ، ص ١٥٧ .

(٢) أبو عبيد : كتاب الأموال ، ص ٥٦ .

(٣) ابو يوسـف : كتـاب الخـراج ، ص ص ١٣١ ، ١٣٢ ، ابـن قيـم الجوزيـة : أحكـام أهـل الذمة ، جـ ١ ، ص ٥٣ .

(٤) أبو يوسف : كتاب الخراج ، ص ١٣٢ .

(٥) ابن قيم الجوزية : أحكام أهل الذمة ، جـ ١ ، ص ص ٥٢ ، ٥٣ .

(٦) كتاب الأموال ، ص ٥٠ .

أهل الذمة من غلة أرضهم التي افتتحها المسلمون عنوة ، أو صولحوا عليها على خـراج محدد في السنة .[١]

وقد اجتهد العلماء في العصر العباسي الأول لتعريف وتحديد أرض الخراج ، فوصفها يحيى بن آدم بأنها كل أرض كانت لعبدة الأوثان من العجم أو لأهل الكتاب من العجم والعرب ممن تقبل منهم الجزية[٢] ، وعرفها أحمد بن حنبل بأنها كل أرض جلا عنها أهلها بغير قتال[٣] ، وحددها الحسن بن صالح بأنها الأرض التي مسحت من قبل الدولة عند الفتح[٤] ، واستثنى أبو عبيد من هذه الأرض المساكن والدور ، فلم ير فيها خراجا .[٥]

والخراج فيء ، والفيء خراج تختلف الأسماء ويتفق المسمى ، وإن كان الفيء أشمل في الدلالة ، ومع ذلك فقد كان يستخدم للدلالة على الخراج ، وبالذات على أموال المشركين التي تصل إلى المسلمين من غير قتال .[٦]

وإذا كانت أرض الخراج هي الأرض التي فتحت عنوة أو صلحا على مال معين ، فإن الأرض التي أسلم عليها أهلها لا تعد أرض خراج ، إلا أن بعض الولاة والعمال كانوا أحيانا يتجاوزون هذه القاعدة ويفرضون الخراج عليها ، وقد كان هذا مثار انتقاد العلماء ، فكان مالك ، يقول :"إنما الخراج على من كان في أرض عنوة "[٧] ، وأيده في ذلك سفيان الثوري حيث قال :" لا يؤخذ الخراج من الأرض التي أسلم عليها أهلها ، إلا إذا فتحت عنوة "[٨] ، وعندما فرض والي طرسوس الخراج على إحدى

---

(١) ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٢ ، ص ١١٢٦ ، الشرباصي : المعجم الاقتصادي الإسلامي ، ص ١٣٠ .

(٢) الخطيب : تاريخ بغداد ، جـ ١ ، ص ١٣ .

(٣) أبو يعلى : الأحكام السلطانية ، ص ١٦٤ .

(٤) أبو عبيد : كتاب الأموال ، ص ٨٢ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٨١ .

(٦) أبو يعلى : الأحكام السلطانية ، ص ص ١٤٩ ، ٢٢٧ .

(٧) ابن زنجويه : كتاب الأموال ، جـ ١ ، ص ٢٦٥ .

(٨) المصدر نفسه ، ص ٢٥٨ .

قراها ، وأهلها قد اسلموا عليها ، ورفض أهلها دفع الخراج ، استحسن ذلك أحمد بن حنبل. [1]

نظر العلماء إلى الخراج بوصفه أهم واردات الدولة وعمود اقتصادها ، وانه أشرف المال وأفضله ،فحثوا الخلفاء على المحافظة عليه ، باستعمال ذوي النزاهة و الكفاءة في استخراجه و تحصيله ، فكتب أبو يوسف إلى الرشيد : " و رأيت أن تتخذ قوما من أهل الصلاح و الدين و الأمانة فتوليهم الخراج ، ومن وليت منهم فليكن فقيها عالما مشاورا لأهل الرأي عفيفا لا يطلع الناس منه على عورة، ولا يخاف في الله لومة لائم " [2].

وقد اختلف العلماء في التصرف في أرض الخراج شراءً وإقطاعا ، ففي حين كره فريق من العلماء ذلك ، كان منهم الأوزاعي ، والفضيل بن عياض وأبو عبيد وأحمد بن حنبل ، وعلة كراهة هذا الفريق لبيع وشراء أرض الخراج لسببين ، أولهما ، لأنها ملكا عاما للمسلمين ، فليس لأهلها الذين أقروا عليها حق التصرف فيها ، وثانيهما ،لأنها أهم مورد لبيت المال والتصرف فيها بتحويلها إلى

أرض عشر يضر ببيت المال ، فضلا عما يلحق المسلم إذا اشتراها من اجتماع الخراج و العشر و الصغار عليه .

وقد احتج هذا الفريق بنهي عمر بن الخطاب عن شراء أرض الخراج حيث قال :" لا تشتروا رقيق أهل الذمة فهم أهل خراج ، وأرضهم فلا تبتاعوها، ولا يقر أحدكم بالصغار بعد إذ نجاه الله منه"[3]، وبمنع عمر بن عبد العزيز أهل الخراج من بيع أرض الخراج ، فقد كتب إلى ميمون بن مهران و كان أحد ولاته : " أما بعد فحُل بين أهل الأرض و بين بيع ما في أيديهم، فإنهم إنما يبيعون فيئ المسلمين"[4]، واستشهد بذلك الأوزاعي حيث قال :" لم تزل أئمة المسلمين ينهون عن ذلك (يعني عن بيع أرض الخراج) [5].

في الوقت ذاته أجاز فريق آخر من العلماء شراء أرض الخراج ، و حيازتها للمسلمين ، لكنهم مع

---

(١) أبو يعلي : الأحكام السلطانية ، ص ١٧٠ .

(٢) أبو يوسف : كتاب الخراج ، ص ١١٥.

(٣) ابن زنجويه : كتاب الأموال ، جـ ١، ص ٢٢٣ .

(٤) أبو عبيد : كتاب الأموال ، ص ١٠٤ .

(٥) الشافعي :الأم ، جـ ٧، ص ٣٢٥.

ذلك لم يسقطوا الخراج عنها، فتظل كما هي أرض خراج يدفع صاحبها الخراج عنها ، والعشر عن غلتها ، مثل هذا الفريق من العلماء أبو حنيفة [١] ، ومالك[٢] و سفيان الثوري [٣] ، و الليث بن سعد [٤] ، وعبد الله بن المبارك[٥] ، وأبو يوسف[٦] .

د- العشـور :

العشور في اللغة من الفعل عَشرَ ، يقال عشر القوم يعشرهم عشرا إذا أخذ عشر أموالهم[٧] وشرعاً

ما يؤخذ من بضائع الكفار التي يقدمون بها من دار الحرب إلى بلاد الإسلام[٨].

ولم تكن العشور موجودة في العصر النبوي ، إذ لم تتحدث المصادر التاريخية عن ذلك ، إلا في عهد عمر بن الخطاب ، و على ذلك يكون عمر أول من فرض العشور ، عندما شكا إليه بعض تجار المسلمين أن أهل الحرب يأخذون منهم العشور إذا دخلوا بلادهم بتجارتهم[٩] .

---

(١) سئل أبو حنيفة عن الرجل المسلم يشتري أرضا من أرض الخراج فقال : هو جائز ، و قال : إنما الصغار خراج الأعناق (يعني جزية الرأس) ، الشافعي : الأم، جـ٧ ، ص ٣٢٥ .

(٢) كان الإمام مالك يري في أرض الخراج التي يشتريها المسلم العشر والخراج ، أبو عبيد : كتاب الأموال،ص٩٩ .

(٣) كان سفيان الثوري يري بيع و توريث أرض العنوة من قبل أهلها شريطة أن يكون الإمام أقرهم عليها ، أو أن يكون الأمام أقطعها، على أن يدفع عليها المسلم الخراج و العشر ،أبو عبيد كتاب الأموال ، ص ٩٩ ، أبن زنجويه : كتاب الأموال ، جـ١، ص ص ٢٦١ ،٢٥٢.

(٤) كان لدي الليث بن سعد أرضا من أرض الخراج بمصر ، و كان يخرج عنها الخراج والعشر ، أبو عبيد :كتاب الأموال، ص ٩٩.

(٥) كان عبد الله بن المبارك يأمر الناس بالعشر و الخراج عن أرض الخراج التي صارت معهم ، أو التي أسلم عليها أهلها و هي من أرض العنوة ، أبو عبيد : كتاب الأموال ، ص ص ٩٩ ، ١٠٠ .

(٦) جوز أبو يوسف أن يشتري المسلم أرض الخراج ، شريطة أن يدفع عنها الخراج و عن غلتها العشر ، الشافعي: الأم ، جـ٧ ، ص ٣٢٥ .

(٧)إبن منظور : لسان العرب ، جـ٤ ، ص ٢٩٥٣.

(٨) الشرباصي : المعجم الإقتصادي الإسلامي ، ص ٢٩٤.

(٩) أبو عبيد: الأموال ، ص ٤٩٩ .

واستمر الأمر على ذلك في العصر الأموي ، بل وبالغ بعض العمال في إجراءات استيفاء العشور ، فأوقفوا السفن في الموانئ و علـى ضفاف الأنهار ، دون التمييز بيـن سـفن المسلمين وسـفن غيرهم[1] ، فاخذوا العشور ، كذلك ، من تجار المسلمين[2] .

ظلت العشور في العصر العباسي الأول إحدى موارد الدولة ، وقد أسهم العلماء في تنظيمها بجهودهم النظرية ، ومن خلال توجيهاتهم للخلفاء والولاة .

فرأى ابو حنيفة أنها لا تؤخذ من تجار أهل دار الحرب إلا إذا أخذوها من تجار المسلمين[3] ، وهو الأصل الذي فرضت عليه العشور في عهد عمر بن الخطاب ، ونهى الثوري والشافعي أن تؤخذ العشور من أهل الذمة إلا إذا شرط عليهم في عهدهم .[4]

أنكر العلماء كذلك أخذ العشور من تجار المسلمين لمخالفة ذلك عله فرضها ، ولأنهم يؤدون زكاتها ، فنهي سفيان الثوري أخذ العشور من المسلمين[5] وكان أبو يوسف يوصي الرشيد باتخاذ موظفين للعشور من ذوي الصلاح والدين لئلا يظلموا الناس [6] .

هـ - المصـادرات :

استحدث العباسيون موردا جديدا لبيت المال ، من المصادرات لأموال خصومهم بعد الظهور عليهم ، ومن المقاسمات والنكبات التي كانت وسيلة معروفة في العصر العباسي الأول لمحاسبة وزرائهم وكتاب خراجهم ، إذا ظهر ما يشير إلى اختيانهم المال العام أو عبثهم به .

مصادرة أموال الأمويين :-

لعل أولى الأموال التي صادرها العباسيون هي أموال بني أمية ، فقد أسهبت المصادر التاريخية في الحديث عما أخذه العباسيون من أموال الأمويين ، فحوى صالح بن علي خزائن مروان بن محمد

---

(١) إبن الجوزي: صفة الصفوة ، جـ٣ ، ص ١٨٩.

(٢) أبو عبيد : الأموال ، ص ٤٩٩ ، قدامة بن جعفر : الخراج و صناعة الكتابة ، ص ص٢٤١-٢٤٢.

(٣) ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٤ ، ص ٢٩٥٣

(٤) المصدر نفسه .

(٥) ابن زنجويه : كتاب الأموال ، جـ ١ ، ص ١٣٢ .

(٦) ابو يوسف : كتاب الخراج ، ص ١٤٣ .

(آخر الخلفاء الأمويين) بعدما قتله ببوصير[1] ، وقبض عبد الله بن علي أموال بني أمية بالشام ، فكان فيها قري وضياع لمسلمة بن عبد الملك[2] ، ولأم خالد بن يزيد بن معاوية[3] ، ولعائشة بنت هشام[4] ، كما حازوا رصافة هشام بن عبد الملك بما أحدث فيها من قصور وضياع وأنهار[5]، وغابة ابن هبيرة بالشام[6] ، فضلا عن الرقيق[7] ، ويدل على حجم هذه المصادرات ما رواه الربيع بن يونس وزير المنصور ، حيث قال : " فتح المنصور يوما خزائنه مما قبض من خزائن مروان بن محمد فأحصى فيها اثني عشر ألف عدل خز [8] ".

ولم تكن كل هذه الأموال تذهب إلى بيت المال ، وإنما أقطع منها لأفراد البيت العباسي ولرجال الدولة[9] ، وهو ما زاد من معارضة العلماء لهذه المصادرات ، فعندما سأل عبد الله بن علي الأوزاعي عن شرعية ما صادره من أموال بني أمية قال له الأوزاعي : " إن كانت لهم حلال فهي عليك حرام ، وإن كانت عليهم حرام فهي عليك أحرم " [10] .

---

(١) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، جـ ٢ ، ص ٣٥١.

(٢) البلاذري : فتوح البلدان، ص ٢٠٦.

(٣) ابن عساكر : تاريخ مدينة مشق جـ ٣٨ ، ص ٣٩٠ .

(٤) البلاذري : فتوح البلدان، ص ص٢٤٨ ، ٢٤٩ .

(٥) البلاذري : فتوح البلدان، ص ٢٤٧ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٢٤٨ .

(٧)ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، جـ ٧ ، ص ص ٤٧٠ ، ٤٧١ .

(٨) الخطيب : تاريخ بغداد ، جـ ٥ ، ص ٣٩٣ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٧ ، ص ٤٠٢ ، الخز: نوع من الثياب مصنوعة من الابريسم والصوف وهو المباح ، ومنه المصنوع من الابرسيم فقط وهو الحرير المحرم على الرجال ، وهي ثياب جيدة ، ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٢ ، ص ١١٤٩ .

(٩) أعطيت رصافة هشام إقطاعا لزبيدة زوج الرشيد ، وصارت باليس لسليمان بن علي العباسي ، ووهبت غابة ابن هبيرة لبشر بن ميمون صاحب الطاقات ببغداد وأعطي رقيق مسلمة بن عبد الملك لصالح بن علي العباسي ، البلاذري : فتوح البلدان ، ص ص ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٠٦ ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ٧ ، ص ص ٤٧٠ ، ٤٧١ .

(١٠) الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٧ ، ص ١٢٤ – ١٢٥ ، أنظر كذلك : عبد العزيز سيد الأهل : الإمام الأوزاعي فقيه أهل الشام ، ص ١٥٧ ، مصطفى حلمي : الزهاد الأوائل ص ص ١٣١ – ١٣٢ .

وعاضد موقف الأوزاعي من مصادرة أموال بني أمية عالم آخر اتهمه المنصور بأن لديه ودائع من أموال بني أمية ، فقال للمنصور منكرا " أوارث أنت لبني أمية ؟ فقال (المنصور) لا ، قال فوصى لهم في أموالهم ؟ قال (المنصور) لا ، قال : فما مسألتك عما في يدي من ذلك " وعندما قال المنصور أن بني أمية ظلموا المسلمين في هذه الأموال ، قال الرجل : يا أمير المؤمنين تحتاج إلى إقامة البينة العادلة على أن ما في يدي لبني أمية مما خانوه وظلموه دون غيره ، فقد كان لبني أمية أموال غير أموال المسلمين ، فقال المنصور ما أرى الشيخ إلا قد صدق "[1] .

وهكذا عبر العلماء عن رفضهم مصادرة أموال بني أمية لأنه ليس كل أموالهم مما أخذوه ممن المال العام ، ولأن كثيرا منها تحول إلى أملاك خاصة لأفراد البيت العباسي .

٢- مصادرة موال الوزراء والكتاب :

كما صادر خلفاء العصر العباسي الأول ثروات بعض وزرائهم وكتَّابهم ، الذين استغلوا ثقة الخلفاء فيهم والصلاحيات التي خولت إليهم[2] للاستحواذ على الأموال العامة ، وحيازتها لأنفسهم ولأهليهم ، فتوسعوا في الإنفاق وبالغوا في حياة الترف ، وضاهوا الخلفاء في قصورهم ومواكبهم ، وفي هباتهم واعطياتهم ، وتكونت لدى البعض منهم ثروات ضخمة .

وقد أثارت هذه المظاهر حفيظة الخلفاء إزاءهم ، فحاسبوهم فيما لديهم من أموال وصادروها عليهم ، فصادر المنصور سنة (١٥٣هـ/٧٧٠م) أموال وزيره أبي أيوب المورياني صاحب ديوان الإنشاء [3] التي اختانها من المال العام ، وفي سنة (١٥٥هـ / ٧٧٢ م) عزل المنصور أخاه العباس عن

---

(١) القلعي : تهذيب الرياسة وترتيب السياسة ، ص ص ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، الكناني : نهج السلوك على معرفة سير الخلفاء والملوك ، ص ص ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، المبارك : كتاب النصح في الدين ومآرب القاصدين ص ٧٥ .

(٢) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٦ ، ص ٢٩٥ ، ٢٩٧ ، الطقطقي : الفخري في الآداب السلطانية ، ص ١٢٨ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، جـ ٣٨ ، ص ص ٢٣٦ ، ٢٣٧ – ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، التنوخي : الفرج بعد الشدة جـ ٣ ، ص ١٥٠ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٧ ، ص ص ٢٣ ، ٢٤ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٠ ، ص ص ١٠٩ ، ١١٠ .

الجزيـرة وصـادر كثيرا من أموا ـله[1] ، وصـادر خـالد بـن برمـك [2] سنة (١٥٨هـ / ٧٧٥م) فبلـغ ما صـادره منـه ثلاثـة الآف ألـف (ثـلاثة ملايـين) درهـم [3] ، بـل إن المنصـور كـان يصـادر مـا يعطيـه الأمـراء للشعـراء إذا بالغـوا فـي أعطـياتهـم ، فعنـدما بلغـه أن ابنه المهـدي أعطى الشـاعرالمؤمل بن أميل [4] عشـرين ألف درهـم في قصيـدة ، أخذهـا منه وأعطـاه ألف درهـم [5] ، وصادر الرشيد أموال البرامكة [6]، فبلـغ ذلـك عشرين ألف ألف (٢٠ مليون) دينار فضلا عن الضياع والدور والمقتنيات [7] ، وحاسب المأمون أحد كتابه في أموال اختانها من أموال الدولة ، وصادرها عليه [8] ، واستعاد المعتصم ما حازه وزيره الفضل بن مروان من أموال الدولة ، فبلغ ذلك أربعيـن ألف ألف (٤٠مليون) درهم[9] ، وعزلـ ـه

---

(١) المصدر نفسه ، جـ ١٠ ، ص ١١٣ .

(٢) خالد بن برمك : يكنى بأبي العباس ، استوزره أبو العباس السفاح بعد أبي سلمة الخلال ، كان على صلة بإمام الدعوة العباسية محمد بن علي ، ومن بعده بابنه إبراهيم ، كان كثير الإنفاق جزيل العطاء لمن يقصده ، توفي سنة ١٦٥هـ / ٧٨٢م ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، جـ ١٦ ، ص ص ٦ ، ٨ .

(٣) الذهبي : العبر في خبر من غبر ، جـ ١ ، ص ١٧٥ .

(٤) المؤمل بن أميل المحاربي ، يكنى بأبي أميل الشاعر ، من أهل الكوفة ، قدم بغداد ومدح المهدي فأجازه بجائزة كبيرة ، إلا أن المنصور أخذها منه قائلا : أتيت غلاما غرا فخدعته ، إلا أن المهدي ردها عليه عندما ولي الخلافة ، الخطيب : تاريخ بغداد جـ ١٣ ، ص ص ١٧٧ ، ١٧٢،١٧٣ .

(٥) الأربلي : خلاصة الذهب المسبوك ، ص ص ٤٥ ، ٤٦ .

(٦) ابن أعثم : كتاب الفتوح ، جـ ٨ ، ص ص ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ .

(٧) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ، جـ ٢ ،ص ٢٢٥ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ١، ص ٣٤٤ ، الكناني : نهج السلوك إلى معرفة سير الخلفاء والملوك ، ص ص ٢٧٢ ، ٢٧٧ ، أنظر كذلك . العش : تاريخ عصرالخلافة العباسية ، ص ٦٨ ، نادية حسن صقر : السلم في العلاقات العباسية البيزنطية ص ٤٨ .

(٨) الجهشياري : نصوص ضائعة من كتاب الوزراء والكتاب ، ص٢٦ .

(٩) الذهبي : سير اعلام النبلاء ، جـ ١٢ ، ص ص ٨٣ ، ٨٤ .

عـ ـن الوزارة سنـ ـة (٢٢٠هـ / ٨٣٨م) [١].

أصبحت المصادرات موردا مهما من موارد بيت المال في نهاية العصر العباسي الأول ، فتوسع الواثـق في محاسبة عمال الدواوين فيما يلون من أموال الدولة ، كلما تبين له خيانتهم وإسرافهم في المال ، فحبسهم وألزمهم أموالا ، فاستخرج منهم ألف ألف وسبعمائة وأربعين ألف دينـار (١٧٤٠,٠٠٠) [٢] دينـارا ، وصـادر المتـوكل أمـوال وزيريه ، محمد بن عبد الملك الزيات[٣]،وأحمد بن أبى دواد[٤]،ويبدو أن الخلفاء خصصوا بيوتا خاصة للأموال التي صادروها من العمال ، فيذكر عبد الله بن المبارك ،أن المنصور أعد بيتا للأموال التي أخذها من العمال مصادرة "[٥] ، ومع ذلك فقد أعاد بعض الخلفاءالأموال المصادرة لبعض العمال بعد استرضائهم[٦]، تحـت تأثير بطانتهم والمقربين إليهم ، فأعاد المهدي كثيرا مما صـادره المنصور من أموال الكتـاب عليهم[٧] ، وتدخـل أحمد بن أبى دواد لدى المعتصم للعفو عن كل من محمد بن الجهـم البرمكي[٨]،

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ، جـ ١٠ ، ص ٢٩٣ ، العبر في خبر من غبر ، جـ ١ ، ص ٢٩٩ ، مجهول : العيون والحدائق في الأخبار والحقائق ص ١٤ .

(٢) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٧ ، ص ٣١٩ – ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٠ ، ص ٣٠١ .

(٣) الأصفهاني : الأغاني جـ ٢٧ ، ص ٩٢٠٠ ، الخطيب : تاريخ بغداد ، جـ ٢ ، ص ٣٤٣ ، ابن دحية : النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس ، ص ٨٤ .

(٤) ابن دحية : النبراس في تاريخ خلفاء بني عباس ، ص ٨٥.

(٥) ابن الخطيب : روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار ، ص ٣٧ .

(٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ١ ، ص ص ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ابن الخطيب : روض الأخبار ص ٣٧ ،الشيرازي : تهذيب الرياسة السياسة ، ص ص ٣٧١ ، ٣٧٢ .

(٧) ابن الخطيب : روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار ، ص ٣٧ .

(٨) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ١ ، ص ص ٨٢ ، ٨٣ ، محمد بن الجهم البرقاني الشامي ، ولي دمشق للمعتصم ، سنة (٢٢٥ هـ /٨٤٠ م)، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، جـ ٢٥ ، ص٢٤١ .

وخالد بن يزيد بن مزيد[1]، لاختيانهما من المال العام ، فعفا عنهما .

وإذا ما أردنا تلمس موقف العلماء في مصادرة الخلفاء لأموال الوزراء والكتاب ، فإن مجمل ما سنجده في المصادر هي مواقف عامة ، تمثلت في توجيه الخلفاء لحسن اختيار الوزراء والأعوان والولاة والعمال ، وتوخي فيهم النزاهة والعفة عن أموال المسلمين ، كما تطالعنا المصادر بتيار كثيف من الروايات التي تشير إلى توجيهات العلماء للخلفاء للرقابة على الوزراء والعمال ومحاسبتهم في المال العام ، وقد سبق أن وردت في سياقات عدة ، أما عن مواقف محددة ومباشرة من مصادرات الخلفاء لأموال الوزراء والعمال والكتاب ، فبحسب استقصائنا للمصادر التي أتيحت لنا لم نجد ، وهو يتفق مع الاتجاه العام للعلماء ، إذ كانوا يتجنبون الخوض في المشكلات التي يكون طرفيها أشخاص في السلطة ، وربما لإدراكهم شرعية هذه المصادرات ، بوصفها تطور لنظام المقاسمة الذي اعتمده الخلفاء الراشدون ، ابتداء من خلافه عمر بن الخطاب.[2]

ثانيا: موقف العلماء من أساليب جباية المال :

كانت القاعدة الشرعية في جباية الأموال ، وبالذات الخراج ، أخذ ما يزيد عن حاجاتهم ، وهي مبنية على قوله تعالى : " خذ العفو " [3] ، والرفق بأهل المال لدى جباية ما يجب عليهم فيه ، وهو يقتضي أن لا يكلّفوا فوق طاقاتهم واحتمالهم ، قال صلى الله عليه وسلم " من ظلم معاهدا أو كلفه فوق طاقته ، فأنا حجيجه يوم القيامة "[4] وكان النبي صلى الله عليه وسلم يوصي من يرسل من العمال

---

(٩) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ١، ص ٨٧ ، الشيرازي : تهذيب الرياسة وترتيب السياسة ، ص ص ٣٧١ ، ٣٧٢ ، خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني ابن الأمير المعروف يزيد بن مزيد ، ولي خالد الموصل للمأمون ، ثم ضم إليه = ديار ربيعة ، وكان خالد بن يزيد من كبار قادة العباسيين ، توفي سنة (٢٣٠ هـ / ٨٤٥ م) ، في طريقه لإخضاع أرمينية عندما نقض أهلها العهد ، في خلافة الواثق ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ٦ ، ص ص ٣٤١ ، ٣٤٢ .

(١) روى مالك بن أنس أن عمر بن الخطاب كان يشاطر العمال فيأخذ نصف أموالهم ، فشاطر أبا هريرة ، وشاطر إبلا لعبد الله بن عمر لأنه رعاها في مراعي الحمى ، وقال عبد الله بن المبارك أن عمر كان يكتب أموال عماله إذا ولاهم ، ثم يقاسمهم ما زاد عن ذلك ، البلاذري : فتوح البلدان ، جـ ٣٠٧ ، الطرطوشي : سراج الملوك ، ص١٤٣ .

(٢) الأعراف : الآية : ٩٩ .

(٣) رواه أبو داود في سننه ، كتاب الخراج والفيء والإمارة ، باب التشديد في جباية الجزية ، جـ ٢ ، ص ١٥٢ .

لجباية المال بالرفق بالناس .

وفي عهد الخلفاء الراشدين ، ظل الرفق هو سمة التعامل مع أهل الذمة في جباية المال ، فقد تحرى الخلفاء الراشدون الرفق بأهل الذمة لدى جباية الخراج ، فأنكر عمر بن الخطاب على أحد عماله كثرة ما أتاه به من مال لئلا يكون قد أرهق الناس فيه ، قائلا: "إني لأظنك قد أهلكت الناس"[١]ونهى علي بن أبي طالب عماله عن تكليف الناس فوق طاقاتهم،حيث قال: "ولا تضرب رجلا سوطا في جباية درهم ولا تبيعن لهم كسوة شتاء ولا صيف وإن رجعت كما ذهبت ، إنما امرنا أن نأخذ منهم العفو"[٢].

وفي العصر الأموي تحرى كثير من الخلفاء العدل والرفق في أساليب جباية المال ،فقال عبد الملك ابن مروان لأحد عماله : " لا تكن على درهمك المأخوذ أحرص منك على درهمك المتروك ، وابق لهم لحوما يعقدون بها شحوما "[٣] وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أحد جباة المال في عهده يحثه على الرفق بأهل الخراج قائلا : " دع لأهل الخراج من أهل الفرات ما يتختمون به ، ويلبسون الطيالسة ويركبون البراذين ، وخذ الفضل " .[٤]

وفي العصر العباسي الأول دأب العلماء على توجيه الخلفاء والولاة والعمال إلى الرفق في جباية الأموال سواء أكان التعامل فيها مع المسلمين أم مع أهل الذمة ، خصوصا وقد رأوا قسوة بعض العمال في جباية الأموال ، ورغبة بعض الخلفاء في زيادة واردات بيت المال لمواجهة الأعباء الجديدة التي تقوم بها الدولة ، الا أن العلماء كانوا يقيسون ما يجدون في عصرهم من أساليب لجباية الأموال على القواعد الشرعية التي حُدِدَت في الكتاب والسنة ، وعلى ما حدث من تطبيقات عملية لها في عهدي

---

(١) أبو عبيد : كتاب الأموال ، ص ٥٢ .

(٢) الرحبي : الرتاج الرصد على خزانة كتاب الخراج ، حققه أحمد بن عبيد الكبيسي مطبعة الإرشاد بغداد ، ١٣٩٣ /١٩٧٣م ، جـ ١ ، ص ص ١٣٢ ، ١٣٣ .

(٣) الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ١٤٩ .

(٤) ابن قتيبة : عيون الأخبار ، جـ ١ ، ص ١١٦ .

النبوة والخلافة الراشد ، فنهى الأوزاعي صالح بن علي عن تكليف أهل بعلبك[١] فوق ما يطيقون ، عندما شكوا إليه ظلم عمال صالح لهم في استيفاء الخراج، فأمره بمقضتي وصية رسول الله في أهل الذمة ، حيث قال صلى الله عليه و سلم : "من ظلم معاهدا وكلفه فوق طاقته، فأنا حجيجه يوم القيامة "[٢] وانتقد أحد العلماء المنصور لحرصه على جمع المال وأخذه الناس بالقوة لأدائها ، فقال له : " وبعثت عمالك في جباية الأموال وجمعها وقويتهم بالرجال والسلاح [٣] بل إن ابن أبي ذئب قال له صراحة أنه يأخذ المال من غير حقه [٤] ، وأكده آخر فقال له : " أغفلت أمور المسلمين واهتمت بجمع أموالهم" [٥] ، وبين أبو يوسف للرشيد أهمية الرفق بأهل الذمة في جباية الخراج ، فحثه على اختيار العمال من أهل الصلاح والتقوى[٦] ، وعدم الزيادة على أهل الخراج فوق عهدهم ،والمساواة فيما بينهم[٧] ، وأن لا يضربوا ولا يوقفوا في الشمس في استيفاء الخراج[٨] ، وأن لا يكلّفوا فوق ما يحتملون[٩].

ويبدو أن ذلك كان يحدث بالفعل من بعض العمال ، و هو ما ألمح إليه أبو يوسف في قوله : " فإنه بلغني أنهم يقيمون أهل الخراج في الشمس ويضربونهم الضرب الشديد ويقيدونهم بما يمنعهم من

---

(٥) بعلبك: مدينة حسنة من أطيب مدن الشام ، تضاهي دمشق في جمالها ، كثيرة البساتين والأنهار ، تشتهر بصناعة الدبى وهو نوع من المربى من العنب ينسب إليهـا ، كما تصنـع بها الثياب المنسوبة إليها ، كما تصنع بها الأدوات الخزفية ، ابن بطوطة :تحفة النظار في غرائب الأمصار المعروف برحلة ابن بطوطـة ، تحقيق طلال حرب ، دار الكتيب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م، ص ١٠٢ .

(١) رواه أبو داود في سننه ، كتاب الخراج والفيء والإمارة ، باب في التشديد في جباية الجزية ، جـ ٢ ،ص ١٥٢ ، البلاذري : فتوح البلدان ، ص٢٢٢.

(٢) ابن قتيبة : عيون الأخبار ،جـ ٢ ، ص ٣٦١ .

(٣) الغزالي : إحياء علوم الدين ، جـ ٢ ، ص ص ٥١٤ ، ٥١٥ .

(٤) ابن قتيبة : عيون الأخبار ، جـ ٢ ، ص ٣٦١ .

(٥) أبو يوسف : كتاب الخراج ، ص ص ٨٧ ، ١٣٣ ، ١٣٤.

(٦) المصدر نفسه : ص ص ١١٥ – ١١٦ .

(٧) المصدر نفسه، ص ص ١١٨ ، ١٣٣ .

(٨) المصدر نفسه ، ص ص ١٣٤ – ١٣٥ ، ٩٢ ،

الصلاة "[1] ، وهو يشير أيضا إلى أن كثيرا من المسلمين قد دخلوا في أرض الخراج .

وأكد ذلك أبو عبيد ، فذهب إلى أنه لا يؤخذ من أهل الخراج إلا العفو[2] ، (الزيادة) ، ودعا إلى الرفق في استيفاء الخراج والتيسير على أهله ، مستشهدا بما فعله السلف من الخلفاء الراشدين والصـحابة مع أهل الخراج والعشر ، فقال : " كان علي ـ رضي الله عنه ـ يأخذ الجزية من ذي الصنع من صاحب الإبر إبرا ، ومن صاحب المسان[3] مسانا ، ومن صاحب الحبال حبالا [4]، رغبة في التخفيف عليهم وفي الرفق بهم ، وأن معاذ بن جبل اتبع سياسة الرفق في الجباية مع أهل اليمن ، فأخذ منهم الثياب مكان الصدقة ، تخفيفا عليهم ، لأنهم يصنعونها ، قائلا : " فإنه أهون عليكم وانفع للمهاجرين والأنصار "[5] ، واستنكر أبو عبيد تكليف أهل الذمة مالا يقدرون عليه ، وتعذيبهم لاستيفاء الخراج[6] ، وكان يدعوا لتأجيلهم والرفق بهم ، وعاضده في مذهبه هذا ابن زنجويه[7] ، وغيره من العلماء .

ثالثا: موقف العلماء من مصارف المال في العصر العباسي الأول:

تعددت مصارف المال وزادت عما كانت عليه قبل ذلك ، فظهرت إلى جانب المصارف الثابتة المعروفة ، مثل العطاء والأرزاق ، ونفقات إعداد الجيوش بالسلاح والمؤن ، وتحصين الثغور ، وبناء الأساطيل البحرية ، وما إلى ذلك ، والإنفاق على المرافق العامة ، مثل حفر الأنهار والقنوات وصيانتها ، وتمهيد الطرق وبناء المساجد والمشافي (البيمارستانات)، وكفالة الزمنى والمحتاجين ،

---

(٩) المصدر نفسه ص ١١٨ .

(١٠) ابو عبيد : الأموال ، ص ٥٢ ، ابن آدم : كتاب الخراج ،ص ٧٥ .

(١) المِسان جمع مِسَن وهو الحجر الذي يسن به أويسن عليه ، ابن منظور ، لسان العرب جـ ٦ ، ص ٤٢٠٥ .

(٢) ابو عبيد : كتاب الأموال ، ص ص ٥٣ ، ٥٤ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) ابن قيم الجوزية : أحكام أهل الذمة ،جـ ١ ، ص٤٣ .

(٥) كان ابن زنجويه يوجه العمال إلى الرفـق في جباية الأموال ، خصوصا أموال أهل الذمة ، ويعطيهـم صورا من سياسة الخلفاء الراشدين في الجباية ، ابن زنجويه : كتاب الأموال ، جـ ١ ، ص ص ١٤٦ ، ١٦٦ ، ١٦٩ ، ١٧٠ .

ظهرت إلى جانب هذه المصارف ، مصارف جديدة ، لم يكن العباسيون هم الذين ابتدعوها ، وإنما ظهرت في العصور السابقة لهم ، إلا أنهم توسعوا وبالغوا فيها ، كان منها نفقات الخلفاء والأمراء والولاة ، بما في ذلك الإنفاق في بناء القصور وفي أثاثها، والتأنق في المأكل والمشرب والملبس والمركب ، والمبالغة في إظهار أبهة السلطان ، ومن ذلك أيضا هبات الخلفاء والأمراء سواء للقادة والمقربين ، أم للعلماء والشعراء ، وغيرهم ، أو لاسترضاء الخصوم السياسيين وائتلافهم ، بما في ذلك الإقطاعات .

وكان العلماء ينظرون إلى هذه المصارف من زاويتين ، ويقسمونها تبعا لذلك إلى قسمين ، القسم الأول : الإنفاق فيما يعود بالنفع على المسلمين ، والقسم الثاني : الإنفاق فيما لا يعود بالنفع على المسلمين .

أ- العطاء :

العطاء هو نول الرجل السمح ، والعطاء والعطية اسم لما يعطى ، والجمع عطايا وأعطية ، وأعطيات ، جمع الجمع [(١)] ، وهو مقدار من المال تعطيه الدولة لمن يستحقونه من الناس ، ممن دونت أسماؤهم في ديوان العطاء ، ومنه عطاء الجند ، وهو ما يعطى لهم من مال مقابل اشتغالهم بالجندية .[(٢)]

لم يظهر العطاء من الناحية الرسمية - بوصفه نظاما ماليا، يختص به ديوان مستقل - إلا في خلافة عمر بن الخطاب ، إلا أنه من الناحية العملية ظهر في العهد النبوي ، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقسم كل ما توافر لديه من أموال الفيء وخمس الغنيمة وغيرها بين المسلمين فور حيازتهـا[(٣)] ، واستمر الأمر على ذلك في خلافة أبي بكر الصديق ، خصوصا مع عدم وجود بيت للمال ، فكانت الأموال تقسم فور وصولها ، ولم يظهر العطاء كنظام مستقل إلا في خلافة عمر بن الخطاب[(٤)] ، وقد

---

(١) ابن منظور : لسان العرب ، ، جـ ٤ ، ص ٣٠٠١ .

(٢) الشرباصي : المعجم الاقتصادي الإسلامي ، ص ٢٩٦ .

(٣) الكتاني : التراتيب الإدارية ، الناشر حسن مهنًا ، بيروت ، د . ت ، جـ ١ ، ص ٢٢٤ .

(٤) أبو يوسف : كتاب الخراج ، ص ٢٦ ، البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٦٣٠ .

ميز بين الناس فيه فجعله على طبقات بحسب السابقة في الإسلام والبلاء فيه[1] ، والقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعد أن كان الناس متساوين قبل ذلك .

اعتمد الخلفاء الراشدون والأمويون بعد عمر تنظيماته في العطاء ،مع بعض التغييرات البسيطة ، خصوصا في العهد الأموي ، فظهر شرف العطاء ، الذي خص به كبار القادة والمقربين من الخلفاء[2] ودخلت معايير جديدة في تميز العطاء [3] ، ومنع عن المعارضين للدولة [4] ، وأخذت منه الزكاة [5] ، وورثه الأبناء بعد الآباء [6] ، وادخلت أسماء جديدة في ديوان العطاء[7] ، ولا يتسع المجال هنا لتفصيل مجمل التبدلات التي أعترت نظام العطاء في العصر الأموي .

وفي العصر العباسي الأول استمر العطاء على ما كان عليه في العصر الأموي مع بعض التغيرات ، ولن نخوض في هذا السياق في تفاصيل نظام العطاء ، لأن ذلك ليس من صميم دراستنا ، ولكن سنقصر حديثنا فيه عن مواقف العلماء منه .

ورث العباسيون بعض سلبيات نظام العطاء في العصر الأموي ، خصوصا فيما يتعلق بمعايير تمييز وترتيب الناس فيه ، فتقدم الأمراء وقادة الجيش والمقربين إلى الخليفة ، العلماء وأبناء الصحابة ، بل إن كثيرا من أبناء المهاجرين والأنصار قد حرموا من العطاء ، فضلا عن أن قطاعات كبيرة من المسلمين ظلت خارج ديوان العطاء ، مع وفرة المال وتبديده فيما لا يعود بالنفع على المسلمين .

كانت كل هذه التبدلات موضع انتقاد العلماء لخلفاء العصر العباسي الأول ، فأنكر سفيان الثوري

---

(٥) أبو عبيد : الأموال ، ص ٢٣١ ، البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٦٣١ ، الماوردي : الأحكام السلطانية ص ٢٠٠.

(١) ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ، جـ٢٥ ، ص ٧٢ .

(٢) المصدر نفسه ، جـ ٢٨ ، ص ٢٠ .

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٤ ، ص ١٨٩ .

(٤) ابو عبيدة : كتاب الأموال: ص ٤١٤ ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ٥ ، ص ٣٨٢ ، ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ، جـ ٢٥ ، ص ٧١ .

(٥) البلاذري: فتوح البلدان ، ص ٦٤٣ .

(٦) الدنيوري : الأخبار الطوال ، ص ٣٠٥ .

على المنصور حرمان بعض أبناء الصحابة من العطاء[1] ، وبين له عبد الرحمن بن مهدي ، ضرورة أن يشمل العطاء المسلمين كافة دون تمييز، واستشهد بقول عمر بن الخطاب : " ما من أحد من المسلمين إلا وله في هذا المال حق ، أعطيه أو منعه"[2] ، وتدخل الشافعي لدى الرشيد لإدخال أبناء المهاجرين والأنصار في العطاء ، حيث قال له : " وعليك بالمهاجرين والأنصار فأقبـل من محسنـهم وتجـاوز عن مسيئـهم وآتهم من مال الله " [3]وأفتى أحمد بن حنبل بأن العطاء للناس كافة [4] ، وبمثل ذلك أفتى ابن زنجويه ، حيث قال : " ليس أحد إلا له في هذا المال حق " [5] يعني الفيء ، وسبيله العطاء .

ب- نفقات الخلفاء الشخصية :

تزايدت نفقات الخلفاء الشخصية في العصر العباسي الأول تبعا لتطور أساليب الحياة ، وبسبب رغبتهم في إظهار أبهة الخلافة ، فضلا عن تأثر المسلمين عموما بأنماط الحياة في البيئات الجديدة التي استقروا فيها في العراق والشام ومصر وبلاد فارس ، والذي اتفق مع تدفق الأموال الضخمة على بيوت الأموال العامة والخاصة ، كل هذا ساعد على زيادة نفقات الخلفاء والأمراء عما كان عليه أسلافهم من الخلفاء الراشدين ، والأمويين .

نظر العلماء إلى هذه النفقات على أنها تبديدا لمال المسلمين فيما لا يعود بالنفع عليهم ، ووضعا للمال في غير موضعه ، خصوصا وإن أعينهم ظلّت ترنوا إلى تعامل الخلفاء الراشدين مع المال العام ، ماذا أخذوا منه لأنفسهم ؟ وماذا أبقوا منه للمسلمين ، فنظروا إلى الخليفة بوصفه أحد المسلمين لا يتناول من مالهم فوق كفايته [6] ، فأبوبكر لم يأخذ من المال العام غير كفايته ، لما ترك حرفته

---

(٧) ابو نعيم: حلية الأولياء ، جـ ٧ ، ص ٤٥ .

(٨) المصدر نفسه ، جـ ٩ ، ص ص ٣٩ ، ٦٥ .

(١) المصدر نفسه : ص ٩٧ .

(٢) ابو يعلي : الأحكام السلطانية ص ١٣٨ .

(٣) ابن زنجويه : كتاب الأموال جـ ٢ ، ص ٥١٩ .

(٤) الموصلي : حسن السلوك الحافظ لدولة الملوك ، ص ١٠٨ .

التجارة [١] ، ومع ذلك فإنه ، قبيل أن يموت ، أحصى جميع ما أخذه من مال المسلمين في مدة خلافته ، فبلغ ثمانية الآف درهم ، أمر ورثته بقضائها عنه [٢] وبين عمر ما يجوز للخليفة أخذه بقوله : " إنما أنزلت نفسي من هذا المال منزلة ولي اليتيم ، إن احتجت أخذت ، فإذا أيسرت رددته ، وإن استغنيت ، استغنيت وإن افتقرت أكلت بالمعروف "[٣] ، ولم يكن لأبي عبيدة ، وهو والي الشام في عهد عمر ، في بيته متاع ولا طعام ألا كسيرات من الخبز[٤]،وعندما قيل لعمر بن عبد العزيز: أفقرت بنيك ، قال لأبنائه :" والله ما منعتكم حقا هو لكم ، ولم أكن بالذي أخذ أموال الناس فأدفعها إليكم"[٥].

رأى العلماء في العصـر العباسي الأول أن هـذه الحساسية التي كان عليها الخلفاء الراشدون بدأت بالضمور في حياة معاصريهم من الخلفاء ، الذين أسرعوا في مال الأمة وأنفقوا شطرا كبيرا منه في مصالحهم الشخصية ، فيما لا يعود بالنفع على المسلمين ،فأنكروا عليهم ذلك ، فحذر الأوزاعي المنصور من عاقبة الاستئثار بمال المسلمين لنفسه ، أو تمكين عماله منه [٦] ، وعرض به عمرو بن عبيد ، عندما مر بالسلطان يقطع سارقا ، فقال :" سارق العلانية يقطع سارق السر" [٧] ولما حج المهدي وبالغ في نفقته[٨] ، وثب له سفيان الثوري قائلا : " حج عمر بن الخطاب ، فسأل غلامه كم بلغت نفقتنا ؟ فأجابه الغلام بأنها بلغت ستة عشر دينارا ، فقال :" ويلك أجحفنا بيت مال المسلمين

---

(٥) المصدر نفسه ، ص١٠٩.

(٦) المصدر نفسه ، ص ١١١.

(٧) المصدر نفسه ، ص ١٠٩ .

(١) الموصلي : حسن السلوك الحافظ لدولة الملوك ، ص ١١٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ص ٦٥ ، ٦٦ .

(٣) قال الأوزاعي للمنصور محذرا إياه من العبث بالمـال العام :" السلطان أربعة أميـر قوي يظلف (يحـرم) نفسه وعماله ، فذاك كالمجاهد في سبيل الله ، وأمير فيه ضعف يظلف نفسه ويرتع عماله فهو على شفا هلاك إلا أن يُرحـم ، وأمير يظلف عماله ويرتع نفسه فهو الحطمة الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : " شر الرعاة الحطمة " فهو هالك وحده ، وأمير أرتع نفسه وعماله فهلكوا جميعا " ، ابن قتيبة : عيون الأخبار ، جـ ٢ ، ص ص ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ .

(٤) ابن الخطيب : روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار ، ص ١٥٧ .

(٥) القلعي : تهذيب الرياسة وترتيب السياسة ، ص ص ٥١ ، ٥٢ .

، وأنت حججت فأنفقت في حجتك بيوت الأموال ؟ [1] " ولما حج هارون الرشيد لقيه عبد الله العمري ، فأنكر عليه المبالغة في نفقاته قائلا : " إن الرجل ليسرف في ماله فيستحق الحجر عليه ، فكيف بمن يسرف في مال المسلمين " [2]، ودخل عليه ابن السماك منكرا كثرة نفقاته الشخصية، واستئثاره بمال المسلمين ، فقال ، يا أمير المؤمنين إن الله تعالى يقول : " ويلٌ للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون " [3] (ثم قال) هذا يا أمير المؤمنين وعيد لمن طفف الكيل ، فما ظنك بمن أخذه كله "[4] ، ولما دخل أبو العيناء الضرير [5] قصر المتوكل المعروف بالجعفري سنة (٢٤٦ هـ /٨٦٠ م) قال له : " إن الناس بنوا الدور في الدنيا وأنت بنيت الدنيا في دارك "[6] في إشارة لكثرة ما أنفق فيه وما يحتويه من متاع الدنيا، وتعريضا لكثرة ما أنفق فيه .

وهكذا فقد رأى العلماء أن نفقات الخلفاء العباسيين قد تجاوزت الحد المسموح به ، والذي حدده العلماء بما يكفي الخليفة ، فقال معمر بن راشد يعطى قدر الكفاية من النفقـة له ولمن يلزمه نفقته من الكسوة والمـركب والمسكن والخادم "[7] .

جـ - هبات الخلفاء :

---

(٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ٢ ، ص ص ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، الأربلي : خلاصة الذهب المسبوك مختصر سيرة الملوك ، ص ٧١ ، الموصلي : حسن السلوك الحافظ لدولة الملوك ص٤١٤ .

(٧) المبارك : كتاب النصح في الدين ومأرب القاصدين في مواعظ الملوك والسلاطين ، ص ٥٠ ، ابن الجوزي : صفة الصفوة ، جـ ٢ ، صر ١٢٣ ، الطرطوشي : سراج الملوك ، ص ٤٧ .

(١) المطففين ، الآيات : ١٤ ، ٢ ، ٣ .

(٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، جـ ٣ ، ص ١٠٨ ، ابن الخطيب : كتاب روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار ، ص ٢٧ ، ٢٨ .

(٣) ابو العيناء محمد بن القاسم بن خلاّد الضرير ، من علماء البصرة ، غلبت عليه الأخبار، فكان إخباريا في عصره ، أخذ عمن سبقه من تابعي التابعين أمثال الأصمعي ، لم يعتد به في الحديث ولقب بالضرير لأنه أصيب بالعمي بعد أن بلغ الأربعين ، توفي سنة(٢٨٣ هـ/٨٩٦ م) وقد جاوز التسعين سنة ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ١٣ ، ص ص ٣٠٨ ، ٣٠٩ .

(٤) ابن وادران : تاريخ العباسيين ، ص ٦٠٠ .

(٥) الموصلي : حسن السلوك الحافظ لدولة الملوك ، ص ١١٠ .

لعل من أكثر أوجه إنفاق الخلفاء للمال في العصر العباسي الأول ، الهبات والعطايا والجوائز التي كانت تمنح للقادمين عليهم ، وتلك التي كانت تفرق بين الناس في مواسم الحج ، ومنها ما كان ذا طابع سياسي ، لاسترضاء بعض المنافسين وإئتلافهم ، وكان منها ما خص به الشعراء إزاء مديحهم وثنائهم على الخلفاء والأمراء .

بالرغم مما عُرف به المنصور من الحرص في المال ، إلا أنه كان يعطي الجوائز والهبات ، فيذكر أنه أعطى أشراف قريش ، لما حج ، لكل واحد منهم ألف دينار ، بل أنه لم يترك أحدا من أهل المدينة إلا أعطاه[١] ، وكان المهدي كثير الهبات ، فتذكر الروايات أنه بدد ما جمعه أبوه المنصور في الهبات والعطايا والجوائز[٢] ، ومن ذلك أنه فرق لدى حجة سنة (١٦٠هـ/٧٧٧م)على أهل الموسم مالا عظيما ، كان من جملته مائة وخمسون ألف ثوب [٣] ، وأعطى أعرابي استضافه في إحدى رحلات صيده خمسمائة ألف درهم[٤] .

واقتفى الرشيد نهج أبيه المهدي في العطاء والهبات[٥] ، فكان يعطي المال كل من يسأله ، فعندما حج سنة (١٧٤هـ/ ٧٩٠م) ، وزار المدينة [٦] ، شكا إليه مالك بن انس شدة أحوال أهل المدينة وغلاء الأسعار ، فأعطاهم عشرة أضعاف ما أعطاهم المهدي[٧] ، وقد تكرر هذا الأمر عندما أطلعه الشافعي على ما يعانيه أهل الحجاز من الإقلال وشظف العيش ، فأمر لأهل المدينة بثلاثمائة ألف

(١) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الخلفاء والملوك ، جـ ٨ ، ص ص ٢٧ ، ٢٨ .

(٢) لما ولي المهدي الخلافة أخرج ما في الخزائن ففرقه في أهل بيته وأقرباءه ومواليه ، الخطيب : تاريخ بغداد ، جـ ٥ ، ص ٣٩٢ – ٣٩٣ ، السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص٣١٤ .

(٣) المقريزي : الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، ص ص ٤٤ ، ٤٥ .

(٤) الخطيب : تاريخ بغداد ، جـ ٥ ، ص ص ٣٩٧ ،٣٩٨ ، الكناني : نهج السلوك على معرفة سير الخلفاء والملوك ، ص ٢٥٠ .

(٥) الجاحظ : التاج في أخلاق الملوك ، جـ ٥ ، ص ٣٧ .

(٦) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٦ ، ص ٤٤٨ ، الأربلي : خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٨٦ .

(٧) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ، جـ ٢ ، ص ٢٠٨ .

درهم ، ولأهل مكة مثلها[١] ، وعُرف المأمون بكثرة هباته وعطاياه ، فيذكر وزيره ابن أكثم أنه وهب عند زيارته دمشق مالا جزيلا ، ولم يختلف عنه في ذلك المعتصم .[٢]

وكانت ثمة هبات ذات طابع سياسي ،خص بها بعض المعارضين والخصوم السياسيين لاستئلافهم واسترضائهـم ، وهو تسخير للمال لخدمة الأغراض السياسية ، فأعطى أبو العباس عبد الله بن حسن ابن حسن لما قدم عليه الكوفة ألف الف(مليون) درهم[٣] ، وكان يهدف من هذه الأعطية إلى استرضائه هو ومن خلفه من العلويين ، وإن كان عبد الله استخدمها ، بعد ذلك ، لتمويل حركة ابنه محمد النفس الزكية ضد المنصور ، وأعطى المنصور في هذا السبيل عمومته في يوم واحد عشرة الآف ألف[٤] (١٠ مليون) درهم سنة (١٤٦هـ / ٧٦٣م) بعد أن قبل عمه موسى بن عيسى التنازل عن ولاية العهد للمهدي .[٥]

كما حظي الشعراء بنصيب من عطايا وجوائز الخلفاء والأمراء العباسيين إزاء القصائد التي امتدحوهم بها ، فأعطى المنصور لابن هرمة [٦] عشرة الآف درهم لقصيدة امتدحه بها[٧] ،وفي خلافة

---

(٨) ابن أعثم : كتاب الفتوح ، جـ ٨ ، ٢٥٠ .

(٩) قال ابن أبي دواد : تصدق المعتصم ووهب على يدي ما قيمته مائة ألف ألف (مائة مليون) درهم ، الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٧ ، ص ٣١٨ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١٠ ، ص ٢٩٦ .

(١) الكناني : نهج السلوك إلى معرفة سير الخلفاء والملوك ، ص ٢٤٦ .

(٢) الداوداري : كنز الدرر وجامع الغرر ، جـ ٥ ، ص ص ٣٨ ، ٣٩ ، الكناني : نهج السلوك إلى معرفة سير الخلفاء والملوك، ص ٢٤٨ ، ابن الخطيب : روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار ، ص ٣٧ .

(٣) الداوداري : كنز الدرر وجامع الغرر ، جـ٥ ، ص ص ٣٨ ، ٣٩ .

(٤) إبراهيم بن علي بن مسلمة بن عامر بن هرمة ، يكنى بأبي إسحاق ، من الشعراء المخضرمين ، بين العصرين الأموي والعباسي ، أمتدح الوليد بن يزيد فأجازه ، وفي عصر الدولة العباسية قدم بغداد على المنصور ومدحه ، فأحسن المنصور جائزته ، وكان هواه مع العلويين ، ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ،جـ ٧،ص ص ٦٣، ٦٤، ٧١ .

(٥) الخطيب : تاريخ بغداد ، جـ ٦ ، ص ١٢٩ .

المهدي استأثر الشعراء بنصيب كبير من عطايا الخليفة ، فأعطى مروان بن أبي حفصة [١] مائة الف درهم لقصيدة أثنى عليه فيها [٢] ،وأعطى آخر خمسين الف درهم[٣] ، وأعطى الرشيد المفضل الظبي[٤] الف وستمائة دينارا ،لأبيـات قالـها [٥]،وعندمـا أنشـد محمد بن عبد الله ابن أيوب [٦] ، الأمين أجازه بمائة الف درهم[٧] ، وحشت زبيـ ـدة فم سالم الخاسر [٨] درا بعشرين الف دينار إزاء قصيدة امتدح بها الأمين[٩] .

لم يكن الخلفاء وحدهم الذين وهبوا الشعراء وأعطوهم الجوائز السنية ، بل لقد درج الأمراء والولاة على تقليد الخلفاء في الهبات ، وليس أدل على ذلك مما كان يمنحه البرامكة للشعراء نظير امتداحهم[١٠] ، وقد كان ذلك مما أثار الرشيد عليهم .

وفي الوقت الذي حث فيه العلماء خلفاء بني العباس على إعطاء المحتاجين خصوصا من أهل المدينة الذين اختاروا جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم[١١] ، على الخروج إلى الأمصار الجديدة

---

(٦) مروان بن أبي حفصة (لم أقف له على ترجمة) .

(٧) الخطيب : تاريخ بغداد ، جـ ٥ ، ص ٣٩٥ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ٢ ، ص ٣٥١ .

(٨) الخطيب : تاريخ بغداد ، جـ ٥ ، ص ص ٣٩٣ ، ٣٩٤ .

(٩) الفضل بن محمد الضبي المقري الكوفي ، كان إخباريا موثوقا قارءا ، فقد أخذ عنه الكسائي ، وكان مع ذلك شاعرا جيد الأشعار ، توفى سنة(١٦٨ هـ ٨٠٢ م)، الذهبي : تاريخ الإسلام ، جـ ١٠، ص ص ٤٧٠ ، ٤٧١ .

(١٠) الأربلي : خلاصة الذهب المسبوك ، ص ص ٨٣ ، ٨٤ .

(١) محمد بن عبد الله بن أيوب الشاعر . لم أقف له على ترجمة .

(٢) الخطيب : تاريخ بغداد ، جـ ٣ ، ص ٣٣٨ ، ٣٣٩ .

(٣) سالم بن عمرو بن حماد بن عطاء بن ياسر ، يكنى بأبي عمرو ، ولقب الخاسر ، لأنه باع مصحفا واشترى به طنبورا (آلة للعزف) ، كان شاعرا ماجنا ، توفى سنة(١٨٦هـ /٨٠٢ م)، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٢ ، ص ص ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ .

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ٢ ، ص ٣٥٦١ .

(٥) ابن الخطيب : روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار، ص ص ١٣٧ ، ٢٠٥ ، الداوداري : كنز الدرر وجامع الغرر جـ ٥ ، ص ص ٨٨ ، ٨٩ .

(٦) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ، جـ ٢ ، ص ٢٠٨ .

حيث توافرت مصادر الرزق ، أنكروا عليهم المبالغة في هذه الهبات ، خصوصا تلك التي توجه إلى الشعراء والمتزلفين ، وتلك التي تعطى لأغراض الدنيا .

وانقسم العلماء ، من ناحية أخرى ، إزاء هبات الخلفاء ، إلى فريقين فهناك من جوز للخلفاء التصرف بالمال العام حسب ما يرونه [١] ، وذهب بعضهم الآخر إلى أنه ليس من حق الخليفة الهبة من مال المسلمين في مجالات لا تعود بالنفع على الأمة ، وقد عبر هذا الفريق عن موقفه هذا ، برفضه لما كان ، يقدم له من هبات ، فرفض أبو حنيفة مالا أرسله إليه المنصور ، ولما عاتبه المنصور على رفضه أعطيته ، قال : " ما وصلني أمير المؤمنين من ماله بشيء فرددته ، ولو وصلني بذلك لقبلته ، وإنما وصلني أمير المؤمنين من بيت مال المسلمين ، ولا حق لي في بيت مالهم "؟؟ وعندما أراد الرشيد مكافأة الفضيل بن عياض على موعظته إياه ، رفض الفضيل قبولها ، قائلا : " أرددها على من أخذتها منه "[٢] ، وامتنع بهلول المجنون عن قبول جائزته ، لأنه رأى أن المال الذي يعطي منه الرشيد للمسلمين ، وليس له الحق في تبديده ، فقال : " اردد الجائزة على من أخذتها منه ، وعندما طلب منه الرشيد أن يقضي عنه دينه ، أبى ذلك قائلا : " لا يقضى دين بدين ، اردد الحق إلى أهله واقض دين نفسك من نفسك "[٣] .

د- الإقطاع :

الإقطاع هو الشيء الذي قطِع من شيء[٤] ، كأن يقطع السلطان رجلا أرضا أو دارا فتصير له رقبتها، وتسمى هذه الأرض إقطاعا أو قطائع مفردها قطيعة .[٥] والإقطاع لم يبتدعه العباسيون ، كما أننا لا نتفق مع الذين ذهبوا إلى أن الخليفة عثمان بن عفان كان أول من سن الإقطاع [٦] ،إذ تؤكد

---

(٧) قال أبو يوسف : لا يحل لوالي خراج أن يهب لرجل من خراج أرضه شيئا إلا أن يكون الإمام قد فوض إليه ذلك ، فهو يرى أن للإمام حق التصرف في المال العام ، أبو يوسف : كتاب الخراج ، ص ٩٣ .

(١) الصفي الميموني : التبر المسبوك في صفات الملوك ، ص ٢٥ .

(٢) اليافعي : روض الرياحين في حكايات الصالحين ، د. د ، م . ت ، ص ٣٦ .

(٣) ابن منظور : لسان العرب : جـ ٥ ، ص ٣٦٧٩ .

(٤) الخوارزمي : مفاتيح العلوم ، ص ٨٦ .

(٥) العسكري : الأوائل العسكري ، جـ ٤ ، ص ص ١٤٤ ، ١٤٥ .

المصادر التاريخية أنه ظهر قبل ذلك ، في العهد النبوي ،فأقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحابة من المـوات [١]ومن العامر،فأقطع العقيق[٢] لبلال بن الحارث المزني [٣] ،وأقطع أبيض ابن حمال [٤] أرض بمأرب [٥] ، وأقطع الزبير بن العوام أرضا ذات نخل وشجر[٦] ، وكان هدف الإقطاع في العهد النبوي ، وفي عهد الخلفاء الراشدين ، دفع الناس إلى استصلاح الأرض واستثمارها ، بوصفها طاقـة ينبغي الاستفادة منها .

استمر الإقطاع في العصر الأموي ، وفي العصر العباسي ، وإن ظهرت له أهداف جديدة إلى جانب غاياته الأولى ، لعل أهمها ، مكافأة رجال الدولة على أدوارهم في تثبيت دعائم الخلافة سواء للأمويين أم للعباسيين ، ولن نخوض في تفاصيل الإقطاع في العصر الأموي ، وإنما سنركز حديثنا

---

(٦) الموات : الأرض التي لم تزرع ، ولم تعمر ، ولا جرى عليها ملك أحد ، وإحياؤها مباشرة عمارتها ، وهي إما بطائح وسباخ (ارض معمورة) يكون إصلاحها بتجفيفها ، أو أرض جافة مجدبة ليس بها ماء ، فيكون استصلاحها بإجراء الماء إليها ، ابن منظور : لسان العرب : جـ ٦ ، ص ٤٢٩٦ ، أنظر الشرباصي : المعجم الاقتصادي الإسلامي ، ص ٤٤٧ .

(٧) العقيق : هو كل سيل ماء شقة السيل في الأرض فأنهره ووسعه ، وفي بلاد العرب أربعة مواضع بهذا الاسم ، إلا أن المقصود بالعقيق هنا وادي كبير في بلاد مزينة ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٤ ص ص ١٣٨ ، ١٣٩ .

(٨) بلال بن الحارث المزني : يكنى بأبي عبد الرحمن ، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم في رجب سنة(٥ هـ / ٦٢٦م)، وكان معه لواء مزينة يوم فتح مكة ، توفي سنة (٦٠هـ / ٦٨٠ م) ، الخزرجي : خلاصة تذهيب تهذيب = =الكمال في أسماء الرجال ، حققه محمود عبد الوهاب فايد ، مطبعة الفجالة الجديدة ، القاهرة ، ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م ، جـ ١ ، ص ١٤٠ .

(١) أبيض بن حمال الماربي ، صحابي من اليمن ، قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستقطعه الملح الـذي بمأرب ، فأقطعه إياه ،ابن حبان : مشاهير علماء الأمصار ، ص ٥٨ .

(٢) أبو عبيد : كتاب الأموال ، ص ص ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، مأرب مدينة شرق اليمن ، كانت عاصمة لدولة سـبأ ، علـى وادي ذنة ، وإليها ينسب سد مأرب الشهير ، كما ينسب إليها الصحابي الجليل أبيض بن حمال الماربي ، وهي مـوطن قبيلة الأزد اليمنية ، التي خرج منها هجرات كثيرة باتجاه الشمال بعد تهدم سد مأرب ، كان منهم الأوس والخزرج ، و الغساسنة و المناذرة ، و ما زالت المدينة قائمة إلى اليوم ، وزادت أهميتها بعد إعادة بناء سد مارب ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ٥ ، ص ص ، ٤١ ، ٤٢ ،٤٣ ، ٤٥ .

(٣) أبو عبيد :كتاب الأموال ، ص ٢٨٢ ، ابن زنجويه ، كتاب الأموال ، جـ ٢ ، ص ٦١٤ .

عنه في العصر العباسي الأول .

توسـع خلفـاء العصـر العباسـي الأول في الإقطـاع ، وهدفـوا منـه مكافـأة بعـض الدعاة ، وبعض رجـال الدولـة ، وأمـراء البيـت العبـاسي على ما بذلوه في سبيل تحويل الخلافة من البيت الأموي إلى البيت العباسي ، فأقطع أبو العباس إبراهيم بن مسلمة [1] الخورنق [2]، وأقطع المنصور ببغداد عددا من موالي بني العباس أراضي ومواضع دور[3] ، وأقطع الربيع، أرضا ببغداد عندما إختطها[4] ، وأقطع عبد الوهاب بن إبراهيم [5] أرضا بإزاء باب الكوفة ببغداد[6] ، ويبدو أن المنصور كان يستعيد بعض هذه الإقطاعات إذا غضب على أصحابها ، وهو ما نلمحه مما فعله المهدي سنة (١٦١ هـ / ٧٧٨ م) ، إذ رد على أهل بيته وغيرهم قطائعهم التي كانت

---

(٤) إبراهيم بن سلمة : كان أحد الدعاة العباسيين في خراسان ، مع سليمان كثير الخزاعي ، وكان ممن عارض توليـة أبي مسلم على الدعاة بخراسان ، فعاتبه ، في ذلك إبراهيم الإمام ، وكان من أوائل الدعاة مبايعة لأبي العباس بالخلافـة بالرغم من ان أبا سلمة الخلال نهاهم عن إظهاره ومبايعته لأن واسط كانت لا تزال في يد ابن هبيرة ، الطبري : تاريخ الأمم والملوك جـ ٤ ، ص ص ٣٠٠ ، ٣٤٥ .

(١) البلاذري: فتوح البلدان ، ص ٤٠٤ ، الخورنـق : قـرية بالقـرب من بلـخ ، واللفـظ فارسـي معـرب ، والخورنـق أيضا اسم قصر كان بالحيـرة بناه النعمان بن امرئ القيس اللخمي ، وكان أية في فن العمارة ، والخورنق كذلك موضع بالكوفة ، قيل أنه نهر ، وترجح أنه المقصود هنا ، ياقوت : معجم البلـدان ، جـ ٢ ، ص ص ٤٥٨ ، ٤٥٩ .

(٢) كان ممن أقطعهم المنصـور ببغـداد أراض ودور ،سليمان بن مجالد ، أقطعـه موضع داره ، وأقطع مهلهـل بن صفوان قطيعة بالمدينة (بغـداد) وأقطـع عمارة بن حمزة النـاحيـة المعروفـة بـه ، وأقطـع ميمون أبا بـشر بن ميمون قطيعة عند باب الشام ببغـداد ، وأقطع شبيلا مولاه قطيعـة عند دار يقطين ، وأقطع أم عبدة بقرب الجسر ، وأقطع منيرة مولاة محمد بن علي في الجانـب الشـرقي (الرصافـة) ، البـلاذري : فتـوح البلـدان ، ص ص ٤١٥ ، ٤١ ٦ .

(٣) الخطيب : تاريخ بغداد ، جـ ١ ، ص ٨٨ .

(٤) عبد الـوهاب بن إبـراهيـم بن محمـد بن علي بن عبـد الله بن عباس ، ابن إبراهيم الإمام (لم أقف له على ترجمة).

(٥) اليعقوبي: كتاب البلدان ، ص ٤٥ .

مقبوضة منهم في عهد أبيه[١] ، وقد استمر الخلفاء بعد المهدي في إقطاع الأراضي لمكافأة المحسنين ، ولاستثمار الأرض المعطلة ، فأقطع الرشيد ضياع الخيزران بعد أن توفيت[٢].

نظر العلماء إلى الإقطاع بوصفه وسيلة لإحياء الموات - الأرض المعطلة - واستثمارها ، وقد بينوا أن إقطاعات الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده كانت لهذا الهدف ، وكرهوا في الوقت ذاته الإقطاع للأغراض الأخرى التي لا تعود بالنفع على المسلمين ، والتي تتحدد تبعا لهوى الخليفة ، وبينوا حدود الإقطاع فيما يتعلق بالأرض المقطعة ، فنهوا عن الإقطاع من الأرض المملوكة ، وكرهوا الإقطاع من أرض الخراج ، وأرض العشر .

فقد أشار الماوردي[٣] إلى أن العلماء نهوا السلطان عن الإقطاع مما تعين ملكه ، كما نهوا عن الإقطاع من أرض العشر[٤] ، وكرهوا الإقطاع من أرض الخراج ، فكان مالك والأوزاعي يَرَيان اجتماع الخراج والعشر على الأرض المقطعة من أرض الخراج ، ويكرهان ذلك على المسلم[٥] ، وفي الوقت الذي جوز فيه أحمد بن حنبل إقطاعات الصحابة ، كره إقطاعات الخلفاء العباسيين ، لأن بعضهم تجاوزوا في إقطاعاتهم أهداف وغايات وحدود الإقطاع ، فقال :" لأن منهم من أقطع مالا يجوز إقطاعه " [٦] ، ومن ذلك إقطاع المنصور بغداد ، بعد أن اختطها سنة (١٤٥ هـ / ٧٦٢م) واتخذها عاصمة لدولته ، فأقطع منها لكبار قادة جيشه ولغيرهم من رجال دولته ، فضلا عن أمراء بني العباس ، وغيرهم من الناس [٧]، وكانت في الأصل من أرض السواد التي وضع عليها عمر الخراج ، ولذلك كان يذرع داره ببغداد ويخرج عنها مقدار من المال في كل سنة [٨] .

---

(٦) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٦ ، ص ٣٦٧ .

(٧) الأربلي : خلاصة الذهب المسبوك مختصر سيرة الملوك، ص ٨٥ .

(١) الأحكام السلطانية ،ص ٣٣٢.

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٣٦.

(٣) ابن زنجويه : كتاب الأموال ، جـ ١ ، ص ص ٢٦١ ، ٢٦٢ .

(٤) ابو يعلى : الأحكام السلطانية ، ص ٢٢٧ .

(7) ابن الجوزي : مناقب الإمام أحمد بن حنبل ، ص ٢١١ .

(٦) الطبري : تاريخ الأمم والملوك جـ ٦ ، ص ص ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ .

هـ - الإنفاق على المرافق العامة :

كان من أوجه إنفاق المال العام في العصر العباسي الأول ، الإنفاق على المرافق العامة ، مثل بناء المدن ، إذ توسع العباسيون في بناء المدن استجابة للمتغيرات السياسية والاقتصادية و السكانية. فبنى السفاح الهاشمية سنة (١٣٤هـ / ٧٥١م)[١]،وفي سنة(١٤٥هـ/٧٦٢م)بنى المنصور بغداد[٢] ، بعدما ثارت عليه الراوندية في الهاشمية[٣] ، و بنى سنة (١٥١هـ/٧٦٨م) الرصافة على الضفة الشرقية لدجلة [٤] ، ثم بنى رصافة الكوفة [٥] ، و بنى في سنة (١٥٥هـ/٧٧٢م) الرافقة[٦] ، وبنى المأمون في سنة (٢١٨ هـ/ ٨٣٣م) طوانة[٧] ، وأنشأ المعتصم مدينة سرمن رأي سامراء سنة (٢٢١هـ / ٨٣٦م) [٨] ، واتخذها عاصمة له ، وأنفق المتوكل ثلاثين ألف ألف درهم (٣٠ مليون) في إعـادة بناء بعـض مـدن المـغرب الـتـي زلزلت سنة (٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م) [٩] .

---

(٧) مجهول : العيون والحدائق ، ص ١٥٣.

(٨) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٤١٤ ، الدينوري : الأخبار الطوال ، ص ٣٨٣ ، الخطيب : تاريخ بغداد ، جـ ١ ، ص ص٢١ ، ٧٩ ، نابليون الماردينى : تنزيه العباد في مدينة بغداد ، المطبعة اللبنانية ، بيروت ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧ م ، ص٧ .

(١) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٨ ، ص ٦٩ .

(٢) مجهول : العيون والحدائق في الأخبار والحقائق ، ص ١٨٨.

(٣) البلاذري : فتوح البلدان ، ص٤٠٣.

(٤) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٢٤٧ ، الرافقة : مدينة متصلة بالرقة ، على شاطئ الفرات ، تشبه في تصميمها بغداد ، وتقع في إقليم الجزيرة ، بناها المنصور سنة(١٥٥هـ/٧٧٢م) ، ثم بنى الرشيد قصورها ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٣ ، ص ١٧.

(٥) الذهبي : سير اعلام النبلاء ، جـ ١٠ ، ص ٢٨٧ ، طوانة : بلدة بثغر المصيصة ، التقى فيها يزيد بن معاوية ، ثم من بعده مسلمة بن عبد الملك بالروم ، ثم قدمها المأمون في طريقه لغزو بلاد الروم ، فأمر بتسويرها وبتحصينها ، وزودها بالمقاتلة ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٤ ،ص ٥٢.

(٦) الخطيب : تاريخ بغداد ، جـ ٣ ، ص ٣٤٦ ، ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ، جـ ٢٣ ، ص ٣١٩ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ١٠ ، ص ٢٩٣ .

(٧) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٧ ، ص ٣٨٣ .

كما أنفـق الخلفاء العباسيون من المال العام على المرافـق الدينيـة بنـاءً وترميما ، وتعهـدا ، فـزاد المنصور في المسجد الحرام [1] ، واشتـرى لذلك الدور الملاصقة للحرم [2] ، وأمر المهدي سنة (١٥٩ هـ / ٧٧٦م) باتخاذ المقاصير في جميع مساجد الجماعات [3] ، وعندما زار المدينة سنة (١٦٠ هـ / ٧٧٧م) أمر بشراء الدور المجاورة لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فوسع بها المسجد [4] ، ثم لما وصل مكة أمر بتوسعة المسجد الحرام وكسى الكعبة بالقبطي [5] والخز [6] والديباج ، وطلى جدرانها بالمسك[7] والعنبر [8] ، ثم أمر بتوسعـة المسجـد الحرام ومسجد الرسول

صلى الله عليه وسلم مرة أخرى سنة (١٦٧ هـ / ٧٨٤م) [9] ، وأنفقت زبيدة الف الف (مليون)

---

(٨) الأزرقي : أخبار مكة وكما جاء فيها من الآثار ، المطبعة الماجدية ، مكة المكرمة ، (١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م) ، جـ٢، ص ٥٧ ، الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ٢٨٧.

(٩) الأزرقي : أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، جـ٢ ، ص ٥٧ .

(١٠) الدينوري : الأخبار الطوال ، ص ٣٨٦.

(١) الدينوري : الأخبار الطوال ، ص ٣٨٦.

(٢) القبطي أو القبطية ثياب كتان بيض رقاق تصنع بمصر ، وهي منسوبة إلى القبط ، وجمعها قباطي ، وفي حديث أسامة بن زيد : كساني رسول الله صلى الله عليه وسلم قبطية ، ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٥ ، ص ٣٥١٤ .

(٣) الخز: الحرير المخلوط بالصوف وهو مباح ، وهناك نوع آخر من الابريسم الخالص هو المنهي عنه ، وهو زي الأعاجم والمترفين ، ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٢ ، ص ص ٩ ، ١١ .

(٤) المسك نوع من الطيب تستعمله النساء ، وهو فارسي معرب كانت العرب تسميه المشموم ، ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٦ ، ص ٤٢٠٣ .

(٥) الأزرقي : أخبار مكة ، جـ ٢ ، ص ٥٩ ، الدينوري : الأخبار الطوال ، ص ٣٨٦ ، ابن دحية : النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس ،ص ٣٠ ، مجهول : العيون والحدائق ،ص ١٩٤ ، العنبر : نوع من الطيب ، يستخرج من البحر ، أو يلقي به البحر ، وقيل هو الزعفران ، وقيل الورس ، ابن منظور : لسان العرب جـ ٤ ، ص ص ٣١١٩ ، ٣١٢٠ .

(٦) الذهبي : العبر في خبر من غبر ، جـ١ ، ص ١٩٠ ، الحجاجي : موعظة الخلفاء بقصص السلف ، ص ٣٤ .

درهم ، في إيصال الماء إلى الحرم ، بعد أن كان الناس يشترونه [١] ، وجدد المتوكل على الله رخام الكعبة ، وأزرها بفضة ، وزين حيطانها بالذهب وكساها بالديباج[٢] ، وكان كل هذا يتكلف أموالا ضخمة .

كما انفق الخلفاء العباسيون نفقات كبيرة في انتشار شبكة من الطرقات لربط أجزاء الدولة[٣] ، خصوصا مع الحجاز ، وتعهُدها بالتمهيد ، والصيانة وإنشاء المحطات والمنازل ، والجسور ، فأمر المنصور بهدم الدور في شـوارع بغـداد[٤] ، وأنشأ سنة (١٥٧هـ / ٧٧٤م) جسرا على دجلة [٥] ، بعد أن نقل أسواق بغداد إلى الكرخ[٦] ، وأمر المهدي بتمهيد الطريق إلى مكة [٧] ، وبإقامة البريد بين بغداد وبين مكة[٨] .

وأنفقت الدولة في تيسير أساليب الري ، فأجرت الأنهار الصغيرة والقنوات إلى الأراضي النائية ، وتعهدتها بالصيانة[٩] ، كما أنفقت أموالا ضخمة في تجهيز الثغور ، وبناء وتجديد الأسطول الإسلامي[١٠] ، كما التزمت بدفع مرتبات الجنود والموظفين والقضاة والعمال ، والكتاب ، وغيرهم

---

(٧) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ٢ ، ص ٣١٤ .

(٨) الماوردي : الأحكام السلطانية ،ص ٢٨٦.

(٩) أنظر : بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص ١٨٣ .

(١٠) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٦ ، ص ٢٦٧ .

(١) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٦ ، ص ٣٠٢.

(٢) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٦ ، ص ٢٦٧ ، الخطيب ، تاريخ بغداد ، جـ ١ ، ص ٧٩.

(٣) السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٣١٤.

(٤) المقريزي : الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، ص ٤٥.

(٥) حفر الخلفاء العباسيون عددا من الأنهار ، فحفر المنصور نهر أبي الخطيب ، ونهر الأمير وحفر الرشيد نهر رُبا ونهر القرشي ، وأنفق المعتصم الف الف (مليون) درهم في حفر نهر في أقاصي خراسان ، كما حفر نهر قاطول ، البلاذري : فتوح البلدان ، ص ص ٤١٧ ، ٥٠٥ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ١ ، ص ٨٣ .

(٦) أنفق الخلفاء العباسيون أموالا كثيرة في إعداد الجيوش وتحصين الثغور ، فبنى الرشيد سنة (١٨٠ هـ / ٧٩٦ م) مدينة عين زربة وحصنها وشحنها بالمقاتلة ، وبنى الهارونية سنة (١٨٣هـ/ ٧٩٩م)، وشحنها بالمقاتلة ، ثم أمر ببناء

ممن تستخدمهم الدولة[١] ، كما تكلفت بإعالة الزمنى والمجانين ، والمسجونين ، والمجذومين وخصصت لهم دورا خاصة بهم [٢].

في الوقت الذي عارض فيه العلماء الخلفاء على تبديدهم المال العام في مصالحهم الخاصة ، وفي الهبات والجوائز التي بالغوا فيها ، استحسنوا الإنفاق في المرافق العامة ، بل وحثوا الخلفاء عليه ، لأنه يعود بالنفع على المسلمين ، فكان ابن أبي ذئب يحث المنصور على إعطاء الناس وإعانتهم بما لديه من الفيء[٣] ، ودأب الليث على دعوة الخلفاء إلى إصلاح مجرى النيل وقنواته وصيانتها[٤] ، وكان يعقوب بن داود ينصح المهدي بالاهتمام بالثغور وبناء الحصون ، وتقوية المقاتلة ، ومفاداة الأسارى ، وتزويج العزاب [٥] ، ووجه الشافعي الرشيد إلى تفقد الحرم وتعهده بالعمارة ، وتأمين الطرق بين الأمصار ، وإعطاء أبناء المهاجرين والأنصار من الفيء ، وإلى الاهتمام بالثغور[٦] ، وإلى النظر في أمر العامة [٧] .

٣- " جهود العلماء في تنمية الحياة الاقتصادية وتطويرها " :

بالرغم من أن تعاليم الإسلام دأبت على تحذير المسلم من الانغماس في الحياة الدنيا والإغراق في شهواتها وملذاتها ، إلا أن ذلك لم يكن يعني أن يعيش المسلم على هامش الحياة ، لأن الله قد أراد من المسلم قبل غيره من الناس عندما استخلفه في الأرض عمارتها وفق المنهج الذي أعطاه ، وبمقتضى

مدينة الكنيسة السوداء ، وفي سنة(٢٣٨هـ / ٨٥٢ م) حصن المتوكل دمياط بعد أن تعرضت لهجوم من قبل الروم ، البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ١٢ ، ص ص ٣٦ ، ٣٧ .

(٧) الطبري : تاريخ الأمم وا لملوك ، جـ ٦ ، ص ٣٣٦ ، الموصلي : حسن السلوك الحافظ لدولة الملوك ، ص ١١١.

(٨) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٠ ، ص ١٣٥ ، ابن وادران : تاريخ العباسيين ، ص ١٧٧.

(١) الخطيب : تاريخ بغداد ، جـ ٣ ، ص ٢٩٩ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ٤ ، ص ١٣٢ .

(٣) مجهول : العيون والحدائق في الأخبار والحقائق ، ص ١٩٣.

(٤) البيهقي : مناقب الشافعي،جـ ١ ،ص ص ١٣٦، ١٣٧،الرازي : مناقب الإمام الشافعي ، ص ص ٤٧، ٤٨، ٤٩ .

(٥) البيهقي : مناقب الشافعي ، جـ ١ ، ص ١٣٧ .

ذلك الاستخلاف ، قال تعالى : " إني جاعل في الأرض خليفة "[1] ، وقال عز وجل : " وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ".[2]

وأراد الله للمسلم أن يكون سيدا على الأرض ، لا أن يكون مسودا ، قال تعالى : " إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين "[3]وقال عز وجل : " ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون" [4]، ولذلك فإن أبرز أهداف الاقتصاد الإسلامي ، إعمار الأرض واستصلاحها وفق المنهج الذي أراده الله .

أ- إبراز قيمة العمل بالنسبة لرخاء الأمة :

دأب العلماء في العصر العباسي الأول على إبراز قيمة العمل والكسب بالنسبة لرخاء الأمة ، ولتلبية حاجات ومتطلبات الفرد التي لا غنى له عنها مهما بلغت درجة تقواه وورعه وزهده وعزوفه عن الدنيا واتجاهه إلى الآخرة ،وبينوا أن إهمال هذه الحاجات والمطالب قد يُخل بالتوازن في حياة المسلم القائمة أصلا على الموازنة بين الروح والمادة ، الآخرة والدنيا ، بين سمو الروح وحاجات الجسد ، وإن إغفالها وإهمالها قد يؤدي إلى تلبيتها بطرائق غير مشروعة ، فيعرض ذلك حياة الفرد والمجتمع للاختلال والخطر .

وإذا كان العلماء قد بينوا حاجات الإنسان وضرورة تلبيتها لاستمراره في الحياة ، ولتطور المجتمع واستطالته ، فإنهم شددوا على تلبية هذه الحاجات والمطالب للعلماء ، بوصفهم الضابط الذي يعيد التوازن المختل إلى حياة المجتمع ، ولأنهم المعيار والقدوة التي يقيس الناس عليها سلوكهم وتنضبط بها حياتهم ، ولأن الكتاب والسنة قد حثا على العمل والكسب ، سواءً للعلماء أم للناس كافة ، في حشد من الآيات والأحاديث النبوية ، قال تعالى : " هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور "[5] وقال عز وجل : " فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض

---

(٦) البقرة ، الآية : ٣٠ .
(٧) سبأ ، الآية : ٣٩.
(٨) الأعراف ، الآية : ١٢٨.
(٩) الأنبياء ، الآية : ١٠٥.
(١) الملك : الآية :١٥ .

وابتغوا من فضل الله " [١] ، وقال عز وجل : " للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن "[٢] ، كما حفلت السنة النبوية بكثير من الأحاديث التي تحض على العمل والكسب ، فقد روى الإمام أحمد بن حنبل أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن أفضل الكسب ، فقال : " عمل الرجل بيده ، وكل بيع مبرور "[٣] بل وعد العمل والكسب لغرض الاستعفاف عما في أيدي الناس وكفالة من يعول ، ضربا من الجهاد ، فقد روى مسعر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ما أنفقتم على أهليكم في غير إسراف ولا إقتار فهو في سبيل الله " ، وأن من قصر في ذلك آثم ، فقال صلى الله عليه وسلم " كفى بالمرء إثما أن يضيع من يعول "وقد أكد ذلك وسار عليه الصحابة والتابعون .

لهذا كله حث العلماء في العصر العباسي الأول الناس على العمل والكسب ، وإلى التمتع بثمار العمل والكسب ، في الحلال ، وبينوا أن ذلك لا ينافي حقيقة الزهد ولا مقتضيات التقوى ، بل يساعد على تحقيقها .

بدأ العلماء بأنفسهم ، قبل أن يدعوا أقرانهم وسائرالناس إلى العمل والكسب ، حتى لا يخالفوا الناس إلى ما ينهونهم عنه من البطالة والاعتماد على غيرهم في معاشهم ، والعفة عما في أيدي الناس، ثم بعد ذلك عززوا قيم العمل والكسب والعفة بعد ان أصبحوا قدوة للناس فيها .

فكان لسفيان الثوري تجارة مع بعض التجار يقتات منها[٤] ، ثم لما توارى عن المهدي في البصرة عمل أجيرا في بستان ليكتسب قوته [٥] ، وكان يدعو الناس إلى حسن إدارة المال وإصلاحه وتثميره ، قائلا : " من كان في يده شيء من هذه الدراهم فليصلحه ، فإنه في زمان إن احتاج أول ما يبذل دينه "[٦] ، فهو يرى أن المال خير معين على التقوى ، والعفاف[١] ، خصوصا للعلماء ،

---

(٢) الجمعة ، الآية : ١٠.

(٣) النساء ، الآية : ٣٢ .

(٤) ابن قيم الجوزية : أعلام الموقعين عن رب العالمين ، جـ ٤ ، ص ٣٩٤ .

(١) ابو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٦ ، ص ٤٢١ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ٢ ، ص ٣٨٨ .

(٣) ابو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٦ ، ص ٤٢٢ ، جـ ٨ ، ص ٣٩١ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ، جـ ٢ ، ص ٣٥٠ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ٢ ، ص ٣٨٩ .

أولئك الذين أنيط بهم تصويب انحرافات الدولة والمجتمع ، لأن العالم إن اعتمد في معاشه على ما يعطى إليه من السلطان أو من الناس ، عندها سيفقد قدرته على محاسبتهم وتقويمهم ، فضلا عن إمكانية استخدامه لتمرير بعض أغراضهم ، وقد أضاء هذه القضية سفيان الثوري عندما لامه أحد أقرانه لحرصه على المال ، فقال : " والله لولا هذه الدنانير لتمندل بنا هؤلاء الملوك "[٢] (يعني لجعلنا بنوا العباس مناديل يمسحون بها أوساخهم) ، وكان يقول : " لأن أترك عشرة آلاف يحاسبني الله عليها أحب إلى من أن أحتاج على الناس " .[٣]

لم يكتف سفيان بالتزام قيم الإسلام الحاضة على العمل والكسب للاستعفاف عما في أيدي الناس ، في نفسه ، بل دعى غيره إليها ، خصوصا أقرانه من العلماء ، فقد كتب إلى أحد إخوانه ، قائلا : " أحسن القيام على عيالك "[٤] ولما مر بفتيان في إحدى حلق العلم منقطعين إلى تعلم القرآن وقد كفاهم الناس أمر معاشهم ، دعاهم إلى الاستعفاف عما في أيدي الناس لأن في ذلك ذل لهم ، قائلا : " يا معشر القراء ارفعوا رؤوسكم فقد وضح الطريق ،واعملوا ولا تكونوا عالة على الناس"[٥]،فما كان منهم إلاأن تفرقوا وتوجهوا إلى الكسب ،وكان يقول :"ما وضع أحد يده في قصعة غيره إلا ذل له[٦].

ودأب إبراهيم بن أدهم على تحري الكسب الحلال ، وعلى دعوة الناس إليه للعفة عما في أيدي الناس ، وقرن العمل بالعبادات المفروضة ، فقال : " إن الصائم القائم المصلي الحاج المعتمر الغازي،

---

(٤) كان سفيان الثوري يقول : " كان المال في مضى يكره ، أما اليوم فهو ترس المؤمن ، وقال في رواية أخرى : المال سلاح المؤمن ، ابو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٦ ، ص ٤٢٢ .

(٥) أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٦ ، ص ٤٢٢ ، ابن الجوز ي : صيد الخاطر ، ص ١٩٦ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٧، ص ٢٤١

(١) أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٦ ، ص ٤٢٢ ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٠ ، ص ١٣٤ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٧ ، ص ٢٤١ ، ابن الخطيب : روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار ، ص ٧٢.

(٢) ابو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٧، ص ٥٤ .

(٣) المصدر نفسه ، جـ ٦ ، ص ٤٢٣.

(٤) محي الدين ابن الخطيب : روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار ، ص ١٦٧.

من أغنى نفسه عن الناس" [١] ، بل إنه فضل السعي في طلب الرزق لتحقيق الكفاية والعفة ، على نوافل الصلاة والصوم [٢] .

ولم يكن هذا العالم الجليل ليدعوا الناس إلى العمل والسعي في طلب الرزق ثم يقعد هو يتكفف الناس أو ينتظر ما يعطى له منهم ، بل عُرف بأنه كان لا يأكل إلا من عمل يده وكده ، فكان يرتحل في طلب المال الحلال من بلـد إلى آخر رافضا ما يفيض عليه إخوانه من فضلاتهم [٣] ، فتوجه إلى الشام ، لا مرابطا ولكن طالبا لكسب الحلال ، وقد عبر هو عن ذلك حيث قال : " أنا بالشام منذ أربع وعشرين سنة ما جئت لجهاد ولا لرباط ولكن لأشبع من خبز حلال "[٤] .

وكان سفيان بن عيينه يدعو الناس إلى العمل للدنيا ما داموا فيها ، وتحصيل ما لابد لهم منه ، لتحقيق الكفاية ، وعمارة الأرض التي استخلفهم الله فيها مشيرا إلى أن ذلك ليس من حب الدنيا والتعلق بها ، حيث قال : " ليس من حب الدنيا طلبك منها ما لابد منه "[٥] ، لأنه إن احتاج إلى ما لابد منه فإنه سيبذل في سبيل الحصول عليه كل ما لديه ، فطالب باستصلاح المال وتنميته ، لذلك قائلا " من كان له مال فليصلحه فإنكم في زمان من احتاج فيه إلى الناس كان أول من يبذله دينه"[٦].

وأشار ابن المبارك إلى أهمية الكسب بين العبادات، فقال : هو بمنزلة الجهاد في سبيل الله ، إن لم

---

(٥) ابو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٨ ، ص ١٤.

(٦) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٠ ، ص ١٣٩.

(٧) لقي الأوزاعي إبراهيم بن أدهم وعلى عنقه حزمة حطب ، فقال له :" يا أبا إسحاق إلى متى هـذا ؟ وإخوانـك (يعني العلماء) يكفونك ؟، فقال إبراهيم دعني عن هذا يا أبا عمرو ، فإنه بلغني أنه من وقف موقف مذلـة فـي طلـب الحلال وجبت له الجنة ، الغزالي : إحياء علوم الدين ، جـ ٢ ، ص ١٠٠ ، ابن كثير : البداية والنهايـة ، جـ ١٠ ، ١٣٩.

(١) ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ١٠ ، ص ١٣٧ .

(٢) أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٧، ص ٣٢٢ ، ابن الجوزي : صفة الصفوة ، جـ ٢، ص ١٥٥.

(٣) ابن الخطيب : روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار ، ص ٧٣ .

يكن أفضل منه[1] ، فهو في نظره مكمل للدين[2] ، بل ذهب إلى أنه قوام الدين ، ونلمس هذا المذهب من إجابته على بعض من لامه لبكائه على بضاعة فقدها ، إذ قال : " هو قوام دين " [3](يقصد المال) .

ولما عوتب الشافعي على كثرة تنقله بين البلدان ، قال :

رزقي تشتت في البلاد وإنني ∴ أسعى لجمـع شتـاته وأطـوف

فكـأنني قلـم بأنمل كاتب ∴ وكان رزقي في البلاد حروف .[4]

وكان يرى كسب المال وحيازته من كمال الدين والعقل ، ومن خير الدنيا والآخرة ، إذ قال خير الدنيا والآخرة في خمس خصال ، ذكر منها الكسب الحلال ، وكان يقول : " لا تشاور من ليس في بيته دقيق " [5] كناية عن ان الفاقة تذهب بالعقل .

وكان أحمد بن حنبل لا ينشط للحديث حتى يؤمن حاجته من المال من كسب يده لئلا تلجئه الحاجة إلى استعطاء الناس ، أو حتى قبول ما يعطوه ، فكان يقول : " اللهم كما صنت وجهي عن السجود لغيرك فصن وجهي عن المسألة لغيرك"[6] فرفض ما كان يقدم له من هبات السلطان ، ومن كرامات الأخوان ، وإنما اعتمد على كسب يده[7] ، وبين لمعاصريه أهمية العمل والكسب ، فقال

---

(٤) ابن الجوزي : صفة الصفوة ، جـ ٤ ، ص١٢٥، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٨ ، ص ٣٩٩ .

(٥) ترك ابن المبارك دنانير ، فقال وهو يموت : " اللهم إنك تعلم أني لم أجمعها إلا لأصون بها حسبي وديني ، ابن الخطيب : روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار ، ص ٧٣.

(٦) ابن الجوزي : صيد الخاطر ، ص ٣٧٩ .

(٧) الجندي : السلوك في طبقات العلماء والملوك ، جـ ١ ، ص ١٧٤.

(١) ابن حجر : سيرة الإمامين الليثي والشافعي ، ص ١٦٧ ، مرعي بن يوسف : تنوير بصائر المقلدين في ذكر مناقب الأئمة المجتهدين ، ص٦٩.

(٢) الرقي : أحاسن المحاسن ، ص ٢١٣ .

(٣) لما نفدت نفقة أحمد بن حنبل لدى قدومه صنعاء لأخذ الحديث عن عبد الرازق الصنعاني ، أراد عبد الرازق إعانته ببعض المال على الطريق ، فرفض ، وأكرى نفسه من بعض الجمالين ، ورد ثلاثة آلاف دينار أعطاها إياه أحد الأغنياء ، وقال : إني في كفاية ، أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٩ ، ص ١٨٦ ، ابن الجوزي : مناقب الإمام احمد ، ص ٢٣٤ .

لرجل استنصحه :" الزم السوق تصل به الرحـم وتعود به المريض " [1] ، واتهم من ينقطع للعبادة

دون أن يأخذ نصيبه من الدنيا بكسب يده،بالجهل[2]،ولما سأله أحد الصوفية عما تلين به القلوب قال : بأكل الحلال" [3]وهو انتقاد مبطن لمنهج الصوفية في الحياة إذ يتركون الكسب الحلال في الدنيا زهداً في الدنيا ورغبة في الآخرة ،ثم تلجئهم الحاجة بعد ذلك إلى ما لا بد منه من مطالب الحياة ، إلى التفريط في دينهم ، فيتسولون المال من الأمراء والأغنياء والناس ، فتضيع منزلتهم في أعين الناس وتزول هيبتهم في نفوس الناس ، إلى جانب تحقيق مقتضيات الاستخلاف ، من إعمار الأرض.

ب- ممارسة العلماء للأنشطة الاقتصادية :

إذا كان العلماء كما عرفنا في السياق الماضي ، قد أبرزوا قيمة العمل ، وأهمية الكسب ، سواء للفرد أم للمجتمع ، فإننا في هذا السياق سنبذ ل ما في وسعنا من جهد لتكثيف النظرة إلى ما قام به هؤلاء العلماء من أدوار في الحياة الاقتصادية ، من خلال مشاركتهم في الأنشطة الاقتصادية المعروفة حينذاك ، وكيف نظروا إلى تلك الأنشطة الاقتصادية ، وطرائق ممارستهم لها .

وإذا ما أردنا التعرف على أهم الأنشطة الاقتصادية التي وجدت في العصر العباسي الأول ، فإننـا سنجدها تتلخـص في أنشـطة ثلاثة هي التجارة والزراعة ، والصناعة ، فكانت التجارة أكثـر هذه الأعمال حظا من مشاركة العلماء ، لأنهـم كانوا يعدوها من أشرف الأعمال و أعلاها قدرا ، وربما دعاهم إلى ذلك أيضا الإشارات القرآنية المتكررة إلى أهمية التجارة ، قال تعالى : " يا أيها الذين أمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلاَّ أنْ تكونَ تجارة عن تراضٍ منكم "[4] ، وقال تعالى : " أحل الله البيع وحرم الربا"[5] ، وقال عز وجل في موضع آخر : " إلاَّ أن تكون تجارة

---

(٤) ابن الجوزي : تلبيس إبليس ، ص ١٦٢ .

(٥) الغزالي : إحياء علوم الدين ، جـ ٢ ، ص ١٠٠.

(٦) ابن الجوزي : مناقب الإمام احمد ،ص ١٨٩.

(١) النساء ، الآية : ٢٩ .

(٢) البقرة ، الآية : ٢٧٥.

حاضرة تديرونها "(١) ، وإلى أن سادات الصحابة والتابعين كانوا يتَّجرون .(٢)

ولم تكن الزراعة تقل شأنا عن التجارة في العصر العباسي الأول، بوصفها نشاطا اقتصاديا، وموردا أسهم في تنمية الحياة الاقتصادية، إلا أنها لم تشهد ذات الإقبال الذي شهدته التجارة من العـلماء ،ولذلك أسبابه(٣) ، كما ظهرت في العصر العباسي الأول عدد من الصناعات والحرف مثل الخزازة(٤) والحياكة (٥)والدباغة(٦) وعمل النسيج ، والحدادة ، والصباغة ، والصياغة ، إلا أن الموالي (٧) والعبيد واليهود كانوا يحتكرون معظم هذه الصناعات ، ومع ذلك فقد كان هناك مشاركة محدودة للعلماء في هذه الأعمال .

---

(٣) البقرة ، الآية : ٢٨٢ .

(٤) ابن الجوزي : تلبيس إبليس ، ص ١٦٥.

(٥) ثمة أسباب عدة للغياب الملحوظ للعلماء في مجال الزراعة ، لعل أهمها أن جل الأرض كانت بأيدي أهلها من أهل الذمة، وغيرهم من الموالي والعبيد ، وإنما يأخذ منها المسلمون الخراج ، ثم انشغال العلماء والمسلمين في هذه الحقبة ، وما سبقها بالجهاد ، فضلا عن قلة خبرة المسلمين بالزراعة .

(٦) الخزازة ، مهنة الخزاز ، والخزاز بائع الخز ، وهي ثياب جيدة تنسج من الصوف والابريسم ، وهو المباح ، أما الخز الآخر المحرم وهو الحرير ، لأنه مصنوع من الابريسم فقط ، ولفظ الخز عربي صحيح ، ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٢ ، ص١١٤٩ .

(١) الحياكة : من حاك ، يحيك حيكا وحياكة ، فيقال حاك الثوب إذ أنسجة ، والحياكة حرفة النساج ، وجمع حائك حوكة وحياك ، ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٢ ، ص ١٠٧٢ .

(٢) الدباغة . من الفعل دبغ ، فيقال دبغ الجلد يدبغه ويدبغه ، ومنها الدباغ صاحب مهنة الدباغة وهي تطهير الجلد لاستخدامه ، ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٢ ، ص ١٣٢٣ .

(٣) الموالي : هم العبيد الذين اعتنقوا الإسلام ، فانتسبوا بنسب من أعتقهم ، ومن الذين لم يعلم آباؤهم من أساري أهل دار الحرب الذين أسلموا : " قال تعالى : " فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين أو مواليكم ، الأحزاب : ٥ ، ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٦ ، ص ٤٩٢١ ، أنظر كذلك ،

Crone, The mawali, in The Umayyad period. london , 1980 ,pp, 49 , 51, Kremer, Al fred . von : Kulturgeschichte des Orients unter den Chalifen. 2Bde Wien, 1875,pp, 138, 155 , Van vltoen , G : Recherches sur la domination, Arabe, le chiitisme et les croyances Messianiques sous le khalifat des Omayyades .Amsterdam, 1894,pp; 12, 13 , 25 , Wellhausen, Julius. Das Arabische Reich und sien Sturz, Berlin, 1902,pp; 45 , 46 .

فضل العلماء التجارة على سائر الأنشطة الاقتصادية، فكانوا يرونها أشرف المهن وأعلاها قدرا[١] ، ولذلك كانوا يفضلون أموالهم من التجارة على سائر أموالهم.[٢]

وكان من نتائج هذه النظرة، وذلك التفضيل، أن اهتم العلماء في العصر العباسي الأول بالتجارة وعمل معظمهم بها، فكان أبو حنيفة يعمل في تجارة الخز[٣] ، وكان رأس ماله ثلاثون الف درهم[٤] ،وكان لسفيان الثوري بضاعة يتَّجر بها ، ويعاونه في ذلك غلمانه [٥] ،وكان يستفيد من رحلاته العلمية لطلب الحديث ، في البيع والشراء ، فعندما زار عبد الرازق الصنعاني في اليمن لأخذ الحديث عنه ، ضارب فيها بأربعة آلاف درهم ، فأنفق من ربحها على رحلته [٦] ،ولما توفي ترك بضاعة بمائة دينار [٧] ، وعمل عبد الله بن المبارك في تجارة البز[٨] ، فكـان يربح من تجارته في السنة مائة الف درهم [٩] ، وعمـل سوى هؤلاء بالتجـارة ، أمثـال وهيب بـن الـورد[١٠]، والواقدي [١١]، وداود الطائي

---

(٤) الالوسي : بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب ، المكتبة الأهلية ، القاهرة ، ١٣٢٤هـ / ١٩٠٦م ، جـ ، ص ٤٠٣ .

(٥) روى الجصاص أن احمد بن حنبل كان يقول : أحب الدراهم إلي درهم من تجارة ، ابن الجوزي : تلبيس إبليس ، ص٢٥٣ .

(٦) البيهقي : المحاسن والمساوئ جـ ١، ص ٩٨ ، ابن الجوزي : تلبيس إبليس ، ص ٢٥١ ، الذهبي : تذكرة الحفاظ ، جـ ١، ص ١٥٩ ، العبر في خبر من غبر ، جـ ١ ، ص ١٦٤.

(٧) مرعي بن يوسف: تنوير بصائر المقلدين ، ص ٢١ .

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ، جـ ٦ ، ص ٣٧٢ ، أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٦ ، ص ٤٢٢ ، ابن الجوزي : صيد الخاطر ، ص١٩ ، ١٤٨ .

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ٦ ، ص٣٧٢ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٧ ، ص ٢٧٧.

(٣) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٧ ، ص٢٤٢.

(٤) الخطيب : تاريخ بغداد ، جـ ٦ ، ص ص ٢٣٥ – ٢٣٦ ، ابن الجوزي : صيد الخاطر ، ص ٣٧٩ .

(٥) ابن الخطيب : روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار ، ص ١٦٩.

(٦) كان يقال عن وهيب أنه تاجر قد شغله سوقه ، الخطيب : تاريخ بغداد ، جـ ٦ ، ص ٢٣٩ .

(٧) كان الواقدي يتَّجر بالحنطة ، يقول : كنت حناطا بالمدينة في يدي مائة الف درهم للناس أضارب بها ، الخطيب : تاريخ بغداد ، جـ ٣ ، ص ص ٤ ، ٥ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ٦ ، ص ص ٢٢٤ ، ٢٢٥.

[1] وحجير بن المثنى [2] ، والفضل بن دكين [3]، و يوسف بن موسى القطان[4] ، وحمزة بن عمار الزيات [5] ، والسري السقطي[6] ،والبخاري[7] .

وبالرغم من عمل العلماء بالتجارة إلا أنه لم يكن هدفهم تكوين الثروات ، وإنما هدفوا من ذلك تحقيق الكفاية التي يضمنون منها العفاف عما في أيدي الناس، فضلا عن الهدف الحضاري الاجتماعي ، المتمثل في تبادل المنافع ، وقضاء حوائج الناس ، وهو أمر ضروري لاستمرار المجتمع وتطوره ، ولذلك فلا نستغرب إذا ما علمنا أن بعض هؤلاء العلماء كانوا أحيانا يبيعون بضائعهم من غير ربح ، ودعوا التجار إلى ذلك فكان معروف الكرخي يقول :" اشتر وبع ولو برأس المال "[8] ، وعاتب بشر ابن مروان أحد معاصريه لتركه العمل في السوق ، قائلا : " الزم السوق وإن لم تربح"[9] .

بل أن ما كانوا يربحونه ، ينفقون جزءا كبيرا منه على المحتاجين ، وصلات لأقرانهم من العلماء ، وعلى طلاب العلم ، فكان عبد الله بن المبارك يقول : " والله لولا خمسة ما أتجرت" [10] ، وعدد خمسة

---

(٨) كان داود الطائي خزازا يبيع الخز، ابن الجوزي صفة الصفوة ، جـ ٣ ، ص ٨٩ .

(٩) حجير بن المثنى: يكنى بأبي عمرو،أصله من اليمامة ، كان ثقة ،روى عن الليث بن سعد وعن عبـد العزيـز بـن عبـد الله الماجشون،قدم بغداد ،وعمل بتجارة اللؤلؤ في سوقها ، وتوفي بها ،ابن سعد: الطبقات الكبرى ،جـ ٧ ،ص ٣٣٨ .

(١٠) كان لابي نعيم الفضل بن دكين حانوتا يبيع فيه الملي وغيرها، الذهبي: سير أعلام النبلاء،جـ ١٠ ، ص ١٤٢.

(١١) يوسف بن موسى القطان ، من أهل الكوفة ، قدم بغداد فنزل دار القطن فنسب إليها ، سمع الحديث عن جرير بن عبد الحميد ، نزل الري واتَّجر بها ، ثم قدم بغداد ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ٧ ، ص ٣٦٣.

(١٢) حمزة بن عمارة الزيات، يكنى بأبي عمارة، كان صاحب قرآن وسنة وفرائض، ولقبه الزيات لأنه كـان يتَّجـر بالزيـت ، فيجلبه من الكوفة إلى حلوان ، ويجلب من حلوان الجبن والجوز إلى الكوفة ، ابن الجوزي : صفة الصفوة ، جـ ٣ ، ص ١٠٣ .

(١٣) كان السري السقطي يتَّجر باللوز ، ابن الجوزي : صفة الصفوة ، جـ ٢ ، ص٢٤٢ .

(١٤) كان لمحمد بن إسماعيل البخاري تجارة يقتات منها ، ابن الجوزي : صفة الصفوة ، جـ ٤ ، ص١٤٨.

(١) أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٨ ، ص ٤٠٨ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٨٢ .

(٣) الخطيب : تاريخ بغداد جـ ٦ ، ص ص ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ابن الجوزي : صفة الصفوة ، جـ ـ ٤ ، ص ص١٢٦ ، ١٢٧ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٨ ، ص ص ١١٦ ، ١١٧ ، ميزان الإعتدال ، جـ ١ ، ص ٢١٨.

من أقرانه العلماء ، وكان أبو حنيفة يتعهد أبا يوسف بالدراهم ، وهو تلميذه .[1]

وممن عمل من العلماء بالزراعة الليث بن سعد ، فقد كانت له ضياع بمصر تغل في السنة عشرين الف دينار[2] ، وكان لسحنون زيتون يبيع ويقتات منه .[3]

وكان للحرف الصناعية مساحة من اهتمامات العلماء، بالرغم من غلبة الموالي واليهود والعبيد عليها ، فكان أبو خزيمة يصنع الأرسان[4] ويبيعها قبل أن يلي قضاء مصر[5] ، وكان لسفيان الثوري إماء يغزلن[6] ، واشتغل أبو داود الحفري[7] بغزل الصوف[8] ، وورث أحمد بن حنبل عن أبيه طرزا ، كان يؤجرها لنفقته[9] ، وكان إذا أعوزته الحاجة نسخ الكتب للناس بأجر[10].

جـ - العمل في الوظائف المالية:

بالرغم من حساسية العلماء في العصر العباسي الأول إزاء العمل في الوظائف المالية، وخشيتهم الواضحة من تحمل مسؤولية أموال المسلمين، إلا أن عددا منهم قد شاركوا في بعض الوظائف المالية للدولة، فعملوا في مجال الخراج والصدقات وفي توزيع العطاء ، وعلى بيوت الأموال ، وفي ضبط الموازين والمكاييل ، وقد كان لهذه المشاركة

(٤) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٨ ، ص ٥٣٦ .

(٥) ابن الجوزي : صيد الخاطر ،ص ١٩ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ - ٨، ص ص ١٤٨ – ١٤٩ ، المزي : تهذيب الكمال ، جـ ٢٤ ، ص ٢٧٣ .

(٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء ، حـ ١٢ ، ص ٦٧.

(٧)الأرسان: جمع رسن و هو الحبل ، والرسن ما كان من الأزمة على الأنف للتحكم في الدواب ، فيقال أرسنت الفرس إذا جعلت له زماما و شددته به ، فهو اللجام ، ابن منظور: لسان العرب ، جـ٣ ، ص١٦٤٧.

(٨) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ٢٤٢ .

(١) ابو نعيم : حلية الأولياء ، جـ٧ ، ص ٦٥ .

(٢) ابو داود الحفري (لم أقف له على ترجمة) .

(٣) ابن الجوزي :صفة الصفوة،حـ٣،ص١١٧.

(٤) ابن الجوزي : مناقب الإمام أحمد ، ص ٢١١، ٢٢٣

(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٢٦ .

أثر في إصلاح أحوال هذه الوظائف واستقامتها . فكـان ممـن عمـل فـي الخراج بمصر أبو عوانة [١]، والمثنى بن زياد[٢]، وموسى بن كعب[٣]، ونوفل بن فرات [٤]، ومحمد بن سعيد [٥]، وأبو الوزير[٦]، وكان إبراهيم بن عطية [٧] على خراج السواد[٨] . وعمل عدد آخر من العلماء في جباية الصدقات ، فكان الشافعي على صدقات ناحية من اليمن في خلافة الرشيد[٩] .

---

(٦) ابن تغري بردي:النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، جـ١ ، ص ص ٣٣٧ ،٣٣٦ ، ابو عوانـة واسـمه الوضاح ، لكنه عرف بكنيته ، أحد كبار علماء الحديث ، الثقاة ، و هو غير أبي عوانة الأسفراييني صاحب المـسند ، التقى بكبار العلماء وكان يلوم سفيان الثوري لفراره من السلطان مشيرا إلى أن ذلـك مـن البدعـة، ومـا زال بـه حتى أثناه عن رأيه ، ودعاه إلى القدوم على المهدي ، حتى عزم سفيان مراسلة المهدي والإتصال به ، إلا أن سـفيان توفي قبل أن يتم ذلك ، توفي أبو عوانة سنة (١٦٦هـ / ٧٨٣م) ، الذهبي : سير أعـلام النـبلاء ، جـ ٧ ، ص ص٢٤٥ ، ٣١٩ .

(٧) و لي المثنى بن زياد خراج مصر للمنصور سنة(١٣٧هـ/ ٧٥٤م)،الدواداري: كنز الدرر و جامع الغرر، جـ ٥، ص ١٧ .

(٨) ولى موسى بن كعب خراج مصر لأبي جعفر المنصور سنة (١٤٠هـ/ ٧٥٧م) . حتى سنة(١٤٢هـ/ ٧٥٩م) ، الدواداري : كنز الدور و جامع الغرر، جـ٥ ، ص ص ٢٨،٢٤،١٤.

(٩) عين المنصور نوفل بن فرات على خراج مصر سنة (١٤٢هـ/٧٥٩م) ، خلفا لموسى بن كعب ، الدواداري :كنز الدرر و جامع الغرر، جـ٥ ، ص٢٨ .

(١) ولي محمد بن سعيد خراج مصر للمنصور سنة (١٥٢هـ/٧٦٩م) ، الدواداري: كنز الدرر و جامع الغرر، جـ٥ ، ص ص ٤٩ ـ٥٠ .

(٢) كان ابو الوزير على خراج مصر للمعتصم سنة(٢٢٦هـ/ ٨٤١ م) ، ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص٢٤٧ .

(٣) إبراهيم بن عطية الثقفي ،يكنى بأبي إسماعيل ، ولد فـي خراسـان ،ثـم إنتقـل إلـى واسـط فاسـتقر بهـا ، كما قدم بغداد و حدث فيها ، غلب عليه االحديث ، إلا أن علماء الحديث أمثال النسائي و البخاري ضعفوه وتركوا حديثه ،ولي خراج السواد ، وتـوفي سـنة (١٨١هـ / ٧٩٦م) ، الخطيـب : تـاريخ بغـداد ، جـ ٤ ، ص ١١٤ ، ابن الجوزي : الضعفاء والمتروكين ، تحقيق عبد الله القاضي ، دار الكتـب العلميـة ، بيـروت ، ط١ ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م ، جـ١ ، ص ٤٢.

(٤) الخطيب : تاريخ بغداد ، جـ٦، ص ص١١٤،١١٥.

(٥) ابن أعثم: كتاب الفتوح ،جـ٨،ص٢٤٨، البيهيقي : مناقب الشافعي، جـ١، ص ص١٤٤،١٤٥.

وعمل عدد من العلماء في ديوان العطاء [١] ، فكلف عبد الله بن مصعب بقسمة العطاء بين أهل المدينة ، في خلافة المنصور[٢] ، وولي الليث بن سعيد ديوان العطاء بمصر في عهد المهدي[٣] .

وبالرغم من تحفظ العلماء إزاء العمل في ولاية بيت المال ، لحساسية هذا العمل في نفوسهم ، ولخوفهم من تبعاته ، ومهما كان هؤلاء العلماء قد أكرهوا على العمل في بيت المال ، فإن ثمة عددا من العلماء قد عملوا في بيت المال لعدد من الخلفاء العباسيين ، وكان أفراد هذا الفريق من العلماء يتأولون أنهم إن تركوا العمل في بيت المال فإنها ستوكل إلى غير ذوي الصلاح والتقوى ، فتتعرض ثروة الآمة للعبث والضياع .

فكان ممن ولي بيت المال من العلماء لبني العباس ، ابن لهيعة ، فقد ولي بيت مال مصر في عهدي المنصور والمهدي[٤] ، وولي للرشيد على بيت المال عدد من العلماء ، أمثال الفرج بن فضالة [٥] ، و إبراهيم بن سعد الزهري [٦] ، و المسيب بن شريك [٧] ، والجراح بن مليح [٨] ، وولي محمد بن عبد الله بيت المال ببغداد في خلافة المأمون[٩] ، كما عمل العلماء في وظائف مالية أخرى سوى بيت

---

(٦) الديوان بمعنىالسجل، وديوان العطاء،السجل الذي تدون فيه أسماء المستحقين للعطاء،وهوالمرتب السنوي الذي يُعطاه الناس من بيت المال،ابن منظور:لسان العرب،جـ ٤،ص٣٠٠١،الشرباصي:المعجم إقتصادي الإسلامي،ص٢٩٦ .

(٧) الزبير بن بكار: جمهرة نسب قريش ، ص ١٢٤.

(٨) الفسوي :المعرفة والتاريخ ، ص ٤٨٦ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٨ ، ص ١٥٧ .

(١) الفسوي: المعرفة و التاريخ ، ص ٤٨٦ .

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ٧ ، ص ص ٣٢٧ ، ٤٦٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٢٢ .

(٤) المسيب بن شريك ، من بني شقرة من تميم، يكنى بابي سعيد ، ولد بخرسان و نشأ بالكوفة، سمع الحديث عن الأعمش وغيره ، وعُد من الضعفاء في الحديث ، قدم بغداد فنزلها وولي بيت المال لهارون الرشيد ، توفي ببغداد سنة (١٨٦هـ/ ٨٠٢ م)، ابن سعد في الطبقات الكبرى ، جـ ٧ ، ص ٣٣٢ .

(٥) الجراح بن مليح بن عدي بن الفرس بن سفيان بن الحارث بن كلاب بن عامر بن ربيعة ،يكنى بابي وكيع، فهو أبو وكيع بن الجراح، إهتم بالحديث ، وولي بيت المال في بغداد لهارون الرشيد ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ٦ ، ص ص٣٨٠-٣٨١.

(٦) الخطيب : تاريخ بغداد، جـ ٥ ، ص٤١٣.

المال،مثل العشور،وضبط المكاييل والموازين ، فكان خالد بن مهران[١]،على دورالعشور بالبصرة [٢].

الحسبة :

لم تخل الحسبة [٣] في العصر العباسي الأول من العلمـاء ، خصوصا ، وأن أهـم شروطها ، أن يكون القائم بها على درجة من العلم بالقرآن الكريم في أحكامه وبالسنة النبوية ومراميها ، وبالفقه ومقاصده،لأن المحتسب يراقب مدى التزام الناس بهذه القواعد والأسس والقيم في تعاملاتهم المختلفة ، وفي حياتهم اليومية ، وبالتالي فقد كان العلماء أكثر من غيرهم مؤهلين للقيام بهذه الأدوار .

ولأن القائمين بهذا العمل كانوا يأتون طواعية ، وبدون أجر ، وإنما يحتسبون الأجر عند الله تعالى ، سموا لذلك بالمحتسبين ، الواحـد منهم محتسب ، بعد أن كان يطلق عليهم أصحاب السوق قبل ذلك فكان ممن عمل بالحسبة من العلماء في العصر العباسي الأول ، عاصم بن سليمان الأحول [٤] ، إذ

---

(٧) خالد بن مهران الحذاء، يكنى بأبي المبارك، و هو من موالي قر يش، ويسمى بالحذاء لأنه كان يجلس إلى الحذائين ، وهو من العلماء االثقاة، كثير الحديث ، استعمل على دار العشور بالبصرة ، في خلافة المنصور، وتوفي بها سنة(١٤١هـ/ ٧٥٨ م) ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ٧ ، ص ص ٢٥٩ ، ٢٦٠.

(٨) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ٧ ، ص٢٦٠.

(٩) الحسبة : مصدر احتسب ، ومنه احتساب الأجر على الله ، كقولك فعلته حسبة، واحتسب فيه احتسابا، إذا عمله و طلب أجره في الآخرة ، وهي وظيفة يقوم بها بعض الناس للأمر بالمعروف إذا ترك ، وللنهي عن المنكر إذا ظهر ، ثم أصبحت بعد ذلك وظيفة رسمية تعين الدولة من يقوم بها لمراقبة الأسواق وللحفاظ على الأدب العامة ، وكان للمحتسب سلطات تغيير المنكر في الأسواق ، وولايته أدنى من ولاية القاضي ، ابن منظور: لسان العرب ، جـ ٢، ص٨٦٦ ، ابن الأخوة: معالم القربة في أحكام الحسبة ، ص٧، انظر الكبيسي : أصالة نظام الحبسة العربية الإسلامية ، دار الشئون = الثقافية العامة ، بغداد ط١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩ م ، ص ٧ ، ٨ . ، انظر : أحمد مصطفى: الحبسة في الإسلام ، ص ١٢ .

(١) عاصم بن سليمان الأحول ، يكنى بأبي عبد الرحمن ، من موالي بني تميم ، أحد علماء الحديث الثقات ، عمل في جهاز الدولة ، فولي قضاء المدائن للمنصور ، ثم على الحبسة في المكاييل والموازين للمنصور أيضا ، وتوفي سـنة (١٤٢هـ/ ٧٥٩ م) ، ابن سعد : الطبقات الكبرى، جـ ٧ ، ص ٢٥٦.

كان على الحسبة في المكاييـل والمـوازين بالكـوفة حتى سنة (١٤٢ هـ / ٧٦٩م) [١] ، كما ولـي ابو زكريا يحيى بن محمد حسبة بغداد وأسواقها ، سنة (١٥٧ هـ / ٧٧٤م) للمنصور[٢] .

كما شارك العلماء في بعض الأعمال الأخرى ، ذات الطابع الاقتصادي ، فكلّف أبو حنيفة بالإشراف على بناء سور حول بغداد [٣] ، وكان إسماعيل بن عياش على خزانة الكسوة ببغداد[٤].

د- تحذير العلماء الناس من التعاملات المالية المحرمة :

الثابت أن الإباحة هي القاعدة الأساسية في التشريع الإسلامي عموما ، إلا ما حرم بنص ، ومن ذلك التعاملات المالية ، فإنها مباحة في مجملها إلا ما أدى منها إلى إلحاق الضرر بالفرد والمجتمع ، مثل الربا ، وبيع الخمر ، وبيع الغرر ، وبيع التمر قبل نضجه ، وبيع المزابنة والنجَش ، وبيع السلاح في أوقات الفتن .

ولأن العلماء في العصر العباسي الأول كانوا ضمن النسيج الاجتماعي ، فلم يكونوا بمعزل عن حياة المجتمع وممارساته الاقتصادية ، وعلى إطّلاع بما كان يحدث من مخالفات في التعاملات المالية بين الناس ، فقد قاموا بجهود نظرية وعملية في مواجهة هذه المخالفات ، فبينوا لمعاصريهم ، ولغيرهم من الأجيال الإسلامية ما حرم من المعاملات المالية ، ثم حذروهم من التعامل بها ، بعد أن بينوا أضرار تلك التعاملات على الفرد والمجتمع .

١- الربا :

يأتي الربا في سياق الانحرافات الاقتصادية التي ظهرت نتيجة لطغيان الأنانية والإطماع والاستغلال والانتهازية ، على مساحة الإيثار والإحسان والمعروف في نفوس الناس .

---

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ٧ ، ص٢٥٦، ابن الجوزي : صفة الصفوة ، جـ٣ ، ص ٢٠٣، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، جـ٨ ، ص٣٩ .

(٣) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، حـ٦ ، ص٢٦٧ .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٠ ، ص ٩٧ ، الأربلي : خلاصة الذهب المسبوك ، ص٥٤ ، مرعي بن يوسف : تنوير بصائر المقلدين ، ص ٣٨.

(٥) الخطيب : تاريخ بغداد ، جـ٦ ، ص ٢٢٨.

الربا في اللغة من ربا ، أي نما وزاد[١] ، ومن ذلك قوله تعالى : " ويربي الصدقات "[٢] ، وفي الشرع زيادة في أصل الشيء ذاته ، وإعطاء المال على سبيل الدَيْن بفائدة تزيد عن أصله ، وهو نوعان ، ربا النسيئة[٣] ، وربا الفضل ، وكلاهما ساد قبل الإسلام .

نظر الإسلام إلى الربا بوصفـه وسيلة لاستغلال الإنسان لحاجة أخيـه الإنسان ، تزيد الأغنياء غنا والفقراء فقرا ، فضلا عن أنها تعطيل للمال بوصفه طاقة فاعلة ، يفترض أن توجه إلى مجالات الإنتاج ، فدورة الربا غير منتجة ، إلى جانب أن الربا يتعارض مع قيم التعاون والتكافل ، وهي من القيم الإسلامية الأصيلة ، ولذلك فقد حُرم الربا في الإسلام ، قال تعالى :" إن الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا "[٤] وقال عز وجل :" يمحق الله الربا ويربي الصدقات " [٥]وقال تعالى كذلك :"يا أيها الذين أمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين"[٦].

لكل ما سبق نظر العلماء إلى الربا بوصفه آفة اقتصادية، فحذروا معاصريهم من الوقوع فيها ، فكان مالك بن أنس ينهى الناس عن التعامل بالربا سواء ما كان منه واضحا بينا مثل ربا النسيئة ، أم ما كان خفيا ،وفيه شك، مثل ربا الفضل ، مبينا أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال:" الدينار بالدينار والدرهم بالدرهم لا فضل بينهما "[٧] وأن عمر بن الخطاب كان يقول :" لا تبيعوا الورق

---

(١) ابن منظور : لسان العرب ، جـ٣ ، ص ١٥٧٢ ، أنظر محمود منصور: الربا في الشريعة الإسلامية والقانون ، دار النهضة العربية، القاهرة ، د.ت ، ص ٣٢ .

(٢) البقرة : الآية ٢٧٦ .

(٣) ربا النسيئة ، أو الربا الجلي ، وهو الذي كانوا يفعلونه في الجاهلية ، فيؤخذ دينه ويزيده في المال ، وكلما أخره زاده ، ابن قيم الجوزية : أعلام الموقعين عن رب العالمين ، جـ٢، ص١٢٩ .

(٤) البقرة : الآية ٢٧٥.

(١) البقرة: الآية٢٧٦.

(٢) البقرة الآية ٢٧٨ .

(٣) رواه مالك في الموطأ ، كتاب الصرف وأبواب الربا ، حديث رقم ٨١٦ ، ص ٢٨٩ .

بالذهب ..إني أخاف عليكم الربا" (١) ، كما أن سعيد بن المسيب كان ينهي الناس عن الربا في تعاملاتهم المالية(٢) ، وكان عبد الرحمن بن مهدي يحدث الناس بأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في النهي عن الربا (٣) ، وبين جعفر بن محمد علة تحريم الربا ، عندما سئل عن الغاية من تحريمه ، فقال :" لئلا يتمانع الناس المعروف "(٤) ، ونهى الشافعي عن الربا قليله وكثيره ، وعن الحيل التي يستتر وراءها المرابون(٥) ،وبين أحمد بن حنبل لمعاصريه الربا الذي لا شك فيه حيث قال :" هو أن يكون له دين فيقول له أتقضي أم ترابي ،فإن لم يقضه زاده في المال ، وزاده هذا في الأجل " (٦) .

كما بين العلماء للناس البيوع المحرمة ، مثل بيع الغرر ، وبيع الثمر قبل بدو صلاحه ، وبيع الشيء قبل قبضه ، والبيع على بيع الغير ، وبيع الكلاب الضواري ، والمزابنـة (٧) و النجَش (٨) وما إلى ذلك.

وفي العصر العباسي الأول نهى العلماء عن بيع الغرر، وهو بيع ما لم يحرز، مثل بيع السمك في الماء ، والغرر هنا من التغرير بالمشتري وخداعه فكان مالك ينهى معاصريه عن بيع الغرر ، ،

---

(٤) مالك بن أنس : الموطأ ، ص ٢٩١.

(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٩١ .

(٦) أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٩ ، ص ٦٨ .

(٧) ابن الجوزي : صفة الصفوة ، جـ ٢ ، ص ١١٥ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٦ ، ص ٢٦٢ .

(٨) الشافعي : الأم ، جـ ٣ ، ص ٣ ، ابن قيم الجوزية : أعلام الموقعين عن رب العالمين ، جـ ٣ ، ص ٢٤١ ، ابن حجر : سيرة الإمامين الليثي والشافعي ، ص ٧٠ .

(٩) ابن قيم الجوزية : أعلام الموقعين عن رب العالمين ، جـ ٢ ، ص ١٢٩.

(١) المزابنة : بيع الثمر بالثمر من نفس النوع ، كبيع التمر بالتمر ، والعنب بالزبيب واستكراء الأرض بالحنطة ، مالك بن أنس : موطأ الإمام مالك ، ص ص ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، الشافعي : كتاب الأم ، جـ ٣ ، ص ص ٥٥ ، ٦٥ .

(٢) النجَش : هو تواطىء رجلان أو أكثر على زيادة سعر سلعة حتى يسمع بذلك المشتري ، فيأخذها بأكثر من ثمنها ، مالك بن انس : الموطأ ، ص ٢٧٣ ، ابن حجر : سيرة الإمامين الليثي والشافعي ، ص ٥٩ .

مبينا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنه[1] كما نهى عنه الثوري[2] وابن السماك[3] ، وأبو يوسف ، الذي دأب على تبيين ذلك للرشيد في رسائله اليه ، إذ كتب في إحداها:" وسألت يا أمير المؤمنين عن بيع السمك في الأجام ومواضع مستنقع الماء ، فلا يجوز بيع السمك في الماء لأنه غرر ، وهو للذي يصيده "[4] .

كما نهوا عن بيع الثمر قبل بدو صلاحه ، لأنه لا أحد يضمن خروج الثمر كله وخلوه من الآفات التي قد تودي به ، فكان النهي هنا حفظا لأموال الناس لئلا يأكلونها بينهم بالباطل ، فكان مالك يحدث عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم "نهى عن بيع الثمار حتى يبدو صلاحها"[5] وأكد ذلك الشافعي مبينا أن هذا البيع يقتضي أكل أموال الناس بدون حق ، فروى أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال :" أرأيت إن منع الله الثمرة ، فبم يأكل أحدكم مال أخيه ؟!"[6] ، وبين أن ثمة علامات لصلاح الثمر ونضوجه ، كأن ترى فيه الحمرة أو الصفرة .[7]

ونهى العلماء عن بيع الشيء قبل قبضه وحيازته ، فبين مالـك أن عمر بن الخطاب أنكـر على حكيم بن حزام [8] لأنه باع طعاما قبل أن يستوفيه [1] ، وأن أئمة التابعين أنكروا هذا البيع ، فكان

---

(٣) مالك بن أنس : موطأ الإمام مالك ، ص ١٧٤.

(٤) كان سفيان الثوري يروي أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في النهي عن بيع الغرر ، ابو نعيم: حلية الأولياء ، جـ ٧ ، ص ١٠ .

(٥) أبو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٨ ، ص ٢٣٤ ، الخطيب : تاريخ بغداد ، جـ ٥ ، ص ٣٦٩.

(٦) ابو يوسف : كتاب الخراج ، ص ٩٤.

(٧) رواه مالك في الموطأ ، كتاب البيوع ، باب ما يكره من بيع الثمار قبل أن يبدو صلاحها ، رقم ٧٥٩ ، ص ٢٦٨.

(١) ابن حجر : سيرة الإمامين الليثي والشافعي . ص ٦٥.

(٢) الشافعي : كتاب الأم ، جـ ٣ ، ص ص ٤٠، ٤١ ، ٤٥ ، ٥٧ .

(٣) حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى ، يكنى بأبي خالد ، صحابي من الطبقة الرابعة ممن أسلم بعد الفتح ، وكان يبكي لإبطائه في الإسلام ، شارك في غزوة حنين مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وحـرص علـى صـحبته لإدراك ما فاته ، فنزل المدينة وتوفي بها سنة (٥٤ هـ / ٦٧٤م) ، إبن الجوزي: صفة الـصفوة ،جـ ـ ١، ص ص ٣٦٨ ، ٣٦٩ .

سعيد بن المسيب يقول :" لا تبع إلا ما أويت إلى رحلك "[٢] .

وحدث الشافعي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع السلعة قبل إحرازها ، فقال:" من ابتاع طعاما فلا يبعه حتى يستوفيه " . [٣]

وأنكر الإمام مالك والشافعي ، بيع الرجل على بيع أخيه[٤]،كما نهيا عن بيع الكلاب الضواري[٥]،وعن المزابنة[٦] ،ونهيا عن النجش[٧] ، كما نهى الشافعي عن بيع السلاح أوقات الفتن[٨] ، لأن ذلك يهدد سلامة المجتمع واستقراره .

جـ - دور العلماء في بيان أهمية العملة وفي النهي عن العبث بها :

لاريب أن العملة الإسلامية قد مرت بمراحل عدة ، فبعد أن كان المسلمون في العهد النبوي وفي عهد الخلفاء الراشدين يعتمدون في تعاملاتهم المادية فيما بينهم من جهة ، وفيما بينهم وبين الدول والأمم ، من جهة أخرى على الدراهم الفارسية والحميرية[٩] ، وعلى الدنانير الرومانية ، إذ كان أول ظهور لعملة إسلامية مستقلة ، تعبر عن الشخصية الاقتصادية للدولة الإسلامية ، في العصر الأموي ، وتحديدا في خلافة عبد الملك بن مروان .

---

(٤) مالك بن أنس : موطأ الأمام مالك ، ص ٢٦٩ .

(٥) المصدر نفسه : ص ٢٩٢.

(٦) ابن حجر : سيرة الإمامين الليثي والشافعي ، ص ٦٩.

(٧) مالك بن أنس : موطأ الإمام مالك ، ص ٢٧٧ ، ابو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ٩ ، ص ١٦٩ ، ابن حجر : سيرة الإمامين الليثي والشافعي ، ص ٥٨

(٨) الشافعي : كتاب الأم ، جـ ٣ ،ص ٩.

(٩) مالك بن أنس : موطأ الإمام مالك ، ص ص٢٧٥ ، ٢٧٦ ، الشافعي : كتاب الأم ، جـ ٣ ، ص ص ٥٤ ،٥٥ ، ابن حجر : سيرة الإمامين الليثي والشافعي ، ص ص ٥٩ ،٦٤ .

(١٠) مالك بن أنس : موطأ الإمام مالك ، ص٢٧٣، ابن حجر : سيرة الإمامين الليثي والشافعي ، ص ٥٩

(١١) الشافعي : كتاب الأم ، جـ ٣ ، ص ٦٥.

(١) الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

وفي الوقت التي مرت فيها العملة الإسلامية الجديدة بمراحل جود ت فيها وطورت[١] ، تعرضت في الوقت ذاته للتزييف و الغش والكسر والإتلاف .

وهو ما نستنتجه من الأدوار التي قام بها العلماء ، في النهي عن غش العملة وتزييفها سواء أكانوا من التابعين أم من تابعي التابعين ، فنهى سعيد بن المسيب عن تزييف العملة ، وعد ذلك من الفساد في الأرض[٢] ، وانتقد الحسن البصري بعض معاصريه ممن كانوا يعبثون بالعملة ، قائلا:" كان الناس وهم أهل كفر قد عرفوا موضع هذه الدراهم فجودوها وأخلصوها ، فلما صارت إليكم غششتموها وأفسدتموها " [٣] ، وكان محمد بن سيرين [٤] يحتجز الدراهم المزيفة حتى لا تعود إلى التداول بين الناس .[٥]

وفي العصر العباسي الأول كان للعلماء دور في مواجهة العبث بالعملة سواء بالغش والتزييف أم بالكسر والإتلاف ، فقد دأب مالك على توعية معاصريه بأهمية المحافظة على العملة [٦] ،وكان يعد اتلافها من الفساد في الأرض ، وعاضده في رأيه إبن أبي ذئب ، وجعفر بن محمد،والواقدي ، فروى

---

(٢) أول من ضرب الدنانير والدراهم الإسلامية عبد الملك بن مروان وكانت منقوشة بنقوش إسلامية ، أمـر الحجـاج بضربها أواخر سنة (٧٥ هـ / ٦٩٤ م) ، ثم أمر بضربها في النواحي سنة (٧٦ هـ / ٦٩٩م) ، وخلـصها ، وكتـب عليها " الله أحد الله الصمد" وسميت مكروهة ، لأن الفقهاء كرهوها لما عليها من القرآن وقد يحملها الجنب والمحدث ، ثم ، جودها عمرو بن هبيرة عندما ولي العراق في عهد يزيد بن عبد الملك ، فضربها أحسن مما كانت ، ثـم جودهـا أكثر خالد بن عبد الله القسري وشدد في تجويدها ، وجودها بعد ذلك يوسف بن عمر فأفرط فـي التجويـد والتـشديد ، فكانت الهبيرية ، والخالدية، واليوسفية أجود نقود بني أمية ، وكان المنصور يتعامل بها ، الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

(٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ٥ ،ص ١٣٥.

(٤) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٦٥٩.

(٥) محمد بن سيرين الأنصاري ، يكنى بأبي بكر أحد فقهاء البصرة وكبار التابعين بها ومن العباد بها ، وشهر بتأويـل الرؤيا ، مات بالبصرة سنة (١١٠هـ / ٧٢٨ م) ، ابن حبان : مشاهير علماء الأمصار ، ص ٨٨.

(١) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٤ ، ص ٦٢٠ ، الكتاني : التراتيب الإدارية ، جـ ١ ،ص ٤٢٦.

(٢) مالك بن أنس : موطأ الإمام مالك ، ص ٢٩٣.

مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم، نهى عن كسر سكة[١] المسلمين الجارية بينهم[٢]،وقال ابن أبي ذئب " نكره قطع الدراهم ، لأنه من الفساد في الأرض[٣] ،عندما سئل جعفر بن محمد عن كسر الدراهم ، قال : " هو عندي من الفساد في الأرض" [٤]،وأنكر الواقدي إتلاف العملة ،وبين أن السلف عاقبوا عليها،فقال إن إبان بن عثمان [٥] عاقب في كسر الدراهم ثلاثين سوطا مع التعزير [٦].

ومع ذلك فقد جوز بعـض العلماء كسر العملة للضرورة ، وإذا لم يُلحق كسرها الضرر بالمسلمين ، فكان هذا رأي أبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل ، فقال أبو حنيفة:" لا بأس بكسر الدراهم إذا لم يضر ذلك بالإسلام وأهله " [٧] ، وأجازها الشافعي للضرورة ، أما إذا كسرت لغير ضرورة فإنه عد ذلك نوع من السفه [٨] ، وقد وافقه في ذلك أحمد بن حنبل ، إلا أنه كره كسر العملة إذا كان عليها اسم الله [٩] .

ومما سبق يتبين لنا أن العلماء في العصر العباسي الأول لم يعيشوا على هامش الحياة ، بل عاشوا الحياة بكل أبعادها ، السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، تأثروا بها وأثروا فيها ، ولعل ما يعنينا

---

(٣) السكة في الأصل الحديدة (القالب) التي يطبع عليها الدراهم والدنانير ، ثم انسحب الاسم على الـدراهم والـدنانير المضروبة ، أو المختومة أو المطبوعة ، أو المنقوشة ، وهي بمعنى واحد ، الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ٢٧٤ ، أبو يعلى : الأحكام السلطانية ، ص ١٨٣ ، ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ص ٣٦١ .

(٤) الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ٢٧٤ .

(٥) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٦٥٨ .

(٦) أبو يعلى : الأحكام السلطانية ، ص ١٨٢ .

(٧) أبان عثمان بن عفان ، ابن الخليفة عثمان بن عفان ، أحـد كبـار التـابعين ، يكنى بأبي سعيد ، كان أعلم النـاس بالقضاء ، وقد ولي المدينة لمعاوية بن أبي سفيان ، أصيب بالفالج ، وتوفي به في خلافة يزيد بن عبد الملك ، ابن حبان : مشاهير علماء الأمصار ، ص ٦٧ .

(٨) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٦٥٨ ، الماوردي : الأحكام السلطانية ،ص ٢٧٥ ، أبو يعلى : الأحكام السلطانية ، ص ١٨٣.

(٩) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٦٥٨ .

(١) الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ص ٢٧٥ ، ٢٧٦.

(٢) المصدر نفسه ص ٢٧٦.

بدرجة أكبر في هذا المقام هو تأثيرهم في الحياة الاقتصادية ، وهو ما عرفناه في أتون هذا الفصل ، فهم منذ البداية كيفوا حياة معاصريهم الاقتصادية مع قيم الاقتصاد الإسلامي ، الذي اشتمل مساحة كبيرة من التشريع الإسلامي سواء في الذكر الحكيم ، أم في السنة النبوية الشريفة ، بل ووضعوا أسس الاقتصاد الإسلامي من خلال ما قدموه من جهود نظرية ضخمة ، ضمت طروحاتهم المذهبية لما أتى بعدهم من أجيال فمما لا ريب فيه أن العصر العباسي الأول ، بما اشتمل عليه من علماء ، كان الرحم التي تخلق فيه الاقتصاد الإسلامي فظهرت قواعده وأصوله على أيدي هؤلاء العلماء .

فنظر العلماء إلى المال على أنه أداة ونعمة مسخرة للإنسان، وطاقة ينبغي استثمارها لخدمة المجتمع، لا غاية في ذاته،وبينوا أن هذا الفهم يترتب عليه تعامل الإنسان معه ، فإما أن يكون الإنسان سيدا للمال إذا نظر إليه بوصفه وسيلة لجلب المصالح والمنافع الدنيوية والأخروية ، أو ان يكون الإنسان عبدا للمال مسخرا له ، إذا نظر إليه على أنه غاية ، فينكب على تحصليه ويلهث وراءه ، فيكون المال نقمة عليه .

كما فرقوا بين المال، وبين سوء استخدام الإنسان لهذا المال،وأن الإسلام لم يذم المال في ذاته وإنما ذم سوء استخدام الإنسان له ،فبينوا أنواعا المعاملات المالية المحرمة في الإسلام،والتي تلحق الضرر بالفرد والمجتمع ،وقاموا بأدوار عديدة في تنظيم الحياة الاقتصادية فيما بين المجتمع والدولة، وفيما بين أفراد المجتمع، كما قاموا بأدوار مهمة في تنمية الحياة الاقتصادية في العصر العباسي الأول .

الخاتمة

وهكذا فقد هدفت هذه الدراسة إلى تقصي ــ ما أمكن ــ دور العلماء في الحياة السياسية والاقتصادية في العصر العباسي الأول ، وقد خلصت إلى عددٍ من النتائج ، هي :

١ - أن القرآن الكريم والسنة النبوية قد اشتملا على مساحة مهمة للحياة السياسية والاقتصادية، وكانا الأساس في نظرة العلماء إلى هذين المجالين من الحياة ، وأن العلماء تحركوا في أدوارهم في الحياة السياسية والاقتصادية ضمنهما .

٢ - أن مصطلح العلماء في العصر العباسي الأول كان مقصورا على المشتغلين والمتعمقين في العلوم الدينية المختلفة من قرآن وحديث وفقه وتفسير ومغازي وسير ، وليس بمدلول المصطلح المعاصر الذي ينسحب أيضا على المتعمقين في شتى العلوم الدينية والطبيعية والاجتماعية .. وغيرها، دأب على تأكيد ذلك المصادر التاريخية والفقهية ، وغيرها في العصر العباسي الأول فلم تصف هذه المصادر بالعالم سوى المشتغل المتعمق في العلوم الدينية.

٣ - أن العصر العباسي الأول ضم كبار العلماء ، ومثل المعمل الذي تخلّقت فيه المذاهب الفقهية الأربعة ، وغيرها من الاتجاهات الفقهية والفكرية ، فكانت استمرارا لما بدأه الصحابة والتابعون ، وأساسا لما أتى بعد ذلك من إضافات في المراحل اللاحقة .

٤ - أن العلماء في العصر العباسي الأول لم يعيشوا على هامش الحياة ، بل كانت لهم مشاركات فاعلة في الحياة السياسية والاقتصادية ، إما من خلال مشاركتهم في أجهزة الدولة ، أم عبر توجيههم لسياسة الخلفاء والأمراء ، عن طريق المواعظ والنصائح التي كانوا يسدونها اليهم ، أم بالمعارضة وفضح انحرافات الخلفاء والأمراء ومخالفاتهم، أم عن طريق اعتزال الحياة السياسية بوصفه نوعا من الاحتجاج الصامت على ما لا يرضونه من سياسات الخلفاء.

٥ - أن العلماء في العصر العباسي الأول ، تعاملوا مع الحياة السياسية وفق منهج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، في درجات المشاركة ونوعيتها ، وهو منهج أصيل في الحياة الإسلامية، فانقسموا في مواقفهم من الحياة السياسية في العصر العباسي الأول إلى ثلاثة أقسام، قسم شارك في السلطة فعمل في وظائف الدولة المختلفة ، وقام بأدواره في الإصلاح من خلالها فكان دوره ضمن التغيير باليد ،

وقسم رفض العمل في أجهزة الدولة لخوفه من التقصير في حق الأمة ، ولاعتقاده أن العمل للخلفاء قد يفقده القدرة على محاسبتهم وتقييم انحرافاتهم ، لكنه مع ذلك تعاطى مع الخلفاء والأمراء ، فظل يقـدم إليهم المواعظ والنصائح متى طلبوها منه ، أو استدعى الأمر تقديمها بالرفق واللين ، وأنَّ بعض أفراد هذا الفريق عارض الخلفاء وجاهرهم بعيوبهم وفق أسلوب لا يخلوا من الغلظة والتقريع وهو مايندرج ضمن التغيير باللسان ، وأن قسما ثالثا من العلماء اتخذ موقفا سلبيا انسحابيا، فاعتزل الحياة الـسياسية والاقتصادية ، إما لإحباطات عدم الحصول على نتائج عاجلة لما قام به أفراده من جهود في إصلاح ما رأوه معوجا فيها ، أو لأنهم قد اتخذوا هذا المنهج الانعزالي منذ البداية ، وانقطع أفراد هذا الفريق إلى العبادة وطلب العلم ، وعاشوا حياة الزهد والتقشف .

٦- أن الحياة السياسية في العصر العباسي الأول عرفت نوعا من النظام التمثيلي ، كـان يقـوم فيـه العلماء بتمثيل مطالب الناس لدى الدولة ،ويتولون مراقبة الخلفاء والأمراء ومحاسبتهم .

٧- أن العلماء نظروا إلى الثورة العباسية على أنها مجرَّد تحويل الخلافة من أسرة إلى أسرة أخـرى دون أن تحدث أي إصلاح في نظام الحكم ، فوصل العباسيون إلىالـسلطة بالتغلـب ، وكـرروا ذات التجربة الأموية التي قاموا على مبررات تغييرها فلم يلغوا ما ورثوه عن الأمويين من نظام الحكم بـل أقروه واستمروا عليه ، ولذلك اعتزل العلماء هذه الثورة ، ورفضوا الإفتاء بشرعيتها ، وانتقـدوا مـا اكتنفها من قتل للأنفس ،ونهب للأموال .

٨- أن العلماء أنكروا الخروج على الحاكم المسلم بالسيف، وإن شاب حكمه الظلم، حرصا على وحدة الأمة وإشفاقا من وقوعها في الفتن لكنهم وللسبب ذاته كانوا يقرون المتغلب على الخلافة إذا استقر لـه الأمر ، ويرون طاعته .

٩- ظل العلماء طيلة العصر العباسي الأول ينظرون إلى الخلافة على أنها قوام دولة الإسلام فهي في نظرهم واجبة شرعا وعقلا ، و بيَّنوا أهمية الخلفاء، ووجوب طاعتهم ، وحدود هذه الطاعة ، كما أن خلفاء العصر العباسي الأول كانوا ينظرون إلى العلماء نظرة ملؤها الإجلال والتقدير، وكانوا في كثير من الأحيان، يستجدون رضاهم، ويطمعون في الاستئناس بآرائهم واجتهاداتهم لتسيير دفة الحكم، بل ويسعون لإشراكهم في السلطة كأعوان على الإصلاح، بغض النظر عما لاقاه بعض العلماء من عنت

على أيدي بعض الخلفاء والولاة إلا أنَّ ذلك لم يكن الإتجاه العام لتعامل الخلفاء مع العلماء ، بل كانت السمة العامة لنظرة الخلفـاء إلى العلماء في العصر العباسي الأول هي الاحترام والتقدير والإجلال .

١٠- أن العلاقة بين العلماء والخلفاء في العصر العباسي الأول لم تكن كما تصورها بعض الدراسات أنها علاقة غير سوية ، بل كان فيها الكثير من صور التعاون والتكامل بين العلماء والخلفاء طوال العصر العباسي الأول .

١١- أن الدولة العباسية كانت تعتمد الإسلام في شئونها السياسية والاقتصادية ،وفي علاقاتها بغيرها، وعلى جهود العلماء النظرية وتخريجاتهم الفقهية ، التي قصدوا بها تكييف المتغيرات السياسية والاقتصادية مع تعاليم الإسلام وقيمه ، وأن هذه الاجتهادات والتخريجات الفقهية وإن كانت تمس الدولة في شؤونها التشريعية والإدارية فهي أيضا تمسها في الصميم ، فكانت تتبع في تحديد العلاقات و الحقوق والواجبات السياسية بين الدولة ورعاياها .

١٢ - أن العلماء لم ينتقدوا أسلوب ولاية العهد بذاته في تبادل السلطة في العصر العباسي الأول بل أقروه ، وأصَّلوه ، حفظا لوحدة الأمة ومنعا لانفراط عقدها وإنما عابوا على بعض الخلفـاء تـدخل الأهواء وعوامل أخرى في اختيار ولي العهد ، وعدوا ذلك غشا للأمة وأن الخلفاء كانوا يفـضلون أن يبقى العلماء بعيدين عن مسألة تداول السلطة ، وإنما استعانوا في ذلك بالوزراء وكبـار رجـال الدولة ، ولذلك فإن هذا الجانب من الحياة السياسية قد شهد أحداث خطيرة كان منها ماهزَّ العـصر العباسي الأول وكاد يعصف بالدولة العباسية، مثل الصراع بين المنصور وعمه عبد الله بن علي ، وبين الأمين والمأمون ، ومع ذلك فقد ظلت للعلماء بعض الأدوار ، منها ما كان نظريا ومنها مـا كان عمليا ، وإن كانت في نطاق محدود ،كما انتقد العلماء بعض المتغيرات التـي طـرأت علـى البيعة، مثل إكراه الناس ، وأخذهم بالأيمان المغلظة على الطاعة ، وعدوا ذلك من نواقض البيعة .

١٣- أن جل العلماء قد اعتزلوا الحركات الخارجة على الدولة العباسية خصوصا تلك التي اعتمدت السيف وسيلة للخروج على الدولة ، لعلمهم السابق بما يجره الخروج على الأمـة مـن الـويلات والخراب والدمار ،وما يؤدي اليه من الفتن التي ترتكب فيه المظالم ، خصوصا وقد جربوها قبـل

ذلك وتجرعوا مرارتها ، وزاد من رسوخ موقفهم هذا ، أن الخروج على الدولة يضعف المـسلمين أمام أعدائهم المتربصين بهم .

١٤- أن هناك عوامل خارجية وأخرى من داخل المجتمع أدت على ظهور بدعة القول بخلق القـرآن على سطح العصر العباسي الأول ، فثمة تأثيرات يهودية ، وأخرى نصرانية في هذه الظـاهرة ، وأن الدولة لم تقصد من تبني هذه الفكرة - كما ذهبت كثير من الدراسات المحدثة – شـغل العلمـاء عـن القضايا السياسية المعاصرة أو وسيلة للإلهاء السياسي، لأن الدولة ، من خلال مجريات هذه الدراسـة، هي التي كانت تسعى للاستعانة بالعلماء ، بل وتدفعهم دفعا للمشاركة في الحياة السياسية، وإنمـا كـان السبب في ذلك ، أن بعض الخلفاء قد وقعوا تحت تأثير المعتزلة ، ومعطيات ما ترجم إلى العربية من تراث الإغريـق الفلسفي ، وأن العلماء قاموا بدور كبير في الذب عن قيم الإسلام إزاء هذه الظاهرة ، وإن اختلفت أساليبهم ودرجة مواجهتهم لها ، وأن موقفهم هذا أدى إلى تنقية العقيدة مما ألصق بها مـن بدع .

١٥- أن مايقال عن أن المعتزلة تعرَّضوا لاضطهاد في العصر العباسي الأول من قبل الخلفاء ، لم يكن دقيقا بل على العكس فقد مارس المعتزلة أنفسهم عندما وصلوا إلى السلطة أو كادوا ، ألوانا من الإرهاب الفكري ضد مخالفيهم خصوصا العلماء لأ كراههم على الذهاب مذهبهم .

١٦- أن أهل الذمة حظوا بتسامح في ظل الإسلام لم يشهده التاريخ لأي أقلية دينية ،بل إن بعـض الخلفاء العباسيين أفرطوا في هذا التسامح على نحو تضررت منه رعيتهم من المسلمين ، فكان ذلك مثار انتقاد العلماء لهم .

١٧- إن العلماء لم يتقبلوا بعض الظواهر الغريبة التي ابتدعها العباسيون ، مثل مبالغـة الخلفـاء العباسيين في الإحتجاب ، وتقبيل أيدي الخلفاء والأمراء ،القيام لهم ، وتنحية الناس عن البيت لـدى طواف الخلفاء ، واستخدام السجن عقوبة للمعارضين السياسيين ، والمبالغة في إظهار بهرج الملـك وأبهة الخلافة .

١٨- أن العلماء في العصر العباسي الأول كان لهم دور كبير في حركة الجهاد ،وعظا وتأليفا ، دفعا وتوجيها ، رباطا ، وغزوا .

١٩- أن الدولة العباسية في عصرها الأول لم تعتمد مذهبا فقهيا بعينه بل كانت تأخذ باجتهادات العلماء وفقا لما تقتضيه مصلحة الدولة ، ووفقا لما يرجَّح أنه الصواب ، خصوصا وأن المـذاهب لم تكن قـد تبلورت بعد بشكلها الأخير .

٢٠- من خلال معطيات كتب الطبقات يتضح أن أطراف الدولة ، والعواصم القديمة بدأت تخلوا شـيئا فشيئا من العلماء في الوقت الذي كانت فيه بغداد تزدحم بالعلماء وتزهوا بهم حتى أن الطبقات المتأخرة من تابعي التابعين تكاد تختفي في تلك المدن .

٢١- أن العلماء في العصر العباسي الأول مثّلوا الضابط الذي إنضبط به إيقاع الحيـاة الأسـلامية ، فكانوا يعيدون التوازن المختل ويقومون الإعوجاج في أجهزة الدولة وفي حياة المجتمع .

٢٢- أن العلماء بما قدموه من جهود نظرية ضخمة في العصر العباسي الأول، وضعوا أسس الاقتصاد الإسلامي ، وأن العصر العباسي الأول بما اشتمل عليه من علماء ، كان الـرحم الـذي تخلـق فيـه الاقتصاد الإسلامي فظهرت قواعده وأصوله على أيدي هؤلاء العلماء ، فنظر العلماء إلى المال علـى أنه أداة ونعمة مسخرة للإنسان ، وطاقة ينبغي استثمارها لخدمة الفرد والمجتمع ، لا غاية في ذاتـه ، وبينوا أن هذا الفهم يترتب عليه تعامل الإنسان مع المال ، فإما أن يكون الإنسان سيدا للمال إذا نظـر إليه بوصفه وسيلة لجلب المصالح والمنافع الدنيوية والأخروية ، أو أن يكون الإنـسان عبـدا للمـال مسخرا له ، إذا نظر إليه على أنه غاية ، فينكب على تحصليه ويلهث وراءه ، فيكون المال نقمة عليه ، كما فرَّقوا بين المال ، وبين سوء استخدام الإنسان لهذا المال ،وأن الأسلام لم يذم المال فـي ذاتـه وإنما ذم سوء استخدام الإنسان له ، فبينوا أنواع المعاملات المالية المحرمة في الإسلام ، والتي تلحق الضرر بالفرد والمجتمع ، وقاموا بأدوار عديدة لتنظيم الحياة الاقتصادية، سواء فيمـا بـين المجتمـع والدولة ، أم فيما بين افراد المجتمع ، كما قاموا بأدوار مهمة في تنمية الحياة الاقتصادية في العـصر العباسي الأول .

الملاحق

ملحق رقم (١)

إحدى الرسائل التي بعثها أبو يوسف الى الرشيد

ورأيت - أبقى الله أمير المؤمنين - أن تتخذ قوما من أهل الصلاح والدين والأمانة فتوليهم الخراج ، ومن وليت منهم فليكن فقيها عالما مشاورا لأهل الرأي عفيفا لا يطلع الناس منـه علـى عـورة ، ولا يخاف في الله لومة لايم ، ما حفظ من حق وأدى من أمانة احتسب به الجنة ، وما عمل به مـن غيـر ذلك خاف عقوبة الله فيما بعد الموت ، تجوز شهادته إن شهد ، ولا يخاف منه جور في حكم إن حكم ، فإنك إنما توليها جباية الأموال وأخذها من حلها وتجنب ما حرم منها ، يرفع من ذلك ما يشاء ويحتجن منه ما يشاء ، فإذا لم يكن عدلا ثقة أمينا فلا يؤتمن على الأموال ، إني قد أراهم لا يحتـاطون فـيمن يولون الخراج ، إذا لزم الرجل منهم باب أحدهم أياما ولاه رقاب المسلمين وجباية خراجهم ، ولعله ألاّ يكون عرفه بسلامة ناحية ولا بعفاف ولا بإسيقامة طريقه ، ولا بغير ذلك ، وقد يجب الإحتياط فـيمن يولى من أمر الخراج والبحث عن مذاهبهم والسؤال عن طرائقهم كما يجب ذلك فـيمن أريـد للحكـم والقضاء ، وتقدم الى من وليت ان لا يكون عسوفا لأهل عمله ولا محتقرا لهم ولا مستخفا بهم ، ولكن يلبس لهم جلبابا من اللين يشوبه بطرف من الشدة والإستقصاء من غير أن يظلموا أو يحملـوا مـا لا يجب عليهم ، واللين للمسلم والغلظة على الفاجر ، والعد على أهل الذمة ، وإنصاف المظلوم ، والشدة على الظلم والعفو عن الناس ، فإن ذلك يدعوهم الى الطاعة ، وان تكون جبايته للخراج كما يرسم له ، وترك الإبتداع فيما يعاملهم به ، والمساواه بنهم في مجلسه ووجهه حتى يكون القريب والبعيد والشريف والوضيع عنده في الحق سواء ، وترك إتباع الهوى فإن الله ميز من إتقى وآثر طاعنه وأمره على من سواهما ، وإني لأرجوا إن أمرت بذلك وعلم الله من قبلك إيثارك ذلك على غيره ، ثم بدل منهم مبـدل أو خالف منهم مخالف أن يأخذه الله به دونك وأن يكتب لك أجرك وما نويت إنشاء الله .

(٭) أبو يوسف : كتاب الخراج ، ص ١١٥ ، ١١٦ .

ملحق رقم (٢)

رسالة من أبي جعفر المنصور الى محمد بن عبد الله النفس الزكية

يحذره فيها من المخالفة ويدعوه الى الطاعة ، ويمنيه فيها بالعفو والعطاء

(بسم الله الرحمن الرحيم) من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين الى محمد بن عبد الله "إنماجزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم إلى الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم " ، ولك علي عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم إن تبت ورجعت من قبل أن أقدر عليك أن أؤمنك وجميع ولدك وإخوتك وأهل بيتك ومن اتبعكم على دمائكم وأموالكم وأسوغك ما أصبت ما أصبت من دم أو مال وأعطيك ألف ألف درهم وما سألت من الحوائج وأنزلك من البلاد حيث شئت ،وأن اطلق من في حبسي من أهل بيتك ، وأن أؤمن كل من جاءك وبايعك واتبعك أو دخل معك في شيئ من أمرك ثم لا أتبع أحد منهم بشيئ كان منه أبدا ، فإن أردت أن تتوثق لنفسك فوجه إلي من أحببت يأخذ لك من الأمان والعهد والميثاق ما تثق به .

---

(٠)الطبري : تاريخ الأممو الملوك ، جـ ٦ ، ص ١٩٥ .

ماحق رقم (٣)

رسالة محمد بن عبد الله (النفس الزكية) الى أبي جعفر المنصور

يرد فيها على رسالة المنصور ويدعي فيها حق آل علي في الخلافة

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله المهدي محمد بن عبد الله الى عبد الله بن محمد "طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلوه عليك من نبإ موسى وفرعون بالحق لقـوم يؤمنـون إن فرعـون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نسـاءهم إنه كان من المفسدي موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ،ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون " (القصص ، الآيتان : ١ ـ ٦) وأنا أعرض عليك من الأمان مثل الـذي عرضت علي فـإن الحق حقنا وإنما ادعيتم هذا الأمر بنا وخـرجتم له بشيعتنـا وحظيتم بفضلنا ، وإن أبانا علي كان الوصي وكان الإمام فكيف ورثتم ولايته وولده أحياء ...

(*)الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٦ ، ص ١٩٥ ـ ١٩٦ .

ملحق رقم (٤)

جانب من خطبة أبي العباس السفاح لدى توليه الخلافة

بين فيها فضل البيت العباسي وقرابته من رسوا الله صلى الله عليه وسلم

الحمد لله الذي اصطفى الإسلام لنفسه تكرمة وشرفه وعظمه ، واختاره لنا وأيده بنا وجعلنا أهله وكهفه وحصنه والقوام به والذابين عنه والناصرين له وألزمنا كلمة التقوى وجعلنا أحق بها وأهلها ، وخصنا برحم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرابته ، وأنشأنا من أبائه وأنشأنا من شجرته .

(*)الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٦ ،ص ٨١ ، ٨٢ .

المصادر والمراجع

أولا : القرآن الكريم

ثانيا : المخطوطات :

التبريزي . بدر الدين بن أبي معمر إسماعيل (كان حيا سنة ٦٠١هـ / ١٢٠٥م) .
١ - كتاب النصيحة للراعي والرعية ،مخطوط بمعهد المخطوطات العربية ، برقم ميكروفيلم (٥٣٩) ، حديث .

ابن تغري بردي . (جمال الدين أبي المحاسن يوسف ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م) .
٢ - مورد اللطافة فيمن ولي السلطة والخلافة ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، برقم (١٣٥٦) ، ميكروفيلم (١٤٦٨٥) ، تاريخ .

جمال الدين أبي الفضائل (ت ٤٩٢ هـ / ١٠٩٩ م) .
المنهج المسلوك في سياسة الملوك ، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية ، برقم ميكروفيلم (٥٢) .

الحجاجي . (عبد الحفيظ عبد الحق كان حيا سنة ١٢٩٥ هـ / ١٨٧٨ م) .
٣ - موعظة الخلف بقصص السلف ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، برقم (١٧٧٢) ، ميكروفيلم (١٧٧٢) ، تاريخ .

ابن الحداد . (محمد بن منصور الموصلي ، كان حيا سنة ٦٧٣ هـ /١٢٧٤ م) .
٤ - الجوهر النفيس في سياسة الرئيس ، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية ، برقم ميكروفيلم (١٨) ، سياسة واجتماع .

الخازني . (أمين الدين الدمشقي ت ٧٦٨ هـ /١٣٦٧م) .
٥ – أحاسن الأخبار في محاسن السبعة الأخيار ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، بـرقم (٢٩٤٧) ، ميكروفيلم (١٠٩١٦) ، تاريخ .

الخزرجي . (علي بن حسن ت ٨١٣ هـ / ١٤١٠ م) .
٦ - العسجد المسبوك فيمن تولى اليمن من السلاطين و الملوك ، مخطوط بمكتبـة الجـامع الكبيـر بصنعاء (المكتبة الغربية) ، برقم (٢٥٨٤) ، تاريخ .

ابن أبي الدنيا . (أبو بكرعبد الله بن محمد القرشي الأموي البغدادي ت ٢٨١هـ / ٨٩٤ م).
٧ ــ كتاب العزلة والانفراد ، مخطوط في معهد المخطوطات العربية ، برقم ميكــروفيلم (٣٨٧) ، تصوف .

ابن أبي الربيع .(شهاب الدين أحمد بن محمد ت ٢٧٢ هـ / ٨٨٥ م) .
٨ - سلوك المالك في تدبير الممالك ، مخطوط بدار الكتب المصريـة ، برقـم (٤٧٧) ، ميكروفيلم (٤٥٢١٣) ، حكمة وفلسفة .

سبط الشيخ المرصفي .
٩ - السبيل المبين في حكم صلة الأمراء والسلاطين ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، برقم (٨٠) ، ميكروفيلم (٢٦٢٧٣) ، تصوف .

الشيرازي . (محمد بن عبد الرحمن ت ٩٨٨ هـ /١٥٨٠ م) .
١٠ - تهذيب الرياسة وترتيب السياسة ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، برقم (٩٩٠٧) ،ميكروفيلم (٣٢٧٨٣) ، أدب .

الصفي . (أحمد بن الصفي الميموني ت ٥٠٥ هـ /١١١١م) .
١٢ - التبر المسبوك في صفات الملوك ، مخطوط بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء (مكتبة الأوقاف) ، برقم (٢٢٣٣) ، مجاميع .

علي برهان الدين (ت ٣٢٠ هـ / ٩٣٢م) .
١٣ - إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون (المعروف بالسيرة الحلبية) ، مخطوط بـدار الكتب المصرية ، برقم (٥٥٣) ، ميكروفيلم (٣٥٨٢٨) ، تاريخ .

الغزالي . (محمد بن محمد ت٥٠٥ هـ / ١١١١م) .
١٤ - نصيحة الملوك ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، برقم (٤١١٢) ميكـروفيلم (٤٩٨٥٥) ، تصوف .

القاري . (ملا علي بن سلطان بن محمد ت ١٠١٤ هـ / ١٦٠٦ م) .
١٥ - رسالة في تبعيد العلماء عن أبواب الأمراء الظلماء ، مخطوط بمعهد المخطوطـات العربيـة ، برقم ميكروفيلم (١٨٥) ، تصوف .

القصيبي . (علي بن محمد ٨٧٨هـ / ١٤٧٣م) .
١٦ - الاهتمام في مناصحة الإمام ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، بـرقم (٣٢٦) ،ميكـروفيلم (١٦١٢٨) ، حديث .

الكناني . (محمد بن النعمان ت ١٠٤٤ هـ / ١٦٣٤ م) .
١٧ - نهج السلوك إلى معرفة سير الخلفاء والملوك ، مخطوط بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء (مكتبة الأوقاف) ، برقم (٢١٦٠) ، تاريخ .

المبارك (بن خليل الخازن دار الموصلي البدري . كان موجود قبل سنة ٦٧٢ هـ /١٢٧٤م) .
١٨ ـ أدب السياسة بالعدل ، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية ، برقم (١) ، سياسة .

ابن المحق . (محمد بن أبي بكر الموصلي ت ٦٠٥ هـ / ١٢٠٨ م) .
١٩ ـ كتاب النصح في الدين ومآرب القاصدين في مواعظ الملوك والسلاطين ، مخطـوط بمعهـد المخطوطات العربية ، برقم ميكروفيلم (٤٢٩) ، تصوف .

مجهول المؤلف .
٢٠ ـ تذكرة الملوك إلى أحسن السلوك ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، برقم (٢٣٩٨) ، ميكروفيلم (٣٥١٠١) ، تاريخ .

مجهول . وقيل إنه لابن أبي الربيع شهاب الدين أحمد بن محمد ت٢٢٧هـ / ٨٤٢ م) .
٢١ ـ السلوك في تدبير الملوك،مخطوط بمعهد المخطوطات العربية ، برقم (٣٥) سياسة وإجتماع.

مجهول .
٢٢ ـ نصيحة الحكام في اجتناب الجور في الأحكام ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، برقم (٤١١٢) ، ميكروفيلم (٤٩٨٥٥) .

المحاسبي . (الحارث ت ٢٤٣ هـ /٨٥٧م) .
٢٣ ـ كتاب النصائح ، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية ، برقم (٤٢٨) ، تصوف .

مرعي بن يوسف . (بن أبي بكر بن أحمد الكرمي الحنبلي ت ١٠٣٣ هـ / ١٦٢٣ م) .

٢٤ - تنوير بصائر المقلدين في مناقب الأئمة المجتهدين ، مخطوط بـدار الكتب المصريـة ،برقـم (٢٣٩٨) ، ميكروفيلم (٣٥٧٨٢) ، تاريخ طلعت .

موسى بن يوسف . بن حمود بن زيان ت ٧٨٨ هـ /١٣٨٦م) .

٢٥ - واسطة السلوك في سياسة الملوك ، مخطوط بدار الكتـب المـصرية ، بـرقم (٦٩٣٨) ، سياسة واجتماع .

النقاش . (أبو أمامة محمد بن علي ت ٧٦٣ هـ /١٣٦٢م) .

٢٦ - المذمة في استعمال أهل الذمة ، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية ، برقم (٥٠) .

ثالثا: المصادر المطبوعة :

ابن الأبار . (أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي ت ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م) .
١ – الحلة السيراء ، تحقيق حسين مؤنس ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

ابن الأثير . (أبو الحسن علي بن محمد الجزري ، ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م) .
٢ – أسد الغابة في معرفة الصحابة ، تحقيق نخبة من العلماء الأجلاء ، دار الشعب ، القاهرة ، ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م .
٣ – الكامل في التاريخ ، دار صادر ، بيروت ، ط ٦ ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ .

أحمد بن إبراهيم بن عيسى (ت ١٣٢٩هـ / ١٩١١م) .
٤ – توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم ، تحقيق زهير الشاوش ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٦ هـ/١٩٨٦م .

أحمد بن حنبل (بن هلال بن أسد . أبو عبد الله الشيباني ت٢٤١ هـ / ٨٥٥ م) .
٥ – الرد على الزندقة والجهمية ، تحقيق محمد حسن راشد ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣ م .
٦ – مسند الإمام أحمد ، مؤسسة قرطبة ، القاهرة ، د.ت .
٧ – الورع لأحمد بن حنبل ، تحقيق زينب إبراهيم القاروط ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

الأحوذي .(محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المبارك فوري ت ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤م)
٨ – تحفة الأحوذي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د . ت .

ابن الاخوة . (محمد بن محمد بن أحمد القرشي ت ٧٢٩ هـ /١٣٢٩م) .
٩ – معالم القربة في أحكام الحسبة ، تحقيق روبن ليون ، مكتبة المتنبي ، القاهرة ، د. ت .

ابن آدم . (يحيى القرشي ت ٢٠٣ هـ / ٨١٨ م) .
١٠ – كتاب الخراج ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، ط ٢ ، د .ت.

الأربلي . (عبد الرحمن بن سنبط : لم أقف له على تاريخ وفاة) .
١١ – خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سيرة الملوك ، مطبعة القديس جاورجيوس ، د.م ، ١٣٠٢ هـ /١٨٨٥ م .

الأزدي . (أبو زكريا يزيد بن محمد بن إياس بن القاسم ت ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م) .
١٢ – تاريخ الموصل ، تحقيق علي حبيبة ، نشره محمد توفيق عويضة ، القاهرة ، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م .

الأزرقي . (أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد ت ٢٥٠ هـ / ٨٦٤ م) .
١٣ – أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، المطبعة الماجدية ، مكة المكرمة ، ١٣٥٧ هـ/١٩٣٨م .

الأسفرائيني . (عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي ت ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م)
١٤ – الفرق بين الفرق ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م .

الأسفرايني . (ابن المظفر ت ٤٧١ هـ / ١٠٧٨) .

١٥ – التبصرة في الدين وتمييز الفرقة الناجية من الفرق الهالكة ، تحقيق محمد بن زاهد الكوثري ، مطبعة النوار ، القاهرة ، ١٣٥٩ هـ / ١٩٤٠ م .

الأصفهاني . (أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد القرشي ت ٣٥٦ هـ / ٩٦٧م) .

١٦ – الأغاني ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الشعب ،القاهرة ،١٣٩١ هـ/١٩٧١م .

١٧ – مقاتل الطالبيين ، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار المعرفة ، بيروت ، د . ت .

ابن أعثم . (أبو محمد أحمد الكوفي ت ٣١٤ هـ / ٩٢٦ م) .

١٨ – كتاب الفتوح ، دار الندوة الجديدة ، بيروت ، ط١ ، د.ت .

الأكفاني . (هبة الله أحمد بن محمد بن هبة الله ت ٥٢٤ هـ /١١٣٠م) .

١٩ – ذ يل ذ يل تاريخ مولد العلماء ، تحقيق عبد الله بن أحمد بن سليمان الحمد، دار العاصمة ، الرياض ، ط١ ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ .

الألوسي . (محمود شكري البغدادي ت ١٣٤٢ هـ / ١٩٢٣ م) .

٢٠ – بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، المكتبة الأهلية ، القاهرة ، ١٣٢٤ هـ / ١٩٠٦ م .

ابن الأمير . (محمد بن إسماعيل الصنعاني ت ٨٧٢ هـ / ١٤٤٨ م) .

٢١ – سبل السلام ، تحقيق محمد عبد العزيز الخولي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ٤ ، ١٣٩٧ هـ / ١٩٥٩ م .

البخاري . (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ت ٢٥٦ هـ / ٨٧٠ م) .
٢٢ – التاريخ الكبير ، تحقيق السيد هاشم الندوي ، دار الفكر ، بيروت ، د . ت .
- التاريخ الكبير ، تحقيق محمد عبد المعيد خان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت .
٢٣ _ صحيح البخاري ، تحقيق مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ، اليمامة ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

ابن بطوطة .(أبو عبد الله محمد بن عبد الله الطنجي كان حيا سنة ٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م).
٢٤ – تحفة النظار في غرائب الأمصار ، المعروف بـ (رحلة ابن بطوطة) ، تحقيق طلال حرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٧ / ١٩٨٧ م .

البكري . (عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م) .
٢٥ – معجم ما استعجم ، تحقيق مصطفى السقا ، عالم الكتب ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

البلاذري . (أحمد بن يحيى بن جابر ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م) .
٢٦ _ أنساب الأشراف ، تحقيق إحسان عباس ، الشركة المتحدة للتوزيع ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م .

٢٧ _ فتوح البلدان ، تحقيق عبد الله أنيس الطباع ، عمر أنيس الطباع ، مؤسسة المعارف، بيروت ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

البيهقي . (إبراهيم بن محمد : كان يعيش زمن المقتدر ٢٩٥ - ٣٢٠ هـ/٩٠٨ - ٩٣٢م) .
٢٨ – المحاسن و المساوي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، د.ت .

البيهقي . (أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٦ م).
٢٩ – سنن البيهقي الكبرى ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، مكتبة دار الباز ، مكة المكرمة ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م .
٣٠– شعب الإيمان ، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م .
٣١– مناقب الشافعي ، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار التراث ، القاهرة ، ط١ ، ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م .

الترمذي . (محمد بن عيسى بن عيسى السلمي ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م) .
٣٢ – السنن (المعروفة بسنن الترمذي) ، تحقيق ، أحمد محمد شاكر وأخرين ، دار ،حياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت .

ابن تغري بردي . (جمال الدين أبي المحاسن يوسف ت ٨٧٤ هـ/ ١٤٦٩م) .
٣٣- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، وزارة الأوقاف والإرشاد ،القاهرة ، د.ت .

التنوخي . (أبو علي الحسن بن علي بن محمد ت٣٨٤ هـ / ٩٩٤ م) .
٣٤ – جامع التواريخ ، مطبعة ابن زيدون ، دمشق ، ١٣٤٨ هـ / ١٩٣٠ م .
٣٥– الفرج بعد الشدة ، تحقيق عبود الشالجي ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .

ابن تيمية . (تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ت ٧٢٨ هـ ١٣٢٧ م) .
٣٦ – الحسبة في الإسلام ، تحقيق محمد زهري النجار ، مطبعة الرجوي ، القاهرة ، ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .
٣٧ – السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية ، تحقيق محمد إبراهيم البنا ، محمد أحمد

عاشور ، دار الشعب ، القاهرة ، ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م .
٣٨- القرآن كلام الله حقيقة ، تحقيق عبد الرحمن عميرة ، مكتبة التراث ، القاهرة ، د.ت .

الثعالبي . (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري ت ٤٢٩ هـ/١٠٣٨ م) .
٣٩ – ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٥ م .

ابن تغري بردي .(جمال الدين أبي المحاسن يوسف ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م).
٤٠ – النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، وزارة الأوقاف والإرشاد ، القاهرة ، د.ت .

الجاحظ .(أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥ هـ / ٨٦٩ م) .
٤١ – البيان والتبيين ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨ م.
٤٢ - رسائل الجاحظ (الرسائل السياسية) ، تحقيق علي أبو ملحم ، دار الهلال ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .
٤٣ – كتاب التاج في أخلاق الملوك ، تحقيق أحمد زكي باشا ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ط١ ، ١٣٢٢ هـ / ١٩١٤ م .

الجرجاني . (الشريف علي بن محمد بن علي ت٨١٦ هـ /١٤١٣م) .
٤٤ – كتاب التعريفات ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

الجرجاني . (عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد ت ٣٦٥هـ/ ٩٧٦م) .
٤٥ - الكامل في ضعفاء الرجال ، تحقيق يحيى مختار غزاوي ، دار الفكر ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م .

ابن جلجل . (أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي ت ٣٧٧ هـ / ٩٨٧ م) .
٤٦ – طبقات الأطباء والحكماء ، تحقيق فؤاد سيد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

الجندي . (محمد بن يوسف بن يعقوب ت ٧٣٠ هـ / ١٣٢٩ م) .
٤٧ – السلوك في طبقات العلماء والملوك ، تحقيق محمد بن علي بن الحسين الأكوع ، وزارة الإعلام والأوقاف ، صنعاء ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

الجهشياري . (محمد بن عبدوس ت ٣٣١ هـ / ٩٤٣ م) .
٤٨ - نصوص ضائعة من كتاب الوزراء والكتاب ، جمعها ميخائيل عوّاد ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م .
٤٩- الوزراء والكتاب ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة ، ط٢ ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨٠ م .

ابن الجوزي . (أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن البغدادي ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م
٥٠ – التبصرة ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، ط١، ١٣٩١ هـ / ١٩٧٠ م .
٥١ – التذكرة في الوعظ ، تحقيق طه عبد الرءوف سعد ، دار ابن خلدون ، الإسكندرية ، د.ت .
٥٢ – تلبيس إبليس ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، ط٤ ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م .
٥٣ – سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز ، دار المنار ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م .
٥٤- الشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء ، تحقيق فؤاد عبد المنعم ، دار الحرمين ، قطر ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

٥٥ – صفة الصفوة ، تحقيق إبراهيم رمضان ، سعيد اللحام ، دار الكتب العلميـة ، بيـروت ، ط١ ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م .
٥٦ – صيد الخاطر ، دار ابن خلدون ، الإسكندرية ، د.ت . ٧٥٥ .
٥٧– الضعفاء والمتروكين ، تحقيق عبد الله القاضي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،١٤٠٦ هـ/١٩٨٦م.
٥٨ – مناقب الإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق سعد كريم الفقي ، دار إبن خلدون ، الإسكندرية، د.ت .
٥٩- مناقب الإمام أحمد بن حنبل ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ط١ ، د.ت .
٦٠– المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .

الجويني . (أبو المعالي ت ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م) .
٦١- غياث الأمم والتياث الظلم ، تحقيق ، مصطفى حلمي ، فؤاد عبد المنعم ، دارالدعوة ، الإسكندرية ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

ابن حبان . (أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد البستي التميمي ت ٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م).
٦٢ – الثقاة ، تحقيق السيد شرف الدين أحمد ، دار الفكر ، بيروت ، ط١ ، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م .
٦٣ – روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ، تحقيق أمين الخانجي ، مطبعة كردستان ، القاهرة ،١٣٢٨هـ/ ١٩١٠ م .
٦٤- صحيح ابن حبان ، تحقيق ، شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٢ ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣ م .
٦٥– مشاهير علماء الأمصار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت .

ابن حبيب . (أبو جعفر محمد ت ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م) .

٦٦ – مختلف القبائل ومؤتلفها ، تحقيق إبراهيم الأبيار ، دار الكتب المصرية القاهرة ، الداراللبنانية ، بيروت ، د.ت .

ابن حجر . (أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي - ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م) .
٦٧- الإصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق محمد علي البجاوي ، دار الجيل ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .
٦٨- تعجيل المنفعة ، تحقيق إكرام الله إمداد الحق ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، د . ت .
٦٩- تقريب التهذيب ، تحقيق محمد عوامة ، دار الرشيد ، سوريا ، ط١ ، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م .
٧٠ – سيرة الإمامين الليثي والشافعي ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط١ ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م .
٧١ – فتح الباري ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٧٩هـ /١٩٥٩ م .
٧٢ – مناقب الإمام الليث بن سعد ، تحقيق محمد منير عبد اللطيف ، مكتبة فيصل الإسلامية ، القاهرة ، ط١ ، د.ت .

الحريفيش . (شعيب بن سعد بن عبد الكافي المصري المكي ت ٨١٠ هـ/١٤٠٧ م) .
٧٣ – الروض الفائق في المواعظ والرقائق ، تحقيق خليل المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م .

ابن حزم . (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي ت ٤٥٦ هـ / ١٠٦٤) .
٧٤ – جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٥ ، د.ت .
٧٥ – الفصل في الملل والأهواء والنحل ، تحقيق محمد إبراهيم نصر ، دارالجيل ، بيروت ، د.ت .
٧٦ – المحلى ، إدارة الطباعة المنيرية ، القاهرة ، د.ت .
٧٧ – نقط العروس في تواريخ الخلفاء (رواية الحميدي) ، تحقيق شوقي ضيف ، مطبعة القاهرة ، القاهرة ، ١٣٧٠هـ / ١٩٥١ م .

الحسيني . (محمد الحسيني) .
٧٨ – مقاتل الأمويين ، راجعه السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب ، مؤسسة البلاغ ، بيروت ، ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م .

حمزة . (بن الحسين الأصفهاني ت ٣٥١ هـ / ٩٦٢م) .
٧٩- تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، تحقيق يوسف بن يعقوب السكوني ، مكتبة الحياة ،بيروت ، ط٣ ، ١٣٨٠ هـ / ١٩٦١ م .

الحموي . (تقي الدين أبو بكر بن علي بن محمد ت ٨٣٧ هـ /١٤٣٤ م) .
٨٠ – ثمرات الأوراق في المحاضرات ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة الخانجي ،القاهرة ، ط١ ، د.ت .

ابن خردا ذبة . (أبو القاسم عبد الله بن أحمد البغدادي ت ٣٠٠ هـ / ٩١٣ م) .
٨١ – المسالك و الممالك ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٣٠٦ هـ / ١٨٨٩ م .

الخزرجي . (صفي الدين أحمد بن عبد الله ت ٩٢٣ هـ / ١٥١٧ م) .
٨٢ – خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، تحقيق محمود عبد الوهاب فايد ، مطبعة الفجالة الجديدة ، القاهرة ، ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م .

الخطيب . (أبو بكر أحمد بن علي البغدادي ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧١ م) .
٨٣ – تاريخ بغداد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت .

ابن الخطيب . (أبو عبد الله بن الخطيب ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٥م) .
٨٤ – رقم الحلل ونظم الدول ، المطبعة العمودية ، تونس ، ١٣١٦هـ / ١٨٩٨ م .

ابن الخطيب . (محي الدين محمد بن القاسم بن يعقوب ت ٩٤٠ هـ / ١٥٣٤م) .
٨٥ – روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار ، المطبعة المصرية (بولاق) ، القاهرة ،١٢٨٠ هـ / ١٨٦٣ م .

الخلال . (أبو بكر أحمد بن محمد ت ٣١١ هـ / ٩٢٣ م) .
٨٦ – أحكام أهل الملل (من الجامع لمسائل الإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق سيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م .
٨٧ – الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، تحقيق عبد القادر أحمد عطا ، دار الاعتصام ،القاهرة ، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م .

ابن خلدون . (عبد الرحمن بن محمد الحضرمي ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م) .
٨٨– كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر،دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط١، ١٤١٣هـ /١٩٩٢ م .
٨٩ – مقدمة ابن خلدون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت .

ابن خلكان . (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) .
٩٠ – وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، د.ت .

خليفة بن خياط . (العصفري ت ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م) .
٩١ – التاريخ (المعروف بتاريخ خليفة بن خياط) ، تحقيق مصطفى نجيب فـؤاد ، حكمت فـوّاز (الدكتور) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م .

٩٢- الطبقات (المعروف بطبقات خليفة بن خياط) ، تحقيق أكرم ضياء العمري ، دار طيبة ، الرياض ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .

الخوارزمي . (محمد بن أحمد بن يوسف ت ٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م) .
٩٣ – مفاتيح العلوم ، تحقيق إبراهيم الإبياري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .

الدارقطني . (الحافظ أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد ت ٣٨٥ هـ /٩٩٥م) .
٩٤ – ذكر أسماء التابعين ومن تبعهم ، تحقيق بوران الضناوي ، كمال يوسف الحوت ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م .
٩٥ – سنن الدارقطني ، تحقيق السيد عبد الله هاشم يماني ، دار المعرفة ، بيروت ،١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م .

أبو داود . (سليمان بن الأشعب السجستاني الأزدي ت ٢٧٥ هـ / ٨٨٨ م) .
٩٦ – سنن أبي داود ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ،د.ت .
- سنن أبي داود ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، بيروت ، د.ت .

ابن دحية .(أبو الخطاب مجد الدين عمر بن الحسين الكلبي) .
٩٧ – النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس ، مطبعة المعارف ، بغداد ، د.ت .

الدواداري . (أبو بكر بن عبد الله بن أيبك ت ٧٣٧ هـ / ١٣٣٧ م) .
٩٨ – كنز الدرر و جامع الغرر (الدرة السنية في أخبار الدولة العباسية) ، تحقيق دورو نياكرافولسكي ، نيو تايب الكترونيك ، بيروت ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢ م .

الدينوري . (أبو حنيفة أحمد بن داود ت ٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م) .
٩٩ - الأخبار الطوال ، تحقيق عبد المنعم عامر ، جمال الدين الشيال ، دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي) ، القاهرة ، ١٣٧٩ هـ / ١٩٦٠ م .

الذهبي . (أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م)
١٠٠- تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٢ ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م .
١٠١ - تذكرة الحفاظ ، مجلس دائرة المعارف النظامية ، الهند ، ١٣٣٣ هـ / ١٩٥١ م .
١٠٢ - سير أعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٢ ،١٤٠٢ / ١٩٨٢ م .
١٠٣- العبر في خبر من غبر ، تحقيق محمد السعيد بسيوني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،د. ت .
١٠٤- الكاشف، تحقيق محمد عوامة ، دار قبلة للثقافة الإسلامية ، جدة ط١ ، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م .
١٠٥- معرفة القراء الكبار ، على الطبقات والأعصار ، تحقيق بشار عواد معروف ، شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .
١٠٦- المغني في الضعفاء ، تحقيق نور الدين عتر ، د.د .م . ت .

١٠٧- ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، تحقيق علي محمد معوّض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٦ هـ/١٩٩٥ م .
- ميزان الاعتدال في الرجال ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار المعرفة ، بيروت ، د.ت .

الرازي . (عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس التميمي ت ٣٢٧ هـ / ٩٣٩م).
١٠٨- الجرح والتعديل ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٣٧١ هـ / ١٩٥٢ م .

الرازي . (عيسى بن مسعود) .
١٠٩- مناقب سيدنا الإمام مالك ، المطبعة الخيرية ، القاهرة ، ط١، ١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م

الرازي .(فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين ت ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م.
١١٠- مناقب الإمام الشافعي ، مطبعة حجر ، القاهرة ، ١٢٧٩ هـ / ١٨٦٢ م .

الرازي . (محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ت ٦٦٦ هـ /١٢٦٨م) .
١١١- مختار الصحاح ، تحقيق محمد خاطر ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م .

الربعي . (محمد بن عبد الله بن أحمد بن سليمان ، ت ٣٩٧ هـ /١٠٠٧م) .
١١٢- مولد العلماء ووفياتهم ، تحقيق عبد الله أحمد سليمان الحمد ، دار العاصمة ، الرياض ، ط١ ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١م .

ابن أبي الربيع .(شهاب الدين أحمد بن محمد ت ٢٢٧هـ / ٨٤٢ م) .
١١٣- رسالة ابن أبي الربيع ، تحقيق سعد لطفي حسن ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م .

الرحبي . (عبد العزيز بن محمد ١١٨٤ هـ / ١٧٧٠ م) .
١١٤- الرتاج المرصد على خزانة كتاب الخراج ، تحقيق أحمد عبيد الكبيسي ،مطبعة الإرشاد ، بغداد ، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣ م .

ابن رستة . (أبو علي حميد بن عمر ت٣٠١ هـ / ٩٣١ م) .
١١٥ – الأعلاق النفيسة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٨ /١٩٨٨ م .

الرشيد بن الزبير . (كان حيا سنة ٤٦٣ هـ / ١٠٧١م)
١١٦- كتاب الذخائر والتحف ، تحقيق محمد حميد الله ، دائرة المطبوعات والنشر ، الكويت ، ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٩ م .

الرقي . (إبراهيم بن أحمد الحنبلي ت ٧٠٣ هـ / ١٣٠٤ م) .
١١٧– أحاسن المحاسن ، تحقيق محمد علوي المالكي ، مطبعة دار التأليف ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م .

الزبير بن بكار . (ت ٢٥٦ هـ / ٨٧٠ م) .
١١٨- جمهرة نسب قريش وأخبارها ، تحقيق محمد محمد شاكر ، مكتبة فياض ، بيـروت ، ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م .

ابن زنجويه . (حميد ت ٢٥١ هـ / ٨٦٥ م) .
١١٩– كتاب الأموال ، تحقيق شاكر ديب فياض ، مركز الملـك فيـصل للدراسـات الإسـلامية ، الرياض ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

١٢٠– المدونة الكبرى (رواية سحنون) ، دار صادر ، بيروت ، د.ت

السرخسي . (شمس الدين أبو بكر بن سهل ت ٤٨٣ هـ / ١٠٩٠ م) .
١٢١ – المبسوط ، تحقيق مجموعة من العلماء الأجلاء ، مطبعة ، القاهرة ، د.ت .

ابن سعد . (محمد بن سعد بن منيع ٢٣٠ هـ / ٨٤٥ م) .
٢٢٢– الطبقات الكبرى ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، د . ت .

السلمي . (عبد الرحمن بن محمد بن الحسين أبو بكر ت ٤١٢ هـ / ١٠٢١ م)
١٢٣ – طبقات الصوفية ، تحقيق نور الدين شرابية ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، د.ت .

ابن سمرة . (عمر بن علي الجعدي كان حيا سنة ٥٨٦هـ / ١١٩٠م) .
١٢٤ – طبقات فقهاء اليمن ، تحقيق فؤاد سيد ، دار القلم ، بيروت ، د.ت .

السمعاني . (أبو سعيد عبد الكريم بن محمد التميمي ت ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م).
١٢٥ - الأنساب ، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني ، الناشر محمد أمين ،د.م ، ط٢ ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

سيف بن عمر(الضبي الأسدي ت ٢٠٠هـ / ٨١٦ م) .
١٢٦-الفتنة ووقعة الجمل،تحقيق أحمد راتب عرموش،دار النفائس،بيروت،ط١،١٣٩١هـ/١٩٧١م.
السيوطي . (جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م) .
١٢٧ - تاريخ الخلفاء ، تحقيق قاسم الشماخي الرفاعي ، محمد عثمان ، دار القلم ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦ م .
١٢٨– تدريب الراوي ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ، مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض ، د.ت .

١٢٩ – تزيين الممالك بمناقب سيدنا الإمام مالك ، المطبعة الخيرية ، القاهرة ، ط١ ، ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٧ م .
١٣٠ – طبقات الحفاظ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

الشافعي . (محمد بن إدريس ت ٢٠٤ هـ / ٨١٩ م) .
١٣١ – الأم ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .
١٣٢ – الرسالة ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار التراث ، القاهرة ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .

ابن شداد . (عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم ت ٦٨٤ هـ /١٢٨٥م) .
١٣٣ – الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام و الجزيرة ، تحقيق يحيى زكريا عبارة ، وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م .

شهاب الدين . (أحمد بن محمد الحنبلي ت ٨٧٠ هـ / ١٤٦٦ م) .
١٣٤ – محاسن المساعي في مناقب الإمام الأوزاعي ، تحقيق إبراهيم مهدي ، مؤسسة المارد الثقافية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م .

الشهرستاني . (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد ت ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م) .
١٣٥ – الملل والنحل ، مؤسسة ناصر للثقافة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .

الشوكاني . (محمد بن علي بن محمد ت ١٢٥٥ هـ / ١٨٣٩ م) .
١٣٦ – نيل الأوطار ، دار الجيل ، بيروت ، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م .

ابن أبي شيبة .(أبو بكر عبد الله بن محمد الكوفي ت ٢٣٥ هـ / ٨٤٩ م).
١٣٧ – مصنف ابن أبي شبة ، تحقيق كمال يوسف الحوت ، مكتب ة الرشيد ، الرياض ، ط١ ، ١٤٠٩ / ١٩٨٩ م .

الشيرازي . (أبو إسحاق الشافعي ت ٤٧٦ هـ / ١٠٨٣ م) .
١٣٨ – طبقات الفقهاء ، تحقيق إحسان عباس ، دار الرائد العربي ، بيروت، ط٢ ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ .

الشيزري . (عبد الرحمن بن عبد الله بن نصر ت ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م) .
١٣٩ – المنهج المسلوك في سياسة الملوك ، تحقيق علي عبد الله الموسى ، مكتبة المنار، الأردن ، ط١ ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .
١٤٠ – نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق السيد الباز العريني ، د.د.م.ت .

الصابي . (أبو الحسين هلال بن المحسن ت ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م) .
١٤١ – رسوم دار الخلافة ، تحقيق ، ميخائيل عوّاد ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م.

صالح .(بن أحمد بن حنبل أبو الفضل ت ٢٦٥ هـ / ٨٧٨ م).
١٤٢ – سيرة الإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .

الطبراني . (سليمان بن أحمد بن أيوب بن القاسم ت ٣٦٠ هـ / ٩٧١ م) .
١٤٣ – المعجم الكبير ، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مكتبة العلوم والحكم ،الموصل ، ط٢

، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣ م .
١٤٤ – المعجم الوسيط ، تحقيق ، طارق بن عوض الله بن محمد ،عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ، دار الحرمين ، القاهرة ، ١٤١٥ هـ /١٩٩٤م .

الطبري . (محمد بن جرير ت ٣١٠ / ٩٢٢ م) .
١٤٥ – تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق نخبة من العلماء الأجلاء ، مكتبة الاستقامة ، القاهرة ، ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩ م .
- تاريخ الأمم والملوك ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٧ هـ /١٩٨٧م .

الطرطوشي . (أبو بكر محمد بن محمد بن الوليد المالكي ت ٥٢٠ هـ / ١١٢٦م) .
١٤٦ – سراج الملوك ، نشره سعادة حسين باشا كامل ، القاهرة ، د.ت .
الطقطقي . (محمد بن علي بن طباطبا ت ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م) .
١٤٧ – الفخري في الآداب السلطانية ، تحقيق محمود توفيق الكتبي ، المكتبة الرحمانية ، القـاهرة ، د.ت .

ابن أبي عاصم . (أبو بكر أحمد بن عمرو الضحاك ت٢٨٧ هـ / ٩٠٠ م) .
١٤٨ - كتاب الجهاد ، تحقيق مساعد بن سليمان الراشد الجميد ، مكتبة العلوم والحكـم ،المدينـة المنورة ، ط١ ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م .
١٤٩ - السنة لأبن أبي عاصم ، تحقيق محمد بن ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

العباسي .(الحسن بن عبد الله بن محمد بن عمر ت ٧٠٨ هـ / ١٣٠٨ م) .
١٥٠ – أثار الأول في ترتيب الدول ،دار الكتب المصرية ،القاهرة،د.ت .

عبد الله بن المبارك المروزي . (ت ١٨١ هـ / ٧٩٧ .) .
١٥١ – الـزهـد ، دار ابن خلدون ، الإسكندرية ، د.ت .

ابن عبد البر .(أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النمري ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧١ م)
١٥٢ – الإستيعاب في معرفة الأصحاب ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار الجيل بيـروت ، ط١ ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .

١٥٣ – الإنتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء (مالك - الشافعي - أبو حنيفة) ، مكتبة القـدس ، القاهرة ، ١٣٥٠ / ١٩٣١ م .

ابن عبد الحكم.(أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أعين المصري ت ٢١٤ هـ/٨٢٩ م).
١٥٤ – فتوح مصر وأخبارها ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط١ ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م .

عبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي (ت ١٠٨٩ هـ /١٦٧٨م) .
١٥٥ – شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت .

ابن عبد ربه (أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي ت ٣٢٨ هـ / ٩٤٠ م) .
١٥٦ – العقد الفريد ، تحقيق ، عبد المجيد التلحيني ، دار الكتب العلمية ، بيـروت ، ط٢ ،١٤٠٧ / ١٩٨٧ م .

أبو عبيد . (القاسم بن سلام ت ٢٢٤ هـ / ٨٣٩ م) .
١٥٧ – الأموال ، تحقيق عبد الأمير مهنا ، دار الحداثة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .

ابن العديم . (الصاحب كمال الدين عمر بن أحمد ت) .

١٥٨ – بغية الطلب في تاريخ مدينة حلب ، دار الفكر ، بيروت ، د.ت .

ابن العربي . (أبو بكر بن العربي القاضي ت ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م) .
١٥٩ – العواصم من القواصم ، تحقيق محب الدين الخطيب ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

ابن عساكر . (أبو القاسم علي بن الحسين ت ٥٧١ هـ / ١١٧٥ م) .
١٦٠ – تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق عبد الغني الدقر ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ،. ت .
- تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق سكينة الشهابي ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ، ١٤٠٧ هـ - / ١٩٨٦ م .

العسكري . (أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل ت ٣٩٥ هـ / ١٠٠٤ م) .
١٦١ – كتاب الأوائل ، تحقيق ، محمد السيد الوكيل ، الناشر السيد أسعد طرابزوني الحسيني ، المدينة المنورة ، ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٦ م .

الغزالي . (أبو حامد محمد بن محمد ت ٥٠٥ هـ / ١١١١ م) .
١٦٢ – إحياء علوم الدين ، تحقيق محمد عبد الملك الزغبي ، مكتبة فيّاض ، المنصورة .د.ت.
١٦٣ – التبر المسبوك في نصيحة الملوك ، المطبعة الخيرية ، القاهرة ، ط١ ، ١٣٠٦هـ/١٨٨٩م .
١٦٤ – فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة ، تحقيق ، مصطفى القباني الدمشقي ، مطبعة الترقي ، القاهرة ، ط١ ، ١٣١٩ هـ / ١٩٠١ م .

أبو الفداء . (عماد الدين ت ٧٥٢ هـ /١٣٥١م) .
١٦٥ – المختصر في أخبار النشر ، دار المعرفة ، بيروت ، د.ت .

الفسوي . (أبو يوسف يعقوب بن سفيان ت ٢٧٧ هـ / ٨٩٠ م) .
١٦٦ – المعرفة والتاريخ ، تحقيق أكرم ضياء العمري ، مطبعة الإرشـاد ،بغـداد ، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٥ م .

القالي . (أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي ت ٢٨٨ هـ / ٩٠٠ م) .
١٦٧ - الأمالي ، دار الجيل ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

ابن قتيبة . (أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري ت٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م) .
١٦٨ – الإمامة والسياسة ، تحقيق علي شيري ، دار الأضواء ، بيروت ، ط١٠١٤١٠،١هـ/١٩٩٠ م .
١٦٩– عيون الأخبار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

قدامة بن جعفر . (ت ٣٣٧ هـ / ٩٤٨ م) .
١٧٠ – كتاب الخراج وصناعة الكتابة ، تحقيق محمد حسين الزبيدي ، دار الرشيد ، بغداد ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .

ابن قدامة . (أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد ت ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م) .
١٧١ – المغني ، مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض ، د.ت .

القرافي . (شهاب الدين أحمد بن إدريس ت ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م) .
١٧٢ – الذخيرة ، تحقيق محمد بوخبزة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م .
القلعي . (أبو عبد الله محمد بن علي ت ٦٥٠ هـ / ١٢٣٢ م) .

١٧٣ – تهذيب الرياسة وترتيب السياسة ، تحقيق إبراهيم يوسف مصطفى ، جامعة الأزهر ، القاهرة ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .

القلقشندي . (أبو العباس أحمد بن عبد الله ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) .

١٧٤ – صبح الأعشى في صناعة الإنشى ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٣٣٢هـ / ١٩١٤ م .

١٧٥ – مآثر الأنافة في معالم الخلافة ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، مطبعة حكومة الكويت ، الكويت ، ط٢ ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥ م .

١٧٦– نهاية الأرب في أنساب العرب ، تحقيق إبراهيم الأبيار ، دار الكتب الإسلامية ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٠ /١٩٨٠م .

ابن قيم الجوزية . (أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر ت٧٥١ هـ /١٣٥٠م)

١٧٧ – أحكام أهل الذمة ، تحقيق صبحي الصالح ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤ م .

- أحكام أ هل الذمة ، تحقيق عبد الرؤوف سعد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١

١٧٨ – أعلام الموقعين عن رب العالمين ، تحقيق عبد ارحمن الوكيل ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت .

١٧٩ – الطرق الحكمية قي السياسة الشرعية ، تحقيق محمد جميل غازي ، مطبعة المدني ،القاهرة ، د.ت .

١٨٠– عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ، دار البيان للتراث ، القاهرة ، ط٣ ، ١٤٠٨ / ١٩٨٨ م .

١٨١– كتاب الفوائد ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، د.ت .

الكاساني . (أبو بكر علاء الدين بن مسعود الحنفي ت ٥٨٧ هـ / ١١٩١ م) .

١٨٢ – كتاب بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت .

الكتاني . (عبد الحي) .
١٨٣ – التراتيب الإدارية ، الناشر (حسن مهنا) ، بيروت ، د.ت .

ابن كثير . (أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م) .
١٨٤ – البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ط١ ، ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م .
- البداية والنهاية ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، د.ت .

الكناني . (عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز ت ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م) .
١٨٥– كتاب الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن ، تحقيق علي بن محمد بن ناصر الفقيهي ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، د.ت .

الكندي . (أبو عمر محمد بن يوسف ت ٣٣٥ هـ / ٩٤٧ م) .
١٨٦ – كتاب الولاة وكتاب القضاة ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، د.ت .

اللالكائي . (هبة الله بن الحسن بن منصور ت ٤١٨ هـ / ١٠٢٧م) .
١٨٧ – اعتقاد أهل السنة ، تحقيق أحمد سعيد حمدان ، دار طيبة ، الرياض ،١٤٠٢هـ /١٩٨٢م .

ابن ماجة . (أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ت ٢٧٥ هـ / ٨٨٨ م) .
١٨٨ – سنن ابن ماجة ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الريان ، القاهرة ،د.ت .

ابن ماكولا . (علي بن هبة الله بن أبي نصر ت ٤٧٥ هـ / ١٠٨٢ م) .
١٨٩ – الإكمال لابن ماكولا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١م .

مالك بن أنس الأصبحي . (١٧٩ هـ / ٧٩٥ م) .
١٩٠ – رسالة الإمام مالك لهارون الرشيد ، المطبعة الأميرية ،القاهرة ، ط٣،١٣١١هـ/١٨٩٣ م .

١٩١ – موطأ الإمام مالك (رواية محمد بن الحسن الشيباني) ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ، دار القلم ، بيروت ، ط١ ، د.ت .

الماوردي . (أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي ت ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م) .
١٩٢ – الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، تحقيق عماد زكي البارودي ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، د.ت .
١٩٣ – التحفة الملوكية في الآداب السياسية ، تحقيق فؤاد عبد المنعم ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م .
١٩٤ – قوانين الوزارة ، تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد ، محمد سليمان داود ،مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ط٢ ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م .
١٩٥ – نصيحة الملوك ، تحقيق فؤاد عبد المنعم ، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .

مجهول .
١٩٦ – العيون والحدائق في أخبار الحقائق ، نسخه حسن الفارقي ، د. ت .

محمد بن نصر المروزي . (ت ٢٩٤ هـ / ٩٠٧ م).
١٩٧ – اختلاف العلماء،تحقيق صبحي السامرائي،عالم الكتب ، بيروت ، ط٢، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦ م .

المزني . (أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل ت ٢٦٤هـ / ٨٧٨م) .
١٩٨ – مختصر المزني (بهامش كتاب الأم للشافعي) ، تحقيق محمد زهري النجار ، ، دار المعارف ، بيروت ، د.ت .

المزي . (جمال الدين أبو الحجاج يوسف ت ٧٤٢ هـ / ١٧٤١ م) .
١٩٩ – تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، تحقيق ،مطبقة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٤٠٧ ، ١٩٨٧ م .

المسعودي . (أبو الحسن علي بن الحسين ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م) .
٢٠٠ – التنبيه والإشراف ، دار صعب ، بيروت ، د.ت .
٢٠١ – مروج الذهب ومعدن الجوهر ، تحقيق محمد محي الدين عبد المجيد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، بيروت ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .

مسلم . (بن الحجاج القشيري النيسابوري ت ٢٦١ هـ / ٨٧٥ م) .
٢٠٢ – صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، د.ت .

ابن مفلح . (برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله ت ٨٨٤ هـ - /١٤٧٩م) .
٢٠٣ – المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد ، تحقيق عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط١ ، ١٩٩٠ م .

المقدسي . (تقي الدين عبد الغني بن عبد الواحد ت ٦٠٠ هـ / ١٢٠٤ م)
٢٠٤ – الحلال والحرام ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤١هـ / ١٩٩١ م .

المقدسي . (محمد بن أحمد ت ٣٩٠ هـ /) .
٢٠٥ – أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، تحقيق غازي طليمان ، وزارة الثقافة والإرشاد القـومي ، دمشق ، ١٤٠٠هـ /١٩٨٠ م .

المقدسي . (مطهّر بن طاهر ت ٣٧٠هـ / ٩٨٠م) .
٢٠٦ - كتاب البدء والتاريخ ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، د.ت .

المقريزي . (تقي الدين أحمد بن علي ت ٧٤٢ هـ / ١٣٤٢ م) .
٢٠٧ – الذهب المسبوك في ذكر من حج من الملوك ، تحقيق جمال الدين الشيال ، مكتبة الخـانجي ، القاهرة - المتنبي ، بغداد ، ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م .
٢٠٨ – كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق محمد مـصطفى زيـادة ، مطبعـة دار الكتـب المصرية ، القاهرة ، ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م .
٢٠٩ – المواعظ والاعتبار في التراجم والآثار (المعروف بـ خطـط المقريـزي)، دار التحريـر للطباعة والنشر (مصورة عن طبعة بولاق) ، القاهرة ، د.ت .
٢١٠ – النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم ، مكتبة الأهرام ، القاهرة ، د.ت .

المقري .(أحمد بن محمد بن علي التلمساني ت ٧٧٠ هـ / ١٣٦٩ م) .
٢١١ – المصباح المنير ، دار القلم ، بيروت ، د.ت .

٢١٢ – نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عبـاس ، دار صـادر ، بيـروت ، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م .

ابن الملقن . (أبي حفص سراج الدين عمر بن علي المصري ت ٨٠٤ هـ / ١٤٠٢ م) .
٢١٣ – طبقات الأولياء ، تحقيق نور الدين شربية ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

ابن منجويه . (أبو بكر أحمد بن علي الأصبهاني ت ٤٢٨ هـ /١٠٣٧م) .
٢١٤ – رجال مسلم ، تحقيق عبد الله الليثي ، دار المعرفة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٧ هـ /١٩٨٧.

ابن منظور . (محمد بن مكرّم ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م) .
٢١٥ – لسان العرب / تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرين ، دار المعارف ، القاهرة ،(مصوّرة عن طبعة بولاق) ، ١٣٠٠ هـ / ١٨٨٢ م .

٢١٦ – مختصر تاريخ دمشق ، تحقيق إبراهيم صالح ، دار الفكر ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .

موسى بن يوسف بن يعقوب ت ٧٩٥ هـ / ١٣٩٣م .
٢١٧ – واسطة السلوك في سياسة الملوك ، مطبعة الدولة التونسية ، تونس ، د.ت .

الموصلي . (محمد بن عبد الكريم الشافعي ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م) .
٢١٨ – حسن السلوك الحافظ لدولة الملوك ، تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م .

نابليون المارد يني .
٢١٩ – تنزه العباد في مدينة بغداد ، المطبعة اللبنانية ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ / ١٦٨٧ م .

النجار . (أبو بكر أحمد بن سلمان ت ٣٤٨ هـ / ٩٥٩ م) .
٢٢٠ – كتاب الرد على من يقول القرآن مخلوق ، تحقيق رضا الله محمد إدريس ، مكتبة الصحابة الإسلامية ، الكويت ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

ابن النديم . (محمد بن إسحاق ت ٤٣٨ هـ / ١٠٤٦ م) .
٢٢١ – الفهرست ، تحقيق إبراهيم رمضان ، دار المعرفة ، بيروت ، ط٢ ، ١٤١٧ هـ /١٩٩٧ م .

أبو نعيم . (أحمد بن عبد الله الأصفهاني الشافعي ت ٤٣٠ هـ / ١٠٣٩ م) .
٢٢٢ – حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م .
٢٢٣ – مسند أبي حنيفة ، تحقيق نظر محمد الفريابي ، مكتبة الكوثر ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ .

ابن هشام . (عبد الملك الحميري المعافري ت ٢١٣ هـ / ٨٢٨ م) .
٢٢٤ – السيرة النبوية ، تحقيق طه عبد الرءوف سعد ، دار الجيل ، بيروت ،١٤١١هـ/ ١٩٩٠ م .

الهيثمي . (علي بن أبي بكر ت ٨٠٧ هـ / ١٩٨٧ م) .
٢٢٥ – مجمع الزوائد ، دار الريان للتراث ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

ابن وادران . (حسين بن محمد كان حيا سنة ١١٧٢ هـ / ١٧٥٩ م) .
٢٢٦ – تاريخ العباسيين ، تحقيق المنجي الكعبي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م .

وكيع . (محمد بن خلف بن حيّان ت ٣٠٦ هـ / ٩١٨ م) .
٢٢٧ – أخبار القضاة ، عالم الكتب ، بيروت ، د.ت .

اليافعي . (أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن سعد ت ٧٦٨ هـ / ١٣٦٧ م) .
٢٢٨ – روض الرياحين في حكايات الصالحين ، د.د.م.ت .
٢٢٩ – مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة أحوال الزمان ، تحقيق عبد الله الجبوري ،مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٩٤ م .

ياقوت . (شهاب الدين أبو عبد الله الحموي ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م) .
٢٣٠ – معجم البلدان ، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ .

يحيى بن آدم . (القرشي ت ٢٠٣ هـ / ٨١٨ م) .
٢٣١ – كتاب الخراج ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار التراث ، القاهرة ، د.ت .

اليعقوبي . (أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح ت ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م) .
٢٣٢ – تاريخ اليعقوبي ، دار صادر ، بيروت ، د.ت .
٢٣٣ – كتاب البلدان ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .

أبو يعلى . (محمد بن الحسين الفراء ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٦ م) .
٢٣٤ – الأحكام السلطانية ، تحقيق محمد حامد الفقي ، دار الكتب العلمية ، بيـروت ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٣ م .
٢٣٥ – طبقات الحنابلة ، دار إحياء الكتب العربية (فيصل البابي الحلبي) ، القاهرة ، د.ت .
أبو يوسف . (يعقوب بن إبراهيم ت ١٨٢ هـ / ٧٩٨ م) .
٢٣٦ – كتاب الخراج ، المطبعة السلفية ، بيروت ، ط٥ ، ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م .

ثالثا : المراجع العربية الحديثة :

- إبراهيم أحمد العدوي (الدكتور) : ١ ـ الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم ، دار رياض الصالحين ، القاهرة ،١٤١٤هـ /١٩٩٤ م .

- أحمد إبراهيم الشريف : ٢ ـ دور الحجاز في الحياة السياسية في القرنين الأول والثاني الهجريين ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨ م .

- أحمد أمين : ٣ ـ ضحى الإسلام ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، د. ت .

- أحمد الحفناوي : ٤ ـ الحضارة الإسلامية في ظل الخلافة العباسية ، الجهاز المركزي للكتب الجامعية ، المنصورة ، ط١ ، ١٣٩٩هـ /١٩٧٩ م .

- أحمد خورشيد وآخرين : ٥ ـ دائرة المعارف الإسلامية ، مركز الشارقة للإبداع الفكري ، الإمارات ، ط١ ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨ م .

- أحمد رضا : ٦ ـ معجم متن اللغة ، د.د ، بيروت ، ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٩ م .

- أحمد شوقي إبراهيم العمرجي : ٧ ـ المعتزلة في بغداد وأثرهم في الحياة الفكرية والسياسة ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط١ ،١٤٢٠

هـ / ٢٠٠٠ م .

- أحمد عبد الجوّاد الدومي : ٨ - أحمد بن حنبل محنة الدين ومحنة الدنيا ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ط١ ، ١٢٨٠ هـ /١٨٦٣ م .

- أحمد محمد صبحي (الدكتور) : ٩ - في علم الكلام (دراسات فلسفية لإراء الفرق الإسلامية في أصول الدين) ، النهضة العربية ، بيروت ، ط٥ ، ١٤٠٥هـ ١٩٥٨م .

- أحمد مصطفى الراعي : ١٠ - الحسبة في الإسلام ، مطبعة الحلبي، القاهرة ، د.ت .

بابللي . محمود محمد : ١١ - إعمار الأرض في الإقتصاد الإسلامي واستثمار خيراتها بما ينفع الناس ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .

البدري . عبد العزيز : ١٢ - الإسلام بين العلماء والحكام ، دار الشباب ، بيروت ،١٤٢١ هـ/ ٢٠٠٠ م .

البستاني . بطرس : ١٣ - محيط المحيط ، المكتبة العمومية ،بيروت ، ١٢٨٤ / ١٨٦٧ م .

البستاني . عبد الله : ١٤ - الوافي معجم وسيط اللغة العربية ، مكتبة لبنان ، بيروت ،هـ١٤٠٠/١٩٨٠م.

الجندي . عبد الحليم : ١٥ ـ الإمام الشافعي ناصر السنة وواضع الأصول ،دار المعارف ، القاهرة ، ط٢ ،د.ت .

: ١٦ ـ أبو حنيفة بطل الحرية والتسامح في الإسلام ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ،١٣٩٠ هـ/١٩٧٠م .

: ١٧ ـ مالك بن أنس إمام دار الهجرة ، دار المعارف ، القاهرة ، د.ت .

حامد محمود إسماعيل (الدكتور) : ١٨ ـ النظام الإقتصادي في الإسلام د.د.م ،ط١ ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .

الحريري . محمد عيسى (الدكتور) : ١٩ ـ مقدمات البناء السياسي للمغرب العربي (الدولة الرستمية)،مكتبة الشباب ،القاهرة ،ط١،١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .

حسن إبراهيم حسن(الدكتور) : ٢٠ ـ تاريخ الإسلام السياسي و الديني والثقافي والإجتماعي ، مطبعة منير ، بغداد ، د.ت .

حسن أحمد محمود (الدكتور) : ٢١ ـ العالم الإسلامي في العصر العباسي، مطبعة الإستقلال الكبرى ، القاهرة ، د.ت .

حسن علي حسن (الدكتور) : ٢٢ ـ تاريخ المغرب العربي (عصر الولاة) ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، ط١ ، د.ت .

حسين محمد سليمان : ٢٣ ـ الدولة الإسلامية في العصر العباسي ، دار عالم الكتب ، الرياض ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤م .

خضر أحمد عطاء الله (الدكتور) : ٢٤ ـ بيت الحكمة في عصر العباسيين ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط١ ، د.ت .

الخضري بك : ٢٥ ـ إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء ،دار التوزيع والنشر الإسلامية ، الكويت ، ط١ ، ١٤١٧ هـ ـ / ١٩٩٦ م .

خلاف . محمد (الدكتور) : ٢٦ ـ ثلاث وثائق في محاربة الأهواء والبدع في الأندلس ، المركز العربي الدولي للإعلام ، القاهرة ، ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م .

راجية إبراهيم الرشيدي : ٢٧ ـ الرشيد والتشيع ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣ م .

رياض عيسى : ٢٨ ـ النزاع بين أفراد البيت الأموي ودوره في سقوط الخلافة الأموية،دار حسّان،دمشق،ط١،١٤٠٦ هـ ـ / ١٩٨٥ م .

الزحيلي . سليمان بن ضفيدع (الدكتور) :٢٩ ـ العلاقات بين الدولة العباسية ودولة الفرنجة في عهد هارون الرشيد والإمبراطور شارلمان ، دار الهدى ، الرياض ، د.ت .

الزركلي . : ٣٠ - الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب والمستعربين والمستشرق) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٧ ، ١٤٠٦هـ-/١٩٨٦ م .

أبو زهرة . محمد : ٣١ - ابن حنبل حياته وعصره وأراءه وفقهه ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٣٦٧ هـ-/ ١٩٤٧ م .

: ٣٢ - أبو حنيفة حياته وعصره وآراءه الفقهية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ،١٣٦٦هـ- / ١٩٤٧ م .

: ٣٣ - الشافعي حياته وعصره وآراءه وفقهه ، دار الفكر العربي، القاهرة ،١٣٦٧هـ-/١٩٤٨م .

: ٣٤ - مالك حياته وعصره ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، د. ت .

: ٣٥ - الملكية ونظرية العقد في الشريعة الإسلامية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٤١٦ هـ-/ ١٩٩٦م .

شاكر مصطفى (الدكتور) : ٣٦ - دولة بني العباس ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ط١ ، ١٣٩٣هـ- / ١٩٧٣ م .

شاهين عطية : ٣٧ - شرح ديوان أبي تمّام ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢ ، ١٤١٢هـ- / ١٩٩٢م .

الشرباصي.أحمد(الدكتور) : ٣٨ - المعجم الإقتصادي الإسلامي ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤٠١ هـ- / ١٩٨١ م .

صابر محمد دياب : ٣٩ ـ الخلافة ونظم الحكم في الدولة الإسلامية ، دارالأنصار ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

: ٤٠ ـ ولاية المظالم ومجالسها ، مطبعة الأمانة ، القاهرة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م .

عباس شومان : ٤١ ــ عصمة الدم والمال في الفقه الإسلامي ، الدار الثقافية للنشر ، القاهر ، ١٤١٩ هــ / ١٩٩٩ م .

عبدالحليم محمود (الدكتور) : ٤٢ ـ سفيان الثوري، دار المعارف،القاهرة،ط٣، د.ت .

عبد الشافي محمد عبد اللطيف (الدكتور) : ٤٣ ـ التاريخ الإسلامي من ظهورالإسلام حتى سقوط الدولة الأموية ، الجريسي ، القاهرة ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤ م .

: ٤٤ ـ دراسات في تاريخ الدولة الأموية ، الجريسي ، القاهرة ، د.ت .

عبد العزيز سيد الأهل : ٤٥ ـ الإمام الأوزاعي فقيه أهل الشام، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ،القاهرة ،١٣٨٦هـ/١٩٦٦ م .

عبد الله محمد (الدكتور) : ٤٦ ـ ولاية الحسبة في الإسلام ، مكتبة الزهراء ، القاهرة ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م .

عبد المجيد أبوالفتوح (الدكتور) : ٤٧ ـ التاريخ السياسي والحضاري للخلافة العباسية ، مكتبة حمدي ، دمياط ، د.ت.

عبد المجيد المحتسب : ٤٨ - عبد الله بن المبارك المروزي ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ،عمّان،١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢ م .

عبد المنعم الحفني (الدكتور) : ٤٩ - موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب و والأحزاب والحركات الإسلامية ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط٢ ، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩ م

عبد المنعم ماجد (الدكتور) : ٥٠ - العصر العباسي الأول ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م .

العش . يوسف (الدكتور) : ٥١ - تاريخ عصر الخلافة العباسية ، دار الفكر المعاصر، بيروت ، ط١ ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

علي إبراهيم حسن (الدكتور) : ٥٢ - التاريخ الإسلامي العام ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ،هـ١٣٩٢/١٩٧٢ م .

علي حبيبة (الدكتور) : ٥٣ - العباسيون في التاريخ ، مكتبة الشباب القاهرة ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠ م .

:٥٤ - النظم الإسلامية ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩ م .

علي طريف الأعظمي : ٥٥ - مختصر تاريخ بغداد ، مطبعة الفرات ، بغداد ، ١٣١٤ هـ / ١٩٢٦ م .

عماد الدين خليل (الدكتور) : ٥٦ ـ ملامح الإنقلاب الإسلامي في خلافة عمر ابن عبد العزيز ، الدار العلمية ، بيروت ط٢ ، ١٣٩١ هـ ـ / ١٩٧١ م .

عمر أبو النصر : ٥٧ ـ الأيام الأخيرة للدولة الأموية ، المكتبة الأهلية ، بيروت ، ط١ ، ١٣٨٢هـ ـ/١٩٦٢ م .

عنان . محمد عبد الله (الدكتور) : ٥٨ ـ دولة الإسلام في الأندلس ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٤٢٤هـ ـ/ ٢٠٠٣ م .

الغزالي . محمد (الدكتور) : ٥٩ ـ الإسلام والأوضاع الإقتصادية ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، د.ت .

فاروق عمر (الدكتور) : ٦٠ ـ التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين ، مكتبة النهضة ، بغداد ، ١٤٠٥ هـ ـ/ ١٩٨٥ م .

: ٦١ ـ الجذور التاريخية للوزارة العباسية ، دار الشؤون الثقافية العامة بوزارة الإعلام، بغداد ، ط١ ، ١٤٠٦هـ ـ / ١٩٨٦ م .

فتحي عثمان (الدكتور) : ٦٢ ـ الحدود الإسلامية البيزنطية بين الإحتكاك الحربي والإتصال الحضاري ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، د.ت .

قلعجي . محمد روّاس(الدكتور) وآخرين : ٦٣ ـ معجم لغة الفقهاء ، دار النفائس ، بيروت ط١ ، ١٤١٦ هـ ـ / ١٩٩٦ م .

: ٦٤ ـ موسوعة فقه سفيان الثوري ، دار النفائس ، بيروت ، ط٢ ، ١٤١٨ هـ ـ / ١٩٩٧ م.

الكبيسي . حمدان (الدكتور) : ٦٥ ـ أصالة نظام الحسبة العربية الإسلامية ، وزارة الإعلام والثقافة ، بغداد ،١٤٠٩هـ ـ/ ١٩٨٩ م .

الكوثري . محمد زاهد (الدكتور) : ٦٦ ـ حسن التقاضي في سيرة الإمام أبي يوسف القاضي ، دار الأنوار ، القاهرة ، ١٣٦٨ هـ ـ / ١٩٤٨ م .

مجيد خدوري : ٦٧ ـ الصلات الدبلوماطيقية بين هارون الرشيد وشارلمان ، مطبعة التفيض الأهلية ، بغداد ، ١٣٥٨ هـ ـ / ١٩٣٩ م .

محمد صبحي عبد المنعم : ٦٨ ـ الحسبة في الإسلام بين النظرية والتطبيق ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط١ ، ١٤١٥هـ ـ / ١٩٩٤ م .

محمد كرد علي : ٦٩ ـ خطط الشام ، المطبعة الحديثة ، دمشق ،

١٣٧١هـ / ١٩٢٥ م .

محمد ماهر حمادة (الدكتور) : ٧٠ - الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر الأموي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٤، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٥ م .

محمد يوسف مرسي . : ٧١ - أبو حنيفة ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٧ م .

محمود شاكر (الدكتور) : ٧٢ - تاريخ الإسلام ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٢ ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م .

محمود منصور : ٧٣ - الربا في الشريعة الإسلامية ، القاهرة ، د.ت .

مصطفى حلمي (الدكتور) : ٧٤ - الزهاد الأوائل ، دار الدعوة ، الإسكندرية ط١ ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٧٩ م .

المصري . رفيق يونس : ٧٥ - أصول الإقتصاد الإسلامي ، دار القلم دمشق ، الدار الشامية ، بيروت ، ط٢ ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م .

المصري . عبد السميع : ٧٦ - مقومات الإقتصاد الإسلامي ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط٤ ، ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م .

المغربي . محمود عبد المجيد : ٧٧ ـ المال والملكية في الشريعة الإسلامية ، المكتبة الحديثة ، بيروت ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧ م .

المكي . اقلانية : ٧٨ ـ النظام التعليمي عند المحدثين في القرون الثلاثة الأولى ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، قطر ، ط١ ، ١٤١٣ هـ /١٩٩٣ م .

المناوي . عبد الرؤوف : ٧٩ ـ فيض القدير ، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة ، ط١ ، ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧ م .

نادية حسين صقر (الدكتورة) : ٨٠ ـ السلم في العلاقات العباسية البيزنطية في العصر العباسي الأول ، المكتبة الفيصلية مكة المكرّمة ، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥ م .

الندوي . علي أحمد (الدكتور) : ٨١ ـ الإمام محمد بن الحسن الشيباني ، دار القلم ، دمشق ، ط١ ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م .

رابعا : المراجع المعرّبة : الأجنبية :

أرنولد . سير. تومس . : ١ ـ الدعوة الى الإسلام ، ترجمة حسن إبراهيم حسن ، عبد المجيد عابدين اسماعيل النحراوي ، مكتبة النهضة ، المصرية ، القاهرة ، د.ت .

: ٢ ـ الخلافة ، ترجمة جميل معلى ، دار اليقضة العربية ، بيروت ، د.ت .

أ . أشتور :٣ ـ التاريخ الإقتصادي والإجتماعي للشرق في العصور الوسطى ، ترجمة عبد الهادي عبلة ، دار قتيبة ، دمشق، ١٤٠٢هـ/١٩٨٥ م .

استانلي بول : ٤ ـ طبقات سلاطين الإسلام ، الدارالعلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

بروكلمان . كارل : ٥ ـ تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة نبيه أمين فارس ، دار العلم للملايين ، بيروت ط١١ ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .

جرجي زيدان : ٦ ـ تاريخ التمدن الإسلامي ، ترجمة حسين

مؤنس (الدكتور) ، دار الهلال ، د.م.ت .

جرونيباوم . جوستاف : ٧ - حضارة العرب ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ١٤١٥هـ/١٩٩٤ م .

ديورانت : ٨ - قصة الحضارة ، ترجمة محمد بدران ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ط٢ ١٣٣٥هـ/ ١٩١٧ م .

رينسيمان . ستيفن : ٩ - تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة السيد البازي العريني،دارالثقافة ، بيروت ،١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

: ١٠ - الحضارة البيزنطية ، تجمة عبد العزيز جاويد ، لجنة الترجمة والتأليف والنشر ، القاهرة ، ١٣٨٠ هـ /١٩٦١ م .

فلهوزن . يوليوس : ١١ - تاريخ الدولـة العربيـة ، ترجمة محـمد عبد الهادي أبو ريدة ، حسين مؤنس ، مطبعة لجنة التأليف التأليف الترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦ م .

فيليب فارج ، يوسف كرباج : ١٢ ـ المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي ، ترجمة يوسف بشير السباعي ، سينا للنشر ، القاهرة ، ١٩٩٤ م .

كانتور .ف . نورمان . : ١٣ ـ التاريخ الوسيط ، ترجمة قاسم عبده قاسم ، عين للدراسات والنحوث الإنسانية والإجتماعية ، القاهرة ، ط٦ ، د.ت .

وليم لانجر : ١٤ ـ موسوعة تاريخ العالم ، ترجمة عبد المنعم أبو بكر (الدكتور) ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، د.ت .

خامسا . الرسائل العلمية :

أحمد محمود الأحمد : ١ ـ معالجة العلاقات الخارجية في الإسلام بالوسائل السلمية حتى نهاية العصر العباسي الثاني (رسالة دكتوراه) ، كلية اللغة العربية جامعة الأزهر ، ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م .

أمل إبراهيم صادق أبو سنة : ٢ ـ التنظيمات الإقتصادية والحياة الإجتماعية في مدينة البصرة من منتصف القرن الثاني الهجري حتى منتصف القرن الرابع الهجري ، (رسالة ماجستير) ، كلية الأدآب ، جامعة القاهرة ١٤١٢هـ /١٩٩٢ م .

أمينة محمد علي بيطار : ٣ ـ الحياة السياسية وأهم مظاهر الحضارة في بلاد الشام منذ قيام الخلافة العباسية وحتى الفتح الفاطمي ،(رسالة دكتوراه) ، كلية الأداب جامعة القاهرة ١٣٩٥هـ/١٩٧٥ م .

أنس هارون عبد المجيد : ٤ ـ الآثار الحضارية لحركة الخارجين على الدولة في العصر العباسي الأول ، (رسالة دكتوراه) ، كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر ،١٤١١هـ / ١٩٩١ م .

: ٥ - أساليب المواجهة السياسية للعباسيين ، (رسالة ماجستير) ، كلية اللغة العربية جامعة الأزهر ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤ م .

حسن فاضل العاني : ٦ - سياسة أبي جعفر المنصور الداخلية والخارجية (رسالة دكتوراه) ، كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧ م .

زاهية مصطفى قدّورة : ٧ - الشعوبية وأثرها الإجتماعي والسياسي في العصر العباسي الأول ، (رسالة دكتوراه) ، كلية الآداب ،جامعة القاهرة ، ١٣٧٠هـ/١٩٥١م .

زنوبة نادي مرسي أبو زيد : ٨ - التنظيمات الإقتصـادية والإجتمـاعية في اليمن منذ صدر الإسلام حتى أواخرالقرن الثالث الهجري ، (رسالة دكتوراه) ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ،١٤١٢هـ/ ١٩٩٢ م.

سامية توفيق عبد الله : ٩ - تطور نظام الوزارة من بداية العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري (رسالة ماجستير) ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ،١٣٩٠ هـ /١٩٧١ م .

شنوان مرعي حسن : ١٠ - العلاقات بين الدولة العباسية والدولة البيزنطية في العصر العباسي الأول ،

(رسالة ماجسير) ، معهد الدراسات الإسلامية ، جامعة عين شمس ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥ م .

عبد الحكيم عبد الحق سيف الدين ١١ - موقف كبار التابعين من المتغيرات الإقتصادية في العهد الأموي ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة صنعاء ،١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م .

عبد الرحمن أحمد سالم : ١٢ - التاريخ السياسي للمعتزلة حتى نهاية القرن الثالث الهجري ،(رسالة ماجستير) كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م .

يوسف مصطفى عجو : ١٣ - تهذيب الرياسة وترتيب السياسة ، لأبي عبد الله محمد بن علي القلعي (ت٦٣٠ هـ/١٢٣٣م) (رسالة ماجستير) ، كلية الشريعة والقانون ، جامعة الأزهر، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢ م .

محمد كابي الرشيد : ١٤ - دور العرب في الدعوة الى بني العباس (رسالة ماجستير) ، كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر ،١٤١٥هـ /١٩٩٤ م .

محمد ضيف الله بطاينة : ١٥ - العلاقات العلوية العباسية ، (رسالة ماجستير) ، كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر ،

نايف عيد جابر سهيل	: ١٦ ـ السياسة الخارجية للدولة العباسية (العصر العباسي الأول) ، (رسالة ماجستير) ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهر ، ١٤٠٦هـ ـ / ١٩٨٥ م .
نجلة قاسم الصباغ	: ١٧ ـ بلاد الحجـاز خلال العصـر العباسي الأول ، (رسالة ماجستير) ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ١٣٨٩هـ ـ / ١٩٦٩ م .
وئام محمد سيد أحمد أنس	: ١٨ ـ الخطابـة السياسية في العصر العباسي الأول ومظـاهـر التجديد فيها ، (رسالة ماجستير) ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، ١٤٢١ هـ ـ / ٢٠٠٠ م .
يسرى أحمد عبد الله عبد الرحمن	: ١٩ ـ الأوضـاع الإقتصاديـة في العراق والشام في العصـر العباسي الأول ، (رسالة ماجستير) ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، ١٤١١ هـ ـ / ١٩٩١ م
اليوزبكى . توفيق سلطان	: ٢٠ ـ تاريخ أهل الذمة في العراق (من ١٧هـ ـ/ ٢١٨ م) ، (رسالة ماجستير) ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس ،١٣٩١هـ ـ / ١٩٧٢ م .

سادسا . بحوث منشورة في دوريات :

أحمد سعد أحمد الحسن (الدكتور) :١ - دور العامة في الأحداث السياسية في العصر العباسي من بعد سنة ٢٤٧ هـ / ٨٦١ م ، بحث منشور في مجلة كلية الآداب ، جامعة المنصورة ، العدد : ٢٢ ، رمضان ١٤١٨هـ / يناير ١٩٩٨ م .

الحارثي . حسن بن علي بن : ٢ - الحياد في العلاقـات الـدولية الإسلامية ، بحث منشـور في مجلة كليـة الآداب ، جامعة عين شمس ، العدد : ١٣ ، شوال١٤٢٠هـ/ يناير ٢٠٠٠ م .

الحريري . محمد عيسى (الدكتور) : ٣ - دراسة تاريخية على سكة أموية باليمن من عهـد الوليد بن عبد الملك ورؤية جديدة حـول تعـريب العملة في العصر الأموي ، بحث منشور في مجلة كلية الآداب جامعة المنصورة ،العدد (٧) ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

راوية عبد الحميد حسنين : ٤ - دور الحكمة وخزائن الكتب ودورها في نشر العلم والثقافة ، ندوة المراكز الثقافية والعلمية في الوطن العربي عبر العصور بإتحاد المؤرخين العرب ، دار عين للدراسات والبحوث ، القاهرة ، ١٤٢٢هـ

/ ٢٠٠١ م .

الشجاع . عبد الرحمن عبدالواحد(الدكتور) : ٥ - بوصير ونهاية الدولة الأموية ، بحث مقدم في مؤتمر بني سويف على مر العصـور ، كليـة الآداب (فـرع بني سويـف) ، جـامعة القـاهـرة ، إبريل ٢٠٠٢ م .

الشرباصي . أحمد (الدكتور) : ٦ - الأئمة الربعة ، سلسلة كتاب الهلال ، العدد ١٦٢ ، دار الهلال ، القاهرة ، ربيع الثاني ، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م .

صادق أحمد داود جودة : ٧ - تاريخ الخميس وخراسان ، بحث منشور في مجلـة الـدراسات الشـرقية ، العدد : ٤ ، مركـز الـدراسات الشرقيـة ، جامعة القاهـرة ، يوليو ١٩٨٦ م .

ضميرية . عثمان بن جمعة : ٨ - المعاهدات الدولية في فقه الإمام محمد بن الحسن الشيباني ، رابطة العالم الإسلامي مكة المكرّمة ، العدد : ١٧٧ ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦ م .

عبد الرحمن سالم (الدكتور) : ٩ - الإتصال الثقافي بين الخلافة العباسية والإمبراطورية البيزنطيـة في عصر المأمون ، مجلة كلية دار العلوم ، العدد

١٨ ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م .

كوثر علي سرحان : ١٠ - فتح المسلمون ومغـادرتهـم لأرواد كيزيكوس ورودس ، ندوة المـراكـز الثقافية والعلمية في العالم العربي عبر العصور ، اتحاد المؤرخين العـرب ، دار عين للدراسات والبحوث ، القاهرة ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م .

محمود توفيق محمد سعيد : ١١ - فقه تغيير المنكر ، كتـاب الأمة ، العدد ٤١ ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، قطر ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م .

سابعا :ا راجع الأجنبية:

Ahsun, Muhamed Manazir ,Social Life under The Abbasids .
Longman Group LTd .
London and New york, 1979.

Crone, p , The Mawali in Umayyad Period .
London , 1980 .

Khaury ,Raief Geroge , Abd Allah ibn Lahia.
Keptin Heidelberg Univirsity

Kremer , Alfred Von , Kulturgeschichte des Orients unter den Chalifen.
2Bde ,Wien 1875 .

Nichlson , Aliterary History of Arabs (Cambridge Univirsity , Press, 1953 AD.

Van Vloten , G , Recherches sur la domination Arabe , le Chiitisme et les
Croyances Messia
niques sous le khalifat des Omayyades .
Amsterdam , 1894 .

Wellhousen , Julius, Das Arabische Reich und sein Sturz.
Berlin , 1902 .
Die religios-Politschen Oppositionparteien
im alten Islam ,
Berlin , 1901 .

Abstract

The study aims at identifying the roles played by the scholars in the political and economic life in the First Abbasid Age in order to clarify, as far as possible, these roles whether through what they present of exegeses that adapt the nation with the rules and values of Islam, or the effort they exert to reform the nation's institutions through working in them, or through the advice they offered to the caliphs, princes or community individuals. Thus they were the regulators who adjusted the nation's policy and the community life.

This effort aims at shedding more light on the cultural sides of the Islamic History which received ting attention by fair, examiner researchers. In reality the majority of studies focused on the military and political domains so that the Islamic History seemed to be a mere History of conflicts, conspiracies, betrayals, battles and blood. This has always given a gloomy image for this history and whenever a place is allowed for the life of the Islamic society, it is only a place for dance and wine cups that shows the society as libertine and deviant against the real situation. Whenever the role of the intellectuals is presented, it's always superficial and it's full of signs and slanders that offended those scholars.

This study is divided into an introduction, preface, six chapters and a conclusion.

Introduction: It covers the importance of the topic and its position among the studies that dealt with the Islamic History and the First Abbasid Age.

Preface: It is specified to introduce the two elements of the topic, mainly the scholars and the First Abbasid Age.

Chapter One: The stand of the scholars towards the Abbasid Revolution. It dealt with the reasons for the fall of the Umayad Caliphate, the elements of the Abbasid Revolution and the vision of the Scholars of its legitimacy.

Chapter Two: The view of the scholars towards the authority and the view of the authority towards the scholars. It shows the role of the scholars in showing the importance of the

caliphate as a political institution necessary for the nation, the importance of those in charge of this authority and the position of the scholars in the eye of the caliphs.

Chapter Three: The curriculum of the scholars in participating in the political life in the First Abbasid Age. This chapter handles the methods followed by the First Abbasid Age scholars in participating in the Political life.

Chapter Four: The stand of the scholars towards the political issues and elements that the First Abbasid Age witnessed. This chapter follows the stand of the scholars towards the political issues and their role in those elements that had shaken the First Abbasid Age. It handles their stand towards the methods of authority exchange, and the movements against the Abbasid state, and their stand towards the affliction of the saying that the Quran is created, the external policy of the state, employing other religions followers state occupations, the dilemmas of the Caliphs and the ministers, and the habits and traditions that the Abbasid caliphs invented.

Chapter Five: The role of the scholars in Jihad. This chapter is specified to show the contribution of the scholars in the movement of the Islamic openings whether by preaching, pushing, urging, staying on the coast, or participating in the battles.

Chapter Six: The role of the scholars in the economic life in the First Abbasid Age. This chapter handles the view of the scholars towards money, resource and expenditure in the First Abbasid Age and their efforts in promoting the economic life.

The study has reached the following findings:

1- The Holy Quran and Sunna contained a significant space for the economic and political life. They were the basis for the view at the scholars towards these two life fields.

2- The scholars of the First Abbasid Age did not live on the margin, they effectively participating in the economic and political life either through participated in the different state systems or through directing the policy of the princes and caliphs by offering preaching and advice to them or by opposing and uncovering the deviation and

misconducts of the princes and caliphs, or through abandoning the political life as an expression of silent opposition to the unsatisfactory policies of caliphs.

3- The political life in the First Abbasid Age knew a kind of representation and control systems where the scholars represented the demands of people from the state and they also controlled the Princes and caliphs.

4- The scholars viewed the Abbasid Revolution as a mere change in the caliphate from one family to another without any reform in the government system.

5- The year 247 H (861 A.D.) that a coincidence with the end of the caliphate of Al Motawkil is a demarcation line between two distinctive Ages of the Abbasid Caliphate. A First Age which was characterized by strength and a Second Age characterized by weakness.

6- The caliphs of the Abbasid Age enjoyed the respect, appreciation and obedience of the scholars. The scholars also enjoyed the respect and appreciation of the caliphs.

7- The Abbasid state relied on Islam in its political and economic and its relation with other, It also relied on the scholars and their exegesis by which they meant to adapt the political variation with the Islamic teaching and values.

8- The majority of the scholars abandoned the opposition movements that were against the Abbasid state especially those that used the sword to rebel against the state.

9- Some internal and external factors led to appearance of the novelty of the creation of the Quran. The state did not mean to take the scholars away from current political issue by adopting this idea because the state tried to seek the help of the scholars and to push them to take part in the political life.

10- The other religions follower enjoyed clear superceded tolerance in the shade of the Islamic state.

11- The scholars rejected the strange phenomena that the Abbasid invented, and denied them.

12- The scholars in the First Abbasid Age had a significant role in the Jihad movement, preaching, composing, pushing, directing, safeguarding and invading.

13- Scholars of the First Abbasid Age were the regulators who adjusted the rhythm of the Islamic life as they used to restore balance and adjust the deviation in both the state system and society life.

14- Through their enormous efforts, the Scholars of the First Abbasid Age founded the bases for the Islamic economy and the First Abbasid Age with its scholars was womb in which the Islamic economy was formed and the rules and principles of it come on the hands of those scholars.



Mansoura University
Faculty of Arts
History Department

The Role of Scholars in the Political and Economic life of the First Abbasid Era:

A THESIS
Submitted in Partial Fulfillment
for the Requirements of the PhD Degree
in Islamic History

By

Abdol hakim Abdol haq Mohamed Saif Al deen

Under the Supervision of :

Prof. Dr:
Mohammed Eissa Al Hariry

Prof. of Islamic History in Faculty of Arts

2004